

دراسات في تاريخ الحروب الصليبية

**الممتلكات الكنسية  
في مملكة بيت المقدس الصليبية  
(1099-1291م / 492-690هـ)**

تأليف

الدكتور سعيد عبدالله البشاوي  
أستاذ مشارك في جامعة القدس المفتوحة

تقديم الأستاذ الدكتور

محمود سعيد عمران

عميد كلية الآداب / جامعة بيروت العربية  
أستاذ تاريخ العصور الوسطى / جامعة الإسكندرية

دار الشيماء للنشر والتوزيع

رام الله - فلسطين

الطبعة الثالثة

2016م / 1437هـ

## الممتلكات الكنسية

في مملكة بيت المقدس الصليبية

(690-492هـ) / (1099-1291م)

الطبعة الثالثة / رام الله / فلسطين

1437هـ / 2016م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف



الناشر: دار الشيماء للنشر والتوزيع

جسور ثقافية للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو استنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطي مسبق من الناشر.

All Rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher

التصميم والانتاج الفني

شركة أرجوان للطباعة والتصميم





بسم الله الرحمن الرحيم

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم

ورسوله والمؤمنون»

صدق الله العظيم





# مكتبة جامعة تشرين للكتب المصورة-قسم التاريخ

إهداء . . .

إلى روح استاذي وصديقي وأخي المرحوم  
الاستاذ الدكتور محمود سعيد عمران  
عرفانا بفضلله في خدمة طلبة العلم

د . سعيد عبدالله البيشاوي

2015 /6 /25





## محتويات الكتاب

تقديم بقلم الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران

- مقدمة المؤلف

- أهمية الموضوع وسبب اختياره .

- المنهج المتبع لموضوع البحث وتبويبه .

- دراسة تحليلية لأهم مصادر البحث .

أولاً : المصادر الأجنبية الأصلية .

(أ) الوثائق :

سجل كنيسة القيامة في بيت المقدس - عقود دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط

- وثائق هيئة فرسان التيوتون .

(ب) المصادر التاريخية والجغرافية :

فوشيه الشار تري : « كتاب أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس » - البرت دكس :

« تاريخ بيت المقدس » - وليم الصوري : « كتاب تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر » -

كتاب « ارنول وبرنارد وكيل بيت المال » - تاريخ هرقل المعروف باسم « تاريخ الإمبراطور

هرقل والاستيلاء على الأراضي المقدسة » - كتاب « قوانين بيت المقدس » - الراهب دانيال

الروسي : « رحلة الراهب دانيال الروسي إلى الأراضي المقدسة » - بورشارد من دير

جبل صهيون : كتاب « وصف الأرض المقدسة » .

ثانياً : المصادر الإسلامية الأصلية .

المقدسي البشاري : كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » - ابن القلانسي

: كتاب « ذيل تاريخ دمشق » - ابن جبير كتاب « تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار »

المعروف باسم رحلة ابن جبير - أسامة بن منقذ : كتاب « الاعتبار » - العماد الأصفهاني :

كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي » - ابن شداد : كتاب « النواذر السلطانية والمحاسن

اليوسفية » - سبط بن الجوزي : كتاب « مرآة الزمان في تاريخ الأعيان » .

## الفصل الأول

نظام الإقطاع الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية

- ١- الصليبيون يرسون قواعد النظام الإقطاعي الأوربي في الأراضي المقدسة .
- ٢- تقسيم مملكة بيت المقدس إلى إقطاعيات .
- ٣- علاقة الملك الصليبي بكبار السادة الإقطاعيين .
- ٤- التغييرات المستمرة في الأسر الإقطاعية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة .
- ٥- الخدمات الحربية التي كان يقدمها الأتباع لملك بيت المقدس .
- ٦- النظام القضائي الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية .

## الفصل الثاني

«الكنيسة اللاتينية وما حازته من إقطاعات في مملكة بيت المقدس الصليبية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة» ١٠٩٩-١١٣١ م / ٤٩٢-٥٢٥ هـ .

- ١- الصراع بين رجال الدين والحكام العلمانيين .
- ٢- تنظيم الكنيسة اللاتينية .
- ٣- علاقة المسيحيين الغربيين بالمسيحيين الشرقيين .
- ٤- أنواع الإقطاعات الكنسية .
  - (أ) الإقطاعات النقدية .
  - (ب) الإقطاعات العينية .
- ٥- مصادر الإقطاعات الكنسية .
  - (أ) الإقطاعات والمنح المقدمة من ملوك بيت المقدس .
  - (ب) الإقطاعات والمنح المقدمة من كبار السادة الإقطاعيين .
  - (ج) الإقطاعات والمنح المقدمة من صغار النبلاء .
  - (د) الإقطاعات والمنح المقدمة من البطارقة ورؤساء الأساقفة ومساعدتهم .
  - (هـ) الإقطاعات والأملاك التي حازتها الكنائس والأديرة عن طريق الشراء .



- ٦- واجبات رجال الدين اللاتين تجاه ملوك بيت المقدس .
- ٧- المؤثرات الداخلية والخارجية على الإقطاعات الكنسية .

### الفصل الثالث

- «أهم التطورات التي شهدتها الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية»  
١١٣١-١١٨٧ م / ٥٢٥-٥٨٣ هـ.
- ١- اكتمال تنظيم الكنيسة اللاتينية .
  - ٢- استمرارية المنح والإقطاعات المقدمة للكنائس والأديرة .
  - ٣- التوسع في عملية شراء القرى والأراضي والعقارات من أجل زيادة مساحة الإقطاع الكنسي .
  - ٤- الاختلافات والمنازعات بين الكنائس والأديرة حول ملكية بعض الأراضي ، وبخصوص جباية ضرائب العشر .
  - ٥- الإنجازات التي قام بها رجال الدين اللاتين في الإقطاعات الكنسية .
  - ٦- طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين وفئات السكان المقيمة في الإقطاعات الكنسية .
  - ٧- أهم العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على الإقطاعات الكنسية .

### الفصل الرابع

« الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية » ١١٨٧-١٢٩١ م / ٥٨٣-٦٩٠ هـ.

- ١- أوضاع الإقطاعات الكنسية عقب معركة حطين .
- ٢- إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية .
- ٣- أهم الإقطاعات التي احتفظت بها الكنائس والأديرة .
- ٤- علاقة رجال الدين اللاتين بالهيئات الدينية المحاربة .
- ٥- انحسار الإقطاع الكنسي وانتهائه تماماً .

## الفصل الخامس

«أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية» ١٠٩٩ - ١٢٩١ م / ٤٩٢ - ٦٩٠ هـ .

١ - أهم مظاهر الحياة الاجتماعية :

(أ) فئات السكان ولغاتهم ودياناتهم .

(ب) العادات والتقاليد .

(ج) النظام القضائي .

٢ - أهم مظاهر الحياة الاقتصادية :

(أ) الزراعة

(ب) الثروة الحيوانية

(ج) الصناعة

(د) التجارة

- الخاتمة

- ملاحق البحث

الملحق الأول : قائمة بأسماء بطارقة بيت المقدس اللاتين .

الملحق الثاني : قائمة بأسماء رؤساء الأساقفة اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية :

١ - رؤساء أساقفة قيسارية اللاتين .

٢ - رؤساء أساقفة الناصرة اللاتين .

٣ - رؤساء أساقفة صور اللاتين .

٤ - رؤساء أساقفة الكرك اللاتين .

الملحق الثالث : أساقفة بطريركية بيت المقدس اللاتين

١ - أساقفة بيت لحم اللاتين .

٢ - أساقفة عكا اللاتين .

٣ - أساقفة اللد والرملة اللاتين .



٤- أساقفة بيروت اللاتين .

٥- أساقفة صيدا اللاتين .

٦- أساقفة طبرية اللاتين .

٧- أساقفة سبسطية اللاتين .

الملحق الرابع : أهم مقاييس الأرض التي استخدمها الصليبيون في الأراضي المقدسة .

الملحق الخامس : الجاستينا .

قائمة المصادر والمراجع

فهرس اللوحات والخرائط

١- خارطة توضح القرى التي منحها جودفري البويوني لكنيسة القيامة ١٠٩٩-  
١١٠٠م / ٤٩٢-٤٩٣ هـ خارطة نقلاً عن:

Pringle, D., Magna Mahumaria (al-Bira)

٢- رسم تخطيطي لمستوطنة البيرة التي أسسها رجال الدين اللاتين في القرن  
الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، (ص ٢٣٣) نقلاً عن :

Pringle, D., Magna Mahumeria

٣- مبنى معصرة الزيتون المستعملة في العصر الوسيط (ص ٣٥٥) نقلاً عن :

Benvenisti, M., The Crusaders in the Holy Land.

٤- معاصر العنب المستخدمة في العصر الوسيط ، تم تصوير المنظر من إحدى  
قرى الخليل (ص ٣٥٦) .

Benvenisti, Meron, The Crusaders in the Holy land,  
Jerusalem 1976, P.258

٥- مخطط لمصنع السكر (ص ٣٦٣)

Ednaj. Stern, The Suger Industry in Palestine during the Crusader,  
Ayyubid and Mamluk Periods in light of the Archeological Finds

محمد سامي مطير ، الحياة الإقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية ، ص ١٨٩

٦- منظر يوضح طاحونه السكر (٣٦٥)

Poree, P. Brigitte, Les moulins et fabriques a sucre de Palestine et de chyper histoire, geographie et technologie dune production croisee et medieval, P. 491

محمد سامي مطير ، الحياة الإقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية ، ص ١٨٩

٧- منظر يوضح تل السكر (ص ٣٦٥)

Ednaj. Stern, The Suger Industry in Palestine during the Crusader, Ayyubid and Mamluk Periods in light of the Archeological Finds, vol 2. 1999

محمد سامي مطير ، الحياة الإقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية ، ص ١٨٩

٨- منظر يوضح صوره الجامع الكبير الذي حوله الصليبيون الى كنيسة عام ١١٦٨م (ص ٤٣٢)  
نقلا عن :

Georg Ebers und Herman Guthe , Palastina in Blid und Wort

المصادر التي أشارت للمنحة :

Cf. Geneviève, B.B ., Acte No. 26, pp. 86-88 de Rozere, Doc. No. 29, pp. 54-55.

خارطة رقم (٢) توضح الحدود السياسية والكنسية لمملكة بيت المقدس الصليبية .

خارطة رقم (٣) توضح أهم الإقطاعات الكنسية التي حصلت عليها الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الصليبية .



بسم الله الرحمن الرحيم

## تقديم

موضوع الكتاب الذي بين أيدينا هو « الأملاك الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية » ، ويتضمن الإقطاعات والمنح والأملاك التي اشترتها الكنيسة الصليبية. والحقيقة أنه لولا ثقتي في الدكتور سعيد عبد الله جبريل البيشاوي وعلمي بقدرته على البحث العلمي لما عهدت إليه بالبحث في مثل هذا الموضوع الذي نال به درجة الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى .

والواقع أن مثل هذا مثل هذا الموضوع يحتاج إلى جهد ومثابرة وحس تاريخي عال المستوى ، أحمد الله أنها توافرت في تلميذي صاحب هذا الكتاب . ومما لا شك فيه أنني كنت أشفق على الباحث طوال سنوات البحث لندرة ما سجله المؤرخون عن هذا الموضوع في المصادر العربية أو الأجنبية .

والكتاب يختص بدراسة موضوع في غاية الأهمية في مرحلة من أدق مراحل الأمة العربية والإسلامية حيث كانت الحروب الصليبية التي حاولت أوروبا من خلالها السيطرة على جانب من الأراضي الإسلامية في بلاد الشام ، وحاول الصليبيون بدورهم تثبيت أقدامهم في المنطقة عن طريق التمليك والاستيطان . كما لعبت الكنيسة دوراً كبيراً في هذا المضمار بامتلاك جانب من الأراضي الإسلامية وجعلها إقطاعات كنسية .

ويسعدني أن أتقدم بهذا الكتاب ومؤلفه إلى قراء اللغة العربية في كافة الأقطار لأنه يسد فجوة هامة في المكتبة التاريخية . ومما يزيد من قيمة هذا الكتاب أن مؤلفه تناول بأسلوب علمي صحيح سليم موضوعاً دقيقاً لم يسبق دراسته من قبل .

ولقد استهل المؤلف كتابه بمقدمة تحليلية نقدية لمصادر البحث من عربية وأجنبية ، وإلى الوثائق والسجلات والمراسلات وقوانين مملكة بيت المقدس بالإضافة إلى أهم بعض المراجع المتخصصة .

وفي الفصل الأول تناول المؤلف نظام الإقطاع الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية . وقد أوضح فيه المؤلف ودرس بعمق موضوعات على جانب كبير من الأهمية ، أولها : الصليبيون عندما قاموا بإرساء قواعد النظام الإقطاعي في الأراضي المقدسة وآخرها النظام القضائي في مملكة بيت المقدس .

وتناول المؤلف في الفصل الثاني الكنيسة اللاتينية وما حازته من إقطاعات في مملكة بيت المقدس ١٠٩٩ / ١١٣١ م . وقد درس المؤلف في هذا الفصل العديد من

الموضوعات الهامة منها: الصراع بين رجال الدين والدنيا، وعلاقة الصليبيين بأهل بلاد الشام المسيحيين، وأنواع الإقطاعات الكنسية ومصادرها، وواجبات رجال الدين اللاتين تجاه ملوك بيت المقدس.

وبحث المؤلف في الفصل الثالث أهم التطورات التي شهدتها الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس ١١٣١ / ١١٨٧ م. وقدم لنا المؤلف في هذا الفصل سبعة موضوعات منها: أهم التطورات التي شهدتها الإقطاعات الكنسية في المملكة الصليبية، واكتمال تنظيم الكنيسة، وعملية التوسع في شراء القرى والأراضي والعقارات من أجل زيادة مساحة الإقطاع الكنسي، والانجازات التي قام بها رجال الدين، وغير ذلك من النقاط التي تخدم هذا الجانب.

ودرس المؤلف في الفصل الرابع الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الإسمية. وبحث في أوضاع الإقطاعات بعد معركة حطين ١١٨٧ م، وإعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية، وأهم الإقطاعات التي احتفظت بها الكنائس والأديرة، وعلاقة رجال الدين بالهيئات الدينية المحاربة. وأخيراً انحسار الإقطاع الكنسي ثم زواله تماماً.

وفي الفصل الخامس تناول المؤلف بالبحث والدراسة أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات الكنسية في المملكة الصليبية طوال فترة الحروب الصليبية في الشرق ١٠٩٩ / ١٢٩١ م. وفي الحياة الاجتماعية تركزت الدراسة على فئات السكان ولغتهم ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم والنظام القضائي. ومع الحياة الاقتصادية درس المؤلف الأحوال الزراعية والثروة الحيوانية والأحوال الصناعية والتجارية.

وقدم المؤلف في الخاتمة ملخصاً لأهم النتائج القيمة التي توصل إليها، ثم قدم مجموعة من الملاحق التي تخدم قضايا البحث، لعل أبرزها أهم مقاييس الأراضي التي استخدمها الصليبيون في الأراضي المقدسة، هذا بالإضافة إلى مجموعة من اللوحات والخرائط التي أجاد المؤلف وضعها وعرضها.

والحقيقة أن الموضوعات التي بحثها المؤلف كثيرة ومعقدة. الأمر الذي يتطلب من المؤلف أن يبذل الجهد الكبير لاستجلاء حقائق الأمور، وهو جهد يستحق عليه المؤلف الشناء والتقدير خاصة أن هذا الكتاب يعتبر الكتاب الأول الذي تتناول مثل هذا الموضوع.

والله ولي التوفيق . . .

دكتور محمود سعيد عمران  
أستاذ تاريخ العصور الوسطى  
بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية  
وعميد كلية الآداب جامعة بيروت العربية



## مقدمة المؤلف

تمثل الحروب الصليبية حلقة من حلقات الصراع الطويل بين الشرق والغرب في العصور الوسطى . ونظراً لما تركته هذه الحروب من آثار مختلفة في تاريخ كثير من الأمم ، وما ترتب عليها من نتائج هامة ، جرى الاهتمام بها من قبل المؤرخين الحديثين في الشرق والغرب على حد سواء . ولهذا فقد ظهرت مؤلفات كثيرة تناولت تاريخ الحروب الصليبية بالدراسة ، وعالجت الحملات الصليبية على الشرق ، وأفاضت في الحديث عن الصليبيين . وعلى الرغم من كثرة ما كتب عنها من بحوث ومؤلفات عالجت مواضيع وقضايا وأحداث هامة ، إلا أنها لم تغط كل مراحلها ولم تظهر كل خفاياها . إذ لا زالت الحروب الصليبية ميداناً هاماً وحقلًا خصباً أمام الدارسين والباحثين لإلقاء مزيد من الأضواء على كثير من جوانبها .

وكان الصليبيون قد استولوا على الأراضي المقدسة بالقوة ، بعد أن ارتكبوا المجازر البشعة المخيفة ضد الشعب الآمن على أرضه . وقد اتخذ الصليبيون الدين شعاراً لهم في حملاتهم ، من أجل إخفاء أهدافهم ومخططاتهم ، الرامية للاستيلاء على الأراضي المقدسة ، واستنزاف مواردها الاقتصادية ، والتحكم بمقدرات شعبها ، الأمر الذي أجبر عدداً كبيراً منه على الهجرة إلى البلاد المجاورة ، بعد أن سمعوا بالمجازر وعمليات السلب والنهب التي كان يرتكبها الصليبيون في المدن والبلاد التي كانوا يستولون عليها . وتعرض من أثر البقاء من أهل البلاد إلى عمليات القتل والسلب ، وخاصة في بيت المقدس . أما من بقي على قيد الحياة من سكان فلسطين ، فقد تعرض لكثير من المضايقات المستمرة ، كما استنزفت طاقاته وجهوده . واستولى الصليبيون على ما تدره الأراضي المقدسة من عائدات وخيرات ، وحرموا أصحاب البلاد الأصليين من التمتع بخيرات بلادهم .

وقام الصليبيون بنقل النظام الإقطاعي الأوروبي بجذوره إلى بلاد الشام ، وأسسوا ثلاث إمارات صليبية ، فضلاً عن مملكة بيت المقدس التي قسمت بدورها إلى أربع إمارات كبيرة هي إمارة الجليل ، وبارونية صيدا ، وكونتية يافا وعسقلان ، وبارونية ما وراء الأردن ، فضلاً عن اثنتي عشرة إقطاعية تم إنشاؤها داخل حدود المملكة ، وهذه الإقطاعيات هي : إقطاعية الخليل ، وإقطاعية أرسوف ، وإقطاعية حيفا ، وإقطاعية بيسان ، وإقطاعية طبرية ، وإقطاعية بانياس وتبنين ، وإقطاعية اللد والرملة ، إلى جانب ثلاث إقطاعيات أخرى صغيرة . وقد طبق الصليبيون نظام الإقطاع في مملكة بيت المقدس الصليبية ،



كما عرفوه في الغرب الأوروبي ، ولكن مع إجراء بعض التغييرات الطفيفة المتعلقة بظروف تواجدهم في الأراضي المقدسة .

وقد شد انتباهي أثناء تحضير لي لأطروحة الماجستير حصول الكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية على بعض الإقطاعات والمنح المقدمة من ملوك وأمراء بيت المقدس ، وقيام رجال الدين اللاتين بفرض الضرائب على المحاصيل التي تنتجها الأراضي الممنوحة للكنائس والأديرة . وقد شغلني هذا الموضوع كثيراً ، وبعد انتهائي من إعداد أطروحة الماجستير ، بدأت بقراءة مجموعة من الكتب المتخصصة في دراسة الحروب الصليبية ، وطلعت بنتيجة من خلال اطلاعي ، أنه يمكن دراسة الإقطاعات والمنح التي حازتها الكنائس والأديرة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، دون معالجة الإقطاعات والمنح التي حازتها الهيئات الدينية المحاربة ، كالداوية والاستبارية وفرسان التيوتون وفرسان القديس لعازر ، وهيئة الفرسان الكرملين ؛ وذلك لأن العديد من المؤرخين الغربيين والشرقيين على حد سواء قاموا بدراسة تاريخ الهئات الدينية المحاربة . وعلى الرغم من أنني رجعت إلى مجموعة ليست قليلة من الكتب المتخصصة في دراسة الحروب الصليبية ، وتيقنت أنه من الممكن دراسة موضوع الإقطاعات الكنسية إلا أنني تمهلّت بعض الوقت من أجل الاستفسار عن بعض النقاط الهامة المتعلقة بمثل هذا الموضوع . وبدأت بعرض الموضوع على أساتذتي بكلية الآداب في جامعة الإسكندرية فأناروالي الطريق وشجعوني على دراسة مثل هذا الموضوع ، وفي الوقت نفسه بينوا لي الصعاب التي يمكن أن تواجهني خلال الدراسة . ونظراً لأن هذا الموضوع لم يطرق من قبل ، فضلاً عن أنه يلقي الضوء على مصير الحركة الصليبية ، والتدمير الذي تعرض له الصليبيون في بلاد الشام ، نتيجة لاتحاد الأمة الإسلامية ، واشتعال حركة الجهاد ، التي أدت إلي تقويض دعائم الكيان الصليبي وتدميره ، الأمر الذي يدفعنا كمسلمين للوقوف وقفة رجل واحد في وجه الأطماع الصهيونية بعيدة المدى . ونظراً للتشابه الكبير بين أهداف الحركة الصليبية والحركة الصهيونية ، على الرغم من الفترة الزمنية الطويلة بينهما ، فلا بد لنا من استيعاب جميع الأطوار التي مرت بها الحركة الصليبية ، حتى نمهد الطريق أمام الشعب المسلم لتحرير الأراضي المقدسة من قبضة الصهاينة ، لكي نزرع الأمل من جديد في نفوس الشعب الذي عانى كثيراً من ظلم وتعسف الصهاينة .

ولما كانت حركة الاستيطان الصهيوني في أرض فلسطين تكاد أن تكون صورة طبق الأصل لحركة الاستيطان الصليبي التي شهدتها العصور الوسطى . ونظراً لقيام رجال الدين اللاتين بإنشاء المستوطنات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة ، من أجل تنفيذ أهدافهم ومخططاتهم الرامية إلى الاستقرار



بشكل نهائي في الأراضي المقدسة ، واستنزاف مواردها وطاقات شعبها ، كان لابد من اختيار موضوع الإقطاعات الكنسية لتكون موضوعاً للدراسة ، وهدفاً لهذا البحث الذي جعلت عنوانه «الأملاك الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية من عام ١٠٩٩-١٢٩١ م / ٤٩٢-٦٩٠ هـ» .

والحقيقة أنني لم أكن أول من يتعرض لدراسة تاريخ الكنيسة اللاتينية في الأراضي المقدسة ، فقد سبقني إلى ذلك العديد من الباحثين في الشرق والغرب على حد سواء ، فالمؤرخ الفرنسي لويس برييه وضع مؤلفاً تحت عنوان «الكنيسة والشرق في العصور الوسطى زمن الحروب الصليبية»<sup>(١)</sup> ولم يتطرق لويس برييه إطلاقاً للحديث عن الأملاك الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية بل اهتم بدور الكنيسة السياسي اهتماماً كبيراً . كما أشار إشارة عابرة لأهم المراكز الأسقفية اللاتينية في الأراضي المقدسة<sup>(٢)</sup> .

لعل «كتاب الكنيسة اللاتينية في الدويلات الصليبية» لبرنارد هاملتون<sup>(٣)</sup> من أفضل وأهم الكتب التي تحدثت عن الكنيسة اللاتينية في بلاد الشام زمن الحروب الصليبية . وقد تعرض هاملتون في كتابه للعديد من المواضيع الهامة التي تبحث في أحوال الكنيسة اللاتينية في الأراضي المقدسة وأنطاكية . فقد ناقش الحملة الصليبية الأولى وعلاقة الصليبيين بالكنائس الشرقية ، كما تعرض لذكر تأسيس كنيسة أنطاكية اللاتينية . هذا إلى جانب أنه تحدث عن أوضاع كبار رجال الدين اللاتين في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري ، فضلاً عن حديثه عن مصادر دخل الكنيسة اللاتينية في الفترة نفسها . ومن النقاط الهامة التي ناقشها هاملتون في كتابه تلك المتعلقة بطبيعة العلاقة التي كانت تربط الكنائس الشرقية الخاصة بالمسيحيين الشرقيين على اختلاف طوائفهم . وبعد ذلك تطرق هاملتون للحديث عن أحوال الكنيسة اللاتينية في بيت المقدس وأنطاكية عقب انتصار المسلمين على الصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧ م / ٥٨٣ هـ ، وما صاحب ذلك من ظهور المصاعب الاقتصادية التي عانت منها الكنائس اللاتينية في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري . وإضافة إلى كل ذلك أشار هاملتون إلى الانقسامات التي حدثت بين المسيحيين الأرثوذكس في أنطاكية وبيت المقدس ، وفي الوقت نفسه تحدث عن الاتحاد الذي تم بين الكنائس الشرقية التي تنتمي إلى طوائف ومذاهب مختلفة ، وفي ختام حديث هاملتون عن الكنيسة اللاتينية في الدويلات الصليبية تطرق إلى ذكر الأعمال الروحية التي قام بها رجال الدين اللاتين في بلاد الشام .

وبعد استعراضنا لأهم النقاط التي عالجها هاملتون في كتابه القيم عن الكنيسة اللاتينية ، لا بد لنا من الإشارة إلى أنه تعرض لذكر بعض الإقطاعات الكنسية التي حصلت عليها بعض الكنائس والأديرة اللاتينية الواقعة داخل



حدود بطيركية بيت المقدس وخارجها وكان هاملتون يشير إلى منحة من المنح المقدمة للكنائس والأديرة من أجل مناقشة بعض القضايا التي تتعلق بموضوع دراسته، فعلى سبيل المثال أشار إلى أن جودفري البويوني قام بمنح رجال الدين اللاتين عدة قرى في حدود بيت المقدس، وكان هاملتون يهدف إلى إظهار طبيعة العلاقة بين رجال الدين والدنيا في الدويلة الصليبية. كذلك لم يفرد هاملتون فصلاً كاملاً عن الإقطاعات الكنسية، وإنما كان يشير إلى بعضها، كلما استدعاه الأمر لذلك وعلاوة على ذلك اهتم هاملتون بدراسة كنيسة أنطاكية وأفرد لها فصلين من كتابه، هذا إلى جانب أنه تعرض بشكل مفصل لطبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين والأرثوذكس كما أنه أشار إلى اتحاد الكنائس الشرقية وعلاقتها مع الكنائس اللاتينية. وعلى العموم فكتاب هاملتون يعتبر من أفضل الكتب التي تخصصت بدراسة تاريخ الكنيسة اللاتينية في الشرق زمن الحروب الصليبية، على الرغم من أنه لم يقتصر في حديثه على اللاتين والكنائس اللاتينية وإنما تعرض أيضاً للكنائس الشرقية وللمسيحيين الشرقيين. ولا أنكر أنني أفدت كثيراً من كتاب هاملتون أثناء دراستي وإعدادي لموضوع البحث.

أما فيما يتعلق بمحاولتنا الهادفة إلى دراسة الأملاك الكنسية، فقد جاء اهتمامنا بما حصلت عليه الأسقفيات والكنائس الأديرة اللاتينية من إقطاعات ومنح في مملكة بيت المقدس الصليبية، دون التعرض لما حصلت عليه المؤسسات الدينية المحاربة من إقطاعات داخل حدود المملكة. وقسمت موضوع الدراسة إلى خمسة فصول، جعلت عنوان الفصل الأول «نظام الإقطاع الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية».

فقد أشرت فيه إلى قيام الصليبيين بإرساء نظام الإقطاع الأوروبي في الأراضي المقدسة، كما تعرضت لقيام الصليبيين بتقسيم أراضي فلسطين إلى إقطاعات منحت إلى كبار الأمراء في الدويلة الصليبية الناشئة. وعلاوة على ذلك أشرت إلى طبيعة علاقة الملك الصليبي بكبار السادة الإقطاعيين في المملكة الصليبية، كما تطرقت للحديث عن التغييرات المستمرة في الأسر الإقطاعية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة، وأشرت أيضاً إلى الخدمات الحربية التي كان يقدمها الأتباع لملك بيت المقدس الصليبي، كما تحدثت عن النظام القضائي في المملكة.

أما الفصل الثاني فجعلت عنوانه «الكنيسة اللاتينية وما حازته من إقطاعات في مملكة بيت المقدس الصليبية في بداية الاستقرار الصليبي للأراضي المقدسة من عام ١٠٩٩-١١٣١م / ٤٩٢-٥٢٥هـ» وبدأت هذا الفصل بالحديث عن الصراع الذي نشب بين رجال الدين والدنيا، كما تحدثت عن تنظيم الكنيسة اللاتينية، وعن علاقة المسيحيين الغربيين بالمسيحيين الشرقيين، وبعد ذلك



تطرقنا إلى الحديث عن أنواع الإقطاعات الكنسية وخاصة العينية والنقدية منها، وعلاوة على ذلك تحدثنا عن مصادر الإقطاعات الكنسية، ووضحنا أن الكنائس والأديرة حصلت على إقطاعاتها من ملوك بيت المقدس وكبار الأمراء الإقطاعيين وصغارهم، فضلاً عما كان يقدمه البطارقة ورؤساء الأساقفة ومساعدتهم من منح وإقطاعات. وقد أشرت أيضاً إلى بعض الإقطاعات والأملاك التي حازتها الكنائس عن طريق الشراء. وإلى جانب كل ذلك تحدثنا عن واجبات رجال الدين اللاتين تجاه ملوك بيت المقدس، وختمنا الفصل بالحديث عن أهم المؤثرات الداخلية على الإقطاعات الكنسية.

أما الفصل الثالث فجعلت عنوانه «أهم التطورات التي شهدتها الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية من عام ١١٣١-١١٨٧م / ٥٢٥-٥٨٣هـ» تحدثنا فيه عن اكتمال تنظيم الكنيسة اللاتينية، واستمرارية المنح والإقطاعات المقدمة للكنائس والأديرة، كما أشرت إلى توسع رجال الدين اللاتين في عملية شراء القرى والأراضي والعقارات من أجل زيادة مساحة الإقطاع الكنسي، كما تعرضت لذكر الخلافات والمنازعات التي نشبت بين الكنائس والأديرة حول ملكية بعض الأراضي، وبخصوص ضرائب العشر. وعلاوة على ذلك أوضحت أهم الإنجازات التي قام بها رجال الدين اللاتين في الإقطاعات الكنسية، وبيّنت أيضاً طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين وفئات السكان المقيمة في الإقطاعات الكنسية، وأنهيت الفصل بالحديث عن أهم العوامل الداخلية التي أثرت تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية.

أما الفصل الرابع من هذه الدراسة فجعلت عنوانه «الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية ١١٨٧-١٢١٩م / ٥٨٣-٦٩٠هـ» وقد عالجنا فيه أوضاع الإقطاعات الكنسية عقب معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ، كما أشرت إلى إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية، بعد أن فقدت الكثير من الأسقفيات والأديرة والكنائس التابعة لسلطتها، كما تعرضت لذكر أهم الإقطاعات التي احتفظت بها الكنائس والأديرة، وما حصلت عليه من إقطاعات جديدة، وبعد ذلك تحدثنا عن علاقة رجال الدين اللاتين بالهيئات الدينية المحاربة وختمنا الفصل بالحديث عن انحسار الإقطاع الكنسي وانتهائه تماماً.

وجعلت عنوان الفصل الخامس «أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية من عام ١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢-٦٩٠هـ» وتحدثنا فيه عن أهم مظاهر الحياة الاجتماعية، وخاصة فيما يتعلق بفئات السكان ولغاتهم ودياناتهم وعاداتهم وتقاليدهم، هذا إلى جانب حديثنا عن النظام القضائي في الإقطاعات الكنسية. أما بالنسبة لأهم مظاهر الحياة الاقتصادية في الإقطاعات الكنسية فقد تعرضنا لدراسة

الزراعة والصناعة والتجارة إلى جانب إشارة سريعة للثروة الحيوانية .

وزودت البحث بخاتمة ضمنتها أهم النتائج التي توصلت لها بعد دراستي لهذا البحث . وقمت بإضافة خمسة ملاحق تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع الدراسة أولها قائمة بأسماء بطارقة بيت المقدس اللاتين الذين تولوا حكم بطريركية بيت المقدس اللاتينية خلال فترة الحروب الصليبية ، أما الملحق الثاني فيشتمل على قائمة بأسماء رؤساء الأساقفة اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية ، والملحق الثالث يشتمل أيضاً على قائمة بأسماء أهم أساقفة المملكة ، أما الملحق الرابع فهو محاولة لدراسة أهم المقاييس التي استخدمت في الأراضي المقدسة خلال فترة الحكم الصليبي لها ، أما الملحق الأخير فهو أيضاً محاولة لدراسة إحدى الألفاظ التي جري استخدامها في العصر الصليبي ، وأضفنا للبحث مجموعة من الخرائط واللوحات ، لتوضح بعض الأمور الخاصة بموضوع الدراسة .

وفي الختام يسعدني أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمود سعيد عمران ، الذي تعهدني برعايته ، ولم يضمن علي بوقت أو جهد ، أمدني من علمه ومن أخلاقه الشيء الكثير ، فكان ينير لي الطريق ويذل الصعاب ، ويدفعني لتخطي العقبات التي تعرضت لها أثناء كتابة البحث . والحقيقة أن سيادته فتح أمامي أبواب مكتبته وزودني بكثير من الكتب العلمية المتخصصة في تاريخ الحروب الصليبية ، ولا أنسى أن سيادته قد أحضر لي كتاب برنارد هاملتون من لندن ، كما أرسل في طلب كتاب سجل كنيسة القيامة في بيت المقدس الذي كنت بحاجة ماسة إليه . والحقيقة فقد غمرني بنبل أخلاقه وبعلمه ، ولولا توجيهات سيادته وإرشاداته المتواصلة لما قدر لهذا البحث أن يخرج بالصورة التي هو عليها الآن ، فجزاه الله عني وعن العلم كل خير .

ولا يفوتني أن أتوجه بالشكر والعرفان إلى كل من قدم لي يد العون والمساعدة ، وأسهم في إخراج هذا الجهد إلى النور . وأسأل الله سبحانه وتعالى أن أكون قد أديت عملي بصورة جيدة ، والله ولي التوفيق .

الدكتور سعيد عبدالله البشاوي

٢٠١١م / ١٤٣٢هـ



## دراسة تحليلية نقدية لأهم مصادر البحث

أولاً : المصادر الأجنبية الأصلية :

(أ) الوثائق :

سجل كنيسة القيامة في بيت المقدس - عقود  
دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط - وثائق هيئة  
فرسان التيوتون .

(ب) المصادر التاريخية والجغرافية :

فوشيه الشارترى «كتاب أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس» - البرت  
دكس : كتاب «تاريخ بيت المقدس» - وليم الصوري : كتاب «تاريخ  
الأعمال المنجزة فيما وراء البحر» - كتاب «ارنول وبرنارد وكيل بيت  
المال» - تاريخ هرقل المعروف باسم «تاريخ الإمبراطور هرقل والاستيلاء  
على الأراضي المقدسة» - كتاب «قوانين بيت المقدس» - الراهب دانيال  
الروسي : «رحلة الراهب دانيال الروسي إلى الأراضي المقدسة» - بورشارد  
من دير جبل صهيون : كتاب «وصف الأرض المقدسة» .

ثانياً : الإسلامية الأصلية :

المقدسي البشاري : كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» - ابن  
القلائسي : كتاب «تاريخ دمشق» ابن جبير : كتاب «تذكرة بالأخبار عن  
اتفاقات الأسفار» المعروف باسم «رحلة ابن جبير» - أسامة بن منقذ :  
كتاب «الإعتماد» - العماد الأصفهاني : كتاب «الفتح القسي في الفتح  
القدس» - ابن شداد - كتاب «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» -  
سبط بن الجوزي : كتاب «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» .

تتطلب دراسة الحروب الصليبية الرجوع إلى عدد كبير من المصادر الأوروبية  
والإسلامية ، من أجل التعرف على وجهتي النظر الغربية والإسلامية ، وإجراء  
المقارنات والموازنات بين الأحداث التاريخية المختلفة من أجل الوصول إلى  
الحقيقة التاريخية المجردة ، بعيداً عن الأهواء والميول ، هذا إلى جانب أن  
المصادر الإسلامية والغربية تعتبر متممة لبعضها بعضاً . ولا غنى للباحثين في  
تاريخ الحركة الصليبية من الاعتماد عليها .

ولما كان موضوع هذا البحث يتناول دراسة الأملاك الكنسية في مملكة بيت  
المقدس الصليبية ، كان لا بد لنا من الاعتماد على كثير من الوثائق والسجلات  
والعقود والصكوك الخاصة بالكنائس والأديرة ، فضلاً عن الرجوع إلى المصادر



التاريخية المعاصرة سواء الأوروبية أو الإسلامية ، لما تضيفه هذه المصادر من معلومات تلقي الضوء على الجوانب الحضارية وتسهم إسهاماً واضحاً في فهم الأوضاع الحضارية في أي بلد من البلاد، وفي شتى العصور . وفي رأيي أن دراسة الكتب التاريخية والجغرافية والسياسية والأدبية والإمام باللغات وعلم الآثار من العوامل المساعدة لدراسة الأوضاع الحضارية .

والحقيقة أنني أفدت كثيراً مما كتبه المؤرخون المسلمون والغربون عن فترة موضوع الدراسة ، ولا تقل الكتب الجغرافية وكتب الرحلات أهمية عن السجلات والوثائق والكتب التاريخية، إذ أنني استقيت منها الكثير من المعلومات التي غطت جوانب كثيرة أغفلتها المصادر التاريخية المعاصرة . وتجدر الإشارة إلى أن معظم المصادر والوثائق الخاصة بفترة الحروب الصليبية، لا تزال بلغتها الأصلية كالفرنسية القديمة واللاتينية والقليل منها ترجم إلى اللغات الحديثة . وكذلك فإن الكثير من المصادر العربية لا تزال مخطوطة، على الرغم من النشاط العظيم الذي يقوم به بعض المتخصصين لنشر وتحقيق المخطوطات العربية .

ولا بد لنا من إلقاء المزيد من الضوء على بعض الوثائق والسجلات والمصادر التي اعتمدنا عليها في إعداد هذا البحث . ولعل نظرة نقدية تحليلية سريعة لأهم مصادر البحث تعطينا فكرة عن المصادر التي زودت موضوع الدراسة بكثير من المعلومات الهامة ، التي لولاها لما قدر لهذا البحث أن يخرج بالصورة التي هو عليها الآن . ويعتبر «سجل كنيسة القيامة في بيت المقدس»<sup>(٤)</sup> ، من المصادر الأساسية التي اعتمدنا عليها اعتماداً كبيراً في هذه الدراسة .

وتجدر الإشارة إلى أن سجل كنيسة القيامة في بيت المقدس ، وجد عناية واهتماماً من قبل الباحثين الغربيين ، ففي عام ١٨٤٩م قام اوجين دو روزييه Eugene de Rozière<sup>(٥)</sup> بنشره دون أن يحققه . كذلك نشر السجل في الجزء ١٥٥ من مؤلفات آباء الكنيسة اللاتينية Patrologie Latine وقام على نشره ميني Migne<sup>(٦)</sup> . وإمعاناً في الدقة اعتمدنا على الثلاث طبعات المنشورة من كتاب سجل كنيسة القيامة . ولكن كان اعتمادنا الرئيس على الطبعة الأخيرة التي قامت جنيف برسك بوتييه بتحقيقها ونشرها في باريس عام ١٩٨٤م . ومن المميزات الهامة لهذه الطبعة أن جنيف قامت بوضع ملخص لكل وثيقة من الوثائق التي وردت في السجل ، هذا إلى جانب أنها وضعت ثلاثة فهارس : الأول منها يشتمل على أسماء الشخصيات التي ورد ذكرها في السجل ، أما الفهرس الثاني فخصصته للأماكن ، والفهرس الثالث تضمن أهم الأعمال والألفاظ الغريبة التي ذكرت في الوثائق . والحقيقة أن جنيف بذلت جهداً ضخماً وعزيمة قوية في تحقيق وثائق سجل كنيسة القيامة ، الذي سينير



الطريق للباحثين والدارسين لتاريخ الحروب الصليبية، نظراً لما اشتملت عليه وثائق السجل من معلومات هامة، توضح نشاطات رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، كما أن هذه الوثائق أشارت إلى طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة وغيرهم في الكنائس والأديرة اللاتينية الأخرى.

والحقيقة أن وثائق كنيسة القيامة تعتبر من أهم الوثائق التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة. ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور منها: أن هذه الوثائق أعطتنا صورة كاملة عن حجم المنح والإقطاعات التي حصلت عليها كنيسة القيامة في حدود مملكة بيت المقدس، هذا إلى جانب أنها زودتنا عن مصادر الإقطاعات التي حصلت عليها الكنائس والأديرة اللاتينية المنتشرة في الأراضي المقدسة. وبناء عليه استطعنا أن نحصر الفئات التي أغدقت المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية. وقد توصلنا إلى أن ملوك بيت المقدس وكبار الأمراء وصغارهم وأفراد الطبقة البرجوازية وبعض رؤساء الأساقفة والأساقفة الذين يعيشون داخل حدود المملكة، كانوا المصدر الأساس الذي زود الكنائس والأديرة اللاتينية بمعظم الإقطاعات والأموال.

كذلك زودتنا الوثائق بمعلومات هامة تشير إلى قيام رجال الدين اللاتين بشراء عدد ليس بقليل من الأملاك داخل حدود المملكة، الأمر الذي يشير إلى حجم الثروة التي حققتها بعض الكنائس والأديرة اللاتينية الكبرى، نتيجة للتدبير الحريص من قبل رجال الدين اللاتين القائمين على شؤونها.

ومن الأمور الهامة التي زودتنا بها وثائق كنيسة القيامة ما يتعلق بقيام رجال الدين اللاتين بإنشاء المستوطنات الكنسية، والعمل على جلب المستوطنين الأوروبيين بكافة الطرق المتاحة لديهم، فقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قدموا إغراءات كثيرة لثلاثة أفراد من المواطنين الأوروبيين من أجل تشجيعهم على القدوم والاستقرار في مستوطنة راماتيس الجديدة التي قاموا بإنشائها. وقد قدم رجال الدين اللاتين لهؤلاء المواطنين قطعاً من الأراضي المعدة لزراعة أشجار الزيتون وأشجار الكرمة والخضروات والحبوب، كما سمحوا لهم بإنشاء البيوت المعفاة من بدل الإيجار<sup>(٧)</sup>.

وعلاوة على ذلك أمدتنا وثائق كنيسة القيامة بمعلومات عن أهم الإنشاءات والإنجازات التي نفذها رجال الدين اللاتين في الإقطاعات الكنسية. ومن هذه الإنشاءات الأسوار والأبراج والكنائس والمخابز والطواحين والمنازل وإلى ما شابه ذلك من أعمال. كذلك ألقت الوثائق الضوء على اهتمام رجال الدين بالتوسع بزراعة أشجار الكرمة والعناية بها، هذا إلى جانب الاهتمام بزراعة أشجار الزيتون والخضروات والحبوب.



الطريق للباحثين والدارسين لتاريخ الحروب الصليبية، نظراً لما اشتملت عليه وثائق السجل من معلومات هامة، توضح نشاطات رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، كما أن هذه الوثائق أشارت إلى طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة وغيرهم في الكنائس والأديرة اللاتينية الأخرى.

والحقيقة أن وثائق كنيسة القيامة تعتبر من أهم الوثائق التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة. ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور منها: أن هذه الوثائق أعطتنا صورة كاملة عن حجم المنح والإقطاعات التي حصلت عليها كنيسة القيامة في حدود مملكة بيت المقدس، هذا إلى جانب أنها زودتنا عن مصادر الإقطاعات التي حصلت عليها الكنائس والأديرة اللاتينية المنتشرة في الأراضي المقدسة. وبناء عليه استطعنا أن نحصر الفئات التي أغدقت المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية. وقد توصلنا إلى أن ملوك بيت المقدس وكبار الأمراء وصغارهم وأفراد الطبقة البرجوازية وبعض رؤساء الأساقفة والأساقفة الذين يعيشون داخل حدود المملكة، كانوا المصدر الأساس الذي زود الكنائس والأديرة اللاتينية بمعظم الإقطاعات والأملاك.

كذلك زودتنا الوثائق بمعلومات هامة تشير إلى قيام رجال الدين اللاتين بشراء عدد ليس بقليل من الأملاك داخل حدود المملكة، الأمر الذي يشير إلى حجم الثروة التي حققتها بعض الكنائس والأديرة اللاتينية الكبرى، نتيجة للتدبير الحريص من قبل رجال الدين اللاتين القائمين على شؤونها.

وعلاوة على ذلك أمدتنا وثائق كنيسة القيامة بمعلومات عن أهم الإنشاءات والإنجازات التي نفذها رجال الدين اللاتين في الإقطاعات الكنيسة. ومن هذه الإنشاءات الأسوار والأبراج والكنائس والمخابز والطواحين والمنازل وإلى ما شابه ذلك من أعمال. كذلك ألفت الوثائق الضوء على اهتمام رجال الدين بالتوسع بزراعة أشجار الكرمة والعناية بها، هذا إلى جانب الاهتمام بزراعة أشجار الزيتون والخضروات والحبوب.

وقد أفدنا من دراستنا لسجل كنيسة القيامة، التعرف على النظام الضريبي الذي قرره رجال الدين اللاتين على الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة وأشجار الزيتون، والخضروات والحبوب، ويبدو أنهم كانوا على دراية تامة بأمور الأراضي الزراعية وما يزرع فيها من محاصيل، فعلى سبيل المثال فرضوا على الأراضي المزروعة حديثاً بأشجار الكرمة والزيتون خمس ما تدره هذه الأراضي من إنتاج، بينما فرضوا على أراضي أخرى مزروعة بنفس الأشجار نصف الإنتاج، ولعل ذلك يرجع إلى أن هذه الأراضي مزروعة منذ مدة طويلة<sup>(٨)</sup>.



وعلى الرغم من ذلك فلم تكن الضرائب التي فرضها رجال الدين اللاتين متساوية في جميع المناطق .

ومن النقاط الهامة التي زودتنا بها وثائق كنيسة القيامة ، ما يتعلق بالخلافات والمنازعات التي كانت تنشب بين الكنائس والأديرة اللاتينية بسبب ضرائب العشر ، أو حول ملكية بعض الأراضي . وأفادت الوثائق بأن الملوك وكبار الأمراء ورجال الدين في المملكة كانوا يتدخلون بكل ثقلهم من أجل وضع حد للمنازعات والخلافات . كذلك أشارت الوثائق إلى فئات السكان التي كانت تقيم في الإقطاعات الكنسية ، كما تعرضت لذكر الخلافات التي كانت تنشب بين بعض سكان الإقطاعات ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة .

وتجدر الإشارة إلى أن سجل كنيسة القيامة أشار في أكثر من موقع إلى قيام ملوك وأمراء بيت المقدس بالتأكيد على المنح والإقطاعات التي قدمت للكنائس سواء منهم أو من سابقهم . هذا إلى جانب قيام بطريك بيت المقدس اللاتيني بالتأكيد على بعض المنح والإقطاعات . ومن المرجح أن مثل هذه التأكيدات كانت تتم بسبب إلحاح رجال الدين اللاتين ، لإثبات حقوق كنائسهم .

وفي ختام حديثنا عن وثائق كنيسة القيامة في العصر الصليبي ، لا بد من الإشارة إلى أنها لم تتعرض لذكر جميع الطوائف المسيحية التي كانت تعيش في الإقطاعات الكنسية ، وإنما اقتصرنا على الإشارة إلى السريان . كذلك لم تشر إلى أنواع الصناعات التي كانت قائمة في هذه الإقطاعات . ولم تشر الوثائق أيضاً إلى عدد السرجندية الذين كانت تقدمهم كنيسة القيامة لملك بيت المقدس الصليبي . وفي اعتقادنا أنه لا بد للباحث في النشاط الاقتصادي في بلاد الشام من الرجوع إلى سجل كنيسة القيامة ، لما يحتويه هذا السجل من معلومات قيمة عن تقسيمات الأراضي الزراعية وبعض أنواع الأشجار والخضروات التي كانت تزرع في الأراضي المقدسة أثناء فترة الحروب الصليبية ، هذا إلى جانب أنه زودنا بمعلومات هامة عن نظام الضرائب الذي فرضه رجال الدين اللاتين على المزارعين .

ومن الوثائق الهامة التي اعتمدنا عليها وأثرت البحث بمعلومات قيمة «عقود وامتيازات الأرض المقدسة الخاصة بدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط» والتي قام بنشرها هنري ديلاورد H. F. Delaborde في باريس عام ١٨٨٠م . وتكمن أهمية هذه الوثائق والعقود والامتيازات في أنها زودتنا بمعلومات هامة عن حجم الإقطاعات والمنح التي حصل عليها دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط<sup>(٩)</sup> (وادي جهنم أو وادي السيدة مريم) .

وقد أشارت هذه العقود والامتيازات إلى حصول دير القديسة مريم على



كثير من المنح والإقطاعات التي حصل عليها الدير في مناطق مختلفة من الأراضي المقدسة، كذلك أفدنا منها في التعرف على مصادر الإقطاعات التي حازها الدير، وتبين أن الملوك والأمراء ورجال الدين اللاتين، كانوا المصدر الأساس للإقطاعات التي حصل عليها الدير. وأولى الإقطاعات التي منحت للدير كانت في عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ.

وأمدتنا عقود دير القديسة مريم بمعلومات عن نشاط الرهبان، الذين كانوا يعملون على إصلاح الأراضي الزراعية، وشق القنوات في هذه الأراضي من أجل توصيل المياه إليها. كذلك أشارت هذه العقود إلى بعض الخلافات التي نشبت بين رهبان الدير وبعض رجال الدين اللاتين في الأديرة والكنائس الأخرى. وبطبيعة الحال كان الملوك وأمراء بيت المقدس يؤكدون على استمرارية المنح والإقطاعات التي حصل عليها الدير.

وتعرضت هذه العقود أيضاً إلى ذكر الخلافات والمشاكل التي نشبت بين رهبان دير القديسة مريم وبعض صغار النبلاء في المملكة. وفي ختام حديثنا عن العقود والوثائق الخاصة بدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط لا بد من الإشارة إلى أن هذا الدير كان من أكبر الأديرة في الأراضي المقدسة، وحصل على كثير من المنح والإقطاعات داخل حدود المملكة الصليبية.

وإلى جانب هذه العقود والصكوك التي نشرها هنري ديلاورد في باريس عام ١٨٨٠م، قام كوهلر بنشر بعض العقود والصكوك الخاصة بدير القديسة مريم في مجلة الشرق اللاتيني<sup>(١١)</sup> وبعض هذه العقود والصكوك لم ترد في المجموعة التي نشرها هنري ديلاورد. ولذلك فإننا نعتبر ما نشره كوهلر متمماً ومكملاً لما نشره ديلاورد.

وإلى جانب الوثائق والعقود والسجلات السابقة، أفدنا من وثائق هيئة فرسان التيوتون التي قام بنشرها باللغة اللاتينية سترلكه Strehlke<sup>(١٢)</sup>. وقد زودتنا هذه الوثائق بمعلومات غاية في الأهمية، خاصة فيما يتعلق بزراعة قصب السكر وانتشار مزارعه في نابلس وعكا والمناطق المحيطة بهما، كذلك أشارت هذه الوثائق إلى أن القصب كان يعصر ويطحخ في المنطقتين السابقتين<sup>(١٣)</sup>. كذلك زودتنا هذه الوثائق بمعلومات هامة عن طبيعة العلاقة القائمة بين فرسان التيوتون وأسقف عكا، وعلاوة على ذلك أفدنا منها في معرفة أنواع الضرائب الإضافية التي أجبر الفلاحون على دفعها ثلاث مرات في العام، وكانت هذه الضرائب تدفع في عيد الميلاد وعيد الفصح، وكان الفلاحون يقدمون الضرائب على شكل دجاج وجبنه وبيض وعسل، وكان رجال الدين اللاتين يتقبلون الحصول على النقود بدلاً من السلع. وقد أشارت وثائق الفرسان أن



مقدمهم اتفق مع أسقف عكا على أن يقدم له عشر الأراضي المزروعة بالقمح والخضروات والبقول والقطن . إضافة إلى عشر العسل المستخرج من المناطق الخاضعة لسلطة فرسان التيوتون<sup>(١٣)</sup> .

وقد تضمنت وثائق فرسان هيئة التيوتون الكثير من المعلومات الهامة ، التي لا غنى للباحثين في تاريخ الحروب الصليبية ، سواء المتخصصين في الجانب السياسي والعسكري أو الحضاري من الرجوع إليها ؛ لأنها تشتمل على معلومات هامة لم ترد في المصادر التاريخية المعاصرة . أما بالنسبة لنا فقد استقينا منها الكثير من المعلومات التي غطت بعض جوانب هذه البحث .

وفي ختام حديثنا عن أهم الوثائق والعقود التي جرى استخدامها في موضوع الدراسة ، لابد من إلقاء نظرة سريعة على كتاب «إنجازات ملوك بيت المقدس»<sup>(١٤)</sup> «Regesta Regni Hierosolymitani» الذي وضعه رينالد روهريشت الألماني . وعلى الرغم من أن هذا الكتاب يعتبر من المؤلفات الحديثة ، إلا أنه زودنا بمعلومات غاية في الأهمية ، فقد أرشدنا إلى المصادر الأصلية التي أشارت إلى المنح والإقطاعات التي حصلت عليها الكنائس والأديرة . وتجدر الإشارة إلى أن روهريشت قام بجمع الأحداث الهامة التي تتعلق بكل عام ووضعها في وثيقة واحدة ، وأشار إلى أهم المصادر والوثائق التي استقى منها المعلومات .

يتضح من خلال هذا العرض السريع لأهم الوثائق التي اعتمدنا عليها في موضوع الدراسة ، أنها لا غنى عنها للباحثين في تاريخ الحروب الصليبية ، ولعل ذلك يرجع لغزارة المادة العلمية المتوفرة في عقود ووثائق الكنائس والأديرة اللاتينية ، خلال فترة الحكم الصليبي للأراضي المقدسة .

ومن المصادر الصليبية المعاصرة التي اعتمدت عليه كتاب «أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس» «Gesta Francorum Iherusalem Peregrinantium» لفوشيه الشارترى Fulcher of Chartres<sup>(١٥)</sup> وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية لكتاب فوشيه بعنوان : «A History of the expedition to Jerusalem» .

وتكمن أهمية هذا الكتاب في أن مؤلفه كان معاصراً لأحداث الحملة الصليبية الأولى ، كما أنه كان شاهد عيان لمعظم الأحداث التي دونها في كتابه ، فضلاً عن المعلومات والأخبار التي استقاها من شهود العيان ، ومن الخطابات المرسلة من بيت المقدس إلى الغرب الأوروبي . لذلك يعتبر كتابه من المصادر الهامة لدراسة الحروب الصليبية . وزودنا فوشيه بمعلومات قيمة ، أفادت البحث كثيراً ، خاصة فيما يتعلق بموقف رجال الدين اللاتين في كنيسة



القيامة من عملية انتخاب ارنولف مالكورون بطريكاً على بيت المقدس ، فقد أشار فوشيه إلى أنهم قرروا أن البطريك سوف لا يكون معيناً حتى يسألوا عنه باباروما ، ويحصلوا على موافقته لتعيين ارنولف كأول بطريك لاتيني في بيت المقدس<sup>(١٦)</sup> . كذلك أمدنا فوشيه الشار تري بمعلومات في غاية الأهمية عن حركة الجهاد الإسلامية ضد الصليبيين ، عندما أشار إلى قيام حامية عسقلان الإسلامية بشن الغارات على حدود مملكة بيت المقدس الصليبية ، وما تبع ذلك من عمليات القتل التي تعرض لها الصليبيون ، إذ أن هذه القوات تمكنت من الوصول إلى أسوار بيت المقدس ، وقامت بإحراق جميع المزارع التي وجدت في المنطقة<sup>(١٧)</sup> . ومن النقاط الهامة التي زودنا بها فوشيه أنه أشار إلى تعرض الإقطاعات الكنسية الواقعة في حدود بيت المقدس لغارة شديدة من قبل حامية عسقلان في عام ١١٢٤م / ٥١٨هـ . فقد ذكر أن المسلمين تمكنوا من الاستلاء على مستوطنة البيرة الكنسية بالقوة ، وقتلوا وأسروا الكثير من سكانها ، بينما هرب الناجون واحتموا ببرج المستوطنة . وأضاف فوشيه أن القوات الإسلامية استرسلت في غاراتها ، حيث هاجمت جميع المناطق المجاورة لمستوطنة البيرة ، وقتلت وأسرت كل من وجدت في طريقها<sup>(١٨)</sup> . ولعل ما أورده فوشيه من معلومات عن تعرض بعض الإقطاعات الكنسية وسكانها لهجوم القوات الإسلامية قد أفاد البحث كثيراً ، خاصة وأن مثل هذه المعلومات قد ألقت الضوء على مدى تأثير العوامل الخارجية على الإقطاعات الكنسية ، وفداحة الخسائر التي كانت تصيب السكان . وقد أوضح فوشيه أن مستوطنة البيرة كانت مزودة ببرج ، الأمر الذي يشير إلى اهتمام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بحماية الأملاك والإقطاعات التي حصلوا عليها .

ووافانا فوشيه بمعلومات دقيقة عن مدى تأثر الصليبيين بالبيئة الشرقية ، واختلاطهم بالسكان الأصليين ، وزواجهم بالمسيحيات الشرقيات ، واهتمامهم بحراثة الأرض وزراعة أشجار الكرمة ، لدرجة أن فوشيه كان مستغرباً مما آلت إليه أحوال الصليبيين في الأراضي المقدسة ، وقد صرح عن ذلك بقوله «نحن الذين كنا غربيين أصبحنا الآن شرقيين ، والذي كان مواطناً رومانياً أو فرنسياً أصبح جليلاً أو فلسطينياً ، والذي كان من ريمز أو شارتر أصبح الآن مواطناً من صور أو أنطاكية ، ونسينا أماكن ولادتنا» ويضيف فوشيه أن بعض الصليبيين امتلكوا بيوتاً عن طريق الميراث ، بسبب علاقة المصاهرة التي تمت بينهم وبين المسيحيين الشرقيين<sup>(١٩)</sup> .

وعلى الرغم من أن فوشيه كان معاصراً لأحداث الحملة الصليبية الأولى ، إلا أنه أغفل ذكر الكثير من الحوادث والنقاط الهامة . فلم يشر إلى قيام الصليبيين بانتخاب أسقف لاتيني لمدينتي اللد والرملة ، ثم منحه المدينتين والمناطق المحيطة



بهما<sup>(٢٠)</sup>. وبطبيعة الحال كانت هذه النقطة من النقاط الهامة ، التي تشير إلى بداية الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة ، ومن المعلومات القيمة التي أغفلها فوشيه الشارترى ، بينما ذكرها غيره من المؤرخين الصليبيين المعاصرين . وإلى جانب ذلك أغفل فوشيه المنح التي قدمها جودفري البويوني وشقيقه بلدوين إلى الكنائس والأديرة على الرغم أنه كان معاصراً للأحداث وشاهد عيان .

ووقف فوشيه موقفاً محايداً من ارنولف مالكورون فلم يهاجمه كما فعل بعض المؤرخين ، كما أنه لم يمدحه ، بل فضل التزام الحياد<sup>(٢١)</sup> . كذلك لم يشر فوشيه إلى المطالب التي تقدم بها البطريك دايبرت إلى الأمير جودفري ، والتي يطلب فيها من جودفري التنازل عن بيت المقدس ويافا<sup>(٢٢)</sup> . كما أنه لم يشر إلى المنازعات التي نشبت بين بلدوين الأول والبطريك دايبرت حول عدة أمور ، على الرغم من أنه كان ملازماً للملك بلدوين الأول .

وعلى العموم فوشيه الشارترى من الكتب الهامة التي تعالج أحداث الحملة الصليبية الأولى ، وتحظى باهتمام المؤرخين الحديثين في الشرق والغرب على حد سواء . ولعل اهتمام المؤرخين بما كتبه فوشيه يرجع إلى أن المؤلف كان معاصراً لأحداث الحملة الصليبية الأولى ، كما أنه كان شاهد عيان لكثير من الأحداث التي دونها في كتابه . هذا إلى جانب أنه كان ملماً بأحوال الصليبيين في الأراضي المقدسة . وإلى جانب ذلك يشتمل كتاب فوشيه على كثير من المعلومات عن المعالم الجغرافية في المنطقة ، خاصة الأنهار ومنابعها والبيئة وما يعيش فيها من حيوانات ، وبعض الخصائص الجغرافية التي تساعد الباحث على تصور المسرح الذي جرت فيه الأحداث<sup>(٢٣)</sup> . ونرى أنه لا غنى للباحثين المتخصصين في تاريخ الحروب الصليبية عن كتاب فوشيه الشارترى ، نظراً لما يحتويه الكتاب من معلومات دقيقة عن أحوال الصليبيين في بلاد الشام في بداية الحكم الصليبي .

ويعد كتاب «تاريخ بيت المقدس» Historia Hierosolymitana لألبرت دكس Albert d'Aix<sup>(٢٤)</sup> من المصادر الهامة لدراسة الحملة الصليبية الأولى وقيام مملكة بيت المقدس ، وغزوات الصليبيين ضد البلدان الإسلامية ، وحروبهم مع المسلمين . وعلى الرغم من أن ألبرت لم يأت إلى الشرق ، إلا أنه وضع كتاباً هاماً عن الحملة الصليبية الأولى ، وعن أحوال الصليبيين في الأراضي المقدسة . وقد اعتمد ألبرت في كتابه تاريخه المعروف باسم «تاريخ بيت المقدس» على ما سمعه ممن اشترك في الحملة الأولى ، فضلاً عما استقاه من المصادر المعروفة وبعض المراسلات ، ويبدو أنه أخذ عن بعض المصادر التي لم تصل إلينا . وعلى الرغم من كل ذلك فكتاب ألبرت دكس من أكثر المصادر الأجنبية التي تعرضت لأحداث الحملة الصليبية بشكل مفصل إذ أورد بيانات وأحداثاً لم ترد في المصادر الأخرى<sup>(٢٥)</sup> .



وزودنا البرت دكس بكثير من المعلومات الدقيقة الخاصة ببعض الشخصيات الصليبية الإقطاعية ، من أمثال جيرارد افسنيز وجالديمار كاربنيل وتانكرد وجيرفاس باسوك . كذلك أمدنا بمعلومات هامة عن الخلافات التي نشبت بين جالديمار وكاربنيل وتانكرد حول إقطاعية حيفا ، كما تحدث عن قيام الملك بلدوين الأول بمنح حيفا لجالديمار بعد رحيل تانكرد لانطاكية .

وتحدث البرت دكس عن جشع رجال الدين اللاتين وحبهم للمال ، كما أشار إلى احتفاظ البطريك دايمبرت بمبالغ كبيرة في خزانة البطريكية بلغت نحو عشرين ألف بيزنط إلى جانب أكوام لا تحصى من الفضة . وعلى الرغم من معرفة دايمبرت أن الملك بلدوين الأول كان بحاجة إلى الأموال من أجل إنفاقها على جنوده والقيام بالحملة العسكرية من أجل التوسع على حساب المسلمين ، إلا أن دايمبرت لم يهتم بمطالب الملك بلدوين الأول الذي طالبه أن يقدم له المال ، لكن دايمبرت كان يماطله باستمرار<sup>(٢٦)</sup> .

وعلى الرغم من أن البرت دكس كان بعيداً عن مسرح الأحداث ، إلا أنه أمدنا بمعلومات هامة ومفصلة عما كان يجري في مملكة بيت المقدس والإمارات الصليبية الأخرى من أحداث . في حين لم يتعرض غيره من المؤرخين الصليبيين المعاصرين - الذين عاشوا بالقرب من مسرح الأحداث وشهدوا بأنفسهم ما كان يجري على أرض الواقع - لكثير من الأحداث والمعلومات التي ذكرها البرت دكس ، فعلى سبيل المثال انفرد البرت دكس بذكر المبلغ الذي أرسله روجر من ابوليا إلى المسؤولين الصليبيين في الأراضي المقدسة . وطبقاً لرواية البرت دكس فإن روجر كان قد اقترح تقسيم مبلغ الألف بيزنط التي أرسلها عدلاً وإيماناً ، على أن تحصل كنيسة القيامة على ثلث المبلغ ، والثلث الثاني يخصص للمستشفى من أجل خدمة الضعفاء ، والثلث الثالث يعطى للملك بلدوين من أجل إنفاقه على الشؤون العسكرية<sup>(٢٧)</sup> . ولعل مثل هذه المعلومات الهامة والدقيقة ، التي انفرد بذكرها البرت دكس عن بقية المؤرخين الصليبيين المعاصرين له ، تشير إلى أهمية كتابه في تغطية بعض الجوانب التي أغفلها معظم المؤرخين .

ويعد البرت دكس من المؤرخين الصليبيين القلائل ، الذين كتبوا تاريخ الحملة الصليبية ، بلغة لاتينية سهلة ، على الرغم من أنه كان يلجأ إلى الإفاضة في ذكر بعض الأحداث دون الأخرى . ويبدو من أسلوبه ، أنه لم ينل حظاً كبيراً من التعليم . وعلى العموم فقد أفدنا من كتابه ، واستقينا العديد من المعلومات التي غطت بعض جوانب هذه الدراسة .

ومن الكتب التاريخية الهامة في دراسة الحركة الصليبية كتاب «تاريخ



الأعمال التي تمت فيما وراء البحر» *Histoira Rerum inPartibus Transmarinis Gestarum* لوليم الصوري William of Tyre<sup>(٢٨)</sup> وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية لهذا الكتاب ، وهي بعنوان : «A History of Deeds Done Beyond the Sea»<sup>(٢٩)</sup> ، ويعتبر كتاب ولیم الصوري موسوعة في تاريخ الحروب الصليبية ، وتكمن أهميته في أنه يتناول فترة طويلة من تاريخ الصليبيين ، امتدت حتى عام ١١٨٤م / ٥٨٠هـ . وقد اعتمد ولیم في تدوين كتابه على مؤلفات بعض المؤرخين الصليبيين الذين عاصروا أحداث الحملة الصليبية من أمثال فوشيه الشارترى والبرت دكس وريموند داجيل والمؤرخ المجهول وراؤول دي كاين وغيرهم ، كما اعتمد على روايات شهود العيان والوثائق الملكية ، وبعض الرسائل التي كانت تصل إلى الشرق من الغرب الأوروبي . وكذلك الرسائل التي كان يرسلها الملوك ورجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية ، إلى البابوية في روما . وقد اتضح هذا الأمر من خلال الرسائل المتبادلة بين البابا باسكال الثاني والملك بلدوين الأول والبطريرك جيلين من سابران ، وخاصة تلك الرسائل المتعلقة بموضوع الخلاف بين بطريركيي بيت المقدس وأنطاكية حول المركز الأسقفي في صور والأسقفيات التابعة .

وعلى الرغم من أن ولیم الصوري اعتمد على معظم المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحملة الصليبية الأولى ، إلا أنه تأثر كثيراً بما كتبه راييموند داجيل ، خاصة فيما يتعلق بموقفه من ارنولف مالكورون وهجومه الشديد عليه ، فقد وصفه بأنه «كان شريراً مأكراً»<sup>(٣٠)</sup> ، وبلغ من شدة هجومه على ارنولف أنه وصف الناس الذين انتخبوه بالغباء ؛ لأنهم أعطوا أصواتهم بسرعة غير حكيمة ودون ترو<sup>(٣١)</sup> . وبطبيعة الحال لم يكن ولیم معاصراً لارنولف الذي توفي قبل مولده بنحو اثني عشرة عام ، هذا إلى جانب أن موقف راييموند داجيل من ارنولف مالكورون . وهجومه عليه لم يكن بالشدة التي أبداهها ولیم الصوري نحو ارنولف على الرغم من أنه لم يكن يعرفه فضلاً عن أن ولیم اعتمد على بعض المؤرخين الذين وقفوا موقفاً جيداً من ارنولف ووصفوه بأنه كان رجلاً متديناً شديداً الاهتمام بإصلاح الكنيسة . وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن ولیم لم يكن منصفاً لارنولف ، عندما لطم ذكراه وشوه سمعته ؛ لأنه بذل جهداً كبيراً في تدعيم ما قامت به الحملة الصليبية الأولى من أعمال<sup>(٣٢)</sup> .

ولعل الموقف الذي اتخذته ولیم الصوري من ارنولف مالكورون ، يشير إلى أن ولیم كان يدون الأحداث التاريخية حسب ميوله الشخصية ، ويتضح هذا من خلال تعرضه لارنولف مالكورون في صفحات عدة من كتابه ، فتارة كان يصفه بالإنسان الحقود ، الذي يحب نشر الخلاف والفرقة بين الناس ،



وتارة أخرى ينعته بالدهاء . وليس هناك من سبب يجعل وليم الصوري يتخذ مثل هذا الموقف من ارنولف ، خاصة أنه لم يكن يعرفه ويشاهده في حياته ، الأمر الذي يحتم علينا أن نكون على حذر ، عند الرجوع إلى ما كتبه وليم . ويعتقد أحد المؤرخين الحديثين أن وليم الصوري كان يعتمد على ذاكرة الرجال والنساء الأكبر منه سناً لتغطية أحداث سابقة ، منذ بداية ١١٢٠-١١٦٥م/ ٥١٣-٥٦٠هـ<sup>(٣٣)</sup> . ولذلك فمن المرجح أن وليم استمد معلوماته عن ارنولف من بعض الناس ، الذين كانوا يكونون العداء والكراهية له ، هذا إلى جانب ما استقاه من كتاب رايوند داجيل من معلومات تتعلق بهذا الموضوع .

وعلى الرغم من أن وليم الصوري لم يشير إلى معظم الذين استقى منهم معلوماته عن الحملة الصليبية الأولى ، وبداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة ، إلا أننا يمكن أن نستشف من الأحداث التي أوردتها في كتابه ، أسماء المؤلفات التي استقى منها الكثير من الأحداث ، فعلى سبيل المثال أشار وليم إلى الغارات التي قامت بها حامية عسقلان الإسلامية ضد الصليبيين في مملكة بيت المقدس ، وخاصة الهجوم الذي تعرضت له المملكة عام ١١٢٤م/ ٥١٨هـ ، إذ قامت حامية عسقلان بالاستيلاء على مستوطنة البيرة الكنسية بالقوة ، وقتلت وأسرت الكثير من سكانها ، بينما هرب الناجون واحتتموا ببرجها . وهذه الأحداث التي ذكرها وليم الصوري ، استقاها حرفياً من كتاب فوشيه الشارترى<sup>(٣٤)</sup> . كما تأثر به أيضاً بالنسبة للمعلومات التي أوردتها بخصوص الملك بلدوين الثاني وسماحه للمسيحيين الشرقيين والمسلمين بجلب الحبوب والبقول إلى القدس ، دون أن يفرض عليهم الضرائب . الأمر الذي يشير إلى أن وليم الصوري اعتمد على فوشيه في الأحداث المتعلقة بالحملة الصليبية الأولى ، وما تبع ذلك من نشاطات اقتصادية في المملكة<sup>(٣٥)</sup> .

ومهما يكن من أمر ، فقد زودنا وليم الصوري بمعلومات غزيرة عن الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٤م . وتعتبر المعلومات التي أمدنا بها وليم الصوري ذات أهمية عظيمة لموضوع الدراسة . فقد أشار إلى جشع رجال الدين اللاتين وحبهم لامتلاك الكثير من الإقطاعات والأماكن في الأراضي المقدسة ، ويتضح هذا الأمر عندما طالب البطريك دايمبرت البيزي ، الأمير جودفري البويوني أن يتنازل له عن مدينتي بيت المقدس ويافا وما يحيط بهما من أرضي . وقد أشار وليم إلى أن البطريك أصر على مطالبه ، الأمر الذي حمل جودفري على التنازل عن ربع مدينة يافا<sup>(٣٦)</sup> .

وقد انفرد وليم الصوري بالإشارة إلى اهتمام الأمير جودفري بالكنائس والأديرة ، وقيامه بإغداق المنح والهبات الكثيرة عليها ، هذا إلى جانب عنايته واهتمامه برجال الدين اللاتين ، الذين قام بتوظيفهم في كنيسة القيامة وفي



معبد السيد، كما منحهم الكثير من الهبات والإحسانات التي عرفت باسم رواتب رجال الدين، كما قدم لهم المنازل في أماكن مجاورة للكنائس التي يعملون فيها<sup>(٣٧)</sup>. ولعل هذه النقطة بالذات من النقاط الهامة في موضوع الدراسة؛ لأنها تلقي الضوء على طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين وحاكم بيت المقدس في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة، كما أنها تشير إلى مدى اهتمام الحاكم الصليبي بأمور رجال الدين اللاتين، وتوضح أيضاً نوعية المنح التي حصل عليها رجال الدين اللاتين في بداية استقرارهم في الأراضي المقدسة. وعلاوة على ذلك فإن حديث وليم عن المنازل التي قدمها جودفري لرجال الدين اللاتين، تشير إلى أن هذه المنازل كانت خالية من سكانها الذين ربما قتلوا أثناء اجتياح الصليبيين لمدينة بيت المقدس.

كذلك انفرد وليم الصوري بذكر المنحة التي قدمها الملك بلدوين الأول لأسقفية بيت لحم في يوم الأربعاء الموافق الأول من سبتمبر عام ١١٠٩م/ الثالث من صفر عام ٥٠٣هـ، كما أشار إلى اهتمام الملك بأمور الأسقفية وتشجيعه للأمرء والفرسان وكافة المسيحيين سواء الشرقيين أو الغربيين على بذل المنح والإقطاعات لكنيسة القيامة<sup>(٣٨)</sup>. وقد انفرد وليم أيضاً بذكر المشاكل التي نشبت بين الملك بلدوين الثاني والبطريرك ستيفن الشارترى، بسبب مطالب البطريرك ومحاولته إحياء السلطة البطريركية، وحكم المملكة، حكماً ثيوقراطياً<sup>(٣٩)</sup>.

وعلى العموم فقد أفدنا من كتاب وليم الصوري في كثير من الجوانب الهامة المتعلقة بموضوع الدراسة؛ إذ أنه أمدنا بتراجم عديدة لبعض الشخصيات الهامة في المملكة من أمثال هيو الثاني بوزية كونت يافا، ووليم دي بور أمير الجليل وغيرهم، هذا إلى جانب أنه زدنا ببعض النقاط الهامة، التي أفادت البحث في الجانب الحضاري، وخاصة فيما يتعلق بزراعة الحبوب وأشجار الكرم، وأهم المناطق التي كانت تشتهر بزراعة مثل هذه المحاصيل، فعلى سبيل المثال ذكر أن مونتريال (الشوبك) والمنطقة الواقعة شرق نهر الأردن، كانت تشتهر بزراعة الحبوب.

وعلاوة على ذلك وافانا وليم الصوري بمعلومة هامة جداً، عن إسهام المستوطنين اللاتين في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية في قتال المسلمين. فقد انفرد بالإشارة دون غيره من المؤرخين إلى قيام خمسة وستين شاباً من مستوطنة البيرة، بالاشتراك مع الجيش الصليبي الذي التقى مع صلاح الدين الأيوبي بالقرب من غزة في عام ١١٧٠م/ ٥٦٦هـ. وذكر وليم أن سكان مستوطنة البيرة الذين اشتبكوا مع القوات الإسلامية بالقرب من غزة، قتلوا جميعهم، الأمر الذي يشكل كارثة اجتماعية لسكان البيرة<sup>(٤٠)</sup>. وليس من



شك في أن هذه النقطة التي ذكرها وليم تعتبر من النقاط البارزة في موضوع الدراسة ، وذلك لأنها ألقت الضوء على حجم المساعدات التي كان يقدمها المستوطنون الأوروبيون للجيش الملكي ، مما يشير إلى أهمية مستوطنة البيرة لرجال الدين اللاتين بصفة خاصة وللملك الصليبي بصفة عامة . وبطبيعة الحال فإن مثل هذه القضية توضح حجم الخسائر التي كانت تتعرض لها الإقطاعات الكنسية ؛ وتؤثر تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية .

وعلاوة على كل ذلك أمدنا وليم الصوري بمعلومات هامة عن الحياة السياسية في المملكة ، كما زودنا بالكثير من الأحداث التي تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوع الدراسة ، وخاصة عند الإشارة إلى بعض المعارك الحربية التي نشبت بين المسلمين والصليبيين ، والتي خدمت البحث كثيراً ، فعلى سبيل المثال أشار وليم إلى وقوع هيو ابلين سيد الرملة ويوحنا جوثمان في أسر نور الدين محمد ، على إثر المعركة التي نشبت بين المسلمين والصليبيين بالقرب من مخاضة الاحزان في إمارة الجليل عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ<sup>(٤١)</sup> . وقد نتج عن ذلك أن قام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بدفع الفدية عن يوحنا جوثمان وهيو ابلين سيد الرملة ، الأمر الذي دفعهما إلى بيع بعض أملاكهما إلى كنيسة القيامة من أجل تسديد المبلغ الذي دفع عنهما<sup>(٤٢)</sup> . وبطبيعة الأمر فإن ما أورده وليم من معلومات عن أسريوحنا وهيو أفادت البحث كثيراً ، خاصة فيما يتعلق باضطراب يوحنا وهيو إلى بيع بعض أملاكهما لرجال الدين في كنيسة القيامة من أجل تسديد المبلغ الذي دفع عنهما للمسلمين ، مقابل إطلاق سراحهما .

وتجدر الإشارة إلى أن وليم الصوري كان يصف المسلمين بالوثنيين تارة وبالأعداء تارة أخرى ، ولذلك لا بد من توخي الدقة والحذر عند الرجوع لكتابه في معظم الأحداث التي تتعلق بالجانب الإسلامي . وعلى الرغم من كل المآخذ التي تؤخذ عليه ، إلا أن كتابه لا غنى عنه للباحث في تاريخ الحروب الصليبية ؛ وذلك لأن الكتاب يتعرض لذكر فترة طويلة من تاريخ الحركة الصليبية .

ومن الكتب الحولية الصليبية الهامة التي أفدنا منها في بعض جوانب موضوع الدراسة كتاب ارنول وكيل بيت المال Chornique d'Ernoul et de Bernard la Tresorier<sup>(٤٣)</sup> . وتكمن أهمية هذا الكتاب في أنه يعتبر تذيلاً ، مكماً لكتاب وليم الصوري ، وقد أتبع مؤلفه طريقة السرد الحولي للأحداث ، وهي الطريقة التي كان يتبعها معظم المؤرخين المسلمين وقتذاك . وبدأ ارنول تاريخه بإعطاء لمحات سريعة عند بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة ، وأهم الأعمال التي قام بها ملوك بيت المقدس الأوائل وسنوات حكمهم ، كما زودنا بمعلومات هامة عن أحداث عام ١١٨٠م / ٥٧٦هـ ، وخاصة بعد وفاة البطريك عموري نسل وقيام رجال الدين اللاتين في كنيسة



القيامة بترشيح اثنين من كبار رجال الدين في المملكة ، لاختيار أحدهما لتولي منصب بطريك بيت المقدس اللاتيني وفي ذلك يقول ارنول :

“Li canoine del sepulcren'en fisent noient. Car la mere le roiavoit Proie d'Eracle l'archevesque de Cesaire qu'il le noumassent, et il le noumerent, et l'archevesque de sur. Car tes lelections de la tiere d'Outremer de Patriarce et d'archevesque et d'evesque et d'evesque et d'abe, qu'il en noument II.....”<sup>(٤٤)</sup>

وأمدنا ارنول بمعلومات عن انتخاب هرقل بطريك لبيت المقدس ، كما زودنا بمعلومات عن غراميات هرقل مع باسكو دي ريفيري Paske de Riveri زوجة أحد التجار الصليبيين في مدينة نابلس ، وذكر ارنول أن وليم الصوري لم يبق في الشرق بعد فشله في تبوء منصب بطريك بيت المقدس ، بل توجه إلى روما من أجل تقديم الشكاوي معترضاً على انتخاب هرقل<sup>(٤٥)</sup>.

ويعتبر المؤرخ ارنول من المؤرخين الصليبيين المعاصرين وربما كان شاهد عيان لمعظم الأحداث التاريخية التي دونها في كتابه<sup>(٤٦)</sup> . فقد تعرض لذكر نشاط السلطان صلاح الدين الأيوبي وجهوده الرامية إلى تحرير الأراضي المقدسة من الصليبيين ، كما تطرق لبعض الأحداث المتعلقة بالدولة البيزنطية وعلاقتها مع قبرص ، مع مملكة بيت المقدس الصليبية ، وقد أشار ارنول إلى معركة حطين ، وانتصار المسلمين ، وما صاحب ذلك من قيام القوات الإسلامية باستعادة معظم البلاد والمدن من الغاصبين وطرد الصليبيين منها .

وقد أمدنا ارنول بمعلومات هامة وقيمة عن فتح بيت المقدس ، والمعاملة الطيبة التي وجدها الصليبيون من صلاح الدين<sup>(٤٧)</sup> كذلك تعرض ارنول لذكر حصار الصليبيين لمدينة عكا ، كما أشار إلى الأوضاع الصعبة التي ألمت بالمسلمين والصليبيين على حد سواء ، بسبب قلة السلع الغذائية وارتفاع الأسعار ، الأمر الذي دفع بعض الفرسان الصليبيين إلى التهديد بالامتناع عن محاربة المسلمين إذا لم يحصلوا على موارد غذائية<sup>(٤٨)</sup> وإلى جانب كل ذلك تعرض ارنول إلى ذكر اتفاق الرملة وما ترتب عليه من نتائج<sup>(٤٩)</sup> . وينتهي كتاب ارنول بأحداث عام ١٢٣١ م / ٥٢٨ هـ ، وهذا يعني أنه تعرض لذكر حملة الإمبراطور فريديريك الثاني على الشرق ، وموقف بابا روما منها .

وعلى العموم فكتاب ارنول من الكتب الهامة والمميزة في تاريخ الحروب الصليبية لعدة أسباب منها : أن المؤلف كان معاصراً وشاهد عيان لمعظم الأحداث التي تعرض لذكرها في كتابه ، هذا إلى جانب أن ما كتبه يعتبر مكملًا وتذيلاً لكتاب وليم الصوري . وقسم المؤلف كتابه إلى عدة فصول أسوة بغيره



من المؤرخين الصليبيين السابقين له واللاحقين . وكان ارنول في كل فصل من فصول كتابه يناقش موضوعاً معيناً وحدثاً خاصاً من الأحداث التي تعرض لها الصليبيون في الأرض المقدسة . ففي الفصل الثاني من كتابه ، تعرض لانتخاب البطريك هرقل ، والأحداث التي صاحبت ذلك ، كما أشار إلى علاقة البطريك هرقل المشينة مع باسكو دي ريفيري زوجة أحد تجار نابلس .

وقد جاءت إفادتنا من كتاب ارنول على مدى الفصلين الرابع والخامس من هذه الدراسة ، ويتفق كتاب ارنول في كثير من الأحداث مع ما ورد في كتاب هرقل . وعلى العموم فكتاب ارنول من الكتب الهامة في دراسة أحوال بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية ، وخاصة بعد وفاة المؤرخ الصليبي وليم الصوري وحتى عام ١٢٣١م / ٦٢٨هـ .

كذلك يعتبر «تاريخ الإمبراطور هرقل والاستيلاء على أراضي ما وراء البحار» «L'Estoire d'Eracles Empereur et. La Conquest de la Terre d'Qutremere»<sup>(٥٠)</sup> من المصادر الصليبية الهامة لدراسة الحروب الصليبية والعلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ؛ لأنه عالج فترة طويلة هامة ، امتدت بين عامي ١١٨٤-١٢٧٧م / ٥٨٠-٦٧٦هـ ، وعلاوة على ذلك زودنا بمعلومات قيمة لم ترد في المصادر العربية والأجنبية على حد سواء . فقد انفرد بذكر الاجتماع الذي عقده ريموند كونت طرابلس في نابلس عام ١١٨٦م / ٥٨٢هـ لمعارضة تنويع جان لوزجنان ملكاً على بيت المقدس ، وأفادت منه في معرفة أهم القرارات التي توصل إليها المجتمعون وما جرى من تنويع سبيلا ملكة على بيت المقدس وقيامها بوضع التاج على رأس زوجها<sup>(٥١)</sup> .

ويبدو للوهلة الأولى أن مثل هذه الأحداث بعيدة عن موضوع الدراسة ، ولكنها في حقيقة الأمر أفادتنا كثيراً ، وخاصة أنها ألقت الضوء على موقف بطريك بيت المقدس وانحيازه إلى جانب جاي لوزجنان وزوجته ضد حزب البارونات الذي يتزعمه ريموند الثالث كونت طرابلس وبما أن بطريك بيت المقدس كان يتولى أعلى رتبة دينية في المملكة فلا بد وأنه قام بالتأثير على معظم رجال الدين اللاتين في المملكة ، ونخص بالذكر أساقفة بيت لحم والخليل الذين كانوا يخضعون لسلطته المباشرة ، هذا إلى جانب رؤساء الأديرة والكنائس الكبيرة من أمثال رئيس كنيسة القيامة ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط . وبطبيعة الحال تأثرت الإقطاعات الكنسية كثيراً خلال هذه المرحلة ، بسبب تفرغ الصليبيين للخلافات والمنازعات الداخلية من أجل السيطرة على العرش ، فضلاً عن اهتمام الأمراء بتأكيد حقوقهم في إقطاعياتهم ، الأمر الذي صرفهم عن إغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة .



وقد اتفق تاريخ هرقل مع ما أورده ارنول بخصوص انتخاب بطريك بيت المقدس ، وفوز هرقل رئيس أساقفة قيسارية بهذا المنصب ، الأمر الذي دفع وليم الصوري رئيس أساقفة صور إلى الاحتجاج والذهاب إلى روما من أجل تقديم الشكاوي ضد التعيين ، الذي لعبت فيه الأهواء الشخصية دوراً فعالاً<sup>(٥٢)</sup>.

ويبدو أن مؤلف تاريخ هرقل قد تأثر بما كتبه ارنول عن علاقة بطريك بيت المقدس بياسكودي ريفيري<sup>(٥٣)</sup> ، وذلك لأنه اتفق معه في معظم ما ذكره عن تلك العلاقة . وربما كان ارنول على علم بهذه العلاقة ، لأنه كان مقيماً في نابلس وقريباً من باليان سيد الإقطاعية . وتعرض تاريخ هرقل لجهود صلاح الدين الأيوبي في محاربة الصليبيين وانتصاره عليهم في حطين ، كما أشار إلى فتحه بيت المقدس ، ومعاملته الطيبة للصليبيين ، كما تعرض تاريخ هرقل إلى ذكر الفدية التي قررها صلاح الدين على صليبي بيت المقدس ، كما أشار إلى خروج الصليبيين من بيت المقدس وتوجههم إلى مدينة صور<sup>(٥٤)</sup>.

ومن النقاط الهامة التي تعرض لها تاريخ هرقل وأفادت البحث كثيراً ، ما يتعلق بالتحالف الأيوبي الصليبي ضد الصالح نجم الدين أيوب والخوارزمية ، وما نتج عن ذلك من وقوع معركة غزة (هربياً أو معركة حطين الثانية) في السابع عشر من أكتوبر عام ١٢٤٤م / الثالث عشر من جمادى الأول عام ٦٤٢هـ ، وانتصار قوات الصالح نجم الدين أيوب وجموع الخوارزمية على التحالف الأيوبي الصليبي . هذا إلى جانب أن تاريخ هرقل زودنا بمعلومات عن اشتراك بعض رجال الدين اللاتين في المعركة ومقتل قسم منهم وخاصة رئيس أساقفة مدينة صور وأسقف الرملة واللد<sup>(٥٥)</sup> . وقد اتفق تاريخ هرقل في ذلك مع ما ذكره المؤرخون المسلمون المعاصرون لأحداث هذه الفترة .

وبطبيعة الحال فإن ما ذكره هرقل عن اشتراك رجال الدين اللاتين في معركة غزة ، يشير إلى أن الكنائس والأديرة والأسقفيات قامت بإعداد القوات للاشتراك مع بقية القوات الصليبية في مواجهة قوات الصالح نجم الدين والخوارزمية . ومثل هذه الأحداث كانت تترك آثاراً سلبية على الإقطاعيات والأملاك الكنسية ؛ إذ كان رجال الدين اللاتين مضطرين لإعداد الفرسان والجنود ، بما تسمح به ثرواتهم وأملاكهم ، الأمر الذي يوضح استمرارية إسهام رجال الدين في إعداد الفرسان والسرجنديّة للمساعدة في الدفاع عن ما تبقى للصليبيين في الأراضي المقدسة ، هذا بالإضافة إلى الاشتراك بهذه القوات من أجل شن الغارات على البلاد الإسلامية المجاورة .

وعلى العموم فكتاب تاريخ هرقل من الكتب القيمة لدراسة تاريخ الحروب الصليبية ، خاصة أنه يعالج فترة طويلة تمتد بين عامي ١١٨٤-١٢٧٧م / ٥٨٠-٦٧٦هـ . ولذلك لا غنى للباحث في تاريخ الحروب الصليبية من الرجوع



إلى كتاب «تاريخ هرقل» نظراً لأهميته الكبيرة ومعلوماته الغزيرة . وتكمن الصعوبة في هذا الكتاب ، أنه مدون باللغة الفرنسية القديمة ، الأمر الذي يزيد من متاعب الباحث .

ومن المصادر الصليبية الهامة التي اعتمدت عليها وأفادت موضوع الدراسة في جوانب مختلفة كتاب «قوانين بيت المقدس Assises de Jerusalem» الذي نشر في جزئين في مجموعة الحروب الصليبية<sup>(٥٦)</sup> . وقد دونت هذه القوانين في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري ، ووضعها مجموعة من القانونيين الصليبيين الذين عاشوا في الشرق الإسلامي . وأمدنا هؤلاء القانونيون بمعلومات هامة أثرت البحث كثيراً ، فعلى سبيل المثال أمدنا جان ابلين Jean d'Iblin في الجزء الأول من قوانين بيت المقدس بكثير من النقاط الهامة التي غطت بعض جوانب هذه الدراسة ، فعلى سبيل المثال أشار إلى عدد الإقطاعات والإمارات والبارونيات التي كانت تتألف منها مملكة بيت المقدس الصليبية ، كما أنه ذكر اسم البارونيات والإقطاعات . كذلك زودنا جان ابلين بأعداد الفرسان والسرجنديين الذين كان يقدمهم السادة الإقطاعيون ورجال الدين اللاتين في الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية ، وعلاوة على ذلك زودنا بمعلومات قيمة عن أهم المحاكم التي كانت قائمة في الأراضي المقدسة<sup>(٥٧)</sup> . كما أشار إلى أوضاع الرقيق المرتبطين بالأرض ارتباطاً وثيقاً ، والذين كانوا لا يستطيعون ترك العمل في الأرض ، وكان القانون صارماً عليهم<sup>(٥٨)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن كتاب جان ابلين «Livre de Jean d'Ibelin» قد انفرد بذكر الكثير من المعلومات التي لم ترد في أي من المصادر المعاصرة للحركة الصليبية سواء الشرق أو في الغرب على حد سواء . ولذلك يعتبر كتابه من الكتب الهامة والمتخصصة في الجانب الحضاري في عصر الحروب الصليبية . وفي اعتقادنا أنه لا غنى للباحث في هذا المجال عن كتاب جان ابلين .

وقد اعتمدنا في الجزء الأول من كتاب قوانين بيت المقدس على كتاب يعقوب ابلين Livre de Jacques d'Ibelin ، الذي أمدنا بمعلومات عن القسم الإقطاعي الذي كان يقدمه السادة الإقطاعيون لملك بيت المقدس الصليبي<sup>(٥٩)</sup> . كذلك أمدنا كتاب «الأنساب فيما وراء البحار Les Lignages d'outremer» المنشور في الجزء الثاني من كتاب قوانين بيت المقدس بمعلومات هامة عن بعض العائلات الصليبية التي استقرت في الأراضي المقدسة . ولعل من المفيد الإشارة إلى أن الجزء الثاني من قوانين بيت المقدس اشتمل على الكثير من العقود والصكوك التي أفادت البحث كثيراً<sup>(٦٠)</sup> ، وقد تعرضت هذه الصكوك والعقود إلى الكثير من المنح والإقطاعات التي حصلت عليها الكنائس والأديرة



في مملكة بيت المقدس الصليبية، كما أشارت إلى بعض عقود البيع، والخلافات التي كانت تنشب بين رجال الدين اللاتين حول الأعشار وتخطيط الأراضي وإلى ما شابه ذلك. ولذلك يعتبر كتاب قوانين بيت المقدس من الكتب التي غطت جوانب كثيرة في موضوع الدراسة.

وإلى جانب المصادر التاريخية الأوروبية المعاصرة اعتمدنا على العديد من المصادر الجغرافية وكتب الرحلات التي أفادت البحث في كثير من الجوانب الهامة وألقت الضوء على أهم الخيرات التي كانت تنتجها الأراضي المقدسة خلال فترة الحروب الصليبية. ولعل من أهم هذه المصادر كتاب «رحلة الحاج دانيال الروسي إلى الأراضي المقدسة»<sup>(٦١)</sup>: «Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy Land» وتكمن أهمية رحلة الحاج دانيال الروسي في أنه قام بزيارة الأراضي المقدسة في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠٦ - ١١٠٧م / ٥٠٠ - ٥٠١هـ أي في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة. وقد زودنا دانيال بمعلومات قيمة عن أهم المزروعات والحبوب، فقد ذكر أن نابلس وخاصة زراعة الأشجار المثمرة والخضروات والحبوب، فقد ذكر أن نابلس والخليل كانتا تشتهران بزراعة القمح، كذلك أشار إلى شهرة الخليل بزراعة الخضروات، ووصفها بأنها كانت الأكبر حجماً من جميع الخضروات التي تزرع في الأراضي المقدسة. وتعرض دانيال أيضاً إلى ذكر الينابيع والآبار التي كانت تشتهر بها فلسطين، كما أشار إلى اهتمام سكان الخليل بتربية قطعان الماعز والأغنام والماشية، كما زودنا بمعلومات عن أهم الصناعات التي كانت سائدة في الأراضي المقدسة أثناء زيارته لها، وخاصة صناعة استخراج زيت الزيتون والنبذ، كما ذكر أن بيت المقدس كانت تحصل على جميع احتياجاتها من مدينة نابلس. وعلى العموم فقد أفادنا دانيال بمعلومات هامة عن الحياة الاقتصادية في الأراضي المقدسة أثناء خضوعها للحكم الصليبي. ومن النقاط الهامة في رحلة دانيال أنه أشار إلى المعاملة الطيبة التي يلقاها المسيحيون الشرقيون من ملك بيت المقدس. وعندما يتحدث دانيال عن مثل هذا الموضوع، فإنه يشير إلى ما حدث معه بالفعل حيث استقبله الملك بلدوين الأول بالترحاب، كما استقبل رهبان دير القديس سابا الأرثوذكسي وعاملهم معاملة حعام.

ويعد كتاب بورشارد من دير جبل صهيون<sup>(٦٢)</sup> Burchard of Mount Sion المعروف باسم «وصف الأرض المقدسة A Description of the Holy Land» من أهم كتب الرحلات وأهمها بالنسبة لموضوع الدراسة. وقد أشار بورشارد إلى سكان الأراضي المقدسة وطوائفهم ومللهم، وأفاض في ذلك كثيراً، كما تحدث عن الأشجار المثمرة والحبوب والخضروات التي اشتهرت بها المنطقة خلال فترة الحروب الصليبية. وأمدنا بمعلومات هامة عن أهم الصناعات



التي كانت تعتمد على المنتجات الزراعية ، فذكر صناعة السكر ، وشرح المراحل التي تمر بها ، كما تعرض لذكر صناعة الصابون وصناعة النبيذ ، وحدد أهم الأماكن التي كانت تعتنى بمثل هذه الصناعات .

وانفرد بورشارد عن غيره من الرحالة الذين زاروا المنطقة بذكر طواحين السكر التي أقامها الصليبيون في الأراضي المقدسة في بداية الحكم الصليبي لهذه البلاد ، كما انفرد أيضاً بالإشارة إلى البدو والتركمان ، الذين كانوا يعيشون على تربية الماشية والماعز ، وأضاف أن حياة هؤلاء كانت غير مستقرة ، بسبب ترحالهم المستمر بحثاً عن المراعي والماء . ويبدو أنه شاهد البدو والتركمان وتحدث معهم ، وقد اتضح ذلك من خلال وصفه لشجاعتهم وملابسهم وأسلحتهم .

ويبدو أن بورشارد كان على دراية تامة بعادات الشعوب التي تعيش في الأراضي المقدسة ، فقد أشار إلى أن المسيحيين يشربون النبيذ ، بينما المسلمون لا يشربونه ، وذكر أن قلة من المسلمين يشربونه سراً . إلى جانب ذلك تعرض إلى ذكر الينابيع والآبار التي اشتهرت بها الأراضي المقدسة . الأمر الذي ساعدنا في فهم بعض جوانب الحياة الاقتصادية في الأراضي المقدسة .

وحقيقة فإن ما كتبه بورشارد من دير جبل صهيون عن فلسطين في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري ، يعتبر أفضل ما كتب خلال تلك الفترة . ولهذا فإننا نعتبر رحلته في الشرق من الرحلات الهامة ، التي ألقت الضوء على كثير من الجوانب الهامة في موضوع الدراسة . ولذلك فلا غنى للباحث في تاريخ وحضارة بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية من الرجوع إلى كتاب « وصف الأرض المقدسة » لبورشارد من دير جبل صهيون .

وإلى جانب الوثائق والمصادر الأوروبية سابقة الذكر ، هناك العديد من المصادر الأخرى التي أفدنا منها أثناء الدراسة ، فعلى وجه الخصوص لا الحصر اعتمدنا على كتاب تاريخ الفرنجة الذين استولوا على بيت المقدس « Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem » لرايموند داجيل<sup>(٦٣)</sup> Raimond d'Agiles ، وكتاب أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum ليتدودوس ابرفياتس<sup>(٦٤)</sup> Tudebodus Abbrviatus وكتاب تاريخ بيت المقدس Historia Iherosolimitana لروبرت الراهب<sup>(٦٥)</sup> Robert le Moine وكتاب زبدة التاريخ Flowers History لروجر وندوفر<sup>(٦٦)</sup> Roger of Wendover . وقد اعتمدنا أيضاً على كتاب رحلة الحاج



ثيودريش ووصفه للأماكن المقدسة (Theoderich's description of the holy Places) (٦٧).

وعلاوة على المصادر الأجنبية المعاصرة لفترة الحروب الصليبية، اعتمدنا على العديد من المصادر العربية المطبوعة منها والخطية، المعاصرة للأحداث والمتأخرة عنها زمنياً. وعلى الرغم من أن هذه المصادر لم تشر إلى الإقطاعات والمستوطنات الكنسية إلا أنها زودتنا بمعلومات وأحداث هامة جداً تتصل بموضوع الدراسة اتصالاً وثيقاً خاصة ما كتبه الرحالة والجغرافيون المسلمون، عن موارد الأراضي المقدسة، وعن عادات وتقاليد سكانها، فضلاً عن قيامهم بإعطاء وصف كامل لكثير من المواقع، الأمر الذي أفادنا في تحقيق أسماء بعض الأماكن التي ورد ذكرها في موضوع الدراسة. أما المصادر التاريخية العربية فقد زودتنا بكثير من المعلومات الهامة، التي غطت جوانب كثيرة في موضوع البحث. ولعل أهم النقاط التي استقيناها من المصادر العربية ما يتعلق بحركة الجهاد الإسلامية ضد مملكة بيت المقدس الصليبية بما فيها الإقطاعات الكنسية، التي كانت تتأثر سلبياً بهجوم المسلمين، الذين دأبوا على مواصلة الغارات ضد الغاصبين. ومثل هذه الغارات كانت تحرك في نفوس المسلمين نوازع التخلص من الصليبيين وطردهم من البلاد. وبطبيعة الحال تمكن المسلمون في نهاية المطاف من القضاء على الحركة الصليبية قضاء مبرماً، ولا زال الأمل كبير في اتحاد المسلمين من أجل القضاء على الحركة الصهيونية، وتطهير فلسطين من الأيدي الآثمة، استجابة لنداء سكان الأراضي المقدسة، وانتفاضتهم المشروعة التي طرقت مسامع سكان العالم أجمع، الذي وقف مع أبناء الشعب الصامد على أرضه. واعتقاداً منا بتمائل أحداث التاريخ، فلا بد أن ينتصر الشعب المسلم ويحرر أرضه المقدسة من غاصبيها، كما طرد المسلمون السابقون شرادم الصليبيين من البلاد.

ومهما يكن من أمر فقد أمدنا المؤرخون المسلمون بمادة دسمة غطت بعض جوانب هذه الدراسة، فعلي سبيل المثال زودنا أحد الكتاب المسلمين بمعلومات هامة عن عادات وطباع الصليبيين الأمر الذي ربما يساعد في القضاء عليهم. وعلاوة على ذلك أشار كثير من المؤرخين المسلمين إلى معاهدات الصلح التي كانت تعقد بين الصليبيين والمسلمين بين فترة وأخرى، ولعل مثل هذه الأمور تلقي الضوء على الدبلوماسية الإسلامية والصليبية خلال فترة الحروب الصليبية. ومن المرجح أن مثل هذه المعاهدات كانت تؤثر تأثيراً إيجابياً على الإقطاعات والمستوطنات الكنسية؛ إذ سيتفرغ سكانها إلى تدبير أمور حياتهم وزراعة الأراضي التي يعملون بها، الأمر الذي سينعش رجال الدين اللاتين، ويسمح لهم بجباية الضرائب المقررة على كافة سكان الإقطاعات الكنسية.



وإلى جانب ما سبق ذكره أفادنا المؤرخون المسلمون بمعلومات هامة تشير إلى كيفية انحسار الإقطاعات الكنسية اللاتينية، والقضاء عليها قضاء مبرماً. وفي اعتقادنا أنه لا غنى للباحثين في تاريخ الحروب الصليبية عن الرجوع إلى المصادر الإسلامية؛ لأنها أشارت إلى كثير من الأحداث التي لم ترد عند المؤرخين الصليبيين.

وعلى الرغم من أهمية الكتب الإسلامية في دراسة الحروب الصليبية بصورة عامة، ودراسة الإقطاعات الكنسية بصورة خاصة، إلا أن هناك بعض الملاحظات الهامة عن هذه المصادر، أولها أن المؤرخين المسلمين اتبعوا في كتاباتهم طريقة السرد الحولي، أي ذكر الأحداث التاريخية عام بعام، هذا بالإضافة إلى أن معظم المصادر الإسلامية تكاد تكون صورة طبق الأصل لبعضها بعضاً، تمثيلاً مع ما درج عليه المؤرخون المسلمون في النقل عن سابقيهم وبشكل حرفي في بعض الأحيان. ومثل هذه الأمور لا تقلل من شأن المؤرخين المسلمين، الذين أكملوا ما أغفله المؤرخون الصليبيون، وسدوا بعض الثغرات التي ظهرت في المصادر الأوروبية. وقد اعتمدنا على الكثير من المؤرخين والجغرافيين والرحالة المسلمين في موضوع دراستنا، وسوف نقوم بإجراء دراسة تحليلية نقدية لأهم المصادر التي أفدنا منها في تغطية بعض جوانب هذه الدراسة.

يعد كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » للمقدسي البشاري الذي عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي<sup>(٦٨)</sup> من أهم الكتب الجغرافية التي اعتمدت عليها في كثير من الجوانب المتعلقة بموضوع الدراسة، فقد أفدت من الكتاب في تحقيق بعض أسماء المواقع والأماكن والتعرف بها. كذلك استقيننا من الكتاب معلومات هامة عن أهم العادات والتقاليد التي كانت سائدة في الأراضي المقدسة قبيل استيلاء الصليبيين عليها، كذلك زدنا الكتاب بمعلومات قيمة عن أهم المزروعات والصناعات التي كانت قائمة في الأراضي المقدسة خلال فترة الحكم الإسلامي. وقد انفرد المقدسي البشاري دون غيره بالإشارة إلى اعتناق قسم كبير من سكان فلسطين للمذهب الشيعي، وخاصة في مدن طبرية والقدس وعمان ونابلس<sup>(٦٩)</sup>. وليس من شك في أن ما كتبه المقدسي عن عادات وتقاليد سكان فلسطين قد أفاد موضوع الدراسة كثيراً؛ إذ ألقى الضوء على بعض مظاهر الحياة الاجتماعية في الأراضي المقدسة، قبيل قيام الحركة الصليبية، هذا إلى جانب أن المقدسي كان دقيقاً في كتابته، ويدون ما كان يراه ويشاهده. فجاءت كتابته صادقة معبرة، أفادت بعض جوانب هذه الدراسة. وعلى الرغم من أن المقدسي كان يعيش في فترة سابقة على قيام الحروب الصليبية، إلا أن ما كتبه عن مزروعات وصناعات الأراضي المقدسة،



وعن العادات والتقاليد التي اشتهر بها سكانها، تعتبر مادة هامة للباحثين في مجال التاريخ والجغرافية والزراعة؛ وذلك لأن الأوضاع الحضارية في أي بلد من البلاد لا يمكن تغييرها خلال فترة وجيزة، وإنما تحتاج إلى فترات طويلة جداً، حتى يتم التغيير.

ومن المصادر الهامة التي اعتمدنا عليها كتاب «تاريخ دمشق» لابن القلانسي الذي عاش في القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري من الكتب القيمة التي تعالج فترة هامة في تاريخ بلاد الشام بصفة عامة ودمشق بصفة خاصة، وإن كان ابن القلانسي قد اهتم بالحديث عن مدينة دمشق منذ انسياب السلاجقة وحتى وفاته<sup>(٧٠)</sup>. إلا أنه زودنا بمعلومات هامة عن نظام الإقطاع الإسلامي في العصر السلجوقي، وعن واجبات صاحب الإقطاع وعن الأعمال التي كان يقوم بها. وقد ذكر ابن القلانسي أن صاحب إقطاع حلب أولى إهتمامه وعنايته بأمور الرعيه فقام بإصلاح أحوالهم وإنصافهم، وبسط العدل بينهم، والعمل على نشر الأمن والهدوء في الإقطاع عن طريق إستئصال شأفه للصوص وقطاع الطرق، الأمر الذي أدى إلى إستقرار أحوال البلاد، وتمتع سكانها بالأمن والهدوء، فأصبحت طرق القوافل التجارية آمنة، وزاد عدد التجار الوافدين إلى حلب بالبضائع من كافة الجهات والأقطار، دون خوف أو وجل من عمليات السلب والنهب<sup>(٧١)</sup>.

وقد زودنا ابن القلانسي بمعلومات هامة عن بداية توحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين واشتراك قوات الموصل ودمشق في مهاجمة مملكة بيت المقدس الصليبية، حيث لم يبق بين عكا والقدس ضيعة عامرة<sup>(٧٢)</sup>. وقد أفدنا من هذه المعلومة عند حديثنا عن التأثيرات السلبية على الإقطاعات الكنسية، وعلى العموم فالكتاب لا غنى عنه للباحثين في تاريخ الدولة السلجوقية وتاريخ الحروب الصليبية. ولعل ذلك يرجع لكون مؤلفه كان معاصراً للأحداث وشاهد عيان، إضافة إلى أنه كان دقيقاً وموضوعياً في كل ما تطرق إليه من أحداث.

ومن الكتب القيمة التي اعتمدنا عليها وأفادت البحث في بعض الجوانب الهامة، كتاب رحلة ابن جبير المعروف باسم «تذكرة بالإخبار عن اتفاقات الأسفار» للرحالة الأندلسي محمد بن أحمد المعروف بابن جبير. وتناول ابن جبير في كتابه بعض الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العالم الإسلامي خلال فترة الصراع الإسلامي الصليبي. وزودنا ابن جبير<sup>(٧٣)</sup> بمعلومات هامة ودقيقة عن بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة عند الصليبيين في بلاد الشام قبيل معركة حطين، إذ وصف عملية اختلاط الرجال والنساء عند حضوره إحدى حفلات الزفاف في مدينة صور<sup>(٧٤)</sup>. وذكر ابن



جبير في كتابه أن القوافل التجارية كانت تعبر إلى بلاد المسلمين، ثم إلى البلاد الخاضعة للسيطرة الصليبية، كما أشار إلى العلاقات التجارية بين المسلمين والصليبيين<sup>(٧٥)</sup>. وتكمن أهمية كتاب ابن جبير في أنه كان يصف كل ما شاهده وصفاً دقيقاً كشاهد عيان، وأحد الأعلام المشهود لهم بالدقة والأصالة، فضلاً عن روعة أسلوبه وسلامة بيانه. وترجع أهمية كتاب ابن جبير بالنسبة لموضوع الدراسة في أنه أمدنا بمعلومات دقيقة عما كان يتعرض له الصليبيون بمن فيهم رجال الدين اللاتين من أعمال القتل والسلب والنهب والتخريب على يد القوات الإسلامية. فقد أشار ابن جبير إلى قيام السلطان صلاح الدين باجتياح نابلس، حيث أنزل الخراب والدمار بكل ما مر به، الأمر الذي دفع بعض سكانها من الصليبيين إلى اللجوء إلى قلعة المدينة، بينما هرب البعض الآخر إلى الشعاب والأودية. وحاز السلطان صلاح الدين على غنائم وأسلاب كثيرة، وأشار ابن جبير إلى ذلك بقوله: «وامتلأت أيدي المسلمين سبياً لا يحصى عدده من الإفرنج»<sup>(٧٦)</sup> ولعل حديث ابن جبير عن الهجوم الذي تعرضت له إقطاعية نابلس عام ١١٨٤م / ٥٨٠هـ يكشف الستار عن أن الغارات الإسلامية كانت تؤثر تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية وعلى سكانها من الصليبيين. وعلى الرغم من أن ابن جبير لم يمكث إلا فترة وجيزة في بلاد الشام وفلسطين، إلا أنه زودنا بمعلومات قيمة عن الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في بلاد الشام وفلسطين أثناء فترة الحروب الصليبية، ولذلك لا غنى للباحث في هذا المجال عن كتاب ابن جبير، باعتبار مؤلفه كان معاصراً للأحداث التي شهدتها بلاد الشام وفلسطين قبيل قيام معركة حطين بثلاث سنوات.

ولعل ما زودنا به ابن جبير من معلومات قيمة، غطت بعض الجوانب الهامة في موضوع الدراسة، يلقي الضوء على أهمية كتب الرحلات والكتب الجغرافية، في دراسة التاريخ لأنها تعطي وصفاً دقيقاً للأحداث، الأمر الذي يسهل المشاق والصعوبات التي قد تعترض الكتابة التاريخية. ونظراً لأهمية مثل هذه الكتب اعتبرها العلماء والمتخصصون من العوامل المساعدة لدراسة التاريخ، وقد اتضحت أهمية وفائدة كتب الرحلات والكتب الجغرافية من خلال المعلومات القيمة الدقيقة التي استقينها من كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» للمقدسي البشاري، وكتاب «المسالك والممالك» للاصطخري، وكتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ، وكتاب «نخبة الدهر في عجائب البر والبحر» للأنصاري الدمشقي المعروف بشيخ الربوة، وكتاب «وصف الأراضي المقدسة» لبورشارد من دير جبل صهيون، وكتاب «وصف الأرض المقدسة» للحاج اليوناني يوانس فوقاس وغيرهم. الأمر الذي يعطي انطباعاً عاماً على ما تقدمه مثل هذه النوعية من الكتب، من معلومات هامة



ودقيقة للمؤرخين المتخصصين في دراسة مختلف فروع التاريخ .

ومن المصادر العربية الهامة التي أفدت منها في هذه الدراسة كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨م)<sup>(٧٧)</sup> ، وتكمن أهمية كتاب الاعتبار في أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث ، هذا إلى جانب أن كل ما تعرض له وتحدث عنه ، كان خلاصة تجاربه ومشاهداته في البلاد التي قام بزيارتها . وقد ساعده على ذلك أنه كان على علاقات طيبة بكبار الشخصيات الصليبية والإسلامية المعروفة وقتذاك والأمر الهام في كتاب أسامة أنه أمدنا بمعلومات قيمة عن بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة بين الصليبيين في الأراضي المقدسة ، كما أنه أمدنا بمعلومات قيمة عن المحاكمات الصليبية التي جرت في الأراضي المقدسة ، والتي تعتمد على العرف والتقاليد البالية ، وخاصة تلك المحاكمات التي تتم عن طريق الاحتكام إلى السيف ، أو ما يعرف بالمحاكمة عن طريق المبارزة ، فضلاً عن المحاكمة عن طريق الماء . كذلك أمدنا أسامة بمعلومات تفيد باستخدام الصليبيين للحمامات العامة ، الأمر الذي يفيد بأنهم تأثروا بالمسلمين فيما يتعلق بهذه العادة ، على الرغم من أنهم كانوا يستحمون عراة ، وهم في ذلك يختلفون عن المسلمين ، الذين كانوا يضعون المئزر على وسطهم من أجل تغطية عوراتهم . كذلك وافانا أسامة بمعلومات دقيقة عما يجري في الحمامات العامة من عادات ، وخاصة فيما يتعلق بالحلاق الذي كان يقوم بإزالة الشعر الزائد عن أجسامهم وأجسام زوجاتهم وبناتهم . وإلى جانب ذلك أشار أسامة إلى العلاقة العدائية بين السكان المسلمين والصليبيين ، وخاصة من خلال حديثه عن المرأة المسلمة التي كانت تتعاون مع ابنها على قتل الحجاج الصليبيين . وهذا يشير إلى نوع من المقاومة الفردية التي كان يقوم بها المسلمون ضد الصليبيين . وبناء على ما ورد في كتاب الاعتبار من معلومات قيمة ، وتفصيلات هامة عن بعض جوانب الحياة في الأراضي المقدسة بصفة خاصة وبلاد الشام بصفة عامة خلال فترة الحروب الصليبية ، فإنه يمكننا القول إنه كتاب جامع ، لا غنى عنه للباحث في هذا المجال .

ويعد كتاب «الفتح القسي في الفتح القدسي» للعماد الكاتب الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١م) من الكتب التاريخية الهامة لدراسة تاريخ الحروب الصليبية في بعض مراحلها . باعتبار أن مؤلفه كان معاصراً للأحداث ، كما أنه كان مقرباً من السلطان صلاح الدين الأيوبي . وقد تتبع العماد الأصفهاني في هذا الكتاب نشاط صلاح الدين الأيوبي وجهوده الرامية إلى طرد الصليبيين من الأراضي المقدسة . والكتاب يتعرض لدراسة الفترة الواقعة بين عامي ٥٨٣-٥٨٩هـ / ١١٨٧-١١٩٣م ، أي أنه يتعرض لذكر معركة حطين وما صاحب ذلك من قيام السلطان صلاح الدين الأيوبي باسترداد المدن الإسلامية



من الصليبيين وطردهم منها . ويمتاز أسلوب العماد الأصفهاني أنه فيه تكلف وسجع ومحسنات بديعية ولفظية كثيرة ، ربما تصرف القارئ عن المعنى . أما فيما يتعلق بأهمية الكتاب بالنسبة لموضوع البحث ، فقد زودنا بمعلومات وافية وهامة عن جهود السلطان صلاح الدين الأيوبي في محاربة الصليبيين واسترداد البلاد الإسلامية من الصليبيين ، كما أنه أشار إشارات عابرة إلى ما آلت إليه أملاك الصليبيين في الأراضي المقدسة ، وخاصة فيما يتعلق بالكنائس والأديرة ومنازل رجال الدين اللاتين . فقد أشار إلى قيام المسلمين بتحويل كنيسة القديسة حنة في بيت المقدس إلى مدرسة ، كما ذكر أن دار البطريرك حولت إلى رباط<sup>(٧٨)</sup> ، وذكر أيضاً أن حسام الدين لاجين قام بتحويل كنيسة سبسطية إلى مسجد ، بعد أن وضع فيه منبراً<sup>(٧٩)</sup> . وإلى جانب ذلك زودنا بمعلومات هامة عن حصار الصليبيين لمدينة عكا ، ثم عن قيامهم بالاستيلاء عليها . وتعرض العماد الأصفهاني إلى ذكر اتفاق الرملة بين صلاح الدين الأيوبي ورتشارد قلب الأسد ، كما ذكر المفاوضات التي سبقت الصلح . وعلى الرغم من أن العماد اتفق مع بقية المؤرخين فيما يتعلق ببنود اتفاق الرملة ، إلا أنه اختلف معهم في نقطة هامة ، ألا وهي مدنة الهدنة ، فقد ذكر العماد أن الطرفين اتفقا على أن تكون مدة الهدنة ثلاث سنوات وثمانية أشهر<sup>(٨٠)</sup> ، بينما أشار معظم المؤرخين إلى أن مدة الهدنة كانت ثلاث سنوات وثلاث اشارة معظم المؤرخين الى ان مدة الهدنة كانت ثلاث سنوات وثلاثة أشهر<sup>(٨١)</sup> . وعلى العموم فالكتاب من الكتب الهامة في دراسة تاريخ الحروب الصليبية في بعض مراحلها ، ولعل أهميته تكمن في أن المؤلف كان معاصراً للأحداث وشاهد عيان ، هذا إلى جانب أنه كان يتعرض للحوادث بالتفصيل .

ومن الكتب الهامة التي اعتمدت عليها في بعض جوانب هذه الدراسة كتاب «النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية» لبهاء الدين بن شداد (ت ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)<sup>(٨٢)</sup> . وقد تضمن سيرة السلطان صلاح الدين الأيوبي ، ويعتبر الكتاب من الكتب الهامة التي استقيت منها بعض المعلومات التي أفادت موضوع الدراسة في بعض النقاط . وتكمن أهمية النوادر السلطانية في أن مؤلفه كان معاصراً لأحداث وشاهد عيان لمعظم ما دونه في هذا الكتاب ، فجاءت كتابته دقيقة وصادقة . وامتاز ابن شداد بأسلوبه السهل وعرضه السلس الممتع .

ويعد كتاب «مرآة الزمان في تاريخ الأعيان» لسبط بن الجوزي (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م)<sup>(٨٣)</sup> ويمتاز سبط بن الجوزي بغزارة العلم والتحري عن الأخبار والأحداث التي كان يدونها في تاريخه<sup>(٨٤)</sup> ، وقد اعتمد



على عدد من المؤرخين من أمثال جده عبد الرحمن ابن محمد صاحب كتاب «المنتظم» وابن القلانسي وابن الأثير وغيرهم . وعاصر سبط بن الجوزي أهم الأحداث التي شهدتها العالم الإسلامي خلال الفترة الواقعة بين عامي ٥٨٢-٦٥٤هـ / ١١٨٦-١٢٥٦م ، إذ أنه عاصر أحداث ثلاث حملات صليبية ، الحملة الخامسة والحملة السادسة (حملة الإمبراطور فريدريك الثاني) وحملة الملك لويس التاسع على مصر والشام . وقد أفدت من سبط بن الجوزي في عدة نقاط لعل أهمها التحالف الصليبي الأيوبي ضد الصالح نجم الدين أيوب وجموع الخوارزمية ، وما ترتب على ذلك من حدوث معركة غزة في السابع عشر من أكتوبر عام ١٢٤٤م / الثالث عشر من جمادي الأولى عام ٦٤٢هـ . وذكر سبط بن الجوزي أن الدوائر دارت على القوات الأيوبية المتحالفة مع الصليبيين ؛ إذ قتل في المعركة أعداد كبيرة من الصليبيين والأيوبيين المتحالفين معهم<sup>(٨٥)</sup> . وقد اتفق سبط بن الجوزي في هذه النقطة مع ما ذكره تاريخ هرقل .

وعلى العموم فكتاب سبط بن الجوزي من الكتب التاريخية الهامة لدراسة فترات طويلة من أحداث التاريخ . ويعتبر كتاب مرآة الزمان من الكتب الموسوعية التي لم تختص بفترة معينة ، بل منذ الخليفة وحتى وفاة مؤلف الكتاب .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة النقدية التحليلية لأهم مصادر البحث الأجنبية والإسلامية ، إنما الهدف منها إلقاء الضوء على أهمية بعض مصادر الحركة الصليبية من وجهة النظر الإسلامية والأجنبية ، هذا إلى جانب تقويم المعلومات التي أوردها المؤرخون عن موضوع الدراسة سلباً أو إيجاباً ، والإشارة إلى من انفرد منهم بذكر بعض الأحداث المتعلقة بموضوع الدراسة ، دون أن ترد عند غيره من المؤرخين المعاصرين للحركة الصليبية والمتأخرين أيضاً بعض الشيء .

## هوامش الدراسة التحليلية النقدية

- 1) Brehier, Louis, « L'Eglise et l'Orient au moyen age "Les Croisades" Paris 1928.
- 2) Ibid., pp. 92 – 93.
- 3) Hamilton, B., « The Latin Church in the Crusader States, London 1980.
- 4) Le Cartulaire du chapitre du Saint- Sepulcre de Jerusalem, Publie Par Geneviève, Bresc- Bautier, Paris 1984. Cf. Documents Relatifs A L'Histoire des Croisades, Publies Par L'Academie des inscriptions et Belles- Lettres.
- 5) Cartulaire de l'église du Saint Sepulcre de Jerusalem, Publie les manuscrits de vatican Par M. Eugene de Rozière, Paris 1849.
- 6) Migne, Cartulaire... dans Patrologie Latine, Tomus 155, cols. 1105-1262.
- 7) Geneviève, B. B., « Acte No. 126, pp. 252- 253, de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251- 252. Migne tomus 155, Doc. No. 136, Cols. 1226- 1227, Röhrich, R., Regesta Regni Hierosolymitani, Innsbruck 1893, Doc. No. 346, p. 90.
- 8) Geneviève, B. B., « Loc. cit. de Rozière, Loc. cit. Migne. Loc. Röhrich, R., « Loc. cit.
- 9) chartes de terre Sainte provenant de l'abbaye Notre- dame de Josaphat, publie par delaborde, H. E., Paris 1880.
- 10) Chartes de l'abbaye de Notre- Dame de la Vallee de Josaphat en . Terre Sainte (1108- 1291) publie par Kohler, Ch., in R. O., L., tome VII, Paris 1899.
- 11) Strehlke, E., ed., « Tabulae ordinis Theutonici, Berlin 1869»
- 12) Ibid., Docs. Nos. 8, 18, pp. 9- 17.
- 13) Strehlke, E., Doc. No. 112, pp. 91 -94.
- 14) Röhrich, R., Regesta regni Hierosolymitana Innsbruck 1893.
- 15) ولد فوشيه بمدينة شارتر بفرنسا في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٥٨-١٠٥٩م، واشترك في الحملة الصليبية الأولى في شهر أكتوبر عام ١٠٩٦م / شوال عام ٤٨٩هـ، ضمن قوات روبرت دوق نورمانديا، وكونت فلاندر وستيفن كونت بلوا وشارتر. وكان فوشيه مرافقاً لبلدوين الأول، وأقام معه في الرها نحو عامين، ثم حضر معه إلى بيت المقدس، وبقي ملازماً له حتى وفاته عام ١١١٨م / ٥١٢هـ أما فوشيه فقد مكث في بيت المقدس حتى عام ١١٢٧م / ٥٢١هـ.
- Cf. Introduction of Fulcher of Chartres, pp. 3, 79.
- انظر أيضاً : السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية ، القاهرة ١٩٦٢م ، ص ٣٧-٤٣ - د. جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى ، ص ٧.
- 16) Fulcher of Chartres, p. 124.
- 17) Ibid. p. 208
- 18) Fulcher of Chartres. pp. 265 -266.
- 19) Ibid. p. 271.
- 20) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص ٢٨٧.
- 21) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص ١٦٦.
- 22) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة ، ص ٣٣٠-٣٣٢.



Fulcher of chartres، p. 284.

(23) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين، ص ٨.  
(24) ينتمي البرت مؤلف كتاب تاريخ بيت المقدس لمدينة اكس الألمانية وليست البروفانسية على عكس ما كان يعتقد الكتاب القدامى . وكان البرت كاهناً وأميناً لكنيسة اكس Aix، ولم تمدنا المصادر المعاصرة، ولا حتى المراجع الحديثة بأية معلومات عن اسمه بالكامل أو عن اسم أسرته . كما أن المصادر لم تشر إلى تاريخ ولادته أو وفاته. انظر : د. جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين، ص ١٠. وكتاب البرت دكس « تاريخ بيت المقدس » منشور في مجموعة الحروب الصليبية . الخاصة بالمؤرخين الغربيين.  
Cf. R. H. C. H. Occ. tome IV، pp. 265 – 713.

(25) جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين، ص ١١.  
(26) Albert d'Aix، pp. 537– 548.

(27) Historia Hierosolymitana، p. 548

(28) ولد وليم الصوري في بيت المقدس حوالي عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ، وهو ينتمي لأسرة فرنسية شاركت في الحملة الصليبية الأولى . وقد عاش وليم الصوري فترة شبابه في الشرق الإسلامي، وأتقن اللغة العربية، واليونانية واللاتينية والفرنسية. وتوجه وليم الصوري في مقتبل عمره إلى أوروبا الغربية طلباً للعلم والمعرفة وتلقى علومه في بعض المدن الفرنسية، وخاصة في باريس وشارتر وأورليان، كما ذهب إلى إيطاليا وأمضى بها بعض الوقت، وبعد أن أمضى نحو عشرين عام في أوروبا، عاد إلى الأراضي المقدسة عام ١١٦٥م / ٥٦٠هـ. وعمل وليم الصوري في خدمة الملك عموري الأول، وكان مريباً لابنه بلدوين الرابع (المجذوم) وقد عينه الملك عموري الأول رئيساً لأساقفة صور، وكاد وليم أن يصل إلى منصب بطريرك بيت المقدس، عندما اقترح رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ترشيح وليم الصوري وهرقل رئيس أساقفة قيسارية، ليم اختيار أحدهما لشغل منصب بطريرك بيت المقدس، ويبدو أن مؤامرة حدثت في مملكة بيت المقدس من أجل إبعاد وليم الصوري، والعمل على انتخاب هرقل، الذي فاز بمنصب البطريرك في أكتوبر عام ١١٨٠م/ جمادي الأولى ٥٧٨هـ. وقد أشار بعض المؤرخين إلى أن وليم الصوري لم يتقبل ذلك، وذهب إلى روما لكي يرفع الشكاوي ضد تعيين هرقل في منصب بطريرك بيت المقدس. ويقال أن هرقل خافه فأرسل له من سقاه السم وقتله في عام ١١٨٤م / ٥٨٠هـ.

Cf. Chornique d'Ernoult et de Bernard، Ed. M. L. de Mas Latrie، Paris  
"Societe de Histoire de France" 1871، pp. 83 – 86، Eracles Empereur et La  
Conquest de la Terre d'Qutremet، Cf. R. H. Occ. tome II، Paris 1859 pp.  
38– 39، 1958. Richard، J.، The Latin Kingdom of Jerusalem، Vol. I، p. 110  
Runciman، S.، Vol. 2، p. 425. Kedar، B. Z.، pp. 179–180. Edbury، P. W.،  
William of Tyre: A Historian of the Crusades and the Kingdom of Jerusalem  
(1130 – 1184) in the bulletin of the Faculty of Arts in Alexandria University  
1988، pp. 43– 52.

السيد الباز العريني : مؤرخو الحروب الصليبية، ص ١٠١-١٠٣، ١١٠-١١٣، ١٤٥-١٥٦، نظير حسان  
سعداوي : المؤرخون المعاصرون لصالح الدين، القاهرة ١٩٦٢م، ص ٤١: ٤٢.

(29) Translated by Emily Atwater Babcock and A. C. Krey، new York 1943.

والكتاب مدون باللغة اللاتينية ومنشور في مجموعة الحروب الصليبية «مجموعة المؤرخين الغربيين»  
انظر: 1: R. H. C. H. Occ. tome I، 1134.

(30) William of Tyre، Vol. I، p. 384.

(31) Ibid.، p. 385.

(32) Runciman، S.، A History of the Crusades، Vol. 2، London 1978، p. 85.

(33) Edbury، P. W.، p. 47.

(34) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.

(35) انظر الفصل الثاني والخامس من هذه الدراسة.

- 36) William of Tyre, Vol. 1. pp. 403-404 .
- 37) Ibid. , pp. 391-392 .
- 38) Ibid. , p. 483 .
- 39) William of Tyre, Vol. 2. pp. 39-40 .
- 40) Ibid. , Vol. 2. p. 375
- 41) William of Tyre, Vol. 2. pp. 261-262 .
- 42) Geneviève, B. B. , Actes Nos. 87-88, pp. 199-203
- 43) قام ماس لاتري Mas- Latrie بنشر كتاب أرنول في مجلد واحد في الجمعية التاريخية الفرنسية في باريس عام ١٨٧١ م .
- 44) Ernoul, pp. 83-84 .
- 45) Ibid, pp. 84-87 .
- 46) يعتبر أرنول من المؤرخين الذين عاشوا في مملكة بيت المقدس الصليبية، ويرجح أحد المؤرخين الحديثين أن أرنول عاش في نابلس أثناء حكم باليان الثاني أوف ابلين سيد إقطاعية نابلس . وكان أرنول سائساً لسيد الإقطاعية . ومن المرجح أنه عاش فترة طويلة في نابلس ، يمكن تحديدها بتاريخ حيازة باليان الثاني لإقطاعية نابلس وحتى هزيمة الصليبيين في معركة حطين وعودة نابلس للحكم الإسلامي . Cf. Runciman, S. , Vol.2. pp.477-478 .
- 47) Ernoul, pp. 221-229 .
- 48) Ibid, pp. 258-269 .
- 49) Ibid, pp. 292-294 .
- 50) نشر كتاب تاريخ هرقل باللغة الفرنسية القديمة في الجزء الثاني من « مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية » القسم الخاص بالمؤرخين الغربيين ، والكتاب منشور في نسختين ، الأولى جرى وضعها في المتن والثانية في الهامش تحت الحواشي مباشرة وتتفق النسختان في معظم الأحداث التي تعرض لهما كتاب تاريخ هرقل . وقام أحد رعايا الملك لويس التاسع بترجمة تاريخ وليم الصوري إلى الفرنسية القديمة ، ولكنه لم يكتف بذلك بل أضاف إليه ذيلاً سماه « تاريخ هرقل » لأن أول كلمة افتتح بها الكتاب « الإمبراطور هرقل » .
- 51) Cf. R. H. Occ. tome II, Paris 1859, pp. 1-481, Runciman, S. , Vol. 2. p. 477. Eracles, Estoire d'Eracles, pp. 7-10, 25-32, 152 .
- 52) Estoire d'Eracles, pp. 38-39, 58-60 .
- 53) Ibid. p. 60 .
- 54) ibid. p. 91-92 .
- 55) Estoire d'Eracles, pp. 427-431 .
- 56) Lois. Les Assises de Jerusalem, 2. Vols. Paris 1841-1843 .
- 57) Livre de Jean d'Ibelin, Vol. I, pp. 419-426 .
- 58) Ibid. , pp. 400-401 .
- 59) Jacques d'Ibelin. Vol. I, pp. 453-454 .
- 60) Chartes in Assises de Jerusalem, Vol. 2. pp. 477-537 .
- 61) Trans. by C. W. Willson, in P. P. T. S. Vol. IV, London 1888 .
- بدأ الحجاج الروس يفدون إلى الأراضي المقدسة منذ بداية القرن الحادي عشر الميلادي فقد زارها العديد من الحجاج قبل خضوعها للحكم الصليبي . أما دانيال فقد زارها في عام ١١٠٦-١١٠٧ م / ٥٠٠-٥٠١ هـ، وكان دانيال استقفاً لـ Suriev في عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ . وتوفي في التاسع من سبتمبر عام ١١٢٢ م / الخامس من رجب عام ٥١٦ هـ . وقد ترجمت رحلة دانيال إلى العديد من اللغات، وخاصة الألمانية والفرنسية واليونانية والروسية إلى جانب الإنجليزية .
- Cf. Willson, Introduction of Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy Land, pp. VII-XV .
- 62) كان بورشارد مواطناً ألمانياً من بلدة سترابورغ، وقد اشتغل في سلك الرهبنة، وأصبح راهباً في هيئة



الدومنيكان. وذهب بورشارد إلى الشرق في عام ١٢٣٢م / ٦٣٠هـ، وقام بزيارة سوريا ومصر وإرمينيا. ويقال إنه أمضى في دير جبل صهيون نحو عشر سنوات، ولم يعد إلى الغرب الأوروبي حتى أواخر حياته. ومن المرجح أنه توفي في الشرق، على الرغم من أن تاريخ وفاته غير معروف. وكان بورشارد بعيداً عن التعصب، تقيماً متديناً، محباً لكافة الطوائف المسيحية. ويبدو أنه كان على درجة كبيرة من التعليم، وقد أظهر ذكاءً حاداً في استيعاب جميع المعلومات التي حصل عليها.

Cf. Aubrey Stewart, Introduction of Burchard of mount Sion. pp. III-Vi

63) نشر كتاب رايونند داجيل في الجزء الثالث من مجموعة مؤرخي الحروب الصليبية «مجموعة المؤرخين الغربيين» 309-231، Paris 1866، pp. 231-309، Cf. R. H. C. H. Occ. tome III، Paris 1866، pp. 231-309. وكتاب رايونند داجيل مدون باللغة اللاتينية، ويتعرض الكتاب لأحداث الحملة الصليبية الأولى. حتى موقعة عسقلان. ولا شك في أن قدوم رايونند داجيل إلى الشرق، واتصاله بكونت تولوز واشترائه في المعارك التي دارت في الشرق. قد أضفى على كتابه أهمية خاصة. انظر: د. جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، ص ٤-٥. وقد قام الأستاذ الدكتور حسين عطية بترجمته إلى اللغة العربية.

64) Cf. R. H. C. H. Occ. tome III، Paris 1866، pp. 119-163.

65) Cf. R. H. C. H. Occ. tome III، Paris 1866، pp. 717-872.

كان روبرت راهباً في أحد أديرة ريمز بفرنسا، ثم أصبح رئيساً للدير عام ١٠٩٤م / ٤٨٧هـ، وبعد ذلك طرد من الدير بسبب صدور قرار الحرمان الكنسي ضده، انظر: د. جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين، ص ١٢.

66) Translated from the original Latin by J. A. Giles, 2 vols. London 1848.

67) Translated by Aubrey Stewart, in P. P. T. S., vol. V, London 1891.

68) المقدسي: هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري، ولد في بيت المقدس عام ٣٣٦هـ / ٩٤٦-٩٤٧م. ويعتبر المقدسي من أعظم الجغرافيين المسلمين، فقد امتاز عن سائر العلماء برصانة أسلوبه، وكثرة ملاحظاته وسعة نظره، ودقته في الكتابة، والعناية بتسجيل ما غمض من الأخبار، وقد ساعده على ذلك عمله في التجارة وكثرة تنقلاته بين مختلف الأمصار الإسلامية. وقد اعتمد المقدسي في كتابته على النقد والتمحيص، وكان يصف أحوال الأمم التي شاهدها وصفاً دقيقاً بعيداً عن المحاباة والأهواء الشخصية، كما كان على دراية تامة بعادات وتقاليدها العديد من الشعوب التي قام بزيارة بلادها. لمزيد من التفصيل عن حياة المقدسي. انظر: الزركلي: الاعلام، ج ٣. القاهرة ١٩٢٧-١٩٢٨م، ص ٨٤٧، د. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، الاسكندرية ١٩٨١م، ص ١٩١-١٩٣، د. نيقولا زيادة: الجغرافية عند العرب، بيروت ١٩٦٢م، ص ٥٠-٥١، حسني أحمد السيد حماد: الحضارة العربية، نشأتها، تطورها، آثارها، القاهرة ١٩٦٧م، ص ٧١-٧٢، عرفان سعيد الهواري: اعلام من أرض السلام، ص ٣٣٨.

69) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ليدن «مطبعة بريل» ١٩٠٦م، ص ١٦٢، ١٧٤، ١٨٠-١٨٤.

70) ابن القلانسي: هو أبو يعلي حمزة بن راشد التميمي الدمشقي، ولد عام ٤٧٢هـ / ١٠٧٩م، وقد اهتم بدراسة العلوم الدينية والآداب، وأمضى معظم حياته في ديوان الإنشاء بمدينة دمشق، وأصبح رئيساً للديوان، وكان دقيقاً وموضوعياً في كل ما تطرق له في كتابه. وليس من شك في أن رئاسته للديوان جعلته وسط أخبار الوقائع والأحداث، ومكنته من الاطلاع على الوثائق الرسمية. ولم تتعرض كتب التراجم التي تحدثت عن ابن القلانسي إلى ذكر نشاطاته وسلوكه وصفاته، كما أنها لم تذكر اسم واحد من أساتذته. وكانت أسرة ابن القلانسي من أكبر أسر دمشق وأعظمها مكانة، وقد احتفظت أسرته بمكانة مرموقة في دمشق لعدة قرون. انظر: السيد الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٩١-٩٢، السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص ١١٠، سهيل زكار: مقدمة كتاب تاريخ دمشق، ص. ل. م.

71) المصدر السابق، ص ٢٨٦-٢٩٧.

72) ابن جبير ولد في مدينة بلنسية عام ٥٤٠هـ / ١١٤٥م، ودون كتابه «تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار».



- حوالي عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م. وفي عام ٦١٤هـ / ١٢١٧م نزل بالاسكندرية وتوفي بها في يوم الجمعة الموافق التاسع والعشرين من شعبان عام ٦١٤هـ / أول سبتمبر عام ٢١٧م. انظر: د. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص ٢٢٠-٢٢١.
- (73) انظر: الرحلة، ص ٢٧٨-٢٧٩.
- (74) المصدر السابق، ص ٢٦٠-٢٦١.
- (75) ابن جبير: رحلة ابن جبير، ص ٢٧٢.
- (76) مؤيد الدولة أسامة بن مرشد بن علي الشيزري، ولد في السابع والعشرين من جمادي الآخر عام ٤٨٨هـ / الرابع من يولية عام ١٠٩٥م. وكان أسامة من كبار رجال بني منقذ أصحاب قلعة شيزر، وقد أقام في دمشق زمن نور الدين محمود، ثم حضر إلى القاهرة لفترة من الزمن، وبعد ذلك انتقل للإقامة في حصن كيفا. وكان من الرجال المشهورين والشعراء المبرزين، وكان له علاقات شخصية مع الصليبيين في أوقات السلم. وعندما استولى صلاح الدين الأيوبي على مدينة دمشق، استدعاه وهو شيخ قد جاوز الثمانين من عمره، وغمره بعطفه وإحسانه. وكانت وفاة أسامة في الثالث والعشرين من رمضان عام ٥٨٤هـ / الخامس عشر من نوفمبر عام ١١٨٨م في مدينة دمشق. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج١، ص ١٩٥-١٩٦، ١٩٩، اليافعي: مرآة الجنان، ج٣، ص ٤٢٧، فيليب حتي: مقدمة كتاب الاعتبار، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٨١م، ص أ-ك. ويتنسب أسامة بن منقذ إلى مدينة شيزر، وهي إحدى مدن جند حمص، ويوجد بها قلعة حصينة، وتقع في الحوض الأوسط لنهر العاصي، وهي مدينة «ذات أشجار وبساتين وفواكه كثيرة، أكثرها الرمان». وتبعد عن حماة تسعة أميال، وعن حمص ثلاثة وثلاثين ميلاً وعن أنطاكية ستة وثلاثين ميلاً. انظر: أبو الفداء: تقويم البلدان، ص ٢٦٢-٢٦٣.
- (77) العماد الكاتب الأصفهاني: هو أبو عبد الله محمد بن صفى الدين أبي الفرح محمد بن نفيس الدين، ولد في أصفهان عام ٥١٩هـ / ١١٥٢م، وكان فقيهاً شافعيًا، وتفقّه بالمدرسة النظامية وعمل في خدمة نور الدين محمود بدمشق، وأشرف على ديوان الإنشاء ثم عمل في خدمة السلطان صلاح الدين الأيوبي، وأصبح كاتباً في الدولة الصلاحية. وكان القاضي الفاضل يثني عليه ويمتدحه. وقد صنف العماد العديد من الكتب أهمها كتاب «البرق الشامي» في سبعة مجلدات، وكتاب «السل على الذيل»، وكتاب «خريدة القصر وجريدة العصر»، وكتاب «نصرة الفترة وعصرة الفطرة في أخبار الدولة السلجوقية» و«خطفة البارق وعطفة الشارق» و«العتي والقصبي» وله أيضاً ديوان رسائل وديوان شعر في أربعة مجلدات. وتوفي العماد الأصفهاني في بداية شهر رمضان عام ٥٩٧هـ / الثالث الأول من شهر يونية عام ١٢٠١م، ودفن بمقابر الصوفية بدمشق. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٤٧-١٥٠، محمد محمود صبح: مقدمة كتاب الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٣٢-٣٣، انظر أيضاً: السيد الباز العريني: مؤرخو الحروب الصليبية، ص ٢٣٧-٢٣٨، د. نظير حسان سعداوي: المؤرخون المعاصرون لصلاح الدين، ص ١٩-٢٨.
- (78) الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ١٤٥.
- (79) المصدر السابق، ص ٩٥.
- (80) المصدر السابق، ص ٦٠٥-٦٠٨.
- (81) ابن واصل: مفرج الكروب، ج٢، ص ٤٠٤، أبو شامة: كتاب الروضتين، ج٢، ص ٢٠٣، الحنبلي: شفاء القلوب، ص ١٧٧.
- (82) ابن شداد: هو بهاء الدين بن رافع بن تميم بن عتبة بن محمد الأسدي المعروف بابن شداد، وكان مولده بالموصل في رمضان عام ٥٣٩هـ / مارس ١١٤٥م، ونشأ بها أيضاً في رعاية أخواله بن شداد فنسب إليهم، ولعل ذلك يرجع إلى وفاة والده المبكر. وكان بهاء الدين فقيهاً شافعيًا، تلقى علومه على يد شيوخ الموصل والبصرة، وفي صفر عام ٦٣٢هـ / نوفمبر عام ١٢٣٤م. انظر: ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٧، ص ٨٤-٩٩، انظر أيضاً: د. نظير حسان سعداوي: المرجع السابق، ص ١٤٢.
- (83) سبط بن الجوزي: هو شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزاو علي بن عبد الله البغدادي حفيد أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي: تنقل بين بغداد ودمشق ومصر، وعمل كاتباً ومدرساً بدمشق ومحدثاً بالديار المصرية، وكان حنبلياً ثم أصبح حنفياً، بعد اتصاله بالملك المعظم عيسى بن العادل سيف الدين أبو بكر. وكان سبط بن الجوزي حسن الصوت، جميل الصورة، كثير الفضائل، وضع



كتاب مرآة الزمان في عشرين مجلداً، تناول فيه أحداث التاريخ منذ الخليفة وحتى عام ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م. وقد تلقى علومه على يد العديد من العلماء والفقهاء، نذكر منهم الإمام موفق الدين أبي محمد بن عبد الله المقدسي، أحد علماء نابلس. وتوفي سبط بن الجوزي في العشرين من ذي الحجة عام ٦٥٤هـ/ التاسع من يناير عام ١٢٥٧م. ودفن بالصالحية بظاهر دمشق. انظر: اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١، الطبعة الأولى، حيدر اباد الدكن ١٩٥٤م، انظر أيضاً: د. السيد عبد العزيز سالم: التاريخ والمؤرخون العرب، ص ١٠٣. (84) المرجع السابق، نفس الصفحة. (85) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٧٤٥-٧٤٦.





## الفصل الأول

نظام الإقطاع الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية

- ١- الصليبيون يرسون قواعد النظام الإقطاعي الأوروبي في الأراضي المقدسة .
- ٢- تقسيم مملكة بيت المقدس إلى إقطاعيات .
- ٣- علاقة الملك الصليبي بكبار السادة الإقطاعيين .
- ٤- التغييرات المستمرة في الأسر الإقطاعية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة .
- ٥- الخدمات الحربية التي كان يقدمها الأتباع لملك بيت المقدس .
- ٦- النظام القضائي الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية .





## الفصل الأول

### نظام الإقطاع الصليبي في مملكة بيت المقدس الصليبية

استولى الصليبيون على بيت المقدس يوم الجمعة الموافق الخامس عشر من يولية عام ١٠٩٩ م/ الثالث والعشرين من شعبان عام ٤٩٢ هـ<sup>(١)</sup>، وبعد ذلك بيومين عقدوا اجتماعاً يوم الأحد الموافق السابع عشر من يولية ١٠٩٩ م/ الخامس والعشرين من شعبان عام ٤٩٢ هـ لاختيار حاكم للمدينة المقدسة<sup>(٢)</sup>. وبدا الخلاف واضحاً بين رجال الدين والعلمانيين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى، حول اختيار حاكم صليبي للدولة الجديدة المزمع تأسيسها في بيت المقدس. وقد احتدمت المناقشات واشتد الجدل بين رجال الدين والعلمانيين دون التوصل إلى نتيجة ترضى الطرفين<sup>(٣)</sup>. وفي نهاية الأمر اتفق الصليبيون على اختيار أحد أمراء الحملة الصليبية الأولى وهو الدوق جودفري البويوني Godfrey of Bouillon<sup>(٤)</sup> الذي انتخب حاكماً على بيت المقدس يوم الجمعة الموافق الثاني والعشرين من يولية عام ١٠٩٩ م/ أول رمضان عام ٤٩٢ هـ، أي بعد الاستيلاء على المدينة المقدسة بثمانية أيام، ولكن الدوق جودفري رفض أن يتوج ملكاً في المدينة التي عذب فيها المسيح عليه السلام<sup>(٥)</sup>، بينما وافق أن يكون باروناً وحامياً للقبر المقدس<sup>(٦)</sup>. وهكذا تمت عملية انتخاب جودفري كأول حاكم صليبي على بيت المقدس<sup>(٧)</sup>، وبعد مناقشات ومجادلات حامية الوطيس بين رجال الدين والعلمانيين.

وشرع الأمير جودفري في وضع نظام إقطاعي صليبي على غرار ما كان سائداً في أوروبا الغربية من نظم إقطاعية، من أجل الدفاع عن فلسطين وتنظيم الوجود الصليبي فيها<sup>(٨)</sup>، وخاصة أن هذه المنطقة تقع في محيط إسلامي، علاوة على ما يقيم بها من المسلمين، الذين يتحفزون للانقضاض على الصليبيين وإخراجهم من البلاد. وقد أصبح جودفري حائزاً لجميع الأراضي التي استولى عليها الصليبيون في فلسطين إذ كان الملك الصليبي يملك جميع الأراضي التي تخضع للسيطرة الصليبية في الأراضي المقدسة، لكنه لم يكن يحتفظ لنفسه إلا بمساحة معينة، هي كل ما يمثل ثروته العقارية<sup>(٩)</sup>. أما بقية الأرض فإن الملك كان يمنحها على شكل إقطاعيات لطبقة النبلاء من أمثال كبار البارونات وقادة الجيش الصليبي الذين كانوا يشكلون بلاطه<sup>(١٠)</sup>، فضلاً عن أنهم كانوا يضارعون الملك بما كان لديهم من كبار الموظفين<sup>(١١)</sup>.



وقد سهلت طبيعة التركيبات الاجتماعية في بلاد الشام وفلسطين ، عملية تطبيق نظام الإقطاع الصليبي <sup>(١٢)</sup> ، إذ شهدت هذه البلاد تطبيق نظام الإقطاع الحربي على يد الأتراك السلاجقة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري / النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي ، أي قبيل قدوم الصليبيين إلى بلاد الشام مباشرة . ولذلك فقد أصبح من السهل أن يحل الفارس الصليبي محل سلفه الفارس التركي دون أن يحدث اضطراباً خطيراً في أوضاع البلاد <sup>(١٣)</sup> . وبطبيعة الحال لم يجد الصليبيون صعوبات كبيرة في تطبيق ما عرفوه من نظم إقطاعية في أوروبا في البلاد التي خضعت لسيطرتهم في الشرق الإسلامي ؛ لأن السكان كانوا قد اعتادوا على مثل هذا النظام زمن الأتراك السلاجقة وحكمهم لبلاد الشام ، علاوة على أن الصليبيين حرصوا على أن يكون النظام الإقطاعي ملائماً لطبيعة التركيبات السكانية في بلاد الشام .

وكانت بعض الممارسات والشروط في الإمارات الصليبية التي أقامها الصليبيون في بلاد الشام وفلسطين . تختلف عما كان سائداً في أوروبا من نظم إقطاعية <sup>(١٤)</sup> . ففي الوقت الذي تلا استيلاء الصليبيين على الأراضي المقدسة ، كان المزارعون أحراراً في جانب كبير منهم ، وهنا نتحدث عن المسلمين بصفة عامة ، وعن بقية الطوائف التي كانت تعيش في كنف المسلمين ، وتحظى برعايتهم ، وبطبيعة الحال فإن لجوء ملوك بيت المقدس إلى توزيع الأراضي ومنحها إل كبار الأمراء والفرسان وظهور الإمارات والإقطاعات الصليبية ، وقد وضع المزارعين المسلمين في حالة خضوع لأحد السادة الإقطاعيين في المملكة . وكان المزارعون في أغلب الحالات يفقدون على الأقل ملكية الأرض ، وينتقلون من صفة ملاك للأرض إلى مزارعين مستأجرين للأرض الزراعية ، إما بصفة دائمة أو على الأقل لمدة طويلة ، فهم في هذه الحالة ليسوا من الاقنان <sup>(١٥)</sup> ، فبعد أن كانوا يملكون الأرض قبيل قدوم الصليبيين ، أصبحوا مستأجرين لها أثناء سيطرة الصليبيين على البلاد <sup>(١٦)</sup> .

وكان السيد الإقطاعي الذي يؤجر أرضه الزراعية ، يترك ثلثين أو ثلاثة أرباع عائد الأرض الإقطاعية المؤجرة للمزارع المسلم ، مقابل أن يقوم المزارع بتحمل كافة الأعمال التي تتعلق بزراعة الأرض التي استأجرها <sup>(١٧)</sup> ، أي أن السيد الإقطاعي يحصل على نسبة من عائد الأرض الزراعية دون أن يبذل أي جهد . أما مستأجر الأرض فعلى الرغم أنه كان يحصل على ثلثين أو ثلاثة أرباع عائد الأرض ، إلا أنه كان يقوم بدفع أجرة المزارعين الذين يعملون معه في الأرض ، كذلك كان عليه أن يدفع ثمن البذور التي قام بشرائها . ونظراً لقلة عدد الصليبيين في الأراضي المقدسة ، وعدم قدرتهم على توفير الأيدي العاملة ، فقد اضطروا للعمل في الأرض ومعاونة السكان المحليين من أجل



استغلال الثروات وإشباع رغباتهم الخاصة، على الرغم أنهم كانوا يحتقرون العمل في الأرض<sup>(١٨)</sup>.

وكان السيد الإقطاعي يأخذ حقوقه سلعاً وليس نقداً، فعلى سبيل المثال كانت حصته من الحبوب تجمع من الأرض المعدة لدرس الحبوب في القرية، ويرسل السادة الإقطاعيون موظفيهم للقيام بجمع الحبوب من عدد من القرى<sup>(١٩)</sup>، وكانت السلع المستحقة الدفع من المستأجرين تؤخذ إلى الـ Curia<sup>(٢٠)</sup> الخاصة بالسيد الإقطاعي<sup>(٢١)</sup> وتجدر الإشارة إلى أن المزارعين لم يكن باستطاعتهم ترك مجتمع القرية لكسب الرزق في مكان آخر، وهذا يعني تقييد حرية المزارعين المسلمين، ومنعهم من الانتقال من قرية إلى أخرى من أجل العمل وكسب الرزق<sup>(٢٢)</sup>.

وكان أصحاب الإقطاعيات وملوك الأراضي في مملكة بيت المقدس الصليبية قلقين جداً، بخصوص تطوير الزراعة في أملاكهم، ولهذا فقد شجعوا المواطنين الفرنجة على الاستقرار والاستيطان في القرى مقدمين لهم الفوائد ومتفاهمين على كل شيء فيما يتعلق بالأرض الزراعية والضرائب المفروضة عليهم، وذلك بسبب الحاجة للعمال<sup>(٢٣)</sup>. وقد أوجد ملوك بيت المقدس مؤسسات استيطانية، من أجل تطوير الزراعة، كان معظم سكانها من الفرنجة<sup>(٢٤)</sup>، الذين حضروا إلى فلسطين من أجل الاستيطان والعمل في الأراضي الجديدة Villes neuves التي كانت تذكرهم بالغرب بسبب عقود الحرية التي أعطت لهم<sup>(٢٥)</sup>. فعلى سبيل المثال أوجد الملك بلدوين الثالث منطقة استيطانية في قرية الزيت ez Zib (قرية امبرت Casal Imbert)<sup>(٢٦)</sup> عام ١١٥٣م / ٥٤٨هـ، كما قام الملك عموري بإنشاء منطقة استيطانية في الداروم (دير البلح) عام ١١٦٨م / ٥٦٣هـ<sup>(٢٧)</sup> وكان يطلب من مستوطني قرية الزيت (امبرت) أن يدفعوا سبع محصولهم فقط، وربيع انتاج حدائقهم وكرومهم، وثلثين من محصول الزيتون الذي تنتجه أراضي القرية، وإذا أرادوا أن يستعملوا فرن السيد<sup>(٢٨)</sup>، فكان عليهم أن يقدموا رغيفاً عن كل خمسين رغيفاً يخبزونها في فرن السيد. ولعل هذه الأمور توضح ماهية العلاقة بين ملاك الأرض والمزارعين الذين يعملون على زراعة أراضي السيد سواء كان هؤلاء من المسلمين أو الصليبيين.

وعلى أية حال، فقد اعتمد النظام الإقطاعي الذي طبقه الصليبيون في بلاد الشام وفلسطين، على ما كان سائداً في أوروبا من نظم إقطاعية، مع إجراء بعض التغييرات التي تتلائم مع التركيبات السكانية في البلاد<sup>(٢٩)</sup>. وهناك بعض المقومات البارزة في النظام الإقطاعي الصليبي في بلاد الشام، يمكن نسبتها بأمانة إلى الأمير جودفري البويوني أو لأحد ورثته المباشرين، مثل قانون



الخدمة العسكرية ، الذي لم يحدد الخدمة الحربية بفترة محددة من العام ، هذا بالإضافة إلى بعض الأحكام الرامية لمنع تركيز الإقطاعات بيد مفردة ، حتى تتمكن كل إقطاعية من تقديم الخدمة الحربية المطلوبة منها<sup>(٣٠)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن الإقطاعات والمنح التي قدمت للنبل كانت قليلة في بداية الاستقرار الصليبي في بلاد الشام وفلسطين ، إذ كان من الصعب ضمان ولاء الأفضال الإقطاعيين عن طريق منحهم إقطاعات كبيرة من الأراضي ، وإنما من الدخل الذي كان يقيمه النظام المالي المنظور في الشرق الأدنى ، فضلاً عن تردد الملك في خلق قوى إقطاعية متنافسة ، مما أدى إلى الحد من توزيع الإقطاعات<sup>(٣١)</sup> . وبالإضافة إلى ذلك كانت مساحة الأراضي التي استولى عليها الصليبيون لا تزال صغيرة في بداية استقرارهم في بلاد الشام . وبعد الاستيلاء على بيت المقدس بفترة وجيزة تم استدعاء جميع الفرسان وعلية القوم ليقدموا بياناً شاملاً عن أسلحتهم وإقطاعاتهم وكل ما يحصلون عليه من عائدات المدن التي خضعت للسيطرة الصليبية ، وبعد ذلك تم انتزاع يمين الولاء والتبعية من كل الفرسان وكبار رجال الدولة الصليبية في بيت المقدس<sup>(٣٢)</sup> . وعلى الرغم من ذلك كان الملك الصليبي وأتباعه الكبار والصغار ، يتعهدون بتبادل الأمانة والصدق مع بعضهم البعض ، إذ كان لكل طبقة امتيازاتها الخاصة ، يصونها الشرف وذلك هو المبدأ الجليل أو الرفيع وسط النبلاء ، ويقود الجميع لصد أي أذى أو ضرر يصيب شخصاً بمفرده<sup>(٣٣)</sup> . ولا يحق للملك أو السيد الكبير طرد حائز الإقطاع من أرضه إلا بقرار من المحكمة العليا High Court ، يدينه بسلوك بالغ السوء<sup>(٣٤)</sup> .

وكان ملوك بيت المقدس وأمرأؤها يمنحون الإقطاعات والضياح والقرى والأراضي لأتباعهم ، لكي يضمنوا لهم دخلاً يمكنهم من القيام بواجباتهم العسكرية خير قيام ، ويساعدهم على أن يحيوا حياة تتناسب مع مكانتهم في المجتمع<sup>(٣٥)</sup> . وكان الملك الصليبي يقوم بمنح الهبات والإقطاعات لكبار قادة الجيش ، حتى لو كان القائد لا يرتبط برابطة معينة من روابط النبالة أو الخضوع بصفة مسبقة<sup>(٣٦)</sup> ، بمعنى أن الملك الصليبي كان يغدق المنح والهبات على القادة والفرسان على الرغم أنهم لا يعتبرون من أتباعه . ومن هؤلاء الأمراء تانكرد Tancred<sup>(٣٧)</sup> - أحد الأمراء النورمان القادمين من إيطاليا - الذي خدم مع الأمير جودفري البويوني ، وكان ذراعه الأيمن في جميع العمليات الحربية<sup>(٣٨)</sup> فهو الذي استولى بمساعدة بوستاش البويوني Eustace of Buillon<sup>(٣٩)</sup> على نابلس دون قتال يوم الأحد الموافق الخامس والعشرين من يولية عام ١٠٩٩م / الثالث من رمضان عام ٤٩٢هـ<sup>(٤٠)</sup> . كما منحه جودفري إمارة الجليل ، قبل خضوعها للسيطرة الصليبية ، لتكون إقطاعاً كاملاً له مدى



الحياة<sup>(٤١)</sup>. ولذلك أسرع تانكرد إلى إعداد قواته التي لم يتجاوز عددها ثمانين فارساً لفرض السيطرة الصليبية على إقليم الجليل<sup>(٤٢)</sup>. وقد انطلق من نابلس صوب مدن الإقليم<sup>(٤٣)</sup>، وعندما اقترب من طبرية عاصمة الجليل، هرب سكانها من المسلمين إلى دمشق وضواحيها، فلم يجد تانكرد صعوبة في الاستيلاء عليها، ثم قام بتحسينها<sup>(٤٤)</sup>، وقبل أن يتوجه إلى الناصرة التي خضعت دون مقاومة، نظراً لأن معظم سكانها كانوا من المسيحيين، ومنها تحرك تانكرد نحو جبل طابور<sup>(٤٥)</sup>، ثم أكمل توسعته بالاستيلاء على مدينة بيسان التي قام بتحسينها<sup>(٤٦)</sup>.

ويبدو أن مبادرة الأمير جودفري بمنح إقليم الجليل للأمير تانكرد قبل فرض السيطرة الصليبية عليه، قد شجع الأخير على التحرك بسرعة من أجل الاستحواذ على الإقليم على الرغم من أن تانكرد لم يكن من أتباع جودفري، وإنما بقي إلى جانبه في الأراضي المقدسة<sup>(٤٧)</sup>. وقد ذكر وليم الصوري أن تانكرد طلب من الأمير جودفري أن يمنحه طبرية مع ولاية الجليل كاملة<sup>(٤٨)</sup>. وفي غضون عام تمكن تانكرد من فرض سيطرته على نابلس وطبرية والناصرة وبيسان وحيفا، وأصبحت هذه المدن تشكل ما يعرف باسم إمارة الجليل التي تصدرت لإمارة دمشق<sup>(٤٩)</sup>. وكانت هذه الإمارة أولى الإقطاعيات الصليبية الكبيرة التي تأسست في زمن الأمير جودفري البويوني<sup>(٥٠)</sup>.

وكان الأمير جودفري قد حصن مدينة الخليل - التي سقطت بيد الصليبيين بعد بيت المقدس بفترة وجيزة - ومنحها إقطاعاً إلى جيرارد أفسنيز Gerard of Avesnes<sup>(٥١)</sup>. كذلك وعد جودفري بمنح مدينة أرسوف لأحد أتباعه ويدعى روبرت من ابوليا Robert of Apulia على الرغم من أن أرسوف لم تكن قد خضعت للسيطرة الصليبية<sup>(٥٢)</sup>. وقد امتدت مساحة الأراضي الخاضعة لسلطة جودفري شمالاً إلى نابلس وجنوباً إلى الخليل، وباتجاه الشرق إلى الأردن والبحر الميت، وشملت بيت المقدس ويافا والقرى المحيطة بهما<sup>(٥٣)</sup>. وقام جودفري بمنح إحدى وعشرين قرية في حدود بيت المقدس إلى كنيسة القيامة<sup>(٥٤)</sup>، بينما طالبه البطريرك دايبرت البيزي Daimbert of Pisa<sup>(٥٥)</sup> بالتنازل عن مدينة بيت المقدس وقلعتها وما يحيط بهما، علاوة عن مدينة يافا والزمهم التابع لها<sup>(٥٦)</sup>. مما يفيد أن كبار الشخصيات الصليبية سواء الدينية أو العلمانية كانت تطمح في الحصول على الكثير من الأراضي والممتلكات، لدرجة أنهم كانوا يطالبون الأمير أو الملك بالتخلي عن مساحات شاسعة لصالحهم الخاص، كما فعل الأمير تانكرد والبطريرك دايبرت وغيرهم.

ويتضح من مجرى الأحداث أن جودفري البويوني قام بإرساء قواعد النظام الإقطاعي الصليبي في البلاد التي خضعت لسيطرته في الفترة الواقعة



بين عامي ١٠٩٩-١١٠٠م / ٤٩٢-٤٩٣هـ، إذ درج جودفري على توزيع معظم البلاد والأراضي التي تم الاستيلاء عليها في بلاد الشام وفلسطين، لكبار الأمراء والقادة العسكريين في دولته، أمثال الأمير تانكرد الذي حاز إمارة الجليل وجيرارد افسنيز الذي حصل على إقطاعية الخليل . وبالإضافة إلى ذلك كان الأمير جودفري كريماً مع المؤسسات الدينية في الأراضي المقدسة، إذ أغدق عليها المنح والهبات الكثيرة، ومثال ذلك المنحة الكبيرة التي قدمها لكنيسة القيامة والتي بلغت إحدى وعشرين قرية في حدود بيت المقدس .

وقد سعى الأمير تانكرد إلى توسيع حدود إمارته على حساب غيره من الأمراء الصليبيين، فعلى سبيل المثال كان الأمير جودفري قد وعد صديقه جالديمار كارنيل Galdemar Carpenel<sup>(٥٧)</sup> . بمنحه مدينة حيفا بعد الاستيلاء عليها مباشرة<sup>(٥٨)</sup>، بينما ذكر وليم الصوري أن جودفري كان قد وعد بمنح حيفا للأمير تانكرد<sup>(٥٩)</sup>، الذي ثارت ثائرتة، عندما علم بمنحها لجالديمار كارنيل، وامتنع عن المشاركة بمحاصرة المدينة<sup>(٦٠)</sup>، لأنه كان يطمح بضمها لأملكه، لكي تكون منفذاً بحرياً لإمارته . وبطبيعة الحال فإنه من غير المعقول أن يقدم الأمير جودفري على منح المدينة لأمرين في آن واحد، لأن ذلك العمل من شأنه إثارة الاضطرابات والقلق في الدولة الصليبية الناشئة، هذا بالإضافة إلى أن المؤرخ الصليبي المعاصر فوشيه الشار تري لم يتعرض إلى هذه النقطة بالمرّة، ولم يشر إلى إستيلاء الصليبيين على مدينة حيفا، واحتفاظ تانكرد بالمدينة، وعدم سماحه لبعض الرجال بدخولها لأنه كان على علاقة غير ودية مع بلدوين الأول<sup>(٦١)</sup> . وهذا يجعلنا نرجح أن وليم الصوري اعتمد في روايته على ما آلت إليه أحوال مدينة حيفا، بعد بسط السيطرة الصليبية عليها، وإلى جانب ذلك لم يكن وليم الصوري معاصراً لأحداث هذه الفترة . ولذلك فمن المرجح أن يكون الأمير جودفري البويوني قد منح حيفا لجالديمار كارنيل، طبقاً لما رواه البرت دكس باعتباره معاصراً لأحداث الحملة الصليبية الأولى . ، على الرغم من أن البرت دكس لم يكن موجوداً في الشرق، فربما سمع عن هذه القضية من بعض أصدقائه أو من الحجاج الذين كانوا يفدون إلى الأراضي المقدسة<sup>(٦٢)</sup> .

ومهما يكن من أمر، فقد ثارت ثائرة الأمير تانكرد عندما علم أن الأمير جودفري وعد بمنح حيفا لجالديمار كارنيل، وامتنع عن المشاركة بمحاصرة حيفا، غير أن البطريك دايمبرت استطاع إقناعه بمعاودة الاشتراك في حصار حيفا، وحثه على مواصلة الحرب من أجل إسقاطها . ونتيجة لاستمرار الحصار الصليبي للمدينة، تمكن الصليبيون من بسط سيطرتهم عليها في أواخر أغسطس عام ١١٠٠م / أو آخر شوال عام ٤٩٣هـ . وبعد الاستيلاء على حيفا



، قام تانكرد بضمها لإمارته حتى يرضي طموحه وآماله<sup>(٦٣)</sup> . ويبدو أنه اتفق مع البطريك على ذلك . وعندما شاهد جالديمار كاربنيل أن مجريات الأمور في غير صالحه ، لعدم قدرته على الوقوف في وجه الأمير تانكرد والبطريك دايبرت ، غادر حيفا مع مجموعة من أتباعه ، واتجه بهم صوب مدينة الخليل ، التي أقطعت له بعد ذلك<sup>(٦٤)</sup> .

ولم يحتفظ الأمير جودفري لنفسه إلا بمدينتين ، علي الرغم أنه في العرف الإقطاعي يملك جميع الأراضي ، لكنه كان يقوم بتوزيع معظم الأراضي التي تم الاستيلاء عليها ، على كبار الأمراء والفرسان<sup>(٦٥)</sup> ، فضلا عن المنح والإقطاعات التي قدمها للكنائس والأديرة . غير أن مجريات الأمور في بداية التواجد الصليبي في فلسطين ، لم تكن تجري كما يريد الأمير جودفري البويوني ، فالبطريك دايبرت يطالب ببيت المقدس ويافا وما يحيط بهما من أراضي وقرى ، كذلك قيام تانكرد بضم حيفا لإمارته دون موافقة جودفري ، يعتبر خروجاً عن التقاليد الإقطاعية ، واستغلالاً للنزعة الدينية التي يتصف بها جودفري<sup>(٦٦)</sup> . وليس من شك في أن وفاة جودفري يوم الأربعاء الموافق الثامن عشر من يولية عام ١١٠٠م / التاسع من رمضان عام ٤٩٣هـ<sup>(٦٧)</sup> ، قد دفعت الأمير تانكرد لضم مدينة حيفا لإمارته . وعلى الرغم من أن وفاة جودفري كانت قبيل استيلاء الصليبيين على حيفا ، إلا أن تانكرد كان واضعاً في حسابه ضم المدينة لإمارة الجليل ، والخروج على طاعة السيد الإقطاعي الكبير في الدولة الصليبية الناشئة . والدليل على ذلك أنه رفض الاشتراك في حصار المدينة ، عندما علم أن جودفري وعد بمنحها لجالديمار كاربنيل ، ولولا جهود البطريك دايبرت لما اشترك في الاستيلاء على المدينة .

ومها يكن من أمر ، فقد قام الأمير جودفري بوضع أساس النظام الإقطاعي الصليبي في فلسطين ، غير أن السمات البارزة لهذا النظام لم تظهر في عهده ، بسبب قصر المدة التي حكمها . وقد بدأت ملامح هذا النظام بالوضوح في عهد أخيه بلدوين ، الذي توج ملكاً على بيت المقدس يوم عيد الميلاد ، الموافق يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١١٠٠م / العشرين من صفر عام ٤٩٤هـ ، حيث قام البطريك دايبرت بوضع التاج على رأس بلدوين في كنيسة المهدي ، ليصبح أول ملوك مملكة بيت المقدس اللاتينية<sup>(٦٨)</sup> .

وعندما رحل تانكرد إلى أنطاكية عام ١١٠١م / ٤٩٤هـ<sup>(٦٩)</sup> ، قام الملك بلدوين الأول بمنح إمارة الجليل لهيو من سانت اومر Hugh of St. Omer<sup>(٧٠)</sup> ، بعد أن فصل عنها مدينتي حيفا و نابلس<sup>(٧١)</sup> ، فأعطى حيفا إلى جالديمار كاربنيل<sup>(٧٢)</sup> . أما جنوب الجليل فقد قسم إلى إقطاعات ، ربما كانت تعتمد على التاج مباشرة<sup>(٧٣)</sup> . وأغلب الظن أن الملك بلدوين الأول احتفظ بنابلس



كمقر مدينة ملكية أو إقطاعية خاصة يشرف عليها بنفسه، إذ لم تصلنا أية إشارة تفيد بمنح نابلس لأحد السادة الإقطاعيين في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠٠-١١٠٨م / ٤٩٤-٥٠٢هـ.

وخلال فترة حكم الملك بلدوين الأول (١١٠٠-١١٠٨م / ٤٩٤-٥١٢هـ)، أصبحت معالم النظام الإقطاعي الصليبي أكثر وضوحاً في مملكة بيت المقدس الصليبية، بفضل جهود الملك بلدوين الأول من أجل توطيد أركان مملكته، وجعلها في قبضة يده. وقد اتضح هذا عندما قام بتقسيم إمارة الجليل بعد رحيل تانكرد إلى أنطاكية عام ١١٠١م / ٤٩٤هـ، فقد احتفظ بجزء من الإمارة، وأقطع الباقي لبعض من أمثال هيو سانت أومر وجالديمار كاربنيل. هذا إلى جانب جهوده الحربية المتواصلة من أجل توسيع رقعة مملكته على حساب المسلمين، فقد تمكن خلال عشر سنوات من فرض سيطرته على الكثير من المدن الإسلامية، ففي التاسع والعشرين من إبريل عام ١١٠١م / الموافق يوم الإثنين السابع والعشرين من جمادي الأولى عام ٤٩٤هـ، استولى على مدينة أرسوف بالأمان وأخرج أهلها منها<sup>(٧٤)</sup>، ثم فرض سيطرته على قيسارية في السابع عشر من مايو عام ١١٠١م / السادس عشر من رجب عام ٤٩٤هـ، بعد أن ارتكب الصليبيون مذبة ضد سكان المدينة ونهبوا كل ما فيها<sup>(٧٥)</sup>. وقد واصل الملك بلدوين الأول جهوده الحربية التوسعية على حساب المسلمين، فاستولى في مايو عام ١١٠٤م / شعبان ٤٩٧هـ على عكا<sup>(٧٦)</sup>. وبعد حوالي ست سنوات على سقوط عكا استولى على بيروت في الثالث عشر من مايو عام ١١١٠م / الجمعة الحادي والعشرين من شوال عام ٥٠٣هـ<sup>(٧٧)</sup>. وقبل نهاية العام استولى على صيدا في الرابع من ديسمبر عام ١١١٠م / الموافق يوم الأحد العشرين من جمادي الأولى عام ٥٠٤هـ<sup>(٧٨)</sup>. وباستثناء صور وعسقلان أصبح الملك بلدوين الأول يسيطر على المنطقة الممتدة من بيروت شمالاً إلى بئر السبع جنوباً، بالإضافة إلى المعقل الواقعة في أقصى الجنوب الشرقي من نهر الأردن والتي تتحكم في الطرق القادمة من الجزيرة العربية<sup>(٧٩)</sup>.

وفي عهد الملك بلدوين الأول اتضحت معالم النظام الإقطاعي الصليبي كثيراً، وتشكلت حدود مملكة بيت المقدس الصليبية، بعد أن اتسعت حدودها على حساب القوى الإسلامية المجاورة. وقد أصبحت الأرض والعلاقات الشخصية محددة وراسخة بطريقة أفضل، بعد أن تم تحديد شكل الهيكل الحكومي في الدولة الصليبية الناشئة، والنهوض به نحو الأفضل. ومن المرجح أن يكون تكامل الأنظمة الصليبية، قد أصبح واضحاً في جميع النواحي زمن الملك بلدوين الثاني (١١١٨-١١٣١م / ١٢-٥٢٥هـ)<sup>(٨٠)</sup>، حيث أصبحت الحكومة الصليبية قوية بصورة واضحة، بعد أن أحكمت قبضتها على جميع



الأنظمة الإقطاعية . وقد أصبح المحاربون الصليبيون أفصلاً Vassals وقدموا يمين الولاء والطاعة للسيد الإقطاعي ، ودفعوا له الأموال التي تلزمهم بالتبعية الإقطاعية بعد أن أصبحوا من رجاله<sup>(٨١)</sup> .

وكان الملك بلدوين الأول قد قام بتقسيم مملكة بيت المقدس الصليبية إلى إقطاعيات ، منح معظمها إلى كبار الأمراء والنبلاء في دولته ، فقد منح إقطاعية قيسارية إلى يوستاش جارنيه Eustace Grenier عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ<sup>(٨٢)</sup> ، وعلاوة على ذلك منحه بارونية صيدا كحق موروث عام ١١١٠م / ٥٠٤هـ<sup>(٨٣)</sup> . كذلك منح الملك بلدوين الأول جزءاً من نابلس كإقطاعية لبائين ميللي Payen de Milly عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ<sup>(٨٤)</sup> ، على الرغم من أن نابلس كانت من ضمن البلاد التي تخضع للملكية التاج<sup>(٨٥)</sup> . وهذا يشير إلى أن الملك كان حريصاً على إغداق الإقطاعيات والمنح على كبار الشخصيات في مملكته . ومن المرجح أنه كان يقدم الإقطاعيات والهبات إلى الأمراء المقربين منه بعد التأكد من ولائهم وتبعيةهم له ، ويبدو هذا واضحاً عندما قام الملك بلدوين الأول بمنح إقطاعية قيسارية إلى يوستاش جارنيه عام ١١٠٨م / ٥٠٥هـ أي بعد نحو ست سنوات على وفاة هاربن بورج Harpin of Bourgs أول سيد إقطاعي لقيسارية<sup>(٨٦)</sup> ، مما يفيد أن الملك بلدوين الأول انتظر نحو ست سنوات ، حتى وجد الأمير المناسب لتولي أمر هذه الإقطاعية ، التي تعتبر من أكبر الإقطاعيات في المملكة<sup>(٨٧)</sup> ، ومما يؤكد أن الملك كان يثق بيوستاش جارنيه ، أنه سارع إلى منحه بارونية صيدا بعد الاستيلاء عليها مباشرة بحق موروث له ولأفراد أسرته ، وهذا الأمر بالذات يشير إلى أن يوستاش جارنيه كان من كبار الأمراء في المملكة ، فضلاً عن تمتعه بثقة التاج . أما بالنسبة لحصول باين ميللي على جزء من نابلس ، على الرغم أنها كانت من أملاك التاج ، فيشير إلى أن عائلة ميللي كانت من العائلات النبيلة التي حظيت باهتمام الملك بلدوين الأول وغيره من الملوك الصليبيين ، ولولا ذلك لما تخلى ملك بيت المقدس عن إحدى المناطق القريبة من العاصمة ، إضافة إلى أنها كانت واسعة الثراء ، وقد ذكرها المؤرخون على أنها مدينة يحتاج إليها ولا تحتاج لأحد<sup>(٨٨)</sup> ، بسبب ما كانت تتمتع به من خيرات وثروات ، فضلاً عن موقعها المتوسط في فلسطين<sup>(٨٩)</sup> .

وكان الملك الصليبي في بيت المقدس يحتل قمة السلم الإقطاعي في المملكة ، يليه وأربعة من كبار السادة الإقطاعيين وهم : سيد بارونية صيدا ، أمير الجليل ، أمير كونتية يافا وأمير الكرك والشوبك . وكان هؤلاء الأمراء يضارعون الملك بما كان لديهم من كبار الموظفين . وكان سيد إقطاعية لا يختلف في أهميته وقوته عن هؤلاء الأمراء ، على الرغم أن إقطاعيته كانت تعتبر من أكبر الإقطاعيات الثانوية<sup>(٩٠)</sup> ، ومما يؤكد هذا الرأي أن إقطاعية قيسارية كانت



من أكبر الإقطاعيات في المملكة<sup>(٩١)</sup>، فضلاً عن أن سيد قيسارية هو سيد بارونية صيدا في الفترة الواقعة بن عامي ١١١٠-١١٢٣م / ٥٠٤-٥١٦هـ. وإلى جانب الإقطاعيات الكبيرة اشتملت مملكة بيت المقدس الصليبية على اثنتي عشرة إقطاعية صغيرة هي : اللد، نابلس، الخليل، حيفا، بيسان، أرسوف، قيسارية، القيمون، تبين وبانياس، والاسكندرونة، الداروم (دير البلح) وبيروت<sup>(٩٢)</sup>. وقد منحت هذه الإقطاعيات الصغيرة لاثني عشر أميراً إقطاعياً، يتولون إدارتها والإشراف على مختلف جوانب الحياة فيها. وخضعت جميع الملكيات والأراضي في مملكة بيت المقدس الصليبية لأنظمة الحكومة، مما أدى إلى التكامل في ظل حكومة مؤهلة لحكم البلاد، دعيت باسم قوة التاج<sup>(٩٣)</sup>. وكان الملك الصليبي يحتفظ لنفسه بأربع مدن هي : بيت المقدس، نابلس، عكا وصور<sup>(٩٤)</sup> التي خضعت للسيطرة الصليبية في يونية عام ١١٢٤م / جمادي الأولى عام ٥١٨هـ<sup>(٩٥)</sup>. وبعد ذلك جرى إضافة الداروم إلى ملكية التاج<sup>(٩٦)</sup>.

وكانت علاقة الملك الصليبي بأتباعه تحكمها حدود وأبعاد العلاقات والروابط الإقطاعية، التي عرفها الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، ونقلها الصليبيون معهم إلى بلاد الشام. وكان السادة الإقطاعيين يقدمون يمين الولاء والطاعة إلى الملك الصليبي إلى جانب الالتزامات الإقطاعية الواجبة عليهم وخاصة الخدمة العسكرية<sup>(٩٧)</sup>. وكان يتعين على السيد الإقطاعي الذي يحلف يمين الولاء أن يركع أمام الملك ويضم يديه ويضعها بين يدي الملك<sup>(٩٨)</sup>. وكان الملك الصليبي مقيداً في كثير من المسائل الهامة برأي أمراءه وأفضاله ورأي المحكمة العليا، فلم يكن بوسعهم أن يعزل أي أمير عن إقطاعه إلا بموافقة المحكمة العليا<sup>(٩٩)</sup>، التي كانت تتألف من كبار المقطعين بالمملكة، وهم الذين يدينون بالولاء المباشر للملك<sup>(١٠٠)</sup>. وعلى الرغم أن الملك كان زعيم النبلاء ورئيس المحكمة العليا، إلا أنه خضع للقانون الذي جعل مكانته مساوية لمكانة سائر أفراد المجتمع<sup>(١٠١)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن فكرة المساواة بين الملك ونبلائه لم تلبث أن أدت بمضي الزمن إلى ملكية وراثية، فإذا كان الملك قد حاز مملكته على أنها إقطاع، شأنه في ذلك شأن النبلاء، فإن ما يسري على الإقطاع من قوانين التنازل يجري أيضاً على المملكة، وهذه القوانين قضت بحث وراثية الإقطاع<sup>(١٠٢)</sup>.

وكان على ملك بيت المقدس الصليبي أن يقوم بتعويض السادة الإقطاعيين عن خسائرهم في الحروب<sup>(١٠٣)</sup>، كما كان من واجبه حماية الإقطاعيات ضد الغارات الخارجية، وإقامة التحصينات والقلاع اللازمة لحمايتها، ولهذا قام الملك بلدوين الأول ببناء قلعة نابلس، فضلاً عن تشييد برج أمامها عرف باسم برج نابلس Turris Beapolitana من أجل الدفاع عن المدينة ضد الأخطار



الخارجية<sup>(١٠٤)</sup>. وقد أشار ابن شداد إلى وجود حصنين في نابلس عام ١١٨٤م/ ٥٨٠هـ<sup>(١٠٥)</sup>. ومن واجبات ملك بيت المقدس أيضاً تطبيق القوانين وحماية الكنائس، والحفاظ على أرواح الناس، إضافة إلى قيادة الجيوش<sup>(١٠٦)</sup>.

وبعد الحديث عن تقسيم مملكة بيت المقدس بمنح هذه الإقطاعات إلى كبار الأمراء والشخصيات، ثم الإشارة إلى العلاقة المتبادلة بين الملك وأمرائه والواجبات التي يقدمها السادة الإقطاعيون للملك، وما يقدمه الملك من واجبات لهؤلاء السادة. ولا بد لنا من التعرض لبقية النبلاء الذين كانوا يقيمون في مختلف إقطاعات المملكة، وعلاقتهم بكبار السادة الإقطاعيين وكان السيد الإقطاعي الذي يملك إقطاعية معينة، هو وحده الذي يستطيع أن يتصرف فيها من خلال تنازله، إما بكل الإقطاعية أو بجزد منها إلى غيره من النبلاء<sup>(١٠٧)</sup>. وهذا يعني أنه ينبثق من إقطاعية السيد الكبير إقطاعات مختلفة يتمتع بها النبلاء الخاضعين له. ولذلك فإننا نجد سلسلة من الارتباطات الإقطاعية التي تنشأ بكل ما يتعلق بملكية الأرض، وتتوزع هذه الروابط بين عدد كبير من النبلاء الذين تتحدد أهميتهم حسب مكانتهم وتدرجهم الاجتماعي. وكثيراً ما كان يلجأ السادة الإقطاعيون إلى منح أجزاء من الإقطاعية إلى القادة العسكريين والجنود البواسل حتى يقوموا بحماية إقطاعية هذا النبيل (السيد الإقطاعي) وبالتالي نرى أنه بدأت تتكون طائفة من الفرسان تعمل لصالح السادة الإقطاعيين، ويتضح من هذا كله أن النظام الإقطاعي الصليبي الذي وجد في فلسطين، هو نفس النظام الذي كان سائداً في أوروبا في أواخر القرن الحادي عشر الميلادي/ أواخر القرن الخامس الهجري<sup>(١٠٨)</sup>. وبهذا تسلم رجال الإقطاع حقوقهم على نحو كاف، كما قاموا بالعناية بها<sup>(١٠٩)</sup>.

وكان ملوك بيت المقدس وكبار رجال الإقطاع في المملكة أسخياء فيما بذلوه من إقطاعات ومنح للكنائس والهيئات الدينية في المملكة. وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن عدد القرى التي حصلت عليها كنيسة القيامة في حدود بيت المقدس وصلت إلى سبعين قرية من خلال المنح والهبات المقدمة من ملوك بيت المقدس وكذلك من البارونات ومختلف الشخصيات في المملكة<sup>(١١٠)</sup>. أما الهيئات الدينية المحاربة فلم تمتلك ضياعاً وأراضي وأسواقاً ومواشي فحسب، بل امتلكت الكثير من المدن والحصون والقلاع، وتعهدت بالدفاع عنها ضد المسلمين<sup>(١١١)</sup>. وقد حازت الهيئات الدينية المحاربة ممتلكاتها وإقطاعاتها عن طريق المنح والهبات من ملك بيت المقدس، ومن كبار السادة الإقطاعيين في المملكة. وبالتالي ازدادت أهمية الهيئات الدينية المحاربة، وأصبحت تمثل دولة داخل الدولة<sup>(١١٢)</sup>.

وكان التاريخ المبكر لمختلف الإقطاعات التي نشأت في مملكة بيت



المقدس الصليبية، يشوبه الكثير من الغموض بسبب التغيرات المتواصلة للعائلات الإقطاعية في معظم الإقطاعيات الكبيرة والصغيرة على حد سواء. فعلى سبيل المثال كانت نابلس تابعة لإمارة الجليل التي أسسها تانكرد عام ١٠٩٩م - ١١٠١م / ٤٩٢-٤٩٤هـ، وبعد رحيل تانكرد إلى أنطاكية عام ١١٠١م / ٤٩٤هـ، آلت نابلس للسيادة الملكية حتى عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ. وكان تاريخ نابلس أثناء تبعيتها للسيادة الملكية غامضاً، إذ أنها لم تكن تابعة لأحد من السادة الإقطاعيين خلال فترة زمنية تقدر بنحو سبع سنوات. وفي عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ بدأ تاريخ نابلس يتضح في ظل أسرة ميللي الإقطاعية<sup>(١١٣)</sup>. كذلك لم يكن تاريخ الخليل واضحاً بسبب منحها لأكثر من سيد إقطاعي خلال فترة وجيزة. فكما سبق أن أشرنا فقد خضعت الخليل للسيطرة الصليبية عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ، وأقطعها الأمير جودفري إلى جيرارد أفسنيز Gerard of Avesens<sup>(١١٤)</sup>، وفي منتصف عام ١١٠٠م / ٤٩٣هـ عادت للسيدة الملكية إذ بقي سيدها الإقطاعي في حيفا إلى جانب الأمير تانكرد ولم يعد إلى إقطاعيته التي منحت إلى جالديمار كاربنيل galdemar Carpenel من عام ١١٠٠ - ١١٠١م / ٤٩٣-٤٩٤هـ<sup>(١١٥)</sup>، ثم آلت بعد ذلك بفترة وجيزة إلى هيو روسبك Hugh of Rusbecq من عام ١١٠٢ - ١١٠٤م / ٤٩٦-٤٩٨هـ، وبعده هيو آلت لحكم روجر الحيفاوي Roger of Cayphas الذي حازها من الملك بلدوين الأول نحو ثلاث سنوات من ١١٠٤ - ١١٠٧م / ٤٩٨-٥٠١هـ، ثم منحت إلى والتر ماكوم Walter Machomet<sup>(١١٦)</sup> الذي حاز الإقطاعية عام ١١١١م / ٥٠٤هـ، وبعد ذلك تنازل عنها والتر ماكوم لهيوسيد الخليل الذي بقي سيداً على الإقطاعية حتى عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ<sup>(١١٧)</sup>. ويلاحظ أن كافة السادة الإقطاعيين الذين تعاقبوا على حكم إقطاعية الخليل في عهد الملك بلدوين الأول لم يكونوا مترابطين، أي أنهم كانوا ينتمون إلى عدة أسر إقطاعية. وقد شهدت الخليل ظهور أول أسرة إقطاعية في عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ، وكان ظهورها في أواخر عهد الملك بلدوين الأول<sup>(١١٨)</sup>. ومن الأمثلة الأخرى التي توضح التغيرات المتواصلة للأسر الإقطاعية، ما شهدته إمارة الجليل بعد رحيل تانكرد إلى أنطاكية عام ١١٠١م / ٤٩٤هـ، حيث منحها الملك بلدوين الأول لهيو سانت اوامر بعد أن فصل عنها نابلس وحيفا<sup>(١١٩)</sup>. وعندما قتل هيو في إحدى المعارك التي خاضها ضد المسلمين عام ١١٠٦م / ٥٠٠هـ<sup>(١٢٠)</sup>، قام الملك بلدوين الأول بمنحه إلى جيرفاس باسوك Gervais of Basoches<sup>(١٢١)</sup> الذي وقع أسيراً بيد المسلمين عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ<sup>(١٢٢)</sup>. وبعد جيرفاس عادت إمارة الجليل إلى السلطة الملكية لمدة بسيطة، ثم آلت إلى حكم تانكرد من الناحية الاسمية حتى عام ١١١٣م / ٥٠٧هـ، أي أن تانكرد لم يعد من أنطاكية لكي يحكم إمارة الجليل<sup>(١٢٣)</sup>. وفي عام ١١١٣م / ٥٠٧هـ أقطعها



الملك بلدوين الأول إلى جوسلين كورتناي Jocelin of Courtenay<sup>(١٢٤)</sup> الذي بقي سيداً إقطاعياً للإمارة حتى عام ١١١٩م / ٥١٣هـ، عندما انتقل ليتولى حكم إمارة الرها<sup>(١٢٥)</sup>. وبعد رحيله منحت إمارة الجليل إلى وليم بور William de Burs<sup>(١٢٦)</sup>، وبقيت الإمارة تحكم من قبل أسرة بور Burs حتى عام ١١٦٨م / ٥٦٤هـ، ثم عادت بد هذا التاريخ لعائلة سانت أوامر عام ١١٧٣م / ٥٦٩هـ، ثم أصبحت من أملاك الأمير ريموند الثالث سيد طرابلس الشهير<sup>(١٢٧)</sup>، وكانت عائلة جارنيه Garnier في قيسارية وصيدا وهي العائلة الوحيدة التي وطدت أقدامها في مملكة بيت المقدس الصليبية، حيث استمرت تحكم كعائلة إقطاعية منذ عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ، وحتى قيام جوليان جارنيه Julian Garnier<sup>(١٢٨)</sup> ببيع بارونية صيدا إلى فرسان الداوية عام ١٢٦١م / ٦٥٩هـ<sup>(١٢٩)</sup>، ثم قيام الظاهر بيبرس بالاستيلاء على ممتلكات هذه الأسرة في قيسارية عام ١٢٦٥م / ٦٦٣هـ<sup>(١٣٠)</sup>. ومن الملاحظ أن أسرة يوستاش جارنيه استمرت كأسرة إقطاعية نحو مائة وسبع وخمسين عام، وهي بذلك تعتبر من أوائل الأسر الإقطاعية الصليبية التي ظهرت في بلاد الشام، واستمرت تحكم إقطاعية قيسارية وبارونية صيدا فترة طويلة من الزمن.

وليس من شك في أن اعتبارات سياسية واقتصادية واجتماعية أدت إلى حدوث الكثير من التغيرات في الأسر الإقطاعية في بداية الحكم الصليبي لبلاد الشام. فتنازل تانكرد عن إمارة الجليل، كان بسبب وقوع خاله الأمير بوهيمند النورماندي أسيراً بيد الأتراك في إحدى المعارك التي جرت بالقرب من ملطية Melitene<sup>(١٣١)</sup> في أقصى الشمال، وما تبع ذلك من قيام أهالي أنطاكية بإرسال وفد إلى تانكرد يطلبون منه القدوم إلى بلادهم وحكمها نيابة عن بوهيمند<sup>(١٣٢)</sup>. ويلاحظ هنا أن اعتبارات سياسية هي التي دفعت تانكرد لترك إمارة الجليل والتوجه إلى أنطاكية، على الرغم أنه كان أميراً شبه مستقل في إمارته، فضلاً عن أنه لم يكن يعترف بالتبعية للملك الصليبي، وكان يسعى دائماً لتحقيق ما يخدم أهدافه ويحقق أطماعه. وقد اتضح هذا عندما رفض الاشتراك في حصار مدينة حيفا، على أثر سماعه أن الأمير جودفري وعد بمنحها لجالديمار كاربنيل. وقد لعب العامل الاجتماعي دوراً هاماً في عملية التغير المستمر للأسر الإقطاعية، إذ أن موت بعض أمراء الإقطاع دون أن يكون لهم ورثة مباشرون من العوامل التي ساعدت على التغيرات المستمرة للعائلات الإقطاعية، وخير مثال على ذلك عندما قتل جالديمار كاربنيل، قام الملك بمنح إقطاعيته لأسرة أخرى؛ لأن جالديمار لم يكن له وريث، ويبدو أنه قد حضر بمفرده إلى الأراضي المقدسة، ولم يكن يرافقه أحد من أفراد أسرته. كذلك ربما يرجع السبب في تغيير بعض الأسر الإقطاعية إلى تصادم سادة هذه الأسر



مع الملك، مما يؤدي إلى فوضى سياسية واجتماعية، مع ترجيح قيام معارك حربية بين أنصار الملك وأتباع السيد الإقطاعي، كما حدث مع أسرة بوزية التي كانت تمتلك كونتية يافا والتي اصطدم سيدها هيو الثاني بوزية Hugh II of Puiset<sup>(١٣٣)</sup> مع الملك فولك الانجوي Fulk of Anjou، مما أدى إلى استرداد الكونتية وعودتها للسيادة الملكية عام ١١٣٢م / ٥٢٧هـ<sup>(١٣٤)</sup>.

وكان ملك بيت المقدس يلجأ في بعض الأحيان إلى عملية تبادل الإقطاع بينه وبين أحد أفصاله، كما حدث عندما تنازل فيليب ميللي Philip de Milly<sup>(١٣٥)</sup> صاحب إقطاع نابلس عن إقطاعه للملك بلدوين الثالث (١١٥٢-١١٦٢م / ٥٤٧-٥٥٧هـ) مقابل حصوله على الكرك Kerak والشوبك Montreal والخليل S. Abraham<sup>(١٣٦)</sup>، وقد تم الاتفاق على ذلك في الاجتماع الذي عقد في مدينة الناصرة، يوم الإثنين الحادي والثلاثين من يولية عام ١١٦١م / السادس من شعبان عام ٥٥٦هـ<sup>(١٣٧)</sup>، وقد أشار بعض المؤرخون إلى حصول فيليب ميللي على عمان Amman إلى جانب الكرك والشوبك والخليل، لكن فترة حيازته لهذه البلاد لم تستمر طويلاً<sup>(١٣٨)</sup>، إذ أصبح بعد ذلك سيداً لهيئة فرسان الداوية عام ١١٦٨م / ٥٦٤هـ<sup>(١٣٩)</sup>.

ويبدو أن تنازل الملك بلدوين الثالث عن إمارة الكرك والشوبك وعن إقطاعية الخليل ومدينة عمان، مقابل الحصول على نابلس، يرجع إلى أن نابلس كانت إحدى المدن التابعة للملكية التاج مباشرة، كما أن فيليب ميللي سيد إقطاعية نابلس، كان قد وقف إلى جانب الملكة ميلسند Milisende<sup>(١٤٠)</sup> أثناء صراعها مع ابنها الملك بلدوين الثالث بسبب السيطرة على عرش مملكة بيت المقدس الصليبية<sup>(١٤١)</sup>. ولعل هذا يشير إلى أن سيد إقطاعية نابلس كان من الأمراء الكبار الذين تمتعوا بنفوذ كبير في المملكة، علاوة على أنه كان يحظى برضى الملكة ميلسند التي استبقته إلى جانبها، بعد أن حصلت على نابلس كإقطاعية خاصة بها مدى الحياة<sup>(١٤٢)</sup>. وربما شعر الملك بلدوين الثالث أن فيليب ميللي يشكل خطراً عليه، إذا ما استمر في حيازته لإقطاعية نابلس، ولذلك قام بإجراء المقايضة، على الرغم أن نابلس بقيت تحت سلطة الملكة ميلسند حتى وفاتها يوم الإثنين الموافق الحادي عشر من سبتمبر عام ١١٦١م / السادس عشر من شعبان عام ٥٥٦هـ. وبعد وفاة الملكة ميلسند، تم استعادة نابلس والاحتفاظ بها كإحدى البلاد التابعة لسلطة التاج مباشرة<sup>(١٤٣)</sup>. ولعل ما كانت تمتع به نابلس من ثروات واسعة، كان من الأسباب غير المباشرة التي دفعت الملك بلدوين الثالث لاستعادتها، من أجل ضمان دخل كبير يدخل لخزانة الدولة، ولكي يحرم فيليب ميللي من التمتع بخيراتها، الأمر الذي سيعود بالخير والفائدة على الخزانة الملكية.



وعلى الرغم من التغييرات المتواصلة في الأسر الإقطاعية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة، ولجوء ملوك بيت المقدس إلى إجراء عمليات تبادل في الملكيات الإقطاعية. إلا أنه يمكن القول إن النظام الإقطاعي الصليبي كان نظاماً إقطاعياً وراثياً في أغلب الأحيان، بالرغم من وجود بعض الاستثناءات. فعلى سبيل المثال استمر أفراد أسرة يوستاش جاريه برثون إقطاعية قيسارية وبارونية صيدا حتى استولى عليها العرب<sup>(١٤٤)</sup>، كذلك نلاحظ أن هيو الثاني بوزية ورث والده في حكم كونتية يافا<sup>(١٤٥)</sup>، كما ورث فيليب ميللي إقطاعية نابلس بعد وفاة عمه باين<sup>(١٤٦)</sup>. ويرى أحد المؤرخين الحديثين أن الإقطاع الصليبي لا تعتبر وراثية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة، ويدعم وجهة نظره هذه بما وصلت إليه الأمور في إمارة الجليل، بعد مقتل سيدها هيو سانت اومر، إذ جرى الاعتقاد أن شقيقه جيرار سوف يحل مكانه في حكم الإمارة لو سمحت صحته بذلك، غير أن حق جيرار لم يكن مطلقاً<sup>(١٤٧)</sup>، على الرغم من أن الملك بلدوين الأول صبغ مملكته بالصبغة الإقطاعية، وجعلها تحت سيطرته، وقسمها إلى إقطاعيات منحها إلى كبار الأمراء والسادة في المملكة<sup>(١٤٨)</sup>.

وعلى الرغم من أن النظام الإقطاعي الصليبي كان وراثياً في معظم الأحيان، إلا أنه كان هناك حالات استثنائية يتم فيها مصادرة أملاك بعض السادة الإقطاعيين، إذا أخلوا بفروض الولاء والتبعية للملك، ووجهت إليهم تهمة الخيانة العظمى والتآمر على قتل الملك وتعريض أمن البلاد للخطر. ولم يكن بوسع الملك أن يعزل أي أمير عن إقطاعه إلا بموافقة المحكمة العليا<sup>(١٤٩)</sup>. فعلى سبيل المثال رفض هيو الثاني بوزية كونت يافا تقديم يمين الولاء والتبعية للملك فولك الأنجوي، وأصر بعناد على رفض أوامره، فما كان من والتر سيد قيسارية إلا أن اتهم هيو الثاني بالخيانة العظمى والتآمر على قتل الملك، وكان ذلك بإيعاز من الملك فولك وأثناء انعقاد المحكمة العليا، غير أن هيو الثاني أنكر التهم الموجهة إليه، وقال إنه غير مذنب. وقد تم تحديد يوم آخر لمناقشة القضية، غير أن هيو الثاني لم يحضر جلسة المحكمة لكي يرد على الاتهامات، فلذلك اعتبرته المحكمة مذنباً وقررت مصادرة أملاكه. وعندما علم هيو بذلك تحصن بمدينة يافا، وطلب مساعدة أمير عسقلان المسلم ضد الملك فولك، فأجابه الأمير إلى طلبه، وقام بمهاجمة المقاطعات الصليبية في مملكة بيت المقدس. وعندما علم الملك فولك بذلك جهز قواته وتوجه نحو يافا وفرض حصاره عليها إلى أن استسلم هيو الثاني، بعد أن تخلى عنه أتباعه وانضموا إلى الملك فولك. وعلى أثر ذلك تقرر نفي هيو الثاني بوزية خارج حدود البلاد لمدة ثلاث سنوات. وقد تم هذا الأمر عام ١١٣٢ م / ٥٢٦ هـ، وعادت كونتية يافا للسيادة الملكية<sup>(١٥٠)</sup>.



يتضح مما سبق أن الملك لا يستطيع عزل أي أمير عن إقطاعه أو مصادرة أملاكه إلا بموافقة المحكمة العليا ، وبعد تشاور مألوف بين حشد كبير من الأفاضل Vassal والنبل وكبار رجال الدين في المملكة<sup>(١٥١)</sup> . أي أن القانون حدد سلطة الملك فيما يتعلق بمصادرة بعض الإقطاعات من أصحابها إذا ما أساءوا وارتكبوا تهمة الخيانة العظمى ، بالرغم من أن الملك هو الذي كان يمنح الإقطاعات والمنح في المملكة لجميع السادة والأمراء والفرسان والكنائس والأديرة والهيئات الدينية المحاربة .

ومهما يكن من أمر ، فقد تأسست مملكة بيت المقدس على أساس أنها مملكة إقطاعية ، ولا نبالغ إذا قلنا إن النظام الإقطاعي الأوروبي انتقل بجذوره إلى بلاد الشام بواسطة الصليبيين الذين طبقوه في البلاد التي خضعت لسيطرتهم ، لكنهم قاموا بإجراء بعض التغييرات الطفيفة من أجل التكيف مع الأحوال السائدة في الأراضي المقدسة . فقد لاحظنا من خلال الدراسة أن مملكة بيت المقدس شهدت الكثير من التغييرات بالأسر الإقطاعية في بداية الحكم الصليبي ، إضافة إلى أن ملوك بيت المقدس منعوا تركيز الإقطاعات في يد مفردة ، لضمان الولاء والتبعية ، ولكي تتمكن كل إقطاعية من تقديم الخدمة المطلوبة منها للملك بيت المقدس<sup>(١٥٢)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن كبار السادة الإقطاعيين والنبل الذين حازوا إقطاعات في مملكة بيت المقدس الصليبية ، كانوا يلتزمون بتقديم الخدمة الحربية للملك ، والدفاع عن حدود المملكة ضد الأخطار المحدقة بها ، ولم تكن الخدمة الحربية في الأراضي المقدسة محددة بفترة معينة من العام ، أسوة بما كان سائداً في أوروبا ، حيث كانت الخدمة الحربية مقررة نظرياً بأربعين يوماً ، يخدمها المقطع عن أتباعه المسلمين على نفقته الخاصة ، وإذا زادت هذه الفترة عن المدة المقررة ، تكفل السيد بنفقات التابع ومؤناته<sup>(١٥٣)</sup> . أما في مملكة بيت المقدس وغيرها من الإمارات الصليبية الأخرى ، فلم يكن بالإمكان تحديد مدة الخدمة الحربية ؛ لأن الصليبيين في هذه البلاد كانوا دائماً معرضين لغارات المسلمين الذين يتحفزون لاسترداد بلادهم<sup>(١٥٤)</sup> ، إضافة إلى أن الملك الصليبي كان في حاجة دائمة لخدمة الفرسان والجنود من أجل شن الغارات على البلدان الإسلامية المجاورة والتوسع على حساب المسلمين ، ولكي يتمكن من صد أية غارة إسلامية مفاجئة على حدود مملكته . وفي هذه النقطة بالذات نستطيع القول إن الصليبيين أدركوا حقيقة وضعهم في الأراضي المقدسة ، ورأوا أن الضرورة تحتم عليهم عدم تحديد الخدمة الحربية بفترة معينة من العام لأن الحرب كانت قائمة ومستمرة ، وهذا يعني أن ملك وأمراء بيت المقدس استطاعوا التكيف مع أوضاع الأراضي المقدسة ، فيما يتعلق بالخدمة الحربية وجعلها على مدار



العام . وفي الوقت نفسه حدد القادة الصليبيون عدد الفرسان والجنود المفروض على كل سيد إقطاعي أن يقدمهم إلى ملك بيت المقدس .

وتعد الخدمة الحربية التي كان يقدمها الأمراء والنبلاء للملك بيت المقدس من أهم واجبات التبعية نظراً لأهميتها ، وكذلك كانت منذ بداية ظهور النظام الإقطاعي في أوروبا<sup>(١٥٥)</sup> . وقد تم تحديد الخدمة الحربية التي يقدمها السادة الإقطاعيون في مملكة بيت المقدس الصليبية ، فإمارة الجليل كانت تقدم مائة فارس ، وإمارة الكرك والشوبك كانت تقدم أربعين فارساً وإقطاعية الخليل عشرين فارساً ، وبارونية صيدا وقلعة بوفورت Beaufort (الشقيف Al-shaqif) ، شقيف ارنون Shaqif Arnun<sup>(١٥٦)</sup> ستين فارساً ، قيسارية خمسة وعشرين فارساً ، وكونية يافا وعسقلان خمسين فارساً ، بينما كانت الرملة ومجدل يابا Majdel Yaba (ميرابيل Mirabel)<sup>(١٥٧)</sup> وبيننا Ibelin<sup>(١٥٨)</sup> تقدم خمسين فارساً ، وإقطاعية جوسلين تقدم أربعة وعشرين فارساً من إقطاعية القديس جورج الصغيرة St. Georg<sup>(١٥٩)</sup> . وأربعة فرسان من قلعة الملك King's Castle<sup>(١٦٠)</sup> وعشرة فرسان آخرين من بعض المقاطعات الواقعة في المنطقة ، وكانت إقطاعية بيروت تقدم واحد وعشرين فارساً ، بينما كانت أسقفية اللد والرملة تقدم عشرة فرسان ، و رئاسة أسقفية الناصرة ستة فرسان وقد التزمت المدن التابعة للتاج مباشرة بتقديم خدمات الفرسان فكانت نابلس تقدم خمسة وثمانين فارساً ، وعكا ثمانين فارساً وبيت المقدس واحد وستين فارساً وصور ثمانية وعشرين فارساً ، بينما كانت الداروم (دير البلح) تقدم فارسين فقط<sup>(١٦١)</sup> . وهؤلاء الفرسان كان يقدمهم النبلاء الذين كانوا يقيمون في مختلف مدن وإقطاعيات مملكة بيت المقدس الصليبية ، بينما لم تكن الطبقة البرجوازية في المملكة مسؤولة عن تقديم هذه الخدمات<sup>(١٦٢)</sup> . فعلى سبيل المثال كانت نابلس تقدم خمسة وثمانين فارساً ، منها عشرة فرسان كان يقدمهم فيسكونت<sup>(١٦٣)</sup> نابلس ، وخمسة عشر فارساً كان يقدمهم سيد إقطاعية نابلس ، أما باقي الفرسان وعددهم ستون فارساً فكان يقدمهم النبلاء الذين يعيشون بالمدينة أو يمتلكون بعض العقارات والأموال بها . وقد بلغ عدد النبلاء الذين يقدمون خدمات الفرسان بمدينة نابلس اثنين وثلاثين نبيلًا باستثناء الفيسكونت وسيد الإقطاعية<sup>(١٦٤)</sup> .

كذلك أسهمت المدن والإقطاعيات المختلفة في المملكة بتقديم خدمات السرجندية Sergeants<sup>(١٦٥)</sup> ، فكانت مدينة بيت المقدس تقدم خمسمائة رقيب ، وعكا خمسمائة سرجندي ونابلس ثلاثمائة سرجندي وصور مائة سرجندي ويافا مائة سرجندي وعسقلان كانت تقدم مائة وخمسين سرجندياً ، وطبرية مائتين سرجندي ، وقيسارية كانت تقدم خمسين سرجندياً ، وأرسوف



خمسين سر جندياً وحيفاً خمسين سر جندياً بينما كانت الرملة ورأس العين وبينه تقدم مائة وخمسين سر جندياً ، وكانت جنين تقدم خمسة وعشرين سر جندياً . كذلك كان بطريك بيت المقدس ورؤساء الأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة يقدمون خدمات السرجندية لملك بيت المقدس (١٦٦) .

وتجدر الإشارة إلى أن أصحاب الإقطاعات أو مستأجريها كانوا يؤدون خدمات الفرسان على أساس العلاقات الإقطاعية (١٦٧) ، ومقابل ماتحت أيديهم من إقطاعات نقدية أو عينية ، وقد شكلت خدمات الفرسان التي كان يقدمها هؤلاء العمود الفقري لجيش مملكة بيت المقدس الصليبية (١٦٨) . وكانت الكنيسة والطبقة البرجوازية تقدم خدمات السرجندية كالتزام على أساس الملكية التي يحتفظون بها ، ليس على أساس العلاقات الإقطاعية (١٦٩) . ولم يكن أفراد الطبقة البرجوازية مرتبطين بسادة الإقطاعات بنفس الالتزامات التي كان يفرضها النظام الإقطاعي ، إذ لم يكن يقع على عاتقهم تقديم الخدمة العسكرية ، لدرجة أنهم كانوا يجرون الاتفاقيات مع السادة الإقطاعيين على أساس إعفائهم من الخدمة العسكرية (١٧٠) . ولكن يبدو أن الطبقة البرجوازية كانت ملزمة على تقديم خدمات السرجندية ، وتزويد الجيش الملكي بهم في حالة الطوارئ (١٧١) ، خاصة وأن الحرب كانت مستمرة بين الصليبيين والمسلمين ، وكانت حدود مملكة بيت المقدس معرضة بصفة دائمة لهجمات المسلمين - الذين كانوا يسعون لاسترداد بلادهم من مغتصبها - فلا بد وأن خدمات السرجندية التي كانت تقدمها الطبقة البرجوازية ، كانت مستمرة ، لأن جيش المملكة كان في حالة طوارئ بصورة دائمة . أما فيما يتعلق بالفرسان الذين كانت تقدمهم مدن التاج مثل نابلس وعكا وبيت المقدس ، فكانت خدماتهم تقع على عاتق النبلاء الذين كانوا يقيمون بهذه المدن أو يملكون بها عقارات مثل المنازل والحمامات والمعاصر . . الخ (١٧٢) .

وقد أوجد الصليبيون في الأراضي المقدسة ، نظاماً قضائياً مرتبطاً بالنظام الإقطاعي ارتباطاً وثيقاً ، إذ ظهر ما يعرف باسم محكمة الملك (المحكمة العليا) ، وفيها كان الملك يجتمع بكبار السادة الإقطاعيين في المملكة (١٧٣) ، وتمثل فيها الكنيسة وجماعات الفرسان الرهبانية كالداوية والاستبارية (١٧٤) ، وممثلون لرعايا المدن التجارية باعتبارهم كيانات هامة في المملكة ولهم مصالح هامة في كثير من مدنها ، فلا بد وأن يجري تمثيلهم في هذه المحكمة لجاليات أجنبية مثل البنادقة والجنوية والبيازنة (١٧٥) . وكانت المحكمة العليا في أصلها هيئة قضائية ، ولكن اختصاصاتها لم تلبث أن اتسعت ، فأصبحت بمثابة هيئة تشريعية ، فلا بد من موافقتها على أي قانون أو تشريع جديد في المملكة (١٧٦) ، فضلاً عن الفصل فيما ينشأ بين الأمراء من خلافات ، وفوق هذا كان للمحكمة



رأي مسموع في توجيه السياسة العامة للمملكة، لأنها تحولت بالتدريج من مجرد مجلس استشاري، إلى العامل السياسي الحاسم في المملكة<sup>(١٧٧)</sup>. وكانت المحكمة العليا تعقد في أي مكان على أرض المملكة وحسب الظروف المحيطة بها<sup>(١٧٨)</sup>.

وكانت المحاكم الوطنية Civil Courts منتشرة في مختلف إقطاعات المملكة، وكانت تختص بالقضايا المتعلقة بالسكان الوطنيين، إذ سمح لهم بالتقاضي أمام محاكمهم الوطنية الخاصة بهم، إلى جانب تطبيق القوانين السابقة على قدوم الصليبيين، وقد تم ذلك في السنوات الأولى للحكم الصليبي<sup>(١٧٩)</sup>، وكان قضاة تلك المحاكم من سكان البلاد الوطنيين، وكانت تنظر في القضايا الصغرى التي لا تشمل الجنايات، غير أن المحاكم الوطنية لم تستمر في عملها، فسرعان ما اندمجت في محاكم المدن<sup>(١٨٠)</sup>، إذ أوجد الصليبيون في فترة لاحقة محكمة تعرف باسم محكمة المدينة Cour de la Fonde يرأسها موظف فرنجي يدعى بالي Bailli يختاره فيسكونت المدينة من بين طبقة الفرسان أو من الطبقة البرجوازية يساعده ستة محلفين Jures أربعة من السكان الوطنيين واثنان من الفرنجة، وكان لمحكمة المدينة سلطان قضائي على جميع الطوائف والفئات المتواجدة في المدينة<sup>(١٨١)</sup>، ومن خصائصها النظر في القضايا التجارية<sup>(١٨٢)</sup> والقضايا البسيطة الخاصة بسكان المدينة على اختلاف طوائفهم<sup>(١٨٣)</sup>، إضافة إلى أنها تقوم بتسجيل كل صفقات العقارات المتعلقة بالسكان الوطنيين مثل البيع والتأجير والرهونات العقارية، وأراضي المدينة والحدائق والآبار<sup>(١٨٤)</sup>. وأصبح للمحكمة حق إصدار القرارات الخاصة بالنواحي الداخلية في المدينة لحفظ الأمن ومراقبة الأسعار، فضلاً عن مسؤوليتها عن نظافة الشوارع، بمعنى أن محكمة المدينة كانت تقوم بتعيين الموظفين والعمال المختصين بذلك<sup>(١٨٥)</sup>.

كذلك أوجد الصليبيون محاكم للبرجوازية Courts of the Burgesses في مملكة بيت المقدس الصليبية، بلغ عددها سبع وثلاثين محكمة<sup>(١٨٦)</sup>. وكانت المحكمة البرجوازية تعقد تحت رئاسة فيسكونت الذي كان يساعده اثنا عشر محلفاً، يختارهم من بين أتباعه اللاتين<sup>(١٨٧)</sup>، وكانت المحكمة تنعقد لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع، الإثنين، الأربعاء والجمعة فيما عدا أيام المواسم والأعياد الدينية<sup>(١٨٨)</sup>، وتنظر في القضايا التي لم يكن النبلاء طرفاً فيها<sup>(١٨٩)</sup>، وتبحث في جميع القضايا المتعلقة بالنواحي المدنية كقضايا التعدي على الأراضي، فضلاً عن معالجتها لشؤون العبيد الذين حضروا من الغرب الأوروبي مع ساداتهم<sup>(١٩٠)</sup>. وتقوم المحكمة بالفصل في جميع القضايا المتعلقة بأفراد الطبقة البرجوازية، كذلك فإنها تفصل في قضايا الفرسان، إذا



اختاروا المثل أمامها<sup>(١٩١)</sup> ، وللمحكمة البرجوازية ما للمحكمة العليا من قوانين وإن كانت في مجموعها تستند إلى العرف والتقاليد المرعية أكثر من كونها قوانين مدونة<sup>(١٩٢)</sup> .

وقد أوجد الصليبيون محكمة للسوق Court of the Market حيث يوجد أخلاط من الناس بما يثور بينهم من خلافات<sup>(١٩٣)</sup> ، ويقال إن محكمة السوق هي نفس محكمة المدينة ، والمرجح أنها إحدى محاكم المدينة الفرعية ، وتتعقد تحت رئاسة فيسكونت المدينة ، الذي كانت مهمته المحافظة على الأوضاع العامة في الأسواق ، وكان يساعده في إتمام تلك المهمة المحتسب أو رئيس الشرطة في المدينة<sup>(١٩٤)</sup> . وليس من شك في أن محكمة السوق كانت تقوم بخدمة قطاع كبير من سكان المدن . وإلى جانب محكمة السوق كان هناك ما يعرف بمحكمة القرية ، التي كانت تعقد تحت رئاسة أكبر شخصية في القرية ، والذي أطلق عليه الرئيس Rayis يساعده اثنا عشر محلفاً من سكان القرية . وكانت محاكم القرى تعتمد في أحكامها على العرف والتقاليد المرعية ، إذ سمح الصليبيون لأهالي القرى بالتقاضي أمام محاكمهم الخاصة<sup>(١٩٥)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن محكمة المدينة كانت مسؤولة عن قضايا سكان القرى الكبيرة ، نظراً لوجود الأسواق والفنادق في تلك القرى ، بمعنى أن محكمة المدينة كانت تعقد في المناطق التي توجد بها الأسواق والفنادق<sup>(١٩٦)</sup> .

وبطبيعة الحال كانت هذه المحاكم ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام الإقطاعي ، الذي نقله الصليبيون بجذوره من الغرب الأوروبي . وكان سيد الأرض Land Lord يحتفظ بمحكمة في نطاق منطقته ، ليس من أجل المستأجرين الإقطاعيين ، الذين كانوا من الناحية الشخصية أحراراً ، إضافة إلى أنهم كانوا ملزمين من الناحية القانونية للسيد بارتباطات شخصية منها الولاء والتقدير<sup>(١٩٧)</sup> . ومن هنا نستطيع القول إن المسلمين والمسيحيين الشرقيين والصليبيين الذين يعملون في أرض السيد ، كانوا يتقاضون أمام محكمته وكل فئة كانت تحلف على كتابها المقدس ، فالمسلمون كانوا يحلفون على القرآن الكريم ، والمسيحيون الشرقيون والغربيون على الإنجيل<sup>(١٩٨)</sup> .

ويتضح من كل ما سبق أن الصليبيين نقلوا النظام الإقطاعي الأوروبي إلى البلاد التي استولوا عليها ، وطبقوه مع إجراء بعض التغييرات الطفيفة التي اقتضتها مجريات الأمور في الأراضي المقدسة . ولعل الخطوط العريضة التي سقناها عن النظام الإقطاعي الصليبي في بلاد الشام توضح ما جرى تطبيقه من نظم إقطاعية غربية خلال فترة الصراع الصليبي الإسلامي .



## هوامش الفصل الأول

- 1) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ١٢٢.  
Cf. also: Fulcher of Chartres, op. cit., p. 21.
- 2) Runciman, S., A History of the Crusades, Vol. I, London 1978, p. 289.  
سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٧٨ م، ص ٢٤٢.
- 3) حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، القاهرة ١٩٥٨ م، ص ١٨١-١٨٢، ١٨٥-١٨٦، جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحروب الصليبية الأولى، الاسكندرية ١٩٦٧ م، ص ٧٥-٧٦.
- 4) جودفري البويني: كان يعرف بدوق اللورين السفلي، ولد في شهر يولية عام ١٠٥٨ م/ جمادي الأولى عام ٤٥٠ هـ، وهو ابن الكونت يوستاش. وكانت والدته ادا Ida تتمتع بشخصية بارزة، وتنتمي لعائلة عريقة النسب في الغرب الأوروبي. وكان دوق اللورين بدون أولاد. فتبنى ابن اخته جودفري ليكون ابناً له، وفي حالة وفاته فإن جودفري يتولى عرش الدوقية. وكانت ماتلدا Matilda اخت جودفري متزوجة من الملك ستيفن Stephen ملك إنجلترا Angles الشهير.  
Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. I, pp. 385-386, Cf. also: Besant, W., and Palmer, E. H., Jerusalem, the City of Herod and Saladin, London 1888, p. 213.
- 5) Archer and Kingsford, op. cit., p. 93. Grousset, R., Histoire des Croisades, Vol. I, Paris 1948, p. 169. deanesly, M., A History of the Medieval church, Cambridge, 1978, p. 107.  
ذكر فوشيه الشارترى Fulcher of chartres أن الصليبيين اختاروا جودفري أميراً على بيت المقدس، بسبب نبل شخصيته ومهارته العسكرية وتصرفه الحليم.  
Cf. A History of the Expedition to Jerusalem, p. 124.  
وذكر الرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ John of Wurzburg أن جودفري رفض أن يتوج ملكاً.  
Cf. Description of the Holy Land, trans by Aubrey Stewart with notes by Wilson, Vol. 5, London 1890, in P. P. T. S. p, 41.  
ويحيل ريموند داجيل Raimond d'Agiles أسباب اختيار جودفري حامياً للقبر المقدس ومدافعاً عنه بسبب معارضة الكونت ريموند الصنجيلي ومجموعة من رجال الدين انتخاب جودفري ملكاً.  
Cf. Histoirs Francorum qui Ceperunt Iherusalem, R. H. C. H. Occ., tome III paris 1866, p. 301.
- 6) La Monte, J., Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, New York 1970, pp. 204-205. Deanesly, M., op. cit., loc. cit.
- انظر أيضاً: حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، ص ١٨٧. ذكر وليم الصوري William of Tyre أن جودفري رفض أن يلبس تاجاً من الذهب في مدينة لبس فيها السيد المسيح تاجاً من الشوك.  
Cf. A History of Deeds Done Beyond the Sea, Vol. 1, p. 392, Cf. also: Ernoul, La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier, ed. L. de Mas latrie, Paris 1871, p. 5, Hamilton, B., op. cit., p. 12.
- حسن حبشي: المرجع السابق، ص ١٨٧.
- 7) La Monte, J., op. cit., loc. cit.
- 8) Fink, H. The Foundation of the Latin States, 1099 - 1118, in Setton, A History of the Crusades, Vol. 1, London 1969, p. 376.
- 9) Chalandon, F., Histoire de la Premiere Croisade, Paris 1925, p. 298.
- 10) Chalandon, op. cit., p. 299. Lavissee, E., and Rambaud, A., l'Europe Feodale les Croisades 1095-1270, Dan Histoire Generale, tome II, Paris 1893, p. 317.
- 11) Runciman, S., A History of the Crusades, Vol 2, London 1978, p. 297.
- 12) Chalandon, F., op. cit., p. 300.
- 13) Samil, R. C. The Crusaders in Syria and the Holy Land, Southampton 1973, p. 80.



14) Chalandon, op. cit., p. 300.

15) كان الأفنان مرتبطين ارتباطاً وثيقاً بالأرض ولا يستطيعون ترك الإقطاعية، وكان القانون صارماً وفقاً لما جرى عليه التنظيم الاجتماعي والإقطاعي.

Jean d'Ibelin, op. cit., pp. 400 – 401.

16) Chalandon, op. cit., pp. 300 – 301.

17) Ibid., Loc. cit.

18) Ibid. p. 301.

19) Samil, R. C. The Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 85.

20) الكوريا Curia : هي كلمة لاتينية تعني منزل أحد أعضاء مجلس السناتو Senate – House وقد تعني مركزاً أوحياً أو دائرة في المدينة City ward. ومن معانيها أيضاً مركز إقامة سيد الإقطاعية أو مالك العزبة ومراعيها ومبانيها ومزارعها، حيث تدار الأراضي والمزارع منها. وهذا يجعلنا نرجح أن تكون الCuria مبنى يتم إنشاؤه في وسط الأراضي الزراعية، وكان يقيم فيه مالك العزبة، وتخزن فيه كافة المحاصيل التي قام المزارعون بتحويلها إلى زيوت. Smail, R. C. op. cit., loc. cit. وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن الصليبيين أقاموا مراكز في الحقول الواسعة، حيث يتم فيها تجميع الانتاج وتخزينه، تمهيداً إلى نقله إلى المدينة. ولعل ما أشار إليه المؤرخ الحديث يلقي الضوء على الCuria والهدف من إقامتها في وسط الحقول. Cf. Benvenisti, M., op. cit., p. 218. وتجدد الإشارة إلى أن كلمة Curia تعني محكمة، فمحكمة الملك تقابل المصطلح اللاتيني regalis Curia والمحكمة العلمانية تقابل Curia Secularis.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Index Rerum p. 428.

21) Smail, R., C. op. cit. loc. cit.

22) Ibid., p. 80.

23) Hamilton, B. op. cit., p. 91.

24) Ibid., loc. cit.

25) Richard, J., Agricultural condition in the Crusader States, in Setton, K. M. A History of the Crusades, Vol. 5. U. S. A. 1985, p. 262.

26) قرية الزيب ez Zib : عرفت هذه القرية بأسماء عديدة منها تل اكزيب Tel Achzib، وفي العهد الروماني دعت اكذيبا Ecdippa، وذكرت في العصر الصليبي «Ziph»، «Siph»، كما أطلق عليها الصليبيون اسم قرية إمبرت Casal Imbert أو قرية هيرت Casal Hubert نسبة إلى الفارس الصليبي الذي تسلمها عقب الاستيلاء عليها عام ١١٠٤م/ ٤٩٧هـ. وقرية الزيب تقع على الساحل عند مصب القرن، وهي تقع شمال عكا وعلى بعد أربعة عشر كيلومتراً. يحدها من الشمال قرية رأس الناقورة ومن الشمال الشرقي قرية البصة ومن الجنوب قرية أم الفرج، انظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٧، ق٢، ص ٣٣٤.

Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 52, pp. 1011–, Doc. No. 101, p. 23. Doc. No. 134, pp. 33 – 34. Benvenisti, M. op. cit. pp. 221 – 223. Prawer J. Crusader Institutions, pp. 140 – 141.

وقد وصفها الرحالة الأجانب الذين زاروا فلسطين أثناء فترة الحروب الصليبية بأنها تقع قرب ساحل البحر، وهي مكان محاط بالحدائق وكروم العنب والمياه الجارية.

Cf. Burchard of Mount Sion, A Description of the Holy Land, A. D. 1280, trans by Aubrey Stewart, Vol. 12, London 1896, in P. P. T. S. p. 9. Marino Sanuto's for true Hamilton, B., op. cit., p. 91.

27) Hamilton, b., op. cit., p. 91.

28) Richard, J., Agricultural Condition in the Crusader States, p. 262.

29) يوشع براثر : علم الصليبيين، ترجمة قاسم عبده قاسم والدكتور محمد خليفة حسن، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨١م، ص ١٢٨.

30) Archer and Kingsford, The Crusades, the Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London 1919. p. 123.

31) يوشع براثر : عالم الصليبيين، ص ١٢٨.

32) Albert d'Aix, op. cit., p. 498. Cf. also: Fink, H. op. cit., p. 376.



33) Michoud, M., History of the Crusades, trans. from the Original by W. Robson, Vol. 3, London 1852, p. 271.

34) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 297.

المحكمة العليا: هيئة قضائية تعقد تحت رئاسة الملك، وفي حالة غيابه يرأسها أحد كبار الأفاضل، ثم اتسعت اختصاصات المحكمة العليا، فأصبحت بمثابة هيئة تشريعية.

(35) يوشع براثر: علم الصليبيين، ص ١٢٨.

36) Chalandon, F., op. cit., p. 300.

(37) تانكرد: ينتمي لأسرة شهيرة فوالده هو الماركيز أودونز Odo Bonus والدته هي إيمّا Emma ابنة روبرت جويسكارد، وقد استطاع تانكرد أن يكون بحق أشهر من أخواله. الذين حققوا مجداً عسكرياً، فلم يغره ثراء آبائه، فلم يكن مبذراً، ولم يثر سلطان عائلته في نفسه نوازع التعالي، فقد فاق أقرانه في استخدام السلاح، وبز الشيوخ في رزاقته ووقاره وتحلت علامات شجاعته بين الجميع، لأنه كان جندياً على درجة عالية من الكفاءة، ومع ذلك فهو يعمل في خدمة جودفري، على الرغم من أن الثروات كانت تفيض بين يديه.

Cf. Raoul de Caen, Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana, R. H. C. H.

Occ., tome III, Paris 1866, pp. 605, 703. Cf. also: William of Tyre, Vol. 1, pp.

69, 134.

38) Chalandon, F., op. cit., p. 300. Crousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 179.

(39) يوستاش البويني: هو الأخ الأكبر للأمير جودفري، دعي باسم والده، ونجح في حكم الكونية بعد وفاة والده. وقد شارك يوستاش في الحملة الصليبية الأولى، وأسهم مع تانكرد في الاستلاء على نابلس، وقد عاد إلى بلاده بعد انتهاء الحملة الأولى.

Cf. Robert Le Moine, Historia Iherosolimitana, R. H. C. H. Occ., tome III, Paris

1866, p. 871. Tudebodus, P., Historia Hierosolymitana itinere, R. H. C. H. Occ.,

tome III, Paris 1866, p. 111, William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 386 – 395.

(40) أشار روبرت الراهب Robert le Moine إلى أن أهل نابلس أرسلوا وفداً إلى الصليبيين بخصوص تسليم مدينتهم دون قتال، ولم يكذ الوفاء يصل إلى مواقع الصليبيين في بيت المقدس، حتى سارع لمقابلة الأمير جودفري عارضاً عليه تسليم المدينة دون قتال. Cf. Historia Iherosolimitana, p. 871. ذكر الكثير من المؤرخين الغربيين المعاصرين للحملة الصليبية الأولى، أن جماعات من أهل نابلس خرجوا للقاء تانكرد ويوستاش البويني واستقبلوها على مشارف المدينة.

Cf. Raimond d'Agiles, op. cit., p. 305. Tudebodus, P. op. cit., p. 111. Guibert

de Nogen, Historia quae dicitur Gesta Dei Per Francos, R. H. C. H. Occ., tome

IV, Paris 1879, p. 234. Tudebodus, A., Gesta Francorum et Aliorum Hierosoly-

mitanorum, R. H. C. Occ. tome III, Paris 1866, p. 161.

41) William of Tyre, Vol. 1, p. 399. Cf. also: Deschamps, P. Les Chaeaux des Croises en Terre- Sainte. La Defense de Royaume de Jerusalem, Paris 1939, p. 124.

42) Raoul de Caen, op. cit., p. 703. Cf. also: Grousset R., op. cit., Vol. 1, p.

179. Fink, H., op. cit., pp. 376377-, Benvenisti, M., The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem 1976.

أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن عدد الفرسان الذين تحرك بهم تانكرد صوب الجليل بلغ أربعة وثمانين فارساً.

Cf. Deschamps, p., op. cit., p. 124.

43) Richard, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, Trans by Jenat Shirly,

Amsterdam 1979, p. 21.

44) Albert d'Aix, op. cit., pp. 517518-, Baldrici of Dol, Historia Jerosolimitana,

R. H. C. H. Occ. tome IV, Paris 1879, p. 111.

45) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jrusalem, 1979, p. 17. Runciman, op. cit.,

Vol. 1, p. 304.

جبل طابور: يقع في إقليم الجليل، جنوب شرق الناصرة وعلى بعد تسعة كيلو مترات منها، ويسمى الآن باسم جبل طابور، ويشرف على سهل مرج بن عامر، ويرتفع عن سطح البحر نحو خمسمائة وثمانية وثمانين



متراً. وجوانب الجبل مكسوة بشجر السنديان والجوز وغيرها، وترتبه خصبة توافق المرعى. وقبل نهاية القرن السادس الميلادي بنيت على الجبل ثلاث كنائس. انظر: جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج١، بيروت ١٨٩٤م، ص ٢٧٦. قسطنطين خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية، بيروت ١٩٦٩م، ص ٩٢. مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٧، ق٢، بيروت ١٩٧٤م، ص ١٣. ويضيف ميرون بنفستي Meron Benvenisti أن جبل الطور يتخذ شكل القبة، ويرتفع نحو أربع مائة متر فوق ما يحيط به، وكان موقعاً عسكرياً وموضع إعجاب من القادة العسكريين.

Cf. The Crusaders in the Holy Land, p. 358.

46) Raoul de Cean, op. cit., p. 703. Tudebodius Imitatus, Historia Peregrinorum R.H.C.H. Occ., tome III, Paris 1866, p. 226. Cf. also: Deschamps, P., op. cit., p. 124. Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 304. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 85.

بيسان: ذكرها أبو الفداء أنها «مدينة صغيرة بلا أسوار، ذات بساتين وأنهار وأعين، وهي على الجانب الغربي من الغور، وهي كثيرة الخصب» انظر: تقويم البلدان، نشر رينو وديسلان، باريس ١٨٤٠م، ص ٢٤٣. 47) Raoul de Caen, op. cit., p. 703.

48) William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea Vol 1, p. 399.

49) Fink, H. The Foundation of the Latin States, p. 377.

50) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 399, note 32.

51) Albert d'Aix, op. cit., p. 516. Cf. also: deschamps, P., op. cit., p. 124. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, pp. 180183-, Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham (Hebron), Z.D.P.V., 65, 1942, p. 167. Fink, H. op. cit., p. 377. Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 309. Prawer, J. Crusader Institutions, Oxford 1980, p. 23.

جيرارد من افسنيز: من منطقة Hainault، وهو أحد الفرسان الصليبيين الذين شاركوا الأمير جودفري في حصار ارسوف، وقد أرسله جودفري إلى سكان المدينة الذين قبضوا عليه وربطوه في أحد الصواري على قمة أحد الأبراج، ليكون معرضاً للسهم التي يمكن أن تأتي من الجانب الصليبي، ولم يتردد جودفري أمام هذا المشهد وأمام توسلات جيرارد المسكين، واستمر في حصار المدينة، وطلب من رجاله تدعيم حصار ارسوف، مما أدى إلى زيادة آلات الحصار، والاقتراب كثيراً من الأسوار.

Cf. Albert d'Aix, op. cit., pp. 507510-. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 182. Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 308.

52) Albert d'Aix, op. cit., pp. 514515-. Cf. also: Fink, H., op. cit., p. 377.

Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 21. Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 309.

53) Baldrici of Dol, op. cit., p. 111. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 180. Fink, H. op. cit., p. 377.

54) Geneviève, B. B., Le Cartulaire du Chapitre du Saint-Sépulchre de Jerusalem, Paris 1984, Acte, No. 26, pp. 8688-, de Rozière, M. E., Cartulaire de l'Eglise de Saint Sepulchre de Jerusalem, Paris 1849. Doc. No. 29, pp. 5455-, Doc. No. 54. pp. 102107-, Beugnot, L., Assises de Jerusalem, tome II, charte No. 4, p. 483. Migne, Cartulaire... dans Patrologie Latine, tomus 155, Doc. No. 29, Cols. 11211122-, Röhricht, R., Regesta Regni Hierosolymitani, Innsbruck 1893, Doc. No. 74, pp. 1617-.

55) دابمرت البيزي: كان رئيساً لأساقفة بيزا، وحضر مع مجموعة من المرافقين إلى ميناء اللاذقية Laodicea. وقد اختير بطريركاً على بيت المقدس في ديسمبر عام ١٠٩٩م/ صفر عام ٤٩٣هـ.



CF. Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 39, 140, 132. William of Tyre, op. cit., vol. 1, p. 402.

وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن دايبرت أوف بيزا كان من المؤيدين المخلصين للبابا اربان الثاني.

Cf. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 99.

56) William of Tyre, op. cit., vol. 1, p. 404.

(57) جالديمار كاربنيل: هو أحد الفرسان الصليبيين الذين حضروا مع الأمير ريموند الصنجيلي إلى الأراضي المقدسة.

Cf. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 61.

58) Albert d'Aix, op. cit., p. 521. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p.

200. Fink, H., op. cit., p. 380. Richard J., op. cit., loc. cit. Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 313.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج1، ص ٢٦٨.

59) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 399.

60) Albert d'Aix, op. cit., pp. 522 – 523.

61) Fulcher of chartres, op. cit., p. 142.

(62) ذكر البرت دكس Albert d'Aix أن جودفري وعد بمنح مدينة حيفا لصديقه جالديمار كاربنيل. انظر: "eo quod dux Godefrids, cum ad huc viveret, et grabato aeger cubaret, Geldemaro, coguomine Carpenel, egregio milits et nobili, urbem in beneficio concesserit, si forte caperetur" Cf. Historia Hierosolymitana, p. 521.

63) Fulcher of chartres, op. cit., p. 142. Albert d'Aix, op. cit., pp. 522– 524, Translation Sancti Nicolai in ventiam, R. H. C. H. Occ. tome V, Paris 1869, pp. 277– 278, Cf. also: Deschamps, P., op. cit., p. 125. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 200. Richard, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 61.

كان جالديمار كاربنيل من بين الفرسان الذين اشتركوا مع بقية أفراد الجيش الصليبي بالاستيلاء على حيفا، وعندما رأى جالديمار أن تانكرد قام بضم حيفا لإمارته، قام بمغادرة المدينة مع مجموعة من أتباعه، واتجه إلى الخليل، نظراً لعدم قدرته على الوقوف في وجه تانكرد ودايمبرت. وقد وقف جيرارد أوف افسنيز إلى جانب تانكرد في حيفا، ولم يعد لإقطاعية الخليل التي أقطعت بعد ذلك لجالديمار كاربنيل، وبعد أن توج الملك بلدوين الأول على عرش المملكة، قدم له جالديمار شكوى بخصوص مدينة حيفا التي سلبها منه تانكرد، وبعد أن تسلمها بفترة وجيزة قتل في معركة الرملة الأولى عام ١١٠١م/ ٤٩٤هـ.

Cf. Albert d'Aix, op. cit., pp. 523, 537, 549, 553. Cf. also: Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 317.

64) Albert d'Aix, op. cit., pp. 523 – 524, Cf. also: Runciman, S., op. cit., loc. cit.

65) Chalandon, op. cit., p. 299.

66) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 392. also: Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 312.

67) Fulcher of chartres, op. cit., p. 136. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 414. كانت وفاة الأمير جودفري البويرني بسبب حمى متقطعة.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 413 – 414, Cf. also: Besant and Palmer, op. cit., p. 223.

68) Fulcher of Chartres, op. cit., p. 148. Albert d'Aix, op. cit., pp. 536 – 537, William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 427, Monitum in Balduini III, Historia Nicenae Vel Antiochenae Prologum, tome V, R. H. C. H. Occ., p. 177.

(69) قام تانكرد بالاجتماع مع الملك بلدوين الأول في مدينة حيفا في مارس عام ١١٠١م/ جمادي الأولى عام ٤٩٤هـ، وتقرر في هذا الاجتماع أن يتخلى تانكرد عن البلاد التابعة له، أي عن إمارة الجليل، وذلك على أثر قدوم وفد من سكان مدينة أنطاكية يطلبون منه القدوم إلى المدينة لكي يحكمها بسبب وقوع خاله بوهيمند



- في الأسر على أثر المعركة التي جرت بينه وبين المسلمين قرب ملطية .  
 Cf. Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 28, 135, 150-151, Albert d'Aix, op. cit., pp. 538-540, William of Tyre, Vol. 1, p. 411, Monitum in Balduini III, op. cit., p. 177.  
 70) Albert d'Aix, op. cit., p. 537, Cf. also: Rey, Les familles D'outre- Mer de du Cange, Paris 1869, p. 443.  
 Hugh of Tiberias هو من سانت أومر: ذكره فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres باسم هيو سيد طبرية ثم نراه يذكره باسم هيو أوف فولكنبرج Hugh of Folkenberg وكان من أعظم بارونات الملك بلدوين الأول .  
 Cf. A History of the Expedition to Jerusalem, pp. 170- 171, 190 .  
 وذكرت البرت دكس Albert d'Aix باسم هيو من حصن فولكنبرج .  
 Cf. Historia Hierosolymitana, p. 538.  
 71) Richard, J., The Latin kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 85, Deschamps, P., op. cit., p. 125.  
 72) Albert d'Aix, op. cit., p. 538, Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 57, pp. 12-13.  
 عندما رأى جالديمار كارنيل أن الملك بلدوين الأول، قد أرسى العدالة، وقف إلى جانبه وأخذ يشكو بشدة المظالم التي أوقعها به تانكرد، فيما يتعلق بمدينة حيفا التي تولاها جالديمار، منحة من القائد جودفري البويوني، الذي استحق طاعة الجند، ولكن تانكرد استولى على المدينة عندما علم بموت الأمير جودفري، وعندما استمع الملك لهذه الشكاوي عقد مجلساً للتشاور مع رجاله بخصوص هذا الأمر.  
 Cf. Albert d'Aix, op. cit., p. 537.  
 73) Richard, J., The Latin kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 85.  
 (74) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٢٢٥ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، بيروت ١٩٦٦م، ص ٣٢٠.  
 Cf. also: Fulcher of Chartres, op. cit., p. 152.  
 (75) ابن القلانسي: المصدر السابق، نفس الصفحة - ابن الأثير: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.  
 Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 12, 153.  
 ذكر ابن القلانسي أن سقوط قيسارية بيد الصليبيين كان في أواخر رجب عام ٤٩٤هـ. انظر: تاريخ دمشق، ص ٢٢٥.  
 76) Fulcher of Chartres, op. cit., p. 176, Albert d'Aix, op. cit., pp. 607-608, Monitum in Balduini III, op. cit., p. 180.  
 ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٢٣٢ - ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٣.  
 (77) ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ٢٦٩ - سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٣١.  
 Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 13, 197.  
 يذكر فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres أن حصار بيروت استمر خمسة وسبعين يوماً.  
 Cf. A History of the Expedition to Jerusalem, p. 196.  
 ذكر البرت دكس Albert d'Aix أن تاريخ سقوط بيروت كان في السابع والعشرين من مايو عام ١١٠١م/ السادس من ذي القعدة عام ٥٠٤هـ.  
 Cf. historia Hierosolymitana, p. 671, Cf. also: Grousset, R., Vol. 1, p. 255.  
 (78) ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٢٧٤.  
 Fulcher of Chartres, op. p. 200, Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 26.  
 79) Runciman, S., A History of the Crusades, Vol. 2, p. 99.  
 (80) يوشع براثر: عالم الصليبيين. ص ١٣٠.  
 Prawer, J., Crusader Institutions, p. 14.  
 81) Prawer, J., Crusader Institutions, pp. 14-15.  
 82) Beyr, G., Die Kreuzfahrerherrschaft Caesarea in Palastina Siedlungs- und territorial geschlich untersucht, in Z.D.P.V. 1936, p. 4, Benvenisti, M., op. cit., p. 137, Prawer, J., op. cit., p. 24.



يوستاش جازنيه: يعتبر من أعظم السادة الإقطاعيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، وكان سيداً على إقطاعية قيسارية وبارونية صيدا. وقد تزوج من إماما Emma ابنة أخت البطريرك ارنولف مالكورون الذي قام بمنحها مدينة أريحا Jericho لتكون مهراً لها، على الرغم أن المدينة كانت من أملاك كنيسة القيامة، وكانت تدر على الكنيسة، مبلغاً إجمالياً يقدر بخمسة آلاف قطعة ذهبية.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 487- 489, Cf. also: Schlumberger, G. Trois Sceaux et deux Mannales de l'époque de Croisades, in A. O. L., Vol. 1, Paris 1881, p. 673, La Monte, op. cit., pp. 212213-, Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 87, éHamilton, B., op. cit., p. 63.

وقد وصف يوستاش جازنيه من قبل المؤرخين الصليبيين أنه كان رجلاً حكيماً عاقلاً، صادقاً في تعامله مع الآخرين، كما كان خبيراً في الشؤون العسكرية. وقد شغل منصب كند سطلب المملكة. كما اختير وصياً على العرش أثناء وقوع الملك بلدوين الثاني في الأسر. وبقي سيداً على إقطاعية قيسارية وبارونية صيدا حتى وفاته في يوم الخميس الموافق الخامس عشر من يونية عام ١١٢٣م/ السابع من ربيع الثاني عام ٥١٧هـ.

Cf. Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 35, 239240-, William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 541, 547, Cf. also: La Monte, op. cit., p. 9, Runciman, S., op. cit., Vol. 2, pp. 85, 93, Stevenson, W., op. cit., p. 114, Mayer, E.H., The Crusades, London, 1978, p. 80.

83) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 487, Grousset R., op. cit., Vol. 1, p. 257.

84) Jacques d'belin, Assises de Jerusalem, tome 1, Paris 1841, p. 453. Rey, Les Familles d'outre, Mer de du cange, p. 407. King, E., knights Hospitallers in the Holy Land, london 1931, p. 139. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 73.

باين ميللي: يعرف باسم باين بوتيلير Payen le Bouteillere وهو ينتمي لأحد الأسر النبيلة التي استقرت في فلسطين بعد قدوم الصليبيين، وترجع أسرة ميللي في أصلها إلى العنصر الفلمنكي. وقام الملك بلدوين الأول بمنح جزء كبير من نابلس كإقطاعية لباين كبير عائلة ميللي وقتذاك. وقد آلت إقطاعية نابلس بعد وفاة باين لابن أخيه فيليب ميللي.

Cf. King, op. cit., p. 139. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 73, p. 154, note 12.

85) Archer and Kingsford, op. cit., p. 118. Beyer, G., Die Kreuzfahererherrschaft Caesarea, p. 74.

86) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 87.

هاربن بورج: كان فيسكونت Viscount بورج، وقد باع إقطاعه وأملاكه للملك فرنسا قبل قدومه إلى الشرق، ومنحه الملك بلدوين الأول إقطاعية قيسارية، لكنه لم يلبث أن قتل عام ١١٠٢م/ ٤٩٥هـ.

Cf. Richard, J., op. cit., loc. cit.

87) Ibid. loc, cit. .

88) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج٤، ص ١٠٣- الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ الحاوي لصناعة الإنشا، مخطوط بجامعة القاهرة تحت رقم ٢٤٠٤٥. لوحة ٨٨.

89) عبد الله عارف: مدينة نابلس «دراسة إقليمية» دمشق ١٩٦٤، ص ٢.

90) Runciman, S., A History of the Crusades, Vol. 1, p. 297.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٤٦٦- يوشع براثر: عالم الصليبيين، ص ١٣٠.

91) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 87.

92) Archer and Kingsford, op. cit., p. 116. Deschamps, p. Le Crac de Chevaliers, Paris 1934, p. 15.

سعيد عاشور: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة. يوشع براثر: المرجع السابق، ص ١٣٠-١٣١.

93) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 15.

94) Archer and Kingsford, op. cit., p. 118. Monte, op. cit., p. 135. Richard, J.,



op. cit. , Vol. 1, p. 74.

95) William of Tyre, op. cit. , Vol. 2, p. 21.

ذكر فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres أن تاريخ سقوط مدينة صور بيد الصليبيين كان في يوم الأحد الموافق السابع من يولية عام ١١٢٤م/ الثاني والعشرين من جمادي الأولى عام ٥١٨هـ.

Cf. A History of the Expedition to Jerusalem, p. 266.

96) سعيد عاشور: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

La Monte, op. cit. , p. 135.

97) Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, Vol. . 11, trans by Aubrey Stewart, London, 1896, in P. P. T. S. p. 26. Jacques d'Ibelin, Le livce de jacques d'Ibelin in Assises de Jerusalem, tome 1, Paris 1881, p. 453. Michaud, M. , History of the Crusades, Vol. 1, p. 271. Mayer, E.H. , op. cit. , p. 155.

أنظر أيضاً: . سعيد عاشور، الحركة الصليبية ج١، ص ٤٦٦.

98) Jacques d'Ibelin, op. cit. , p. 454.

كان السادة الإقطاعيون الذين يقدمون يمين الولاء والطاعة للملك يخاطبونه بقولهم: أيها الملك نحن نعلم جيداً، أنك كما وصفت نفسك لنا، ونحن على أتم الاستعداد لتلبية أي طلب تطلبه منا، ونصبح معك في كل ما يتعلق بشؤون الإقطاعات والمملكة. أيها الملك لقد أقسمت بإنجيل الرب أنك سوف تبقى وتحمي كل ممتلكاتك، ونحن في ذلك جنودك الذين ناصركم الله للدفاع عنك وعن ممتلكاتك المقدسة.

Jacques d'Ibelin, op. cit. , pp. 453 - 454.

99) Richard, J. , The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 93. Runciman, S. , A History of the Crusades, Vol. 2, p. 300.

. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٤٦٦.

100) Runciman, S. , op. cit. , loc. cit. Barker, E. , The Crusades, London 1949, p. 38.

101) Ibid. , loc. cit. ,

102) Ibid. , loc cit. ,

103) رفيق التميمي: الحروب الصليبية، الطبعة الأولى، القدس ١٩٤٥م، ص ٧٢-٧٣.

104) Anonymous, Gesta Francorum Iherusalem Expugnamium, R. H. C. H. Occ, tome III, p. 543. Cf. also: Beyer, G. , Neapolis und sein Gebiet in der Kreuzfahrzeit, in Z. D. P. V. 63, 1940, p. 159. Benvenisti, M. , op. cit. , pp. 16, 275.

105) سيرة صلاح الدين المسماة بالنوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص ٦٧.

106) Besant and Palmer, op. cit. , p. 225.

107) Chalandon, F. , op. cit. , p. 300.

108) Ibid. , p. 300.

109) Archer and Kingsford, op. cit. , p. 122.

110) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 194.

111) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٤٧٤.

112) Beyer, G. , Die Kruzfahrergebiete Akko und Galilaea, Z. D. P. V. , 67, 1944 - 5, p. 226.

113) أنظر ما سبق من هذه الدراسة، ص ١٢٢.

114) Albert d'Aix, op. cit. , p. 516. Cf. also: Beyer, G. , Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. , Abraham, pp. 167, 172. Richard, J. , The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 88. Prawer, J. , Crusader Institutions, p. 23. Fink, op. cit. , p. 377.

115) Albert d'Aix, op. cit. , p. 523. Cf. also: Röhrich, R. , Regesta, Doc. No. 57, pp. 12- 13. Beyer, G. , Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 167, 172. Grousset, R. , op. cit. , Vol. 1, p. 202. Richard, J. , op. cit. , loc. cit.



- Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 317. Prawer, J., op. cit., loc. cit.
- (116) والتر ماكوم: لم تمدنا المصادر والمراجع المتخصصة بدراسة تاريخ الحروب الصليبية بمعلومات وافية عن والتر ماكوم، سوى أنه كان أحد السادة الإقطاعيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، وأنه تولى حكم إقطاعية الخليل زمن الملك بلدوين الأول من عام ١١١١-١١١٥ م/ ٥٠٤-٥٠٩ هـ. وقد ورد ذكره في إحدى الوثائق كشاهد على المنحة التي قدمها الملك بلدوين الأول لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط عام ١١٠٨ م/ ٥٠٢ هـ، كما ذكر في وثيقة أخرى كشاهد على المنحة التي قدمها روجر أسقف الرملة للدير سالف الذكر عام ١١١٥ م/ ٥٠٩ هـ.
- Cf. Kohler, ch., Chartes de l'Abbaye de Notre- Dame, Registres 175, 188, pp. 112-118, 113-. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 52, pp. 10-11, Doc. No. 80, pp. 1819-. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 88. Rey, Les Familles d'outre. Mer de du Cange, p. 424.
- 117) Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete Von Jerusalem und S. Abraham, pp. 172-173. Richard, J., op. cit., loc. cit. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 23.
- 118) Richard, J., op. cit., loc. cit. Prawer, J., op. cit., loc. cit.
- (119) أنظر ما سبق من هذه الدراسة، ص ١١٨.
- 120) Fulcher of Chartres, op. cit., p. 190. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 469-470. Cf. also: Richard, J., op. cit., p. 23.
- ذكر ري Rey أن مقتل هيو سانت اوامر كان في عام ١١٠٧ م/ ٥٠١ هـ.
- Cf. rey, Les Familles d'outre. mer de du Cange, p. 443.
- (121) جيرفاس باسوك: كان سيداً إقطاعياً لامعاً زمن الملك بلدوين الأول، الذي لم يكن راضياً عنه في البداية، وبعد ذلك اكتسب رضاه بسبب إقدامه ونشاطه، إضافة إلى أن جيرفاس ألقى بنفسه على الملك وأعلن طاعته وولاءه له. وقد وقع جيرفاس أسيراً بيد الدماشقة في أحد أيام عيد الفصح، وعرض عليه الدماشقة الإسلام، ولكنه رفض، فربطوه بشجرة ونفذوا فيه حكم الإعدام رشقاً بالسهام.
- Cf. Guibert de Nogen, op. cit., p. 259. Albert d'Aix, op. cit., pp. 656-658. Cf. also: Rey op. cit., pp. 443-444. Röhrich, R., Geschichte de Konigrichs Jerusalem, Innsbruck 1898, p. 73.
- 122) Albert d'Aix, op. cit., p. 658. Guibert de Nogen, op. cit., pp. 259-260. Rey, op. cit., pp. 443-444. Röhrich, R., Geschichte de Konigrichs Jerusalem, p. 73.
- Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, pp. 31, 86. Prawer, J., op. cit., p. 23.
- 123) Prawer, J., op. cit., loc. cit.
- (124) جوسلين كورتناي: نبيل فرنسي من مقاطعة Gatinaic، وهو أحد أقارب بلدوين بورج Baldwin of Bourg الذي أغدق عليه الكثير من المنح والإقطاعات. ويعتبر جوسلين من أفضل نبلاء أسرته، فقد كان شجاعاً نشيطاً أثناء المعارك، كما كان يمتاز بالحكمة والمهبة والخبرة بأحوال الناس وبشؤون الحياة، فضلاً عن أنه كان إنساناً واعياً حذراً في جميع تصرفاته.
- Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 520, 550-551.
- 125) William of Tyre op. cit., Vol. 1, pp. 499-500. Matthieu d'Eddesse, Extraits de Chronique, in R.H.C. Doc. Arm. tome 1, Paris 1858, p. 125. Cf. also: Stevenson, W., op. cit., pp. 96, 106. Richard, J., op. cit., loc. cit. Rey, op. cit., p. 445. Mayer, H.E., The Crusades, pp. 76, 79. Prawer, J., op. cit., loc. cit. Archer and Kingsford, op. cit., p. 118.
- (126) وليم بور: هو أحد الفرسان الصليبيين الذين استقروا في الأراضي المقدسة منذ وقت مبكر، وقد ظهر كأحد الشخصيات البارزة في إمارة الجليل الصليبية، وقد اشترك إلى جانب جوسلين أمير الجليل في المعركة التي قادها عام ١١١٩ م/ ٥١٣ هـ، ضد القبائل العربية في شرق الأردن. Cf. Albert d'Aix, pp. 710-712.
- وكان وليم دي بور رجلاً نبيلًا وسيداً مشهوراً، وقد أثنى عليه الصليبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية، على الرغم أن المعلومات عن حياته المبكرة غير معروفة. وقد منحه الملك بلدوين الثاني إمارة الجليل بعد رحيل جوسلين



إلى الرها عام ١١١٩م/ ٥١٣هـ، وقد تولى الوصاية على مملكة بيت المقدس، بعد وفاة يوستاش جاريه في يوم الخميس الموافق الخامس عشر من يونيو عام ١١٢٣م/ السابع من ربيع الثاني عام ٥١٦هـ. وأثناء وقوع الملك بلدوين الثاني في أسر ملك صاحب حصن خربت. وكان وليم دي بور من الشخصيات البارزة في الاجتماع الذي عقده البطريك جرموند في عكا من أجل عقد اتفاقية مع دوق البندقية بخصوص الاستيلاء على مدينة صور، وقد لعب وليم دوراً هاماً أثناء حصار الصليبيين لمدينة صور، ثم تمكنهم من الاستيلاء عليها عام ١١٢٤م/ ٥١٧هـ. وقد ذهب وليم بصحبة جاي دي برسيبار Guy d'Brisebar إلى أوروبا من أجل دعوة فولك أوف أنجو لكي يتزوج من ابنة الملك بلدوين الثاني (ميلسند) ولكي يصبح وريث عرش مملكة بيت المقدس. وشارك وليم في الحملة التي قادها الملك بلدوين الثاني ضد إمارة دمشق عام ١١٢٩م/ ٥٢٤هـ، وكان تحت قيادة وليم نحو ألف فارس. كذلك اشترك وليم في القوات التي أعدها الملك فولك من أجل الدفاع عن حصن بعين، ومنع عماد الدين زنكي من الاستيلاء عليه، وكان ذلك في عام ١١٣٧م/ ٥٣١-٥٣٢هـ.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 547-548, 553-556. Vol. 2, pp. 14, 20, 38, 41, 51, 87. Cf. also: la Monte, J., op. cit., pp. 9231, 53, 11-. Stevenson, W., op. cit., p. 114. Dodu, G., op. cit., p. 125. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 77.

ويبدو أن وليم دي بور توفي عام ١١٤١م/ ٥٣٥هـ، لأن آخر الأعمال التي ذكر فيها، كان حضوره الاجتماع الذي عقده البطريك وليم في القصر الملكي في نابلس يوم الإثنين الثالث من فبراير عام ١١٤١م/ الثالث والعشرين من جمادى الآخرة عام ٥٣٥هـ، وبعد هذا التاريخ لم يعد يذكر بالمرّة مما يؤكد أنه توفي في هذه العام، وبعد ذلك أخذ خليفته إيليناند بور يظهر في الوثائق منذ عام ١١٤٢م/ ٥٣٦هـ.

Cf. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 201, p. 50.  
127) Rey, op. cit., pp. 445-448. Archer and Kingsford, op. cit., p. 118. Prawer, op. cit., pp. 23-24.

128) جوليان جاريه: هو آخر من تولى حكم بارونية صيدا من أسرة جاريه، وكان قد ورثها عن والده باليان بن رينالد بن جيرارد جاريه عام ١٢٣٩م/ ٦٣٧هـ. وكان جوليان فارساً شجاعاً قوياً، مفتول العضلات، غير أنه لم يكن حكيماً في تصرفاته وتعامله مع الآخرين. أنظر: د. أسامة زكي زيد: صيدا ودورها في الصراع الصليبي الإسلامي، الاسكندرية ١٩٨١م، ص ٢٢٥-٢٢٦، ٢٣٩. وقد قدم جوليان جاريه في الفترة الأخيرة من حكمه لبارونية صيدا العديد من المنح والإقطاعات لهيئة الفرسان التيوتون.

Cf. Strehlke, E., ed. Tabulae Ordinis Theutonic, Berlin, 1869, Doc. Nos. 108-111, pp. 88-91, Doc. Nos. 114-115, pp. 96-98, Doc. Nos. 117-118, pp. 103-106.

129) أسامة زكي زيد: المرجع السابق، ص ٢٣٩، أنظر أيضاً: الملحق السادس، ص ٣٠٢ فرسان الداوية: تأسست هيئة فرسان الداوية عام ١١١٨م/ ٥١٢هـ أي زمن الملك بلدوين الثاني. ويرجع تأسيس هيئة فرسان الداوية إلى كل من هيو دي باينز Hugh de Payens وجودفري دي سانت أومر Godfrey de St. Omer وقد قدم لهما الملك بلدوين الثاني جزءاً من المسجد الأقصى الذي أطلق عليه الصليبيون اسم معبد سليمان، ولذلك أطلق عليهم فرسان المعبد. وكانت مهمة هؤلاء الفرسان في بداية الأمر حماية طرق الحجاج، وبعد تأسيس هيئة فرسان الداوية بتسع سنوات تم عقد اجتماع في تروي Troyes في فرنسا وقد صادق المجتمعون على إنشاء هذه الهيئة التي أقسم فرسانها على التزام العفة والطاعة.

Cf. William of Tyre, op. cit. Vol. 1, pp. 524-527. Addison, Ch. G., The Knights Templars, London 1849, pp. 11-14. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 542.  
Runciman, S., op. cit., Vol. 2, pp. 157-158.

أنظر أيضاً: سعيد عاشور، الحركة الصليبية، ج١، ص ٤٨٧-٤٨٨.  
130) شافع بن علي: كتاب حسن المناقب السرية، ص ٨٨-٨٩. بيبس المنصوري: التحفة الملوكية، ص ٥٣. القريري: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق٢، ص ٥٢٥-٥٢٨. العيني: عقد الجمان، القسم الأول، ٣٩٦-٣٩٧.

تجدد الإشارة إلى أن هيو بن والتر الأول بن يوستاش جاريه ثالث سيد إقطاعي من أسرة جاريه بتولي حكم إقطاعية قيسارية كان قد ترك ولدين وبنت هم جاي ووالتر الثاني وجوليانا وقد تعاقبوا على حكم الإقطاعية وقد



تزوجت جوليانا من والتر كند سطل قبرس الذي أصبح يعرف باسم والتر الثالث سيد قيسارية بسبب زواجه من جوليانا التي ظهرت كسيدة إقطاعية لقيسارية منذ عام ١١٩٧م / ٥٩٣هـ.

Cf. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 736, p. 196, Doc. No. 810, pp. 216-217, Doc. No. 819, p. 220, Doc. No. 846, Doc. No. 901, p. 242. Geneviève, B. B., op. cit., Index Nominum, p. 385, Rey, Les Familles de outer-mar de du Cange, p. 277. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 87.  
131) Fulcher of Chartres, op. cit., p. 135. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 411, Monitum in Balduini III, op. cit., p. 117.

ملطية: تعرف حالياً باسم ملاطيا Malatya وهي تبعد عن الرها نحو تسعين كيلومتر.  
Cf. A History of Expedition to Jerusalem, p. 135, note 3.

(132) أنظر ما سبق من هذه الدراسة، ص ١١٨.  
(133) هيو الثاني بوزية كونت بافا: ولد هيو الثاني في ابوليا Apulia، ووالده هيو الأول بوزية، وكانت والدته ماميليا Mamilia ابنة هير كوت كونت روزي Hugh Cholet count of Roussy. وقد تولى هيو الثاني كونتية بافا بعد وفاة والده، ثم تزوج من إمامة Emma أرملة يوستاش جارنيه. وكان هيو شاباً طويلاً القامة، وسيم الملامح، كما كان شجاعاً، خبيراً بفنون الحرب. وكانت تربطه الملكة ميلسند رابطة قرابة من جهة الأب، إذ أن والديهما كانا أولاد خالات. وقد رفض هيو أن يكون تابعاً للملك فولك، وظهرت العداوة بين الطرفين بسبب ما أشيع عن وجود علاقة حميمة بين الملكة ميلسند وبين هيو الثاني بوزية، مما أدى في النهاية إلى طرد هيو من كونتية عام ١١٣٢م / ٥٢٦هـ.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 70-73.  
134) Ibid., p. 73. Cf. also: Richard, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 74. Praver, J., Crusader Institutions, p. 24.

(135) فيليب ميللي: ولد في فلسطين، وكان عمه باين دي ميللي أول سيد إقطاعي، تولى حكم إقطاعية نابلس، وكان والده يدعى جاي، ووالدته استيفاني فلامنيج Estefenie Flamengue. وقد تولى فيليب حكم إقطاعية نابلس حوالي عام ١١٤٢م / ٥٣٧هـ، أي بعد وفاة عمه باين Payen.

Cf. les lignages d'outer-Mer, in Assises de Jerusalem, tome II, p. 452. Rey, Les Familles d'outer-mer de du cange, p. 407.

136) Les lignages d'outer-mer, p. 452. Rey, op. cit., p. 403. Rey, Les Seigneurs de Montreal, in R.O.L., tome IV, Paris 1896, p. 20. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 366, pp. 9697-. Schlumberger, G., Trois Sceaux et Mannaes de l'Poque de Croisades, p. 667. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, pp. 73, 80. Deschamps, P., op. cit., p. 48. King, op. cit., p. 39.

137) Röhrich, R., op. cit., Rey, Les Seigneurs de Montreal, p. 20. Deschamps, P., op. cit., loc. cit.

138) Chartes de Terre Sainte, Publiées Par Delaville le Roulx tome IX, in R.O.L., Paris 19051908-, p. 184. Cf. also: Deschamps, P., op. cit., loc. cit.

139) William of Tyre, op. cit., Vol. 2, pp. 218, 260. Cf. also: Addison, Ch., G., The Kinghts Templars, pp. 56, 58.

أشار اديسون Addison إلى أن فيليب ميللي سيد إقطاعية نابلس، كان من مواليد فلسطين، وهو بذلك أول مقدم لهيئة فرسان الداوية من مواليد فلسطين.

Cf. The Knights Templars, p. 54.

(140) ميلسند: هي كبرى بنات الملك بلدوين الثاني، تزوجت من فولك الأنجوي Fulk of Angjou عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ. وتولت ميلسند حكم مملكة بيت المقدس الصليبية بعد وفاة زوجها عام ١١٤٣م / ٥٣٨هـ. وعندما بلغ ابنها بلدوين سن الرشد، بدأ النزاع بينه وبين والدته، التي اضطرت في نهاية الأمر إلى التنازل عن العرش والاعتكاف في مدينة نابلس.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 50-51, 134-135, 205-207.

ذكر هاملتون Hamilton أن الملك فولك أبعد ميلسند عن السلطة مما حرمها من المناصرة، وهذا أدى إلى غضب



بعض النبلاء بزعامة هيو الثاني أوف بوزية.

Cf. The Latin church in the Crusader States, p. 69.

(141) لزيد من التفصيل عن الصراع بين الملكة ميليسند وابنها الملك بلدوين الثالث أنظر :

William of Tyre, op. cit., vol. 2, pp. 205 – 207. Cf. also: Besant and Palmer, op. cit., p. 316. Archer and Kingsford, op. cit., p. 224. King, op. cit., p. 49. Grousset, R., op. cit., Vol. 2, P. 317, Baldwin, W.M. The Latin states undder Baldwin III and Amalrisim stetton 1, p. 535. Concer, op. cit., p. 113. Stevenson, W., op. cit., p. 117. Richard, J., The latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 64. Benvenisti, M., op. cit., p. 83.

142) William of Tyre, op. cit., Vol. 2, p. 207. Grousset, R., op. cit., Vol. 2, p. 320. Baldwin, W.M., op. cit., loc. cit. Richard, J., op. cit., loc. cit.

143) Röhricht, Geschichte, p. 307. King, op. cit., loc. cit. Besant and Palmer, p. 316. Conder, op. cit., p. 113. Stevenson, W., p. 184. Benvenisti, p. 164.

144) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 84. Praver, J., Crusader Institutions, p. 24.

(145) كان الملك بلدوين الثاني قد منح يافا وتوابعها لهيو الأول بوزية، وبعد فترة قصيرة توفي هيو الأول، فألت كونتية يافا لابنه هيو الثاني أوف بوزية.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 2, p. 71.

(146) تولى فيليب ميللي حكم إقطاعية نابلس عام ١١٤٢م / ٥٣٧هـ.

Cf. Rey, Les Familles d'outre-Mer de du Cange, p. 407.

147) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 100.

148) Ibid., pp. 99–100.

Richard, J., op. cit., Vol. 1, p. 93. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 300.

149) William of Tyre, Vol. 2, pp. 72–74. Cf. also: La Monte, J., p. 13. Richard, J., Vol. 1, pp. 87, 95–96.

150) Samil, R. C., The crusaders in Syria and the Holy Land, London 1973, p. 43.

Richard, J., op. cit., Vol. 1, p. 93. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 300.

151) Archer and Kingsford, op. cit., pp. 123–124.

152) La Monte, J., op. cit., p. 142. Traveleyen, G.M., p. 103

إبراهيم علي طرخان : النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨م، ص ٤٨، سعيد عاشور : الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٦٦، أحمد إبراهيم الشعراوي : الإقطاع وأوروبا في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٠م، ص ٣٨.

(160) سعيد عاشور : المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

153) La Monte, J., op. cit., p. 138.

154) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, VOL. 1, p. 89.

(155) قلعة بوفورت Beaufort : تعرف باسم قلعة الشقيف أو شقيف ارنون، وهي تقع على نهر اللباني وكانت مركزاً لفرسان الداوية. وقد ورد اسم القلعة في المصادر والمراجع الأجنبية بأشكال مختلفة منها : بلفورت Belfort وبيفورت Biaufort وهذه القلعة شيدها الملك فولك الأنجوي عام ١١٣٩م / ٥٣٤هـ.

Cf. Burchard of Mount Sion, p. 13. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 85. Mayer, H. E., op. cit., p. 93.

وقد شيدت قلعة الشقيف على مرتفع من الأرض يبلغ نحو اربعمائة وخمسين متراً عن سطح البحر، وقد وصفها الأنصاري الدمشقي بأنها حصن منيع له عمل واسع. انظر : نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطربورغ ١٨٦٥م، ص ٢١١. انظر أيضاً : طه ثلجي الطراونة : مملكة صفد في عهد المماليك، بيروت ١٩٨١، ص ١٠٥.

(156) مجدل يابا Majdel Yaba : كانت تحمل اسم ميرابيل Mirabel في العصر الصليبي، وكانت تقع ضمن حدود إقطاعية ويحدها من الشمال الغربي رأس العين Ras-el-Ain ومن الجنوب الغربي قرية رنيته.

(157) بينا Ibelin : كانت تعرف بأسماء كثيرة منها Iamnia و Jamnia وابلين Ibelin، وهي تقع جنوب



يافا وعلى بعد فرسخين منها، أي ما يعادل ستة أميال (إحدى عشر كيلومتر وثمانية وثمانين متراً) وقد أقام الملك فولك قلعة على أراضي بينا عام ١١٤١م / ٥٣٥ هـ .

Cf. Burchard of Mount Sion, op. cit., p. 86. Mayer, H. E., op. cit., loc. cit.

(159) قرية القديس جورج : كانت مركزاً لإقطاعية صغيرة حملت اسم القديس جورج، وهي تقع في إقليم الجليل، ويحدها من الشمال الشرقي قرية كسير Cassera ومن الجنوب الغربي قرية مجد الكروم، ومن الجنوب قرية البعنة al-B'ina، وتشير بعض المصادر إلى أن موقع القرية هو المكان الذي ولد فيه القديس جورج، إذ ذكر جون بولونير أن قرية القديس جورج تقع شرق مدينة عكا، وعلى بعد خمسة أميال منها، وهي قرية جميلة ولد فيها القديس جورج ويسميه أيضاً القديس جيروم St. Jerom .

Cf. John Poloner's Description, of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, London 1844, p. 35, in P.P.T.S., Vol. 6, cf. also: Benvenisti, M., op. cit., pp. 351-352.

وفي الثلاثين عام الأولى من القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الميلادي، أسس الصليبيون ديراً بندقيتا بالقرب من قرية البعنة، وقد ورد ذكر أسماء اثنين من رؤساء الدير في الوثائق: فقد ذكر الخيريوس كرئيس للدير في وثيقة مؤرخة عام ١١٤٠م / ٥٣٥ هـ، أما رئيس الدير الآخر وكان يدعى جون فقد ورد ذكره في وثيقة مؤرخة عام ١١٦٠م / ٥٥٦ هـ .

Cf. Beugnot, Lois, op. cit., tome II, Charte No. 25, pp. 506-507, Migne, op. cit., tomus, 155, Doc. No. 65, Cols. 1163-1164, Doc. No. 90, Cols. 1189-1191. Röhrich, regesta, Coc., No. 199, p. 49. Doc. No. 360, pp. 94-95.

وتعرف القرية أيضاً باسم قرية الخضر، وفي منتصف القرن السادس عشر الميلادي / منتصف القرن العاشر الهجري، قام السلطان سليمان القانوني بمنح المنطقة التي تقوم عليها القرية، إلى رجل زاهد يدعى الأسد، وقد أقام هو وعائلته في المنطقة، وعندما توفي عام ١٥٦٧م، تم دفنه بالقرب من الدير. وعندما امتد العمران حول الدير أصبحت القرية تعرف باسم دير الأسد، ولا يزال العرب يطلقون على الكهف الواقع قرب القرية اسم الكهف. أنظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج٧، ق٢، ص ٣٩٤.

Cf. Benvenisti, M., op. cit., pp. 351-352.

(160) قلعة الملك: بنيت القلعة على أراضي قرية معليا التي ترتفع عن سطح البحر نحو خمسمائة متر، وتبعد عن عكا نحو تسعة كيلومترات، وتقع قلعة القرنين في الشمال الغربي من معليا وتبعد عنها نحو خمسة كيلومترات. أنظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٧، ق٢، ص ٤١٨-٤٢٤. وقد حظيت قلعة الملك باهتمام الرحالة العرب والأجانب، فقد وصفها الأنصاري الدمشقي بأنها قلعة مليحة حصينة جبلية. أنظر: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢١١. وقد ذكرها الرحالة الأجانب الذين زاروا المنطقة خلال فترة الحروب الصليبية، بأنها تقع بالقرب من قلعة جدين على بعد ثلاثة فراسخ منها (ما يعادل تسعة أميال)، كما أنها تقع بالقرب من واد محاط بكل الأشياء الجيدة، والغطاة التي نادراً ما توجد في أي مكان آخر.

Cf. Marino Sanuto's, op. cit., p. 24. Burchard of Mount Sion, op. cit., p. 26.

(161) Jean d'Ibelin, Le Livre de Jean d'Ibelin, in Assises de Jerusalem, tome 1, Paris 1841, pp. 422-426. La Monte, J., op. cit., p. 147. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 298. Terence Wise, The War of the Crusades. first edition, London 1978, p. 78. Beyer, G. Die Kreuzfahrergebiete Sudwes Palestinas, in Beitrage Zur biblischen Landesund Altrtertumskunde (Herausgegangen aus der ZDPV) 1946-1951, pp. 160-161.

(162) Jean d'Ibelin, op. cit., loc. cit. La Monte, J., op. cit., loc. cit. Runciman, S., op. cit., loc. cit.

(163) الفيסקونت Viscount : هو نائب اللورد، وكان منصبه وراثياً في معظم الأحيان، وكان يتولى رئاسة المحكمة البرجوازية، وكان فيكونتات نابلس وبيت المقدس من صفوف النبلاء. وهناك أربعة فيكونتات ملكيين في نابلس وبيت المقدس وعكا ودير البلح إلى جانب ثلاثة وثلاثين فيسكونت يتبعون للسادة الذين امتلكوا إقطاعيات، وكان يتم اختيار الفيكونتات من بين الفرسان أو السادة الإقطاعيين التابعين للملك، ومن مهام الفيسكونت أنه ينفذ العدالة بواسطة القانون، وإذا تعذر ذلك فعليه أن يتبع المنطق والحجة والافتناع، ويعطي



النصيحة لكل من يطلبها، وهو يعتقل المجرمين وينفذ الأحكام التي تصدرها المحكمة. والفيسكونت هو الوكيل المالي لمنطقته، فهو يقوم بجمع الضرائب، الأجور، الرسوم، الغرامات، ووضع اليد على الأملاك التي ليس لها وريث. وبالإضافة إلى هذه الأعمال كان الفيسكونت يحرر الإعلانات ودعوات الملك للنبل من أجل تقديم الخدمة العسكرية، كما كان مسؤولاً عن قيادة السرجندية وعن معداتهم وأسلحتهم، كما كان الفيسكونت يقوم بالخدمة الليلية أثناء غياب المحتسب.

Cf. La Monte, L., op. cit., pp. 135-136. Archer and Kingsford, op. cit., p. 126.  
Barker E., op. cit., p. 44. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 304.  
164) Jean d'Ibelin, op. cit., pp. 423-424.

165) السرجندية: ذكر العماد الأصفهاني في حوادث عام ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م، أن السرجندي كرار، ويفهم من كلامه أنه فارس خفيف يستخدم للهجوم. انظر: الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٤٠٣. وقد ذكر كلود كاهن أن السرجندية كانوا يركبون الخيل، وهذا يعني أنهم من الفرسان.

Cahen, C. La Syrie du nord à l'époque de Croisades e la Principaute Franque d'Antioche, Paris, 1940, p. 328.

وقد أشار شالندون إلى أن السرجندية كانوا يشكلون الجنود المشاة.

"Les sergents formaient L'infanterie". Cf. Chalandon, Premiere Croisade, p. 324.

ويتفق ريني جروسيه مع شالندون بأن السرجندية كانوا يشكلون الجنود المشاة.

Cf. Grousset, R., L'Empire du Levant, Paris 1946, p. 285.

ويعتبرهم ري سميل جنوداً مشاة.

Cf. Smail, R. C., Crusading Warfare, Cambridge 1987, p. 91.

وهناك من يعتبر أن خدمة اثنين من السرجندية مكافئة عموماً لفارس واحد.

Cf. Smail, R. C. Crusading warfare, p. 91.

وذكر يوشع براثر أن السرجندي يكون من رجال المشاة في بعض الأحيان وأحياناً أخرى يكون من الفرسان أي يحارب وهو راكب على الحصان.

Prawer, J. The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 163.

ومن المرجح أن السرجندي من الفرسان الذين يحملون أسلحة خفيفة على الرغم من الآراء المتضاربة حوله.

166) Jean d'Ibelin, op. cit., pp. 426-427. Cf. also: La Monte, J., op. cit., p. 158.

Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 126.

167) Mayer, H. E., op. cit., p. 168.

168) يوشع براثر: عالم الصليبيين، ص ٩٥.

169) Mayer, H. E. op. cit., loc. cit. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 126.

170) Chalandon, op. cit., p. 302.

171) Chalandon, op. cit., loc. cit. Richard, J., op. cit., loc. cit.

172) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 298.

173) La Monte, J., op. cit., pp. 878-.

كان ملك بيت المقدس يترأس جلسات المحكمة العليا، وفي حالة غيابه كان ينوب عنه أكبر الشخصيات في المملكة وهو الصنجيل Ssenechal (وكيل الملك أو السيد الإقطاعي) وكان يساعد الملك مجموعة من القضاة يتم اختيارهم من الفرسان الذين يدينون بالولاء الإقطاعي للملك.

Cf. Conder, op. cit., p. 172. Archer and Kingsford, op. cit., p. 125. La Monte,

J., op. cit., p. 92. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 300.

يوشع براثر: عالم الصليبيين، ص ١٣١.

174) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 313.

هيئة فرسان الاستبارية: هي هيئة رهبانية عسكرية محاربة، وتمتد جذورها في الأراضي المقدسة إلى ما قبل قيام الحملة الصليبية الأولى، وهناك من يشير إلى أن بعض أهالي Amalfi، قاموا بتأسيس مستشفى في بيت المقدس عام ١٠٧٠م/ ٤٦٢هـ على شرف بطريرك المجلج جون، وكانت هذه المستشفى قد أقيمت من أجل إيواء الحجاج اللاتين الفقراء، أو الذين فقدوا نفوذهم أثناء السفر من أوروبا إلى الأراضي المقدسة. وقد تطورت المستشفى



- مع مضي الوقت إلى مقر هيئة فرسان القديس يوحنا، أو الاستبارية Hospitallers.
- Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 80. Besant and Palmer, op. cit., p. 274.
- Runciman, S., op. cit., Vol. 2, pp. 156157-. Deanesly, M., A History of the Medieval Church, pp. 208209-. Hamilton, B., op. cit., pp. 9596-.
- سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٨٧. ويرجع تأسيس هيئة فرسان الاستبارية إلى جيرارد Gerard وهو مواطن من أمان، وقد دارت الحكايات والقصص حول حياته، وقد انضم الكثير من الحجاج اللاتين لهيئة فرسان الاستبارية. وفي عام ١١١٣م / ٥٠٧هـ اعترف بابا روما بهيئة فرسان الاستبارية، وأثبت حقوقها الكاملة في بلاد الشام وأوروبا الغربية. وقد انقسم فرسان الاستبارية إلى ثلاث فئات هم: الفرسان أو الأخوة المقاتلين، ثم الأطباء، ثم القساوسة الذين كانوا يؤدون الشعائر الكنسية. وكانوا يتبعون مباشرة إلى بابا روما. وقد حصلوا على كثير من المنح والإقطاعات في أوروبا والأراضي المقدسة.
- Cf. Besant and Palmer, op. cit., p. 275. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 157.
- Deanesly, M., op. cit., p. 209. Hamilton, B., op. cit., pp. 95- 96, 105.
- سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٨٧.
- 175) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 300. La Monte, J., op. cit., pp. 90-91.
- 176) كانت المحكمة العليا في الأصل محكمة قانونية، ولها سلطان قضائي على كبار السادة الإقطاعيين في المملكة، وجري استشارتها في المسائل الكبرى المرتبطة بسياسة المملكة، وبناء على ذلك أصبحت المحكمة العليا ذات اختصاص سياسي وقضائي.
- Cf. Archer and Kingsford, op. cit., p. 125. La Monte, J., op. cit., pp. 92- 93.
- Runciman, S., op. cit., Vol. 2, pp. 300-301. Michaud, M., op. cit., Vol. 3, p. 273.
- 177) يوشع براثر: عالم الصليبيين، ص ١٣١.
- Runciman, S., op. cit., Vol. 2, pp. 300-301.
- 178) la Monte, J., op. cit., p. 90.
- 179) المحاكم الوطنية: كان يترأسها أحد السكان الوطنيين ويعرف باسم الرئيس، وكان يساعده اثنا عشر محلفاً.
- Conder, op. cit., p. 172.
- 180) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, pp. 302- 303. Conder, op. cit., pp. 172-173.
- 181) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 139. Conder, op. cit., p. 173. Benvenisti, M., op. cit., pp. 20- 29. Runciman, S., Vol. 2, p. 302.
- بالي Bailli: موظف يترأس محكمة المدينة Cour de la Fonde وقد ورد اسمه بصور مختلفة منها: يبالف Bailliff بمعنى مأمور التنفيذ أو الشريف، ثم ورد باسم Baillie (أمين الصندوق أو الخازن Treasurer).
- Cf. Conder, op. cit., p. 173. Archer and Kingsford, op. cit., p. 126. Richard, J., op. cit., vol. 1, p. 139. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 302.
- 182) Conder, op. cit., Loc. cit. Archer and Kingsford, op. cit., Loc. cit. Runciman, S., op. cit., loc. cit.
- 183) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 302.
- 184) يوشع براثر: علم الصليبيين، ص ١٣٦.
- 185) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, pp. 302- 303.
- 186) Jean d'Ibelin, op. cit., Vol. 1, pp. 419- 421. Cf. also: La Monte, J., op. cit., p. 107. Barker, E., op. cit., p. 44.
- 187) LaMonte, J., cit., pp. 106- 107, 135. Conder, p. 172. Archer and Kingsford, p. 126. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 127. Runciman, S., Vol. 2, pp. 302-303. Benvenisti, M., pp. 28- 42.

- يوشع براثر: عالم الصليبيين، ص ١٣٦.
- 188) La Monte, J., p. 107. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 303.
- يوشع براثر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
- 189) Conder, op. cit., p. 172. La Monte, J., op. cit., p. 106.
- عبد القادر اليوسف: العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، بيروت ١٩٦٩م، ص ٨٨.
- 190) Archer and kingsford, p. 126. Runciman, S., Vol. 2, p. 303.
- عبد القادر اليوسف: المرجع السابق، ص ٨٨.
- 191) Conder, p. 172.
- 192) La Monte, J., p. 107.
- 193) يوشع براثر: المرجع السابق، ص ١٣٧.
- Benvenisti, M., pp. 20-28.
- 194) Ibid., p. 28.
- 195) Conder, pp. 172-173. Richard J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 138. Benvenisti, M., p. 20.
- كانت علاقة أهل القرى بالسيد الإقطاعي تتم عن طريق الرئيس.
- Cf. Benvenisti, M., op. cit., loc. cit.
- 196) Richard, J., Vol. 1, p. 139.
- 197) Smail, R. C., The Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 39.
- 198) Runciman, S., Vol. 2, p. 302.



## الفصل الثاني

«الكنيسة اللاتينية وما حازته من إقطاعات في مملكة بيت المقدس الصليبية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة» ١٠٩٩ - ١١٣١ م / ٤٩٢ - ٥٢٥ هـ.

- ١- الصراع بين رجال الدين والحكام العلمانيين .
- ٢- تنظيم الكنيسة اللاتينية .
- ٣- علاقة المسيحيين الغربيين بالمسيحيين الشرقيين .
- ٤- أنواع الإقطاعات الكنسية .
  - (أ) الإقطاعات النقدية .
  - (ب) الإقطاعات العينية .
  - ٥- مصادر الإقطاعات الكنسية .
    - (أ) الإقطاعات والمنح المقدمة من ملوك بيت المقدس .
    - (ب) الإقطاعات والمنح المقدمة من كبار السادة الإقطاعيين .
    - (ج) الإقطاعات والمنح المقدمة من صغار النبلاء .
    - (د) الإقطاعات والمنح المقدمة من البطارقة ورؤساء الأساقفة ومساعدتهم .
    - (هـ) الإقطاعات والأملاك التي حازتها الكنائس والأديرة عن طريق الشراء .
  - ٦- واجبات رجال الدين اللاتين تجاه ملوك بيت المقدس .
  - ٧- المؤثرات الداخلية والخارجية على الإقطاعات الكنسية .





## الفصل الثاني

الكنيسة اللاتينية وما حازته من إقطاعات في مملكة بيت المقدس

الصليبية في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة

١٠٩٩-١١٣١ م / ٤٩٢-٥٢٥ هـ

زحف الصليبيون من الغرب الأوروبي صوب الأراضي المقدسة، يحملون شارة الصليبي على صدورهم، لتحرير هذه الأراضي من المسلمين علي حسب زعمهم<sup>(١)</sup>. هذا ما أعلنه الصليبيون رسمياً، لكن الحقيقة تختلف كلياً عما أعلنوه، فمن بين الأسباب التي شجعت الصليبيين على المسير إلى الأراضي المقدسة والاستيلاء عليها، رغبة الكنيسة اللاتينية الغربية في نشر الكاثوليكية في جميع أنحاء العالم المعروف وقتذاك، حتي لو اضطرت إلى استعمال السلاح في سبيل تحقيق هدفها<sup>(٢)</sup>. وقد وضع الصليبيون هذه الفكرة صوب أعينهم حتى قبل وصولهم إلى الأراضي المقدسة، وقرروا وضع أساقفة من بينهم على عرش الأسقفيات الأرثوذكسية في هذه البلاد<sup>(٣)</sup>. وتوضح هذه الفكرة عندما استولى الصليبيون على اللد والرملة في يونيو عام ١٠٩٩ م/ رجب عام ٤٩٢ هـ<sup>(٤)</sup>، حيث وجدوا الكرسي الأسقفي شاغراً هناك، ف عقدوا اجتماعاً قرروا فيه انتخاب أسقف لاتيني للمدينتين<sup>(٥)</sup>، وقد وقع اختيارهم على روبرت من روين Robert of Rouen<sup>(٦)</sup> الذي انتخب أسقفاً لمدينتي الرملة واللد، وتم منحه المدينتين والمناطق المحيطة بهما<sup>(٧)</sup>.

على أية حال، كانت الكنيسة اللاتينية تهدف إلى نشر المذهب الكاثوليكي، فضلاً عن إقامة الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية على حساب المذاهب المسيحية الشرقية وممتلكاتها في الأراضي المقدسة. وكانت بيت المقدس عشية الاستيلاء عليها مجرد أسقفية عادية، تعتمد على الكرسي الأسقفي في قيسارية<sup>(٨)</sup>. كما أن كرسي البطريرك الأرثوذكسي كان شاغراً بموت سمعان Simon<sup>(٩)</sup> بطريرك بيت المقدس الأرثوذكس في قبرص، في الوقت الذي استولى فيه الصليبيون على بيت المقدس. ويبدو مؤكداً أن الصليبيين كانوا مدركين لأوضاع الأراضي المقدسة، عندما رغبوا في اختيار بطريرك لاتيني لها. وكانت نواياهم تشير إلى أنهم كانوا مصممين على جعل اللاتين يحكمون الكنيسة الشرقية<sup>(١٠)</sup>. وقد طلب رجال الدين وعلى رأسهم ارنولف مالكورون Arnulf Malecorne of Rohes<sup>(١١)</sup> أن تكون أول خطوة يخطوها الصليبيون، هي اختيار بطريرك لبيت المقدس، ولكن هذه الفكرة أُرجئت بسبب معارضة رجال الدين البروفانس provence واللورين Lorraine وعدم تأييدهم لانتخاب مرشح وحيد<sup>(١٢)</sup>.



وبعد أن تمت عملية انتخاب جودفري البويوني كأول حاكم صليبي على بيت المقدس، بعد مناقشات ومجادلات بين رجال الدين والعلمانيين وسرعان ما ظهرت مشكلة أخرى تتعلق بانتخاب بطريك لاتيني للمدينة المقدسة. ولهذا اجتمع كبار رجال الدين والأمرء ليختاروا بطريكاً لاتينياً من بينهم<sup>(١٣)</sup>. وتم ترشيح أحد رجال الدين وهو ارنولف مالكورون المرشح النورماندي، لشغل منصب بطريك بيت المقدس اللاتيني<sup>(١٤)</sup>، وقد تم هذا الترشيح بعد مناقشات حامية الوطيس بين المجتمعين<sup>(١٥)</sup>. وقرر رجال الدين في كنيسة القيامة أن البطريك سوف لا يكون معيناً من الناحية الرسمية حتى يسألوا عنه بابا روما، ويحصلوا على موافقته لتعيين ارنولف مالكورون بطريك بيت المقدس<sup>(١٦)</sup>، وعلى الرغم من محاولات البعض الطعن في سلوكه واعتبار انتخابه غير قانوني لعدم صلاحيته لشغل هذا المنصب<sup>(١٧)</sup>، بسبب انغماسه في المسائل الدنيوية انغماساً لا يشجع الكثيرين على انتخابه، علاوة على أنه كان نورمندياً، ولم يحظ بتأييد بعض رجال الدين<sup>(١٨)</sup>. وعلى الرغم من ذلك فقد أيدته الكثير من المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحركة الصليبية الأولى، فعلى سبيل المثال كان المؤرخ الصليبي المعاصر روبرت الراهب من المؤيدين له، ومن المعجبين بشخصيته، وقد وصفه بأنه كان رجلاً متديناً شديد الاهتمام بإصلاح شؤون الكنيسة<sup>(١٩)</sup>. وكان راؤول دي كاين معجباً به كثيراً، ووصفه بأنه كان شخصية عظيمة<sup>(٢٠)</sup>، وقد أثني عليه المؤرخ المجهول ووصفه بأنه كان رجلاً عاقلاً شريفاً<sup>(٢١)</sup>. ووصفه البرت دكس بأنه كان رجلاً متديناً لأنه نذر نفسه لله<sup>(٢٢)</sup> بينما صممت المؤرخ فوشيه الشار تري ولم يتعرض لذكر صفات ارنولف سواء بالمدح أو بالذم. وقد وقف المؤرخ المعاصر رايموند داجيل موقفاً مناهضاً، ينم عن معارضته لانتخاب ارنولف بطريكاً لبيت المقدس<sup>(٢٣)</sup>. والملفت للنظر أن وليم الصوري الذي لم يكن معاصراً لهذه الأحداث وقف موقفاً سلبياً من ارنولف، ووصفه بأنه كان شريراً مأكراً حرض الناس ضد الرؤساء الأتقياء<sup>(٢٤)</sup>. وبلغ من شدة هجوم وليم على ارنولف أنه وصف الناس الذين انتخبوه بالغباء، لأنهم أعطوا أصواتهم بسرعة غير حكيمة ودون ترو<sup>(٢٥)</sup>. وقد أشار مؤرخ حديث إلى أنه لم يكن من بين رجال الدين اللاتين، أية شخصية قوية تمتلك القدرة والخبرة في إدارة الأمور الدينية لارتقاء منصب البطريك، سواء كان من بين رجال الدين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى أو غيرهم من رجال الدين العاديين<sup>(٢٦)</sup>. ولعل تضارب مواقف المؤرخين الصليبيين المعاصرين من ارنولف مالكورون ومن عملية انتخابه بطريكاً على بيت المقدس، بين مؤيد ومعارض لانتخابه يوضح عمق الهوة والخلاف بين الصليبيين ومحاولة كل طرف من الأطراف فرض سيطرته على الآخر. وليس من شك في أن مواقف المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحركة الصليبية من ارنولف كانت متأثرة إلى



درجة كبيرة بالأحوال السياسية التي كانت سائدة في الأراضي المقدسة وقت ذاك . والغريب في الأمر أن المؤرخ الصليبي وليم الصوري وقف موقفاً مناهضاً لارنولف ، على الرغم أنه لم يشهد الصراعات التي دارت بين الصليبيين في بداية استقرارهم في الأراضي المقدسة ، بل أنه لم يكن مولوداً في تلك الفترة . ويبدو أنه كان متأثراً بكتابات رايوند داجيل ، أو بما سمعه من أحاديث عن أرنولف . ويذكر أحد المؤرخين الحديثين أن وليم لم يكن منصفاً لارنولف ، حينما لطح ذاكره وشوه سمعته ، لأنه بذل جهداً كبيراً في تدعيم ما قامت به الحملة الصليبية الأولى من أعمال<sup>(٢٧)</sup> .

ومهما يكن من أمر ، فقد تم انتخاب ارنولف مالكورون لشغل منصب بطريك بيت المقدس في يوم الإثنين الموافق أول أغسطس عام ١٠٩٩ م / الحادي عشر من رمضان عام ٤٩٢ هـ<sup>(٢٨)</sup> ، وعلى الرغم من محاولات البعض التشكيك في سلوكه وقدرته . وكان ارنولف واعظاً مقنعاً ، ويتصف بالحكمة والاعتدال في كافة الأمور<sup>(٢٩)</sup> ، إذ جعل جل اهتمامه ونشاطه موجهاً صوب المسائل الدينية ، فقد عمل منذ البداية على إضفاء صبغة لاتينية على بطريركية بيت المقدس ، فلم يتدخل في أمور السلطة الدنيوية ، ولم يدخل في صراعات مع الأمير جودفري<sup>(٣٠)</sup> ، وكانت علاقته حعام مع جميع الأمراء الصليبيين ، القائمين على حكم الدولة الصليبية الناشئة . ولا بد وأن سياسة ارنولف هذه ، كانت من بين الأسباب التي أدت إلي زيادة الهجوم عليه ، ومحاربتة من أجل ترك منصب البطريركية . ولعل هذا الأمر يوضح ما كانت عليه من أحوال الصليبيين في بداية إقامتهم في الأراضي المقدسة ، حيث كانت تسيطر عليهم الانقسامات ، ومحاولة كل طرق تحقيق مكاسب على حساب الطرف الآخر .

ولم يمض على انتخاب ارنولف مالكورون سوى فترة وجيزة لا تتجاوز أربعة شهور ، حتى كثر أعداؤه وتقرر عزله ، على أساس أن انتخابه لم يكن متفقاً مع القانون الكنسي<sup>(٣١)</sup> ، إضافة إلى أنه لم يكن له من السلطة والشخصية ما يسمح له بغرض سيطرته وسيادته على السلطة الدنيوية<sup>(٣٢)</sup> . لكن يبدو أن دايمبرت البيزي الذي كان على درجة كبيرة من المعرفة والفصاحة<sup>(٣٣)</sup> ، وقد لعب دوراً هاماً في عزل ارنولف ، بعد أن حظي بمكانة طيبة عند الأمير جودفري ، بسبب الهدايا القيمة التي قدمها له<sup>(٣٤)</sup> . وذكر البرت دكس أن دايمبرت كان يسعى إلى تبوء منصب بطريك بيت المقدس ، من أجل جمع المال أكثر من الاهتمام بشؤون الكنيسة<sup>(٣٥)</sup> . وأضاف البرت دكس أن دايمبرت اعتمد على تأييد بوهيمند النورماندي وبلدوين سيد الرها ، بعد أن قدم لهما الهدايا بنفسه<sup>(٣٦)</sup> ، الأمر الذي يسر عزل ارنولف وانتخب مكانه بطريكاً على بيت المقدس<sup>(٣٧)</sup> وقد جرت عملية الانتخاب في كنيسة القيامة في أواخر ديسمبر عام ١٠٩٩ م / صفر ٤٩٣ هـ<sup>(٣٨)</sup> .



وقد جاءت وفاة الأمير جودفري في الثامن عشر من يولية عام ١١٠٠م/ الأربعاء التاسع من رمضان عام ٤٩٣هـ، لتكشف عن أطماع رجال الدين اللاتين ورغبتهم في إقامة حكومة دينية في بيت المقدس. وكان حكم الأمير جودفري يمثل حلاً وسطاً بين النظام الملكي وحكم رجال الدين فيها، ولذلك أثار موته مشكلة كبرى حول الوضع المقبل لدولة بيت المقدس ونوعية الحكم فيها<sup>(٣٩)</sup>. وقد ذكر وليم الصوري أن الأمير جودفري صرح بأنه في حالة موته دون وجود وريث شرعي يخلفه في حكم بيت المقدس، فإن جميع ممتلكاته سوف تنتقل ملكيتها دون صعوبات إلى نطاق سلطة البطريرك دايمبرت<sup>(٤٠)</sup>. وهذا يعني أن الأمير جودفري أوصى أن يخلفه البطريرك في الحكم، في حالة عدم وجود ورثة مباشرين له. ولم يشر المؤرخ الصليبي المعاصر فوشيه الشارترى إلى هذا الأمر بتاتا، وقد انفرد المؤرخ وليم الصوري من بين جميع المؤرخين الصليبيين المعاصرين بذكر هذه الرواية. ومن الواضح أن تنفيذ مثل هذه الوصية، إنما يعني تحويل الدولة الصليبية الناشئة في بيت المقدس، وبعض المدن الأخرى، إلى حكومة دينية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالكنيسة اللاتينية، وهذا ما كان البطريرك دايمبرت يحاول الوصول إليه منذ أمد بعيد<sup>(٤١)</sup>. ويبدو البطريرك قد تمنى لنفسه نوعاً من البابوية القيصريّة، حيث يكون الكرسي البطريركي مركزاً عظيماً لحكم رجال الدين اللاتين في الأراضي المقدسة<sup>(٤٢)</sup>. وكانت فرصة البطريرك دايمبرت عظيمة في تحقيق ما يصبو إليه بإقامة حكومة دينية بعد وفاة الأمير جودفري، لكنه أضاعها ببقائه إلى جانب تانكرد أثناء حصار مدينة حيفا في يولية عام ١١٠٠م/ رمضان عام ٤٩٣هـ<sup>(٤٣)</sup>.

وبدأت الأمور تتعقد في وجه البطريرك دايمبرت، وأخذت طموحاته الرامية لإقامة حكومة دينية في بيت المقدس تتلاشى، بسبب قيام مجموعة من الفرسان اللوثرنجيين بقيادة وارن جراي Warner of Gray<sup>(٤٤)</sup> -أحد أقارب بلدوين الأول- بالاستيلاء على قلعة بيت المقدس (برج داود)، ثم لجوئهم إلى إنفاذ الرسل بسرية تامة إلى بلدوين الأول، يطلبون منه القدوم إلى بيت المقدس، ويستحثونه على الوصول بسرعة وبدون تأخير، لكي يتولى حكم البلاد مكان شقيقه<sup>(٤٥)</sup>. وقد تمت هذه الأمور بالتنسيق والتشاور مع ارنولف مالكورون<sup>(٤٦)</sup>، الذي كان يسانده الكثير من رجال الدين، مثل روبرت من روين وغيره. وقد وقف ارنولف وجماعته في وجه أطماع دايمبرت ورغباته، وبالتالي لم يسمحوا له بإقامة حكومة دينية، بل إنهم شجعوا على إقامة حكومة ملكية وراثية في بيت المقدس<sup>(٤٧)</sup>، والدليل على ذلك أن الاستيلاء على قلعة بيت المقدس، ثم ما تبع ذلك من إنفاذ الرسل إلى بلدوين الأول يستدعونه لحكم بيت المقدس، وقد تم التشاور مع ارنولف وجماعته من الرجال المعارضين



لدايمبرت . وبالإضافة إلى ما سبق كانت البابوية تعارض قيام حكومة دينية في بيت المقدس ، لأن ارتقاء أحد رجال الدين الأقوياء لدفة الحكم في المدينة المقدسة ، سيؤدي إلى قيام بابوية جديدة في الشرق . وهذا لم يكن في صالح البابوية في الغرب الأوروبي ؛ لأن بابا بيت المقدس الجديد يستطيع أن يطالب -بوصفه خليفة المسيح في مدينته- بالسيادة على بابا روما ، الذي لم ينفعه عندئذ أنه خليفة القديس بطرس في كنيسته ، ولعل هذه المخاوف هي التي جعلت بابوات روما لا يؤيدون دايمبرت في خلافه مع ملك بيت المقدس ، ولا يشجعون بأية حال قيام حكومة دينية في الأراضي المقدسة<sup>(٤٨)</sup> . كذلك فإن فكرة إقامة حكومة دينية كانت فكرة خاطئة منذ البداية ولا يمكن تنفيذها ، وإذا أقيمت فلا يمكن لها البقاء ، لأن قيام دولة لاتينية في بقعة بمثابة قلب العالم الإسلامي يحتاج إلى قيادة علمانية للدفاع عنها ضد المسلمين المحيطين بها<sup>(٤٩)</sup> .

ومهما يكن من أمر ، فقد فشلت جهود دايمبرت الرامية لإقامة حكومة دينية بسبب موقف مجموعة من رجال الدين من بينهم ارنولف مالكورون وروبرت من روين ، ومعارضتهم لهذه الفكرة ، إضافة إلى رغبة عدد من الفرسان مثل جالديمار كاربنيل وغيره من أتباع الأمير جودفري ، في قيام حكم ملكي وراثي في الأراضي المقدسة<sup>(٥٠)</sup> . كذلك كان لمعارضة البابوية تأثير كبير في فشل إقامة حكومة دينية . وقد تلاشت آمال البطريك دايمبرت نهائياً في إقامة مثل هذه الحكومة القوية<sup>(٥١)</sup> ، بوصول بلدوين الأول إلى بيت المقدس في يوم الجمعة الموافق التاسع من نوفمبر عام ١١٠٠م / الرابع من محرم عام ٤٩٤هـ ، حيث خرج المسيحيون على اختلاف طوائفهم لاستقباله ، وهم يحملون القناديل والصليبان ، وكانوا في غاية السرور والسعادة ، وقد اصطحبوه إلى كنيسة القيامة معززاً مكرماً<sup>(٥٢)</sup> . وفي يوم عيد القديس مارتن St. Martin الموافق يوم الأحد الحادي عشر من نوفمبر عام ١١٠٠م / السادس من محرم عام ٤٩٤هـ ، أعلن بلدوين نفسه ملكاً بموافقة جميع الحضور وعن طيب خاطرهم<sup>(٥٣)</sup> ، بينما كان البطريك دايمبرت قد اعتكف في أحد الأديرة المقامة على جبل صهيون Mount Sion<sup>(٥٤)</sup> ، وبذلك ابتعد عن جميع الخلافات وكرس نفسه للعبادة والصلاة والقراءة ، وكأنه لم يكن متولياً لأي منصب<sup>(٥٥)</sup> .

وقد حاول البطريك دايمبرت منع بلدوين من وراثة عرش أخيه ، وكان يفضل تولية الأمير بوهيمند النورماندي على عرش بيت المقدس ، إذ أجرى مشاورات بهذا الشأن مع الأمير تانكرد<sup>(٥٦)</sup> . لكن وصول بلدوين إلى بيت المقدس واستقبال المسيحيين له بالفرح والسعادة ، قلب مخططات دايمبرت رأساً على عقب ، ولم يلبث دايمبرت أن وافق على تتويج بلدوين ملكاً على بيت المقدس ، ربما لاقتناعه بأنه سيظل محتفظاً بسيادته الاسمية ، وبنفوذه



الكبير على المملكة<sup>(٥٧)</sup>، هذا إلى جانب إدراكه بأن بلدوين يحظى بتأييد عدد كبير من رجال الدين المعارضين لسياسته من أمثال ارنولف مالكورون وروبرت من روين وغيرهما<sup>(٥٨)</sup>. كذلك فإن بلدوين لم يتخذ أية إجراءات ضد البطريك دايمبرت في الأراضي المقدسة<sup>(٥٩)</sup>. ويشير وليم الصوري إلى تدخل بعض الوسطاء من أجل إصلاح ذات البين بين البطريك دايمبرت وبلدوين، ويضيف أن جهود هؤلاء الوسطاء، أثمرت في إتمام عملية الصلح بين الطرفين المتنازعين، ولذلك فهو يعتبرها جهوداً جديرة بالاحترام<sup>(٦٠)</sup>. ونتيجة لذلك قام البطريك بتتويج بلدوين في يوم عيد الميلاد عام ١١٠٠م/ العشرين من صفر عام ٤٩٤هـ، وقد جرت عملية تتويجه في كنيسة المهد بيت لحم، حيث قام البطريك بوضع التاج على رأس بلدوين، ليصبح أول ملوك اللاتين في بيت المقدس<sup>(٦١)</sup>. وذكر وليم الصوري أن ارنولف مالكورون بادر إلى توجيه عدة اتهامات ضد البطريك دايمبرت، وقدمها للملك بلدوين الأول، كما قام بتحريض بعض رجال الدين ضده، لأنه كان مملوءاً بالحق ومحباً لزرع بذور الخلاف. ويضيف وليم أن ارنولف كان داهية، ويتمتع بصحة جيدة، ولذلك قام بأعمال مؤذية كثيرة في صفوف رجال الدين، وبين رجال الدنيا أيضاً<sup>(٦٢)</sup>.

يتضح من خلال سير الأحداث أن بعض رجال الدين اللاتين، كانوا يرغبون في إقامة حكومة دينية في بيت المقدس، تحت رئاسة البطريك اللاتيني. وفي الجانب الآخر كان هناك مجموعة أخرى من رجال الدين تعارض إقامة مثل هذه الحكومة، بل أن هذه المجموعة كانت تشجع إقامة حكماً ملكياً وراثياً، ليس حياً في السيادة الملكية، ولكن انتقام وتشف من صاحب فكرة إقامة الحكومة الدينية. ولعل هذا الخلاف بين رجال الدين بعضهم ببعض، وبين مجموعة من رجال الدين والسلطة الدنيوية يكشف عن جانب هام في الحروب الصليبية، إذ كان كل رجل صليبي يفضل مصلحته على مصلحة الآخرين، حتى لو أدى الأمر إلى التصادم مع أبناء جنسه. وتظهر شدة الطموح الكنسي ورغبة رجال الدين في السيطرة على مجريات الأمور في الأراضي المقدسة، منذ بداية الاستقرار الصليبي في هذه البلاد<sup>(٦٣)</sup> فالبطريك دايمبرت كان قد وقف ضد ارنولف مالكورون وعزله عن كرسي البطريكية وتوج مكانه لكي يزيد من ثروته، دون أن يكون هدفه الاهتمام بالكنيسة ومراعاة شؤونها. كذلك وقع الخلاف بين البطريك دايمبرت والأمير جودفري، بسبب جشع البطريك ومطالبه واسعة المدى. وبعد فترة وجيزة تمكن ارنولف من الانتقام والتشفي من خصمه البطريك دايمبرت، باتحاده وانصاره مع الملك بلدوين الأول، ومقاومتهم المشتركة لأطماع دايمبرت وطموحاته<sup>(٦٤)</sup>. وقد استطاع ارنولف وجماعته التصدي لفكرة إقامة حكومة دينية وإفشالها، بل



أنهم شجعوا وساعدوا على إقامة حكومة دنيوية وراثية، مما أدى إلى القضاء على آمال دايبرت وطموحاته قضاء مبرماً. كذلك فإن الملك بلدوين الأول لن يغفر للبطريك دايبرت، ما قام به من محاولات لمنعه من وراثة عرش أخيه. ولا شك أن مثل هذه الأمور قد أدت إلى عدم استقرار أحوال الكنيسة اللاتينية والقائمين عليها في بداية الاستقرار الصليبي في الأراضي المقدسة.

ولم تنته المشاكل بين السلطة الدينية بزعامة البطريك والسلطة الدنيوية بزعامة الملك. فالمعروف أن اعتلاء دايبرت لكرسي البطريكية كان موضع ريبة من الناحية القانونية، ولهذا قدمت ضده الشكاوي إلى البابوية في روما، مما دفع بالبابا باسكال الثاني Paschal II<sup>(٦٥)</sup> لايفاد المندوب البابوي الكاردينال موريس البورتي Maurice of Porto<sup>(٦٦)</sup> من أجل التحقيق في أمر هذه الشكاوي<sup>(٦٧)</sup>. وكان الملك بلدوين قد عقد مع الأمير تانكرد اتفاقاً في مدينة حيفا في مارس عام ١١٠١م/ جمادي الأول عام ٤٩٤هـ، وبموجب هذا الاتفاق تنازل تانكرد للملك بلدوين عن إمارة الجليل، لأنه كان مضطراً للرحيل إلى أنطاكية<sup>(٦٨)</sup>. ويبدو أن هذا الاتفاق قد أتاح الفرصة للملك للانتقام من خصمه البطريك دايبرت، إذ قام الملك بمنع البطريك من ممارسة مهامه في الكنيسة<sup>(٦٩)</sup>.

وعندما وصل الكاردينال موريس إلى بيت المقدس، استقبله الملك بلدوين ورجال الدين، وأخبروه عن استعدادهم الكامل لطاعة أوامر البابا بكل عدل وحق. وفي الاجتماع الذي عقده الكاردينال موريس في بيت المقدس وحضره الأساقفة والرهبان في أواخر مارس عام ١١٠١م/ أوائل جمادي الآخرة عام ٤٩٤هـ، من أجل بحث أمر الشكاوي التي قدمها الملك وبعض رجال الدين ضد البطريك دايبرت، والفصل في الخلاف القائم بينه وبين الملك بلدوين بالعدل والإنصاف<sup>(٧٠)</sup>. وقد بادر الملك بلدوين إلى توجيه الاتهامات للبطريك دايبرت، حيث اتهمه بالخيانة العظمى التي ارتكبها ضده بالتعاون مع الأمير تانكرد، لكي يحول دون وراثته لعرش أخيه الأمير جودفري، ثم قيامه بالاتصال بالأمير بوهيمند، يطلب منه العمل على عرقلة توليه للعرش، ويشجعه على أخذ عرش بيت المقدس، حتى لو اقتضت الضرورة استعمال القوة في سبيل ذلك. وقد أشار بلدوين إلى أن إشراف البلاد من الصليبيين، اعتبروا ما قام به دايبرت من أعمال إثماً كبيراً، وأضاف بأن دايبرت دبر أمر قتله مع بوهيمند، عن طريق اغتياله في الطريق الصاعد من الرها إلى بيت المقدس. وقام بقراءة وثائق تشهد على ذلك، موقعة من رجال الدين في كنيسة القيامة، وأضاف الملك بلدوين أن البطريك دايبرت لا يصلح للبطريكية، ما لم يستطع تطهير نفسه من هذه الشرور<sup>(٧١)</sup>. وعلى الرغم من أن التهمة الأخيرة



التي حاول الملك إلصاقها بالبطيريك كانت غير صحيحة، ويظهر أنها مفتعلة، غير أن اتصال دايمبرت بتانكرد وبوهيمند لم يكن موضع شك<sup>(٧٢)</sup>. وعندما استمع الكاردينال موريس لأقوال الملك بلدوين الأول، قرر منع دايمبرت من الاشتراك في الطقوس الدينية الخاصة بعيد الفصح، الذي اعتاد فيه أسلافه البطارقة الصعود إلى جبل الزيتون<sup>(٧٣)</sup>، لإقامة الطقوس الدينية. ونظراً لخوف البطيريك دايمبرت على مستقبله، ذهب إلى الملك خاضعاً ضارعاً، وركع أمامه باكياً، وطلب منه الصفح والمسامحة، وإلا يحرمه من منصبه في هذا اليوم، غير أن الملك كان قاسياً مع البطيريك، وعارض طلبه ورفض قوله، بينما استمر البطيريك في توسلاته، وقدم رشوة كبيرة إلى الملك بلغت ثلاثمائة بيزنط ذهبية<sup>(٧٤)</sup>. ولما كان الملك بحاجة إلى الأموال، بسبب الضائقة المالية الشديدة التي يمر بها، فقد قبل الرشوة ونهض ذاهباً إلى الكاردينال موريس، فالتقى به وقال له ما يلي: «أيها الأخ موريس، إن كنيسةنا هذه جديدة رائعة، ومن ثم فإننا نرفض أن تحرم بيت المقدس فجأة من عدالتها ويعزل بطيريكها من منصبه، ولا ننجده في مجلسنا الاستشاري...» وفي النهاية طلب من الكاردينال أن يعفو عنه ويسامحه، ونزولاً عند رغبة الملك وكبار رجاله، سمح للبطيريك بارتداء الزي الوظيفي، والاحتفال بعيد الفصح بكل طقوسه<sup>(٧٥)</sup>.

ولم ينته الصراع بين البطيريك والملك على هذه الصورة، بل تفقمت المشاكل مرة أخرى، وازدادت الهوة بين الطرفين، فالملك بلدوين الأول كان بحاجة مستمرة للأموال من أجل دفع رواتب الفرسان والجنود، وتحسين عملهم ومضاعفة جهودهم، فضلاً عن إنشاء فرق عسكرية جديدة<sup>(٧٦)</sup>. وبسبب تضيق الجنود على الملك بلدوين الأول، طلباً للمال الذي كان مديناً لهم به حسب اتفاق سابق، أسرع الملك يطلب من البطيريك المشاركة بجزء من المال مقابل رعاية المسيحيين في حدود بيت المقدس. فبذل له البطيريك مبلغ مائتي مارك<sup>(٧٧)</sup> من الفضة، وذكر بأن هذا المبلغ هو كل ما تحويه خزائن البطيركية. غير أن ارنولف مالكورون مستشار كنيسة القيامة Sancti Sepulcri Cancellarius ورجال الدين التابعين لحزبه، أكدوا للملك بلدوين الأول أن البطيريك دايمبرت أعاد فرض الأموال على أتباعهم بغير حق، وأضافوا أنه يخفي مبالغ كبيرة من المال. وعندما علم الملك بذلك غضب غضباً شديداً على البطيريك وأخذ يستحثه على القيام برعاية الجنود، الذين يقومون بحماية الكنائس، وتأمين الحجاج، ويدافعون عن البلاد ويصدون أي هجوم إسلامي ضد المسيحيين<sup>(٧٨)</sup>. ولا شك أن كلام ارنولف وأتباعه قد أثار حفيظة الملك الذي سخط على البطيريك، واستمر في تحذيره من أجل إعداد أربعين فارساً، وإمدادهم بالذهب والفضة، من أجل مباشرة أعمالهم الحربية<sup>(٧٩)</sup>.



لكن البطريك دايمبرت لم يهتم بطلب الملك وتعامل معه بازدراء، فما كان من الملك إلا أن قام باقتحام غرفة طعام البطريك، الذي كان يتناول الطعام ويشرب النبيذ مع الكاردينال موريس، ووجه لهما كلاماً عنيفاً، وهدد بانتزاع الزخارف الذهبية من كنيسة القيامة، إذ لم يتم الاستجابة لطلبه. وقد وعد البطريك دايمبرت بإعداد ثلاثين فارساً بناءً على نصيحة الكاردينال موريس، لكنه تأثر بهذا الموقف لمدة قصيرة ولم يف بوعده<sup>(٨٠)</sup>.

ويبدو أن مجرى الأحداث لم يكن في صالح البطريك دايمبرت على الإطلاق، فقد ذكر البرت دكس أن روجر من أبوليا Roger of Apulia أرسل أحد مبعوثيه في خريف عام ١١٠١م / ٤٩٥هـ بمبلغ ألف بيزنط لتقديمها إلى المسؤولين في بيت المقدس، واقترح تقسيم المبلغ إلى ثلاثة أقسام عدلاً وإيماناً، على أن يكون ثلث هذا لكنيسة القيامة، لاستخدام رجال الدين القائمين على شؤونها، والثلث الثاني لدعم المستشفى من أجل خدمة الضعفاء والمرضى، والثلث الأخير يعطي للملك بلدوين من أجل إنفاقه على الشؤون العسكرية<sup>(٨١)</sup>. ويبدو أن البطريك استلم المبلغ ولم يقيم بتوزيعه، بل احتفظ به لنفسه، بعد أن أعماه جشعه. ونظراً لانتشار أخبار الهدية وشروطها، ولجوء الملك إلى تقديم الشكاوي بخصوص هذا الأمر، إلى المندوب البابوي الكاردينال موريس، الذي لم يستطع مساندة دايمبرت بعد أن تورط بتهمة الاختلاس، مع وجود الشهود الثقات. كذلك لم يستطع دايمبرت الدفاع عن نفسه، فتقرر عزله وحرمانه من سلطانه وواجباته في كنيسة القيامة، كما تم القبض على مساعديه وإرسالهم إلى السجن. وبناءً على ذلك غادر دايمبرت بيت المقدس حزيناً، واتجه إلى يافا حيث قضى بها الخريف والشتاء عام ١١٠١-١١٠٢م / ٤٩٥هـ. وفي مارس عام ١١٠٢م / جمادى الأولى عام ٤٩٥هـ، وترك يافا متجهاً إلى أنطاكية، حيث استقبله صديقه القديم الأمير تانكرد بالترحاب والحفاوة البالغة<sup>(٨٢)</sup>، وعهد إليه بكنيسة القديس جورج St. George التي كانت من أكثر الكنائس ثروة، وقد تم ذلك بموافقة بطريك أنطاكية<sup>(٨٣)</sup>. وكان الملك بلدوين الأول قد جعل منصب البطريك شاغراً، بحجة أنه سيخطر بابا روما بهذا الأمر<sup>(٨٤)</sup>. وأثناء ذلك الوقت كان التحقيق يجري مع أتباع دايمبرت الذين زج بهم الملك بالسجن، وتحت وطأة الجلد اعترفوا بأن البطريك يخفي مبلغ عشرين ألف بيزنط، وقالوا أن حجم الفضة هائل بما يصعب إحصاؤه<sup>(٨٥)</sup>. وبناءً على هذه المعلومات قام أتباع الملك وموظفوه باقتحام مقر البطريكية حيث وجدوا الأموال التي كان يخفيها البطريك المعزول في خزائن البطريكية. أما منصب البطريك الشاغر فقد تولاه الكاردينال موريس بصفة مؤقتة من أجل الإشراف على الأمور الدينية



التي تتعلق بالكنيسة اللاتينية ، وحتى يتم اختيار بطريرك من قبل الملك<sup>(٨٦)</sup> ، لكن الكاردينال لم يلبث أن توفي عام ١١٠٢ م / ٤٩٦ هـ<sup>(٨٧)</sup> .

ولا شك أن عزل دايبرت عن كرسي البطريركية ، كان من أجل مصلحة الصليبيين في الأراضي المقدسة<sup>(٨٨)</sup> ، إذ سيعم الهدوء والاستقرار ويتفرغ الملك لشؤون دولته ، مما يكون له آثار طيبة على المؤسسات الكنسية في المملكة . وتجدر الإشارة إلى أن عملية الصراع والنضال التي قادها البطريرك ضد الملك ، كانت من أجل تحقيق مصلحته الشخصية ، ولتنفيذ أحلامه وآماله بإنشاء حكومة دينية تحت رئاسته<sup>(٨٩)</sup> . وقد أشار أحد المؤرخين الصليبيين المعاصرين للحركة الصليبية أن دايبرت سعى إلى تبوء منصب البطريرك من أجل خدمة مصالحه وتحقيق أطماعه<sup>(٩٠)</sup> . وقد اتضح هذا من خلال تمتعه بالندور المقدمة لكنيسة القيامة ، وحبه الشديد للمال ، ومماطلته للملك بلدوين بإعداد وتجهيز الجنود الذي وعد بالإنفاق على إعدادهم ودفع مرتباتهم ، فضلاً عن قيامه باختلاس الأموال التي قدمها أميرأبوليا ، وإخفائه لمبالغ ضخمة في خزائن البطريركية ، ورفضه مساعدة الملك الذي كان يعاني من نقص شديد في الأموال . وقد عانى الملك كثيراً من جشع البطريرك وحبه للمال ، لدرجة أن أتباعه وجنوده فكروا بالتخلي عنه بسبب افتقاره للمال<sup>(٩١)</sup> . وفي حالة حدوث مثل هذا الأمر فلن يستطيع الملك الوقوف في وجه المسلمين أو التوسع على حسابهم ، في حين كان رجال الدين وعلى رأسهم البطريرك ، يحتفظون بالأموال من أجل تحقيق مصالحهم الشخصية ، وإرضاء رغباتهم ، على حساب مصلحة المملكة . وربما كان هذا الأمر سيؤدي إلى تقويض دعائم المملكة الوليدة وانهارها . وهنا تظهر أهمية العامل الاقتصادي وأثره على السلطة السياسية ، فالدولة التي تتمتع بموارد اقتصادية كبيرة ، يمكنها تجنيد الفرسان والجنود للدفاع عن كيائها . ومن الواضح أن مملكة بيت المقدس كانت تعاني من نقص شديد في الأموال ، لدرجة أن الملك لم يستطع دفع رواتب جنوده وفرسانه ، الذين هددوا بالتخلي عنه . وكان من السهل على المسلمين القضاء على الكيان الصليبي في بداية الأمر ، لكن النزعات الانفصالية بين الحكام المسلمين ، أفسحت المجال أمام الصليبيين لتقوية نفوذهم في الأراضي المقدسة .

ومهما يكن من أمر ، فلم تمض سوى فترة وجيزة على عزل البطريرك دايبرت ، حتى حضر المندوب البابوي الكاردينال روبرت الباريسي Robert of Paris إلى فلسطين موفداً من قبل البابا باسكال الثاني<sup>(٩٢)</sup> . وعندما وصل الكاردينال إلى بيت المقدس ، وطلب ترشيح أحد رجال الدين ليصبح بطريركا على بيت المقدس ، اقترح رجال الدين في فلسطين ترشيح أحد القساوسة المتقدمين في العمر ويدعى افريمار من شوكنس Evreमार of



Chocques<sup>(٩٣)</sup>. وفي الاجتماع الذي عقد في بيت المقدس عام ١١٠٢م/ ٤٩٦هـ، تم انتخاب افريمار بطريركا لبيت المقدس، بموافقة الكاردينال روبرت<sup>(٩٤)</sup>. وقد وصف البرت دكس Albert d'Aix البطريرك الجديد، بأنه كان رجلاً دينياً ورعاً، كثير الكرم وذا طبيعة جيدة، يمنح الصدقات للفقراء، ويتمتع بمكانة مرموقة بين الجميع، كما كان يحظى بثقة كل من ارنولف ودائمبرت<sup>(٩٥)</sup> بينما وصفه وليم الصوري بأنه كان رجلاً دينياً ساذجاً، يحظى بثقة الجميع بسبب حياته المستقيمة أخلاقياً وتقواه وورعه. ولكن وليم سرعان ما وصفه بأنه كان رجلاً أحمق، وذا جهالة طائشة بسبب اعتقاده بأنه سوف يسمح له باغتصاب كرسي البطريركية، بينما كان صاحب المنصب الشرعي لا يزال على قيد الحياة<sup>(٩٦)</sup>. ويبدو من حديث وليم الصوري أنه كان مؤيداً للبطريرك دايمبرت في صراعه مع الملك بلدوين الأول، كما أنه يتنكر على افريمار قبوله لمنصب البطريرك، ويعتبره مغتصباً لهذا المنصب، مما يفيد بأنه كان مناصراً لدائمبرت ومستنكراً لعملية عزله من كرسي البطريركية.

ولم يلبث البطريرك افريمار أن عزل عن كرسي البطريركية في الاجتماع الذي ترأسه المندوب البابوي جيلين سابران Gibelin of Sabran، في بيت المقدس في خريف عام ١١٠٧م/ ٥٠١هـ<sup>(٩٧)</sup>، وذلك لأن انتخاب افريمار كان شاذاً، ولا يتفق مع القانون الكنسي<sup>(٩٨)</sup>، وعلاوة على ذلك فإن عزل دايمبرت وطرده قد تم بضغط السلطة الملكية الشديد<sup>(٩٩)</sup>. وقد أشارت إحدى وثائق كنيسة القيامة إلى أن الملك بلدوين لعب دوراً هاماً في عزل افريمار عن كرسي البطريركية، من خلال رسالة بعث بها الملك إلى البابا باسكال الثاني، يصف فيها افريمار بأنه لا فائدة فعلية يمكن أن ترجى منه<sup>(١٠٠)</sup>، ولا شك أن الذي دفع الملك بلدوين إلى نعت البطريرك بهذه الصفة، ما اشتهر به افريمار من شخصية بسيطة غير عادية، وأخلاق مستقيمة وتقوى عميقة، فضلاً عن ثقة الجميع به<sup>(١٠١)</sup>. ويرجع البرت دكس Albert d'Aix سبب عزل افريمار إلى ازدياد حدة المواجهة بينه وبين الملك بتحريض من ارنولف مالكورون<sup>(١٠٢)</sup>، وقد أصر الملك على عزل افريمار عن كرسيه، بعد مشاور مع عدد كثير من رجال الدين وأخذ موافقته، وهكذا فقد افريمار كرسيه بسبب الحقد والكراهية، ولم يعد لديه أمل في استرداده<sup>(١٠٣)</sup>.

وبعد عزل افريمار تم تحديد يوم خاص حتى يتمكن رجال الدين من مناقشة مسألة انتخاب بطريرك لبيت المقدس، تبعاً للقواعد والعادات الدارجة في مثل هذه الأمور. وبعد مناقشات عديدة لمختلف الآراء، عرضت المسألة للتداول، وتمت موافقة الملك بلدوين وارنولف مالكورون وجميع رجال الكنيسة، على اختيار جيلين من سابران، مندوب السدة البابوية ليصبح بطريركاً على بيت



المقدس عام ١١٠٨م / ٥٠١هـ<sup>(١٠٤)</sup>. وكان اختيار جبلين لشغل منصب بطريرك بيت المقدس، قد تم بوساطة تآمر ارنولف مالكورون ومكره، الذي اعتقد أن جبلين سوف لا يبقى طويلاً في منصبه، لأنه كان متقدماً في السن، فضلاً عن عجزه عن القيام بواجباته الكنسية علي خير وجه<sup>(١٠٥)</sup>.

ويتضح من سير الأحداث أن ارنولف كان يفعل كل ما يمكن أن يحقق مخططاته ويرضي طموحه. فبعد عزله عن كرسي البطريركية تحالف مع الملك بلدوين الأول، لمناهضة دايمبرت والانتقام منه، وفي ذلك يقول وليم الصوري إن ارنولف استمر طبقاً لعادته في نشر بذور النزاع والكراهية بين الملك والبطريرك دايمبرت، رغبة منه في إثارة الخلاف والصراع، بسبب العداوة السابقة بينه وبين دايمبرت<sup>(١٠٦)</sup>. كذلك نلاحظ أنه كان مؤيداً لانتخاب افريمار، وبعد فترة أخذ يحرص الملك على عزله والتخلص منه. ولعل موافقته على انتخاب جبلين لشغل منصب بطريرك بيت المقدس يدل على حكمة سياسية، ويشير إلى بعد نظره خاصة وأن جبلين كان متقدماً بالسن، وعاجزاً عن القيام بواجباته كما يجب، مما سيفسح المجال أمام ارنولف لارتقاء كرسي البطريركية الذي فقده على يد دايمبرت. ولا شك أن هذا يؤكد شدة طموح رجال الدين ورغبتهم في تقلد المناصب الكنسية العليا في الأراضي المقدسة.

كانت علاقة ارنولف مالكورون مع البطريرك جبلين علاقة حكام، قوامها الثقة المتبادلة بين الطرفين، فقد اتخذه جبلين مستشاراً خاصاً له، ووصفه بأنه صديق عزيز عليه، وبمثابة ابن له<sup>(١٠٧)</sup>، مما يشير إلى أن ارنولف سلك طريقاً سويّاً في تعامله مع جبلين، ولم يبد له أية عداوة، مما جعله يحظى بمكانة مرموقة عند البطريرك، الذي جعله مساعداً له في جميع أعماله<sup>(١٠٨)</sup>. ولم يلبث البطريرك جبلين أن توفي في السادس من ابريل عام ١١١٢م / السادس من شوال عام ٥٠٥هـ، بعد أن تقلد منصب بطريرك بيت المقدس نحو أربع سنوات، وبعد وفاته وقع الاختيار على ارنولف مالكورون ليكون بطريركاً علي بيت المقدس<sup>(١٠٩)</sup>. وقد تم انتخابه في السادس والعشرين من شوال عام ٥٠٥هـ، بوساطة رجال الدين في كنيسة القيامة، بعد أن ظل نحو اثنتي عشرة عام ينتظر مثل هذه الفرصة<sup>(١١٠)</sup>. وعلى الرغم أن انتخاب ارنولف قد تم بطريقة رسمية، إلا أن وليم الصوري استمر في إظهار حقه على البطريرك المنتخب، إذ يذكر أن ارنولف استمر في ارتكاب الآثام والأعمال الخاطئة<sup>(١١١)</sup>. غير أن عملية انتخابه عام ١١١٢م / ٥٠٥هـ، كانت كفيلة بإنهاء فترة النزاع الطويلة بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية، التي استمر نحو اثنتي عشرة عام ولم يعد لدى البطريرك أية نية لإعادة تأكيد سيادته<sup>(١١٢)</sup>. والحقيقة فإن هزيمة دايمبرت أمام الملك بلدوين الأول، أثرت تأثيراً كبيراً في إضعاف مركز البطريرك الذي



أصبح خادماً للملك بيت المقدس<sup>(١١٣)</sup>. كذلك أصبح الملك مسؤولاً عن اختيار البطريرك، فعندما يخلو منصب البطريرك<sup>(١١٤)</sup>، كان رجال الدين في كنيسة القيامة يقومون باختيار اثنين من رجال الدين، ثم يتم عرضهما على الملك، الذي يختار أحدهما لشغل منصب البطريرك. وعلى الرغم من كل ذلك حاول البطريرك ستيفن الشارتري Stephen of Chartres<sup>(١١٥)</sup> (١١٢٨ - ١١٣٠م / ٥٢٢ - ٥٢٤هـ) الضغط على الملك بلدوين الثاني من أجل إجباره على التنازل عن مدينة يافا بأكملها لكنيسة القيامة، كما طلب التنازل عن بيت المقدس في حالة استيلاء الصليبيين على مدينة عسقلان. وقد اضطرب حكم الملك بلدوين الثاني وتدهورت العلاقة بينه وبين البطريرك ستيفن بسبب مطالبة البطريرك ومحاولته إحياء السلطة البطريركية وحكم المملكة، الذي يشبه طلب البطريرك دايبرت من الأمير جودفري. وتوفي البطريرك ستيفن عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ ونزاعه مع الملك بلدوين الثاني كان لا يزال قائماً<sup>(١١٦)</sup>. وبطبيعة الحال لم تستمر فترة الصراع بين البطريرك ستيفن والملك بلدوين الثاني لوقت طويل بسبب وفاة البطريرك. ولم تتكرر الصراعات مرة أخرى بين بطاركة وملوك بيت المقدس، حيث استمر الملك بتحمل مسؤولية اختيار البطريرك، بينما أصبح البطريرك خادماً لكنيسة بيت المقدس.

وتجدر الإشارة إلى أن بابوات روما كانوا قد اتبعوا سياسة حكيمة، تهدف إلى تقييد طموح البطاركة وآمالهم من أجل حفظ التوازن بين السلطة الدينية والدنيوية في مملكة بيت المقدس اللاتينية، لكي تجعلهما تعتمدن مباشرة على البابوية في روما. وكان الملك الصليبي تابعاً للبابوية، وعليه أن يصون الاحترام الذي يكنه أو يدين به للكنيسة، ومن ناحية أخرى كان على البطريرك أن يتذكر أنه تابع للكرسي البابوي<sup>(١١٧)</sup>. وقد اتضحت مثل هذه الأمور أثناء الصراع بين الملك بلدوين والبطريرك دايبرت، فعندما وصل خبر الصراع إلى البابوية في روما، اهتمت كثيراً بهذا الموضوع، وقام البابا باسكال الثاني بإرسال مندوبين عنه للتحقيق في أسباب الخلاف، مما يشير إلى اهتمام السلطة الدينية العليا ممثلة بالبابا بأمور الكنيسة الشرقية، والعمل على إنهاء الخلافات في الأراضي المقدسة. كذلك كانت البابوية تلجأ إلى عزل البطاركة الذين تدور حولهم الشبهات، ومن قبيل ذلك قيام البابا باسكال الثاني بإرسال المندوب البابوي برنجر أسقف أورانج Berenger bishop pf Orange إلى بيت المقدس عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ، من أجل عزل البطريرك ارنولف مالكورون<sup>(١١٨)</sup>، الذي أدين بعدة تهم من بينها السيمونية بمعنى الرشوة<sup>(١١٩)</sup> وقيامه بتعيين قيمات على الخدم<sup>(١٢٠)</sup>، والتصرف في ثروة الكنيسة كيفما يشاء<sup>(١٢١)</sup>، كذلك اتهامه بأنه وافق على زواج الملك من امرأة، بنفس الوقت الذي ما يزال يحتفظ بالزوجة



الأولى<sup>(١٢٢)</sup>. وفي الاجتماع الذي عقده في بيت المقدس عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ برئاسة المندوب البابوي برنجر أسقف اورانج الذي وجد ارنولف مذنباً وقرر عزله<sup>(١٢٣)</sup>. وقد ساعد افريمار في عملية عزل ارنولف عن كرسي البطريركية<sup>(١٢٤)</sup> انتقاماً وتشفيماً منه بسبب قيامه بتحريرض الملك بلدوين ضده، عندما كان بطريركياً على بيت المقدس. ولكن البطريرك ارنولف بادر بالسفر إلى روما لمقابلة البابا باسكال الثاني، وقد اصطحب معه وفداً مهيباً من رجال الدين من أجل استئناف قرار مجلس بيت المقدس، الذي قضى بعزله عن منصبه، وللدفاع عن نفسه ودحض التهم التي نسبت إليه<sup>(١٢٥)</sup>. وذكر وليم الصوري أن ارنولف مالكورون كان قد أجبر على ركوب البحر والذهاب إلى روما، حيث تغلب على تردد البابا باسكال الثاني، بوساطة كلماته الرقيقة وقدراته المطلقة وما قدمه من هدايا، ولهذا سمح له البابا بالاحتفاظ بالكرسي البطريركي<sup>(١٢٦)</sup>. وفي يوم الأربعاء الموافق التاسع عشر من يولية عام ١١١٦م / السادس من ربيع الأول عام ٥٠١هـ، أرسل رسالة إلى الأراضي المقدسة، تفيد بإعادة ارنولف مالكورون إلى منصبه<sup>(١٢٧)</sup>، الذي استمر فيه حتى وفاته في يوم الأحد الموافق الثامن والعشرين من ابريل عام ١١١٨م / الخامس من محرم عام ٥١٢هـ<sup>(١٢٨)</sup>. ويتضح من خلال الصراع بين السلطة الدينية والدنيوية، أن بابوات روما كانوا يستخدمون سلطتهم باستمرار من خلال إرسال مندوبين مفوضين من قبلهم إلى الأراضي المقدسة<sup>(١٢٩)</sup>، من أجل حسم المنازعات وتقريب وجهات النظر بين الطرفين المتنازعين.

وبالإضافة إلى المشاكل التي أثارها رجال الدين اللاتين في الأراضي المقدسة في بداية الحكم الصليبي لهذه البلاد، فقد واجه الصليبيون مشكلة أخرى، تتعلق بعملية إنشاء الأسقفيات اللاتينية، مكان الأسقفيات الأرثوذكسية التي كانت قائمة في الأراضي المقدسة قبيل قدوم الصليبيين. وبطبيعة الحال كان الأمر يتعلق بتعيين رجال الدين اللاتين في الأسقفيات اللاتينية المزمع إقامتها في كافة البلاد التي خضعت للسيطرة الصليبية. ، وكنا قد أشرنا إلى أن الكنيسة الغربية، كانت ترغب في كثلثة جميع العالم المعروف وقتذاك، ومن أجل تنفيذ مخططات وأهداف الكنيسة الغربية، قرر الصليبيون تعيين أساقفة لاتين على عرش الأسقفيات الأرثوذكسية، كما قاموا بإنشاء أسقفيات لاتينية جديدة في الأراضي المقدسة. ويتضح هذا عندما استولى الصليبيون على مدينتي اللد والرملة، حيث وجدوا الكرسي الأسقفي الأرثوذكسي شاغراً، فعقدوا اجتماعاً قرروا فيه انتخاب أسقف لاتيني للمدينتين، ووقع اختيارهم على روبرت من روين ليكون أسقفاً لاتينياً على المدينتين<sup>(١٣٠)</sup>. وبهذا تكون أسقفية اللد والرملة أولى الأسقفيات اللاتينية التي أنشئت في الأراضي المقدسة.



وقد بادر الصليبيون لإقامتها ، لعدم وجود أسقف أرثوذكسي ومن أجل تنفيذ مخططات الكنيسة الغربية الرامية إلى كثلكة الكنيسة الشرقية .

وقد واجه رجال الدين اللاتين عدة مشاكل ، عندما شرعوا بتأسيس الأسقفيات ، وتنظيم الكنيسة اللاتينية . وكانت مشكلة الحدود تقف حائلاً أمام تنفيذ مآربهم الخاصة بتشكيل بطريركية لاتينية واسعة الأرجاء في بداية استقرارهم في الأراضي المقدسة ، حيث كانت مساحة الأراضي التي استولى عليها الصليبيون لا تزال ضيقة ، لأن معظم البلاد وخاصة الساحلية ، كانت لا تزال بيد أصحابها الشرعيين ، إضافة إلى أن هذه البلاد كانت مركزاً لأسقفيات أرثوذكسية ، مما زاد من حرج الموقف الصليبي . ومن المشاكل التي واجهت الصليبيين في بلاد الشام وفلسطين ، ذلك النزاع الذي نشب بين بطريركية بيت المقدس وبطريركية أنطاكية ، حول المركز الأسقفي في صور والأسقفيات التابعة له ، إذ وصل أمر الصراع إلى البابوية في روما ، واستمر فترة من الزمن ، حت حسم الأمر نهائياً لصالح بطريركية بيت المقدس . والملفت للنظر في هذه المشكلة ، أن ملك بيت المقدس وقف إلى جانب بطريك بيت المقدس ، ورفع الاثنان القضية إلى البابا<sup>(١٣١)</sup> ، لأن ذلك سوف يحقق لهما مصالح ومكاسب مادية وسياسية معنوية .

ومهما يكن من أمر ، فقد بدأت الكنيسة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية التغلب على معظم مشاكلها بالتدريج ودون تسرع ، فعندما استولى الصليبيون على قيسارية في مايو عام ١١٠١م / رجب ٤٩٤هـ<sup>(١٣٢)</sup> قاموا بانتخاب أحد رجال الدين ، ويدعى بلدوين Baldwin ليكون رئيساً للأساقفة في المدينة<sup>(١٣٣)</sup> ، وفي ذلك يقول فوشيه الشار تري : « عينا رئيساً للأساقفة هناك (في قيسارية) وقد اخترناه معاً »<sup>(١٣٤)</sup> . وذكر بورشارد من دير جبل صهيون أن قيسارية كانت تعتبر مطرانية فلسطين قبيل استيلاء الصليبيين عليها ، وأضاف إلى أنها كانت رئاسة أسقفية في العصر الصليبي<sup>(١٣٥)</sup> ، مما يفيد أنها بقيت تتمتع بمركزها زمن الصليبيين ، لكن تحت إشراف الكنيسة الغربية . ويبدو من السرعة التي تم فيها تعيين رئيس أساقفة قيسارية ، أن الصليبيين كانوا متلهفين لتحويل الكرسي الأرثوذكسي فيها إلى آخر لاتيني . ومن المرجح أن رئيس الأساقفة الأرثوذكسي لم يكن موجوداً في قيسارية ، أثناء الاستيلاء عليها ، وإلا لما قام الصليبيون بانتخاب وتعيين أسقف لاتيني بهذه المدينة . ولعل هذا الأمر يتشابه مع ما قام به الصليبيون بعد استيلائهم على اللد والرملة ، حيث بادروا إلى تعيين أسقف من بينهم ومنحوه العطايا والإقطاعات .

وبعد تأسيس رئاسة أسقفية لاتينية في قيسارية بحوالي ثماني سنوات ،



قام الصليبيون بإنشاء أسقفية لاتينية في الناصرة عام ١١٠٩م / ٥٠٣هـ<sup>(١٣٦)</sup>. وقد سجلت وثائق دير القديسة مريم St. Maria<sup>(١٣٧)</sup> في وادي يهوشافاط Josaphat<sup>(١٣٨)</sup>، أسم أول أسقف تولى شؤون أسقفية الناصرة، وكان يدعى برنارد Bernard الذي قدم بعض المنح لدير القديسة مريم عام ١١٠٩م / ٥٠٣هـ، بحضور الملك بلدوين الأول وهورئيس الدير<sup>(١٣٩)</sup>. وكانت بيسان أسقفية مطرانية في فلسطين الثالثة Palistina Tertia وذلك قبيل استيلاء الصليبيين عليها، غير أنها أصبحت في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري مدينة صغيرة شبه مهجورة، بينما غدت الناصرة تتمتع بمركز هام بسبب قدسيتها عند المسيحيين<sup>(١٤٠)</sup>. ولم يكن هناك أي خلاف مع العرف حول إنشاء أسقفية لاتينية في الناصرة، التي كان يوجد بها أسقف أرثوذكسي مساعد للبطريرك، قبيل قدوم الصليبيين للأراضي المقدسة<sup>(١٤١)</sup>. وفي عام ١١٢٨م / ٥٢٣هـ أصبحت الناصرة مركزاً أسقفياً لإمارة الجليل، حيث جرى تعيين أحد رجال الدين ويدعى وليم رئيساً للأساقفة في مارس عام ١١٢٨م / ربيع الأول عام ٥٢٣هـ<sup>(١٤٢)</sup>. وبهذا يكون المركز الأسقفي لإمارة الجليل، هو ثاني المراكز الأسقفية اللاتينية التي أقامها الصليبيون في الأراضي المقدسة، على حساب المراكز الأسقفية الأرثوذكسية.

وقد أسهم الملك بلدوين الأول في تحويل بيت لحم إلى أسقفية لاتينية، بعد أن قرر رفع كنيستها إلى منزلة كتدرائية، بسبب احترامه وتقديره لكنيسة المهد Holy Nativity في بيت لحم، التي توج بها ملكاً على بيت المقدس<sup>(١٤٣)</sup>. وكانت كنيسة بيت لحم حتى ذلك الوقت مجرد دير للرهبان<sup>(١٤٤)</sup>، غير أن الملك بلدوين الأول أرسل اثنين من رجاله إلى روما، لأخذ موافقة البابا باسكال الثاني على جعل كنيسة بيت لحم أسقفية لاتينية<sup>(١٤٥)</sup>. وقد أرسل البابا باسكال الثاني مفوضاً عنه لبحث هذا الأمر، وعندما وصل المفوض البابوي إلى بيت المقدس، وجد أن الملك ورجال الدين وكافة الناس والرؤساء في المملكة قد قضاوا بانتخاب اسكتنيوس Aschetinus<sup>(١٤٦)</sup>، أحد رجال الدين اللاتين المشهورين ليكون أسقفاً على أسقفية عسقلان، وتم هذا الأمر بناء على توجيهات الملك وحسب رغبته الخاصة<sup>(١٤٧)</sup>. وبما أن مدينة عسقلان كانت لا تزال بيد المسلمين، فإن تعيين الأسقف في واقع الأمر يعتبر اسماً<sup>(١٤٨)</sup>. وقد قرر المفوض البابوي جيلين اوف سابران أثناء مشاوراته مع الملك ورجال الدين في بيت المقدس، أن يصبح اسكتنيوس أسقفاً لاتينياً لبيت لحم، كما تم الاتفاق على جعل كنيسة عسقلان تابعة لأسقفية بيت لحم<sup>(١٤٩)</sup>. وبعد ذلك أعطى الملك بلدوين الأول للأسقف اسكتنيوس ولخلفائه حق امتلاك مدينة بيت لحم التي منحها في الحال للكنيسة، وقد أعطى الملك هذه المنحة لأسقفية بيت لحم ضمن وصية خاصة به<sup>(١٥٠)</sup>.



ومهما يكن من أمر فقد تم إنشاء أسقفية لاتينية جديدة في بيت لحم بفضل جهود الملك بلدوين الأول، غير أن المصادر التاريخية لم تتفق في تحديد تاريخ إنشاء هذه الأسقفية. فقد أشار وليم الصوري إلى أن هذه الأعمال تمت في عام ١١١٠م / ٥٠٣-٥٠٤هـ<sup>(١٥١)</sup>، بينما أشارت بعض الوثائق إلى أن بيت لحم كانت أسقفية قبل هذا التاريخ، إذ جاء في الوثيقة أن الملك بلدوين الأول قدم لأسقفية بيت لحم خمس قرى في يوم الأربعاء الموافق أول سبتمبر عام ١١٠٩م / الثالث من صفر عام ٥٠٣هـ<sup>(١٥٢)</sup>، كذلك فإن وصول المفوض البابوي إلى بيت المقدس كان في خريف عام ١١٠٧م / ٥٠١هـ<sup>(١٥٣)</sup>، وإذا وضعنا في اعتبارنا مسألة الوقت الذي استغرقته المشاورات حول إنشاء الأسقفية، فإننا نرجح أن يكون تاريخ إنشاء الأسقفية في عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ، على الرغم أن الترتيبات النهائية لقيامها لم تكن قد اكتملت حتى عام ١١٠٩-١١١٠م / ٥٠٣-٥٠٤هـ<sup>(١٥٤)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن مدينة بيت لحم كانت من أملاك كنيسة القيامة، مما دفع الملك بلدوين الأول إلى تقديم أربع قرى لكنيسة القيامة، علاوة عن ألف مكيال من القمح الذي تنتجه أراضي نابلس، كتعويض لها عن بيت لحم<sup>(١٥٥)</sup>. ولا شك أن ذلك يشير إلى اهتمام السلطة الدنيوية بإنشاء الأسقفيات اللاتينية، وفي هذه النقطة تلتقي أهداف السلطة الدينية العليا في روما مع السلطة الدنيوية في بيت المقدس، تلك الأهداف الرامية إلى صبغ الكنيسة الشرقية بالصبغة اللاتينية. كذلك فإن إنشاء أسقفية بيت لحم كشف عن تدخل الملك في الشؤون الدينية، ولكن بعد استشارة بابا روما. وقد أبدى الملك بلدوين الأول اهتماماً كبيراً بأسقفية بيت لحم، إذ منحها المدينة نفسها بالإضافة إلى بعض القرى، كما شجع الأمراء والنبلاء والفرسان وكافة المواطنين (المسيحيين) في المملكة على تقديم المنح والإقطاعات لكنيسة المهد في بيت لحم<sup>(١٥٦)</sup>. ولا شك أن هذا الأمر يوضح مدى اهتمام الملك بلدوين الأول بشؤون الكنيسة، كما أنه يشير إلى أن علاقته برجال الدين كانت جيدة وقتذاك. ومما يؤكد هذا أن الملك كان قد وعد بتقديم التكريم اللائق للكنائس (والأديرة) ولرجال الدين القائمين على شؤونها، وذلك عن طريق منحها الإقطاعات والهبات، وإعطائها كل ما يرد إليها من منح مقدمة من الأباطرة والملوك والأمراء، والتأكيد عليها في السجلات الملكية<sup>(١٥٧)</sup>.

وبعد إنشاء أسقفية لاتينية في بيت لحم، واجه الصليبيون في مملكة بيت المقدس الصليبية مشكلة صعبة، عندما أرادوا تحويل بعض الأسقفيات الأرثوذكسية في المدن الساحلية -مثل عكا وبيروت وصيدا- إلى أسقفيات لاتينية تتبع بطريركية بيت المقدس. وكانت هذه الأسقفيات بالإضافة إلى



أسقفية بانياس تتبع المركز الأسقفي الأرثوذكسي في صور، وكان مطران صور يتبع بطريرك أنطاكية<sup>(١٥٨)</sup>، ومن هنا تبدأ جذور المشكلة. فعندما استولى الملك بلدوين الأول على عكا عام ١١٠٤م/ ٤٩٧هـ<sup>(١٥٩)</sup>، لم يبادر هو والبطريرك إلى تعيين أسقف لاتيني للمدينة، على الرغم أن عكا من الناحية السياسية كانت تخضع لسلطة ملك بيت المقدس. ويبدو أن الملك أراد تجنب المشاكل التي قد تظهر بسبب تحويل عكا إلى أسقفية لاتينية تتبع بطريركية بيت المقدس، لأنها كانت قبيل قدوم الصليبيين عبارة عن أسقفية أرثوذكسية، يدين أسقفها بالتبعية لمطران صور الذي كان تابعاً لبطريرك أنطاكية<sup>(١٦٠)</sup>. ولكن عندما استولى الملك بلدوين الأول على بيروت في مايو عام ١١١٠م/ شوال عام ٥٠٣هـ<sup>(١٦١)</sup> وعلى صيدا في ديسمبر عام ١١١٠م/ جمادي الأولى عام ٥٠٤هـ<sup>(١٦٢)</sup>، ولم تعد مسألة تعيين أساقفة في هذه المدن مهمة، بل سعى الملك والبطريرك جبلين من سابران إلى التماس قرار من البابا باسكال الثاني يسمح لهما بتعيين أساقفة لاتين على مدن عكا وبيروت وصيدا، على الرغم أن المركز الأسقفي في صور كان لا يزال بيد المسلمين<sup>(١٦٣)</sup>. وقد بعث البابا برسالة إلى الملك بلدوين الأول جاء فيها أنه يوافق على منحه جميع المدن التي استولى عليها، والتي سيتم الاستيلاء عليها من المسلمين فيما بعد. وأضاف البابا أن جميع المدن التي ستخضع للملك الصليبي ستكون تحت حكم وسلطة الكنيسة اللاتينية في بيت المقدس. وعلاوة على ذلك أمر البابا أساقفة تلك المدن بأن يحرصوا على إظهار الطاعة والامتثال للبطريرك، كما أمرهم بتقديم الطاعة لمطرانهم الخاص<sup>(١٦٤)</sup>. وقد أرسل البابا أيضاً رسالة مماثلة إلى البطريرك جبلين من سابران جاء فيها «الأخ الودود والأسقف المساعد جبلين، منحنا إلى كنيسة بيت المقدس. . . وضمن كلمات هذا المرسوم، الحكم والتصرف في جميع المقاطعات والمدن، التي أعيدت بنعمة إلهية إلى سلطة الملك المذكور (بلدوين الأول)، وكذلك المدن التي سيقوم باستعادتها في المستقبل، لأنه من المناسب أن تحوز كنيسة القيامة الشرف الذي تستحقه وفقاً لرغبة جنودها الأتقياء»<sup>(١٦٥)</sup>.

يتضح من خلال الرسائل التي بعث بها البابا لكل من الملك بلدوين الأول والبطريرك جبلين أوف سابران، أنه أقر أحقية الملك في حكم البلاد الواقعة تحت سيطرته، وكل ما سيقوم بالاستيلاء عليه من مدن ومقاطعات في المستقبل، كما أنه جعل جميع البلاد الخاضعة لسلطة الملك والتي ستخضع في المستقبل، تحت حكم وسلطة الكنيسة اللاتينية في بيت المقدس، بمعنى أن الحدود الكنسية لكل من بطريركية بيت المقدس وبطريركية أنطاكية يجب أن تتبع الحدود السياسية التي تم إنشاؤها مجدداً بين الولايات الصليبية. كذلك فإن اتساع حدود مملكة بيت المقدس على حساب القوى الإسلامية المجاورة، سيؤدي إلى ازدياد رقعة



البلاد الخاضعة لسلطة البطريرك . وليس من شك في أن قرار البابا باسكال الثاني قد أعطى الحق لبطريرك بيت المقدس في تعيين أساقفة لاتين في كل من عكا وبيروت وصيدا، ومن المرجح أن هذا القرار شجع الملك بلدوين الأول وخلفاءه على ضم المركز الأسقفي في صور تحت سيادة مملكة بيت المقدس، نظراً لكون صور تقع ضمن الحدود السياسية للملكة، لكنها كانت لا تزال بيد المسلمين . وعلى الرغم أن البابا لم يشر إلى صور صراحة، ولكن رسالته للملك بلدوين الأول تشير بطريقة غير مباشرة إلى تشجيع الملك على الاستيلاء على مدينة صور وضمها إلى نطاق سلطة بطريرك بيت المقدس . ومما يؤكد هذا أن البابا أطلق للملك حرية التصرف في البلاد التي ستخضع له في المستقبل .

على أي حال، عندما تسلم البطريرك جيلين الرد الإيجابي من البابا باسكال الثاني عام ١١١١م / ٥٠٥هـ<sup>(١٦٦)</sup>، قام بتعيين أسقف لمدينة بيروت لكنه لم يكن مكرساً<sup>(١٦٧)</sup> . ولعل عدم تكريس أسقف بيروت يرجع إلى قيام بطريرك أنطاكية - برنارد فالنس Bernard of Valence<sup>(١٦٨)</sup> بتقديم سلسلة من الشكاوي إلى كنيسة روما، يتهم فيها البابا والكنيسة بأكملها باعتداء على حقوق بطريركية أنطاكية<sup>(١٦٩)</sup>، مشيراً إلى أن صور تشكل عادة جزءاً من بطريركيته<sup>(١٧٠)</sup> . وفي يوم الخميس السابع من أغسطس عام ١١١٢م / الثاني عشر من صفر عام ٥٠٦هـ رد البابا باسكال الثاني بلباقة على الاعتراض المقدم من بطريرك أنطاكية، معلناً أنه لم يقصد أي ازدراء وانتقاص من حقوق كنيسة أنطاكية، ولكن التغييرات التي حدثت بين الكنائس، كانت بسبب سيطرة المسلمين على هذه البلاد، مما أدى إلى حدوث أشياء كثيرة مجهولة، وأضاف البابا باسكال أن ما كتبه بخصوص حدود الأسقفيات لا يجب أن يعزى إلى حقد وطيش، مما يؤدي إلى نزاع بين المسيحيين . وفي نهاية الرسالة يشجع البابا باسكال على تقوية روابط الأخوة بين المسيحيين، والمحافظة على حقوق الكنائس وشرورها<sup>(١٧١)</sup> .

وبسبب الاعتراض الذي قدمه بطريرك أنطاكية، لم يتم تعيين أساقفة لاتين لكل من صيدا وعكا، وظلت مسائلهم معلقة حتى موت البطريرك جيلين عام ١١١٢م / ٥٠٥هـ<sup>(١٧٢)</sup> . وعلى الرغم من ذلك لم يكن بطريرك أنطاكية راضياً، وقام بإرسال مندوبين عنه إلى المجلس البابوي في بنفنتو Benvento عام ١١١٣م / ٥٠٦هـ ليرفع القضية مرة أخرى<sup>(١٧٣)</sup> . وقد أرسل البابا رسالة أخرى لبطريرك أنطاكية في يوم الثلاثاء الموافق الثامن عشر من مارس عام ١١١٣م / الثامن والعشرين من رمضان عام ٥٠٦هـ، ذكر فيها أنه بعد التداول بخصوص الشكاوي التي قدمها البطريرك، لا يستطيع تعيين حدود خاصة لكل من كنيسة أنطاكية وكنيسة بيت المقدس، وأنه من غير العدل الموافقة على طلبات البطريرك



الرامية إلى ذلك . وأوضح البابا في رسالته أنه يوافق على أن تقوم بطيركية أنطاكية بفرض سلطانها الكنسي على جميع البلاد التي خضعت للإمارة، وتلك التي سيتم الاستيلاء عليها في المستقبل<sup>(١٧٤)</sup>. ولا شك أن هذا القرار يتشابه مع ما صرح به للملك بلدوين الأول والبطيرك جبيلين . وقد طلب البابا من بطيرك أنطاكية أن يتقبل بروح من التفاهم القرار الخاص بمنح المدن والمقاطعات التي استولى عليها الملك بلدوين الأول والتي ستخضع له مستقبلاً، لتكون تحت حكم وسلطة كنيسة بيت المقدس .<sup>(١٧٥)</sup>

وفي الوقت نفسه أرسل البابا باسكال الثاني رسالة مماثلة إلى الملك بلدوين الأول يخبره فيها بأمر الشكاوي التي بعث بها بطيرك أنطاكية وكافة رجال الدين اللاتين في البطيركية ، يتهمون فيها البطيرك جبيلين بانتهاك حقوق كنيسة أنطاكية بالتعاون مع الملك . وطلب البابا من الملك بإلحاح أن يحترم الحقوق التقليدية لبطيركية أنطاكية بقوله : «إن موقع بطيركية أنطاكية المبجل ، يجب أن يبقى سليماً في المستقبل ، وكما كان عليه الحال في العصور الأولى» . وعلى الرغم من ذلك لم يعط أوامر محددة حول الشكل الذي سوف تتخذه الحدود بين بطيركية بيت المقدس وبطيركية أنطاكية ، إذ ذكر أنه يجب على كل كنيسة أن تستمتع بالمنفعة الكاملة من المقاطعات التابعة لها حقاً<sup>(١٧٦)</sup> .

ونتيجة للشكاوي المستمرة التي بعث بها برنارد فالنس إلى البابوية ، بخصوص المركز الأسقفي في صور والأسقفيات التابعة له ، لم يقم بطيرك بيت المقدس بتعيين أساقفة مكرسين في عكا ويبروت وصيدا ، كذلك لم يبادر إلى تعيين رئيس أساقفة لمقاطعة صور ، حتى بعد أن تم الاستيلاء على مدينة صور عام ١١٢٤م / ٥١٧هـ ، ربما تجنباً للمشاكل التي قد تتجدد مرة أخرى بين بطيركية أنطاكية وبطيركية بيت المقدس حول المركز الأسقفي في صور.

قام الملك بلدوين الثاني والبطيرك جرموند بيكيني Gormound of Piquigny<sup>(١٧٧)</sup> ومجموعة من كبار الشخصيات في المملكة بعقد اجتماع في مدينة صور في عام ١١٢٧م / ٥٢١هـ ، وقد تقرر تعيين وليم William رئيس كنيسة القيامة ليكون رئيساً للأساقفة في مقاطعة صور<sup>(١٧٨)</sup> . وقد سافر وليم إلى روما من أجل تدعيم مركزه وأخذ موافقة البابوية على تعيينه رئيساً لأساقفة صور . وفي روما استقبل بحفاوة بالغة من قبل البابا هنوريوس الثاني Honorius II<sup>(١٧٩)</sup> (١١٢٤ - ١١٣٠م) الذي وافق على تعيينه رئيساً للأساقفة ، وأرسل معه رسالة إلى شعب صور والأساقفة التابعة للمركز الأسقفي في مقاطعة صور ، يطلب من الجميع الخضوع والطاعة والاحترام لوليم باعتباره رئيس الأساقفة المسؤول عنهم<sup>(١٨٠)</sup> .



وبعد أن تمت موافقة البابا هنوريوس الثاني على تعيين وليم رئيساً لأساقفة صور، رفض بطريرك أنطاكية التخلي عن ثلاث أسقفيات في مقاطعة صور هي جبيل، طرابلس، وطرطوس، لأنها لم تكن تشكل جزءاً من منحة البابا باسكال الثاني لبطريركية بيت المقدس. وكان برنارد فالنس بطريرك أنطاكية قد حاول حث بابوات روما على احترام المبدأ القاضي باستمرار الحدود السياسية والكنسية جنباً إلى جنب. وكما أن بطريرك بيت المقدس يريد الحكم القضائي على كنائس وأسقفيات مملكة بيت المقدس، فإن بطريرك أنطاكية يريد الحصول على الحكم القضائي على الأسقفيات والولايات الجنوبية لأنطاكية، وهي طرابلس والرها، حتى لو اقتضى الأمر تقسيم رئاسة الأسقفية في صور<sup>(١٨)</sup>.

وعلى الرغم من أن الصراع بين بطريركية بيت المقدس وبطريركية أنطاكية حول المركز الأسقفي في صور استمر فترة من الزمن، قدمت خلالها الشكاوي العديدة إلى البابوية. غير أن بابوات روما حسموا الأمر على أساس أن المدن والمقاطعات الخاضعة لكنيسة بيت المقدس، تتبع الحدود السياسية للمملكة. وهذا الأمر ينطبق أيضاً على كنيسة أنطاكية، التي تمتد سلطتها حسب الحدود السياسية للإمارة. وبناء على ما سبق نستطيع القول إن بطريركية بيت المقدس اقتسمت مع بطريركية أنطاكية الأسقفيات الأرثوذكسية التي كانت تتبع المركز الأسقفي في صور، وقام رجال الدين اللاتين بتحويل هذه الأسقفيات الأرثوذكسية إلى أسقفيات لاتينية. وقد احتفظت بطريركية بيت المقدس اللاتينية بأسقفيات بيروت، صيدا، عكا بالإضافة إلى المركز الأسقفي في صور، بينما احتفظت بطريركية أنطاكية بأسقفيات جبيل، طرابلس، طرطوس والرها. وبهذا التقسيم انتهى الصراع بين السلطة الدينية في مملكة بيت المقدس، وبين السلطة الدينية في إمارة أنطاكية. وقد لعب بابوات روما دوراً هاماً في إنهاء الصراع بين السلطتين الدينتين في أنطاكية وبيت المقدس، وفي تشكيل حدود كل من السلطتين.

وقد استمر الصليبيون في تنظيم وإنشاء الأسقفيات اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ففي عهد البطريرك ستيفن الشارترى تم إنشاء أسقفية كاثوليكية في سبسطية عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ، والتي أصبحت تابعة للمركز الأسقفي في قيسارية<sup>(١٨٢)</sup>. وقد حضر بلدوين الأول أسقف لاتيني لسبسطية، الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثاني في القصر الملكي في عكا، حيث قرر الملك في هذا الاجتماع منح قرية كفر مالك في حدود إقطاعية نابلس لكنيسة القيامة. وكان بلدوين أسقف سبسطية شاهداً على توقيع عقد هذه المنحة. وتجدر الإشارة إلى أن الملك بلدوين الثاني وقع عقد هذه المنحة عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ<sup>(١٨٣)</sup>، في حين أن الوثيقة التي أشارت إلى تلك المنحة مؤرخة في مارس



عام ١١٢٩م / ربيع الأول - ربيع الآخر عام ٥٢٣هـ<sup>(١٨٤)</sup>. ومن المحتمل أن تاريخ حصول كنيسة القيامة على المنحة كان في عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ، بينما جرى تدوين المنحة وتوثيقها في السجلات الملكية عام ١١٢٩م / ٥٢٣هـ.

في عهد البطريرك وليم الأول William I<sup>(١٨٥)</sup> (١١٣٠-١١٤٥م / ٥٢٤-٥٤٠هـ)، استقرت الأمور وهدأت الخواطر بين القائمين على السلطة الدينية والسلطة الدنيوية في مملكة بيت المقدس الصليبية، إذ وقع البطريرك وليم الأول سلاماً مع الملك بلدوين الثاني عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ<sup>(١٨٦)</sup> بعد أن كانت العلاقة بين الملك والبطريرك السابق ستيفن الشارترى قد ساءت، بسبب طلب البطريرك من الملك أنه يجب أن يتنازل عن مدينة يافا تماماً لكنيسة القيامة، ويجب أن يوافق على أن يتخلى عن بيت المقدس في حالة الاستيلاء على عسقلان. وكان الملك غاضباً جداً بسبب استمرار الشعور المعادي بين الطرفين، حتى نهاية عهد البطريرك ستيفن الذي توفي عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ، ونزاعه مع الملك لا يزال قائماً<sup>(١٨٧)</sup>. وقد شهدت فترة حكم وليم الأول لبطريركية بيت المقدس هدوءاً تاماً، فبعد أن وقع البطريرك سلاماً مع الملك، وجه جل عنايته لخدمة الكنيسة اللاتينية، وقام بتعيين بعض الأساقفة المساعدين لرئيس أساقفة صور، كما سيتضح فيما بعد.

أما فيما يتعلق بطبيعة العلاقة التي نشأت بين المسيحيين الشرقيين والغربيين في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة، فقد سبق أن أشرنا إلى أن الكنيسة الغربية كانت تطمح في نشر الكاثوليكية في الشرق. وهذا يعني أن المسيحيين الغربيين وضعوا صوب أعينهم تحويل المسيحيين الشرقيين بمختلف طوائفهم إلى الكاثوليكية، فضلاً عن أنهم استولوا على الكثير من ممتلكات المسيحيين الشرقيين في الأراضي المقدسة، كما أنهم قاموا بتعيين رجال الدين اللاتين في المناصب الهامة، وكل ذلك كان على حساب المسيحيين الشرقيين. ويتضح هذا عندما عينوا أسقفاً لاتينياً على اللد والرملة عقب الاستيلاء عليهما، لأن الأسقف الأرثوذكسي لم يكن موجوداً في المنطقة وقتذاك، كما أنهم قاموا بانتخاب بطريرك لاتيني لبيت المقدس نظراً لخلو منصب البطريرك. ويلاحظ أيضاً أن الصليبيين عينوا أسقفاً لاتينياً لقيسارية بعد الاستيلاء عليها مباشرة. مما يوضح الرغبة الجامحة في نفوس الصليبيين لنشر المذهب الكاثوليكي في الشرق، وصبغ الأسقفيات والكنائس والأديرة الشرقية بالصبغة اللاتينية.

وقد واجه الصليبيون مشكلة هامة تتصل اتصالاً وثيقاً بالمسيحيين الشرقيين وبأمالهم وكنائسهم وأديرتهم ومنشأتهم في الأراضي المقدسة. ومن أجل التغلب على هذه المشكلة قام البطريرك ارنولف مالكورون باستبعاد كافة رجال الدين الأرثوذكس من كنيسة القيامة، وسلبهم حقوقهم وامتيازاتهم



(١٨٨) مما أدى إلى استياء أهالي بيت المقدس من المسيحيين المحليين (١٨٩). وكان البطريرك دايمبرت أوف بيزا الذي خلف ارنولف في حكم بطريركية بيت المقدس، أشد قسوة على المسيحيين الشرقيين، فلم تجر سياسته على إبعادهم من كنيسة القيامة، بل امتدت إلى طردهم من أديرتهم ومنشأتهم الكنسية في بيت المقدس (١٩٠)، بينما استولى إخوانهم الكاثوليك على كل شيء ليظهروا جشعاً في امتلاك الأراضي والأموال (١٩١).

وأبدى الملك بلدوين الأول مودة للمسيحيين الشرقيين، كما قام بإعادة رجال الدين الأرثوذكس إلى كنيسة القيامة، وسمح لهم بمباشرة الشعائر والطقوس الأرثوذكسية بها (١٩٢). ولا شك أن الذي دفع الملك بلدوين الأول إلى تحسين علاقاته مع المسيحيين الشرقيين حاجته المستمرة للجنود، ولأنه لم يستطع الحصول على تعزيزات من الجنود من الغرب الأوروبي، شرع في سياسة تحسين العلاقة مع المسيحيين الشرقيين (١٩٣). وبالإضافة إلى ذلك فإن الملك بلدوين الأول وجد مدينة بيت المقدس قليلة السكان، فسعى إلى اجتذاب المسيحيين من المناطق الواقعة خلف الأردن. وكان من هؤلاء يعيشون تحت الحكم الإسلامي ويدفعون الجزية، فقام الملك بمراسلتهم، ووعدهم بتحسين أوضاعهم، مما أدى إلى قدوم جماعات منهم. وقام الملك باستقبالهم مع زوجاتهم وأطفالهم، وقد منحهم أجزاء من المدينة المقدسة، ووفر لهم المساكن للإقامة بها (١٩٤).

وقد بدأ المسيحيون الغربيون يختلطون بالأهالي ويتزوجون من المسيحيات الشرقيات، وخاصة المسيحيات السوريات والأرمنيات (١٩٥)، مما أدى إلى ظهور جيل جديد عرف باسم الأفراخ Pullani (١٩٦). ويبدو أن المسيحيين الغربيين كانوا قد تأثروا كثيراً بأهالي البلاد وبعاداتهم وتقاليدهم مما دفع بالمؤرخ الصليبي فرشيه الشارترى Fulcher of Chartres إلى القول «نحن الذين كنا غربيين، أصبحنا الآن شرقيين، والذي كان مواطناً رومانياً أو فرنسياً أصبح جليلاً أو فلسطينياً، والذي كان من ريمز Rhemis أو شارتر Chartres أصبح الآن مواطناً من صور أو أنطاكية، ونسينا أماكن ولادتنا» (١٩٧). ويضيف فرشيه إلى أن بعض المسيحيين الغربيين امتلكوا بيوتاً في الأراضي المقدسة عن طريق الميراث، بسبب زواجهم من المسيحيات الشرقيات (١٩٨). ولعل هذه الأمور تشير إلى أن علاقة المسيحيين الشرقيين بالغربيين بدأت تتحسن، بسبب إصرار الملك بلدوين الأول على رفع ما ألم بالمسيحيين الوطنيين من مظالم في أوائل الحكم الصليبي، فرد إلى اليونانيين مفاتيح كنيسة القيامة. وعندئذ حاز الملك بلدوين على ما يبدو على ثقة وتأييد المسيحيين في الأراضي المقدسة (١٩٩).

وليس من شك في أن علاقات المصاهرة بين المسيحيين الشرقيين



والغربيين، كانت قد خففت من حدة الكراهية التي كان يكنها المسيحيون الشرقيون للمسيحيين الغربيين. وقد استمر خلفاء الملك بلدوين الأول يتوددون إلى المسيحيين الأرثوذكس، ويتزوجون منهم<sup>(٢٠٠)</sup>. فقد كانت مافيا Marfie زوجة الملك بلدوين الثاني، ووالدة الملكة ميلسند أميرة أرثوذكسية بيزنطية وكذلك كانت ماريا كومينا Maria Comnena زوجة الملك عموري الأول<sup>(٢٠١)</sup>. وقد وجد رجال الدين في دير القديس سابا St. Sabas<sup>(٢٠٢)</sup> الأرثوذكسي معاملة حعام من الملك بلدوين الأول، خاصة وأن هذا الدير كان من أهم الأديرة الأرثوذكسية التي بقيت بفلسطين خلال عصر الحروب الصليبية<sup>(٢٠٣)</sup>. وقد أغدقت عليه الملكة ميلسند الكثير من المنح والأراضي<sup>(٢٠٤)</sup>، ربما من أجل الإنفاق بما تدره هذه الأراضي والمنح من دخل على رجال الدين الأرثوذكس المقيمين في الدير، أو لشراء ما يحتاجه الدير من متطلبات.

ومهما يكن من أمر فقد تقبل المسيحيون الشرقيون العمل تحت سلطة رجال الدين اللاتين، إذ قبلوا أن يعملوا مساعدين للأساقفة اللاتين باستثناء المسيحيين اليونانيين<sup>(٢٠٥)</sup>، على الرغم من أن كنيسة القيامة كانت تضم بعض المسيحيين اليونانيين<sup>(٢٠٦)</sup>. كذلك استمرت الأديرة الأرثوذكسية في الأراضي المقدسة في ممارسة نشاطها دون توقف، فالحجاج الأرثوذكس الذين زاروا فلسطين أثناء الحكم الصليبي لها، لم يصادفوا أية مضايقات من السلطات الدنيوية، سواء فيما يتعلق بهم أو بإخوانهم من المسيحيين الشرقيين الذين يقيمون في الأراضي المقدسة<sup>(٢٠٧)</sup>. وقد سمح الملك بلدوين الثاني للمسيحيين الوطنيين بحمل جميع الحبوب إلى بيت المقدس دون تحصيل الضرائب منهم، كما وعد بتخفيف الجمارك على هذه السلع، كما منح للأرمن والسرمان حقاً حراً بخصوص هذا الأمر. وكان هدفه من ذلك توفير السلع التموينية لسكان بيت المقدس وزيادة عدد سكانها<sup>(٢٠٨)</sup>.

يتضح من خلال هذه النبذة البسيطة عن علاقة المسيحيين الشرقيين بالمسيحيين الغربيين في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة عدة نقاط أهمها: قيام الصليبيين بمعاملة إخوانهم المسيحيين الوطنيين معاملة سيئة في بداية الأمر، ثم تحسن العلاقة بين الطرفين بسبب جهود الملك بلدوين الأول وإصراره على رفع الظلم الذي تعرض له المسيحيون الشرقيون. وقد اتبع أسلاف الملك بلدوين الأول نفس السياسة في تعاملهم مع المسيحيين الشرقيين، وتزوجوا من مسيحيات شرقيات، ونتج عن هذه السياسة قيام الصليبيين بمختلف طبقاتهم بمصاهرة المسيحيين الشرقيين، مما أدى إلى ظهور جيل جديد عرف باسم الأفراخ.

وبعد أن تعرضنا لطبقة العلاقة بين المسيحيين الشرقيين واللاتين في بداية



الحكم الصليبي للأراضي المقدسة ، لا بد لنا من الحديث عن الإقطاعات والمنح التي حازتها الكنيسة اللاتينية في تلك البلاد خلال السنوات الأولى من الحكم الصليبي للأراضي المقدسة ، وبتحديد أدق حتى نهاية حكم الملك بلدوين الثاني عام ١١٣١ م / ٥٢٥ هـ ، وذلك حتى يتسنى لنا التعرف على حجم الإقطاعات والمنح ومعرفة أنواعها ومصادرها وكيفية استغلالها من قبل رجال الدين اللاتين . وليس من شك في أن الكنيسة اللاتينية ، كانت قد حظيت برعاية ملوك وأمراء بيت المقدس ، الذين أغدقوا المنح بسخاء على مختلف الكنائس والأديرة في جميع البلاد والمقاطعات التي خضعت للسيطرة الصليبية . وإلى جانب ذلك حازت المؤسسات الكنسية في الأراضي المقدسة على منح ومساعدات من الغرب الأوروبي .

وقد حصلت المؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة على كثير من المنح والإقطاعات في مختلف أرجاء المملكة ، كما حازت على بعض المنح والإقطاعات في الغرب الأوروبي . ويمكن تقسيم الإقطاعات التي حازتها المؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة إلى نوعين هما : الإقطاعات النقدية والإقطاعات العينية ، وهي في ذلك تماثل الإقطاعات الدنيوية تماماً ، مع اختلاف بسيط هو أن الإقطاعات الكنسية تكون خاضعة لأشراف رجال الدين ، بحيث يكون رئيس كل كنيسة أو دير سيداً إقطاعياً على ممتلكاته . وبطبيعة الحال يصبح البطريرك هو السيد الإقطاعي الكبير لجميع رجال الدين في مملكة بيت المقدس الصليبية . أما الإقطاعات الدنيوية فتخضع لإشراف رجال الإقطاع العلمانيين ، الذين يخضعون مباشرة للملك باعتباره السيد الإقطاعي الأعلى في المملكة ، وكان لكل سيد إقطاعي بعض الأتباع الذين يدينون له بيمين الولاء والطاعة ، وهم من الأمراء والنبلاء الذين منحهم السيد الإقطاعي الكبير بعض الإقطاعات والمنح في إمارته أو إقطاعيته . ولذلك فيمكن اعتبار الأسقف سيداً إقطاعياً على جميع رجال الدين الذين يقيمون داخل حدود أسقفيته ، كذلك يمكن اعتبار رئيس الأساقفة سيداً إقطاعياً على جميع الأساقفة التابعين لأسقفيته ، بينما يمكن اعتبار البطريرك على قمة التسلسل الهرمي الكنسي في مملكة بيت المقدس الصليبية ، يليه في المنزلة رؤساء الأساقفة فالأساقفة فرؤساء الكنائس والأديرة ، فالقساوسة حتى نصل إلى نهاية السلم الإقطاعي الكنسي ، حيث يأتي الرهبان وغيرهم من رجال الدين العاديين الذين كانوا يشكلون القاعدة العريضة في التسلسل الإقطاعي الكنسي . وكانت طاعة صغار رجال الدين للأساقفة واجبة وقائمة في نفس الوقت ، كذلك كان الأساقفة يقدمون الطاعة لرؤساء الأساقفة الذين كانوا يقدمون الولاء والطاعة للبطريرك ، الذي تمتع بنفوذه وسلطانه عن طريق تفويض من البابا<sup>(٢٠٩)</sup> .



والنوع الأول من الإقطاعات التي حصلت عليها المؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية، ما يعرف بالإقطاعات النقدية التي تتمثل في حصول الكنائس والأديرة في المملكة على دخل سنوي ثابت من مختلف القطاعات والمؤسسات في الكيان الصليبي<sup>(٢١٠)</sup>. فعلى سبيل المثال قام الأمير جودفري البويوني بتخصيص منح نقدية لرجال الدين، عرفت فيما بعد باسم رواتب رجال الدين<sup>(٢١١)</sup>، ويعتبر المبلغ الذي تم رصده لهذه الغاية من الإقطاعات النقدية التي قدمت للكنائس والأديرة. كذلك خصص الملك بلدوين الأول لكنيسة القيامة ألف مكيال من القمح الذي تنتجه أراضي نابلس سنوياً<sup>(٢١٢)</sup>. ومن الإقطاعات النقدية أيضاً ما قدمه باليان كندسطليل يافا لكنيسة القديس يوحنا في سبسطية، إذ منحها العائد السنوي لخمس قرى تابعة له<sup>(٢١٣)</sup>. كذلك قدم الملك بلدوين الثاني مبلغ مائتي بيزنط لكنيسة القيامة، يحصلها رجال الدين في الكنيسة كل عام من عائدات نابلس<sup>(٢١٤)</sup>. وتنحصر مهمة رجال الدين اللاتين فيما يتعلق بالإقطاعات النقدية في الحصول على المبالغ المقررة لكنائسهم وأديرتهم في مختلف حدود مملكة بيت المقدس. ومن المرجح أن تكون المؤسسات الكنسية اللاتينية في المملكة قد حصلت على إقطاعات نقدية في الإمارات الصليبية في أنطاكية وطرابلس والرها.

أما النوع الثاني من الإقطاعات التي حازتها الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الصليبية، فهو الإقطاعات العينية التي حصلت عليها من ملوك بيت المقدس، وكبار السادة الإقطاعيين والنبلاء وأفراد الطبقة البرجوازية في المملكة. ولم تكن جميع الإقطاعات والمنح العينية ذات قيمة واحدة<sup>(٢١٥)</sup>، فقد اختلفت قيمتها ومساحتها وماهيتها. وكانت الأراضي بكافة أنواعها سواء السهلية أو الجبلية أو الصحراوية، الصالحة للزراعة أو القاحلة هي أساس الإقطاعات العينية، فقد حصلت الكنائس والأديرة على مساحات شاسعة من الأراضي الصالحة للزراعة، كما حازت على حدائق وبساتين وكروم وحقول زيتون، فضلاً عما حازته من عقارات مثل: المنازل، الحمامات، الطواحين، المعاصر، الأفران، الآبار، عربات نقل المحاصيل، الكنائس، والحصون.

وحصلت المؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة على بعض المدن كإقطاع خاص بها. فعلى سبيل المثال امتلكت أسقفية الرملة مدينتي اللد والرملة وما يحيط بهما من أراض كإقطاع لأسقف الرملة<sup>(٢١٦)</sup>. واحتفظت كنيسة القيامة بملكية مدينة يافا نحو ثمانين عشرة عام، وفي عام ١١١٨م / ٥١١هـ استردها الملك بلدوين الثاني من كنيسة القيامة، ومنحها لهيو الأول من بوزية<sup>(٢١٧)</sup> Hugh I of Puiset كذلك حصلت كنيسة القيامة على مدينة أريحا كإقطاع خاص



بها، غير أن كنيسة القيامة لم تلبث أن فقدت مدينة أريحا، لأن أحد كبار رجال الدين اللاتين انتزعها من أملاك الكنيسة ومنحها كإقطاع دنيوي<sup>(٢١٨)</sup>. وإلى جانب ذلك احتفظت كنيسة القيامة بملكية مدينة بيت لحم نحو تسع سنوات، ثم تنازلت عنها لأسقفية بيت لحم، مقابل تعويض قدمه الملك بلدوين الأول لرجال الدين المشرفين على كنيسة القيامة<sup>(٢١٩)</sup>. وبطبيعة الحال كانت الأسقفيات والكنايس والأديرة تحقق دخلاً كبيراً من خلال ملكيتها لهذه المدن، فعلى سبيل المثال كانت مدينة أريحا تدر على كنيسة القيامة مبلغاً كبيراً من المال، يقدر بحوالي خمسة آلاف قطعة ذهبية في العام<sup>(٢٢٠)</sup>. والملاحظ أنه كان يتم استرداد بعض ما حازته الكنايس والأديرة من إقطاعات، كما هو الحال بالنسبة لمدينة يافا، كذلك كانت الكنايس تتنازل عن بعض ممتلكاتها لكنايس أخرى مقابل الحصول على تعويض مناسب، كما حدث عندما تنازلت كنيسة القيامة عن مدينة بيت لحم مقابل تعويض قدمه الملك بلدوين الأول. وبالإضافة إلى ما سبق كان رجال الدين يتصرفون بإقطاعات وأملاك الكنايس، حسب ميولهم الشخصية، من أجل مصلحة أقاربهم، وقد اتضحت هذه النقطة عندما تصرف البطريرك ارنولف بمدينة أريحا وملحقاتها وقدمها مهراً لابنة أخته، لكن كل هذه الأمور تعتبر استثنائية، ولم تؤثر كثيراً على الإقطاعات الكنسية، لأن بعض الكنايس والأديرة كانت تحصل على تعويضات مقابل التنازل عن جزء من أملاكها.

وعلى الرغم من حصول المؤسسات الكنسية اللاتينية على بعض المدن كإقطاع خاص ببعض الكنايس والأديرة، إلا أن القرية Casal كانت الوحدة الأساسية للإقطاع في العصر الوسيط<sup>(٢٢١)</sup>، كما كانت مكاناً للعمل ومصدراً للرزق والفائدة المباشرة<sup>(٢٢٢)</sup>. وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن القرية وسكانها ومواشيها، وكل ما تحويه من عقارات كانت تنتقل إلى ملكية المقطع الجديد<sup>(٢٢٣)</sup>، وذكر مؤرخ آخر أن السيد الذي حاز قرية من القرى كان يقسم أراضي القرية إلى حصتين، حصّة يحتفظ بها لنفسه، والحصّة الثانية كان يقوم بتوزيعها على أتباعه<sup>(٢٢٤)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن جزءاً من أراضي القرية كان مشاعاً<sup>(٢٢٥)</sup>.

وبناء على ما سبق نستطيع القول إن القرى التي حازتها الكنايس والأديرة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية، أصبحت هي وسكانها وكل ما تحويه من عقارات تحت سيطرة وإدارة رجال الدين. وفي هذا الصدد لا بد من الإشارة إلى أن بعض القرى التي منحت لكنيسة القيامة، هجرت من سكانها، عندما تسلمها رجال الدين في كنيسة القيامة<sup>(٢٢٦)</sup>. كذلك قام الصليبيون بترحيل سكان قرية كفر مالك ((Kafer Melich



Kafer Malik<sup>(٢٢٧)</sup> إلى قرية بيت فوريك Beit Furik<sup>(٢٢٨)</sup>، لأن قرية كفر مالك منحت لكنيسة القيامة بوساطة الملك بلدوين الثاني<sup>(٢٢٩)</sup>. وبطبيعة الحال كانت المؤسسات الكنسية اللاتينية تقوم باستغلال جميع الإقطاعات والأملاك التي حازتها في الأراضي المقدسة، بما يخدم مصالحها ويحقق طموحات رجال الدين اللاتين.

وعلى الرغم أن القرية جميعها كانت الوحدة الأساسية للإقطاع في الأراضي المقدسة، إلا أنه جرى منح الكنائس والأديرة أنصاف قرى، إذ قام يوستاش جارنيه بمنح نصف قرية في حدود إقطاعية قيسارية إلى كنيسة القيامة<sup>(٢٣٠)</sup>، كذلك حصل دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على نصف قرية في حدود بيت لحم منحة من جاي دي ميللي<sup>(٢٣١)</sup> وبالإضافة إلى ما سبق كان يتم منح ثلث أو ربع قرية للكنائس والأديرة، ولكن مثل هذه المنح كانت قليلة. وأشارت بعض المنح إلى أن ملوك وأمراء بيت المقدس كانوا يقدمون القرى للمؤسسات الكنسية في المملكة، لكنهم كانوا يستثنون أجزاء من هذه القرى لأنفسهم، فعلى سبيل المثال استثنى الملك بلدوين الثاني جزءاً من قرية ساردانس الواقعة مقابل صور والتي منحها لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وقد احتفظ بهذا الجزء لنفسه<sup>(٢٣٢)</sup>. وعندما منح وليم دي بور قرية القديس أيوب لنفس الدير استثنى جزءاً من القرية جعله لحفيده لكي يستمتع بالسيادة عليه<sup>(٢٣٣)</sup>. كذلك أشارت الوثائق إلى أنه كان يتم منح أجزاء من القرية دون تحديد عدد الأجزاء التي كانت تتألف منها كل قرية، ففي عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ قام الملك بلدوين الأول بمنح جزئين من إحدى القرى الواقعة في حدود بيت المقدس لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط<sup>(٢٣٤)</sup> وتشير هذه المنحة إلى أن القرية كانت مقسمة إلى عدة أجزاء، وربما كانت التقسيمات من أجل منع أية اعتداءات على أراضي القرية، وحتى تقوم كل مؤسسة باستغلال الجزء الخاص بها، وذلك تسهيلاً على أصحاب الأملاك في القرية. ولم تشر المصادر إلى مساحة الأجزاء التي كانت تتألف منها القرية، وبطبيعة الأمر لا يمكن تحديد مساحة كل جزء، لأن مساحة القرى كانت تختلف من قرية لأخرى. ويتضح مما سبق أن القرية كانت وحدة أساسية للإقطاع في مملكة بيت المقدس الصليبية، بغض النظر عن لجوء ملوك وأمراء المملكة إلى منح نصف أو ثلث أو ربع قرية للكنائس والأديرة، لأن ذلك لم يحدث إلا نادراً.

وقد قام الصليبيون بتقسيم أراضي القرية إلى وحدات أو قطع، بعضها قانوني (رسمي)، معتمد من قبل الحكومة الصليبية، واستعمل على أساس أنه وحدة إدارية تخدم الأغراض الضريبية<sup>(٢٣٥)</sup>، والبعض الآخر عبارة عن



قطع صغيرة من الأراض ، يمكن لزوج من الثيران حراثتها في يوم واحد<sup>(٢٣٦)</sup> ، وقد حملت كل وحدة من هذه الوحدات اسم Carrucate أو Carruca . وكانت الكاريوكا Carruca غير الرسمية تماثل الفدان العربي al- Faddan al- Arabi<sup>(٢٣٧)</sup> ، وهي تختلف عن الكاريوكا الرسمية (القانونية) في مساحتها ، وكذلك فيما يتعلق بطرق استخدامها<sup>(٢٣٨)</sup> . وكانت هذه الوحدة هي أساس جميع مستويات الدخل والضرائب ، وكان بإمكان الفلاح حراثة أكثر من كاريوكا واحدة في اليوم<sup>(٢٣٩)</sup> .

وقد استعمل الصليبيون مقاييس أخرى للأرض بعضها يماثل الكاريوكا الرسمية Carrucate Greca التي يظهر أنها مرادفة لـ Carrucate Francesiae<sup>(٢٤٠)</sup> . وهذه المقاييس تشير إلى مقدار الأرض التي يستطيع فريق واحد حراثتها خلال عام<sup>(٢٤١)</sup> ، وهي تماثل الفدان الرومي (البيزنطي) Faddan Rumi ، الذي استعمل من قبل الصليبيين والمماليك ، وعاد للظهور عند العثمانيين بنفس الاسم<sup>(٢٤٢)</sup> . وقد استعمل الصليبيون مقياس آخر هو الـ (aratum) (plough) ولكن على نطاق ضيق جداً<sup>(٢٤٣)</sup> . وقد وجدت بعض المقاييس التي تماثل الكاريوكا العربية أو الفدان العربي مثل Jornatae اللاتينية و Kournal الإنجليزية ، و Journee الفرنسية<sup>(٢٤٤)</sup> ، هذا بالإضافة إلى الـ Paraille ، وهو مقياس يشبه الفدان ، استخدم لقياس الأرض الصالحة للزراعة ، وكثير استعماله في المنطقة المجاورة لطرابلس<sup>(٢٤٥)</sup> .

وقد اتضح من خلال دراستنا للإقطاعات العينية التي حصلت عليها المؤسسات الكنسية اللاتينية في الثلاثين عام الأولى من الحكم الصليبي للأراضي المقدسة ، أن الكاريوكا الرسمية والكاريوكا العربية استعملتا أكثر من باقي المقاييس الأخرى ، لكن الوثائق لم تشير إلى نوعية الكاريوكات Carrucates التي حازتها المؤسسات الكنسية في الفترة الأولى من الحكم الصليبي . فعلى سبيل المثال أشارت إحدى الوثائق إلى قيام الملك بلدوين الأول بمنح دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قطعة أرض مساحتها كاريوكتين في إقطاعية بيروت<sup>(٢٤٦)</sup> . وأشارت وثيقة أخرى إلى قيام روجر أسقف الرملة بمنح الدير سالف الذكر قطعة أرض مساحتها أربع كاريوكات Carrucates تقع في مواجهة حصن مستوطنة البيرة<sup>(٢٤٧)</sup> . ولما كانت الكاريوكا الرسمية تساوي خمسة وثلاثين هكتاراً Hectares أي ما يعادل ثلاثمائة وخمسين دونماً Dunams<sup>(٢٤٨)</sup> ، فإننا نرجح أن تكون المنحة التي قدمها الملك بلدوين الأول لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط داخل حدود إقطاعية بيروت من نوع الكاريوكا الرسمية ، لأن المنحة داخل حدود إقطاعية كبيرة ، مساحة أراضيها واسعة وغير محدودة ، أما أراضي القرية فهي مهما كانت كبيرة



إلا أنها إلى جانب أراضي الإقطاعية تكون صغيرة جداً. وعلى الرغم أن المصادر لم تشر صراحة إلى نوع الكاريوكا، إلا أننا نرجح أن تكون من النوع القانوني الرسمي. أما الكاريوكا غير الرسمية فهي تساوي المقياس الفرنسي Charruee وهو ما يحرقه محراث في يوم واحد<sup>(٢٤٩)</sup>. وبناءً على ما سبق فإننا نرجح أن تكون المنحة التي قدمها الأسقف روجر للدير سابق الذكر من نوع الكاريوكا العربية التي تساوي أربعة دونمات Dunams<sup>(٢٥٠)</sup>، لأن مساحة أراضي مستوطنة البيرة مهما كانت كبيرة فهي لا تتجاوز كاريوكتين رسميتين (قانونيتين) أو ثلاثة، وبالإضافة إلى ذلك فإن أراضي قرية البيرة al- Birah (magna Mahumaria) كانت من أملاك كنيسة القيامة، ومن هذا المنطلق فإننا نرجح أن تكون المنحة المقدمة من أسقف الرملة من نوع الكاريوكا العربية التي تساوي أربعة دونمات (أربعة آلاف متر مربع).

ومن الإقطاعات العينية التي امتلكتها المؤسسات اللاتينية في الأراضي المقدسة أثناء الحكم الصليبي لهذه البلاد، ما كان يعرف باسم جاستينا Gastina أو فاستينا Vastina، وهي ألفاظ لاتينية تستعمل للدلالة على الأراضي البور أو المشاع no man's Land<sup>(٢٥١)</sup>، وقد استعمل هذا المصطلح في أوروبا للإشارة إلى الأراضي غير المحروثة والغابات والمراعي<sup>(٢٥٢)</sup>. وقد أشار بعض المؤرخين الحديثين إلى أن لفظة جاستينا اللاتينية الأصل تماثل اللفظة العربية خربة Khirbet، التي احتلت مكانة بارزة في بلاد الشام وفلسطين، وخاصة فيما يتعلق بالمنطقة التي وجدت بها<sup>(٢٥٣)</sup>. ووصف أحد الرحالة إحدى الجاستينات الواقعة قرب مدينة أريحا أنها مليئة بالأفاعي، وأن الرجال يجوبون الجاستينا من أجل اصطيادها، من أجل صنع المراهم الطبية<sup>(٢٥٤)</sup>. وقد وردت كلمة الجاستينا في إحدى الوثائق مقرونة بكلمة أخرى خربة الاسد Castine leonis<sup>(٢٥٥)</sup> Khirbet al- Asad<sup>(٢٥٦)</sup>. كذلك وردت الجاستينا موصوفة بصغر مساحتها gastine de Fondoch la petite، بمعنى خربة الفندق الصغيرة<sup>(٢٥٧)</sup>. وهذا يعني أن لفظة gastina اللاتينية تماثل لفظة خربة Khirbet العربية، ولكن ليس في جميع الأحوال، لأن الجاستينا مصطلح يصعب الأخذ به والاعتماد عليه<sup>(٢٥٨)</sup>. وهناك نوعان من الجاستينا، تلك المستقلة عن القرى وعددها قليل نسبياً، وتلك التي تحتفظ بمكانتها وتبعيتها للقرى<sup>(٢٥٩)</sup>. ومن الجاستينات التابعة للقرى جاستينا الفندق الصغيرة la Petite gastine de Fondoch التي كانت تابعة لقرية عسكر الواقعة في حدود إقطاعية نابلس، وقام الملك بلدوين الأول بمنحها لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، من خلال منحة قرية عسكر بكافة زمامها للدير<sup>(٢٦٠)</sup>. وفي عام ١١٢٣م / ٥١٧هـ حصل الدير سالف الذكر على الجاستينا المعروفة



باسم ميلبينا la gastine appelee Melbena<sup>(٢٦١)</sup> بالإضافة إلى ثلث جاستينا زونيا la gastine de Zonia في حدود بيت المقدس<sup>(٢٦٢)</sup>، وفي عام ١١٢٧م / ٥٢١هـ قام باليان كندسطل يافا بتحديد عقد امتلاك الدير لثلث جاستينا زونيا<sup>(٢٦٣)</sup>. ومن المرجح أن تكون جاستينا زونيا من النوع المنفصل عن القرى، لأن دير القديسة مريم في وادي يهو شافاط امتلك ثلث الجاستينا، بينما قام باليان ابلين كندسطل يافا بمنح الباقي لأفصاله Vassals<sup>(٢٦٤)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الجاستينا Gastina المستقلة عن القرى، أصبحت أرضاً زراعية نظمت في كاريوكات Carrucates رسمية من أجل الأغراض الأميرية. وقد أضحت الجاستينا مثل بقية الأراضي المزروعة في القرية، وأحياناً تكون على شكل وحدات إدارية مستقلة، مثلها في ذلك مثل القرى، ويتضح هذا من خلال المثال الذي سقناه عن موقع خربة الأسد. وعلى الرغم من التغيير في منزلة الجاستينا، وفي حالتها القانونية ووظيفتها الاقتصادية، إلا أنها احتفظت باسمها السابق جاستينا<sup>(٢٦٥)</sup>. وتعتبر الجاستينات Gastinae التابعة للقرى مناطق غير محروثة ونادرة السكان، ومع ذلك فقد شغلت وظيفة هامة في حياة الفلاحين، إذ استعملت كأراضي للمراعي<sup>(٢٦٦)</sup>.

ومن المحتمل أن تكون الجاستينا المستقلة عن القرية، أصبحت صالحة للزراعة، بعد أن منحت لأحد السادة الإقطاعيين أو النبلاء أو للمؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية، خصوصاً وأن الصليبيين كانوا بحاجة ماسة للتوسع في استصلاح الأراضي، ويبدو أن الجاستينات Gastinae المستقلة عن القرى، كانت غير آهلة بالسكان، نظراً لكونها أراضي بور، ولكن عندما منحت للمؤسسات الكنسية أو للسادة الإقطاعيين، بدأ الاهتمام بها واستصلاحها من أجل الزراعة، وبطبيعة الحال يحتاج استصلاح الجاستينا لكي تصبح أرضاً زراعية إلى عدة أمور منها: حراثة الأرض أكثر من مرة، وشق القنوات تمهيداً لنقل المياه إلى الجاستينا، مع وجود الفلاحين ذوي الخبرة في استصلاح الأراضي، كما يتطلب الأمر توافر أدوات الزراعة، ومعرفة أنواع المحاصيل التي يكن زراعتها ونجاحها في مثل هذه الأراضي، وفوق كل ذلك كان لا بد من تشجيع المسؤولين للملاك وأصحاب الإقطاعات، على استصلاح مثل هذا النوع من الأراضي وزراعتها. وقد أشرنا قبل ذلك إلى قيام رجال الدين في دير القديسة مريم في وادي يهو شافاط بشق قناة في أراضي قرية ميسلون من أجل خدمة الأغراض الزراعية، مما يشير إلى اهتمام رجال الدين بالإقطاعات الكنسية<sup>(٢٦٧)</sup>.

أما فيما يتعلق بالجاستينا التابعة للقرية، فعلى الرغم أن الفلاحين كانوا يستغلونها من أجل تربية الماشية، إلا أنه كان بإمكانهم استغلال هذا النوع

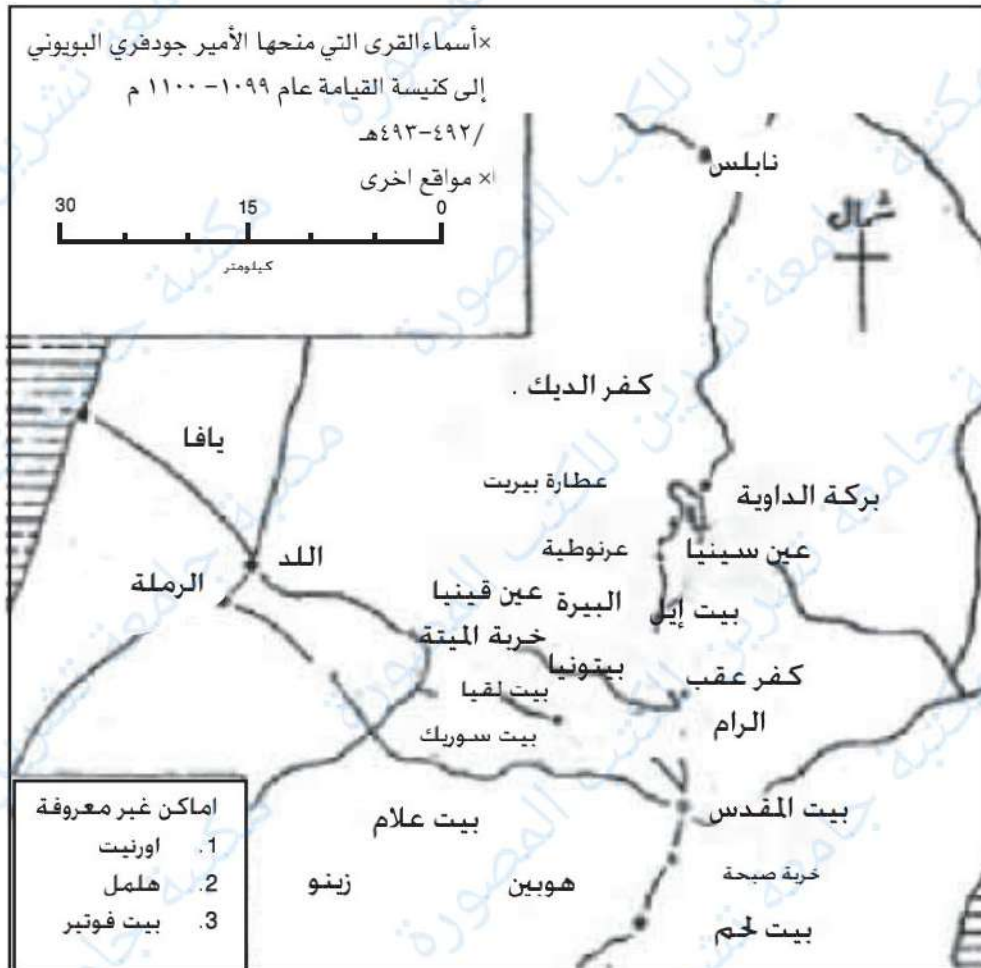


من الأراضي واستصلاحه إذا ما اقتضت الضرورة ذلك ، بسبب قلة مساحة الأراضي الزراعية . وبطبيعة الحال كانت عمليات استصلاح الأراضي البور تتم بتوجيه من أصحاب الإقطاعات سواء كانوا من رجال الدين أو من العلمانيين . وليس من شك في أن كثيراً من الأراضي كانت تهجر بسبب الحروب المستمرة ، أو نتيجة لموت أصحابها دون وجود ورثة لهم ، مما يؤدي إلى إهمال الأراضي وعدم العناية بها ، فتصبح مع مرور الأيام أراضي بور ، أو أراضي تستعمل كمراع ، وإذا ما أقطعت لإحدى المؤسسات الكنسية أو لأحد السادة الإقطاعيين ، وتمت العناية بها عن طريق حراثتها وزراعتها ، ففي هذه الحالة لا يمكن أن نطلق عليها اسم الجاستينا ، وبهذا فإننا نتفق مع ما أورده أحد المؤرخين الحديثين بخصوص الجاستينا ، من أنها إحدى المصطلحات التي يصعب الأخذ بها والاعتماد عليها <sup>(٢٦٨)</sup> . فمن الممكن استصلاح أراضي الجاستينا وجعلها أراضي زراعية خصبة ، إلا أن لفظة الجاستينا تبقى ملاصقة لهذه الأراضي ، كما هو الحال بالنسبة للخربة فكثير من المواقع تحمل اسم الخربة إلا أن أراضيها خصبة جداً ، إضافة إلى أن هذه المواقع مأهولة بالسكان . وقد قمت بزيارة العديد من الخرب في فلسطين ، من بينها خربة كفر ثلث Kafer Thilith <sup>(٢٦٩)</sup> التي كانت زمن الحروب الصليبية داخل حدود إقطاعية أرسوف ، وقد وجدت هذه القرية التي تحمل اسم الخربة مأهولة بالسكان ، ويعتمد سكانها اعتماداً رئيسياً على زراعة أشجار الزيتون ، التي تعتبر مصدراً أساسياً لرزقهم ، فهم يستخلصون الزيت من ثمار الزيتون ، ويقومون بتسويقه في مختلف مدن فلسطين ، كما أنهم يستخدمون الزيت في صناعة الصابون لسد احتياجاتهم فقط . كذلك قمت بزيارة قرية دورا Dora <sup>(٢٧٠)</sup> الواقعة في حدود الخليل ، وتشتمل أراضي هذه القرية على العديد من الخرب التي تماثل الجاستينات اللاتينية ، وقد وجدت أن سكان هذه الخرب يعتمدون على زراعة الكروم ويصنعون منه الدبس ، كما أنهم يجففون عناقيد العنب ، وبعد تجفيفها يطلقون عليها الزبيب . كذلك يشتهر سكان خرب قرية دورا بتربية النحل ، ويستخرجون منه العسل . ولعل هذه الأمثلة توضح أن بعض الأراضي التي كانت بوراً وغير مأهولة بالسكان ، أصبحت بمرور الزمن أراضي صالحة للزراعة ، ويقوم بها عدد من السكان من أجل توفير مصدر الرزق لعائلاتهم ومجتمعهم .

ومن الإقطاعات العينية التي حازتها الكنائس والأديرة اللاتينية في الأراضي المقدسة ، الكثير من قطع الأراضي في مختلف أرجاء المملكة ، لكن الوثائق لم تشر إلى نوعية هذه الأراضي ، ومن المرجح أنها كانت صالحة للزراعة . لأنها لم تكن جاستينات أو خرب . وبالإضافة إلى ذلك حصلت على حدائق وبساتين وكروم وحقول زيتون ، إلى جانب ما امتلكته من عقارات مثل



المنازل والأفران والطواحين، والحمامات، والآبار، والمعاصر، والمحارث، وعربات نقل المحاصيل، ومخازن الغلال، والكنائس والأديرة والحصون. وهكذا اختلفت أنواع الإقطاعات الكنسية وماهيتها. فقد حصلت الكنائس والأديرة على إقطاعات عينية مختلفة في نوعها وحجمها، فعلى سبيل المثال امتلكت بعض الكنائس مدناً كاملة بما يحيط بها من أراض، بينما امتلكت بعض الكنائس مجموعة من القرى وأنصاف القرى بالإضافة إلى ما حازته من الجاستينات *Gastinae* والكاريوكات *Carrucates* والعقارات. أما الإقطاعات النقدية التي منحت للكنائس والأديرة فهي عبارة عن دخل سنوي ثابت يتم تحديده مع الملك أو السيد الإقطاعي أو النبيل. وبطبيعة الحال كان رئيس الكنيسة أو الدير هو المشرف الأول على الإقطاعات والمنح المقدمة للكنيسة التي يتولى رئاستها.



أسماء القرى التي منحها الأمير جودفري البويوني إلى كنيسة القيامة عام ١٠٩٩-١١٠٠ م / ٤٩٢-٤٩٣ هـ  
CF.Genevieve, B.B. ,Acte No.26,PP.86-88,de Roziere,Doc, No.29,PP.54-55 Pringle,D.,P.148

وتجدر الإشارة إلى أن ما حازته الكنائس والأديرة من إقطاعات ومنح في الأراضي المقدسة، كانت قليلة في السنوات الأولى للاستقرار الصليبي في هذه البلاد، ويعود ذلك لضيق مساحة الأراضي التي استولى عليها الصليبيون وقتذاك، وعلاوة على ذلك لم تكن حدود مملكة بيت المقدس الصليبية قد تشكلت بعد. ولكن ما حازته الكنائس والأديرة من إقطاعات ومنح مقدمة من الملوك والأمراء، كانت تزداد تدريجياً على ضوء التوسع الصليبي في بلاد الشام وفلسطين على حساب القوى الإسلامية المجاورة. وأولى المنح التي حصلت عليها الكنيسة اللاتينية في الأراضي المقدسة، كانت في أسقفية اللد والرملة في يونيو عام ١٠٩٩م/ رجب عام ٤٩٢هـ، حيث تم منح المدينتين وما يحيط بهما من أراضي إلى روبرت روين الذي عين أسقفاً على اللد والرملة وقتذاك<sup>(٢٧١)</sup>. وبعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس بفترة وجيزة قام الأمير جودفري البويوني بمنح كنيسة القيامة إحدى وعشرين قرية في حدود بيت المقدس وهي<sup>(٢٧٢)</sup>: عين قينيا ((Ain Kanieh Ain quine<sup>(٢٧٣)</sup>، وكفر عقب (Kafer Akab) Kafer Acahab<sup>(٢٧٤)</sup>، وبوبيل Bubil<sup>(٢٧٥)</sup>، وبيت لقيا Beit ligge<sup>(٢٧٦)</sup>، والرام (al- Ram) Aram<sup>(٢٧٧)</sup>، البيرة (Birra) al- Birah<sup>(٢٧٨)</sup>، كفر الديل (Kafer edil<sup>(٢٧٩)</sup>، عين سينيا (Ain Siniyah) Aine Siens<sup>(٢٨٠)</sup>، قلندية (Kalendie) Qalandiyah<sup>(٢٨١)</sup>، بيت سوريك (Beth Beth Surik) Suric<sup>(٢٨٢)</sup>، هيلمم Hemule<sup>(٢٨٣)</sup>، عطارة بيريت Athara beret<sup>(٢٨٤)</sup>، بيتونيا (Bayt Uniya) Beituimen<sup>(٢٨٥)</sup>، بيت فوتير (Beitfuteie) Arnutie<sup>(٢٨٦)</sup>، عرنوطية (Arnutiyah) Arnutie<sup>(٢٨٧)</sup>، صبحة (Subiah) Subahiet<sup>(٢٨٨)</sup>، هوبين Hubin<sup>(٢٨٩)</sup>، بارميتا Barimeta<sup>(٢٩٠)</sup>، بيت علام (Bayt Alam) Beite Lamus<sup>(٢٩١)</sup>، زينو Zenu<sup>(٢٩٢)</sup>، عورينت Urniet<sup>(٢٩٣)</sup>. وهذه القرى جميعها تقع في حدود بيت المقدس، وقد منحها الأمير جودفري البويوني لكنيسة القيامة، إلى جانب جميع مخازن بيت المقدس عدا ثلاثة مخازن اثنان منها للضيافة والثالث للدير البندكي المعروف باسم دير القديسة مريم لللاتين St. Maria Latina<sup>(٢٩٤)</sup> بالقرب من القديس لعازر St. Lazar<sup>(٢٩٥)</sup>. وتشير الوثائق إلى أن هذه المنحة قدمت لكنيسة القيامة، أثناء حكم البطريك ارنولف مالكورون لبطريركية بيت المقدس اللاتينية، الذي استمر نحو أربعة شهور<sup>(٢٩٦)</sup>. وكان ارنولف قد تولى منصب بطريك بيت المقدس عام ١٠٩٩م/ ٤٩٢هـ، ولم يلبث أن عزل من منصبه في العام نفسه. يتضح من خلال دراستنا للمنحة سالفة الذكر أن الأمير جودفري أولى اهتمامه وعنايته بالكنائس وأغدق عليها الإقطاعات والمنح الكثيرة، إذ قدم



لكنييسة القيامة إحدى وعشرين قرية في حدود بيت المقدس ، على الرغم أن مساحة الأراضي التي استولى عليها الصليبيون وقتذاك ، كانت لا تزال ضيقة . كذلك أشارت المنحة إلى امتلاك كنيسة القيامة لمعظم المخازن العامة في بيت المقدس ، مما يفيد أن رجال الدين في كنيسة القيامة كانوا يتولون عملية إنتاج الخبز وتسويقه في أسواق بيت المقدس . ومن المحتمل أنهم كانوا يقومون بتأجير هذه المخازن للمسيحيين الشرقيين أو الغربيين مقابل عائد سنوي ثابت نظير استخدامهم لهذه المخازن . كذلك تشير المنحة إلى أن الملك الصليبي احتفظ بمخبزين من أجل خدمة أفراد الأسرة الملكية ، وكبار الزوار الذين كانوا يحلون ضيوفاً على الملك ، مما يفيد أن جميع أنواع الطعام الذي كان يتناوله الأمراء من أفراد الأسرة الملكية وضيوف الملك ، كان يطهى بالمخازن المخصصة للاستخدام الملكي ، وربما كانت هذه المخازن تخضع لإشراف السلطة الملكية . وليس من شك في أن الملك الصليبي كان يحتفظ ببعض الخبازين والطباخين وصانعي الحلوى من أجل خدمة الأسرة الملكية وضيوفها . كذلك أشارت المنحة إلى أن الأمير جودفري خصص مخبزاً لدير القديسة مريم للاتين ، لتغطية احتياجات رجال الدين بالدير من الخبز ومختلف الأطعمة . ومن المرجح أن هذا المخبز كان يساعد جميع الحجاج الغربيين ويقدم لهم احتياجاتهم من الخبز والأطعمة ، خاصة وأن هؤلاء الحجاج كانوا يفدون إلى الدير وهم في حالة يرثى لها من التعب والإرهاق ، إضافة إلى أن معظم هؤلاء كانوا يفقدون نقودهم أثناء السفر ، ويصلون إلى الدير منهكين من مشقة السفر ، ولذلك كان رجال الدين اللاتين يقدمون المساعدة لهؤلاء الحجاج ، كما كانت تأتيهم المساعدات عن طريق المتصدقين . ومن المرجح أيضاً أن المخبز كان يقدم الخبز والأطعمة للمستشفى الملحقة بدير القديسة مريم للاتين St. Maria Latina (٢٩٧) .

وليس من شك في أن نزعة الأمير جودفري البويوني الدينية وتقواه وسماحة نفسه ، جعلته يبدي اهتماماً كبيراً بالكنائس ، حيث أغدق عليها المنح والهبات الكثيرة ، كما وجه عنايته لرجال الدين اللاتين ، ووظفهم في كنيسة القيامة وفي معبد السيد Domini (٢٩٨) ومنحهم الكثير من الهبات والإحسانات التي عرفت باسم رواتب رجال الدين ، كما أعطاهم منازل ممتازة في مناطق مجاورة لهذه الكنائس (٢٩٩) . ويتضح من حجم المنح والإقطاعات التي قدمها الأمير جودفري البويوني لكنائس بيت المقدس ، أنه كان رجلاً سمحاً يتمتع بنفس تقية (٣٠٠) ، فضلاً عن سخائه وكرمه مع رجال الدين اللاتين .

وقد استغل بعض رجال الدين سماحة قلب الأمير جودفري وتقواه ، وأخذوا يطلبون منه إعطاءهم المزيد من المنح والإقطاعات ، وكانوا يصرون على تحقيق كل ما يريدونه من مطالب . فالبطريك دايبرت طلب من الأمير جودفري أن يتنازل له



عن مدينة بيت المقدس وقلعتها، وما يحيط بها من أراضٍ<sup>(٣٠١)</sup>، فضلاً عن مدينة يافا وما يحيط بها من أراضٍ وبطبيعة الحال انزعج الأمير جودفري من مطالب البطريك<sup>(٣٠٢)</sup>، الأمر الذي دفع أحد المؤرخين الحديثين إلى وصف رجال الدين اللاتين بالجشع، إلى درجة كبيرة لا تطاق<sup>(٣٠٣)</sup>. خاصة أن البطريك دايبرت كان يخطط من أجل السيطرة على مقاليد الأمور في بيت المقدس، ولذلك نراه يتعجل القضاء على كل أثر للسلطة العلمانية<sup>(٣٠٤)</sup>، وذلك عن طريق مطالبه التي كان يهدف منها الحد من سلطة رجال الدنيا، على الرغم أن الأمير جودفري البويوني، وهو الذي مهد لدايبرت أمر الفوز بالبطريكية<sup>(٣٠٥)</sup>. ويتضح مما سبق أن بعض رجال الدين اللاتين كانوا يفضلون مصلحتهم على مصلحة التاج، ويتطلعون إلى إقامة دولة داخل الدولة<sup>(٣٠٦)</sup>.

وبسبب إصرار البطريك دايبرت على تحقيق مطالبه، وافق الأمير جودفري على التنازل عن ربع مدينة يافا لكنيسة القيامة<sup>(٣٠٧)</sup>، بحضور حشد كبير من الناس<sup>(٣٠٨)</sup>، وقد تم ذلك في عيد الشموع Candlemas الموافق الثاني من فبراير عام ١١٠٠م / الخميس الثامن عشر من ربيع الأول عام ٤٩٣هـ<sup>(٣٠٩)</sup>. وبعد ذلك بفترة وجيزة لا تتعدى شهرين قام جودفري يوم عيد الفصح الموافق أول إبريل (نيسان) عام ١١٠٠م / السبت الثامن عشر من جمادي الأولى عام ٤٩٣هـ، بمنح بيت المقدس وقلعتها وما يحيط بهما للبطريك دايبرت، غير أن جودفري وضع شرطاً مفاده الاستمرار بالتمتع بعائدات المدينة المقدسة وما يحيط بها من أراضٍ، حتى يتم الاستيلاء على مدينة أو مدينتين من المسلمين<sup>(٣١٠)</sup>. وقد انفرد المؤرخ الصليبي وليم الصوري بذكر هذه الرواية، بينما لم يشر المؤرخون الصليبيون المعاصرون لهذه الفترة أمثال فوشيه الشارترى وريموند داجيل وروبرت الراهب وراؤول كاين والبرت دكس إلى أن الأمير جودفري قدم أية تنازلات بخصوص مدينة بيت المقدس وقلعتها وما يحيط بهما من أرض.

ويبدو أن دوافع كثيرة أسهمت في جعل الأمير جودفري يوافق على التنازل عن بيت المقدس لعل أهمها: ما اشتهر به من ضعف أمام طلبات الكنيسة ورجالها<sup>(٣١١)</sup>، وحاجته لمساعدة الأسطول البيزي<sup>(٣١٢)</sup>. كذلك كان على الأمير جودفري أن يفي بالتزاماته التي قدمها للبيازنة، والمتعلقة بإعادة بناء الكثير من منازل بيت المقدس، وذلك نظير المساعدات التي قدموها له، ولعل هذه المساعدات من البواعث التي جعلت الأمير جودفري ينظر إلى طلبات البطريك دايبرت على أنها عادلة<sup>(٣١٣)</sup>. كما أن ما اتصف به دايبرت البطريك من القوة، وعدم وجود أمير علماني قوي يحد من نفوذه ويوقفه عند حده<sup>(٣١٤)</sup>، من الدوافع التي دفعت الأمير جودفري إلى التنازل عن بيت



المقدس وما يحيط بها. ومن المرجح أن جودفري تعرض لضغط من قبل بوهيمند النورماندي سيد أنطاكية وبلدوين سيد الرها، من أجل التنازل عن بيت المقدس، وملحقاتها للبطريك دايبرت، خاصة وأنهما حضرا إلى بيت المقدس، واحتفلا بعيد الفصح مع الأمير جودفري في المدينة المقدسة<sup>(٣١٥)</sup>. وبما أن التنازل عن بيت المقدس وملحقاتها قد تم يوم عيد الفصح، فلا بد وأنهما لعبا دوراً هاماً في تشجيع الأمير جودفري على التنازل عن بيت المقدس. على الرغم من كل ذلك فإننا نرجح أن تكون موافقة الأمير جودفري على التنازل عن مدينة بيت المقدس، مجرد مناورة سياسية من أجل تهدئة الأمور بينه وبين البطريك دايبرت، لأنه لا يعقل أن يتنازل الأمير جودفري عن مدينة تعتبر من أهم المدن في الأراضي المقدسة.

وهكذا يبدو واضحاً أن النزعات الانفصالية، وحب السيطرة كانت من السمات المميزة عند الصليبيين، وخاصة رجال الدين الذين اتصفوا بالجنس وحب امتلاك الكثير من الأراضي والإقطاعات على حساب السلطة العلمانية، حتى لو أدى ذلك إلى التصادم مع القائمين عليها. وهذا يكشف عن رغبة رجال الدين اللاتين الرامية إلى إقامة سلطة دينية واسعة النفوذ في الأراضي المقدسة. والملفت للنظر أيضاً أن رجال الدين استغلوا ما اشتهر به الأمير جودفري من ضعف أمام الكنيسة ورجالها وحازوا الكثير من الأملاك والإقطاعات في الأراضي المقدسة<sup>(٣١٦)</sup>. وفي هذا الشأن يقول أحد المؤرخين الصليبيين أن جودفري كان رجلاً تقياً مملوءاً بالعناية الدينية<sup>(٣١٧)</sup>، فقد وظف رجال الدين بكنيسة القيامة، ومنحهم الهبات الوافرة، وفي الوقت نفسه أعطاهم المنازل الممتازة في منطقة مجاورة لهذه الكنيسة<sup>(٣١٨)</sup> وبطبيعة الحال استغل رجال الدين النزعة الدينية عند الأمير جودفري، ويتضح هذا الأمر عندما طالبه البطريك دايبرت بالحصول على بيت المقدس ويافا وملحقاتها، على الرغم من أن مساحة الأراضي التي استولى عليها الصليبيون كانت لا تزال ضيقة. ويبدو أن الحاكم الصليبي كان مضطراً للخضوع لمطالب رجال الدين، التي تجعله خادماً لمصالحهم<sup>(٣١٩)</sup>.

ويتضح من خلال ما قدمه الأمير جودفري من منح وإقطاعات للكنيسة اللاتينية، أنه كان يسعى دائماً إلى إرضاء القائمين عليها وكسب ودهم عن طريق إغداق المنح والهبات على الكنائس والأديرة<sup>(٣٢٠)</sup>. كذلك بدا واضحاً أن جودفري قدم المنح والهبات على الكنائس والأديرة. كذلك بدا واضحاً أن الأمير جودفري قدم الكثير من المنح والإقطاعات دون حدوث أي تأثير عليه من قبل أي طرف آخر، بينما تعرض لضغط وإلحاح من قبل البطريك دايبرت عندما تنازل عن ربع مدينة يافا لكنيسة القيامة. أما خليفته الملك بلدوين الأول



فقد حرص على بسط سيطرته على الكنيسة ، وعندما تأكد من مساندتها له منحها الكثير من الأراضي والبلاد التي استولى عليها من المسلمين<sup>(٣٢١)</sup> . وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يقدم للكنائس والأديرة أية منح وإقطاعات في السنوات الأولى من حكمه ، إذ لم نجد في الوثائق أو الكتب التاريخية المعاصرة ما يفيد بغير ذلك ، ربما يرجع ذلك إلى عدة أسباب منها : انشغال الملك بمحاربة المسلمين والتوسع على حسابهم ، فضلاً عن حاجته المستمرة للمال من أجل دفع رواتب الجند والفرسان الذين هددوه بالتخلي عنه إذا لم يدفع لهم رواتبهم<sup>(٣٢٢)</sup> ، وعلاوة على ذلك فإن الصراع بين الملك والبطريك دأببرت كان له تأثير كبير في عدم لجوء الملك إلى إغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة في السنوات الأولى من حكمه ، خاصة بعد أن وجد الملك الكثير من الأموال وسبائك الفضة التي كان يخفيها البطريك في خزائنه<sup>(٣٢٣)</sup> . هذا بالإضافة إلى أن مساحة الأراضي التي استولى عليها الصليبيون وقتذاك كانت لا تزال ضيقة ، إذا ما قورنت بما وصلت إليه مساحة المملكة في نهاية عهد الملك بلدوين الأول عام ١١١٨ م / ٥١٢ هـ .

وأولى المنح التي قدمها الملك بلدوين الأول للمؤسسات الكنسية اللاتينية في المملكة كانت في عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ ، أي بعد ثماني سنوات من ارتقائه لعرش المملكة ، إذ قام في هذه العام بمنح دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قرية عسكر<sup>(٣٢٤)</sup> Ascher الواقعة في حدود إقطاعية نابلس ، بكافة زمامها الممتد من الوادي المجاور لخربة الطيرة La gastine de Thera<sup>(٣٢٥)</sup> ، حتى الوادي الكبير المؤدي إلى قرية طوباس Thopas<sup>(٣٢٦)</sup> . وتشتمل المنطقة التي خضعت للدير أيضاً خربة الفندق La Petite gastine de Funduq وكذلك الأرض المسماة دور Dorsum مقابل قرية بيت فوروم Beth Phorum<sup>(٣٢٧)</sup> . وقد أعطيت هذه المنحة بصفة دائمة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، بحضور عدد كبير من رجال الدين والأمراء في مملكة بيت المقدس الصليبية ، من بينهم بلدوين رئيس أساقفة قيسارية وروبرت أسقف اللد والرملة ويوستاش « جاريه وغيرهم<sup>(٣٢٨)</sup> . ويبدو أن تاريخ حصول دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على قرية عسكر وزمامها ، كان قد تم قبل التاريخ المدون في الوثيقة ، لأن بلدوين رئيس أساقفة قيسارية - أحد الشهود على قيام الملك بلدوين الأول بإبرام عقد المنحة للدير المذكور - كان قد توفي عام ١١٠٧ م / ٥٠١ هـ<sup>(٣٢٩)</sup> ، مما يفيد أن تاريخ حصول الدير على المنحة كان قبل عام ١١٠٨ م / ٥٠٢ هـ ، وهذا يرجح أن الوثيقة دونت بعد حصول الدير على المنحة بما يقارب العام .

وتجدر الإشارة إلى أن إقطاعية نابلس جميعها كانت من أملاك بلدوين



الأول في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠١-١١٠٨م / ٤٩٤-٥٠٢هـ، لكنه تنازل عن جزء من الإقطاعية لأسرة ميللي Milly عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ<sup>(٣٣٠)</sup>، مما يؤكد أن المنحة السابقة المقدمة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، كانت قبل حصول أسرة ميللي على جزء من الإقطاعية. وعلاوة على ذلك فإن إحدى الوثائق المورخة عام ١١٣٠م / ٥٢٥هـ تشير إلى أن الكونت جارنيريوس Guarnerius منح قرية عسكر لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، بناء على قرار الملك بلدوين الأول<sup>(٣٣١)</sup>، لكن هذه الوثيقة لم تحدد تاريخ المنحة، ولكنها أشارت إلى أن المنحة قدمت بناء على قرار الملك بلدوين الأول، وأكدها الملك بلدوين الثاني في السجلات الملكية عام ١١٣٠م / ٥٢٥هـ<sup>(٣٣٢)</sup>، ولعل هذه الأمور مجتمعة تشير إلى أن هذه المنحة قدمت لدير القديسة مريم قبل عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ، أي قبل منح جزء من إقطاعية نابلس لأسرة ميللي. أما فيما يتعلق بذكر جارنيريوس وقيامه بمنح قرية عسكر للدير سالف الذكر، فيبدو أنه كان من أتباع الملك بلدوين الأول المقيمين في نابلس، والذي تولى تسليم قرية عسكر وتوابعها لرجال الدين التابعين لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بناء على قرار الملك بلدوين الأول.

وقد وجه الملك بلدوين الأول اهتمامه وعنايته لأسقفية بيت لحم، ففي يوم الأربعاء الموافق أول سبتمبر عام ١١٠٩م / الثالث من صفر عام ٥٠٣هـ منحها خمس قرى هي: قرية البيدر Bedar<sup>(٣٣٣)</sup>، الواقعة مقابل مقاطعة عكا وقرية سيلون Sylon<sup>(٣٣٤)</sup> في حدود إقطاعية نابلس، وقرية بيت بزان Beth Bezan<sup>(٣٣٥)</sup> الواقعة في حدود بيت لحم، وقريتين في حدود عسقلان هما كوكبة (Caicapha)<sup>(٣٣٦)</sup> Kaukabah والسوافير الشرقية ((Zeophir es Suafir esh Sherkyeh<sup>(٣٣٧)</sup> وما يحيط بهما من أراض<sup>(٣٣٨)</sup>. كذلك كان الملك بلدوين الأول حريصاً على استمرارية المنح والإقطاعات المقدمة للكنائس والأديرة، وعدم التعرض لها من قبل أي طرف، بمعنى المحافظة على ممتلكات المؤسسات الكنسية اللاتينية من عبث العابثين، حتى يتسنى لرجال الدين اللاتين الاستفادة من الإقطاعات والمنح التي حصلوا عليها بحرية تامة. ولذلك نرى الملك بلدوين الأول يؤكد للبطريرك ارنولف مالكورون على استمرارية المنحة التي سبق أن قدمها الأمير جودفري البويوني لكنيسة القيامة، والتي بلغت إحدى وعشرين قرية في حدود بيت المقدس إلى جانب المخابز الواقعة في حدود نفس المدينة، وباستثناء ثلاثة مخابز فقط. وقد تم إثبات هذه المنحة في سجلات الملك بلدوين الأول<sup>(٣٣٩)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فقد استمر الملك بلدوين الأول في إغداق المنح



والإقطاعات على الكنائس والأديرة الواقعة في حدود مملكة بيت المقدس الصليبية، ففي عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ قام بمنح قرية جيراز (جيراس) Jerraz<sup>(٣٤٠)</sup> الواقعة في حدود الغور el- Gor<sup>(٣٤١)</sup> إلى دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط. وقد تمت هذه المنحة بموافقة جوسلين أمير الجليل<sup>(٣٤٢)</sup>، وأثبتها الملك بلدوين الأول في السجلات الملكية<sup>(٣٤٣)</sup>. وفي نفس العام أكد لرجال الدين في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط وبواسطة هيو رئيس الدير على جميع المنح والإقطاعات التي حازوها في الوادي (يهوشافاط) وخارجة، وهي عبارة عن منازل وحدائق في حدود بيت المقدس<sup>(٣٤٤)</sup>، فضلاً عن مخبز وطاحونة<sup>(٣٤٥)</sup>، وجزئين من قرية بيت حسان Bethhasan وجميع هذه المنحة تقع في حدود المدينة المقدسة<sup>(٣٤٦)</sup>. كما حصل الدير على منحة تتمثل في ينبوع يقع في أراضي قرية سيلون الواقعة في حدود إقطاعية نابلس<sup>(٣٤٧)</sup>. وذكرت إحدى وثائق دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، أن الدير حصل على قناة منحة من الملك بلدوين الأول<sup>(٣٤٨)</sup>، لكن الوثيقة لم تحدد موقع القناة، ويبدو أنها كانت تقع في أراضي قرية سيلون، وقام رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بشقها لري الأراضي والكروم والحدائق التي حصلوا عليها في القرية<sup>(٣٤٩)</sup>، ومن المرجح أن القناة كانت تستمد مياهها من ينبوع الذي حصل عليه الدير في قرية سيلون، كذلك قام الملك بلدوين الأول بمنح دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط منزلاً في عكا وقرية كسيرا Cassera<sup>(٣٥٠)</sup> الواقعة في المرتفعات داخل حدود عكا، وبستاناً ومبنى بجوار صيدا كان مسجداً، وفرناً وطاحونة وبستان وقطعة من الأرض مساحتها كاريوكتين ومنازل في بيروت<sup>(٣٥١)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن الوثيقة التي أشارت إلى هذه المنح مورخة عام ١١٣٠م / ٥٢٥هـ، وفيها يؤكد الملك بلدوين الثاني لإخوة دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بوساطة بلدوين رئيس الدير على جميع المنح التي حصلوا عليها زمن أسلافه، وقد تم توثيق هذه المنح في السجلات الملكية، وبحضور حشد كبير من كبار الأمراء ورجال الدين في المملكة<sup>(٣٥٢)</sup>. ولعل لجوء ملوك بيت المقدس إلى التأكيد على استمرارية المنح والإقطاعات والامتيازات التي سبق أن منحها أسلافهم للكنائس والأديرة، يعود إلى احترامهم وتقديرهم لأسلافهم، إلى جانب حرصهم على المحافظة على حقوق وأملاك هذه المؤسسات، ولمنع أية منازعات قد تنشأ بينها بخصوص بعض الأراضي المجاورة. وحتى يكون لدى الأمراء وأفراد الأسرة الملكية معرفة بالممتلكات التي حازتها المؤسسات الكنسية في المملكة.

وفي عهد الملك بلدوين الأول حصلت كنيسة القيامة على مدينة أريحا Jericho وما يحيط بها من أراض<sup>(٣٥٣)</sup>، لكي تضاف إلى الأملاك الكثيرة



التي حازتها الكنيسة في السنوات الأولى للحكم الصليبي . ولم تحدد المصادر المتاحة لدينا تاريخ حصول كنيسة القيامة على مدينة أريحا ، لكن وليم الصوري ذكر أن البطريرك ارنولف مالكورون قدم المدينة بكافة زمامها لتكون مهراً لابنة أخته إمّا Emma ، عند زواجها من يوستاش جارنيه صاحب إقطاعية قيسارية وبارونية صيدا . وكانت مدينة أريحا وتوابعها تدر على كنيسة القيامة دخلاً إجمالياً يقدر بخمسة آلاف قطعة ذهبية<sup>(٣٥٤)</sup> ، لكن قيام البطريرك ارنولف بمنح المدينة وملحقاتها لابنة أخته إمّا ، حرم كنيسة القيامة من دخل كبير كان يعود عليها بالفائدة ، كما أنه تصرف بأملأك الكنيسة ومنحها لأقاربه<sup>(٣٥٥)</sup> . ويبدو أن رجال الدين في كنيسة القيامة وغيرهم ، كانوا معارضين للتصرف الذي قام به البطريرك ارنولف ، خاصة وأن هذا التصرف يتعلق بأملأك كنيسة القيامة ، أكبر الكنائس في مملكة بيت المقدس الصليبية . وقد قام بعض رجال الدين بتقديم الشكاوي ضد البطريرك ارنولف إلى البابا باسكال الثاني ، بخصوص أمور كثيرة من بينها التصرف بأملأك كنيسة القيامة ، من خلال منحه مدينة أريحا وتوابعها لابنة أخته . وفي الاجتماع الذي عقد في بيت المقدس عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ ، لبحث الشكاوي المقدمة ضد البطريرك ارنولف ، أثبتت قضية مدينة أريحا التي منحها البطريرك لأحد أفراد أسرته على الرغم أنها كانت من أملأك كنيسة القيامة<sup>(٣٥٦)</sup> .

يتضح مما سبق أن مدينة أريحا وملحقاتها كانت من أملأك كنيسة القيامة قبل عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ ، لكننا لم نستطع تحديد تاريخ حصول الكنيسة على المدينة ، وإن كنا نرجح أن تاريخ حصول الكنيسة على المدينة كان في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠٢ - ١١١٢ م / ٤٩٥ - ٥٠٥ هـ ، بناء على أن عام ١١٠٢ م / ٤٩٥ هـ ، هي نفس العام التي انتهى فيها الصراع بين البطريرك دايمبرت والملك بلدوين الأول ، حيث تم عزل دايمبرت عن كرسيه ثم رحيله إلى أنطاكية<sup>(٣٥٧)</sup> . وبطبيعة الحال فلا بد أن يتفرغ الملك لشؤون دولته ، ويغدق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة ، وقد اتضح هذا من خلال قيامه بإنشاء أسقفية بيت لحم ، وتقديمه الكثير من المنح لدير القديسة مريم في وادي يهو شافاط . أما فيما يتعلق بعام ١١١٢ م / ٥٠٥ هـ فهي العام التي توفي فيها البطريرك جيلين اوف سابران ، وتولى مكانه البطريرك ارنولف مالكورون<sup>(٣٥٨)</sup> . ولذلك فمن المرجح أن يكون تاريخ حصول إمّا ابنة أخت البطريرك ارنولف على مدينة أريحا وتوابعها قد تم عام ١١١٢ م / ٥٠٥ هـ .

كذلك يبدو واضحاً أن الكنائس والأديرة كانت تحقق دخلاً كبيراً من خلال عوائد المنح والإقطاعات التي حازتها من ملوك بيت المقدس ، فعلى سبيل المثال كانت مدينة أريحا وملحقاتها تحقق لكنيسة القيامة دخلاً كبيراً يقدر



بحوالي خمسة آلاف قطعة ذهبية، كانت تدخل خزانة الكنيسة، ومن خلال هذا المثال الواضح نستطيع القول إن كنيسة القيامة حققت ثروات هائلة من خلال أملاكها الكثيرة في مملكة بيت المقدس الصليبية كذلك لاحظنا أن كنيسة القيامة كانت تمتلك مدينة بيت لحم، وعندما حولها الملك بلدوين الأول إلى أسقفية، قدم لكنيسة القيامة أربع قرى، وألف مكيال من القمح، كتعويض لها عن بيت لحم<sup>(٣٥٩)</sup>.

وقد استمرت المنح والإقطاعات تنهال على الكنائس والأديرة من قبل ملوك بيت المقدس، الذين أولوا اهتمامهم وعنايتهم بالمؤسسات الكنسية اللاتينية في المملكة، كما كانوا يؤكدون على استمرارية المنح والإقطاعات التي قدمها الملوك السابقون. وكان الملك بلدوين الثاني كريماً في تعامله مع رجال الدين اللاتين، ويتضح هذا من خلال الإقطاعات والمنح التي قدمها للكنائس والأديرة، فضلاً عن توكيده على ما قدمه الأمير جودفري البويوني والملك بلدوين الأول من منح وإقطاعات للمؤسسات الدينية في المملكة. ففي الحادي والثلاثين من يناير عام ١١٢٠م/ السابع والعشرين من شوال عام ٥١٣هـ، أكد لبلدوين رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط المنتخب على استمرار حيازة الدير للمنح والامتيازات التي سبق أن حصل عليها الدير زمن الملك بلدوين الأول. وقد تم توقيع الوثيقة التي تعضد هذا الأمر من قبل عدد من الأمراء ورجال الدين في المملكة<sup>(٣٦٠)</sup>.

وكان الملك بلدوين الثاني قد قام بمنح قرية بيت آري Betheri<sup>(٣٦١)</sup> الواقعة في حدود إقطاعية نابلس لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط<sup>(٣٦٢)</sup>، كما منح الدير منزلاً في مدينة نابلس<sup>(٣٦٣)</sup>، وأعلن أن هذه المنحة مقدمة منه بصفة دائمة وأن أي إنسان يتعرض لهذه المنحة بالسوء سيعاقب من قبل الملك وسيدفع غرامة قدرها ألف بزنت. وقد طلب الملك أن تسجل هذه المنحة بالسجلات الملكية، لكي يضمن استمرار حيازة الدير لها، والتمتع بما تدره من عائدات تعود بالخير على الدير<sup>(٣٦٤)</sup>، ولمنع أية اعتداءات على أملاك الدير في القرية، مما يشير إلى اهتمام الملك بالكنائس والأديرة والحرص على حمايتها من أي عبث، لكي تقوم باستغلال أملاكها بحرية تامة ودون التعرض لأية مضايقات، وتجدر الإشارة إلى أن الملك بلدوين الثاني أبرم عقد المنحة السابقة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط عام ١١٢١م/ ٥١٤هـ، وشاركه في إبرام العقد البطريك جرموند، وبحضور مجموعة من رجال الدين والأمراء في المملكة<sup>(٣٦٥)</sup>. غير أن الوثيقة التي أشارت إلى ذلك مؤرخة عام ١١٢٣م/ ٥١٦هـ، وفيها أكد البطريك جرموند لرئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على المنح والامتيازات التي قدمت من ملوك بيت المقدس للدير المذكور<sup>(٣٦٦)</sup>. وليس



غريباً أن يقوم البطريرك بالتأكيد على هذه المنحة وغيرها ، لأن الملك بلدوين الثاني لم يكن موجوداً في المملكة ، فقد وقع أسيراً بيد ملك بن بهران صاحب خرتبرت<sup>(٣٦٧)</sup> في الثامن عشر من إبريل عام ١١٢٣م / التاسع عشر من صفر عام ٥١٧هـ<sup>(٣٦٨)</sup> . وبعد ذلك التاريخ بحوالي سبع سنوات قام الملك بلدوين الثاني بالتأكيد على هذه المنحة<sup>(٣٦٩)</sup> .

وبعد الاستيلاء على مدينة صور بحوالي عام ، عقد الملك بلدوين الثاني اجتماعاً في القصر الملكي في مدينة صور في الفترة الواقعة بين شهري مارس - مايو عام ١١٢٥م / صفر - ربيع الآخر عام ٥١٩هـ ، وقد تقرر في هذا الاجتماع منح كنيسة القيامة ، القرية المسماة ديرينا Derina الواقعة في حدود مقاطعة صور ، وبعد ذلك منح الكنيسة بستاناً يقع في مواجهة ساحل البحر ، والمتاخم لمجموعة القرى المسماة بالأرض العظمى ، والتي يمكن زراعة مساحة كبيرة منها من عام لآخر<sup>(٣٧٠)</sup> . ومن المرجح أن هذه المنحة كانت أول ما قدمه الملك بلدوين الثاني من منح في مقاطعة صور ، لأن مدينة صور بقيت بيد المسلمين حتى عام ١١٢٤م / ٥١٧هـ ، علاوة على ذلك كان الصراع لا يزال مستمر بين بطريركية بيت المقدس و بطريركية أنطاكية حول المركز الأسقفي في صور ، ومن الطبيعي أن يتأخر الملك بلدوين الثاني في منح الإقطاعات للكنائس والأديرة في مقاطعة صور . وعلى الرغم من أن الصراع لم يكن قد حسم حتى ذلك الوقت ، إلا أن الملك قام بتقديم المنح لكنيسة القيامة في مقاطعة صور .

عقد الملك بلدوين الثاني اجتماعاً في القصر الملكي في مدينة عكا في شهر مارس عام ١١٢٨م / ربيع الأول عام ٥٢٢هـ ، حضره حشد كبير من كبار الأمراء ورجال الدين في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وقد قام الملك بلدوين الثاني بمنح قرية كفر مالك (Kafer Malik) Kafer Melich الواقعة في حدود إقطاعية نابلس مع كافة الأراضي والضياع المحيطة بها « لكنيسة القيامة المقدسة ولرئيسها وليم William ولرجال الدين الآخرين بها الذين يعملون في خدمة المسيح (عليه السلام) في الحاضر والمستقبل » ، على أن تكون قرية كفر مالك حقاً مستمراً لكنيسة القيامة ، دون أن يكون هناك أي اعتراض من قبل الورثة أو من أي إنسان آخر . وخلال الاجتماع طلب رجال الدين في كنيسة القيامة من الملك بلدوين مبلغ مائتي بيزنط كانوا يحصلون عليها من عائدات نابلس ، وقد وافق الملك على طلبهم ومنحهم المبلغ الذي طالبوا به من عائدات نابلس . وقد أوصي الملك بعدم التعرض لهذه المنحة من قبل أي إنسان ، وإذا حاول أي شخص أن يهاجم شرعية هذه المنحة بأية وسيلة ، فإنه يكون بعيداً عن رحمة الرب ، وسيخضع لعقاب الملك ، ما لم يعد إلى رشده . وطلب الملك من مستشاره باجان Paganus تدوين هذه المنحة وإثباتها بالسجلات الملكية<sup>(٣٧١)</sup> .



ومما يسترعي الانتباه في المنحة السابقة ، أنه جرى تهجير سكان قرية كفر مالك ونقلهم إلى قرية بيت فوريك الواقعة شرقي مدينة نابلس وعلى بعد نحو ستة كيلومترات منها<sup>(٣٧٢)</sup> . ولا بد أن سكان قرية كفر مالك كانوا من السكان المحليين ، لذا جرى تهجيرهم دون النظر إلى رغبتهم أو حقهم في البقاء في قريتهم . وهذا ما يسعى إليه المستعمرون في كل حقبة من حقبة التاريخ ، حيث كانوا يعملون كل ما في وسعهم من أجل تفريغ البلاد من أصحابها ، سواء كان ذلك بارتكاب المجازر والمذابح ضد السكان ، كما حدث عندما استولى الصليبيون على بيت المقدس عام ١٠٩٩ م / ٤٩٢ هـ ، وبالإضافة إلى ذلك كان المستعمرون يلجأ دائماً إلى عمليات الطرد والتهجير ضد سكان البلاد الأصليين ، وهذا يوضح ما كان يتعرض له أصحاب البلاد من قهر ومعاملة سيئة أجبرت الكثيرين على مغادرة بلادهم بحثاً عن الأمان والاستقرار<sup>(٣٧٣)</sup> . وعلى الرغم من أساليب القهر المتعددة التي اتبعتها الصليبيون مع سكان البلاد لإجبارهم على ترك أراضيهم ، إلا أن عدداً كبيراً منهم تمسك بأرضه ولم يغادروها ، إذ كان المسلمون يشكلون الأغلبية في شمال الجليل وعلى الطريق الممتد من عكا إلى بانياس فقد صمد سكان هذه المناطق في وجه الصليبيين ولم يغادروا بلادهم<sup>(٣٧٤)</sup> ، كذلك كانت القرى الإسلامية حول نابلس لا تزال قائمة ، يعيش بها سكانها من المسلمين<sup>(٣٧٥)</sup> ، وغيرهم من الطوائف الأخرى .

وتجدر الإشارة إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة شرعوا في تأسيس المستوطنات الصليبية في بعض الإقطاعات التي حصلوا عليها من الأمير جودفري البويوني عام ١٠٩٩ م / ٤٩٢ هـ . وكانت قرية البيرة الواقعة شمال بيت المقدس ، الهدف الأول الذي اختاروه لإنشاء أولى مستوطناتهم مكانها ، على الرغم من أن القرية لم تكن مهجورة تماماً من سكانها المسلمين ، عندما منحت لكنيسة القيامة عام ١٠٩٩ م / ٤٩٢ هـ<sup>(٣٧٦)</sup> وبطبيعة الحال قام رجال الدين في كنيسة القيامة بتهجير من تبقى من سكان القرية المسلمين إلى مناطق أخرى ، قبل الشروع في تأسيس المستوطنة الصليبية . ومن المرجح أن عملية إنشاء المستوطنة قد تم بالتدرج ، لأن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قاموا بتوطين مجموعة من الأوروبيين الأحرار في البيرة ، وزودوهم بقطع من الأراضي حتى يقوموا بزراعتها ، مقابل دفع ضريبة العشر لرجال الدين في كنيسة القيامة ، واقتسام المحصول معهم<sup>(٣٧٧)</sup> . ويبدو أن مستوطنة البيرة قد اكتملت عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ ، إذ قام روجر أسقف الرملة بمنح دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قطعة أرض مساحتها أربع كاريوكات Carrucates تقع أمام قلعة البيرة ، إلى جانب منزل يقع داخل أسوار المستوطنة<sup>(٣٧٨)</sup> وهذا يفيد أن بناء المستوطنة كان قد اكتمل خلال هذه الفترة بدليل وجود الأسوار والقلعة والمنازل وجميع متطلبات الحياة داخل البيرة . وقد أطلق



الصلبيون عليها اسم Magna Mahumeria<sup>(٣٧٩)</sup>، مما يشير إلى وجود موقع استقرار إسلامي سابق أو وجود مسجد<sup>(٣٨٠)</sup>، لأن كلمة Mahumeria اللاتينية تعني مسجد<sup>(٣٨١)</sup>. ومن المرجح أن اسم مستوطنة عند الصليبيين يعني منطقة التعبد الكبرى، لأن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة هم الذين أشرفوا على إقامتها، كما قاموا بإنشاء مستوطنة أخرى في القبية al- Qubaibah<sup>(٣٨٢)</sup>، عرفت باسم Parva Mahumeria<sup>(٣٨٣)</sup> وقد أنشأوا فيها الكثير من المنشآت، واكتمل بناؤها في الفترة الواقعة بين عامي ١١٢٠-١١٢٩م / ٥١٣-٥٢٣هـ.

ومن المرجح أن الصليبيين قاموا بتفريغ قرية كفر مالك من سكانها من أجل إقامة مستوطنة أخرى. وبطبيعة الحال كانت الأمور ميسرة أمامهم، إذ أنهم حصلوا على القرية، بمقتضى منحة من الملك، كما أنهم هجروا سكان القرية إلى قرية بيت فوريك، وإلى جانب ذلك فإنهم كانوا قد قاموا بتجربتين قبيل ذلك، إذ أنشأوا مستوطنة مكان قرية البيرة، ومستوطنة القبية على أرض قرية بيت سوريك. ولم تمدنا المصادر المعاصرة بأية معلومات تفيد بإنشاء مستوطنة صليبية في قرية كفر مالك، كذلك لم نستطع العثور على أي موقع صليبي في القرية عند زيارتنا لها. ومن المحتمل أن الصليبيين أفرغوا القرية من سكانها، وزرعوا سكاناً من الفرنجة والإيطاليين وغيرهم، دون اللجوء إلى تغيير التخطيط العمراني للقرية.

ومهما يكن من أمر، فقد استمرت المنح والإقطاعات تنهال على كافة المؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة، وحققت بعض الكنائس والأديرة ثروات ضخمة، بسبب حصولها على الكثير من المنح والإقطاعات. وفي عام ١١٣٠م / ٥٢٥هـ منح الملك بلدوين الثاني لبلدوين رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ولخلفائه قرية بيت فيلا Beth Fella في مقاطعة صور، وقد اشتملت المنحة على القرية وما يتبعها من أراض وعقارات مثل المنازل، الأفران، الطواحين، الحمامات، المعاصر، والمحارث، كما أعطي للدير قرية ساردانس Sardans الواقعة مقابل صور، وقد استثنى الملك جزءاً من أراضي هذه القرية احتفظ به لنفسه، وكان هذا الجزء عبارة عن قطعة أرض تقع بين جبل وبستان<sup>(٣٨٤)</sup>، وقد تم منح هاتين القريتين لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بحضور حشد من الأمراء ورجال الدين في المملكة من بينهم الأميرة ميلسند وهو الثاني بوزية كونت يافا وأولريك فيسكونت نابلس Ulricus Viscount of Nablus وآخرون<sup>(٣٨٥)</sup>. وقد أكد الملك بلدوين الثاني لبطرس رئيس دير القديسة مريم الجديد على جميع المنح والامتيازات التي حصل عليها دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، إلا أن الملك استثنى بعض المنازل التابعة لكنيسة القيامة، وتم إثبات ذلك في السجلات الملكية،



وبحضور اولريك فيسكونت نابلس وانسكاتينوس Anscatinus فيسكونت بيت المقدس وآخرون<sup>(٣٨٦)</sup>.

يتضح مما سبق أن الملك بلدوين الثاني كان يقوم دوماً بالتأكيد على المنح التي قدمها أسلافه ، كما كان يؤكد باستمرار على ما قدمه من منح وإقطاعات للكنائس والأديرة ، وكان يدون ذلك في السجلات الملكية وبحضور عدد كبير من كبار الأمراء ورجال الدين في المملكة ، وكان الملك يلجأ إلى التأكيد على المنح والإقطاعات التي قدمها برضاه ودون أن يتعرض لأية ضغوط . كذلك كان الملك يؤكد ويوثق المنح والإقطاعات التي كان يقدمها كبار السادة الإقطاعيين والنبلاء للكنائس والأديرة ، ويتم تدوين ذلك في السجلات الملكية . ومن هنا نستطيع القول إن ملوك بيت المقدس أولوا الكنيسة اللاتينية اهتماماً خاصاً وعناية بالغة الأهمية . ومما لا شك فيه أن حصول المؤسسات اللاتينية على الكثير من المنح والإقطاعات في مختلف أرجاء مملكة بيت المقدس الصليبية ، سوف يؤدي إلى تقطيع أوصال الوحدات السياسية القائمة .

ولم يكن ملوك بيت المقدس هم المصدر الوحيد الذي أثرى الكنائس والأديرة بالمنح والعطايا ذات الأهمية البالغة لكافة المؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة . فقد بذل كبار السادة الإقطاعيين في المملكة ، المنح والإقطاعات للكنائس والأديرة في مختلف المناطق الواقعة داخل حدود المملكة غير أن ما بذلوه من منح وإقطاعات في الثلاثين عام الأولى للتواجد الصليبي في الأراضي المقدسة ، لم يكن بحجم ما حازته الكنائس والأديرة من السادة الإقطاعيين في السنوات اللاحقة . وأمر طبيعي أن يكون حجم الإقطاعات والمنح صغيراً في بداية الحكم الصليبي ، بسبب انشغال الصليبيين في التوسع على حساب المسلمين ، والاستيلاء على المدن الإسلامية وإخضاعها للسيطرة الصليبية . كذلك فإن حدود مملكة بيت المقدس الصليبية لم تكن قد استقرت بشكل نهائي إلا بعد استيلاء الصليبيين على مدينة صور عام ١١٢٤م / ٥١٨هـ ، على الرغم من احتفا' المسلمين بمدينة عسقلان حتى عام ١١٥٣م / ٥٤٨هـ ، إلا أن ذلك لم يؤثر على تحديد الهيكل النهائي لحدود المملكة . وعلاوة على ذلك فإن التغيير المستمر للأسر الإقطاعية ، الذي شهدته مملكة بيت المقدس في السنوات الأولى لقيامها ، كان له تأثير كبير في صغر حجم الإقطاعات والمنح التي حازتها الكنائس والأديرة من كبار السادة الإقطاعيين والنبلاء في المملكة . ومن المرجح أن المنح والإقطاعات الكنسية قد تأثرت بالصراع الذي نشب بين السلطة العلمانية بزعامة الملك بلدوين الأول والسلطة الدينية بزعامة البطريك دايمبرت ، ذلك الصراع الذي تدخل به البابا باسكال الثاني ، كذلك فإن الصراع الذي نشب بين بطريركية بيت المقدس وبطريركية أنطاكية حول



المركز الأسقفى في صور والأسقفيات التابعة له مثل أسقفية عكا وأسقفية بيروت وأسقفية صيدا، كان له تأثير على الإقطاعات الكنسية، إذ أن ما حازته المؤسسات اللاتينية في الأسقفيات سابقة الذكر كان قليلاً بالمقارنة مع ما حازته في مناطق أخرى. أما بعد حسم النزاع حول المركز الأسقفى في صور لصالح بطريركية بيت المقدس، فسوف تزداد المنح والإقطاعات المقدمة للكنائس والأديرة في الأسقفيات سابقة الذكر.

ومهما يكن من أمر، فقد حازت الكنائس والأديرة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية على منح وإقطاعات من كبار الأمراء والسادة الإقطاعيين، إلى جانب ما كان يقدمه صغار النبلاء وأفراد الطبقة البرجوازية<sup>(٣٨٧)</sup>. وكان السادة الإقطاعيون وكبار الأمراء أسخياء فيما بذلوه من إقطاعات ومنح للمؤسسات الكنسية في الأراضي المقدسة، ففي الفترة الواقعة بين الخامس والعشرين من مارس إلى الحادي والثلاثين من أغسطس (آب) عام ١١٠٠م/ الثاني عشر من جمادى الأولى إلى الثالث والعشرين من شوال عام ٤٩٤هـ، قام تانكرد أمير طبرية وجميع الجليل بمنح كنيسة القديس سلفادور على جبل طابور، جميع أملاكه السابقة، باستثناء تلك الأعشار التي ستؤول للجنود والكنيسة المذكورة. وقد تمت هذه المنحة بواسطة جيرالد رئيس الكنيسة. واشتملت على جبل طابور بكافة زمامه وقراه، بالإضافة إلى القرى التي ما زال المسلمون يحتفظون بها. وقد جرى التأكيد على هذه المنحة وإثباتها في السجلات الملكية بواسطة بلدوين الأول والبطريرك دايمبرت<sup>(٣٨٨)</sup>.

وتشير المنحة السابقة إلى أن الأمير تانكرد منح كنيسة القديس سلفادور جميع القرى التي استولى عليها في منطقة جبل طابور، بالإضافة إلى بعض القرى التي ما زالت بيد المسلمين. والأمر الغريب في هذه المنحة، أن الوثيقة أشارت إلى أن تانكرد قدم المنحة للكنيسة بموافقة الملك بلدوين الأول والبطريرك دايمبرت. في حين لم يكن الملك بلدوين الأول قد وصل إلى بيت المقدس خلال تلك الفترة، لأنه كان لا يزال حاكماً على الرها، بينما كان شقيقه جودفري يحكم بيت المقدس، وبالإضافة إلى ما سبق فإن بلدوين لم يكن قد توج ملكاً أثناء قيام الأمير تانكرد بتقديم المنحة لكنيسة جبل طابور. والأمر الصحيح أن تانكرد قدم المنحة قبل وصول بلدوين إلى بيت المقدس، وقبل تتويجه ملكاً عليها. وبعد أن أصبح بلدوين الأول ملكاً على مملكة بيت المقدس الصليبية، قام بالتأكيد على المنحة التي منحها إلى تانكرد لكنيسة جبل طابور وأثبت ذلك في السجلات الملكية.

وقد أغدق الأمير تانكرد الكثير من المنح والإقطاعات على دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، إذ منحة تايمني Tymini<sup>(٣٨٩)</sup> التي تعرف



باسم جلجالة Galgala في حيفا والواقعة في أراضي جبل الكرمل el-Carmel<sup>(٣٩٠)</sup>، فضلاً عن حصن يقع في مدينة حيفا أيضاً، حيث قام رجال الدين في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بإنشاء كنيسة في الحصن. وأعطى الأمير تانكرد للدير بعض المنازل والأشجار وطاحونة ومخبزاً، تقع جميعها في مواجهة الحصن<sup>(٣٩١)</sup>. ولم تشر المنحة إلى أن هذه العقارات والأشجار تقع داخل أسوار مدينة حيفا أو خارجها، ولكن يبدو أنها كانت تقع خارج الأسوار، لأن الوثيقة ذكرت أن الدير حاز على حصن في مدينة حيفا، بينما تشر الوثيقة إلى وقوع العقارات والأشجار في مدينة حيفا، وإنما في مواجهتها، مما يفيد أن جزءاً من المنحة كان يقع في مدينة حيفا والجزء الآخر خارجها. وتجدر الإشارة إلى أن الملك بلدوين الأول قام بالتأكيد على هذه المنحة بموافقة البطريرك وباروناته، بعد نحو خمس عشرة عام من حصول الدير على المنحة، أي عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ<sup>(٣٩٢)</sup>، عندما كان ارنولف بطريركاً على بيت المقدس. وهذا لا يعني أن الدير لم يكن يتمتع بالملكيات التي حصل عليها بمقتضى المنحة، لأن الوثائق لم تشر إلى ذلك. والمرجح أن الدير كان يتمتع بجميع الملكيات التي حازها الأمير تانكرد، على الرغم من أن هذه الملكيات لم تكن مدونة في السجلات الملكية حتى عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ.

وفي عهد الملك بلدوين الأول حصل دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على ثلاث قرى قدمها بسيللوس Pisellus<sup>(٣٩٣)</sup> فيسكونت بيت المقدس بموافقة زوجته وأخيه، وقام الملك بالتأكيد على هذه المنحة وتوثيقها في السجلات الملكية عام ١١١٤ م / ٥٠٨ هـ<sup>(٣٩٤)</sup>. وهذه المنحة تشير إلى أن نائب الملك في بيت المقدس كان يمتلك بعض الإقطاعات، وقد تنازل عن جزء منها لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بعد موافقة زوجته وأخيه، ولم يعترض الملك على ذلك، بل قام بالتأكيد على المنحة وإثباتها في سجلاته. وفي عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ. وقام والتر ماکوم Walter Machumet بمنح دير القديسة مريم قرية جمار فارا Jamarvara<sup>(٣٩٥)</sup> في وادي كلين Clin داخل حدود إقطاعية الخليل، وقد تمت هذه المنحة بموافقة الملك بلدوين الأول، وجرى التأكيد عليها وإثباتها في السجلات الملكية، وقام الملك بلدوين الثاني بالتأكيد عليها عام ١١٣٠ م / ٥٢٥ هـ<sup>(٣٩٦)</sup>.

ويبدو أن دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط كان يحظى باهتمام كافة السادة الإقطاعيين في مملكة بيت المقدس الصليبية، ففي عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ، حصل على بعض المنح والإقطاعات في إقطاعية قيسارية وفي بارونية صيدا، إذ قام يوستاش جارنيه سيد قيسارية وصيدا بمنح الدير قرية كفر عبرا<sup>(٣٩٧)</sup> Caphar Abra في حدود صيدا، فضلاً عن منزل في المدينة نفسها، كذلك



قدم يوستاش جارنيه قرية بيت الله Beth Alla<sup>(٣٩٨)</sup> في حدود قيسارية إلى جانب منزل في المدينة نفسها، وقد تم التأكيد على هذه المنحة بواسطة الملك بلدوين الأول، وجرى إثباتها في السجلات الملكية<sup>(٣٩٩)</sup>. ومن المرجح أن المنازل التي منحت للدير في مدينتي قيسارية وصيدا، كانت تستعمل كمراكز استراحة لرهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط الذين كانوا يقدون إلى قيسارية وصيدا من أجل تفقد ممتلكات الدير في هاتين المقاطعتين، والحصول على الدخل الذي تدره تلك الممتلكات، تمهيدا لنقله إلى خزائن دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط. وفي عهد الملك بلدوين الثاني منح يوستاش جارنيه نصف قرية فياس Fiesse<sup>(٤٠٠)</sup> بكافة زمامها لكنيسة القيامة، على أن يكون نصف القرية ملكاً خالصاً للكنيسة. وقد تمت هذه المنحة بموافقة الملك الذي قام بتوكيدها وإثباتها في السجلات الملكية<sup>(٤٠١)</sup>. وكانت هذه القرية ضمن حدود إقطاعية قيسارية، ولا شك أن سيد الإقطاعية قام بتحديد النصف الخاص بكنيسة القيامة، حتى لا تحدث أية خلافات في المستقبل بين رجال الدين في كنيسة القيامة الذين يحوزون نصف قرية فياس وبين الطرف الآخر الذي يمتلك النصف الثاني.

ومهما يكن من أمر، فقد استمرت المنح والإقطاعات تنهال على المؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس، وأظهر السادة الإقطاعيون سخاء كبيراً نحو هذه المؤسسات وذلك من خلال المنح والإقطاعات التي قدموها للكنائس والأديرة. وفي عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ حصل دير القديسة مريم على قطعة من الأرض مساحتها كاريوكتين Carrucates قدمها بلدوين سيد الرملة<sup>(٤٠٢)</sup> للدير. كما قام جوسلين أمير الجليل بمنح الدير قرية قصر المة Casrielme<sup>(٤٠٣)</sup> بالإضافة إلى منزلين ريفيين في طبرية. وقد تم التأكيد على هاتين المنحتين بواسطة الملك بلدوين الأول. الذي أكد أيضاً على امتلاك الدير لقرية عسكر في حدود إقطاعية نابلس، وقد أكدت هذه المنحة مرة أخرى بواسطة الملك بلدوين الثاني<sup>(٤٠٤)</sup>. كذلك حصل الدير على أرض وأشجار كرمة في حدود بيت المقدس قدمها باليان كندسطل يافا Balian Condstable Jaffa<sup>(٤٠٥)</sup> وأكدها الملك بلدوين الثاني في سجلاته<sup>(٤٠٦)</sup>. كما منح وليم دي بور William de Burs بعض المنازل في حدود بيت المقدس لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وأكد وليم ذلك بموافقة زوجته، وتم توثيق هذه المنحة وإثباتها في سجلاته<sup>(٤٠٧)</sup>.

وكان وليم دي بور - أمير الجليل - كريماً فيما بذله من منح وإقطاعات للكنائس والأديرة، ففي يوم الثلاثاء الموافق أول فبراير عام ١١٢١م / الحادي عشر من ذي القعدة عام ٥١٤هـ، منح بالاشتراك مع الملك بلدوين الثاني وبرنارد



أسقف الناصرة قطعة أرض مساحتها أربع كاريوكات Carrucates من أراض اللجون (El- Lejun legio)<sup>(٤٠٨)</sup> لمستشفى وادي يهوشافاط ، بالإضافة إلى المنازل التي بناها انجلبرت موناكس Engelobert Monacus ، كذلك المنطقة الريفية وما يحيط بها من أراض ، تمتد من قرية معولا (Maula) Meloul<sup>(٤٠٩)</sup> إلى حدود طبرية ، كما منح دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قطعة أرض ومخزن للحبوب Sirium<sup>(٤١٠)</sup> . وأثناء حكم الملك بلدوين الثاني قام ليتاردس Letardus فيسكونت عكا بمنح قطعة أرض أربع كاريوكات Carrucates وحقل زيتون Olivetus وحديقة Hortum ومنزل Domum لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، وهذه المنحة جميعها تقع في قرية الزيب ez Zib الواقعة شمال عكا . وقد منحها ليتاردس للدير سالف الذكر عام ١١٢٣م / ٥١٧هـ بموافقة الملك بلدوين الثاني<sup>(٤١١)</sup> . وفي يوم السبت الموافق التاسع عشر من أكتوبر عام ١١٢٩م / الرابع من ذي القعدة عام ٥٢٣هـ قام البطريك ستيفن الشارترى بالتأكيد على هذه المنحة لرجال الدين في الدير سابق الذكر<sup>(٤١٢)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن قرية الزيب كانت من أملاك أحد الفرسان يدعى هيرت دي بازي Hubert de Pazi<sup>(٤١٣)</sup> في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠٤-١١٠٨م / ٤٩٧-٥٠٢هـ . ولم تشر المصادر الصليبية المعاصرة إلى السيد الذي حصل على قرية الزيب بعد رحيل هيرت ، ويبدو الأمر منطقياً أن القرية عادت للسيادة الملكية<sup>(٤١٤)</sup> ، ومما يؤكد وجهة النظر هذه أن ليتاردس نائب الملك في عكا ، تصرف ببعض أراضيها وعقاراتها ومنحها لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، بموافقة الملك بلدوين الثاني . وإن لم تكن قرية الزيب تتبع السيادة الملكية ، لما استطاع نائب الملك في عكا أن يتصرف ببعض أملاك القرية . وقد حاول الملك الصليبي بعد ذلك استرجاع الأراضي التي منحها نائبه للدير سالف الذكر ، لأنه كان يرغب في جعل جميع أراضي القرية في قبضة يده . ولهذا الغرض استغل الملك خلافاً مع رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، حول بعض الأراضي الواقعة في منطقة تبنين ، وبعض الأراضي المجاورة لقرية بيت فيلا Beth Fella في مقاطعة صور . وكانت النتيجة حسم الخلاف كالاتي : حصول رهبان دير القديسة مريم على الأراضي التي كان عليها الخلاف ، وبالمقابل تخلى الرهبان عن جميع أملاكهم في قرية الزيب وهي عبارة عن حقول وكروم زيتون وحديقة بالقرب من القرية ، وقد تم ذلك عام ١١٤٦م / ٥٤١هـ ، أثناء حكم الملكة ميلسند<sup>(٤١٥)</sup> .

ويبدو أن دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قد وجد عناية من الأمير رومانوس بوي Romanus of Puy<sup>(٤١٦)</sup> سيد إمارة الكرك والشوبك الذي قدم للدير قريتين في منطقة البلقاء Balcha ، وقد تمت هذه المنحة بموافقة



زوجته ريكلد Richild وبقية الورثة ، وقام الملك بلدوين الثاني بتأكيد هذه المنحة في السجلات الملكية<sup>(٤١٧)</sup>. وفي مايو عام ١١٢٢م/ ربيع الأول عام ٥١٦هـ، منح باليان ابلين كندسطل يافا، بموافقة الملك بلدوين الثاني وهيو الثاني بوزية كونت يافا كل عائد قرى مجدل يابا Majdel Yaba (ميرابيل) Mirabei ، رنتيه Rantieh<sup>(٤١٨)</sup>، كفر حارس Kafer Hars<sup>(٤١٩)</sup>، لوكير Luceri<sup>(٤٢٠)</sup>، ومارسلكيكية<sup>(٤٢١)</sup> Marescalcie لكنيسة القديسة يوحنا St. John في حدود إقطاعية نابلس (في قرية سبسطية) تحية ومحبة من باليان وزوجته Heluissa وبتأييد من هيو سيد الرملة وأخيه بلدوين وكذلك صاحب مجدل يابا، وقد حضر توقيع هذه المنحة حشد من النبلاء<sup>(٤٢٢)</sup>.

وتشير المنحة السابقة إلي جميع القرى كانت من أملاك باليان كندسطل يافا، على الرغم أن بعضها كان ممنوحاً لبعض الأمراء، بدليل وجود صاحب مجدل يابا الذي كان من المؤيدين لباليان في تقديم عائد القرى سالفة الذكر لكنيسة القديس يوحنا. ومن المرجح أن باليان قام ببذل عائد الجزء الذي يتعلق به فقط، لأنه من غير المعقول أن يمنح عائد القرى جميعه للكنيسة، بسبب بسيط هو أن هذه القرى كانت ممنوحة لبعض النبلاء الذين كانوا يبذلون جزءاً من دخل إقطاعاتهم لسيدهم. وبناء على ذلك فمن المرجح أن يكون باليان قد تنازل عن الدخل الذي كان يصله من تلك القرى لصالح كنيسة القديس يوحنا في سبسطية.

وتجدر الإشارة إلى أن المنح والإقطاعات المقدمة من كبار الأمراء والسادة الإقطاعيين للكنائس والأديرة كانت تزداد تدريجياً. ففي عام ١١٢٦م/ ٥٢٠هـ قام وليم دي بور أمير الجليل بمنح قرية القديس جورج St. Georg ، الواقعة في مواجهة قرية ميدان Medan<sup>(٤٢٣)</sup> لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وقد تمت هذه المنحة بموافقة الياس Helias (اليناند Elinand) ووليم William وأكد وليم بور على هذه المنحة في سجلاته، بينما تولى البطريك جرموند بيكيني إبرام عقد هذه المنحة، بحضور حشد من الأمراء ورجال الدين في المملكة<sup>(٤٢٤)</sup>. وبعد ذلك بحوالي ثلاث سنوات قام وليم دي بور بمنح الدير سالف الذكر قرية القديس أيوب St. Job<sup>(٤٢٥)</sup> وما يحيط بها من أراض، باستثناء جزء من القرية يقع على أرض مرتفعة جعله لحفيده لكي يستمتع بالسيادة عليه. وقد تم إبرام عقد هذه المنحة عام ١١٢٩م/ ٥٢٤هـ بواسطة الملك بلدوين الثاني والبطريك ستيفن الشارترى ووليم رئيس أساقفة الناصرة، بحضور بعض الأمراء ورجال الدين في المملكة<sup>(٤٢٦)</sup>. ويتضح من خلال دراستنا لهاتين المنحتين أن وليم بور قدم قريتين من قرى الجليل، منحة منه لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط. وقد أشارت الوثيقة الأولى إلى أن أمير الجليل



قدم قرية القديس جورج بعد أن أخذ موافقة أحفاده حتى لا تحدث أية خلافات في المستقبل بين الورثة بخصوص هذه المنحة، كذلك لاحظنا أن بطريك بيت المقدس، ستيفن الشارترى، تولى إبرام عقد المنحة، بينما قام وليم بور أمير الجليل بإثباتها في السجلات الخاصة بإمارته. أما الوثيقة الثانية فقد أشارت إلى احتفاظ أمير الجليل بجزء من قرية القديس أيوب حتى يستمتع بالسيادة عليه. ومن المرجح أن هذا الجزء كان غنياً بالثروات الاقتصادية، وربما كان يشتمل على بعض البساتين والحدائق. والنقطة الهامة في هذه المنحة أنها أبرمت بوساطة الملك ورئيس أساقفة الناصرة.

وقد أولى هيو الثاني بوزية كونت يافا اهتمامه وعنايته بدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، ففي عام ١١٢٣ م / ٥١٧ هـ قام بمنح الدير قرية ماكوس Makus<sup>(٤٢٧)</sup> كما منح الدير مبنى كان المسجد الرئيسي في مدينة عسقلان بالإضافة إلى بستان حسن يقع في منطقة عسقلان. وعلاوة على ذلك قدم للدير أرضاً تقع أمام مدينة يافا، بالإضافة إلى قرية صافي Saphe<sup>(٤٢٨)</sup> الواقعة في حدود إقطاعية نابلس. وقد قام الملك بلدوين الثاني بتأكيد هذه المنحة وأثبتها في سجلاته<sup>(٤٢٩)</sup>. ويتضح من خلال ما ورد في الوثيقة من معلومات أن كونتات يافا كانوا يمنحون الإقطاعات في مقاطعة عسقلان، على الرغم من أنها كانت لا تزال بيد المسلمين، وهذا الأمر يشير إلى أنهم كانوا يتطلعون إلى ضم عسقلان لممتلكاتهم. وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن كونتات يافا كانوا يعتبرون أنفسهم دائماً كونتات لمقاطعة عسقلان<sup>(٤٣٠)</sup>. ومما يؤكد هذا أن باليان كندسطل يافا قام بمنح قرية عجلين Agelen<sup>(٤٣١)</sup> في حدود عسقلان لهيئة فرسان الاسبتارية، وقد تمت هذه المنحة بموافقة هيو الثاني كونت يافا وزوجته إماما Emma وجرى توثيقها في السجلات الملكية بوساطة الملك بلدوين الثاني والبطريك جرموند في السابع عشر من يناير عام ١١٢٦ م / الحادي والعشرين من ذي الحجة عام ٥١٩ هـ<sup>(٤٣٢)</sup>.

وفي الثامن عشر من يناير عام ١١٢٦ م / الثاني والعشرين من ذي الحجة عام ٥١٩ هـ، وعد هيو كونت يافا بمنح فرسان الاسبتارية ثلث أفضل قرية في مقاطعة عسقلان، وقد تمت هذه المنحة بموافقة زوجته إماما وباقي البارونات في كونتية يافا. وقام البطريك جرموند والملك بلدوين بإبرام عقد هذه المنحة بحضور عدد من الأمراء ورجال الدين في مملكة بيت المقدس الصليبية<sup>(٤٣٣)</sup>. وبطبيعة الحال كان الصليبيون يتعجلون الاستيلاء على مدينة عسقلان، ولذلك نرى هيو كونت يافا يغدق المنح والإقطاعات في مقاطعة عسقلان على كافة المؤسسات والهيئات اللاتينية في المملكة على اعتبار أنها ستصبح من أملاكه<sup>(٤٣٤)</sup>. أما فيما يتعلق بقرية صافي الواقعة في حدود إقطاعية نابلس، والتي كانت من أملاك هيو سيد يافا، فيبدو أنه قام بشرائها، ثم منحها لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط.



ومهما يكن من أمر فقد أسهم السادة الإقطاعيون والأمراء في زيادة مساحة الإقطاعات الكنسية ، وذلك من خلال إسهامهم في تقديم المنح والإقطاعات لمختلف المؤسسات الكنسية في المملكة . وإلى جانب كبار الأمراء والسادة الإقطاعيون شارك صغار الأمراء وأفراد الطبقة البرجوازية بتقديم المنح والإقطاعات للكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الصليبية . ففي عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ منح لامبيرتوس - أحد النبلاء في إمارة الجليل - قرية سوسمية Sosesme<sup>(٤٣٥)</sup> الواقعة في إمارة الجليل لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، وقد تمت هذه المنحة في حضور جوسلين أمير الجليل ووليم دي بور - أحد كبار النبلاء في إمارة الجليل وقتذاك - وقد قام الملك بلدوين بتأكيد هذه المنحة في السجلات الملكية<sup>(٤٣٦)</sup> . وفي العام نفسه منح جاي ميللي لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط أراضي وأشجار كرمة في حدود بيت المقدس<sup>(٤٣٧)</sup> ، كما منح الدير نصف قرية تعمّر Bethtamar<sup>(٤٣٨)</sup> في حدود بيت المقدس ، وقد تم التأكيد على هذه المنحة من قبل الملك بلدوين الثاني عام ١١٣٠ م / ٥٢٥ هـ<sup>(٤٣٩)</sup> . كما قدم رادولف اليسنس Radulfus Alesnes<sup>(٤٤٠)</sup> للدير أرضاً على جبل الجودي Gaudi<sup>(٤٤١)</sup> ، كما قدم منزلاً وحديقة في حدود بيت المقدس<sup>(٤٤٢)</sup> ، كذلك حصل الدير على قرية كورة Chorot<sup>(٤٤٣)</sup> ، التي منحها آدون كريسي Adon of Cerisy<sup>(٤٤٤)</sup> بحضور زوجته ريكولد Richold وابنه جرموند<sup>(٤٤٥)</sup> ، وذلك حتى لا يحدث أي نزاع في المستقبل حول هذه المنحة . كذلك منح ثيوبلد اوف نجيللا Theobaldus of Nigella - أحد النبلاء في إمارة الجليل - قرية زيب الزيب Zebezeb<sup>(٤٤٦)</sup> الواقعة في أرض السود للدير سابق الذكر<sup>(٤٤٧)</sup> . وهكذا أسهم صغار النبلاء في مملكة بيت المقدس الصليبية في تقديم المنح والإقطاعات للكنائس والأديرة في الأراضي المقدسة ، مما أدى إلى زيادة ثروات المؤسسات الكنسية . وقد بدا واضحاً أن جميع المنح والإقطاعات التي قدمها صغار النبلاء ، انصبت على دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، مما يفيد أن الدير كان يحظى باهتمام خاص من جميع الفئات في مملكة بيت المقدس الصليبية .

وتجدر الإشارة إلى أن كبار رجال الدين في مملكة بيت المقدس الصليبية ، حازوا كثيراً من الأملاك والإقطاعات في مختلف الأسقفيات المنتشرة في المملكة ، وقد أغدق رجال الدين من الكثير من المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة في الأراضي المقدسة . ففي عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ قام روجر أسقف الرملة Roger bishop of Ramleh بمنح قرية صفورية Seffurieh<sup>(٤٤٨)</sup> لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، كما قدم للدير منزلاً في القلعة الواقعة



داخل سوار البيرة (Magna Mahu-maria) al- Bira إلى جانب قطعة أرض مساحتها أربع كاريوكات Carrucates تقع في مواجهة القلعة<sup>(٤٤٩)</sup>. وتوضح المنحة السابقة عدة نقاط أهمها: اهتمام روجر أسقف الرملة بدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ومنحه الإقطاعات الكثيرة. كذلك أظهرت المنحة أن أسقف الرملة كان يمتلك بعض الممتلكات في إمارة الجليل، ومن بينها قرية صفورية، التي لا بد وأنها منحت لأسقفية الرملة بواسطة أحد أمراء الجليل وبعد أن أصبحت صفورية من أملاك أسقفية الرملة، قام الأسقف روجر بمنحها لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط. وقد أشارت المنحة أيضاً إلى امتلاك أسقفية الرملة لبعض العقارات والأراضي في مستوطنة البيرة التي أسسها رجال الدين في كنيسة القيامة، لأن البيرة كانت من ضمن القرى التي منحها الأمير جودفري البويوني لكنيسة القيامة، فمن المرجح أن تكون أسقفية الرملة قد حصلت على بعض الاملاك في البيرة، إما عن طريق شرائها من رجال الدين في كنيسة القيامة، أو أن أحد الأمراء قام بشرائها ثم منحها لأسقفية الرملة. ومهما يكن من أمر فقد حصل دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على بعض الممتلكات في البيرة، مقدمة له من أسقفية الرملة. وهذه الاملاك كان بعضها داخل أسوار البيرة، أي في الظهر الزراعي التابع لها، لأن الوثيقة أشارت إلى حصول الدير على قطعة أرض مساحتها أربع كاريوكات Carrucates تقع في مواجهة البيرة، وهذا يعني أن قطعة الأرض كانت تقع خارج أسوار البيرة، لأن الوثيقة لم تشر إلى وقوعها داخل الأسوار، بينما أشارت إلى وقوع المنزل داخل الأسوار، بينما أشارت إلى وقوع المنزل داخل أسوار المستوطنة. والأمر الهام في هذه المنحة أن دير القديسة مريم حصل على بعض الممتلكات في المنطقة التي تعتبر من أملاك كنيسة القيامة، بناء على منحة الأمير جودفري البويوني. كذلك تشير المنحة إلى أن روجر أسقف الرملة، كان على علاقة حعام مع رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، ويتضح هذا من خلال المنح والإقطاعات التي قدمها لراهبان الدير. وتجدر الإشارة إلى أن المنح والإقطاعات التي كان يقدمها كبار رجال الدين اللاتين للكنائس والأديرة كانت تتم دون معارضة الملك والأمراء ومما يؤكد هذا أن الملك بلدوين الأول أكد على المنحة التي قدمها أسقف الرملة لدير القديسة مريم وأثبتها في السجلات الملكية<sup>(٤٥٠)</sup>.

وفي عام ١١٢١ م / ٥١٥ هـ منح برنارد أسقف الناصرة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط عدة منح من بينها عشر قرية اللجون وعشر قرية تعنك (Tannak (Tannach)<sup>(٤٥١)</sup>، بالإضافة إلى كنيسة داخل إمارة الجليل، وقد تمت هذه المنحة في العام الثالث لارتقاء البطريك جرموند كرسي بطريركية بيت المقدس، والعام الثالث لاعتلاء بلدوين الثاني عرش مملكة بيت المقدس،



وفي العام الأول حكم وليم دي بور لإمارة الجليل . وقد شهد على هذه المنحة حشد كبير من الأمراء ورجال الدين في إمارة الجليل<sup>(٤٥٢)</sup> . ومن المرجح أن برنارد أسقف الناصرة قام باستدعاء كبار الشخصيات الدينية والدينية في إمارة الجليل حتى يستشيرهم في أمر هذه المنحة ويأخذ موافقتهم ، حتى لا يحدث أي خلاف أو شكوى بخصوص هذه المنحة في المستقبل ، خاصة وأنها تتعلق بأعشار قرية اللجون وقرية تعنك . ومن المحتمل أن يحصل نزاع على هذه الأعشار بين الكنائس والأديرة في إمارة الجليل وبين دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط .

وفي عام ١١٢٦م / ٥٢٠هـ أكد افريمار رئيس أساقفة قيسارية لرجال الدين في كنيسة القيامة على العشر الذي يمتلكونه في قرية فياس الواقعة في حدود إقطاعية قيسارية<sup>(٤٥٣)</sup> . وفي نفس العام منح افريمار لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط المسجد القديم Mahumeria<sup>(٤٥٤)</sup> الواقع بالقرب من صيدا ، والذي حوله (الصلبيون) إلى كنيسة ، بالإضافة إلى عشر بستان من أملاك الكنيسة ، وقد قرر افريمار هذه المنحة بشكل دائم لرئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، وقام البطريك جرموند والملك بلدوين الثاني بإبرام عقد هذه المنحة<sup>(٤٥٥)</sup> . وفي عام ١١٣٠م / ٥٢٥هـ قام الملك بالتأكيد على هذه المنحة وتوثيقها في السجلات الملكية<sup>(٤٥٦)</sup> . والملفت للنظر في هذه المنحة أن افريمار رئيس أساقفة قيسارية قدم الكنيسة الواقعة في منطقة صيدا لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بموافقة البطريك جرموند والملك بلدوين الثاني ، بدليل أنهما قاما بإبرام عقد هذه المنحة ، مع العلم أن أسقفية صيدا جميعها كانت تتبع الكرسي الأسقفي في صور ، ولهذا فإن جميع الكنائس المتواجدة في أسقفية صيدا تخضع لسلطة الأسقف الذي يدين بالتبعية لرئيس أساقفة صور . وبما أن تعيين رئيس أساقفة صور وأسقف صيدا لم يكن قد تم خلال ذلك الوقت ، بسبب المشاكل التي نشبت بين بطريركية بيت المقدس وبطريركية أنطاكية حول المركز الأسقفي في صور ، والتي حسمت في نهاية الأمر لصالح بطريركية بيت المقدس ، ولذلك فإننا نرجح أن يكون أفريمار قد أخذ موافقة البطريك قبل تقديم المنحة ، هذا فيما يتعلق بالناحية الدينية . أما فيما يتعلق بالناحية السياسية فقد وافق الملك بلدوين الثاني على تقديم المنحة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، لكن الأمر لا يتعلق بالملك وحده ، إذ كان لصيدا حاكم إقطاعي يتولى أمورها ، فالمعروف أن والتر الأول جارنيه Walter I Garnier تولى حكم إقطاعية قيسارية بعد وفاة أخيه يوستاش الثاني جارنيه Eustace II Garnier عام ١١٢٦م / ٥٢٠هـ ، واستمر في حكم إقطاعية قيسارية حتى عام ١١٣١م / ٥٢٥هـ<sup>(٤٥٧)</sup> . ولذلك فإننا نرجح أن يكون والتر



الأول جاريه هو الذي منح أرض المسجد القديم الواقع قرب صيدا ، لافريمار رئيس أساقفة قيسارية . ومن المحتمل أن الصليبيين قاموا بتحويل المسجد إلى كنيسة ، خلال امتلاك رئاسة أسقفية قيسارية لهذا العقار . وقد أشارت الوثيقة أيضاً إلى أن الكنيسة كانت تمتلك أحد البساتين المجاورة ، مما يشير إلى أن رجال الدين في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، سوف يستغلون ما يدره البستان من دخل للإنفاق على رجال الدين القائمين بالإشراف على الكنيسة التي الت للدير بمقتضى المنحة سالفة الذكر ، وما يفيض عن حاجة الكنيسة سوف يتم إيداعه في خزائن دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط . ويبدو أن افريمار كان كريماً مع رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط فقد منحهم عام ١١٢٦م / ٥٢٠هـ عشر قرية تايمني Tymini المعروفة أيضاً باسم قرية جلجالة Galgala <sup>(٤٥٨)</sup> ، والتي كان الأمير تانكرد قد منحها للدير أثناء حكمه لإمارة الجليل <sup>(٤٥٩)</sup> . وهذا يعني أن دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط كان يمتلك القرية ، ويحتفظ بما تدره من دخل دون تقديم ضريبة العشر عن إيراد هذه القرية . كذلك سمح الملك بلدوين الثاني للسفن التابعة للدير بالدخول والخروج من جميع الموانئ التابعة للمملكة <sup>(٤٦٠)</sup> ، وهذا يوضح مدى اهتمام الملوك ورجال الدين والأمرء بدير القديسة مريم . ولا بد وأن الملك قام بإعفاء السفن التابعة للدير من دفع الرسوم المقررة ، ولعل كل هذه التسهيلات هي التي جعلت الدير من أغنى المؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة .

وفي الفترة الواقعة بين شهري ابريل - يونية (نيسان - حزيران) عام ١١٢٩م / ربيع الآخر - جمادي الآخر عام ٥٢٣هـ ، قام وليم رئيس أساقفة صور بمنح كنيسة القديسة مريم الواقعة في مدينة صور لرجال الدين في كنيسة القيامة ، وقد تمت هذه المنحة في أحد الاجتماعات التي عقدت في مدينة عكا ، حيث حازت كنيسة القيامة كنيسة القديسة مريم في صور بواسطة وليم رئيس كنيسة القيامة وستيفن بطريرك بيت المقدس والملك بلدوين الثاني <sup>(٤٦١)</sup> . ولا غرابة في قيام رئيس أساقفة صور بتقديم المنحة السابقة لرجال الدين في كنيسة القيامة <sup>(٤٦٢)</sup> ، لأنه قبل أن يتولى منصب رئيس الأساقفة في صور ، كان رئيساً لكنيسة القيامة ، ومن الطبيعي أن يقدم المنح والإقطاعات لزملائه في كنيسة القيامة . أضف إلى ذلك أن أسقفية صور ، أصبحت تخضع لسلطان بطريركية بيت المقدس ، بعد أن انتهت المشاكل بين بطريركية أنطاكية وبطريركية بيت المقدس حول المركز الأسقفي في صور ، حيث جري تعيين وليم رئيس لأساقفة صور في الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثاني والبطريرك جرموند مع رجال الدين والأمرء في مدينة صور عام ١١٢٧م / ٥٢١هـ <sup>(٤٦٣)</sup> .



وتجدر الإشارة إلى أن كنيسة القيامة حازت على كثير من الأملاك والإقطاعات في بلاد الشام، خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٣١م/ ٤٩٢-٥٢٥هـ، كما حصلت على كثير من الكنائس والأديرة في هذه البلاد، فعلى سبيل المثال امتلكت في أسقفية بيت المقدس كنيسة القديس العازر St. Lazare وحصنها Castrum<sup>(٤٦٤)</sup>، وقام البطريرك ارنولف بالتأكيد على هذه المنحة<sup>(٤٦٥)</sup>، كما امتلكت حصن البيرة Castrum de la Mahumaria وكنيسته، وفي أسقفية قيسارية على حصن فينكولي Castrum Feniculi وكنيسته<sup>(٤٦٦)</sup> وفي عام ١١٠٣م/ ٤٩٦هـ منحها البطريرك افريمار<sup>(٤٦٧)</sup> كنيسة القديس بطرس St. Pierre في يافا، كما امتلكت كنيسة القديسة مريم الكتدرائية القديمة في أسقفية صور، وكنيسة القيامة في أسقفية طرابلس، وكنيسة القديس جورج في نفس الأسقفية<sup>(٤٦٨)</sup>. ولم تقتصر أملاك كنيسة القيامة على ما حازته من إقطاعات ومنح وكنائس في بلاد الشام، بل امتدت أملاكها إلى أوروبا حيث حازت الكثير من الأملاك والضياع والكنائس في العديد من دول القارة الأوروبية<sup>(٤٦٩)</sup>. وكانت موارد ودخل أملاك كنيسة القيامة في أوروبا ترسل إلى فلسطين، ويتسلمها رجال الدين المشرفون على الكنيسة<sup>(٤٧٠)</sup>. ولم تكن كنيسة القيامة وحدها هي التي حصلت على ممتلكات في القارة الأوروبية، فقد حظيت أسقفية الناصرة باهتمام أهل الغرب الأوروبي، إذ حازت كنيستها على الكثير من المنح في الغرب الأوروبي<sup>(٤٧١)</sup>، كذلك فإن كنيسة بيت لحم حصلت على بعض الأملاك والكنائس في أوروبا، فضلاً عما حازته من ممتلكات في بلاد الشام<sup>(٤٧٢)</sup>. وبطبيعة الحال كانت أملاك كنيسة الناصرة وكنيسة بيت لحم تدر أموالاً كثيرة ترسل إلى فلسطين وتوزع على رجال الدين في الكنيستين.

ولا بد من الإشارة إلى نقطة هامة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالإقطاع الكنسي، ألا وهي عملية شراء رجال الدين اللاتين للإقطاعات الدنيوية أو جزء منها، ثم تحويلها إلى إقطاعات كنسية. فقد كان للثروة الهائلة التي حققتها الكنائس والأديرة، ومختلف المؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية أثر كبير في توجه بعض الكنائس والأديرة إلى شراء الكثير من الأملاك، رغبة منها في زيادة ما تحوزه من إقطاعات. وكانت كنيسة القيامة في بيت المقدس من أكثر الكنائس ثروة، وقد استغل رجال الدين في الكنيسة جزءاً من ثرواتها، اشتروا به الأراضي والعقارات. وتشير إحدى الوثائق المورخة عام ١١٢٩م/ ٥٢٣هـ إلى قيام رجال الدين في كنيسة القيامة بشراء كرم عنب في حدود بيت المقدس بمبلغ مائة وأربعين بيزنط<sup>(٤٧٣)</sup>. كما قاموا بشراء أحد المنازل في المدينة نفسها بمبلغ مائتي بيزنط<sup>(٤٧٤)</sup>. ولم تصادف عملية الشراء أية عقبات من قبل



الحكومة أو من قبل البطريك ، أي أن عملية نقل الملكية من البائع إلى المشتري ، لم تتعرض للمضايقات من قبل السلطات العليا في الدولة الصليبية . وليس من شك في أن ما حصلت عليه الكنائس والأديرة من أراض وعقارات عن طريق الشراء من بعض رجال الإقطاع في مملكة بيت المقدس الصليبية ، تعتبر من ضمن الإقطاعات الكنسية ، لأن موافقة الملك على عمليات البيع والشراء<sup>(٧٥)</sup> ، إنما تعني الموافقة على انتقال جزء من الإقطاع الدنيوي إلى الإقطاع الديني ، سواء كان الجزء المباع من قبل كبار السادة الإقطاعيين أو من النبلاء وأفراد الطبقة البرجوازية . وقد ساعدت عمليات البيع والشراء في زيادة أملاك الكنائس والأديرة الكبرى في المملكة .

وعلى الرغم أن عمليات البيع والشراء المتعلقة بالأراضي والعقارات ، كانت محدودة في الفترة الأولى من الحكم الصليبي ، إلا أنها كشفت عن حرص رجال الدين على زيادة أملاكهم في الأراضي المقدسة ، كما أنها أوضحت أمراً هاماً وهو أن رجال الدين كانوا يمتلكون ثروات تمكنهم من شراء الكثير من الأراضي والعقارات من أمراء الإقطاع في مملكة بيت المقدس الصليبية . وسوف تتضح الصورة أكثر بعد عام ١١٣١ م / ٥٢٥ هـ ، إذ قام رجال الدين بشراء الكثير من الأراضي والمنازل والمتاجر والأفران والطواحين . . . الخ . وليس من شك أن الكنائس والأديرة ستحصل على مزيد من الدخل من خلال استغلالها للأراضي والعقارات التي قامت بشرائها .

يتضح من خلال دراستنا للإقطاعات والمنح التي حصلت عليها المؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة ، أنها كانت تزداد تدريجياً نتيجة للتوسع الصليبي على حساب القوى الإسلامية في بلاد الشام ، وبالإضافة إلى اهتمام ملوك وأمراء مملكة بيت المقدس بالكنائس والأديرة ، وإغداق المنح والإقطاعات الكثيرة عليها . فقد حازت المؤسسات الكنسية اللاتينية على منح وإقطاعات في جميع المناطق الخاضعة لسلطة مملكة بيت المقدس الصليبية ، وبمعنى أدق داخل حدود المملكة الممتدة من بيروت شمالاً وحتى رفح جنوباً .

ومهما يكن من أمر ، فقد ازدادت ثروة الكنائس والأديرة ، بسبب المنح والإقطاعات التي كانت تقدم لها باستمرار ، إضافة إلى أن رجال الدين في جميع المؤسسات الكنسية كانوا يقومون باستغلال ما حصلوا عليه من إقطاعات وأملاك ، مما عاد عليهم بالفائدة والربح الوفير . وقد أثار ازدياد ثروة الكنائس والأديرة في الأراضي المقدسة سخط الأمراء والنبلاء الصليبيين في الشام ، لأن ممتلكات المؤسسات الكنسية كانت معفاة من الضرائب ، إلى جانب أن رجال الدين كانوا غير مطالبين بتقديم الخدمة العسكرية لملك بيت المقدس ، وهذا أدى إلى أن يشعر الفرسان والنبلاء بأن ثروة الكنائس والأديرة ورجال الدين



القائمين عليها تتضخم على حسابهم ، في الوقت الذي كانوا فيه يتحملون المغارم، وعبء الدفاع عن الكيان الصليبي بأكمله<sup>(٤٧٦)</sup>. وفي الحقيقة كانت المؤسسات الكنسية اللاتينية معفاة من الضرائب ، إلا أنها في نفس الوقت كانت تحصل ضريبة العشر من السادة الإقطاعيين والنبلاء . كما كانت تقوم بتحصيل الضرائب من أراضيها المؤجرة للفلاحين .

وعلى الرغم أن المؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية الإقطاعية ، لم تكن ملزمة بتقديم خدمات الفرسان والسرجندية لملك بيت المقدس الصليبي ، من أجل القيام بالحملة العسكرية ضد المسلمين والدفاع عن حدود المملكة ضد الأخطار المحدقة بها ، أسوة بما كان يقدمه السادة الإقطاعيون في المملكة من خدمات حربية - كانت من أهم سمات النظام الإقطاعي الصليبي ، ومن الدعائم التي اعتمد عليها ملك بيت المقدس اعتماداً كبيراً في إعداد جيشه وتجهيزه - إلا أن الكثير من رجال الدين اللاتين كانوا يشاركون في الحملات العسكرية التي كان يقودها ملك بيت المقدس ضد المسلمين ، وكانت الكنائس والأديرة اللاتينية والطبقة البرجوازية في المملكة تقدم الخدمات الحربية للملك الصليبي بناء على ما بحوزتهم من أملاك ، وليس على أساس العلاقات الإقطاعية<sup>(٤٧٧)</sup>. ففي أغسطس (آب) عام ١٠٩٩م / رمضان عام ٤٩٢هـ اشترك البطريرك ارنولف مالكورون والأساقفة وبقية رجال الدين ، وعامة الصليبيين في بيت المقدس في المعركة التي قادها الأمير جودفري البويوني وكبار الأمراء من أمثال تانكرد ويوستاش البويوني ضد القوات الإسلامية بالقرب من عسقلان<sup>(٤٧٨)</sup> ، كذلك شارك البطريرك دايمبرت البيزي الأمير تانكرد وغيره من الأمراء في الاستيلاء على حيفا عام ١١٠٠م / ٤٩٣هـ<sup>(٤٧٩)</sup> كما شارك البطريرك جرmond بيكيني وافريمار رئيس أساقفة قيسارية -الذي حمل الصليب- الملك بلدوين الثاني في الحملة التي قادها لنجدة إمارة أنطاكية التي كانت تتعرض لهجوم إسلامي من قبل ايلغار بن ارتق التركماني ومعتمد الدولة طغتكين<sup>(٤٨٠)</sup> ، وقد قاتل البطريرك جرmond وافريمار إلى جانب الملك بلدوين الثاني في المعركة التي جرت بين الصليبيين والمسلمين بالقرب من دانيث Danith<sup>(٤٨١)</sup> في يوم الخميس الموافق الرابع عشر من أغسطس (آب) عام ١١١٩م / الخامس من جمادي الأولى عام ٥١٣هـ<sup>(٤٨٢)</sup>. وهذه الأمثلة توضح أن رجال الدين اللاتين وعلى رأسهم البطريرك ورؤساء الأساقفة والأساقفة كانوا يشاركون إلى جانب كبار الأمراء والفرسان في المعارك التي كان يقودها ملوك بيت المقدس ضد المسلمين . ويشير مثال آخر إلى أن رجال الدين اللاتين وبالتعاون مع كبار الأمراء في المملكة ، كانوا يعقدون الاتفاقات مع الجاليات الإيطالية من أجل مساعدتهم في الاستيلاء على بعض المدن الإسلامية . ومن



قبيل هذا ما حدث عندما أرسل رجال الدين اللاتين وكبار الأمراء في مملكة بيت المقدس ، وفداً إلى دوق البندقية الذي وصل إلى الأراضي المقدسة . وقد حمل الوفد المكون من الرجال الحكماء الشرفاء لدوق البندقية وكبار رجاله وقواده تحيات البطريرك جرموند بكيني ، ووليم بور كندسطل Condstable المملكة ووكيلها ، وباينز Payens مستشار الملك ، ورؤساء الأساقفة ، والأساقفة ، وبقية الرجال العظماء في المملكة<sup>(٤٨٣)</sup> . وبعد زيارة الوفد لدوق البندقية ، توجه الأخير لزيارة بيت المقدس ، حيث استقبل استقبالاً حافلاً ، وطلب منه رجال الدين اللاتين والأمراء المساعدة وتعزيز مركز المملكة اللاتينية ، وأثنا تواجد البطريرك جرموند وكبار السادة في المملكة تم الاتفاق مع دوق البندقية على غزو إحدى المدينتين الساحلتين صور أو عسقلان<sup>(٤٨٤)</sup> ، وبعد مشاورات تم الاتفاق على غزو مدينة صور<sup>(٤٨٥)</sup> . ونتيجة لذلك عقد البطريرك وبقية الأمراء اجتماعاً في مدينة عكا ، حيث كان يرسو الأسطول البندقي . وفي عكا تم إعداد وتنظيم كل ما هو ضروري للحملة ، ثم باشر الجيش الصليبي زحفه صوب مدينة صور ، وبدأ حصاره لها براً وبحراً في يوم السبت الموافق السادس عشر من فبراير عام ١١٢٤م / الثامن والعشرين من ذي الحجة عام ٥١٧هـ<sup>(٤٨٦)</sup> . وبعد حصار استمر نحو أربعة شهور ، تمكن الصليبيون من الاستيلاء على مدينة صور في يوم الأحد الموافق التاسع والعشرين من يونيو عام ١١٢٤م / الرابع عشر من جمادي الأولى عام ٥١٨هـ<sup>(٤٨٧)</sup> . يتضح مما سبق أن رجال الدين اللاتين وعلى رأسهم البطريرك وكبار الأمراء وخاصة الأمير وليم بور عقدوا اتفاقاً مع دوق البندقية ، واستولى الطرفان على مدينة صور ، أثناء غياب الملك بلدوين الثاني عن المملكة ، إذ كان قد وقع أسيراً بيد ملك بن بهران صاحب حصن خرتبرت<sup>(٤٨٨)</sup> . وقد تصرف البطريرك جرموند كنائب للمملكة أثناء وقوع الملك في الأسر<sup>(٤٨٩)</sup> . وهذه الأمثلة تؤكد على أن رجال الدين كانوا يشاركون في الحملات والغزوات التي كان يقودها الملك بنفسه ، إلى جانب أنهم كانوا يشتركون في قيادة القوات الصليبية أثناء تغيب الملك .

ولا يعني عدم إلزام المؤسسات الكنسية اللاتينية في المملكة بتقديم خدمات الفرسان والسرجنديّة للملك أثناء قيامه بالحملات العسكرية ، أنها لم تكن تسهم بالمجهود الحربي ، بل على العكس فقد شاركت بتقديم بعض الفرسان وعدداً كبيراً من السرجنديّة فكانت أسقفية الرملة تزود الجيش الملكي بعشرة فرسان ، بينما كانت أسقفية الناصرة تقدم ستة فرسان<sup>(٤٩٠)</sup> . وكان أساقفة الرملة والناصره هم الذين يقدمون خدمات الفرسان من بين جميع الأساقفة<sup>(٤٩١)</sup> . وكان بطريرك بيت المقدس يزود الجيش الملكي بخمسمائة سرجندي والعدد نفسه كان يقدمه رجال الدين في كنيسة القيامة . وكان أساقفة طبرية وسبسطية وبيت لحم واللد



يزودون الجيش الملكي بمائتي سرجندي لكل منهما، بينما كان رؤساء أساقفة صور والناصرية وقيسارية وأسقف عكا يقدمون مائة وخمسين سرجندياً لكل منهما. وكان أسقف الجليل وسيسطية يقدمان خمسين سرجندياً لكل منهما. كذلك أسهمت الأديرة الكبيرة في مملكة بيت المقدس الصليبية بتزويد الجيش الملكي بالسرجندية فكان رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط يقدمون مائة وخمسين سرجندياً والعدد نفسه كان يقدمه رهبان دير جبل صهيون. وكان رهبان دير جبل طابور يقدمون مائة سرجندياً بينما كان رهبان دير جبل الزيتون يقدمون خمسين سرجندياً، ونفس عدد السرجندية كان يقدمه كل من رهبان القديسة مريم للآتين ورجال الدين في معبد السيد Templum Domini (٤٩٢). وهكذا كانت المؤسسات الكنسية اللاتينية في المملكة تقدم الفرسان والسرجندية للملك من أجل القيام بالحملات العسكرية والدفاع عن حدود المملكة.

وبطبيعة الحال لم يكن إسهام رجال الدين والمؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية عن طريق تقديم الخدمات الحربية للملك، نظير ما حازوه من إقطاعات في مختلف المناطق التي خضعت لحكم ملك بيت المقدس، إنما يرجع إلى رغبة رجال الدين في الوقوف إلى جانب الملك والدفاع عن حدود المملكة، ضد المسلمين الذين كانوا دوماً يتحفزون لاسترداد بلادهم من المغتصبين. بينما كان السادة الإقطاعيون يقدمون خدمات الفرسان والجند كواجب من واجبات التبعية للملك. ويتضح من خلال ما كانت تقدمه المؤسسات الكنسية اللاتينية من خدمات حربية، أنها كانت تمتلك ثروات هائلة من خلال امتلاكها لكثير من الإقطاعات التي كانت تزداد باستمرار والدليل على ذلك قدرة هذه المؤسسات على تجهيز بعض الفرسان وعدد كبير من السرجندية للاشتراك في الحملات التي كان يقودها ملك بيت المقدس.

وتجدر الإشارة إلى أن حجم الإقطاع الكنسي ومساحته كان قد تأثر بعدة مؤثرات سلبية في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٣١ م / ٤٩٢-٥٢٥ هـ، وكانت بعض هذه المؤثرات نابعة من داخل الكيان الصليبي نفسه، بينما كان بعضها الآخر نتيجة لعوامل خارجية فرضتها الظروف المحيطة بمملكة بيت المقدس الصليبية بصفة عامة وبالإقطاعات الكنسية بصفة خاصة. وثمة عامل آخر كان له آثار سيئة على الإقطاعات الكنسية، ونقصد بذلك الكوارث الطبيعية مثل الهزات الأرضية والآفات التي دمرت المحاصيل في مختلف البلاد الخاضعة للسيطرة الصليبية في الأراضي المقدسة، وذلك خلال الفترة الواقعة بين عامي ١١١٤-١١١٨ م / ٥٠٧-٥١٠ هـ. (٤٩٣)

أما عن المؤثرات السلبية التي تعرضت لها الإقطاعات الكنسية من داخل الكيان الصليبي، فتتمثل في النزاع الذي نشب بين السلطة الدنيوية بزعامة



الملك والسلطة الدينية بزعامه البطريك من أجل السيطرة على مقاليد الأمور في المملكة . وقد اتضح من خلال الدراسة أن المؤسسات الكنسية لم تحصل على أية إقطاعات خلال فترة النزاع بين الملك بلدوين الأول والبطريك دايمبرت ، بل على العكس من ذلك قام الملك بالاستيلاء على جميع الأموال التي كانت موجودة في خزائن البطريكية<sup>(٤٩٤)</sup> . كذلك لم يقيم الملك بلدوين الأول بإغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة إلا بعد أن تأكد من مساندتها له<sup>(٤٩٥)</sup> . وليس من شك في أن الإقطاعات الكنسية كانت قد تأثرت مرة أخرى بالنزاع الذي نشب بين الملك بلدوين الثاني والبطريك ستيفن الشارترى في الفترة الواقعة بين عامي ١١٢٨ - ١١٣٠ م / ٥٢٢ - ٥٢٤ هـ ، وكان البطريك قد حاول إحياء السلطة البطريكية ، وطالب بالحصول على بيت المقدس ويافا لكي تصبح هاتان المدينتان من ضمن الإقطاعات الكنسية ، لكن الملك بلدوين الثاني لم يستجب لهذه المطالب ، على الرغم من أن حكمه قد اضطرب خلال تلك الفترة<sup>(٤٩٦)</sup> .

ويبدو أن الإقطاعات الكنسية كانت قد تأثرت بالنفقات الكثيرة التي كان ينفقها كبار رجال الدين مثل رؤساء الأساقفة والأساقفة في مملكة بيت المقدس ، ويرجع ذلك لأن الأسقف اللاتيني كان سيداً عظيماً في أسقفيته ، وكان يحيط به مجموعة من رجال الدين ، يشكلون حاشية كبيرة ، وبطبيعة الحال كان هؤلاء يحتاجون إلى مصاريف كبيرة ، ولذلك كان لابد من المحافظة على رزق الأسقف وأرزاق حاشيته . وكان رئيس أساقفة الناصرة يطلب من دير القديسة مريم في وادي يهوذا فاط ، حسن الضيافة له ولحاشيته مدة يوم واحد في العام ، وذلك عندما كان يقوم بزيارة بيت المقدس . وكان رئيس أساقفة الناصرة يطلب من رجال الدين في دير القديسة مريم ، أن يقوموا بإطعام جميع أفراد حاشيته البالغ عددهم عشرين رجلاً مع خيولهم<sup>(٤٩٧)</sup> . وهذا يعني أن دير القديسة مريم كان يتحمل جميع نفقات رئيس أساقفة الناصرة وحاشيته ، لمدة يوم واحد في العام ، وأثناء تواجدهم في بيت المقدس .

كذلك تأثرت المؤسسات الكنسية بما كانت تدفعه من رواتب لرجال الدين الذين يعملون في الكنائس الكتدرائية ، خاصة وأن هؤلاء كانوا يعيشون كجماعات ولم تكن رواتبهم محددة ، وفي يوم الثلاثاء الموافق الرابع والعشرين من مارس عام ١١٠٣ م / الثالث عشر من جمادي الآخرة عام ٤٩٦ هـ قام البطريك افريمار بتحديد رواتب رجال الدين الذين يعملون في كنيسة القيامة ، وقد ثبت رواتبهم بمائة وخمسين بيزنط في العام ، أما فيما يتعلق بالمبالغ الإضافية التي تزيد عن المبلغ المحدد ، فكان يتم دفعها إلى قائد جوقة الترتيل ورئيس المدرسة الكتدرائية في كنيسة القيامة . وكان أمين الخزينة في كنيسة القيامة يحصل على مبلغ



مائة بيزنط إضافية كل عام ، ونفس المبلغ كان يحصل عليه نائب رئيس الكنيسة<sup>(٤٩٨)</sup> . كذلك تأثرت المؤسسات الكنسية بما كانت تقدمه من خدمات حرية للملك الصليبي في حالة الطوارئ . وقد أشرنا إلى أن بعض الأسقفيات كانت تقدم خدمات الفرسان ، بينما كانت الأسقفيات الأخرى والبطريرك والكنائس والأديرة تقدم خدمات السرجندية . ومن المعروف أن عملية إعداد الفرسان كانت باهظة التكاليف وقتذاك<sup>(٤٩٩)</sup> ، كما أن إعداد وتجهيز السرجندية كان يحتاج إلى أموال كثيرة من شأنها التأثير سلباً على الإقطاعات الكنسية ، وخاصة من الناحية الاقتصادية والاجتماعية ، لأن الفرسان والسرجندية الذين كان يتم إعدادهم عن طريق المؤسسات الكنسية كانوا في معظمهم من رجال الدين ومن الأوروبيين الذين يعيشون في الإقطاعات الكنسية ، وبطبيعة الحال كانوا معرضين للقتل أو الإصابة أو الوقوع في الأسر ، وهذا من شأنه أن يؤثر على الحياة الاجتماعية في الإقطاعات الكنسية .

أما فيما يتعلق بالعامل الخارجي وتأثيره السلبي على الإقطاعات الكنسية خلال تلك الفترة ، فيتمثل بالغارات الإسلامية المتواصلة على مملكة بيت المقدس الصليبية ففي عام ١١١٣م / ٥٠٧هـ تعرضت المملكة لهجوم إسلامي بقيادة الأمير مودود صاحب الموصل وظهر الدين طغتكين صاحب دمشق اللذين قاما باجتياح جميع البلاد الواقعة بين عكا وبيت المقدس ، حيث «قتلوا من ظفروا به من النصارى» ، إضافة إلى التدمير والخراب الذي أصاب تلك البلاد<sup>(٥٠٠)</sup> . وفي الوقت الذي كانت قوات الموصل ودمشق تهاجم المنطقة الممتدة من عكا إلى بيت المقدس ، تقدمت حامية عسقلان المصرية من الجنوب وتمكنت من الوصول إلى أسوار بيت المقدس ، حيث قامت بحرق المزارع في المنطقة ، كما قتلت بعض الصليبيين الذين وجدتهم في طريقها ، ثم عادت مسرعة إلى عسقلان ، بسبب قلة عدد أفراد الجيش المصري المهاجم<sup>(٥٠١)</sup> . وبطبيعة الحال تعرضت الإقطاعات الكنسية - في المناطق التي تعرضت لهجوم القوات الإسلامية - لخسائر فادحة ، سواء من الناحية الاقتصادية أو العمرانية أو الاجتماعية ، اعتماداً على وصول القوات الإسلامية المهاجمة إلى حدود بيت المقدس ، ومن المعروف أن المؤسسات الكنسية كانت تمتلك الكثير من الإقطاعات في المنطقة ، فعلى سبيل المثال كان الأمير جودفري البويوني قد منح كنيسة القيامة إحدى وعشرين قرية في المنطقة ، وهذا يرجح أن الإقطاعات الكنسية تعرضت لكثير من الخسائر في حدود بيت المقدس ، إذ أُلغيت المزارع ودمرت المباني والمنشآت إلى جانب مقتل عدد من الصليبيين الذين تصادف وجودهم في المنطقة .

وتجدر الإشارة إلى أن الإقطاعات الكنسية في حدود بيت المقدس ، تعرضت لخسائر كبيرة عام ١١٢٤م / ٥١٨هـ ، وذلك عندما قامت القوات الإسلامية في عسقلان باجتياح حدود مملكة بيت المقدس الجنوبية ، وقد هاجمت هذه القوات مستوطنة البيرة - وهي إحدى الإقطاعات الكنسية التابعة لكنيسة القيامة - وتمكنت من الاستيلاء عليها بالقوة ، وقتلت وأسرت الكثير من سكانها ، بينما هرب الشيوخ والنساء والأطفال إلى البرج واحتموا به ، وبذلك نجوا من الموت . وبعد ذلك قامت القوات الإسلامية بمهاجمة جميع المناطق المجاورة لقرية البيرة ، وقتلت وأسرت كل



من وجدته في طريقها<sup>(٥٠٢)</sup>. وبناء على ما سبق نستطيع القول إن جميع الإقطاعات الكنسية الواقعة في حدود بيت المقدس، تعرضت لهجوم القوات الإسلامية. وهذا يعني أن جميع املاك كنيسة القيامة في المنطقة أصيبت بكثير من الخسائر المادية، فضلاً عن عمليات القتل التي تعرض لها سكان المنطقة من الصليبيين. ومن المرجح أيضاً أن تكون املاك الكنيسة الواقعة في المنطقة الممتدة من عسقلان إلى بيت المقدس قد تعرضت لهجوم القوات الإسلامية القادمة من عسقلان، اعتماداً على أن هذه الإقطاعات تقع على خط سير القوات الإسلامية.

ومن المؤثرات الأخرى التي أثرت تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية الكوارث الطبيعية التي تعرضت لها مملكة بيت المقدس الصليبية في الفترة الواقعة بين شهري ابريل ومايو عام ١١١٤م/ ذي القعدة وذي الحجة عام ٥٠٧هـ، إذ ابتليت الأراضي الزراعية في المملكة بموجات كبيرة من الجراد، قضت على المحاصيل وتسببت في كارثة اقتصادية عمت جميع أنحاء البلاد الخاضعة للسيطرة الصليبية<sup>(٥٠٣)</sup>. وقد ذكر أحد المؤرخين الصليبيين المعاصرين أن مملكة بيت المقدس ابتليت بأسراب من الجراد والفئران المفترسة التي هاجمت الأراضي الزراعية ودمرت المحاصيل تدميراً كلياً. هذا من جانب الهزات الأرضية التي أصابت البلاد، وقد استمرت المملكة تعاني من هذه المشكلة لمدة أربع سنوات، الأمر الذي دفع الملك بلدوين الثاني إلى عقد اجتماع في مدينة نابلس عام ١١٢٠م/ ٥١٤هـ، وذلك من أجل مناقشة الكوارث التي أصابت المملكة وأثرت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية فيها<sup>(٥٠٤)</sup>. وبطبيعة الحال أسرع كبار رجال الدولة في المملكة إلى نابلس لحضور الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثاني ومن الذين حضروا جرموند بطريرك بيت المقدس وافرمار رئيس أساقفة قيسارية وبرنارد أسقف بيت لحم وبطرس رئيس دير جبل طابور وجيرارد رئيس كنيسة القيامة ويوستاش جارنيه وليم بور وارنولد رئيس دير جبل صهيون وروجر أسقف الرملة وآخرون<sup>(٥٠٥)</sup>. وهذا الاجتماع كان بمثابة انعقاد للمحكمة العليا تحت رئاسة الملك من أجل مناقشة تدهور أحوال المملكة في كافة المجالات.

وفي الختام نستطيع القول إن عوامل كثيرة أثرت تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية، وعلى نموها وتطورها في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة، غير أن هذه الإقطاعات كانت تزداد بصورة تدريجية بسبب استمرارية المنح والإقطاعات المقدمة من الملوك وكبار الأمراء وكذلك صغار النبلاء وأفراد الطبقة البرجوازية إلى المؤسسات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية.



## هوامش الفصل الثاني

(1) أشار لامونت La Monte إلى أن الصليبيين كانوا في حقيقة أمرهم جنوداً للصليب، كما يدل علي ذلك إسمهم. وقد تم تجنيدهم تحت إشراف الكنيسة، وبواسطة المبشرين بالحملة الصليبية، وبأمر من الباب شخصياً.

Cf. Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, p. 203.

أنظر أيضاً: جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الاسكندرية ١٩٦٧م، ص ٢٨٨.

(2) جوزيف نسيم يوسف: المرجع السابق، ص ٦٧.

(3) Richard, J., The Latin kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 97.

(4) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة الدكتور حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨م، ص ١١٤. يوجد في مدينة اللد كنيسة اسمها القديس جورج St. George (الخضر) التي أنشأها الإمبراطور البيزنطي جستنيان. وهناك من يقول إن جثمان القديس جورج لا يزال موجوداً في مدينة اللد التي تعرف أيضاً باسم ديوسبولس Diospolis أي مدينة الإله.

Cf. William of Tyre, Vol. 1, p. 332.

(5) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١١٤.

William of Tyre, Vol. 1, p. 332. Cf. also: Fulcher of Chartres.

(6) روبرت روين: أحد القساوسة النورمانديين الذين اشتركوا في الحملة الصليبية الأولى، وهو ينتمي لأسقفية روين.

Cf. Raimond d'Agiles, p. 292. William of Tyre, Vol. 1, p. 333.

(7) William of Tyre, Vol. 1, P. 333. Albert d'Aix, p. 461. Cf. also: Richard, J., op. cit., Vol. 1, p. 98.

ذكر المؤرخ المجهول أن القادة الصليبيين زودوا روبرت من روين بالذهب والفضة والجياد وغيرها من السائمة والأنعام ووهبوه الأعشار حتى يكون قادراً على العيش هو رجاله عيشة خالصة مشرفة. أنظر: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١١٤.

(8) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 79.

(9) سمعان Simon: كان بطريكاً أرثوذكسياً على بيت المقدس زمن حكم الأتراك السلاجقة لبلاد الشام، وقد اعتزل منصبه بعد وفاة ارتق بن اكسب التركماني. ويبدو أن حياته كانت مهددة بالخطر في بيت المقدس، بسبب الأوضاع السيئة التي كانت تعاني منها الأراضي المقدسة، وقد هرب إلى قبرص بصحبة عدد من كبار رجال الدين، غير أن التاريخ الحقيقي لهروبه غير معروف وذكر المؤرخون أنه كان يقيم في قبرص قبيل قيام الحروب الصليبية، وأنه مات فيها قبيل استيلاء الصليبيين على بيت المقدس بعدة أيام.

Cf. Albert d'Aix, p. 489. Runciman, S. Vol. 1, pp. 78, 222. Mayer, H. E., p. 61. Richard, J., Vol. 1, p. 98. Hamilton, B., op. cit., p. 12. Brehier, L., L'Eglise et l'orient au Moyen age les croisades, Paris 1928, p. 92.

(10) Hamilton, B., op. cit., loc. cit.

(11) ارنولف مالكورون من روز: كان معلماً خصوصياً لسيسليا Cecilia ابنة وليم الفاتح Robert of Normandy، وكان مرافقاً لروبرت النورماندي William the conqueror، وقد اشترك بالحملة الصليبية الأولى بصحبة ادو من بوي Ado of Bayeux شقيق وليم الفاتح. وكان ارنولف لا يزال شماساً مساعداً، وكانت حياته غير ثابتة وعلاقاته الغرامية موضوعاً للأغاني في المعسكر الصليبي.

Cf. Raoul de Caen, pp. 604, 683. Guibert de Nogen, p. 232. Cf. also:

Archer and Kingsford. op. cit. , p. 95. Mayer, H. E. , p. 61. Richard, J. , Vol. 1, p. 99.

(12) حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، ص ١٨٢-١٨٣.

Mayer H. E. , op. cit. , loc. cit.

(13) Richard, J. , The Political and Ecclesiastical Organization of the Crusader States, in Setton, Vol. 5, U. S. A. 1985, p. 235. Hamilton, B. , op. cit. , p. 12. Katzir, Y. , The Patriarch of Jerusalem, Primate of the Latin Kingdom, in Crusades and Settlement, p. 169.

(14) Iorga, N. , Breve Histoire des Croisades, Paris 1924, p. 66.

(15) Robert Le Moine, p. 870. Raimond d'Agiles, p. 301. Raoul de Caen, p. 704. William of Tyre, Vol. 1, p. 384.

(16) Fulcher of Chartres, p. 124.

(17) Raimond d'Agiles, p. 302.

(18) Mayer, H. E. , op. cit. , p. 61. Iorga, N. , op. cit. , p. 66.

حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، ص ١٨٢-١٨٣.

(19) Robert le Moine, Historia Iherosolimitana, p. 870.

(20) Raoul de Caen, Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana, p. 704.

(21) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١٢٠.

(22) Albert d'Aix Historia Hierosolymitana, p. 510.

(23) Raimond d'Agiler, op. cit. , pp. 301-302.

(24) William of Tyre, Vol. 1, p. 384.

(25) Ibid. , p. 385.

(26) Hamilton, B. , p. 12.

(27) Runciman, S. , op. cit. , Vol. 2, p. 85.

(28) Fink, H. p. 377. Hamilton, B. , op. cit. , loc. cit. , Katzir, p. 169.

ذكر المؤرخ المجهول أن انتخاب ارنولف كان في يوم عيد القديس بطرس. أنظر: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١٢٠.

(29) Richard, J. , The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 99.

(30) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج١، ص ٢٤٥.

(31) Runciman, S. , Vol. 1, p. 305. Mayer, H. E. , p. 66. Hamilton, B. , op. cit. , p. 16.

ذكر وليم الصوري أن انتخاب ارنولف أصبح باطلاً، وألغي بسرعة وسهولة، لأن انتخابه قبل بضعة شهور، كان قد تم دون ترو، بينما تم الاتفاق على تعيين دايمبرت في منصب البطريرك.

Cf. William of Tyre, Vol. 1, p. 404.

(32) Runciman, S. , op. cit. , loc. cit.

(33) Raoul de Caen, op. cit. , p. 704.

(34) Albert d'Aix, op. cit. , p. 512.

(35) Ibid. , p. 511.

(36) Ibid. , p. 512.

(37) Runciman, S. , op. cit. , loc. cit. Iorga, N. , op. cit. , p. 68.

Hamilton, B. , op. cit. , p. 16. Mayer, H. E. , op. cit. , p. 66.

ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن انتخاب ارنولف لم يكن عادياً وألغي من قبل البابا باسكال الثاني عام ١١٠٠م/ ٤٩٣هـ.

Cf. Richard, J. , The Latin kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 99.



(38) Fulcher of Chartres, pp. 39, 139. Cf. also: Raoul de Caen, p. 704.

ذكر وليم الصوري أن انتخاب دايبرت في منصب البطريركية تم بالإجماع، بعد تشاور مدروس وتام.  
Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 402.

وأشار راؤول دي كاين إلى أن ارنولف لم يعترض على انتخاب دايبرت، بل أنه قال بكل سرور،  
إنه يأمل للمسيحية ازدهاراً أعظم في عهد دايبرت.

Cf. Raoul de Caen, Gesta Tancredi in Expeditione Hierosolymitana, p. 704.

ذكر وليم الصوري أيضاً أن ارنولف أجبر على ترك الوظيفة بسرعة، بعد أن تولاها بالكذب، وبمساعدة  
نصيره الوقح ذو الإدارة السيئة (يقصد روبرت النورماندي).

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 385.

(39) Stevenson, W., op. cit., p. 42.

(40) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 404.

كان جودفري قد رشح أخاه بلدوين سيد الرها كأحد الذين يخلفونه في حكم بيت المقدس.

Cf. Stevenson, W., op. cit., loc. cit.

(41) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٧٠.

(42) Atiya, A. S., Crusade, Commerce and Culture, Bloomington 1962, p. 64.

(43) Albert d'Aix, op. cit., pp. 520-521. Cf. also: Fink, H., op. cit., p. 380.

(44) وارنر جراي: هو أحد أقارب الدوق جودفري، وكان مقاتلاً شجاعاً، ذكره وليم الصوري  
باسم الكونت جانير Ganier، وقد استولى على برج داود بعد وفاة الدوق جودفري، وأرسل في  
طلب شقيقه بلدوين.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 418.

(45) William of Tyre, Vol. 1, pp. 417-418. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, pp. 201-202. Fink, H., op. cit., loc. cit.

(46) Ibid., loc. cit.

(47) Albert d'Aix, pp. 526-527. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 202. Fink, H., op. cit., loc. cit. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 99. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 85.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٧١-٢٧٠.

(48) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧١.

(49) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٤٣.

(50) Albert d'Aix, pp. 526-527. Cf. also: Mayer, H. E., op. cit., p. 165.

أنظر أيضاً: سعيد عاشور: المرجع السابق، ج ١، ص ٢٧٠.

(51) Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 352. Mayer, H. E., op. cit., p. 165.

(52) Fulcher of Chartres, p. 143. Cf. also: Runciman, S., op. cit., loc. cit. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 213. Fink, H., op. cit., p. 381.

(53) Albert d'Aix, p. 532. Cf. also: Runciman, S., op. cit., loc. cit.

أنظر أيضاً: حسن حبشي: الحرب الصليبية الأولى، ص ١٩٤-١٩٥.

(54) Fulcher of Chartres, p. 143. William of Tyre, Vol. 1, pp. 425-426. Runciman, S., op. cit., loc. cit. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 214.



جبل صهيون: يقع جنوب شرق بيت المقدس، وقد أقيمت عليه كنيسة تحمل نفس الاسم. أنظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ٢٣٦.

Antressian, A., The Timeless Holy Land, 2ed, Jerusalem 1979, p. 72.

(55) William of Tyre, Vol. 1, pp. 425-426.

(56) Albert d'Aix, p. 538. Cf. also: Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, pp. 72, 81.

(57) Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 325.

(58) William of Tyre, Vol. 1, p. 425. Albert d'Aix, pp. 526-527. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, pp. 201-202. Runciman, op. cit., loc. cit.

(59) Runciman, S., op. cit., loc. cit. Hamilton, B., op. cit., p. 55. Archer, and Kingsford, op. cit., p. 134.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٧٧.

(60) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 427.

ذكر فوشيه الشارترى أن دايبرت وقع معاهدة سلام مع السيد بلدوين وعدد من رجال الدين في كنيسة القيامة، لأن الرجال أصحاب العقول عملوا من أجل الوصول إلى هذا الأمر.

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 147.

(61) Fulcher of Chartres, p. 148, Albert d'Aix, pp. 536-537, 644.

William of Tyre, Vol. 1, p. 427. Monitum in Balduini III, p. 177.

Cf. also: Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 326. Vol. 2, pp. 72,

81. Hamilton, B., op. cit., p. 55. Fink, H., op. cit., pp. 381-382.

Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 288.

(62) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 425.

(63) La Monte, op. cit., p. 204.

(64) Ibid, loc. cit.

(65) البابا باسكال الثاني: تولى المنصب البابوي في أغسطس عام ١٠٩٩م/ رمضان ٤٩٢هـ، بعد وفاة البابا أربان الثاني، وقد اتخذ بعض القرارات لصالح بطريركية بيت المقدس، عندما صرح بأن المدن والمقاطعات التي استولى عليها الملك بلدوين الأول والتي سيستولي عليها في المستقبل تخضع لسلطة مملكة بيت المقدس، وقد أرسل في هذا الشأن عدة رسائل للملك بلدوين الأول وإلى البطريرك جبيلين. وتوفي باسكال الثاني في يوم الجمعة الموافق الثامن عشر من يناير عام ١١١٨م/ الثالث والعشرين من رمضان عام ٥١١هـ.

Cf. William of Tyre, Vol. 1, pp. 213, 523. Cf. also: Hamilton, B., op. cit., p. 150

لم يظهر باسكال الثاني صداقة كبيرة نحو الإمبراطورية البيزنطية والكنائس الأرثوذكسية، وهو بذلك كان أقل اهتماماً من أربان الثاني. Hamilton, op. cit., p. 14.

(66) موريس أوف بورتو: كان أحد الكرادلة الاثني عشر في الكنيسة الرومانية المقدسة، كما كان أسقفاً لمدينة بورتو، وقد أرسله البابا باسكال الثاني إلى الأراضي المقدسة، بسبب توصلات الملك بلدوين، للتحقيق في الشكاوي المقدمة منه ضد البطريرك دايبرت. وقد استقل موريس إحدى سفن الأسطول الجنوبي المتجه للأراضي المقدسة، في أغسطس عام ١١٠٠م/ = شوال عام ٤٩٣هـ وعندما وصل الأسطول إلى اللاذقية Leodicia نزل الكاردينال موريس من السفينة التي كانت تقله. ويبدو أنه أكمل طريقه لبيت المقدس عن طريق البر. وقد توفي الكاردينال عام ١١٠٢م/ ٤٩٦هـ.

Cf. Albert d'Aix, p. 539. Hagenmeyer, H., op. cit., Vol. VI, pp. 349-350. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 290. note 91.

Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 82. Hamilton, B., op. cit., p. 55.



(67) Albert d'Aix, pp. 538-539. Cf. also: Runciman, S., Vol. 2, p. 81.

(68) Albert d'Aix, p. 538.

(69) Ibid., pp. 538-539.

(70) Albert d'Aix, pp. 538-539. Raint, O., *Inventaire Critique des Lettres Historiques des Croisades*, in A.O.L. tome I. Paris 1881, p. 212.

Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 290. La Monte, op. cit., p. 204.

(71) Albert d'Aix, op. cit., pp. 538-539. Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 290. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 81. La Monte, op. cit., p. 204. Fink, H., op. cit., p. 382. Hamilton, B., op. cit., p. 55.

(72) Runciman, S., op. cit., loc. cit.

(73) جبل الزيتون: يقع بالقرب من بيت المقدس وإلى الشرق منها، ويفصله عن المدينة وادي يهوذا، الذي يعرف أيضاً بـ «وادي القديسة مريم»، «وادي جهنم»، «وادي سلوان»، «وادي النار»، «وادي قدرون» وسمي جبل الزيتون بهذا الاسم لكثرة أشجار الزيتون المزروعة عليه، وهو مكان جميل جداً، وأطلق عليه الصليبيون اسم جبل الأنوار، لأنه أعلى من بيت المقدس، وتعكس عليه أنوار معبد السيد بالليل، ولذلك أطلق عليه جبل الأنوار، ويدعى أيضاً بجبل الطور، وذكره المؤرخون العرب باسم «طور زيتا». ويوجد على الجبل أشجار الزيتون والتين والعنب، كما يزرع على سفح الجبل القمح الجيد.

Cf. Ludolph von Suchem's, *Description of the Holy Land* Vol. XII, trans. by Aubrey Stewart, London 1895, pp. 112-113, in P.P.T.S.

أنظر أيضاً: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، بيروت ١٩٧٤م، ص ١٥-١٧.

(74) Albert d'Aix, op. cit., pp. 539-540. Cf. also: Grousset, R., op. cit., loc. cit. Runciman, S., op. cit., loc. cit.

البيزنط (Besant) (Bezant): هي عبارة عن عملة ذهبية بيزنطية، سميت بهذا الاسم نسبة إلى بيزنطة (القسطنطينية). وكانت هذه العملة متداولة بكثرة في العصور الوسطى حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي على وجه لتقريب، وكانت البيزنط أحياناً تعادل العملة الأرمنية المعروفة بـ (التاهجان Tahegan) وكانت تقسم إلى عشرة أقسام مثلها مثل التاهجان. وكانت البيزنط قديماً تعرف بالهيريرون Hyerperon وكانت تمتاز باستقرار قيمتها الذهبية، وكانت البيزنط تعادل حوالي ثلاثة ونصف جرام من الذهب. وعلى الرغم من ذلك فقد كان هناك اختلافات حجم الذهب، ويمكن أن يحدد سعر العملة بواسطة تحديد دقيق لتاريخها. انظر: د. جوزيف نسيم يوسف: العدوان الصليبي على مصر «هزيمة القديس لويس التاسع في المنصورة وفارسكور»، الطبعة الأولى، الاسكندرية ١٩٦٩م، ص ٢١٦، حاشية (٢)- د. محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل، الاسكندرية ١٩٨٥م، ص ٦٤، حاشية (١)- د. محمود سعيد عمران: الحملة الصليبية الخامسة، الطبعة الثانية، الاسكندرية ١٩٨٥م، ص ٢٧١، حاشية (٧).

Cf. Boasc, T. S. B., *kingdoms and Strongholds of the Crusaders*, London 1971, p. 38.

(75) Albert d'Aix, op. cit., pp. 540-541. Cf. also: Grousset, R., op. cit., loc. cit. Runciman, S., op. cit., loc. cit.

(76) Albert d'Aix, op. cit., p. 540. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 290.

(77) المارك: كان هناك نوعان من هذه العملة، أحدهما من الذهب والآخر من الفضة، والمارك الذهبي تتراوح قيمته من ثمانية إلى عشرة ماركات فضية، ويزن الواحد منها ٣، ٢ جرام، وبذلك تصبح قيمة المارك الذهبي على أقل تقدير ما يساوي ١٨، ٤ وعلى أقصى تقدير ما يساوي ٢٣ جرام من الفضة. أنظر: د. محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية، ص ١٥٩، حاشية (١).

(78) Albert d'Aix, op. cit., p. 545. Cf. also: Grousset, R., p. 290.



(79) Albert d'Aix, op. cit., p. 546.

(80) Ibid., pp. 546-547. Cf. also: Archer and Kingsford, op. cit., p. 134.

ذكر البرت دكس Albert d'Aix أن الملك بلدوين الأول دخل على البطريك دايمبرت والكاردينال موريس وهما يتناولان الطعام ويشربان النبيذ ووجه لهما كلمات عنيفة بقوله: «أنتما في الاحتفالات، ونحن مغموسون في المتاعب، والمخاطر ليلاً ونهاراً من أجل أمان إخواننا، أنتما تأخذان نذور المؤمنين لتنفقها في ملذاتكم، وتتجاهلان ما نحن فيه من ضيق وأخطار...».

Cf. Historia Hierosolymitana, p. 546.

(81) Albert d'Aix Historia Hierosolymitana, p. 548. Cf. also: Grousset, R., Vol. 1, p. 292. Runciman, S., Vol. 2, p. 82. Hamilton, B., p. 55.

(82) Albert d'Aix, p. 548. Runciman, S., op. cit., loc. cit.

(83) William of Tyre, Vol. 1, p. 452. Runciman, S., op. cit., loc. cit. أنظر أيضاً: سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٩١.

(84) Runciman, S., op. cit., loc. cit. Hamilton, B., op. cit. pp. 55-56.

(85) Albert d'Aix, 548.

(86) Runciman, S., Vol. 2, p. 82. Grousset, R., Vol. 1, p. 292.

ذكر البرت دكس Albert d'Aix أن الملك بلدوين الأول كان قد أبقى الكاردينال موريس إلى جانبه وأحاطه بكل عناية وتكريم.

Cf. Historia Hierosolymitana, p. 548.

(87) ذكر أحد المؤرخين أن الكاردينال موريس توفي في ربيع عام ١١٠٢م / ٤٩٦هـ، بينما أشار آخر إلى أن الوفاة كانت في شتاء عام ١١٠١م / ٤٩٦هـ.

Cf. Runciman, S., op. cit., loc. cit. Hamilton, B., op. cit., p. 55.

(88) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 99.

(89) La Monte, op. cit., p. 204.

(90) Albert d'Aix, p. 511.

(91) Guibert de Nogen, p. 529.

(92) Albert d'Aix, p. 598. Cf. also: Hamilton, B., op. cit., p. 56.

روبرت الباريسي: أسقف روما ومندوبها، أرسله البابا باسكال الثاني إلى الشرق بعد وفاة موريس، من أجل التحقيق في الأمور التي وقعت في الكنيسة الشرقية.

Cf. Albert d'Aix, loc. cit.

افريمار من شوكس: أحد رجال الدين اللاتين الذين حضروا مع الحملة الصليبية، وكان متقدماً في العمر، وهو ينتمي إلى نفس البلد التي ينتمي إليها البطريك ارنولف مالكورو - وقد حاز افريمار ثقة جميع الصليبيين في الأراضي المقدسة بسبب تقواه العميقة، وشخصيته البسيطة وحياته المستقيمة وكرمه ونبل أخلاقه، وجرى انتخابه بطريكاً على بيت المقدس عام ١١٠٢م / ٤٩٦هـ وفي عام ١١٠٧م / ٥٠١هـ تم عزله عن كرسي البطريكية، وتم تعيينه رئيس أساقفة قيسارية بسبب شغور المنصب.

Cf. William of Tyre, Vol. 1, pp. 452-468. Albert d'Aix, pp. 600, 659.

(94) Albert d'Aix, pp. 599-600. William of Tyre, Vol. 1, p. 452. Hamilton, B., op. cit., loc. cit.

(95) Historia Hierosolymitana, p. 600.

(96) William of Tyre, A History of Deeds done Beyond the Sea, Vol. 1, p. 452.

(97) William of Tyre, Vol. 1, p. 467. Albert d'Aix, p. 654. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 50, p. 10.



جبلين من سابران : هو مندوب السدة البابوية الذي أوفده الباب باسكال الثاني من أجل التحقيق في عملية ارتقاء افريمار لكرسي بطريركية بيت المقدس ، وطلب منه البابا أن يبادر إلى عقد اجتماع لأساقفة المملكة ، من أجل استقصاء الحقيقة . وكان جبلين رئيساً لأساقفة ارلز Arles ، كما كان متقدماً في العمر .

Cf. William of Tyre , op . cit . , loc . cit . Röhricht , R . , Regesta , Doc . No . 50 , p . 10 .

(98) Richard , J . , the Latin Kingdom , Vol . 1 , p . 99 . Hamilton , B . , p . 57 .

(99) William of Tyre , op . cit . , loc . cit .

(100) de Rozière , op . cit . , Doc . No . 10 , p . 8 .

(101) William of Tyre , Vol . 1 , pp . 452 , 468 .

(102) Historia Hierosolymitana , p . 658 .

(103) Albert d'Aix , p . 659 .

(104) William of Tyre , p . 468 . de Rozière , Doc . No . 25 , p . 46 .

Albert d'Aix , op . cit . , Loc . cit . Richard , J . , The Latin Kingdom , Vol . 1 , p . 99 .

ورد في إحدى الوثائق المؤرخة عام ١١٠٨م / ٥٠١هـ أن جبلين كان بطريركاً على بيت المقدس في هذه الفترة .

Cf. Röhricht , R . , Regesta , Doc . No . 54 , p . 11 .

(105) William of Tyre , op . cit . , loc . cit .

(106) William of Tyre , op . cit . , Vol . 1 , p . 452 .

(107) de Rozière , doc . No . 42 , pp . 79-80 , Hamilton , B . , p . 58 .

(108) Ibid . , loc . cit .

(109) William of Tyre . Vol . 1 , p . 489 . de Rozière , op . cit . , loc . cit .

110) Röhricht , R . , Regesta , Docs . Nos . 63-34 , p . 14 . Besant and Balmer , op . cit . , p . 248 . Runciman , S . , op . cit . , Vol . 2 , p . 85 .

Richard , J . , The Latin Kingdom of Jerusalem , Vol . 1 , p . 99 . Richard , J . , The Political and Ecclesiastical Organization , p . 237 . Hamilton , B . , op . cit . , p . 61 .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، ج١ ، ص ٣٢٥ .

Röhricht , R . , op . cit . , Doc . No . 64 , p . 14 . Besant and Palmer , op . cit . , loc . cit .

(111) William of Tyre , op . cit . , Vol . 1 , p . 489 .

(112) La Monte , p . 204 .

(113) Runciman , S . , Vol . 2 , p . 310 .

(114) Runciman , S . , Vol . 2 , p . 310 . Richard , J . , The Political and Ecclesiastical Organization , p . 237 .

(115) البطريرك ستيفن : كان رئيساً لدير القديس جون في شارتر ، وقدم إلى فلسطين في إحدى رحلات الحج ، وعندما توفي البطريرك جرموند ، وقع اختيار رجال الدين على ستيفن ليكون بطريركاً لبيت المقدس ، توفي عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ . وقد أشارت بعض الروايات إلى أنه مات مسموماً ، غير أن هذه الروايات لم تكن مؤكدة . وكان البطريرك ستيفن رجلاً موهوباً ، وقد أفادت منه الكنيسة كثيراً .

Cf. William of Tyre , Vol . 2 , pp . 39-40 . Cf. also : La Monte , J . , p . 10 . Dodu , G . , pp . 356-357 . Hamilton , B . , pp . 67-68 .

(116) William of Tyre , op . cit . , Vol . 2 , pp . 39-40 . Cf. also : Hamilton ,



op. cit. , p. 40 .

(117) La Monte , op. cit. , p. 205 .

(118) Fulcher of Chartres , p. 205 . Röhrich , R. , Regesta Doc. No. 81 , p. 19 . Cf. also : Richard , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , Vol. 1 , p. 100 . Richard , J. , The Political and Ecclesiastical organization , p. 237 . Hamilton , op. cit. , p. 63 .

(119) Richard , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , Vol. 1 , p. 100 . Richard , J. , The Political and ecclesiastical Organization , p. 237 .

السيمونية Simony : بمعنى الرشوة وبيع منصب الكهنوت وشرائه ، وقد سميت بهذا الاسم نسبة إلى سيمون الساحر اليهودي الذي أراد أن يشتري من القديس بطرس هبة الخوارق والإتيان بالمعجزات . وكان الأمراء الدنيويون الذين يخولون إدارة الأسقفيات والأديرة يتصرفون بالمناصب الكنسية لصالح أقربائهم وأعضاء أسرهم الخاصة ، كما أن الملكيات العقارية الغنية التابعة للكنائس والأديرة كانت موضع أطماع الكثيرين . ولا يتردد هؤلاء في بذل الأموال الطائلة ليقطعهم إياها الملك أو الأمير .  
أنظر : نور الدين حاطوم : تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، الجزء الأول ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٧ م . ص ٥٠٢ .

120) de Rozière , op. cit. , Doc. No. 11 , pp. 11-13 .

(121) ذكر وليم الصوري أن ارنولف زوج ابنة أخته إمّا Emma ، ليوستاش جارنيه Eustace Garnier ، ومنحها مدينة أريحا Jericho مهراً لها ، على الرغم أن أريحا كانت من أملاك كنيسة القيامة ، ويقدر دخلها الإجمالي بخمسة آلاف قطعة ذهبية . وتصرف ارنولف هذا كان من القضايا التي أثّرت ضده في الاجتماع الذي عقد في بيت المقدس عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ .

Cf. William of Tyre , Vol. 1 , p. 489 . Runciman , S. , Vol. 2 , 85 . Richard , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , Vol. 1 , p. 100 .

(122) William of Tyre , Vol. 1 , p. 489 . Cf. also : Hamilton , B. , op. cit. , p. 63 .

(123) Röhrich , R. , Regesta , Doc. No. 81 , p. 19 - Cf. also : William of Tyre , Vol. 1 , p. 505 , note 88 - Fulcher of Chartres , p. 205 - Richard , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , Vol. 1 , p. 100 . Richard , J. , The Political and Ecclesiastical Organization , p. 237 .

(124) de Rozière , op. cit. , Doc. No. 11 , pp. 11-13 .

(125) de Rozière , op. cit. , Doc. No. 11 , pp. 11-13 . Fulcher of Chartres , p. 205 . William of Tyre , Vol. 1 , p. 505 .

(126) Ibid. , loc. cit. .

(127) de Rozière , op. cit. , loc. cit. , Röhrich , R. , Regesta , Doc. No. 83 , p. 19 . William of Tyre , Vol. 1 , p. 506 , note 89 .

(128) Fulcher of Chartres , p. 221 . William of Tyre , Vol. 1 , p. 524 . Richard , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , Vol. 1 , p. 100 . Richard , J. , Political and Ecclesiastical Organization , p. 237 .

(129) Mayer , H. E. , op. cit. , pp. 165-166 .

(130) أنظر ما سبق من هذه الدراسة ، ص ١٦٣ .

(131) Hamilton , B. , op. cit. , p. 27 .

(132) أنظر ما سبق من هذه الدراسة ص ١١٩ .

(133) William of Tyre , Vol. 1 , p. 438 . Fulcher of Chartres , pp. 12 , 155 . Guibert de Nogen , pp. 182-183 , 251 .

بلدوين رئيس أساقفة قيسارية : هو أحد رجال الدين الذين حضروا مع الأمير جودفري إلى الأراضي



المقدسة، وكان قد أصبح رئيساً لمجموعة الرهبان التي تأسست في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط.

Guibert de Nogen، pp. 182-183. William of Tyre، Vol. 1، p. 392، note 24، p. 438، note 41.

ذكر جيبيرت دي نوجان Guibert de Nogen أن بلدوين وسم جبهته بشارة الصليب لكي يحصل على العديد من المنح بسبب تقواه.

Cf. Gesta، Dei Per Francos، p. 251. Cf. also: Fulcher of Chartres، p. 155، note 1، William of Tyre، Vol. 1، p. 438، note 41.

(134) Fulcher of Chartres، A History of the Expedition to Jerusalem، p. 155.

(135) Burchard of mount Sion، A Description of the Holy Land p. 94. Cf. also: Hamilton، B.، op. cit.، p. 58.

(136) Ibid.، p. 138.

(137) دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط: كان في الأصل كنيسة بيزنطية، كما أنه كان أكثر الأديرة رخاءً وغنى، إذ حصل على كثير من المنح والهبات في الأراضي المقدسة، ويقع بالقرب منه كنيسة الجثمانية Gethsemane.

Cf. Benvenisti، M.، op. cit.، p. 73.

(138) وادي يهوشافاط: يمتد شرقي بيت المقدس بين جبل الزيتون شرقاً وجبل موريا غرباً. وقد أطلق عليه المؤرخون في العصور الوسطى اسم وادي جهنم Jehenam، ويعتبر جزءاً من وادي قدرون Brook of Kidron. ويعرف وادي يهوشافاط بعدة أسماء منها «وادي مريم» و «وادي النار» و «وادي سلوان».

Cf. William of Tyre، op. cit.، Vol. 1، p. 341. Zevvi land، Lengeds of Jerusalem، U. S. A. 1975، pp. 261-266.

أنظر أيضاً: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ١٥-١٧. وذكر بورشارد من دير جبل صهيون أن وادي يهوشافاط يعتبر عميقاً إلى حد ما، وهو يمر بالجانب الشرقي من بيت المقدس عند سفح جبل الزيتون.

Cf. Burchard of mount Sion، A Description of the Holy Land، pp. 71-72.

(139) Kohler، Ch.، Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame de la Vallee de Josaphat en Terre Sainte، 1108-1291، in R. O. L.، tome VII، Paris 1899، Registres Nos. 175-176، pp. 113-114.

(140) William of Tyre، op. cit.، Vol. 2، p. 473. Jaques de Vitry، The History of Jerusalem، trans by Aubrey Stewart، London، 1896. p. 34.

(141) Hamilton، B.، op. cit.، p. 60.

لم يقم اللاتين بتعيين أساقفة مساعدين Syncelloi، لأنه لم يكن لهم نظير في الكنيسة الغربية. Cf. Hamilton، B.، op. cit.، loc. cit.

(142) Röhricht، R.، Regesta، Doc. No. 121، p. 30. Hamilton، B.، op. cit.، p. 67.

ورد ذكر وليم كرئيس لأساقفة الناصرة في وثيقة مؤرخة في مارس عام ١١٢٨م / ربيع الأول عام ٥٢٣هـ. وقد ورد اسمه كشاهد على المنح والهبات التي قدمها الملك بلدوين الثاني لكنيسة القيامة.

Cf. Röhricht، R.، op. cit.، loc.

وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن الناصرة ترقب إلى رئاسة أسقفية عام ١١٢٩م / ٥٢٤هـ. Cf. Katzir، Y.، op. cit.، p. 173.

(143) William of Tyre، op. cit.، Vol. 1، pp. 481-482. Jacques de vitry،



op. cit. , loc. cit.

(144) William of Tyre, op. cit. , Vol. 1, p. 481. Jacques de vitry, op. cit. , loc. cit.

(145) William of Tyre, op. cit. , Vol. 1, p. 482.

(146) اسكتينوس Aschetinus : كان أحد رجال الدين اللامعين في المملكة، كما كان قائداً لجوقة المرتلين في كنيسة بيت لحم، وقد جرى انتخابه ليكون أسقفاً على عسقلان، ولما كانت عسقلان لا تزال بيد المسلمين، فقد تم تعيين اسكتينوس أسقفاً على بيت لحم.

Cf. William of Tyre, Vol. 1, p. 482. Hamilton, B., op. cit. , p. 59.

(147) William of Tyre, op. cit. , loc. cit.

(148) Hamilton, B., op. cit. , p. 59.

(149) William of Tyre, loc. cit. Jacques de vitry, op. cit. , p. 34.

(150) Ibid, p. 483. Cf. also: Benvenisti, M., op. cit. , p. 160.

(151) William of Tyre, op. cit. , Vol. 1, p. 483.

(152) Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 59, p. 13. William of Tyre, Vol. 1, p. 483. Cf. also: Benvenisti, M. p. 160. Hamilton, B., op. cit. , p. 140.

(153) William of Tyre, Vol. 1, p. 467. Albert d'Aix, p. 659. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 50, p. 10.

(154) Hamilton, B., op. cit. , p. 59.

(155) Geneviève, B. B., op. cit. Acte 26, pp. 86-88. Beugnot, Lois, Assises de Jerusalem tome, II, Charte No. 4, p. 483. de Rozière, op. cit. , Doc. No. 29, pp. 54-55, Doc. No. 43, pp. 80-81, Doc. No. 54, pp. 102-107. Migne, tome 155. Doc. No. 29, Cols. 1121-1122. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 74, pp. 16-17. Benvenisti, M., op. cit. , p. 160.

(156) William of Tyre, Vol. 1, p. 483.

(157) de Rozière, op. cit. , Doc. No. 122, p. 225.

(158) Richard, J., The Political and Ecclesiastical Organization of the Crusader States, pp. 239. Runciman, op. cit. , Vol. 2, p. 311.

(159) Fulcher of Chartres, p. 176. Albert d'Aix, pp. 607-608. Monitum in Balduini, III, p. 180.

ابن القلانسي : تاريخ دمشق، ص ٢٣٢- ابن الأثير : الكامل، ج ١٠، ص ٣٧٣.

(160) Hamilton, B., op. cit. , pp. 27, 61.

(161) ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٦٩- سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٣١.

Fulcher of Chartres, pp. 13, 197.

(162) ابن القلانسي : المصدر السابق، ص ٢٧٤.

Fulcher of Chartres, p. 200. Richard, J., The Latin kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 26.

(163) William of Tyre, Vol. 1, p. 508. Hamilton, B., op. cit. , pp. 27, 61.

(164) Paschal II, Pope, Epistolae, in P. L., tomus 163, No. 323, Col. 289. William of Tyre, Vol. 1, p. 508. Geneviève, B. B., op. cit. , Acte I, p. 3. de Rozière, op. cit. , Doc. No. 12, pp. 12-13. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 60, pp. 13-14.

(165) Paschall II, Epistolae, in P. L., tomus 163, No. 324. Cols, 289-290. Fulcher of Chartres, pp. 269-270. William of Tyre, Vol. 1, p. 509. Genvieve, B. B., op. cit. , loc. cit. Röhricht, R., Regesta, Doc. No.



61، p. 14.

(166) Paschal II، P. L.، tomus 163، No. 323، Col. 289. William of Tyre، Vol. 1، p. 508. Geneviève، B. B.، Acte 1، p. 3. de Rozière، op. cit.، Doc. No. 12، pp. 12-13. Röhricht، R.، Regesta، Doc. No. 60، pp. 13-14.

(167) Hamilton، B.، op. cit.، p. 28.

(168) برنارد فالنس: أحد رجال الدين اللاتين، تولى منصب بطريرك أنطاكية عام ١١٠٠م/٤٩٣هـ، بعد رحيل البطريرك الأرثوذكسي جون الرابع إلى القسطنطينية وكان برنارد أسقفاً لارتاسيوم Artasium، ورافق ادهيمار أسقف بوي في الحملة الصليبية، وقد اختير بطريركاً لأنطاكية بموافقة رجال الدين والناس في المدينة، وتولى برنارد عام ١١٣٥م/٥٢٩هـ، بعد أن حكم بطريركية أنطاكية نحو خمس وثلاثين عام.

Cf. William of Tyre، Vol. 1، p. 297، Vol. 2، p. 60. Cf. also: Hamilton، B.، op. cit.، pp. 17، 29.

(169) William of Tyre، Vol. 1، p. 510. Hamilton، B.، op. cit.، p. 27.

(170) Ibid، loc. cit.

(171) William of Tyre، op. cit.، loc. cit. Röhricht، R.، Regesta، Doc. No. 66، p. 14.

(172) Hamilton، B. B.، op. cit.، p. 61.

(173) William of Tyre، Vol. 1، pp. 512-513. Röhricht، R.، Regesta، Doc. No. 73، p. 16.

(174) Paschal II، Pope، Epistolae، in P. L.، tomus 163، No. 359 Col. 316. William of Tyre، Vol. 1، p. 511.

(175) Paschal II، op. cit.، loc. cit. William of Tyre، op. cit.، loc. cit.

(176) Paschal II، op. cit.، tomus 163، No. 360، Cols، 316-317. William of Tyre، Vol. 1، p. 512.

(177) جرموند بيكيني: من أصل فرنجي، وحضر إلى الأراضي المقدسة من مدينة بيكيني Piquigny الواقعة في أسقفية أميينز Amiens، وقد تولى حكم بطريركية بيت المقدس عام ١١١٨م/٥١٢هـ، بعد وفاة البطريرك ارنولف مالكورون. وكان جرموند رجلاً أميناً مستقيماً يخاف الله، ومن خلال حسناته وفضائله التي ظهرت أثناء حكمه، اعتقد الناس أن السيد تطف بإنجاز العديد من الأعمال العظيمة. وفي عام ١١٢٨م/٥٢٢هـ كان جرموند يحاصر أحد الحصون في منطقة صيدا، وكان ملاذاً لقطاع الطرق والصوص، وهناك ابتلي بمرض خطير، وعانى سكرات الموت، وتم نقله إلى مدينة صيدا، حيث ازدادت وطأة المرض عليه، وتوفي يوم الجمعة السابع والعشرين من يولية عام ١١٢٨م/السابع والعشرين من رجب عام ٥٢٢هـ.

Cf. William of Tyre، Vol. 1، p. 524، Vol. 2، p. 39. Cf. also: Hamilton، B.، op. cit.، p. 65.

وذكر أحد المؤرخين الحديثين أن قدرات جرموند كانت تتمثل في رجالات الدولة والقادة العسكريين، أكثر منها في رجال الكنيسة. وقد استطاع أن يوجه المملكة ومعها الكنيسة اللاتينية، في فترة من أشد الفترات خطورة وحرراً، أثناء وقوع الملك بلدوين الثاني بيد نور الدين بك بن بهران صاحب خربت عام ١١٢٣-١١٢٤م/٥١٧-٥١٨هـ.

Cf. Hamilton، B.، op. cit.، p. 67.

(178) William of Tyre، Vol. 2، pp. 35، 61. Cf. also: Hamilton، B.، op. cit.، pp. 28، 66.

كان وليم رجلاً انجليزياً، وكانت حياته نموذجية جداً. وقبل انتخابه رئيساً لأساقفة صور كان يشغل منصب رئيس كنيسة القيامة في بيت المقدس.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 35-36. Hamilton, B, p. 66.  
(179) البابا هنوريوس الثاني: هو مواطن بولوني Bologna، وكان أسقفاً لـ Ostia ولكنه لم يكن يحمل اسم هنوريوس وإنما كان يدعى لامبرت Lambert وعندما توفي البابا Calixtus II عام ١١٢٤م/ ٥١٨هـ، جرى انتخاب لامبرت ليكون بابا روما، بعد أن تعرض انتخابه لبعض الصعوبات. وبعد انتخابه أصبح يعرف باسم هنوريوس الثاني، واستمر في حكم البابوية حتى عام ١١٣٠م/ ٥٢٤هـ.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 22-23.  
(180) William of Tyre, Vol. 2, pp. 36-37. de Rozière op. cit., Doc. No. 15, pp. 17-18. Röhricht, R., op. cit., Doc. Nos. 122-123, pp. 30-31. Hamilton, B., cit., p. 28.  
(181) Katzir, Y., op. cit., p. 171.  
(182) يوسف الدبس: تاريخ سورية: ج ٦، بيروت ١٩٠٢م، ص ١٧٠.  
Katzir, Y., op. cit., p. 173. Hamilton, op. cit., p. 68.  
كانت سبسطية أسقفية أرثوذكسية قبل قدوم الصليبيين.

Hamillton, B., op. cit., p. 68.  
ذكر كاتزير Katzir أن تاريخ إنشاء أسقفية سبسطية كان في عام ١١٢٩م/ ٥٢٣هـ.  
Cf. Patriarch of Jerusalem, Primate of the Latin Kingdom p. 173.  
(183) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 30, pp. 92-93.  
(184) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 30, pp. 92-93.  
(185) وليم الأول بطريرك بيت المقدس: ولد في Flemish، وكانت Malines موطنه الأصلي، وحضر إلى الأراضي المقدسة من فلاندرز Flanders، وبدأ عمله في كنيسة القيامة منذ عام ١١١٧م/ ٥١١هـ، وتدرج في المناصب الكنسية حتى أصبح رئيساً لكنيسة القيامة. وكان وليم رجلاً سهلاً بسيطاً يمتاز بالسمعة الطيبة والإخلاص والكرم ونبيل الشخصية، غير أنه لم يكن متعلماً. وقد نال احترام الملك والأمراء وكافة الناس في المملكة، لأنه لم يكن مهتماً بالسلطة أو بالنفوذ السياسي، كما أنه لم يكن مؤهلاً لاتخاذ أي قرار فيما يختص بالشؤون الدنيوية.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, p. 43. Hamilton, B., p. 68. Dodu, G., op. cit., p. 358.  
(186) Dodu, G., loc. cit.  
(187) William of Tyre, Vol. 2, pp. 39, 43. Cf. also: Hamilton, B., op. cit., loc. cit.  
(188) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 86.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥.  
(189) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.  
كان هؤلاء المسيحيون الأرثوذكس كاليونانيين والكرج، ومن المنشقين كالأرمن واليعاقبة والساطرة.  
Cf. Runciman, S., op. cit., loc. cit.  
(190) Ibid, pp. 86, 321.

(191) سعيد عاشور: المرجع السابق، ج ١، ص ٤٧١.  
(192) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 321.  
(193) Atiya, Aziz., S., Crusade Commerce Culture, pp. 65-66.  
(194) William of Tyre, Vol. 1, pp. 507-508.  
(195) Fulcher of Chartres, p. 271. Cf. also: Atiya, A. S. op. cit., p. 66.  
(196) Ibid. Loc. cit.  
(197) A History of the Expedition to Jerusalem, p. 271.  
(198) Ibid., loc. cit.



- (199) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 86.
- (200) Ibid., p. 321.
- (201) Dodu, G. pp. 370-371. Cf. also: Runciman, S., Vol. 2, p. 321.
- (202) دير القديس سابا: شيد هذا الدير على شرف القديس سابا أحد أتباع السيد المسيح عليه السلام، ودير القديس سابا هو من الأديرة الضخمة الجميلة، وكان يعيش فيه نحو ثلاثمائة راهب يوناني في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠٢-١١٠٣م / ٤٩٦-٤٩٧ هـ.
- Cf. Saewulf's Pilgrimage to Jerusalem and the Holy land, trans. by W. R. Brownlow. in P. P. T. S. Vol. IV, London 1889, p. 21.
- و دير القديس سابا مشهور جداً باسم دير مار سابا ويقع بين مدينة بيت لحم والبحر الميت
- Cf. Pilgrimage of the Russain abbot Daniel in the Holy Land trans. by C. W. Wilson, in P. P. T. S., Vol. IV, London 1888, p. 3, note 2.
- (203) Pilgrimage of Russain abbot Daniel, pp. 74-82. Cf. also: Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 321. Hamilton, B., op. cit., p. 166.
- (204) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 133, pp. 259-260. de Rozière, op. cit., Doc. No. 140, p. 256. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 409, pp. 106-107. Runciman, S., op. cit., loc. cit.
- (205) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 194.
- (206) Pilgrimage of Daniel, Introduction, p. x. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 86.
- (207) ذكر الحاج دانيال الروسي أن الملك بلدوين الأول التقاه في كنيسة القيامة ورحب به بأسلوب ودي وقال له: «ماذا تريد يا رئيس الدير الروسي؟» وقد طلب منه دانيال أن يضع مصباحه في كنيسة القيامة باسم جميع أهالي روسيا. وذكر دانيال أن الملك بلدوين الأول يمتاز بطيبته وإنسانيته العظيمة وتواضعه وبعده عن الكبرياء.
- Cf. Pilgrimage of the Rossian abbot Daniel, pp. 74-78.
- (208) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 537.
- (209) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣١٠-٣١١، ٤٧٢.
- Deanesly, M., A History of the Medieval Church, p. 84.
- (210) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 298.
- (211) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 391-392.
- (212) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 26, pp. 86-88. Beugnot, L., Assises de Jerusalem tome II, Charte No. 4, p. 483. de Rozière, op. cit., Doc. No. 29, pp. 54-55, Doc. No. 43, pp. 80-81. Migne, P. L., tomus 155, Doc. No. 29, Cols. 1121-1122. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 74, pp. 16-17.
- كانت كنيسة القديس يوحنا في سبسطية من الكنائس الكثرائية الكبيرة، وقد أضاف لها الصليبيون رواقاً من أجل استعمال رجال الدين. وقد هدم نصف الكنيسة، وتحول ما تبقى من المبنى إلى مسجد.
- Conder, op. cit., pp. 186-187. Benvenisti, M., op. cit., p. 345.
- (213) Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 100, pp. 22-23.
- (214) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 30, pp. 22, 93. de Rozière, op. cit., Doc. No. 43, pp. 80-81. Doc. No. 44, pp. 81-83. Bengnet, L., Chartes Nos. 10-11, pp. 488-490.
- (215) Hamilton, B., op. cit., pp. 140, 142.
- (216) William of Tyre, Vol. 1, p. 333. Albert d'Aix, p. 461. Cf. also: Richard, J., The Latin kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 98.



(217) هيو الأول من بوزية Hugh I of Puiset ينتمي لأسقفية اورلين Orlean وكان يتمتع بسلطة ومنزلة كبيرة بين أبناء شعبه، كما كان يتولى رعاية الحجاج القادمين من أوروبا إلى الأراضي المقدسة. وكان هيو خصماً لكل من فيليب الأول ولويس السمين، وأجبر على مغادرة بلاده إلى الأراضي المقدسة. وكان من أقارب بلدوين الأول، ولما وصل إلى بيت المقدس منحه الملك بلدوين الثاني مدينة يافا بكل توابعها عام ١١١٨م/ ٥١١هـ، لكنه لم يلبث أن توفي بعد حصوله على يافا بفترة وجيزة وألت أملاكه لابنه هيو الثاني من بوزية.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 70-71. Richard, J., Vol. 1, pp. 74, 87.

(218) William of Tyre, Vol. 1, p. 489, Vol. 2, p. 71. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 85. Richard, J., op. cit., Vol. 1, p. 100.

(219) William of Tyre, Vol. 1, p. 483.

(220) Ibid., p. 489.

(221) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 297.

(222) Hamilton, B., op. cit., p. 140.

(223) Benvenisti, M., op. cit., p. 217.

(224) نقولا زيادة: عالم العصور الوسطى في أوروبا، الطبعة الأولى، القدس ١٩٤٧م، ص ٩١.

(225) نقولا زيادة: المرجع السابق، ص ٩١.

(226) Hamilton, B., op. cit., p. 142.

(227) كفر مالك: تقع في أقصى حدود إقطاعية نابلس الجنوبية، وهي تبعد عن مدينة نابلس نحو ثلاثة وثلاثين كيلومتراً، ويحدها من الشمال قرية ترمسعيya Turmus Aya وخربة كفر استينا Xh Kafer Istina وتشتهر قرية كفر مالك بحقول الزيتون وكروم العنب وأشجار اللوز والتين، كما يزرع السكان الحبوب بأنواعها المختلفة، بينما تزرع الخضروات في خربة سامية القريبة منها، وذلك يعود لغزارة مياه العين الموجودة فيها، وهي نبع قوي وعذب، ولعله أقوى نبع في المنطقة. ويوجد ثلاثة ينابيع أخرى بجوار قرية كفر مالك. انظر مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٣٠٩-٣١١.

(228) بيت فوريك: تقع في الجنوب الشرقي من مدينة نابلس وتشتهر بزراعة الحبوب والقطاني، وقليل من الخضار، ويهتم سكانها بتربية الماشية، أنظر مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٣، ق ٢، ص ٢٩٢.

(229) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 30, pp. 92-93. Acte No. 31, pp. 94-95. de Rozière, op. cit., Doc. No. 43, pp. 80-81. Doc. No. 44, pp. 81-83. Beugnot, L., op. cit., tome II, Chartes Nos. 10-11, pp. 488-490. Migne, P. L., tomus 155, Doc. Nos. 43-44, Fols. 1132-1134. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 121, p. 30.

(230) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 42, pp. 115-119, Acte No. 45, pp. 123-126, Acte No. 59, pp. 150-151. de Rozière, op. cit., Doc. No. 53, pp. 97-101, Doc. No. 54, pp. 102-107. Beugnot, Lois, op. cit., tome II, Charte No. 34, pp. 516-518. Migne, P. L., tomus 155, Doc. No. 53, Cols. 1142-1143.

(231) Delabord, H. E., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

جاي ميللي: Guy de Milly ذكر في العديد من الوثائق تحت اسم ويدو دي ميلياكو Wide do Miliaco أو جيلو دي ميلياكو Guido do Miliaco، وهو شقيق باين ميللي سيد إقطاعية نابلس، ووالد فيليب الذي تولى حكم الإقطاعية بعد وفاة عمه. وقد ذكر جاي في الكثير من الأعمال للملك



بلدوين الأول والملك بلدوين الثاني، كما قدم بعض المنح والإقطاعات للكنائس والأديرة. وأول إشارة في الوثائق كانت عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ، وآخر إشارة كانت عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 27, pp. 88-89, Acte No. 34, pp. 98-101, Cf. also: Index nomenclum, p. 380. Kohler, Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, Registre fol. 175, pp. 112-113. Registre fol. 184, pp. 116-117. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 52, pp. 10-11. Docs. Nos. 105-106, p. 25, Doc. Nos. 112-113, pp. 27-28, Doc. No. 134, pp. 33-34. Rey, Les Familles de butre-mer de du Cange, pp. 405-406.

(232) Delabord, op. cit., Loc. cit. Kohler, Ch., Chartes de L'Abbaye de Notre-Dame, Registre, fol. 204, p. 128. Röhrich, R., op. cit., loc. cit.

(233) Ibid, Doc. No. 131, pp. 32-33.

(234) Delabord, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38, Doc. No. 18, p. 45-47, Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(235) Prawer, J., Crusader Institutions, op. 158.

(236) Richard, J., Agricultural Condition in Crusader States, in Setton, Vol. 5, p. 254.

(237) Ibid, loc. cit.

أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن الفدان العربي (الكاريوكا العربية) يساوي أربعة دونمات. وذلك تميزاً للكاريوكا العربية عن الكاريوكا الصليبية الرسمية التي كانت تساوي خمسة وثلاثين هكتاراً Hectare أي ثلاثمائة وخمسين دونماً Dunams.

Cf. Prawer, J., op. cit., pp. 158, 160.

(238) Ibid., p. 159.

(239) Benvenisti, m., op. cit., p. 216.

(240) Prawer, J., op. cit., p. 157. Richard, J., op. cit., loc. cit.

(241) Ibid., loc. cit.

(242) Prawer, J., op. cit., p. 157.

(243) Richard, J., op. cit., loc. cit. Prawer, J., op. cit., loc. cit.

ال aratrum : وحدة لقياس الأرض استعملت زمن الحكم الصليبي للأراضي المقدسة، ولكن على نطاق ضيق، وهي تساوي مائة هكتار، أي ما يعادل مائتي وخمسين اكرا Acre (ألف دونم Dunams).

(244) Geneviève, B. B., op. cit., Index, Reum, p. 429. Cf. also: Prawer, Jop. cit., p. 157.

تعني كلمة Journal أو Journee مساحة من الأرض يمكن فلاحتها خلال يوم واحد. ويبدو أنها كانت غير دقيقة لأن العمل يقارن بجهد الإنسان.

(245) Prawer, J., op. cit., p. 159.

استعمل الصليبيون مقاييس أخرى مثل ال Caballaria و Pariliata و Paraillee.

Cf. Prawer, op. cit., p. 158.

(246) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(247) Kohler, Ch., Chartes de l'Abbye de Notre-Dame, Registre fol. 188, pp. 117-118. Delabord, H. F., op. cit., Doc., No. 6, pp. 29-32.



- Röhricht, op. cit., Doc. No. 80, pp. 18-19.  
 (248) Prawer, J., op. cit., pp. 158, 160.  
 (249) Geneviève, B. B., op. cit., Index Rerum, p. 428.  
 (250) Prawer, J., op. cit., pp. 158, 160.  
 (251) الجاستينا Gastina : لفظة لاتينية تدل على الأرض البور أو غير المأهولة بالسكان، وتأتي أحياناً كصفة لبعض المواقع، ويوجد لكلمة جاستينا بعض المرادفات اللاتينية مثل Vastus و desertus و vistitas، ويقابلها في اللغة الفرنسية القديمة لفظة guaste، وفي الفرنسية الحديثة gatine أو Gatina وفي اللغة الألمانية waste، وفي الإنجليزية waste أو desert أو no man's land ويميل بعض العلماء إلى تعريف الجاستينا على أنها الأراضي البور أو الصحراوية غير الآهلة بالسكان.  
 Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Index Locorum, p. 224, Index, rerum, pp. 429, 431. Prawer, J., op. cit., p. 161.  
 (252) Benvenisti, M., op. cit., p. 216.  
 (253) Prawer, J., op. cit., Loc. cit. Benevenisti, M., op. cit., loc. cit.  
 (254) The City of Jerusalem and Ernoul's Account of Palestine trans by conder, in P.O.T.S. Vol. VI, London 1888, p. 58.  
 (255) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 87, pp. 199-200.  
 (256) Ibid., Index Locorum, p. 424. Cf. also: Benvenisti, M., op. cit., loc. cit.  
 خربة الأسد Khirbet al- Asad: هي إحدى القرى الواقعة في حدود بيت المقدس، وتقع على بعد كيلومترين ونصف إلى الجنوب الغربي من قرية بيت عطاب Beth Atab.  
 Cf. Geneviève, B. B., Index Locorum, p. 424.  
 (257) Kohler, Ch. Chartes de l'Abbaye de Notre Dame, Registre fol. 175, p. 112.  
 خربة الفندق تقع شرق نابلس، ويحدها من الجنوب قرية عسكر. أنظر الخريطة.  
 (258) Richard, J., Agricultural Condition in the Crusader States, p. 254.  
 (259) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 162.  
 (260) Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, Registre fol. p. 112.  
 (261) لم يتمكن من العثور على موقعها.  
 (262) Kohler, Ch., op. cit., Registre, fol. 198, pp. 119-120.  
 (263) Ibid., note 11, p. 119.  
 (264) Richard, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 141.  
 (265) Prawer, J., op. cit., p. 162.  
 (266) Ibid., loc. cit.  
 (267) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34.  
 (268) Richard, J., Agricultural Condition in the Crusader States, p. 254.  
 (269) خربة كفر ثلث Kh. Kafer Thith: هي إحدى القرى التي كانت تقع في إقطاعية أرسوف زمن الحروب الصليبية، وذكرت في الوثائق الصليبية باسم كفر الديل Kaferedil وكفر الدين (Caphardin) Kafer edin).  
 Cf. Geneviève, B. B., Index Locorum, p. 417.  
 وتقع خربة كفر ثلث في الجنوب الشرقي من قليلية Kalkileh بين قريتي عزون Azzon، وسنيرية Siniria، كما تقع في الجنوب الشرقي من اللد وعلى بعد ستة عشر ميلاً منها. انظر: مصطفى مراد



الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٣، ق ٢٢، ص ٣٩٣.  
(270) قرية دورا Dora: كانت في عصر الحروب الصليبية ضمن حدود إقطاعية الخليل وهي تقع في الجنوب الغربي من مدينة الخليل، ويحدها من الشمال الشرقي قرية تفوح ومن الجنوب خربة دير رازح Kh. Dere Razah وهي تقع على بعد أحد عشر كيلو متراً عن الخليل وترتفع عن سطح البحر نحو ثمانمائة وثمانية وتسعين متراً. وقد اشتهرت دورا منذ القدم بكرومها وعنبها الذي عرف بالدوري. وفي عام ٦١٢هـ / ١٢١٥م أوقفها الملك المعظم عيسى الأيوبي على الحرم الإبراهيمي الشريف: انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٥، ق ٢، ص ١٨٧.

(271) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 333.

(272) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 26, pp. 86-88. Beugnot, L., op. cit., tome II, Charte No. 4, p. 483. Migne, op. cit., tomus 155, Doc. No. 29, Cols. 1121-1122. de Rozière, op. cit., Doc., No. 29, pp. 54-55, Doc. No. 54, pp. 102-107. Röhrich, R., Reyesta, Doc. No. 74, pp. 16-17.

(273) عين قينيا: كانت زمن الحكم الصليبي من ضمن القرى التابعة لبيت المقدس، ويحدها من الشمال قرية المزرعة القبلية el-Mezera el-Kibliyah ومن الجنوب قرية عين عريك Arik ومن الشمال الشرقي خربة سليمان Khirbet Selemieh ومن الغرب كفر نعمة Kafer Ni'meh. ويذكر مصطفى مراد الدباغ أن قينيا تحريف قانيا السريانية بمعنى القصب والغزار. ولهذا فإن عين قينيا تقابل «عين القصب»: انظر: بلادنا فلسطين، ج ١، ق ١، ط ١، بيروت ١٩٦٥م، ص ٦١٧، بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٣٤٧. وتجدد الإشارة إلى وجود قرية أخرى في بلاد الشام تحمل اسم عين قينيا، وتقع في الجنوب الشرقي من بانياس.

(274) كفر عقب: يحدها من الشمال الغربي قرية البيرة al-Birah ومن الجنوب قرية الرام al-Ram ومن الشمال الشرقي قرية مخماس Mukhmas ومن الجنوب الغربي قرية عطارة Attara. وتبعد كفر عقب عن البيرة نحو ثلاثة عشر كيلو متر ونفس المسافة للشمال من بيت المقدس. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص 66-67.

(275) بوبيل Bobil: تقع غرب قرية بيت لقيا Beit Ligga، ولكننا لم نستطع العثور على أية معلومات عن هذه القرية.

(276) بيت لقيا: عرفت أيام الحكم الروماني لفلسطين باسم «Kafer Leqtaya» وهي تقع غرب رام الله بانحراف قليل، وترتفع نحو أربع مائة وثمانين متراً عن سطح البحر، ويحيط بها العديد من الخرب، ويحدها من الشمال الشرقي قرية بيت عور التحتا Beit Ure et Tahta ومن الجنوب الشرقي قرية بيت عنان Beit Anan. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٣٧٨-٣٨٢.

(277) الرام: ذكرها بورشارد من دير جبل صهيون Burchard of mount sion باسم رامة Rama، وهي تقع غرب قرية جبع Jeba، وعلى بعد فرسخ واحد منها (نحو ثلاثة أميال، أي ما يعادل خمسة كيلومترات ونصف وأربعة وأربعين متراً)، وهي تقع على هضبة ليس بعيداً عن الطريق المؤدي لبيت المقدس. وقد أشار بورشارد إلى وجود عدة قرى تحمل اسم الرمة، قرية بالقرب من تقوع Thecua على الطريق المؤدي إلى الخليل، وتعرف باسم رامة الخليل. والثانية في قبيلة نفتالي جنوب شرق صور، والثالثة تقع جنوب غرب صفد بالقرب من قلعتها، والرابعة هي شيلو Shiloh. وتدعى رامة بمعنى العلو، وفي الواقع فإن جميع هذه القرى تقع فوق هضاب عالية.

Cf. A Description of the holy Land 55.

وقرية الرام تقع على بعد خمسة أميال للشمال من بيت المقدس، وفي منتصف المسافة بين قلنديه وجبع، وهي ترتفع عن سطح البحر نحو سبعمائة وثمانين متراً. والرام قرية قديمة تحريف عن الرامة «بمعنى المرتفعة». وقد عرفت بهذا الأسم في العهد الروماني، ويحيط الرام بعض الخرب مثل خربة دير سلام وخربة رأس الطويل. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٧٠-٧١.  
(278) البيرة: بلدة قديمة تعود بتاريخها إلى العرب الكنعانيين. وفي العهد الروماني حملت اسم



Berea ، انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٢٥٦-٢٥٧ . وتقع البيرة على بعد ستة عشر كيلو متراً شمال بيت المقدس ، على الطريق المؤدي إلى نابلس ، وتحتل القرية سهلاً واسعاً وترتبتها خصبة ومناطقها المجاورة غنية بالينابيع .

Cf. Benvenisti ، M. ، op. cit. ، p. 232 . Pringle ، D. ، Magna Mahumeria (al- Birah) Archaeology of a Frankish new town in Palestine ، Cf. Crusade and Settlement ، p. 147 .

ويوجد في فلسطين قرية ثانية تحمل اسم البيرة ، وتقع شمال مدينة بيسان Bisan وبالقرب منها تقع قلعة كوكب الهوا (Kaukab el- hawa) Belvoir وأشار أبو الفداء إلى وجود مدينة تحمل اسم البيرة ، وتقع ضمن جند قنسرين ، ووصفها بأنها «قلعة حصينة على الفرات في البر الشرقي ، ولها وادي يعرف بوادي الزيتون به أشجار وأعين ، وهي بلدة ذات سوق وعمل» . انظر : تقويم البلدان ، نشرة رينو وديسلان ، باريس ١٨٤٠م ، ص ٢٦٩ .

(279) كفر الدليل : يشير موقعها على الخارطة على أنها قرية كفر الديك Kafer el-Ddik الواقعة شرقي قرية دير بلوط Dyre Balout وغرب قرية بروقين Broquine . وتجدر الإشارة إلى أن هناك قرية أخرى تحمل اسم كفر الدليل ، وهي قرية كفر ثلث Kafer Thilth التي تعرف أيضاً باسم خربة كفر ثلث ، وكانت في العصر الصليبي داخل حدود إقطاعية أرسوف Arsuf .

(280) عين سينا : تقع شمال رام الله بانحراف قليل إلى الشرق ، وترتفع عن سطح البحر نحو سبعمائة وتسعة وخمسين متراً ، وتبعد عن البيرة نحو تسعة كيلومترات . ومن المرجح أن كلمة سينا Sinuyah تحريف عن سين بمعنى القمر ، فيكون اسم القرية بمعنى القمر . انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٢١-٣٢٣ .

(281) قلندية : ورد اسم القرية في الوثائق الصليبية بعدة أشكال منها «Kalendria» «Calandria» ، وهي تقع شمال غرب قرية الرام .

Cf. Geneviève ، B. B. ، op. cit. ، Index Locorum ، p. 420 .

وقلندية تقع على بعد أحد عشر كيلومتراً إلى الشمال من بيت المقدس . انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٧٢ .

(282) بيت سوريك : ذكر اسم القرية بأشكال مختلفة منها : بيت سوري Beth Suri وبيت سوريث Beth Surit وبيت سورية Beth Surieh والقرية تقع على بعد ستة كيلومترات شمال غرب بيت المقدس صمويل ، ومن الجنوب الشرقي قرية أم اليس ومن الغرب قرية القديس أيوب St. Job ومن الشمال قرية دير القبيب Deir el- Cabebe وتشرف القرية على طريق المواصلات بين السهل الساحلي وبيت المقدس ، ويحيط بالقرية بعض الخرب منها خربة الحوشي ، وخربة الجبل . انظر : الموسوعة الفلسطينية ، ج ١ ، ص ٤٥١ - مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(283) هيلم : إحدى القرى التي منحها الأمير جودفري لكنيسة القيامة عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ . لكننا لم نستطع العثور على موقعها ، ومن المحتمل أنها اندثرت ، ولم يعد لها أي ذكر في العصر الحديث .

(284) عطارة بيريت : تقع شمال رام الله ، وترتفع عن سطح البحر نحو سبعمائة وتسعة وتسعين متراً . ويحدها من الشمال الشرقي قرية سنجل ومن الجنوب خربة العقبان Kh. Deir el- Okban وتحتوي القرية على بعض العيون والينابيع ، ويحيط بها بعض الخرب مثل خربة المغسل الواقعة في الشمال الشرقي من القرية ، وخربة طرفين الواقعة جنوب القرية ، والتي ترتفع عن سطح البحر نحو ثمانمائة وستة وعشرين متراً ، وذكرت أيام الحروب الصليبية باسم Tarphin . ويوجد في بلاد الشام الكثير من المواقع التي تحمل اسم عطارة . منها عطارة بتشديد الطاء في منطقة جنين وعطارة بمعنى «تاج» وعطارتوت بمعنى «أكاليل» وهذه أسماء البلدان كنعانية منها : قرية عطارة التي كانت تقوم على موقع «تل النصبة إلى الشمال من القدس بسبعة أميال ، وبلدة في الغور النابلسي ، وبلدة في شرق الأردن» . انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ق ٢ ، ص ٣٠٥-٣٠٦ .

(285) بيتونيا : يحدها من الشمال الشرقي رام الله ومن الغرب قرية بيت عور Beth Or ومن الشمال الغربي قرية عين سوبية Ain Subioh . وترتفع قرية بيتونيا عن سطح البحر نحو ثمانمائة واثنين وستين متراً ، وتشتهر القرية بكثرة العيون والينابيع ، حيث بلغ عددها سبع عيون ، أشهرها عين جريوت ، ويحيط بالقرية الكثير من الخرب ، أشهرها : خربة بير الدوالي وخربة بير العراق وخربة جريوت وخربة عسقلان وخربة الحمة ، وخربة الميتة barimeta وخربة بيت سيلة : انظر : مصطفى مراد



- الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٣٧٠-٣٧٤.
- (286) بيت فوتير: لم يتمكن من العثور على موقع هذه القرية ومن المحتمل أنها دمرت أو تغير اسمها دون وجود أية إشارة تدل على ذلك.
- (287) عرنوطية: وردت في الوثائق الصليبية بشكل آخر عرنوطية Armotie، وتعرف اليوم باسم خربة عرنوطية أو أرنوطية وتحتوي على أساسات كبيرة وصهاريج كبيرة ومعاصر وتبعد عن قرية دورا القرع نحو كيلومتراً ونصف. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٣٣٦.
- (288) صبحة: تعرف اليوم باسم خربة صبحة، وتقع جنوب بيت المقدس بانحراف قليل وشمال شرق بيت لحم، وتحتوي على صهاريج، ومدفن مبني بالحجارة المنحوتة. مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق، ج ٨، ق ٢، ص ١٧١.
- (289) هوبين: تقع شمال غرب مدينة بيت لحم، ولكن لا يوجد قرية تحمل هذا الاسم في الوقت الحاضر، وبقايا المسافات من موقع هذه القرية إلى المدن والقرى المحيطة، وتبين هذه القرية غير قائمة وأقيم على بعضها قرية أخرى تعرف باسم دير الهواء.
- (290) بارميتا: تعرف الآن باسم خربة الميته Kh. Almith، ويحدها من الشمال الشرقي قرية عين قينيا ومن الجنوب الغربي قرية بيت لقيا وأقرب القرى عليها قرية بيتونيا. ويوجد داخل الخربة بقايا كنيسة، وأعمدة، وقواعد وأساسات ومبانٍ أخرى، ومدافن منقورة في الصخر. انظر: مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق، ج ٨، ق ٢، ص ٣٧٤.
- (291) بيت علام: تعرف الآن باسم أم الميس، وهي تقع غرب بيت المقدس «والميس» شجر من الأشجار الحرجية، له ثمار صغيرة حلوة لونها أسود. و«الميس» أيضاً نوع من الزبيب والواحدة «ميسة». انظر: مصطفى مراد الدباغ: المرجع السابق، ج ٨، ق ٢، ص ١٣٧-١٣٨.
- (292) زينو: تعرف الآن باسم زانوح، وهي تقع جنوبي غرب بيت المقدس.
- (293) عورينت: لم نستطع الاستدلال على موقع هذه القرية، ومن المحتمل أنها اندثرت، وأن أسمها تغير بمرور الزمن، ولم تشر الكتب الحديثة لهذه القرية من قريب أو من بعيد، حتى أنه لا يعرف موقعها لغاية الآن.
- (294) دير القديسة مريم لللاتين: (St. Maria Latina) St. Mary of the Latins) هو أحد الأديرة البندكتية القائمة في بيت المقدس، وقد أسسه أهالي أمالفي Amalfi في حوالي عام ١٠٧٠م/ ٤٦٢هـ. وقد كان مركزاً للحجاج اللاتين الذين يزورون الأراضي المقدسة، وعلى وجه التخصيص كان ملجأً للحجاج اللاتين الذين كان يفقدون نفوذهم أثناء السفر ويصلون إلى الأراضي المقدسة منهكين من مصاعب الطريق. وقد ألحق بهذا الدير مستشفى تطورت في عهد الملك بلدوين الأول إلى مقر هيئة فرسان القديس يوحنا في بيت المقدس. كما كان يوجد بالقرب من المستشفى كنيسة صغيرة. Cf. William of Tyre, Vol. 1, p. 80. Cf. also: Hamilton, B., pp. 95-96.
- (295) Geneviève, B. B., Acte No. 26, pp. 86-88. Beugnot, L., op. cit., tome II, Charte No. 4, p. 483, de Rozière, op. cit., Doc. No. 29, pp. 54-55. Doc. No. 45, pp. 102-107. Migne, op. cit., tomus 155, Doc. No. 29, Cols. 1121-1122. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 74, pp. 16-17.
- (296) Ibid., loc. cit.
- (297) William of Tyre, Vol. 1, p. 80. Cf. also: Hamilton, B., op. cit., pp. 95-96.
- (298) قام الصليبيون بتحويل مسجد قبة الصخرة The Mosque of the Dome of the Rock إلى دير أطلقوا عليه اسم دير معبد السيد templum domini كما أضافوا إلى المبنى مذبح وأماكن للتعبد، فضلاً عن النقوش اللاتينية البارزة على جدار المبنى. ولعل هذا يكشف عن أحد بواعث الحركة الصليبية، وهو العمل على جعل العالم العربي أرضاً لاتينية تدين بالكاثوليكية على مذهب روما. Cf. Addisin, Ch., op. cit., pp. 7-11. Benvenisti, M., op. cit., p. 163.



- انظر أيضاً: . جوزيف نسيم يوسف: العرب والروم واللاتين، ص ٢٦٣-٢٦٥.
- (299) William of Tyre, Vol. 1, pp. 391-392.
- (300) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 392.
- (301) Ibid., Vol. 1, p. 403.
- (302) Archer and kingsford, op. cit., p. 134.
- (303) Beasant and Palmer, op. cit., p. 223.
- (304) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٦٦.
- (305) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, vol. 1, p. 99.
- (306) Dodu, G., Histoire des Institutions dans le Royaume Latin de Jerusalem p. 307.
- (307) William of Tyre, op. cit., vol. 1, pp. 403-404. Cf. also: Hagenmeyer, H., Chronologie de Premiere croisade, in R.O.L. Vol. VI. pp. 320-321.
- (308) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 403-404.
- (309) Hagenmeyer, H., pp. 320-321. Runciman, S., Vol. 1, p. 311.
- عيد الشموع: هو أحد الأعياد المسيحية الثابتة، ويحتفل به المسيحيون في اليوم الثاني من فبراير من كل عام، وذلك إحياء لذكره طهارة السيدة مريم العذراء في اليوم الأربعين لولادة سيدنا عيسى عليه السلام.
- Cf. Dictionnaire encyclopedique Quillet, art. cierges- Runciman, S., Vol. 1, p. 311. Praver, J., The Latin Kingdom, pp. 177-178. Mayer, H.E., p. 167.
- (310) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 404. Cf. also: Dodu, G., op. cit., p. 348.
- (311) Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 312.
- انظر أيضاً: . سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٦٥.
- (312) Hagenmeyer, H., p. 321. Runciman, S., op. cit., loc. cit. Hamilton, B., p. 53.
- (313) Hagenmeyer, H., op. cit., p. 321.
- (314) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٦٥.
- (315) Raoul de Caen, op. cit., p. 704.
- (316) Runciman, S., op. cit., Vol. 1, p. 312.
- (317) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 391.
- (318) Ibid., p. 392.
- (319) Dodu, G., op. cit., p. 307.
- (320) Hamilton, B., op. cit., pp. 138-141.
- (321) Runciman, S., A History of Crusades, Vol. 2, p. 100.
- (322) Guibert de Nogen, p. 259. Albert d'Aix, p. 540. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 290.
- (323) Albert d'Aix, p. 548.
- (324) قرية عسكر: إحدى قرى نابلس وتشتهر بكثرة أشجار الزيتون المزروعة في أراضيها، وقيل عسكر الزيتون كدليل على وفرة أشجار الزيتون في أراضيها. وهي تقع على بعد ميل واحد شرق نابلس. انظر ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٣.
- Cf. also: Fetllus, Description of Jerusalem and the Holy Land, London 1892, p. 34.



(325) خربة الطيرة: تقع شمال شرق مدينة نابلس، وتجدر الإشارة إلى أنه يوجد بفلسطين خمس قرى تحمل اسم الطيرة، الأولى طيرة حيفا والثانية طيرة بيسان والثالثة طيرة طولكرم والرابعة طيرة رام الله والخامسة طيرة دندن من قرى الرملة، وهي التي نسبت إلى مؤسسها منذ القدم. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٣، ق ٢، ص ٣٨٣- انظر أيضاً الخريطة.

(326) طوباس: قرية كبيرة تقع شمال شرق نابلس، وهي تشتهر بزراعة القمح. انظر: حسين روجي: مختصر جغرافية فلسطين، القدس ١٩٢٣م، ص ٧٢.

(327) قرية بيت فوروم: تعرف باسم خربة بيت فار وتقع جنوب طوباس.

Cf. Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dome, p. 112, note 7.

(328) Ibid., Registre, fol. 175, pp. 112-113. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 52, pp. 10-11.

(329) توفي بلديون رئيس أساقفة قيسارية عام ١١٠٧م / ٥٠١هـ، وتولى مكانه افريمار عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ.

Cf. Kohler, Ch., op. cit., p. 112, note 8.

(330) Jean d'Ibelin, Assies de Jerusalem, tome 1, p. 453. Cf. also: Rey, Les Familles d'Qutre-mer, p. 407. king, E., The Knights Hospitallers in the Holy Land, London 1931, p. 139. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, vol. 1, p. 73.

(331) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(332) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(333) قرية البيدر: تعرف باسم «خربة بير البيدر» و «خربة البيضا». وقد شيدت هذه القرية مكان قرية Besara التي كانت قائمة في العهد الروماني، ويوجد في موقع القرية مدافن متقورة في الصخر. وقرية البيدر تقع على بعد نحو خمسة وعشرين كيلومترا جنوبي مدينة عكا بانحراف قليل نحو الشرق. وتجدر الإشارة إلى أن البيدر هو المكان الذي تدرس فيه الحبوب، وتجمع ببادر. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٧، ق ٢، ص ٥٧٩.

Cf. also: Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete AKKO und Galilaea. p. 209, note 6.

(334) قرية سيلون: هي إحدى القرى الواقعة في حدود إقطاعية نابلس، ويحدها من الشرق قرية صرة Serra (خربة صرة Kh. Serra) ومن الجنوب قرية ترمسعيا Turmus Aya ومن الجنوب الغربي قرية سنجل Sinjil ومن الغرب قرية المزرعة Mezrahe ومن الشمال الغربي قرية اللبن Luban وسيلون من المواقع الأثرية الهامة، إذ يوجد بها مدافن، وبقايا معصرة أرضها مرصوفة بالفسيفساء.

انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٢٨٣-٢٨٤. انظر الخريطة أيضاً.

(335) قرية بيت بزان: ترتفع عن سطح البحر نحو ستمائة وست وسبعين متراً، وقد اشتهرت بهذا الاسم من العهد الروماني وبعد ذلك عرفت بعدة أسماء منها «خربة البصة Kh. el-Bassa» و «خربة بيت بصة Kh. Bet Bassa» و «بير بيتا Ber betha» و «بيت بازار Beh bazar». والقرية تقع في الجنوب الشرقي من بيت لحم ويحدها من الغرب بانحراف قليل إلى الجنوب قرية ارتاس Artas ويحدها من الشمال الغربي مدينة بيت لحم ومن الجنوب الشرقي قرية بيت تعمر Bet ta'amir انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٤٥٣.

Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem and S. Abraham, pp. 176, 190, 194-195.

(336) كوكبة: تقع في الشمال الشرقي من عسقلان وعلى بعد سبعة عشر كيلومتراً منها، ويحدها من الشرق قرية الفالوجة el-Falujeh ويحدها من الشمال الشرقي قرية الجلدية ومن الشمال الغربي قرية قمصا. وتعرف كوكبة باسم خربة كركف Kh. Kerkege واسم كرتفا Carthafa.



Cf. Beyer, Die Kreuzfahreregebiet Sudwest Palastine, pp. 163, 165.

(337) السوافير الشرقية: السوافير اسم لثلاث قرى هي: السوافير الشرقي والسوافير الغربي والسوافير الشمالي، وتقع جميعها على بعد تسعة كيلومترات إلى الجنوب من أسدود Esdud. وقد ذكرها الرومان باسم «شافير» ووصفها المؤرخ Eusebius المتوفي عام ٣٤٠هـ بأنها مدينة جميلة على أيامه. والسوافير الشرقي تقع في الشمال الشرقي من عسقلان وعلى بعد خمسة عشر كيلومتراً منها. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ١، ق ٢، بيروت ١٩٦٦م، ص ٢١٢.

Beyer, G., Kreuzfahreregebiete Sudweat Palastinas, pp. 163-165.

(338) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 483. Röhrich, R., Regesta, Doc, No. 59, p. 13.

تم إبرام عقد هذه المنحة بواسطة جبلين مندوب البابا باسكال الثاني الذي انتخب بطريركاً على بيت المقدس عام ١١٠٨م/ ٥٠٢هـ. وقد حضر إبرام العقد عدد من رجال الدين والأمرأ في المملكة من بينهم ارنولف مالكورون رئيس الشماسة في بيت المقدس، ويوستاش جارنيه وانسليم حارس برج داود ورادولف دي فورتيت وبسيللوس فيسكونت بيت المقدس وآخرون.

Cf. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 59, p. 13.

(339) Geneviève, B. B., op. cit., Acte 26, pp. 86-88. Beugnot, L., op. cit., tome II, Charte 4, p. 483. de Rozière, op. cit., Doc. No. 29, pp. 54-55, Doc. No. 43, pp. 80-81, Doc. No. 54, pp. 102-107. Migne, op. cit., tums 155, Doc. No. 29, Cols, 1121-1122. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 74, pp. 16-17.

(340) قرية جيراز: أشارت الوثيقة إلى أن هذه القرية تقع في حدود الغور، لكنها لم تشر إلى اسم الغور الذي تقع فيه القرية، وبالباحث عن موقعها في جميع مناطق الأغوار، فلم نستطع العثور على قرية تحمل هذا الاسم. ومن المحتمل أن تكون القرية قد اندثرت أو تغير اسمها دون وجود أي دليل يؤكد هذا الأمر.

(341) دعي الغور غوراً لانحدار أرضه. انظر: طوطح وخوري: جغرافية فلسطين، القدس ١٩٢٣م، ص ١٥.

(342) ورد ذكره في الوثيقة تحت اسم جوسلين سيد طبرية Jocelini domini Tyberiadis.

Cf. Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 5, pp. 27-28. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 79, p. 18.

(343) Delaborde, H. F., op. cit., Loc. cit. Röhrich, R., op. cit., Doc. No. 80, pp. 18-19.

(344) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 54-47. Röhrich, R., op. cit., Doc. No. 134, pp. 33-34.

(345) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38. Doc, No. 18, pp. 45-47. Röhrich, op. cit., Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(346) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38, Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, op. cit., Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34.

قرية بيت حسان: أشارت الوثائق إلى أن هذه القرية تقع في حدود بيت المقدس لكننا لم نستطع العثور على قرية تحمل نفس الاسم، بينما وجدنا قريتين تحملان اسم دير حسان Der Hussan، وعرفت إحداهما باسم قرية حوسان Husan، وهي تقع في حدود بيت المقدس، وعلى بعد أحد عشر كيلومتراً في الشمال الشرقي من قرية بيت عطاب، ويحدها من الشمال الشرقي قرية صوبا Sûba ومن الشرق بانحراف قليل نحو الجنوب قرية بتير ومن الجنوب الغربي قرية بيت عطاب وخربة الأسد، وقرية دير حسان تشتهر بزراعة الخضروات وأشجار الكرمة والتين وغيرها، وتكثر فيها مياه الينابيع. انظر:



مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٤٨٥-٤٨٦.

Cf. also: Geneviève, op. cit., Index Locorum, p. 413. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 176, 181, note 6.

أما فيما يتعلق بالقرية الثانية التي حملت اسم دير حسان، فقد عرفت أيضاً باسم خربة دير حسان Kh. Dere Hassan أو خربة حسان Kh. Hassan، ومن المرجح أن تكون هي القرية الوارد ذكرها في الوثائق اعتماداً على أن الأسم الثاني هو حسان في كلتا الحالتين ويبقى الخلاف في كلمة بيت أو خربة أو دير، وهذه الأسماء تشير إلى مناطق استقرار، وبما أن قرية دير حسان الأولى الواقعة في الجنوب الغربي من بيت المقدس حملت اسم حوسان، فلا يبقى أمامنا سوى خربة حسان وهي الأقرب إلى الصحة ويحدها من الشرق قرية عين عريك ومن الجنوب الشرقي في قرية بيت عور الفوقا ومن الجنوب الغربي قرية كفر روث ومن الغرب قرية صفا Sufia، ويوجد في القرية صهاريج ومدافن متقورة في الصخر، ويوجد شمالها آثار بناء صغير مهدم. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٣٦٩.

Cf. Geneviève, op. cit., Index Locorum, p. 413. Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38, Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 176, 181.

(347) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29, 32. Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(348) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., op. cit., Doc. No. 134, pp. 33-34.

(349) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23.

(350) قرية كسير Cassera: تقع في حدود عكا ويحدها من الشمال الشرقي قرية البقيعة Bokeiah ومن الشرق قرية بيت جن Beit Jein ومن الجنوب الشرقي قرية سيجور Seijur ومن الجنوب الغربي قرية القديس جورج St. George - التي كانت مركزاً لإقطاعية صغيرة، حملت اسم إقطاعية القديس جورج - وتحدها من الغرب قرية ابو سنان Abu Senan.

(351) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., op. cit., Doc. No. 134, pp. 33-34.

(352) Delaborde, H. F., op. cit., Loc. cit. Röhrich, R., op. cit., loc. cit.

(353) William of Tyre, Vol. 1, p. 489. Hamilton, B., op. cit., p. 63.

(354) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 489. Cf. also: Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 85. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 100. Hamilton, B., op. cit., p. 63.

(355) Richard, J., op. cit., loc. cit.

(356) Hamilton, B., op. cit., loc. cit.

(357) انظر ما سبق من هذه الدراسة ص ١٧٩-١٨١.

(358) انظر ما سبق من هذه الدراسة، ص ١٨٥.

(359) انظر ما سبق من هذه الدراسة، ص ٢٣٦-٢٣٨.

(360) Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 90, p. 21.

حضر حشد من الأمراء ورجال الدين في المملكة توقيع الوثيقة التي تؤكد على استمرارية المنح المقدمة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، والحضور هم: جرموند بطريك بيت المقدس،



برنارد اسقف الناصرة، إكارد رئيس دير المعبد (قبة الصخرة) جيرارد رئيس كنيسة القيامة، باجان مستشار الملك، يوستاش جاريه (سيد إقطاعية قيسارية وبارونية صيدا)، وليم دي بور أمير الجليل، بلدوين سيد الرملة، مانيسيس سيد حيفا، بلدوين سيد الخليل، رادولف فوتيل، جاي دي ميللي، أولريك فيسكونت نابلس وهيو سيد يافا.

Cf. Röhricht, R., op. cit., loc. cit.

(361) ورد في الوثائق أن قرية بيت اري تقع في حدود إقطاعية نابلس، لكننا لم نستطع العثور على موقع بهذا الاسم داخل حدود الإقطاعية، ومن المحتمل أن يكون اسم القرية قد تغير بمرور الزمن، أو أن القرية اندثرت وبالتالي لم تعد تذكر في الكتب والخرائط.

(362) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38, Doc. No. 18, pp. 45-47. Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, Registre, fol. 197, pp. 118-119. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34. beyer, G., Neapolis (Nablus) und Sein Gebiet in der Kreuzfahrerzeit, in Z.D.P.V., 63, 1940, p. 186.

(363) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(364) Delaborde, H. F., Doc. No. 18, pp. 45-47. Kohler, Ch., op. cit., loc. cit.

(365) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23.

(366) Delaborde, H. F., op. cit., loc. cit. Röhricht, R., op. cit., loc. cit.

(367) حصن خربتوت: اسم أرمني يطلق على حصن زياد الذي ورد ذكره في أخبار بني حمدان، وهو يقع في أقصى ديار بكر من بلاد الروم، بينه وبين ملطية مسيرة يومين (اثني عشر فرسخاً «سنة وثلاثين ميلاً» ستة وستين كيلومتر وخمسمائة وثمانية وعشرين متراً). انظر: ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٥٥-٣٥٦. أبو الفداء: تقويم البلدان ص ٥١-٥٢، الحميري: كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥م، ص ٢٦، ٣٤٥.

(368) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 540-541. Matthieu d'Edessa, p. 133. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 102, pp. 23-24. Hamilton, B., op. cit., p. 63.

محمود عمران: القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين، بيروت ١٩٨٦م، ص ٥٥.

(369) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(370) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 28, pp. 90-91. Beugnot, L., op. cit., tome II, charte No. 9, p. 488. de Rozière, op. cit., Doc. No. 30, pp. 56-57. Migne, op. cit., tomus 155, Doc. No. 30, cols. 1112-1123. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 109, p. 27.

حضر بعض الأمراء ورجال الدين الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثاني في مدينة صور في الفترة الواقعة بين شهري مارس - مايو ١١٢٥م / صفر - ربيع الآخر ٥١٩هـ، ومن الذين حضروا الاجتماع بلدوين الثاني رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط وبيجانوس دي ميكر Poganus de Miacriis وبيجانوس مستشار الملك Pagani rigis cancellarii، ووالتر برسبار Gualterius Brisebbarre، ووليم دي سانت بريتاني William de St. Brtino.

Cf. Geneviève, B. B., cit., loc. cit. Beugnot, L., op. cit., loc. cit. de Rozière, op. cit., loc. cit. Migne, op. cit., loc. cit. Röhricht, R., op. cit., loc. cit.

(371) Geneviève, B. B., op. cit., Acte 30, pp. 92-93. Acte 31, pp. 94-95. de Rozière, op. cit., Doc. No. 43, pp. 80-81, Doc. No. 44, pp. 81-83.



Beugnot, L., op. cit., Chartes, Nos. 10, pp. 488-489, 11, pp. 489-490. Migne, op. cit., Doc. No. 43, Cols. 1132-1133. Doc. No. 44, Cols. 1134. Röhricht, R., op. cit., Doc. No. 127, p. 30.

حضر إبرام عقد المنحة البطريك ستيفن، والأميرة ميلسند ابنة الملك، ووليم رئيس أساقفة الناصرة، بلدون أسقف سبسطية، انسليم اسقف بيت لحم، بلدوين رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، ارنالد رئيس دير جبل صهيون، هيو سيد يافا، هنفري سيد تورون (تبين) والتر سيد قيساية، واولريك فيسكونت نابلس وآخرون.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Acte, No. 30.

(372) Ibid., Acte No. 30, Acte No. 31. de Rozière, Doc. No. 43, pp. 80-81, Doc. No. 44, pp. 81-83. Beugnot, L., Charte No. 10, pp. 488-489, Charte No. 11, 489-490. Migne, Doc. No. 43, Cols. 1132-1133. Doc. No. 44, Cols. 113-1134. Röhricht, R., op. cit., Loc. cit.

(373) في بداية الغزو الصليبي للأراضي المقدسة، غادر عدد كبير من السكان المسلمين بلادهم، وفي ذلك يقول المؤرخ المجهول إن سكان الرملة المسلمين هجروا مدينتهم عندما سمعوا باقتراب القوات الصليبية منها، انظر: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١١٤. وذكر المؤرخ الحديث ستيفن رانسيمان S. Runciman أن عدداً كبيراً من المسلمين تركوا ديارهم عند ظهور الصليبيين، لدرجة أن الكثيرين من سكان نابلس غادروا مدينتهم، التي كان من السهل الدفاع عنها.

Cf. A History of the Crusades, Vol. 2, p. 4.

وعندما استولى الصليبيون على صيدا عام ١١١٠م/ ٥٠٤هـ، خرج منها حاكم المدينة والإمام وجميع الأجناد والعساكر «خلق كثير من أهل البلاد». انظر: ابن القلانسي: تاريخ دمشق ص ٢٧٤، ونتيجة لعمليات القهر والمضايقات، غادر عدد كبير من سكان قرى جماعيل (Gemmail) (Gemmain)، ياسوف Uasuf، مردا Marda، الساوية Sawya، عوريف Uriff، وزينا Zieta قراهم ووصلوا دمشق وأقاموا بها، انظر: ابن طولون: القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، ج ١، تحقيق أحمد دهمان، دمشق ١٩٤٩م، ص ٢٩-٣٠، شاعر مصطفى: آل قدامة في الصالحية، حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت، الحولية الثالثة، الكويت ١٩٨٢، ص ١٥.

(374) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 295.

(375) Ibid., Loc. cit.

(376) Prawer, J., Crusader Institutions, Oxford, 1980, p. 127.

(377) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 117, pp. 237-240. de Rozière, op. cit., Doc. No. 131, pp. 242-244. Röhricht, R., regesta, Doc. No. 302, pp. 77-78. Pringle, D., Magna Mahumeria, p. 147.

(378) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29-32. Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, fol. 188, pp. 117-118. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19.

(379) Geneviève, B. B., op. cit., Actes No. 12, 16, 66-67, 117, 120-123, 125, 128, 150-151, 170.

(380) Pringle, D., op. cit., loc. cit.

(381) Geneviève, B. B., op. cit., Index Rerum p. 429.

(382) القبيبة: تصغير قبة (القبة الصغيرة)، وقد تم إنشاؤها على أراضي قرية بيت سوريك، وهي تقع على بعد سبعة أميال شمال غرب بيت المقدس وترتفع عن سطح البحر نحو سبعمائة وواحد وسبعين متراً. وقد ذكرت القبيبة في العديد من الوثائق التي ترجع إلى العصر الصليبي، ويوجد بها الآن كنيسة صليبية مهدمة. وتشتهر قرية القبيبة بزراعة أشجار الزيتون والتين والعنب والبرقوق، وتملك الأديرة في الوقت الحاضر نحو ثلث أراضي القرية. ويحيط بالقرية بعض الخرب أشهرها: خربة الكبوش التي تقع غرب القبيبة وعلى بعد كيلومترين منها، ويوجد بها أنقاض جدران وأساسات من الحجارة



خشنة النحت، وبقايا معصرة زيت. وفي ظاهر القرية الشمالي تقع خربة خربتاني، وفي ظاهرها الجنوبي تقع خربة الجديدة.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Index Locorum, p. 420. Benvenisti, M., op. cit., pp. 224-225.

انظر أيضاً: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٩٨-١٠٠.

(383) Hamilton, B., op. cit., p. 91. Benvenisti, M., op. cit., p. 225.

(384) Delaborde, H. F., op. cit., Doc, No. 18, pp. 45-47. Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, Registre fol. 294, p. 128.

Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(385) Kohler, Ch., op. cit., loc. cit. Röhrich, R., op. cit., loc. cit.

اولريك فيسكونت نابلس: يبدو من خلال دراستنا للوثائق الصليبية المعاصرة، أن اولريك تولى منصبه

عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ، واستمر في عمله مدة طويلة حتى عام ١١٥٢م / ٥٤٧هـ، ولم يعد يذكر في

الوثائق بعد ذلك. وقد ورد اسم اولريك بأشكال مختلفة منها، Ulricus, Hulricus, Olricus

Orricus. وقد ذكر في بعض الوثائق كشاهد على المنح والإقطاعات التي كان يقدمها ملوك وأمراء

بيت المقدس الصليبية للكنائس والأديرة.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Actes. No. 30-31, pp. 96-103. Cf.

also: Rey, les Familles d'outre-mer de du Cange, p. 422. Röhrich, R.,

Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19, Doc. No. 90, pp. 20-21, Doc.

No. 121, p. 30, Doc. No. 134, pp. 33-34, Doc. No. 164, pp. 40-41.

(386) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 31, pp. 94-95. de Rozière,

op. cit., Doc. No. 43, pp. 80-81. Beugnot, L., op. cit., tome II,

Chart. No. 11, pp. 489-490.

(387) Liver des Assises de la Cour des Bourgeois, in Assises de Jerusalem,

tome II, p. 136. Cf. also: Dodu, G., op. cit., p. 314.

(388) Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 36, p. 56.

(389) قرية تاييمتي: تعرف باسم قرية جليجاله، وهي تقع في حدود إقطاعية حيفا، ويحدها من

الشمال الشرقي مدينة حيفا، ومن الجنوب قرية حنة Anne، ومن الشمال الغربي قرية القديس

الياس St. Elias (يطلق عليها العرب اسم النبي الياس).

(390) جبل الكرمل: يقع بين حيفا والجزء الشمالي من سلسلة جبال نابلس، وسمتد باتجاه شمالي

غربي - جنوبي شرقي. وهو أصغر السلاسل الجبلية في هذه المنطقة، ولا يزيد ارتفاع أعلى قممه

عن خمسمائة وست وأربعين متراً. انظر: قسطنطين خمار: موسوعة فلسطين الجغرافية. بيروت

١٩٦٩م، ص ٧٩. وجبل الكرمل يبعد عن عكا ثلاثة أميال، ولا يبعد عن البحر كثيراً. وتغطي

قمته الأعشاب والأماكن الجميلة، وكان يوجد على الجبل دير فائق الجمال، بني على شرف القديسة

مريم. وتجدر الإشارة إلى أن مدينة حيفا تقع على سفح الجبل. وقد ظهر جماعة رهبانية نسبت إلى

جبل الكرمل، وعرفت باسم «جماعة الرهبان الكرملين».

Cf. Ludolph von Suchem's, pp. 63-64.

(391) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 29-32. Röhrich,

R., Regesta, doc. No. 80, pp. 18-19.

(392) Delaborde, H. F., op. cit., loc. cit. Röhrich, R., op. cit.,

loc. cit.

(393) بسيللوس: ذكر في الوثائق باسم هربرت بسيللوس، وكان نائباً عن الملك بلدوين الأول.

وقد شهد على المنحة التي قدمها برنارد أسقف الناصرة لدير القديسة مريم عام ١١٠٩م / ٥٠٣هـ.

Cf. Kohler, Ch., Chartes de l'abbaye de Notre-Dame, Registre fol.

176, pp. 113-114. Röhrich, R., regesta, Doc. No. 52, pp. 10-11.



وكان بسيللوس شاهداً على المنح التي قدمها الملك بلدوين الأول وروجر أسقف الرملة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ.

Cf. Beugnot, L., op. cit., tome II, Charte No. 6, pp. 485-486.  
Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 5, pp. 27-28. Kohler, Ch.,  
op. cit., Registre fol. 188, pp. 17-18. Röhricht, R., Regesta, Doc.  
No. 79, p. 18. La Monte, feudal monarchy in the Latin Kingdom of  
Jerusalem, pp. 133-135.

(394) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Kohler,  
Ch., op. cit., Registre, fol. 1184, p. 116. Ruohricht, R., Regesta,  
Doc. No. 134, pp. 33-34.

القرية التي منحها بسيللوس لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط هي قرية مسكة (Mesket) Mischum بين بيت المقدس وأريحا، وقرية ديلسكو Delescu الواقعة على يمين الطريق المؤدية إلى الأردن، وقرية ميشيل Micheel على يمين الطريق الواصلة إلى الأردن، وهي تقع شمال جبل القرنفل ويطلق عليها الآن اسم مقام الإمام علي. انظر: الخريطة.

Cf. Kohler, Ch., op. cit., p. 116, notes 5, p. 5.

ذكر روهريشت قريتين من الثلاثة قرى بأسماء مختلفة من ضمن المنحة وهما قرية مسكبيوم Mescbium وقرية بيسورا Bessura التي ذكرت أيضاً باسم بيكار Bechare، وأضاف روهريشت أن بسيللوس قام بمنح دير القديسة مريم حق استغلال مياه أحد الأنهار الواقعة في منطقة البلقاء Belcha.

Cf. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(395) قرية جمارافارا: تعرف باسم خربة جيمرورة Kh. Jemrurah أو خربة جمروسا Kh. Gemerosa، وهي تقع في حدود إقطاعية الخليل ويحدها من الشرق قرية بيت صور Beit Sur وقرية سعيير (Serie) Siair ومن الجنوب الشرقي قرية تفوح Taffuh ومن الجنوب قرية ترقوميا Tarqumia ومن الغرب خربة الكاسلكية Kh. el-Kashkaliyeh ويحدها من الشمال الشرقي قرية بيت اولو Beit Ollu وقرية خاراس Kharas. انظر الخريطة.

Cf. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und t. Abraham, pp. 171, 176, 187, 194.

(396) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und St. Abraham, p. 171.

(397) قرية كفر عبرا Capher Abra: تعرف أيضاً باسم قرية عبرا Abrah، وتقع شمال مدينة صيدا. انظر الخريطة.

(398) قرية بيت الله: وردت في الوثائق على أنها إحدى قرى إقطاعية قيسارية، لكننا لم نستطع العثور على مكانها، ويبدو أنها اندثرت ولم تعد تذكر في الكتب والخرائط.

(399) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19.

(400) قرية فياس: تعرف باسم خربة الدافس Kh. al-Dafis وهي تقع على بعد تسعة كيلومترات شمال شرق قيسارية ويحدها من الغرب قرية معماس Ma'mas ومن الشمال الشرقي قرية البوريكة El-Bureikeh.

(401) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 42, pp. 115-119, Acte No. 45, pp. 123-126, Acte No. 59, pp. 150-151. de Rozière, op. cit., Doc. No. 53, pp. 97-101, Doc. No. 54, pp. 102-107. Beugnot, L., op. cit., tome II, Charte No. 34, pp. 516-518. Migne, op. cit., Tomus 155, Doc. No. Cols. 1142-1143.



(402) بلدوين سيد الرملة : لم تشر المصادر الصليبية المعاصرة إلى اسم عائلته . وقد ذكر في الوثائق كسيد للرملة منذ عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ ، وشهد الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثاني في نابلس عام ١١٢٠م / ٥١٣هـ من أجل بحث المشاكل والصعوبات التي تعرضت لها المملكة ، وبعد عام ١١٢٠م / ٥١٣هـ لم يعد بلدوين سيد الرملة يذكر في أي مصدر صليبي .

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 535-536. delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29-32, Doc. No. 7, 32-33. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19, Doc. No. 87, p. 20, Doc. No. 89, p. 21.

(403) قرية قصر اله : لم نستطع الاستدلال على موقعها ، ويبدو أنها اندثرت أو تغير اسمها .  
404) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19.

(405) باليان فيو كندسطليل يافا : يعرف باسم Ballian le Vieux ويعود أصله إلى إحدى العائلات الفرنسية في مدينة شارتر . وتولي باليان إدارة كونتية يافا عام ١١٣٣م / ٥٢٧هـ بعد رحيل هيو الثاني أوف بوزية . وكان باليان رجلاً حكيماً ، وكان له ثلاثة أبناء هم : هيو وبلدوين وبالبيان وحملوا جميعاً اسم أسرة ابلين بعد أن أصبح والدهم أمراً لقلعة ابلين التي أقامها الملك فولك عام ١١٤١م / ٥٣٥هـ .  
Cf. Geneviève, Index Nominum, p. 367. William of Tyre, Vol. 2, pp. 130-131. Cf. also: Mayer, H. F., op. cit., p. 93.

الكندسطليل : هو ضابط الامن في مملكة بيت المقدس الصليبية ، والضباط الصغار في الجيش الملكي يتوجهون مباشرة إليه لتلقي الأوامر العسكرية فيما يتعلق بالحملات العسكرية ، أكثر من توجههم للملك وهو الذي يقوم بتوجيه الجنود والقادة أثناء المعارك الحربية . وفي حالة غياب الملك يعتبر الكندسطليل قائداً للجيش ، وهو أثناء الحرب قاضي العدالة فيما يتعلق بالقضايا العسكرية ، فجميع الفرسان والجنود يخضعون لقضائه . ويقوم الكندسطليل بالنطق بالأحكام بعد استشارة مجلس الحرب المكون من بلاط الملك ، وهو يستطيع أن ينفذ العقوبة بنفسه ضد كل فارس غير نبيل ، إذا أدين بإحدى جرائم الحرب . لكن الكندسطليل لا يستطيع أن يعاقب الفارس النبيل ولكن إذا وجد شخصاً متلبساً فإنه يستطيع أن يقتل حصانه من تحته .

وتجدر الإشارة إلى أنه كان يوجد لبعض الإمارات والإقطاعات كندسطليل خاصاً بها كما هو الحال بالنسبة لكونتية يافا حيث كان دبلين الأول كندسطليل لها .

(406) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19.

(407) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 5, pp. 27-28. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 79, p. 18.

(408) قرية اللجون : يعود اسم القرية إلى الكلمة اللاتينية Legio بمعنى فيلق روماني Roman Legion ، وكان تعداده من أربعة آلاف - ستة آلاف . والقرية تقع في مواجهة سهل مرج ابن عامر ، ويحدها من الشمال الشرقي تل مجدو ومن الجنوب الشرقي قرية زبوبة ومن الجنوب قرية زلفة ومن الجنوب الغربي قرية المشيرفة ومن الغرب قرية صبارين Sabarin . وشهدت منطقة اللجون معارك بين محمد بن رائق والأخشيذ . انظر : ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٣٦٣-٣٦٤ ، وقد وصفها المقدسي « بأنها مدينة على حد فلسطين في الجبال بها ماء حار ، رحبة نزيهة » انظر : أحسن التقاسيم ص ١٦٢ . وذكرها الأنصاري الدمشقي على أنها من أعمال صفد ، وهي مضافة إلى العشير . انظر : نخبة الدهر ، ص ١١٢ . وذكرها أبو الفداء أنها تقع غرب مدينة بيسان ، انظر : تقويم البلدان ، ص ٢٢٧ .

(409) قرية معولا : هي إحدى القرى العربية الواقعة في إقليم الجليل ، وقد اشتهرت بهذا الاسم زمن الحروب الصليبية ، وبعد ذلك عرفت باسم معلول بمعنى « المدخل » وهي تقع غرب الناصرة ، وترتفع عن سطح البحر نحو مائتين وخمسة وسبعين متراً . انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، بيروت ١٩٧٤م ، ص ١١٨-١٢٠ .

(410) عرف سكان فلسطين أنواعاً كثيرة من مخازن الحبوب ، وأطلقوا عليها أسماء مختلفة . ومن



هذه المخازن ما كان يعرف باسم الخوابي، ومفردتها خابية. والخباء من الأبنية وهو «مكان من وبر أو صوف ولا يكون من الشعر»، وما فوق ذلك فهو بيت، والخباء دون المظلة، وقد يستعمل في البيوت والمنازل، والخباء هو «عشاء البره والشعيرة في السنبلة». انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة خباد. والخباء عبارة عن مبنى من الطوب الممزوج بالتبن، قاعدته عريضة وسطحه ضيق، أي أن المبنى يتخذ الشكل المخروطي، ويوجد في سطح المبنى فتحة صغيرة من أجل وضع الحبوب المراد تخزينها، كما يوجد للخابية فتحة جانبية عند مستوى القاعدة، تكون مغلقة التخزين، ولا يتم فتحها إلا عندما يحتاج السكان لبعض الحبوب من أجل الاستعمال. أما الفتحة الموجودة في سطح الخابية فيتم إغلاقها بإحكام بعد التخزين مباشرة، خوفاً من تعفن الحبوب، ولا تفتح هذه الفتحة إلا عند تخزين كمية جديدة من الحبوب، وهذا النوع من مخازن الحبوب كان يقام داخل المنازل. كذلك كان سكان فلسطين يحفظون الحبوب فيما يعرف بالمطامير ومفردتها مطمورة، وهي حفرة يطمر فيها الطعام والمال أي يخبأ. ونقول «طمرتها أي ملأتها». والمطامير حفر تحفر في الأرض، أسافلها تخبأ فيها الحبوب. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة طمر. والمطمورة عبارة عن مخزن للحبوب في جوف الأرض، وكان الفلاحون يحفرون حفر في جوف الأرض، عمقها مترين أو ثلاثة أو حسب كمية الحبوب المراد تخزينها، ثم يقوم الفلاحون بوضع سيقان الذرة الجافة أو أعواد الحطب على جوانب الحفرة، بطريقة منظمة، ثم يضعون الحبوب المراد تخزينها داخل الحفرة، وتغطي بسيقان الذرة الجافة، ويطمر التراب فوقها، ولا تفتح إلا وقت الحاجة. وهذا النوع من المخازن يكون خارج المنزل ومن المرجح أنها كانت بالقرب من البيادر (الأجران). وقد عرف الفلاحون أنواعاً أخرى من مخازن الحبوب منها الأهراء ومفردتها هري بمعنى بيت كبير ضخم يجمع فيها طعام السلطان، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة هرا. وهناك أيضاً صوامع الغلال، ومفردتها صومعة سميت بهذا الاسم «لتلطيف أعلاها»، ومنها «صوامع بناءه» أي علاه، والصومعة تعني أيضاً منار الراهب. انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة صمغ: «وهناك أيضاً الشون ومفردتها شونة، ولم نجد لها في اللسان معنى يقارب المخزن، انظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة شون. وهناك أيضاً ما يعرف باسم الكرار. أما فيما يتعلق بالكلمة اللاتينية Sirium والتي تعني مخزن للحبوب فتقابل Silo الإنجليزية بمعنى نخزن لأعلاف الدواب، وهو عبارة عن مبنى اسطواني الشكل محكم الإغلاق. ومن المرجح أن يكون المخزن الذي منحه وليم دي بور لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط من نوع الخابية، التي ربما تقارب الصومعة التي سميت «لتلطيف أعلاها». بمعنى أنها كانت تتخذ الشكل الحذب والمخروطي.

(411) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhricht, R., regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34. Kohlar, Ch., Chartes de l'Abbay: de Notre-dame, Registre fol. 212, pp. 125-126. Prawer, J., op. cit., p. 140.

(412) Kohler, Ch., op. cit., Loc. cit.

(413) هيبيرت دي بازي: ورد ذكره في إحدى الوثائق المؤرخة عام ١١٠٨م / ٥٠٢هـ كشاهد على المنحة التي قدمها الملك بلدوين الأول لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وقد ذكر تحت اسم هيبيرت دي باكي Hubert de Paci. وقد أطلق اسم هيبيرت أو إمبرت دي باكي على قرية الزيب منذ عام ١١٢٣م / ٥١٧هـ.

Cf. Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 12, pp. 37-38, Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 52, pp. 10-11, Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34.

ولا نعرف إلا القليل عن شخصية هيبيرت دي بازي، ويبدو أنه كان أحد الفرسان في بلاط الملك بلدوين الأول، وبعد وفاة الملك بلدوين الزول عام ١١١٨م / ٥١٢هـ، عاد هيبيرت إلى الرها، حيث أقام في بلاط جوسلين أمير الرها.

Cf. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 140.

(414) Ibid., pp. 140-141.

(415) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 141.



(416) رومانوس بوي Romanus of Puy : ذكر في المصادر الصليبية تحت اسم رومانوس دي بوديو Romanus de Podio ، وقد منحه الملك بلدوين الثاني إقطاعية ما وراء الأردن (الكرك والشوبك) ، وقد تشاجر مع الملك فولك ، وأدين بتهمة الخيانة العظمى ، لأنه اشترك مع هيو الثاني بوزية في مؤامرة ضد الملك فولك وقد تمت مصادرة إقطاعيته ، ومنحت لبانوس كبير خدم الملك فولك الانجوى .

Cf. William of Tyre , op. cit. , Vol. 2 , p. 70 . Cf. also: La Monte , op. cit. , p. 13 . Mayer , H. E. , op. cit. , p. 87 .

وقد ذكر رومانوس في عدة أعمال للملك بلدوين الثاني ، فقد شهد الاجتماع الذي عقده الملك عام ١١٢٠م / ٥١٣هـ ، كما حضر الاجتماع الذي عقد في عكا عام ١١٢٩م / ٥٢٣هـ ، حيث قرر الملك منح قرية كفر مالك في حدود نابلس لكنيسة القيامة ، وكان رومانوس شاهداً على هذه المنحة ، كما ذكر في الوثيقة التي يؤكد فيها الملك استمرار تمتع كنيسة القيامة بملكية قرية كفر مالك .

Cf. Geneviève , Acte No. 27 , pp. 88-89 , Actes Nos. 30-31 , pp. 92-95 .  
ومن المرجح أن يكون السبب في مصادرة إقطاعية ما وراء الأردن من رومانوس أنه اغتصب رسوم الموائى ، وقام بسك عملة خاصة به .

Cf. Meyer , H. E. , op. cit. , p. 87 .

(417) Delaborde , H. F. , op. cit. , Doc. No. 18 , pp. 45-47 . Röhrich , R. , Regesta , Doc. No. 134 , pp. 33-34 .

(418) رنتيه : هي إحدى القرى التابعة لكونتية يافا ويحدها من الشمال الشرقي قرية المزرعة ، ومن الشرق قرية رنتيس ومن الجنوب الغربي قرية الخيرية (ابن براق) . انظر الخريطة .

(419) كفر حارس : ذكرت في الوثائق باسم كفر هير Kafer Herre ، وكانت إحدى قرى إقطاعية نابلس في العصر الصليبي ، ويحدها من الشرق قرية مردا ومن الجنوب الشرقي قرية سلفيت ومن الشمال الغربي قرية دير استيا ، والقرية لا تزال قائمة حتى الآن وتحمل نفس الأسم . انظر الخريطة .  
(420) لوكير : تقع في الشمال الشرقي من قرية ميرابيل (مجدل يابا) وإلى الجنوب الغربي من قرية كفر حارس ، وهي غير قائمة الآن .

(421) مارسكليكية : لم نستطع الاستدلال على موقعها .

(422) Röhrich , R. , Regesta , Doc. No. 100 , pp. 22-23 .

(423) قرية ميدان : تقع على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً في الشمال الغربي من درعا Deraa ويحدها من الغرب قرية زيزون zeizoun ومن الجنوب الغربي قرية عمراوه Amrawah ، وتعرف حالياً باسم الميزرب (Mzairib) el-Muzerib .

Cf. Beyer , G. , Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea , p. 227 , note 5 . Beyer , G. , Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea , p. 227 .  
(424) Kohler , Ch. , Chartes de 'Abbaye de Notre-Dame , Registre , fol. 210 , p. 125 . Röhrich , R. , Regesta , Doc. No. 115 , p. 28 . Beyer , G. , Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea , p. 227 .

(425) قرية القديس أيوب : كانت تقع جنوب غرب مدينة جنين ، وكان يحدها من الشمال الغربي قرية برقين ومن الشرق قرية قباطية ومن الجنوب الغربي قرية عرابة ، ويبدو أن هذه القرية قد اندثرت منذ فترة طويلة لأنها غير قائمة الآن ، إضافة إلى أن الخرائط الحديثة التي يرجع تاريخها إلى بداية القرن العشرين لم تشر إلى هذه القرية .

(426) Delaborde , H. F. , op. cit. , Doc. No. 16 , pp. 42-43 . Röhrich , R. , regesta , Doc. No. 131 , pp. 32-33 .

(427) قرية ماكوس : تعرف باسم خربة ماكوس Kh. Makkus ، وهي تقع في الشمال الشرقي من عسقلان وعلى بعد نحو تسعة كيلومترات منها ، ويحدها من الشمال قرية الجلدية Geladia ومن الجنوب الشرقي قرية الفالوجا el-Falugeh ومن الجنوب قرية قمصا Camsa ، ومن الجنوب الغربي مدينة عسقلان ومن الشمال الشرقي قرية بزة Bezze (خربة بزة Kh. Bezze) . انظر الخريطة .



(428) قرية صافي: تعرف بخربة صافي Kh. es-Saphe، ويطلق عليها أيضاً اسم قرية صافيت Saphet وتقع غربي مدينة نابلس ويحدها من الشمال قرية بيت ليد Beth Lid وقرية سفارين Saffarin ومن الشرق قرية كفر قدوم Kafer Kadum ومن الجنوب الشرقي قرية الفندق. انظر الخريطة.

Cf. Beyer, G., Neapolis (Nabulus) und Gebiet in der Kreuzfahrerzeit, pp. 168-169, 176, 181.

(429) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dam, Registre fol. 198, pp. 119-120. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34. Beyer, G., Neapolis (Nabulus) und gebiet in der Kreuzfahrerzeit, p. 181.

(430) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 43.

(431) قرية عجلين: تعرف باسم خربة عجلان Kh. Ajlan وهي تقع في الجنوب الشرقي من عسقلان وعلى بعد خمسة كلمترات منها، ويحدها من الشمال الشرقي قرية الجديدة Gadida ومن الجنوب الشرقي قرية تل الحسى Tell el-Hesy ومن الغرب قرية أم قيس Um Kis. انظر الخريطة.

Cf. Beyer, G., Die kreuzfahrergebiete Sudwestpalastinas, pp. 163-164.

(432) Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 112, p. 27.

(433) Röhrich, R., regesta, Doc. No. 113, pp. 27-28.

(434) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 43.

(435) قرية سوسمية: لم نستطع العثور على موقعها ويبدو أنها اندثرت.

(436) Delaborde, H. F., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19. Beyer, Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, p. 277.

(437) Delaborde, H. F., op. cit., loc. cit. Röhrich, R., op. cit., loc. cit.

(438) قرية بيت تعمر: تقع في حدود بيت لحم، وتعرف في الوقت الحاضر باسم خربة بيت تعمر Kh. Beth Tamar، وتحتوي على بعض الآثار المنقوشة على الصخر. وتقع قرية بيت تعمر في الجنوب الشرقي من بيت لحم، ويحدها من الشمال الغربي قرية بيت بزان، ومن الغرب بانحراف قليل نحو الشمال قرية ارطاس ومن الجنوب الغربي قرية تقوع. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٥٥٦. انظر أيضاً الخريطة المرفقة بالبحث.

Cf. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 191, 197.

(439) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(440) رادولف اليسنس: هو أحد النبلاء النورمانديين، ويبدو أنه أقام مع أسرته في إقطاعية الخليل، وقد ذكر اسم شقيقه والتر كشاهد على إحدى المنح التي قدمها هيو أمير قلعة الخليل لبعض الشخصيات في الخليل.

Geneviève, B. B., Acte No. 112, pp. 232-233, Index nomenclum, p. 405.

(441) جبل الجودي: يعرف بجبل شيلوه Shiloh، وفي عصر الحروب الصليبية عرف باسم جبل القديس صمويل St. Samuel، ويعتبر من أعلى الجبال في الأراضي المقدسة، ويقع على بعد فرسخين (أي ما يقارب أحد عشر كيلومتراً) من بيت المقدس، ويقع في الشمال الشرقي منها، ويبعد عن قرية الجب el-Gib (Gibeon) نحو فرسخ (خمس كيلومترات ونصف).

Cf. Burchard of Mount Sion, pp. 84-85.

(442) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhrich,



R. , Regesta , Doc. No. 80 , pp. 18-19 .

(443) قرية كوره : تعرف باسم خربة الكورة Kh. el-Kurah وهي تقع في إقطاعية تبينين وعلى بعد نحو ثمانية عشر كيلومتر جنوب غرب مدينة تبينين . انظر الخريطة .

(444) أدون كريسبي : ورد ذكره في الوثيقة تحت اسم ادو دي كرسيو Ado de Cheresio وقد حضر إلي الأراضي المقدسة بصحبة الأمير تانكرد الذي كان أحد أبناء وطنه ، مما يفيد أن أدو كان نورماندياً لأنه يتفق في أصله مع الأمير تانكرد .

Cf. Richard , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , Vol. 1 , p. 86 .

(445) Delaborde , H. F. , op. cit. , Doc. No. 6 , pp. 29-32 . Röhricht , R. , Regesta , Doc. No. 80 , pp. 18-19 .

(446) قرية الزيب : تقع في حدود إمارة الجليل ، ويكتب أسمها بأشكال مختلفة منها سب الزيب Sebezeb وسبسبه Sebeze ومن المرجح أن تكون خربة الزيب الواقعة في حدود صفد . انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٦ ، ق ٢ ، ص ٢٤٠ .

Cf. Bever , G. , Die kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea , p. 227 .

(447) Delaborde , H. F. , op. cit. , Doc. No. 6 , pp. 29-32 . Röhricht , R. , Regesta , Doc. No. 80 , pp. 18-19 .

(448) صفورية (Sephorie) Seffurieh : إحدى القرى الواقعة في إقليم الجليل ، ويحدها من الشرق قرية كفر كنا Kafer Kanna ومن الجنوب الشرقي مدينة الناصرة ومن الجنوب الغربي قرية عيلوت (عيلوط) (Aylot) Ailut ، ومن الشمال قرية روما Roma (خربة روما Kh. Roma) وزمن الفتح الإسلامي خضعت صفورية لشرحبيل بن حعام . وبها عين تعرف بعين القسطل ، وبسبب غزارة مياه العين ، أطلق عليها عيون صفورية . كما يوجد في القرية بقايا قلعة صليبية . انظر : حسين روجي : مختصر جغرافية فلسطين ، ص ٨٥ . مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ١ ، ص ١٧١ . وذكر الرحالة مارينو مارينو سانوتو Marino Sanuto أن صفورية تبعد عن الناصرة نحو فرسخين (مايقارب أحد عشر كيلومتراً) ، وهي مكان مولد القديسة حنة St. Anne (والدة السيدة مريم العذراء) وقد أشار مارينو إلى وجود قلعة فائقة الجمال في صفورية .

Cf. Secrets for true Crusaders to help them to recover the Holy Places , trans. by A. Stewart , Vol. 12 , in pp. T.S. London 1896 , p. 37 .

(449) Kohler , Ch. , Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame , Registre , fol. 188 , pp. 117-118 . Delaborde , Doc. No. 6 , pp. 29-32 . Röhricht , R. , Regesta , Doc. No. 80 , pp. 18-19 .

(450) Kohler , Ch. , op. cit. , loc. cit. Delaborde , H. F. , op. cit. , loc. cit. Röhricht , R. , op. cit. , loc. cit. .

(451) قرية تعنك : تعرف أيضاً باسم تانيس Thanis ويكتب اسم القرية بأشكال مختلفة منها Thannoch , Thannoc . ويحدها من الشمال قرية زبوبة (Ezbuba) Sububa ومن الجنوب الشرقي قرية السيلة الحارثية el-Sileth al-Harthieh ومن الجنوب قرية اليامون el-Yamon ومن الغرب قرية أم الفحم Omm el-Fahim وقرية تعنك تبعد عن الناصرة نحو ثمانية وعشرين كيلومتراً ، وتبعد عن جنين نحو اثني عشر كيلومتراً ، وتبعد عن اللجون سبعة كيلومترات ، وتقع في الجنوب الغربي منها .

Cf. Beyer , G. , Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea , pp. 226-232 .

(452) Delaborde , H. F. , op. cit. , Doc. No. 9 , pp. 35-36 . Röhricht , R. , Regesta , Doc. No. 97 , p. 22 .

من بين الشهود الذين حضروا إبرام العقد ادليم Adelem رئيس شمامسة طبرية ، ورئيس كنائس الناصرة ، وكثير من القساوسة ، ومارتن ترجمان الناصرة وآخرون .

Cf. Delaborde , , op. cit. , loc. cit. Röhricht , R. , op. cit. , loc. cit. .



(453) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 58, pp. 149-150. Migne, P. L., tomus 155, Doc. No. 70, Cols. 1168-1169.

(454) ماهوميريا Mahumaria : كلمة لاتينية يعني مسجد Mosquee.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Index Perum, p. 429.

(455) Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, Registre, fol. 208, p. 124.

(456) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(457) Richard, J., The Latin kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 86.

(458) Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, Registre, fol. 209, p. 124.

(459) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19.

(460) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.

(461) Geneviève, B. B., Acte, Acte No. 55, pp. 145-146. de Rozière, Doc. No. 67, pp. 138-139. Migne, tomus 155, Doc. No. 67, Cols. 1166-1167. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 127, p. 31.

(462) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 35-36.

(463) Ibid., loc. cit.

(464) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 6, pp. 39-44.

(465) Ibid., p. 39, note 2.

(466) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 6, pp. 39-44.

(467) Ibid., p. 39, note 5.

(468) Ibid., Acte No. 6, pp. 39-44.

(469) Ibid., loc. cit.

(470) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 226.

. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧١.

(471) Conder, The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 195.

(472) Hamilton, B., op. cit., p. 95.

(473) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 66, pp. 161-162.

(474) de Rozière, op. cit., Doc. No. 82, pp. 161-162.

(475) ذكر أحد المؤرخين الحديثين أنه لم يكن بإمكان ملك بيت المقدس الصليبي إلغاء عمليات البيع أو الشراء أو التبادل التي كانت تقوم بها الكنائس والأديرة.

Cf. Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 298.

(476) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧٢.

(477) Mayer, H. F., op. cit., p. 168.

(478) أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١٢٢-١٢٥.

William of Tyre, op. cit., Vol. 1, pp. 394-397.

(479) Fulcher of Chartres, p. 141. Albert d'Aix, pp. 521, 537-538.

Translatio Sancti Nicolai in Ventam, pp. 277-278. Cf. also:

Deschamps, P., p. 125. Grousset, R., Vol. 1, p. 200.

(480) معتمد الدولة طغتكين: كان أحد أتباع تاج الدولة تتش السلجوقي، تزوج من والدة دقاق بن تاج الدولة، وبعد وفاة تاج الدولة تتش التحق معتمد الدولة بخدمة الأمير دقاق، الذي «مال إليه

وحكمه في بلاده». وبعد موت دقاق سيطر معتمد الدولة طغتكين على دمشق وعامل أهلها معاملة حعام «وبث فيهم العدل». انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٢٤٨، ٣٧٧. (481) دانيث danith: تعرف اليوم باسم تل دانيت Tell Danit.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 532, note 40.

(482) William of Tyre, Vol. 1, pp. 532-535. Walter the Chancellor, De Bello Antiocheno, tome V, R.H.C. -H. Occ., Paris 1869, pp. 100-123. Cf. also: Stevenson, W., p. 105. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 33. Hamilton, B., p. 65. Grousset, R., Vol. 1, pp. 565-570. Nicholson, R.L., The Growth of the Latin States, 1114-1118, in Setton, A History of the Crusades, Vol. 1, p. 414.

أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، ص ١٥٣. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٩٣. السيد الباز العريني: الشرق الأوسط والحروب الصليبية، ص ٣٣١. ذكر فوشيه الشارترى Fulcher of Chartres أن المعركة كانت يوم الثلاثاء التاسع عشر من أغسطس عام ١١١٩م/ السابع من جمادي الأولى عام ٥١٣هـ.

وأشار متي الرهاوي Matthieu d'Edessa إلى أن المعركة بين الصليبيين والمسلمين كانت يوم السبت الموافق السادس عشر من أغسطس عام ١١١٩م/ السابع من جمادي الأولى عام ٥١٣هـ.

Cf. Extraits de la Chronique, p. 124.

(483) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 550.

(484) Ibid., p. 551.

(485) Ibid., loc. cit.

(486) Ibid., p. 552.

ذكر ابن القلانسي أن حصار الصليبيين لمدينة صور بدأ في شهر ربيع الأول عام ٥١٨هـ/ إبريل عام ١١٢٤م. انظر: تاريخ دمشق، ص ٣٣٧.

(487) William of Tyre, op. cit., Vol. 2, 21. Fulcher of Chartres, op. cit., p. 256.

أشار ابن القلانسي إلى أن تاريخ استيلاء الصليبيين على مدينة صور كان في الثالث والعشرين من جمادي الأولى عام ٥١٨هـ/ الثلاثاء الثامن من يولية عام ١١٢٤م. انظر: تاريخ دمشق، ص ٣٣٧.

(488) William of Tyre, Vol. 1, pp. 540-541. Matthieu d'Edessa, p. 133. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 102, pp. 23-24. Hamilton, B., pp. 63-65.

محمود عمران: القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين، ص ٥٥.

(489) Hamilton, B., op. cit., p. 65.

(490) Jean de Ibelin, tome 1, pp. 422-423. Cf. also: Mayer, H. E., p. 168. Richard, J., The latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 109. Hamilton, B., p. 137.

(491) Ibid, B., p. 137.

(492) Jean d'Ibelin, tome 1, pp. 426-427. Cf. also: Mayer, H.E., p. 164. Runciman, S., Vol. 2, pp. 310-311. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 108. Samil, R., C., Crusading Warfare, p. 91.

يوشع براثر: عال الصليبيين، ص ٩٧.

(493) Fulcher of Chartres p. 210. William of Tyre, Vol. 1, pp. 535-536.

(494) انظر ما سبق من هذه الدراسة، ص ٢٣٤.

(495) Runciman, S., op. cit., Vol. 2, p. 100.



(496) William of Tyre, Vol. 2, pp. 39-40. Cf. also: Hamilton, B., p. 40.

(497) Delaborde, H. F., op. cit., Doc. No. 24, pp. 56.

(498) Geneviève, B.B., Acte No. 19, pp. 72-74. de Rozière, op. cit., Doc. No. 36, pp. 71-72. Migne, tomus 155, Doc. No. 36, Cols. 1129-1130. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 40, p. 7, Smail. Crusading Warfare, pp. 90-92.

(499) Smail, Crusading Warfare, pp. 90-92.

(500) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٤٩٦. سبط ابن الخوري: مرآة الزمان، ج ٨، ق ١، ص ٤٣. ابن القلانسي: تاريخ دمشق، ص ٢٩٧.

Cf. also: Fulcher of Chartres, p. 207. William of Tyre, Vol. 1, pp. 493-494.

(501) Fulcher of Chartres, p. 208. Anonymus, Secunda Pars. Historia Hierosolimitanae, in R.H.C. -H. Ocs, tome III, Paris 1866, 571. Anonymus, L'histoire de Jerusalem et de Antioche, R.H.C. -H. Occ, tome V, p. 644.

(502) Fulcher of Chartres, p. 266. William of Tyre, Vol. 2, pp. 17-18. Cf. also: Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem Vol. 1, p. 125.

(503) Fulcher of Chartres, op. cit., p. 208.

(504) William of Tyre, Vol. 1, pp. 535-536. Cf. also: Hamilton, B., pp. 64-65.

(505) William of Tyre, op. cit., vol. 1, p. 536.





### الفصل الثالث

«أهم التطورات التي شهدتها الإقطاعات الكنسية في مملكة

بيت المقدس الصليبية» ١١٣١-١١٨٧ م / ٥٢٥-٥٨٣ هـ.

١- اكتمال تنظيم الكنيسة اللاتينية .

٢- استمرارية المنح والإقطاعات المقدمة للكنائس والأديرة .

٣- التوسع في عملية شراء القرى والأراضي والعقارات من

أجل زيادة مساحة الإقطاع الكنسي .

٤- الاختلافات والمنازعات بين الكنائس والأديرة حول

ملكية بعض الأراضي وبخصوص جباية ضرائب العشر .

٥- الإنجازات التي قام بها رجال الدين اللاتين في الإقطاعات الكنسية .

٦- طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين وفئات السكان المقيمة في الإقطاعات الكنسية .

٧- أهم العوامل الداخلية والخارجية المؤثرة على الإقطاعات الكنسية .





### الفصل الثالث

أهم التطورات التي شهدتها الإقطاعات الكنسية في ممتلكات بيت المقدس  
الصليبية

١١٣١-١١٨٧ م / ٥٢٥-٥٨٣ هـ

اتضح من خلال دراستنا للفصل الثاني أن المؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية حازت على منح وإقطاعات من مصادر مختلفة ، وأن هذه الإقطاعات كانت تقوم أساساً على مبدأ امتلاك الأرض واستغلالها والإفادة مما تنتجه من خيرات ، وهي بذلك تشبه الإقطاعات العلمانية مع اختلاف بسيط ، وهو أن الإقطاعات الكنسية تكون تابعة مباشرة لسلطة رجال الدين اللاتين ، وعلاوة على ذلك فإن الكنائس والأديرة وجميع المؤسسات الكنسية اللاتينية لم تكن ملزمة بتقديم الخدمات الحربية على أساس التبعية الإقطاعية ، وإنما كانت تقدمها على أساس الأملاك والإقطاعات التي حازتها في أماكن مختلفة من العالم المعروف وقتذاك . وهذا يعني أن المؤسسات الكنسية كانت تقدم الخدمات الحربية للملك الصليبي ، ليس على أساس التبعية الإقطاعية ، وإنما بناء على ما كانت تمتلكه من ثروات سواء داخل الكنيسة أو خارجها .

وقد بدأ واضحاً أن بابا روما كان مسؤولاً عن بطريركية بيت المقدس اللاتينية ، وذلك من خلال اهتمامه بفض المنازعات التي نشبت بين رجال الدين أنفسهم أو بين رجال الدين والدنيا ، إذ لجأ بابوات روما إلى إرسال مبعوثين عنهم إلى مملكة بيت المقدس الصليبية من أجل تقصي الحقائق وعقد الاجتماعات لمناقشة أسباب المنازعات ، والعمل على إنهاؤها بجميع الطرق والوسائل ، وذلك إسهاماً من بابوات روما في نشر السلام بين الصليبيين في الأراضي المقدسة ، والقضاء على الفتن والاضطرابات ومن أجل ذلك أوفد البابا باسكال الثاني كثيراً من المبعوثين للتحقيق في الشكاوي التي أرسلها الملك بلدوين الأول إلى روما ضد البطريرك دايمبرت أوف بيزا . كذلك اهتمت البابوية بحل النزاع الذي نشب بين بطريركية بيت المقدس وبطريركية أنطاكية حول المركز الأسقفي في صور والأسقفيات التابعة له . وقد أظهر البابا باسكال الثاني براعة كبيرة ، ودبلوماسية عالية في معالجة هذه القضية ، وذلك من خلال الرسائل الكثيرة التي أرسلها إلى أطراف النزاع ، وذلك من أجل تهدئة النفوس والعمل على نشر الأمن والاستقرار بين جموع الصليبيين في الأراضي المقدسة . وباعتبار أن بابا روما كان المسؤول الأول عن رجال الدين اللاتين في المملكة ، فهو المسؤول أيضاً عن جميع المؤسسات الكنسية اللاتينية وما حازته



من إقطاعات داخل المملكة أو خارجها ، وذلك لأنه كان يقوم بالتأكيد على جميع المنح والإقطاعات التي حصلت عليها الكنائس والأديرة وكافة المؤسسات الكنسية في المملكة . وفي هذا الصدد قام البابا انوسنت الثاني Innocent II (١١٣٠-١١٤٣م)<sup>(١)</sup> في يوم الاثنين الموافق السادس والعشرين من يولية عام ١١٣٨م/ السادس والعشرين من شوال عام ٥٣٣هـ بالتأكيد على جميع المنح والإقطاعات التي حصلت عليها كنيسة القيامة سواء في بلاد الشام أو في الغرب الأوروبي . وقد تم التأكيد على ذلك بواسطة رسالة أرسلها البابا مع أحد الكرادلة إلى بطرس رئيس كنيسة القيامة وقتذاك<sup>(٢)</sup> .

وبناء على ما سبق فإننا نعتبر البابا سيداً إقطاعياً على جميع الممتلكات والإقطاعات الكنسية في جميع الإمارات الصليبية في بلاد الشام ، وهو بذلك يأتي على قمة الهرم الإقطاعي الكنسي ، يليه في التسلسل الهرمي الكرادلة ثم البطارقة ، فرؤساء الأساقفة ، فالأساقفة ، فرؤساء الكنائس والأديرة ، فالقساوسة ، حتى نصل إلى قاعدة الهرم الإقطاعي العريضة ، التي تتألف من الرهبان والشمامسة والكتبة وغيرهم من صغار رجال الدين اللاتين العاملين في مختلف المؤسسات الكنسية القائمة في مملكة بيت المقدس الصليبية .

وبطبيعة الحال كان بطريرك بيت المقدس اللاتيني على قمة الهرم الإقطاعي الكنسي ، لأنه كان يتولى أعلى المناصب الدينية في المملكة ، ويليه في المنزلة رؤساء الأساقفة في قيسارية والناصرة وصور الكرك<sup>(٣)</sup> ، ويأتي بعد هؤلاء أساقفة سبسطية وطبرية وصيدا وعكا وبيروت وبيت لحم وجميع أساقفة المملكة ، يليهم في التدرج الهرمي الإقطاعي رؤساء الكنائس والأديرة الكبيرة في المملكة ، من أمثال رئيس كنيسة القيامة ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوذا فاط وغيرهم ، وبعد هؤلاء يأتي القساوسة والشمامسة حتى نصل إلى القاعدة العريضة التي كانت تتألف من صغار رجال الدين اللاتين ، الذين كانوا يقيمون في الكنائس والأديرة ويقومون بأعمال الكتابة والخدمة في هذه المؤسسات . وكان جميع هؤلاء يقدمون يمين الولاء والطاعة إلى بطريرك بيت المقدس ، الذي تمتع بسلطانه ونفوذه عن طريق تفويض من البابا<sup>(٤)</sup> .

وكان على كل رجل دين أن يقدم يمين الولاء والطاعة لمن هو أعلى منه في المنصب ، فرؤساء الأساقفة يقدمون واجبات الولاء والتبعية لبطريرك بيت المقدس ، بينما كان على الأساقفة أن يقدمون يمين الولاء والتبعية لرئيسهم . وفي بعض الحالات النادرة كان الأساقفة يرفضون تقديم يمين الولاد والطاعة لرئيسهم ، كما أنهم كانوا يرفضون الامتثال لقراراته . فعندما تم تعيين برنارد كأول أسقف لاتيني لأسقفية صيدا وبلدوين<sup>(٥)</sup> كأول



أسقف لاتيني لأسقفية بيروت عام ١١٣٣م / ٥٢٧هـ،<sup>(٦)</sup> وكذلك تعيين يوحنا كأول أسقف لاتيني لأسقفية عكا عام ١١٣٥م / ٥٢٩هـ<sup>(٧)</sup>، وقد رفض هؤلاء الثلاثة تقديم واجبات الولاء والتبعية إلى فولشر<sup>(٨)</sup> رئيس أساقفة صور، الأمر الذي دفع بابا روما إلى التدخل من أجل إصلاح العلاقة بين الأطراف المتنازعة، وفي هذا الصدد أرسل البابا انوسنت الثاني في يوم الثلاثاء الموافق السابع عشر من يناير عام ١١٣٩م / الرابع عشر من جمادي الأولى عام ٥٣٣هـ، رسالة إلى أساقفة عكا وصيدا وبيروت يطلب منهم الامتثال لأوامر رئيسهم وطاعته، وإلقاء جميع الأعذار جانباً. وقد هددهم البابا إذا ما استمروا في عنادهم، بأنه سوف يقر العقوبة التي سبق أن قررها عليهم رئيسهم وفقاً للقوانين الكنسية<sup>(٩)</sup>. وليس من شك في أن رسالة البابا تشير إلى أن أساقفة صور المساعدين تمردوا على رئيسهم فولشر - الذي تولي منصب رئاسة أسقفية صور عام ١١٣٥م / ٥٢٩هـ مما دفعه إلى إصدار بعض القرارات الكنسية ضدهم، كما أرسل إلى بابا روما يعلمه بذلك. وفي نفس العام أرسل البابا وليم بطريرك بيت المقدس يطلب منه أن يحسن معاملة رئيس أساقفة صور، وأن يعيد له جميع حقوقه كاملة. ويتضح من بين سطور الرسالة أن البابا انوسنت الثاني هدد بطريرك بيت المقدس، في حالة عدم تنفيذه لهذا الأمر، فإنه سوف يجعل مقاطعة صور تعتمد على الكرسي البابوي في روما، بدلاً من تبعيتها لسلطان بطريرك بيت المقدس القضائي<sup>(١٠)</sup>.

وكان البابا انوسنت الثاني قد بعث بعدة رسائل إلى كل من فولشر رئيس أساقفة صور ويوحنا أسقف عكا وبرنارد أسقف صيدا وبلدوين أسقف بيروت يطلب منهم تقديم الولاء والطاعة لوليم بطريرك بيت المقدس، ففي يوم الأحد الموافق الثامن عشر من يولييه (تموز) عام ١١٣٧م / السابع والعشرين من ذي القعدة عام ٥٣١هـ أرسل البابا رسالة إلى فولشر والأساقفة المساعدين له يطلب منهم عدم تفضيل أي رجل على بطريرك بيت المقدس، لأنه رجل عظيم ويحب الآخرين، ومن الواجب احترامه، وتقديم الولاد والطاعة الواجبة له باعتباره بطريرك بيت المقدس<sup>(١١)</sup>. وبخصوص هذا الموضوع أرسل البابا رسالة ثانية إلى رئيس أساقفة صور، يؤكد له فيها على تبعية أسقفية إلى بطريركية بيت المقدس، وفي نفس الوقت يحذره من السماح لبطريركية أنطاكية بالتدخل في شؤون الأسقفية بأي شكل من الأشكال، لأن بطريرك بيت المقدس هو صاحب السلطان القضائي على أسقفية صور ومن حقه التدخل في شؤونها. وكانت هذه الرسالة مؤرخة في يوم الأربعاء الموافق الثامن والعشرين من يولييه عام ١١٣٨م / الثامن والعشرين من شوال عام ٥٣٣هـ<sup>(١٢)</sup>. ولعل رسائل البابا انوسنت الثاني بطريرك بيت المقدس وإلى رئيس أساقفة



صور وأساقفته المساعدين ، تشير إلى حرص البابوية على إنهاء الخلافات بين كبار رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية . ويبدو أن بطريك أنطاكية كان يتدخل في شؤون أسقفية صور ، الأمر الذي أزعج البابا وجعله يرسل إلى رئيس أساقفة صور يطلب منه عدم السماح لبطريك أنطاكية بالتدخل في شؤون أسقفية صور ، وفي الوقت نفسه طلب منه تقديم الولاء لبطريكية بيت المقدس باعتباره صاحب السلطان القضائي على أسقفيته .

ويبدو أن جهود البابا انوسنت الثاني قد أثمرت بإنهاء الخلافات بين الأطراف المتنازعة ، فعلى سبيل المثال استعاد فولشر رئيس أساقفة صور مكانته في كنيسة بيت المقدس وحظي باهتمام بطريركها ، وتحسن مركزه كثيراً عندما تسلم الصليبيون مدينة بانياس عام ١١٤٠م / ٥٣٥هـ<sup>(١٣)</sup> ، إذ اجتمع المسيحيون بناء على اقتراح البطريك وليم الأول وبموافقة واستحسان فولشر رئيس أساقفة صور - الذي تخضع كنيسة بانياس لسلطانه المؤكد ، باعتباره رئيساً لأساقفة صور- لانتخاب أسقف لبانياس . وقد وقع اختيار المجتمعين على آدم Adam رئيس شمامسة عكا ليكون أول أسقف لاتيني لمدينة بانياس<sup>(١٤)</sup> ، التي كانت قبل ذلك أسقفية أرثوذكسية مثل بيروت وصيدا وعكا<sup>(١٥)</sup> . وبإنشاء أسقفية بانياس اللاتينية يصبح عدد الأساقفة المساعدين لرئيس أساقفة صور ، أربعة أساقفة هم : أسقف صيدا ، وأسقف بيروت وأسقف عكا ، وأخيراً أسقف بانياس ، وجميع هؤلاء الأساقفة ورئيسهم يتبعون البطريك اللاتيني في بيت المقدس<sup>(١٦)</sup> .

وشهدت مدينة بيت المقدس زمن حكم البطريك وليم الأول تأسيس أسقفية لاتينية في طبرية عام ١١٤٤م / ٥٣٩هـ<sup>(١٧)</sup> ، وأصبح أسقف طبرية اللاتيني مساعداً لرئيس أساقفة الناصرة<sup>(١٨)</sup> . وكان الياس Elias أول أسقف لاتيني لطبرية ، وقد ذكر في إحدى وثائق كنيسة القيامة المؤرخة بين الفترة الواقعة بين العاشر من مارس إلى الحادي والثلاثين من أغسطس (آب) عام ١١٤٤م / الثالث من رمضان ٥٣٨هـ إلى التاسع والعشرين من صفر عام ٥٣٩هـ ، وكان الياس شاهداً على المنحة التي أكدها الملك بلدوين الثالث لكنيسة القيامة<sup>(١٩)</sup> .

يتضح مما سبق أن طبرية كانت أسقفية أرثوذكسية قبيل استيلاء الصليبيين على الأراضي المقدسة<sup>(٢٠)</sup> . وبتأسيس أسقفية طبرية اكتمل التنظيم الكنسي اللاتيني في شمال ووسط مملكة بيت المقدس الصليبية ، وقد اتفق ذلك مع نهاية حكم البطريك وليم الأول الذي توفي عام ١١٤٥م / ٥٣٩هـ<sup>(٢١)</sup> . وهذا يعني أن رجال الدين اللاتين لم ينتهوا من تنظيم الكنيسة اللاتينية في المملكة ، خلال فترة ست وأربعين عام ، إذ بقي على رجال الدين اللاتين أن يقوموا بتنظيم الكنيسة اللاتينية في المنطقة الواقعة فيما وراء نهر الأردن ،



، كذلك في منطقة جنوب بيت المقدس . وهذا يعني أن رجال الدين اللاتين لم يقوموا بتأسيس أسقفيات لاتينية في هذه المناطق . وفي عام ١١٦٨م / ٥٦٣هـ وأثناء حكم البطريرك عموري من نسل Amalaric of Nesle<sup>(٢٢)</sup> ، اكتمل تنظيم الكنيسة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية<sup>(٢٣)</sup> ، بإنشاء أسقفيتين جديدتين الأولى في الخليل ، حيث تم تعيين أحد رجال الدين اللاتين ، وكان يدعى رينالد Rainald<sup>(٢٤)</sup> -وهو ابن أخت البطريرك فولشر- ليكون أول أسقف لاتيني لأسقفية الخليل الجديدة ، فضلاً عن أنه كان مساعداً لبطريرك بيت المقدس . أما الأسقفية الثانية فتم إنشاؤها في مدينة البتراء ، التي كانت مركزاً أسقفياً أرثوذكسياً قبيل قدوم الصليبيين إلى الأراضي المقدسة . وبطبيعة الحال أصبحت البتراء المركز الديني اللاتيني لجميع المناطق الواقعة شرقي نهر الأردن . وقد قام الصليبيون بتعيين أحد رجال الدين اللاتين ، ويدعى والتر Walter<sup>(٢٥)</sup> ليكون أول رئيس أساقفة لها<sup>(٢٦)</sup> . وفي عام ١١٦٩م / ٥٦٤هـ قام رجال الدين اللاتين بتحويل كنيسة القديس بطرس في يافا إلى كنيسة كاتدرائية ، وفي نفس العام قاموا بإعادة تشكيل أسقفية بانياس مرة أخرى<sup>(٢٧)</sup> . وقد اتضح من خلال التنظيم الكنسي اللاتيني أن الصليبيين أجروا بعض التغييرات الطفيفة في المراكز الأسقفية ، وذلك عندما حولوا الناصرة إلى مركز أسقفى بدلاً من بيسان التي كانت تتمتع بالمركز الأسقفى قبيل قدوم الصليبيين ، كما نقلوا المركز الأسقفى من البتراء إلى الكرك في مؤاب<sup>(٢٨)</sup> .

وعلى الرغم من أن رجال الدين اللاتين أكملوا تنظيم الكنيسة اللاتينية وإنشاء الأسقفيات والمراكز الأسقفية عام ١١٦٨م / ٥٦٣هـ ، إلا أن الكثير من المدن لم يكن بها أساقفة . فمدينة يافا كانت تدين بالتبعية الكنسية لرئيس كنيسة القيامة ، وكانت نابلس خاضعة لرئيس دير معبد السيد Templum Domini قبة الصخرة<sup>(٢٩)</sup> ، ومدينة حيفا كانت تخضع لرئيس أساقفة قيسارية ، ومدينة عسقلان كانت تابعة لأسقفية بيت لحم<sup>(٣٠)</sup> . وكان أساقفة اللد وبيت لحم والخليل يخضعون لسلطة بطريرك بيت المقدس مباشرة<sup>(٣١)</sup> . وهذا يعني بطريرك بيت المقدس بالإضافة إلى كونه رئيساً للكنيسة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، إلا أنه كان بمثابة رئيس لأساقفة بيت لحم واللد والخليل ، الذين كانوا بمثابة أساقفة مساعدين للبطريرك فيما يتعلق بالشؤون الدينية للأسقفيات الثلاث . وتجدر الإشارة إلى أن سلطة بطريركية بيت المقدس ، شملت جميع المناطق التي كانت تشكل البطريركية المقدسية الأرثوذكسية باستثناء بصرى Bosra<sup>(٣٢)</sup> ، التي بقيت مركزاً أسقفياً أرثوذكسياً ، لأنها لم تخضع للسيطرة الصليبية ، بل بقيت تحت السيادة الإسلامية<sup>(٣٣)</sup> .

يتضح مما سبق أن الصليبيين حاولوا بقدر الإمكان المحافظة على التقسيمات الأثوذكسية ، كما قاموا بدمج بعض الأسقفيات لتشكيل مقرأ أسقفياً كبيراً يكون



مقارناً للنمط الأوروبي<sup>(٣٤)</sup>. فعلى سبيل المثال لم يجر الصليبيون أية تغييرات في الأسقفيات الشمالية، حيث بقي المركز الأسقفي في صور كما كان عليه زمن الأرثوذكس، وكان يخضع لسلطة رئيس أساقفة صور أربعة أساقفة مساعدين هم: أسقف عكا، وأسقف صيدا، وأسقف بيروت، وأسقف بانياس. كذلك بقيت قيسارية مركزاً أسقفياً مع أسقفية في سبسطية<sup>(٣٥)</sup>. وقام رجال الدين اللاتين بنقل المركز الأسقفي من بيسان إلى الناصرة بسبب قدسيته<sup>(٣٦)</sup>، وأصبحت طبرية أسقفية مساعدة للناصرة<sup>(٣٧)</sup>. كذلك قام رجال الدين اللاتين بتحويل المركز الأسقفي الأرثوذكسي في البتراء إلى مركز أسقفي لاتيني، والغريب في الأمر أن الصليبيين كانوا يعتبرون دير سانت كاترين St. Catharine في جبل سيناء من ضمن المناطق التابعة لنفوذ رئيس أساقفة البتراء<sup>(٣٨)</sup>، على الرغم أن سيناء لم تخضع للسيطرة الصليبية بتاتا. وقد وصل الطموح برجال الدين اللاتين أنهم اعتبروا رئيس دير سانت كاترين الأرثوذكسي أسقفاً مساعداً لرئيس أساقفة البتراء، لكن الواقع يقول غير ذلك لأن الدير من الناحية السياسية يتبع السيادة المصرية ومن الناحية الروحية يتبع الكنيسة الشرقية. وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن مدينة أريحا كانت تابعة لحكم رئيس أساقفة البتراء<sup>(٣٩)</sup>، وهذا الأمر يبدو غير منطقي لأن أريحا كانت تابعة لكنيسة القيامة في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة، وليس من السهل أن تتنازل عنها ببساطة، خاصة وأنها كانت تدر على الكنيسة ثروة ضخمة<sup>(٤٠)</sup>. وفي النهاية نستطيع القول أن كنيسة بيت المقدس جميعها كانت تحت رئاسة البطريرك، الذي كان يتبعه أربعة رؤساء أساقفة هم: رئيس أساقفة صور مع أربعة أساقفة مساعدين له في عكا، وصيدا، وبيروت، وبانياس، ورئيس أساقفة قيسارية مع أسقف مساعد في سبسطية، ورئيس أساقفة الناصرة مع أسقف مساعد في طبرية، ورئيس أساقفة البتراء. وكان أساقفة بيت لحم واللد والخليل يخضعون لسلطة بطريرك بيت المقدس مباشرة، كما كان يخضع لسلطته أيضاً رئيس كنيسة القيامة، ورئيس دير معبد السيد، ورئيس دير جبل صهيون ورئيس دير جبل الزيتون، وكذلك رئيس دير القديسة مريم لللاتين، ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، ورئيس دير القديسة حنة Anne ورئيس دير بيثاني Bethany<sup>(٤١)</sup>. وكان رهبان دير جبل طابور يتبعون رئيس أساقفة الناصرة الذي كان يخضع لسلطة بطريرك بيت المقدس<sup>(٤٢)</sup>.

وقد اتضح من خلال الدراسة أن الصليبيين في الأراضي المقدسة قاموا بتحويل الأسقفيات الأرثوذكسية إلى أسقفيات لاتينية، كما قاموا بإنشاء أسقفيات جديدة مثل أسقفية بيت لحم التي أنشئت بفضل جهود الملك بلدوين الأول، وأسقفية الخليل التي أقيمت عام ١١٦٨م / ٥٦٣هـ، أيام حكم الملك عموري الأول. كما أجرى رجال الدين اللاتين في المملكة



بعض التعديلات في الحدود الكنسية بين بطريركية بيت المقدس وبطريركية أنطاكية ، عندما ضموا أسقفيات عكا ، صور ، وصيدا ، وبيروت ، وبانياس إلى بطريركية بيت المقدس . وقد تم هذا الأمر بمساعدة ملوك بيت المقدس ، وبقرار من البابا باسكال الثاني بتأكيد من البابا هنوريوس الثاني . وكانت هذه الأسقفيات تخضع لسلطان بطريركية أنطاكية القضائي قبيل قيام الحروب الصليبية . ويلاحظ هنا أنه تم ربط الحدود الكنسية لبطريركية بيت المقدس مع الحدود السياسية للمملكة أي أن المدن والمقاطعات التي استولى عليها الملك الصليبي ، تدخل ضمن الحدود السياسية للمملكة ، ومن الناحية الروحية تخضع لحكم بطريركية بيت المقدس . ومن هنا نستطيع القول إن حدود كنيسة بيت المقدس اللاتينية امتدت من إقطاعية بيروت في الشمال حتى رفح في الجنوب ، وفي الشرق امتدت حدودها إلى ما وراء نهر الأردن ، حيث قام رجال الدين اللاتين بتحويل المركز الأسقفي الأرثوذكسي في البتراء إلى مركز أسقفي لاتيني ، ثم نقلوه بعد ذلك إلى الكرك في مؤاب . وقد ظهر من خلال الدراسة أن عملية تنظيم الكنيسة اللاتينية لم تتم دفعة واحدة ، بل استغرقت مدة طويلة امتدت من عام ١٠٩٩ - ١١٦٨ م / ٤٩٢ - ٥٦٣ هـ . ولعل عدم اكتمال الكنيسة اللاتينية خلال فترة قصيرة يرجع إلى عوامل سياسية ودينية ، تحكمت بها الظروف المحيطة بالمملكة الصليبية ، وخير دليل على ذلك الظروف السياسية والدينية التي تعرضت لها عملية إنشاء المركز الأسقفي في صور ، وتحديد الأسقفيات التابعة له . وهذا يجعلنا نقول إن تنظيم الكنيسة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية ، تعرض لكثير من الصعوبات ، واستغرق مدة طويلة امتدت نحو تسع وستين عام . وقد أسهمت البابوية في عملية التنظيم من خلال تدخلها المباشر في كافة الأمور الدينية التي تتعلق برجال الدين اللاتين وكنائسهم وأديرتهم ، لدرجة أن بابا روما كان يقوم بالتأكيد على المنح والإقطاعات التي حازتها المؤسسات الكنسية اللاتينية داخل حدود المملكة أو خارجها ، ذلك من خلال الرسائل التي كان يبعث بها إلى رؤساء الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الصليبية .

أما فيما يتعلق بالإقطاعات الكنسية التي حازتها الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الصليبية في الفترة الواقعة بين عام ١١٣١ - ١١٨٧ م / ٥٢٥ - ٥٨٣ هـ فقد تطورت تطورا كبيرا ، ولعل ذلك يرجع إلى استمرار المنح والإقطاعات التي كان يقدمها الملوك والأمراء وأفراد الطبقة البرجوازية لكافة المؤسسات الكنسية في المملكة الصليبية ، الأمر الذي أدى إلى زيادة أملاكها وثرواتها . وكان رجال الدين اللاتين حريصين على استغلال ثروات كنائسهم وأديرتهم عن طريق التدبير الحريص



واستثمار الأموال التي بين أيديهم بطرق إيجابية ، تؤدي في النهاية إلى زيادة أملاك هذه المؤسسات . فقد لجأ رجال الدين إلى شراء الأراضي والعقارات من أجل زيادة أملاكهم . وعلى الرغم من أن أولى مشترياتهم كانت بسيطة ، إلا أنهم أخذوا يتوسعون في عمليات الشراء . وقد حصلت الكنائس والأديرة على الكثير من المنح والإقطاعات زمن حكم الملك فولك اوف انجو ، فقد قام وليم دي بور أمير الجليل بمنح قريتي جبول Gebul<sup>(٤٣)</sup> وهيلكار Helkar (خربة قارا Khirbet Kara)<sup>(٤٤)</sup> الواقعتين في حدود إمارة الجليل مع كل ما يحيط بهما من أراضي إلى رجال الدين في كنيسة القيامة . وقد تمت هذه المنحة بموافقة جميع ورثة وليم دي بور في يوم الأربعاء الموافق الحادي والثلاثين من أغسطس (آب) عام ١١٣٢ م / السابع عشر من شوال عام ٥٢٦ هـ . وقد حصلت كنيسة القيامة على هذه المنحة بحضور الملك فولك اوف انجو ، ووليم الأول بطريرك بيت المقدس ، ووليم رئيس أساقفة الناصرة ، وانسليم أسقف بيت لحم ، وبطرس رئيس كنيسة القيامة ، وارانالد رئيس دير جبل صهيون وآخرون<sup>(٤٥)</sup> . ولم تحدث مشاكل عندما انتقلت ملكية القريتين إلى كنيسة القيامة ، وذلك لأن وليم دي بور كان من الأمراء الأقوياء في المملكة ، كما أنه قدم المنحة بموافقة ورثته ، وبحضور كبار الشخصيات في المملكة .

تعد المنحة السابقة من أكبر المنح والأملاك التي حازتها كنيسة القيامة في إمارة الجليل ، وذلك لأن مساحة أراضي القريتين كانت كبيرة جداً ، إذا ما قورنت بمساحة أراضي القرى الأخرى . فقد كانت أراضي قريتي جبول وهيلكار تمتد طويلاً من قرية يبلى Yebla<sup>(٤٦)</sup> الواقعة في الشمال الغربي من جبول ، وتتصل بأراضي قرية كفرا Kafra<sup>(٤٧)</sup> وتخرق أراضي قرية دير سويت Der Soet<sup>(٤٨)</sup> وأراضي قرية دير لوها Der Lauha<sup>(٤٩)</sup> ، كذلك تمتد أراضي القريتين بشكل طولي من قرية كوكب الهوا Kaukab el Hawa<sup>(٥٠)</sup> في الشمال حتى نهر الأردن . وفي العرض تتصل أراضي القريتين بأراضي إقطاعية بيسان وطبرية حتى تصل إلى أحد الكهوف القريبة من قرية الحسانية al Husaniya<sup>(٥١)</sup> .

يتضح مما سبق أن كنيسة القيامة حازت على مساحة كبيرة من الأراضي التابعة لقريتي جبول وهيلكار ، ويلاحظ أن مساحة هذه الأراضي كانت تقدر بالكيلومترات ، فالمسافة بين يبلى وقرية جبول تقدر بنحو ثمانية كيلومترات ، والمسافة بين يبلى وكوكب الهوا تقدر بنحو خمسة كيلومترات ، والمسافة بين كفرا وجبول ودير سويت بنحو أربعة عشر كيلومتراً ، وبما أن أراضي قرية جبول وهيلكار كانت تمتد إلى هذه القرى ، فهذا يعني أن مساحة الأراضي



التي حصلت عليها كنيسة القيامة في المنطقة كانت تقدر بالكيلومترات<sup>(٥٢)</sup>.  
ويبدو أن دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط كان يحظى باهتمام الأمراء  
ورجال الدين اللاتين المقيمين خارج حدود مملكة بيت المقدس الصليبية، ففي  
يوليه عام ١١٣٤م / رمضان عام ٥٢٨هـ، قامت اليس Alice<sup>(٥٣)</sup> ابنة الملك  
بلدوين الثاني بمنح دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط كاريوكتين في جبل،  
وكانت هذه المنحة من أملاك اليس وابنتها كونستانس Constance<sup>(٥٤)</sup>.  
وفي نفس العام حصل الدير على كميات من القمح والأرز والعنب والزيت  
قدمها فرانك رئيس أساقفة دولوك Duluk في إمارة الرها<sup>(٥٥)</sup>. وفي حدود  
بيت المقدس قام البطريك وليم الأول بمنح دير القرنطل من أريحا إلى كنيسة  
القيامة، وقد تمت هذه المنحة عام ١١٣٤م / ٥٢٨هـ<sup>(٥٦)</sup>.  
وكان روجير أسقف الرملة حريصاً على دعم المؤسسات الكنسية  
اللاتينية في المملكة الصليبية، ففي أوائل نوفمبر (تشرين الثاني)  
عام ١١٣٦م / أوائل صفر عام ٥٣١هـ قام بالتأكيد على جميع المنح  
والإقطاعات التي سبق أن قدمها إلى كنيسة القيامة، كما منحها قريتي  
كفر روث Kafer Ruth<sup>(٥٧)</sup> وجت Gith<sup>(٥٨)</sup> وهما من أملاك أسقفية  
اللد. وقد قرر روجر وجميع رجال الدين في أسقفية اللد أن تكون القريتان  
وجميع الأراضي التابعة لهما، حقاً متوارثاً لكنيسة القيامة، وقد تم بحضور  
البطريك وكثير من رجال الدين اللاتين في أسقفية اللد. وفي نفس الوقت  
أعطى روجر أسقف الرملة إلى بطرسئيس كنيسة القيامة وجميع رجال الدين  
العاملين معه في الكنيسة، قرية كفر سكيلتا Kafer Schilta<sup>(٥٩)</sup> وقرية بيرفيليا  
Birfilya<sup>(٦٠)</sup>، وبكل ما يحيط بهما من أراض، هذا بالإضافة إلى حصول  
كنيسة القيامة على نصف الأعشار التي يتم جمعها من القريتين، وكذلك  
نصف الأعشار التي تجمع من كافة الأراضي الزراعية التابعة للقريتين. كما  
أعطى روجر لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة نصف أعشار قريتي كفر  
روث وجت وعشر رمامهما، ولكنه وضع شرطاً مفاده حصول أسقفية اللد  
على أعشار قلعة ارنولد Arnould Castle<sup>(٦١)</sup> وقرية بلبول Bulbul<sup>(٦٢)</sup> إلى  
جانب الأراضي البور التي تعود ملكيتها إلى كنيسة القيامة. وقد تمت هذه المنحة  
في عهد الملك فولك الانجوي، وبموافقة وليم الأول بطريك بيت المقدس،  
ورجال الدين في كنيسة القديس جورج وكنيسة القيامة، وذلك حتى لا تحدث  
أية شكاوي في المستقبل. ونصت الوثيقة الخاصة بهذه المنحة على ضرورة  
معاينة أي شخص يحاول إفساد المنحة والعيب بها، حتى لو اقتضى الأمر إلى  
قتله بحد السيف. وشهد على ذلك مجموعة من كبار رجال الدين اللاتين  
في المملكة، من بينهم: وليم بطريك بيت المقدس، وانسليم أسقف بت لحم  
وارنولد رئيس دير جبل صهيون وهنري رئيس دير جبل الزيتون وآخرون<sup>(٦٣)</sup>.



يتضح من خلال دراستنا للمنحة السابقة عدة نقاط أهمها : اهتمام روجر أسقف الرملة بإغداق المنح والإقطاعات على المؤسسات الكنسية ، وحرية في التصرف بأمولاك أسقفية ، على الرغم من أنه تشاور مع بقية رجال الدين العاملين في أسقفية اللد باعتبارهم ورثته ، وهذا يجعلنا نؤكد أن الأسقف كان بمثابة سيد إقطاعي في أسقفية ، وبقية رجال الدين يعتبرون من أتباعه . من النقاط الهامة أيضاً أن المنحة تمت بموافقة البطريرك باعتباره على قمة الهرم الإقطاعي الكنسي في بطريركية بيت المقدس ، كذلك أشارت المنحة إلى تنازل أسقفية اللد عن جزء من الأعشار التي كانت تدخل خزانتها إلى خزانة كنيسة القيامة ، وهذا يعني السماح لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بتحصيل الأعشار من القرى والأراضي التي تم التنازل عنها . ومن النقاط البارزة في المنحة أنها كانت مقرونة بشرط وضعه روجر أسقف الرملة ، ومفاده أن يتنازل بطرس رئيس كنيسة القيامة وبقية رجال الدين العاملين معه في الكنيسة عن حقهم في تحصيل أعشار قلعة ارنولد وقرية بلبول ، فضلاً عن التنازل عن بعض الأراضي البور التابعة لكنيسة القيامة . وقد تم الإتفاق على ذلك بين الطرفين ، وهذا يعني أنه حدث تغيير في مناطق نفوذ أسقفية اللد وكنيسة القيامة فيما يتعلق بتحصيل ضريبة العشر التي كانت تقدم للمؤسسات الكنسية في مختلف أنحاء المملكة .

وفي نفس العام قام البطريرك وليم الأول بمنح دير القرنطل القريب من أريحا عشر الدخل السنوي الذي تدره مدينة أريحا والأراضي المحيطة بها ، وقد قدم البطريرك هذه المنحة لرينالد رئيس دير القرنطل ، بحضور روجر أسقف الرملة وانسليم أسقف بيت لحم وبطرس رئيس كنيسة القيامة وروبرت رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، وتم التأكيد على هذه المنحة في سجلات بطريركية بيت المقدس في يوم الاثنين الموافق السادس عشر من نوفمبر عام ١١٣٦م / الثامن عشر من صفر عام ٥٣١هـ<sup>(٦٤)</sup> . وبما أن الدخل السنوي لمدينة أريحا كان خمسة آلاف قطعة ذهبية<sup>(٦٥)</sup> ، فإن العشر الذي منح لدير القرنطل كان خمسمائة قطعة ذهبية في العام .

وكان وليم الأول بطريرك بيت المقدس حريصاً على أملاك وثروات الكنائس والأديرة ، لذلك كان يعمل جاهداً على بقائها في يد رجال الدين اللاتين ، ففي عام ١١٣٧م / ٥٣١-٥٣٢هـ أكد لبطرس رئيس كنيسة القيامة ولرجال الدين القائمين على شؤون الكنيسة ، على جميع المنح التي حصلت عليها الكنيسة زمن البطريرك ارنولف مالكورون والأمير جودفري والمملك بلدوين الأول ، كما أكد على المنح التي قدمها روجر أسقف الرملة لرجال الدين في كنيسة القيامة<sup>(٦٦)</sup> .



وتجدر الإشارة إلى أن الملكة ميلسند أولت عنايتها واهتمامها بجميع المؤسسات الكنسية اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية، فعندما أرادت أن تقيم ديراً للنساء، قامت بالبحث عن مكان مناسب لإقامة مثل هذا الدير، وبعد عمليات من البحث والمعاينة، قررت إقامة الدير على أراضي قرية بيتاني Bethany (العيزرية el- Azirieh) الواقعة جنوب بيت المقدس<sup>(٦٧)</sup>. ولما كانت قرية بيتاني من أملاك كنيسة القيامة، أجرت الملكة ميلسند مشاورات مع رجال الدين في الكنيسة من أجل الحصول على القرية، على أن تقوم بمنحهم قرية تقوع Takoah<sup>(٦٨)</sup> بدلاً منها. وقد وافق رجال الدين في كنيسة القيامة على التنازل عن قرية بيتاني مقابل الحصول على قرية تقوع، وتمت عملية التبادل بين المملكة ورجال الدين في كنيسة القيامة عام ١١٣٨م / ٥٣٢هـ<sup>(٦٩)</sup>.

وقد شرعت الملكة ميلسند بإنشاء الدير مكافأة لأختها الصغرى Iveta التي كانت راهبة في دير القديسة حنة Anne في حدود بيت المقدس، لأنها أرشدتها إلى هذا المشروع الهام. كذلك قامت الملكة بإفناق أموال طائلة من أجل بناء برج قوي من الأحجار المنحوتة القوية في قرية بيتاني، وذلك من أجل حماية الدير من الأخطار الخارجية التي قد يتعرض لها من قبل المسلمين. وعندما انتهت عملية البناء في عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ، قامت الملكة بتعيين راهبات متخصصات في الأمور الدينية، والأعمال الديرية، ووضعت عليهن راهبة كبيرة في السن، موقرة وخبيرة في الأمور الدينية، لكي تكون مسؤولة عن الدير وعن جميع الراهبات العاملات فيه. وبعد وفاة هذه الراهبة، عهدت الملكة ميلسند بمهمة رئاسة الدير إلى أختها Iveta، وقد تمت عملية التعيين بموافقة فولشر بطريرك بيت المقدس وجميع راهبات الدير<sup>(٧٠)</sup>.

وكانت الملكة ميلسند كريمة مع راهبات دير بيتاني، فقد أغدقت عليهن الكثير من المنح والإقطاعات، فعلى سبيل المثال منحتهن مدينة أريحا بجميع ضواحيها وثوراتها، كما أحضرت للدير عدداً كبيراً من الأواني الذهبية والفضية المزينة بالجواهر، هذا إلى جانب الستائر والأقمشة الحريرية والأثاث الكهنوتية. وعندما تولت أختها أمر الدير، قدمت العديد من الهدايا مثل الكؤوس والكتب والحلي. وعلى العموم فقد استمرت في إثراء الدير بالمنح والهدايا طيلة مدة حياتها<sup>(٧١)</sup>. كما حصل الدير على العديد من المنح ومن بينها كروم العنب وقرى صغيرة، قدمها رجال الخير في مملكة بيت المقدس الصليبية<sup>(٧٢)</sup>.

وقد استمرت الملكة ميلسند وزوجها الملك فولك في إغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية، كما كان الملك يقوم بالتأكيد على المنح والإقطاعات التي كان يقدمها الأمراء للمؤسسات الكنسية في مملكة بيت المقدس. ففي يوم الأحد الموافق الرابع



من ديسمبر عام ١١٣٨ م/ التاسع والعشرين من ربيع الأول عام ٥٣٣ هـ، وخلال الاجتماع الذي عقده الصليبيون في مدينة عكا، أكد الملك فولك أوف انجو بموافقة زوجته الملكة ميلسند وابنه الملك بلدوين الثالث على المنحة التي قدمها لامبرت الوس Lambert Alsus<sup>(٧٣)</sup> لرجال الدين في كنيسة القيامة. وهذه المنحة كانت عبارة عن كاريوكتين من الأرض في قرية تل ميماس Tell Mimas<sup>(٧٤)</sup>، منحها لامبرت إلى بطرس رئيس كنيسة القيامة، وبقيّة رجال الدين العاملين معه. وقد تمت هذه المنحة في مدينة عكا بحضور البطريرك وليم الأول والملكة ميلسند ويوحنا أسقف عكا وروبرت رئيس الشماسية وآخرون<sup>(٧٥)</sup>. وقام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بإنشاء كنيسة لاتينية في قرية تل ميماس بموافقة يوحنا أسقف مدينة عكا<sup>(٧٦)</sup>. وفي نفس العام قام الملك فولك بمنح كنيسة القيامة عشرة منازل في حدود بيت المقدس، وقد تمت هذه المنحة بموافقة الملكة ميلسند وابنها بلدوين الثالث، وبحضور حشد من كبار الأمراء ورجال الدين اللاتين في المملكة، من أمثال البطريرك وليم الأول ووليم بور أمير الجليل وبلدوين سيد الرملة وآخرون<sup>(٧٧)</sup>. ويتضح من خلال المنح والإقطاعات التي قدمت للمؤسسات الكنسية اللاتينية في الأراضي المقدسة زمن الملك فولك، أن كنيسة القيامة فازت بنصيب الأسد وحصلت على العديد من المنح والإقطاعات.

وقدم الملك فولك قطعة من الأرض في حدود بيت المقدس إلى كنيسة القديس العازر، وقد تمت هذه المنحة بموافقة الملكة ميلسند وابنها بلدوين الثالث في عام ١١٤٢ م/ ٥٣٦-٥٣٧ هـ<sup>(٧٨)</sup>. وبعد ذلك بعامين أكدت الملكة ميلسند وابنها بلدوين الثالث على استمرارية المنحة السابقة<sup>(٧٩)</sup>. وفي يوم الجمعة الموافق الحادي والثلاثين من أغسطس (آب) عام ١١٤٥ م/ العاشر من ربيع الأول عام ٥٤٠ هـ، حصلت كنيسة القديس العازر في طبرية على قطعة من الأرض مساحتها كاريوكتين، قدمتها أرمنجارد في كونتية طبرية Ermengard Vicountes of Tiberias<sup>(٨٠)</sup>، وقد تمت هذه المنحة بحضور بعض أمراء الجليل<sup>(٨١)</sup>.

وفي الاجتماع الذي عقده الملك بلدوين الثالث في مدينة صور في يوم الثلاثاء الموافق الرابع من إبريل (نيسان) عام ١١٥٤ م/ الرابع من صفر ٥٤٩ هـ، أكد لجاي رئيس دير القديسة مريم على جميع المنح والإقطاعات التي حصل عليها الدير، وسبق أن أكدها بلدوين الثاني في سجلاته. وقد شهد على الوثيقة التي تؤكد على استمرارية المنح الخاصة بالدير عدد كبير من الأمراء ورجال الدين اللاتين في المملكة من بينهم فيليب سيد إقطاعية نابلس ووليم الصوري وبلدوين رئيس أساقفة قيسارية وغيرهم<sup>(٨٢)</sup>.



ومن الأمور الملفتة للنظر أن روبرت بروكار Robert Procer -أحد أفراد الطبقة البرجوازية، الذين يقيمون في مستوطنة البيرة- قام بالتنازل عن جميع أملاكه إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة. وكانت أملاك كثيرة، إذ اشتملت على أشجار كرمه وأراضي ومنازل، هذا إلى جانب الذهب والفضة وجميع المنقولات الأخرى مثل أثاث البيت والطواحين... الخ. وقد تم التنازل عن هذه الأملاك عام ١١٥٥ م / ٥٥٠ هـ بحضور البطريرك فوشيه وعموري رئيس كنيسة القيامة ونائبه ارنولد وآخرون<sup>(٨٣)</sup>. ولعل الوثيقة السابقة تشير إلى أن المستوطنين الأوروبيين كانوا يعيشون في رفاة كبيرة، وكل ذلك على حساب أصحاب البلاد الأصليين، وهذا يعني أنهم كانوا يستنزفون موارد وخيرات الأراضي المقدسة، بكل ما لديهم من قوة، ولعل الثروة التي جمعها روبرت بروكار يؤكد كلامنا. ويبدو أن روبرت لم يكن له ورثة يرثونه في أملاكه، ولذلك تنازل عنها لكنيسة القيامة، على اعتبار أن مستوطنة البيرة وما عليها من عقارات، كانت من ضمن الإقطاعات التابعة للكنيسة.

وتجدر الإشارة إلى أن الملكة ميلسند اهتمت بأمر دير بيثاني، الذي أقامته من أجل أختها الصغرى Iveta وأغدقت عليه المنح والإقطاعات الكثيرة، ففي عام ١١٥٩ م / ٥٥٤ هـ قامت الملكة بعقد اجتماع في بيت المقدس، حيث قررت منح دير بيثاني الكثير من المنح والإقطاعات، وذلك بموافقة ابنها الملك بلدوين الثالث، وبحضور حشد من كبار الأمراء ورجال الدين اللاتين في المملكة، وقد تم التوقيع على هذه المنحة، والتأكيد عليها في أكتوبر (تشرين أول) عام ١١٥٩ م / شوال عام ٥٥٤ هـ<sup>(٨٤)</sup>. وفي نفس العام قامت الملكة بمنح الدير قريتين في حدود نابلس<sup>(٨٥)</sup>، وقد استمرت في إغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة حتى وفاتها في يوم الاثنين الموافق الحادي عشر من سبتمبر (أيلول) عام ١١٦١ م / التاسع عشر من رمضان عام ٥٥٦ هـ<sup>(٨٦)</sup>.

وكان عموري كونت عسقلان كريماً مع رجال الدين في كنيسة القيامة، فقد قدم لهم الكثير من المنح والإقطاعات، نظير ما قدموه من خدمات عسكرية ومساعدات مالية من أجل الاستيلاء على مدينة عسقلان. ففي يوم الأربعاء الموافق الثلاثين من نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١١٦٠ م / التاسع والعشرين من ذي القعدة عام ٥٥٥ هـ، قام بمنح رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، قرية جلاديا Geladia<sup>(٨٧)</sup> الواقعة في حدود عسقلان، علاوة على ذلك منحهم منزلاً وأرضاً مساحتها ست عشرة كاريوكاً في مقاطعة عسقلان، وأعطاهم أيضاً قطعة أرض مساحتها كاريوكتان في حدود قرية عين بدران Ayn Badran<sup>(٨٨)</sup> القريبة من أراضي مستوطنة البيرة في حدود بيت المقدس. وقد طلب الكونت عموري من رجال الدين في كنيسة القيامة، التنازل عن قطعة أرض في مقاطعة عسقلان، والمعروفة باسم الأرض الخضراء



والتي كان المسلمون يقيمون عليها مسجداً قبيل استيلاء الصليبيين على عسقلان- مقابل المنحة السابقة . ويبدو أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قد وافقوا على التنازل عن الأرض الخضراء التي حصلوا عليها من البطريك عموري من نسل ، لأنه لا يوجد ما يثبت غير ذلك ، إضافة إلى أن كنيسة القيامة حصلت على المنح السابقة ، وتم توثيقها في السجلات . كذك قام الكونت عموري بالتأكيد على المنح السابقة التي حصلت عليها كنيسة القيامة في مقاطعة يافا . وكانت هذه المنح عبارة عن كرماعنب وحديقة وقطعة أرض مساحتها أربع كاريوكات . وقد تمت هذه المنحة بموافقة الملك بلدوين الثالث ووالدته الملكة ميلسند ، وبحضور مجموعة من رجال الدين اللاتين في المملكة من بينهم رئيس دير جبل صهيون ورئيس دير جبل الزيتون وآخرين<sup>(٨٩)</sup> .

وأول سبتمبر (أيلول) عام ١١٦٢م / التاسع عشر من رمضان عام ٥٥٧هـ ، شهدت مدينة نابلس اجتماعاً كنسياً هاماً ، حيث تقرر في هذا الاجتماع منح رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط وخلفائه ميزة حمل تاج الأسقفية في ديرهم في الاجتماعات والمناسبات الدينية ، وقد تم تدوين هذا القرار في العاشر من سبتمبر (أيلول) عام ١١٦٢م / الثامن والعشرين من رمضان عام ٥٥٧هـ<sup>(٩٠)</sup> ، ولعل هذا الأمر يشير إلى ارتفاع منزلة دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، إذ أصبح رئيس الدير بمثابة أسقف مساعد لبطريك بيت المقدس . ومهما يكن من أمر فقد استمرت المنح والإقطاعات تغدق على الكنائس والأديرة ، ففي يوم الخميس الموافق السادس عشر من يولية (تموز) عام ١١٦٤م / الثالث والعشرين من شعبان عام ٥٥٩هـ ، حصلت كنيسة القيامة على ست كاريوكات من أراضي مدينة حيفا ، قدمها روجر أوف حيفا Roger of Haifa وشقيقه يوحنا John<sup>(٩١)</sup> ، وقد نصت الوثيقة الخاصة بهذه المنحة على أن تصبح الأرض المقدسة لكنيسة القيامة حقاً متوارثاً لها ، دون تقديم أية التزامات من قبل رجال الدين اللاتين في الكنيسة في مقابل الحصول عليها . وأشارت الوثيقة إلى أن ثلاث كاريوكات تقع بالقرب من بعض الينابيع الموجودة في حيفا ، وأن ست بقرات سليمة ، خالية من الأمراض تستطيع حراثة جميع الكاريوكات . وقد قام الملك عموري الأول بالتوقيع على هذه الوثيقة<sup>(٩٢)</sup> .

يتضح مما سبق أن الكاريوكات التي حصلت عليها كنيسة القيامة ، كانت من النوع غير الرسمي ، أي ما يعرف بالكاريوكا العربية التي تساوي أربعة دونمات (أربعة آلاف متر مربع) ، ولذلك فإن مساحة الأرض التي منحها روجر أوف حيفا لكنيسة القيامة ، تساوي أربعة وعشرين دونماً ، أي ما يعادل أربعة وعشرين ألف متر مربع . ومما يؤكد هذا الكلام أن الوثيقة أشارت إلى أن ست بقرات سليمة كان بإمكانها حراثة ، ما حازته الكنيسة من روجر الحيفاوي . وهذا يعني



أن ثلاثة فلاحين كان بإمكانهم حراثة الكاريوكات الست في يوم واحد، إذا ما استخدم كل منهم بقرتين في حراثة كاريوكتين، ويبدو أن روجر الحيفاوي وشقيقه يوحنا قد قاما باختيار أفضل الأراضي من أجل منحها لكنيسة القيامة، وقد اتضح ذلك من خلال موقع بعض قطع الأراضي بالقرب من الينابيع، مما يتيح لرجال الدين اللاتين، زراعتها بأي نوع من المحاصيل.

وفي عام ١١٦٥م / ٥٦٠هـ قدم فيفيان سيد حيفا Vivian of Haifa<sup>(٩٣)</sup> وابنه باين Bayen قرية في حدود إقطاعية حيفا لكنيسة القيامة، وقد قام الملك عموري بالتأكيد على هذه المنحة<sup>(٩٤)</sup>. وقد حظيت كنيسة القيامة باهتمام وعناية والتر Walter<sup>(٩٥)</sup> أمير الجليل وزوجته اشيفا Eschiva<sup>(٩٦)</sup>، ففي عام ١١٦٥م / ٥٦٠هـ أكد والتر وزوجته على المنحة التي سبق أن حصلت عليها كنيسة القيامة من وليم بور عام ١١٣٢م / ٥٢٦هـ، والقاضية بحصول الكنيسة على قريتي جبول وهيلكار وجميع الأراضي المحيطة بهما<sup>(٩٧)</sup>. ويبدو أن قرية جبول كانت من أملاك جاي موناكي Guy Monachi أحد النبلاء في إمارة الجليل، وأن وليم دي بور منحها لكنيسة القيامة، دون استشارة صاحبها، ولهذا نشبت الخلافات بين جاي موناكي ورجال الدين في كنيسة القيامة، حول قرية جبول والأراضي المحيطة بها. ويبدو أيضاً أن الخلاف استمر فترة طويلة من الزمن، حتي استطاع والتر أمير الجليل حسم النزاع بين الطرفين على أن يقوم جاي موناكي بتقديم جميع الوثائق الخاصة بقرية جبول، وتسليمها إلى والتر، وفي مقابل ذلك يقوم رجال الدين في كنيسة القيامة بدفع مبلغ قدره مائة بيزنط إلى جاي. ولكي تستمر هذه المنحة دون حدوث أية خلافات جديدة في المستقبل، قام والتر بتوثيقها في سجلاته الخاصة، والتأكيد عليها بشهادة العديد من الأمراء ورجال الدين في إمارة الجليل<sup>(٩٨)</sup>.

كذلك سمح والتر لرجال الدين في كنيسة القيامة بالصيد في جميع المناطق الساحلية التابعة لإمارته كما صرح لهم باستخدام سفينة واحدة من أملاكهم الخاصة، للقيام بعمليات الصيد في بحر الجليل. وإذا لم يستطع رجال الدين اللاتين القيام بعمليات صيد الأسماك، بسبب هيجان البحر، فمن حقهم الحصول على تعويض مناسب، وقد حدد والتر أمير الجليل ذلك، بأن خصص يوماً من أيام العام، يتم فيه منح جميع الأسماك التي يتم اصطيادها في كل المناطق البحرية الخاضعة لسلطة أمير الجليل. وفوق ذلك سمح والتر لجميع الصيادين العاملين في إمارته بمساعدة الصيادين التابعين لكنيسة القيامة لمدة يوم واحد في العام. وقد تم التوقيع على هذه المنحة في عهد الملك عموري الأول، وبحضور البطريرك عموري أوف نسل وعدد كبير من رجال الدين والأمراء في المملكة الصليبية<sup>(٩٩)</sup>. يتضح مما سبق أن كبار الأمراء في مملكة بيت المقدس الصليبية كانوا يقومون بالتأكيد على المنح والإقطاعات التي قدمها أسلافهم للكنائس والأديرة المنتشرة



في حدود المملكة ، أضف إلى ذلك أنهم كانوا يعملون على الفصل في المنازعات التي كانت تظهر بين رجال الدين والنبلاء ، كما حدث عندما تدخل والتر أمير الجليل ، وحسم النزاع بين رجال الدين في كنيسة القيامة وجاي موناكي حول قرية جبول . كذلك بدأ واضحاً أن كبار الأمراء كانوا يدفعون التعويضات عن الخسائر التي كانت تتعرض لها المصالح الكنسية ، وهذه النقطة بالذات تعتبر من العلامات الهامة في الإقطاع الكنسي ، لأنها تكشف عن حرص السلطة الدنيوية على إرضاء السلطة الدينية في المملكة .

وتجدر الإشارة إلى أن حجم الإقطاعات والمنح التي قدمت للكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس في الفترة الواقعة بين عامي ١١٦٥-١١٨٧م/ ٥٦٠-٥٨٣هـ ، كانت قليلة جداً بالمقارنة مع المنح والإقطاعات التي حصلت عليها الكنائس والأديرة في السنوات السابقة . وإذا حدث وأن قام ملوك وأمراء المملكة بتقديم المنح والإقطاعات ، فكانت لا تتعدى قطعة أرض أو مبلغاً من المال . فعلى سبيل المثال قام سيد صيدا بمنح رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قطعة أرض بالقرب من صيدا ، وسمح لهم بغرس أشجار الزيتون في هذه القطعة<sup>(١٠٠)</sup> . كذلك وعد الملك عموري الأول بمنح كنيسة القديس لعازر في بيت المقدس عبداً من العبيد العشرة الذين كان يحصل عليهم أثناء قيامه بشن الغارات والحملات على البلاد الإسلامية<sup>(١٠١)</sup> . وربما يكون المقصود بالعبيد ، الأسرى المسلمين الذين يقعون في الأسر أثناء قتال الصليبيين . ولعل ذلك يشير إلى المعاملة السيئة التي كان يعاملها الصليبيون للأسرى المسلمين ، لدرجة أن الوثيقة الصليبية وصفتهم بأنهم كالعبيد . وهذا يعني أن الأسير المسلم كان يقع تحت طائلة العذاب والعبودية ، وكان يسخر للعمل بالأرض ، ويعيش حياة قاسية في ظل أنا « لا يعرفون الرحمة ولا العدل . وبطبيعة الحال كانت هذه المعاملة تختلف عن معاملة المسلمين للأسرى الصليبيين ، فعلى سبيل المثال قام السلطان صلاح الدين بتقديم الماء المثلج للملك الصليبي جاي لوزجنان عقب أسره في حطين عام ١١٨٧م/ ٥٨٣هـ .

ومهما يكن من أمر فقد استمرت الكنائس والأديرة تحصل على إقطاعات صغيرة لا تتناسب مع تلك الإقطاعات الكبيرة التي حصلت عليها في الستين عام الأولى من الحكم الصليبي للأراضي المقدسة . ففي عام ١١٦٧م/ ٥٦٢هـ قام الملك عموري الأول بمنح قطعة أرض نابلس إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، من أجل إقامة كنيسة عليها<sup>(١٠٢)</sup> . وفي عام ١١٧٠م/ ٥٦٦هـ قام والتر أمير الجليل وزوجته اشيفا بمنح كنيسة القديس لعازر في بيت المقدس مبلغاً سنوياً قدره سبعة بيزنطيات من الدخل الذي تدره طبرية .



يلاحظ أن حجم الإقطاعات والمنح التي كانت تقدم للكنائس والأديرة قد تضائل بنسبة كبيرة. ولعل ذلك يرجع إلى عدة عوامل أهمها: ازدياد النشاط الإسلامي على حدود مملكة بيت المقدس الصليبية من أجل استعادة البلاد من الغاصبين، وما صاحب ذلك من خسائر بشرية واقتصادية، أصابت الكيان الصليبي، من جراء الغارات الإسلامية المتكررة على حدود المملكة. ولا بد أن المشاكل والخلافات التي كانت تظهر بين الصليبيين قد أثرت على حجم الإقطاعات الكنسية، إذ حاول كل أمير ورجل دين إثبات حقه، دون النظر أو الاهتمام بحقوق الآخرين. الأمر الذي يشير إلى تزعزع المجتمع الصليبي، وانعدام الثقة بين أفرادها. ولعل ذلك أثر على حجم الإقطاعات الكنسية وتوقفها، على الرغم من لجوء رجال الدين اللاتين إلى شراء القرى والأراضي من الأمراء وغيرهم<sup>(١٠٣)</sup>.

وبطبيعة الحال ازدادت ثروة الكنائس والأديرة وكافة المؤسسات الكنسية اللاتينية، بسبب ما حازته من إقطاعات ومنح في مملكة بيت المقدس الصليبية، وما قام به رجال الدين اللاتين من أعمال من أجل زيادة ثرواتهم. وذلك عن طريق استغلال الأموال التي وفروها بأسلوب جيد، واستثمارها بشكل فعال. فعلى سبيل المثال كان رجال الدين اللاتين يعرضون الأراضي والعقارات التي حصلوا عليها مقابل مبلغ من المال يدفع سنوياً<sup>(١٠٤)</sup>، كما أنهم كانوا يقومون بمنح الأراضي التي يمتلكونها لمواطنين فرنجة مقابل الحصول على ربح محصول الحبوب والخضروات، ومقدار الخمس من العنب والزيتون من الأراضي المزروعة حديثاً، هذا بالإضافة إلى جباية ضريبة العشر المعتادة من المستوطنين. أما فيما يتعلق بالأراضي التي كان المستوطنون يقيمون عليها منازلهم، فكانت حرة ومعفاة من دفع الأجور<sup>(١٠٥)</sup>.

وقد لجأ رجال الدين اللاتين إلى شراء الكثير من القرى والأراضي والعقارات من أجل زيادة أملاكهم، وكانت أولى مشترياتهم بسيطة، ثم أخذوا يتوسعون في عملية الشراء. ففي يوم السبت الموافق الحادي والثلاثين من أغسطس (آب) عام ١١٢٩م/ الرابع عشر من رمضان عام ٥٢٣هـ، قام وليم رئيس كنيسة القيامة بشراء قطعة أرض مزروعة بأشجار الكرمة في حدود بيت المقدس بمبلغ مائة وأربعين بيزنطاً<sup>(١٠٦)</sup>. وفي يوم الجمعة الموافق الخامس عشر من مارس (آذار) عام ١١٣٥م/ السابع والعشرين من جمادى الأولى عام ٥٢٩هـ، قام بطرس رئيس كنيسة القيامة بشراء منزل برنارد Bernard -أحد صغار النبلاء في بيت المقدس- بمبلغ مائتي بيزنط. وقد قام برنارد ببيع منزله إلى رجال الدين في كنيسة القيامة، بموافقة زوجته هوسا Haosa، وبحضور وليم بطريرك بيت المقدس. ويبدو أن بطرس رئيس كنيسة القيامة



قد أقدم على شراء منزل برنارد، لأنه يقع بجوار منازل رجال الدين اللاتين العاملين في كنيسة القيامة، وبالقرب من أسوار بيت المقدس<sup>(١٠٧)</sup>.

وفي الثامن عشر من أغسطس (آب) عام ١١٥٥م/ الموافق يوم الخميس السابع عشر من جمادى الآخرة عام ٥٥٠هـ، وقام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بشراء متجرين في بيت المقدس بمبلغ مائة وسبعين بيزنطا. وكانت اليوس Alios زوجة أحد التجار الفرنجة في بيت المقدس، فقد اتفقت مع رجال الدين في كنيسة القيامة على بيعهم المتجرين بالمبلغ المذكور بموافقة زوجها جيرارد Girard وأبنائها روجر Roger والبو Alboim، ومارك Marc واملين Ameline وأصبح هذان المتجران حقاً خالصاً لكنيسة القيامة، وتم استلامهما في يوم الاثنين الموافق الخامس عشر من سبتمبر (أيلول) عام ١١٥٥م/ السادس عشر من رجب عام ٥٥٠هـ<sup>(١٠٨)</sup>.

ويبدو أن رجال الدين في كنيسة القيامة، قد اشتروا العقارين دون البضائع التي كانت بهما، بدليل أنهم استلموا المتجرين بعد حوالي شهر من توقيع الشراء مع اليوس زوجة جيرارد. وهذا يعني أنهم أعطوا مهلة مدتها شهر لصاحبة المتجرين حتى تستطيع التصرف في البضائع الموجودة بهما. والمسزة في عملية شراء المتجرين تتمثل في أنهما يقعان على شارع عمومي من ناحية الشرق، وبالقرب من مدخل كنيسة القيامة من الغرب، ويحدوهما من جهة الجنوب منزل أحد رجال الدين اللاتين ويدعى ميخائيل، ويحدها من الشمال منزل Guisle Sancit Abrohe<sup>(١٠٩)</sup>.

وكانت مشتريات رجال الدين اللاتين من الأراضي والعقارات قليلة جداً في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي/ النصف الأول من القرن السادس الهجري، وبعد ذلك أخذوا يتوسعون في شراء القرى والأراضي والعقارات، بعد أن ازدادت ثرواتهم، وأصبح بإمكانهم شراء الكثير من الممتلكات سواء من كبار الأمراء أو أفراد الطبقة البرجوازية. فعلى سبيل المثال اشترى رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ثلاث قرى من هيو ابلين Hugh of Ibelin<sup>(١١٠)</sup> بمبلغ سبعة آلاف بيزنط. وقد تمت عملية البيع بين هيو ورجال الدين في كنيسة القيامة بموافقة جميع أقارب هيو ابلين وهم: أخته ارمنجارد سيدة طبرية وخاله فيليب دي ميللي سيد نابلس ووالدته Hilois وشقيقه بلدوين، وبعض الأقارب الآخرين. أما بقية الورثة الذين لم يبلغوا سن الرشد، فقد تعهد هيو وشقيقه بلدوين وخاله فيليب دي ميللي، بموافقة هولاة القصر على عملية البيع عندما يبلغون سن الرشد، كذلك نصت الوثيقة المتعلقة بعملية البيع على أن يقوم هيو بمواجهة أية شكوى بخصوص عملية البيع، وعليه أن يعمل على حلها ويزيل أسبابها. وإذا ظهرت أية مشكلة في المستقبل تتعلق بالقرى المباعة من قبل أي شخص، فعلى هولاة الذين سيؤول



لهم ميراث هيو بعد وفاته ، أن يقوموا بتعويض كنيسة القيامة عن أية خسارة قد تتعرض لها بخصوص القرى الثلاث التي اشترتها من هيو اوف ابلين سيد الرملة . وقد أشارت الوثيقة إلى أن التعويضات التي ستحصل عليها كنيسة القيامة ، ستكون حسب تقديرات الرجال الأفاضل ، الذين لديهم الخبرة في مثل هذه الأمور . وقد وافق الملك بلدوين الثالث على عملية البيع وأكدها في سجلاته ، بسبب الحاح هيو ابلين وشقيقه بلدوين ووالدته هيلوس وأخته ارمنجارد وهنري بوبال وفيليب ميللي سيد نابلس وآخرين . ونصت الوثيقة على أن القرى المباعة أصبحت ملكاً خاصاً لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، منذ يوم الجمعة الموافق الرابع عشر من يناير (كانون ثاني) عام ١١٥٥ م / الثامن من ذي القعدة عام ٥٤٩ هـ<sup>(١١١)</sup> . وهذا يعني أن الملك بلدوين الثالث وافق على انتقال القرى المباعة من الإقطاع الدنيوي إلى الإقطاع الكنسي ، مما يعطي الحق لرجال الدين اللاتين بتأجيرها واستغلالها بكافة الطرق التي تناسبهم . وقد بدأوا واضحاً من خلال عملية البيع التي قام بها هيو اوف ابلين أنه كان محتاجاً لمبلغ كبير من المال ، من أجل دفع الضرائب المقررة على أملاكه<sup>(١١٢)</sup> . ومما يؤكد هذا أنه ألح هو وجميع أقاربه على الملك بلدوين الثالث من أجل الحصول على موافقته ، لإتمام عملية بيع الثلاث قرى لرجال الدين في كنيسة القيامة . ويبدو أن هيو ابلين قد تعهد لرجال الدين بالتغلب على جميع المشاكل التي قد تظهر في المستقبل ، والعمل على حلها وإزالة أسبابها . وقد أوضحت الوثيقة المتعلقة بعملية البيع ، أن رجال الدين اللاتين كانوا على دراية تامة بعقود البيع والشراء في مملكة بيت المقدس الصليبية ، وذلك من خلال الشروط التي نصت عليها الوثيقة ، والتي تكفل لهم حقهم في الحصول على تعويضات مناسبة ، وفي حالة تعرض مشترياتهم لبعض المشاكل من قبل ورثة البائع . وليس من شك في أن رجال الدين اللاتين اكتسبوا هذه الخبرة من خلال العقود الكثيرة التي أبرموها قبل ذلك .

وفي يوم الاثنين الموافق أول سبتمبر (أيلول) عام ١١٥٨ م / الخامس من شعبان عام ٥٥٣ هـ ، قام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بشراء قريتي دير المحيسن Deyer al- Muhaysin<sup>(١١٣)</sup> وهودابيس Huodebes<sup>(١١٤)</sup> وجميع الأراضي والضياع المحيطة بهما ، من هيو اوف ابلين بمبلغ ثلاثة آلاف بيزنط . وقد أجرى هيو اوف ابلين عملية البيع بموافقة جميع أقاربه ، وخاصة والدته هيلوس وشقيقته ارمنجارد سيدة طبرية ، وشقيقه بلدوين وخاله فيليب ميللي سيد نابلس وآخرون . كذلك قام هيو بالتشاور مع شركائه موسى عربيت Muisse Arrabit وابنه جورج Georg من أجل أخذ موافقتهم على عملية البيع ، وقد تم له ذلك وجرت عملية البيع بين القريتين إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة



القيامة على المبلغ المتفق عليه بين الطرفين . وقد نصت الوثيقة على أن يقوم ورثة هيو اوف ابلين وموسى عربيت الذين لم يبلغوا سن الرشد ، بالتوجه إلى رئاسة كنيسة القيامة عندما يصلوا إلى السن القانونية ، ويعلنوا موافقتهم على عملية البيع أمام رئيس كنيسة القيامة . وإذا ما حدث أي تقصير بشأن هذا الأمر ، وقام رئيس كنيسة القيامة بتحذير الورثة عن طريق أحد رسله ، فإن الورثة يتعهدون بالبقاء تحت أسوار بيت المقدس كرهائن ، حتى تعود الأمور إلى نصابها ، وتنتهي المشاكل الخاصة بعملية البيع . وبمجرد التوقيع على الوثيقة انتقلت ملكية القريتين إلى كنيسة القيامة ، وأصبحت حقاً خالصاً لرجال الدين اللاتين العاملين فيها . وقد تمت عملية البيع بموافقة عموري كونت عسقلان . ونظراً لعدم وجود سجل خاص بهيو اوف ابلين لتسجيل عقود البيع والشراء ، فقد قام الكونت عموري بتسجيل عقد البيع بسجلاته الخاصة . وقد حضر كتابه العقد عدد كبير من رجال الدين والأمرأء في مملكة بيت المقدس الصليبية من بينهم قسطنطين أسقف اللد وجفري رئيس دير معبد السيد وآخرون<sup>(١١٥)</sup> . وبعد ذلك بحوالي عامين قام الملك بلدوين الثالث بالتأكيد على عملية البيع وانتقال قرية دير المحيسن وقرية هودابيس إلى كنيسة القيامة<sup>(١١٦)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن هيو ابلين كان مضطراً لبيع القريتين السابقتين إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، بسبب حاجته الماسة للأموال ، من أجل دفع الفدية المقررة لتحريره من الأسر<sup>(١١٧)</sup> . وقد أشارت الوثيقة التي أوردت صك عملية البيع إلى أن هيو لم يكن يمتلك القريتين لوحده ، بل كان له شركاء في ملكيتها وهم : موسى عربيت وابنه جورج اللذين حصلا على حقوق الملكية بموجب منحة من باليان والد هيو . وقد نصت الوثيقة على أن أقارب هيو وورثته سوف يتحملون مسؤولية المشاكل التي قد تنشأ في المستقبل حول القريتين ، والغريب في الأمر ، أنهم تعهدوا بتسليم أنفسهم كرهائن أمام أسوار بيت المقدس ، ولمدة خمسة عشر يوماً ، حتى يتم القضاء على المشاكل وإزالة أسبابها<sup>(١١٨)</sup> .

وفي الحادي والعشرين من نوفمبر (تشرين ثاني) عام ١١٦١م / الأول من ذي الحجة عام ٥٥٦ هـ وافق الملك بلدوين الثالث على عملية البيع التي قام بها أحد أفصاله ويدعى يوحنا جوثمان John Gothman<sup>(١١٩)</sup> لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة . وكان يوحنا قد باع خمسة قرى هي قرية بيت عطاب Bayt<sup>(١٢٠)</sup> ، وقرية دير حسان<sup>(١٢١)</sup> ، وخربة الأسد Khirbet al-Asad ، وقرية دير شرف Dayer Sharaf (Derxerip)<sup>(١٢٢)</sup> وخربة أم القلعة Khirbet Umm al-Qalah<sup>(١٢٣)</sup> بمبلغ ألف وأربعمائة بيزنط . وقد أصبحت



القرى المباعة حقاً ثابتاً ومتوارثاً لكنيسة القيامة بمجرد إبرام عقد البيع بيت يوحنا جوثمان ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة. وتمت عملية البيع هذه دون أية عوائق من قبل ورثة يوحنا جوثمان الذين وافقوا على بيع القرى لكنيسة القيامة. فقد أشارت الوثيقة إلى موافقة أمان دالا Amandala زوجة يوحنا وابنه انخريوس Ancherius وابنته ستيفاني Stephane زوجة هيو سيد قيسارية. وهذا يشير إلى ارتياح هولاء لما قام به يوحنا جوثمان، وانتقال ملكية القرى التي قام ببيعها إلى كنيسة القيامة<sup>(١٢٤)</sup>. وذلك لأنهم كانوا على دراية تامة بظروف يوحنا، الذي وقع أسير بيد المسلمين عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ<sup>(١٢٥)</sup>. وكان يوحنا جوثمان مضطراً إلى بيع القرى الخمس إلى رجال الدين في كنيسة القيامة، من أجل الحصول على الأموال، لكي يدفع الفدية إلى المسلمين، من أجل تحرير نفسه من الأسر «Liberationis Videlicet et redemptions de Paganorum Captivitate» وقد أولى الملك بلدوين الثالث اهتماماً كبيراً بعملية البيع، وذلك لأنه يعرف الظروف الصعبة التي يمر بها يوحنا جوثمان، بسبب وقوعه في أسر المسلمين. ولذلك طالب الملك بلدوين الثالث بعدم تدخل أي شخص في عملية البيع التي قام بها يوحنا، وهذا الأمر يعتبر موافقة صريحة من قبل الملك على عملية البيع. وقد نص صك البيع على ضرورة التغلب على المشاكل التي ربما تظهر في المستقبل، بشأن القرى والخرب المباعة لكنيسة القيامة، كما نص أيضاً على ضرورة قيام يوحنا جوثمان وابنه انخريوس وورثتهما بإزالة المشاكل والشكاوي التي قد تظهر بكافة الطرق المتاحة. وقد وافق رجال الدين في كنيسة القيامة على ذلك، وانتقلت ملكية القرى الخمس للكنيسة، وأصبحت حقاً ثابتاً ومتوارثاً له، دون أن يكون هناك أية ضرائب مفروضة على القرى المباعة لها. وقام الملك بلدوين الثالث بالتأكيد على عملية البيع في مدينة عكا عام ١١٦١م / ٥٥٦هـ، وتم توثيق ذلك في السجلات الملكية. وشهد على صك البيع عدد من كبار الأمراء في المملكة، نذكر منهم عموري كونت عسقلان، وهنري سيد تبين، وفيليب دي ميللي سيد نابلس ووهيو ابلين سيد الرملة وهيو سيد قيسارية وآخرين<sup>(١٢٦)</sup>.

يتضح من خلال دراستنا لعقود البيع السابقة أن كبار الأمراء كانوا بحاجة ماسة للأموال، من أجل دفع الضرائب المقررة عليهم، ومن أجل افتداء أنفسهم من الأسر. وفي سبيل الحصول على الأموال كانوا يضطرون إلى بيع جزء من إقطاعاتهم لرجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية. وقد بدا واضحاً أيضاً أن كنيسة القيامة كانت تمتلك ثروات هائلة، وكانت تستغل ثرواتها بشراء الكثير من الأملاك، وهذا يعني اتساع مساحة الإقطاعات والأملاك التابعة لكنيسة القيامة. وكانت عمليات البيع تحظى بقبول وموافقة ملوك بيت



المقدس ، الذين كانوا يؤكدون على عمليات البيع ، ويوثقون ذلك في السجلات الملكية . وهذا يعتبر موافقة صريحة من قبل الملوك على انتقال بعض القرى والأراضي والعقارات من الإقطاع الديني إلى الإقطاع الكنسي . وقد أشارت الوثائق إلى أن مشتريات الكنائس والأديرة ، تكون معفاة من الضرائب ، على الرغم أن القرى والأراضي والعقارات كانت خاضعة للضرائب قبل انتقال ملكيتها إلى رجال الدين .

ويبدو أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، قد لعبوا دوراً كبيراً في إطلاق سراح الأسرى الصليبيين ، الذين وقعوا في أسر المسلمين عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ ، وذلك من خلال قيامهم بدفع الفدية المقررة على كبار الأمراء من أمثال هيو ابلين سيد الرملة ويوحنا جوثمان مارشال الملك بلدوين الثالث ، وفي إحدى الوثائق المؤرخة يوم الأربعاء الموافق الحادي والثلاثين من أغسطس (آب) عام ١١٦٠م / الرابع والعشرين من شعبان عام ٥٥٥هـ ، اعترف هيو ابلين سيد الرملة بفضل رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، الذين أحسنوا إليه وعملوا على إطلاق سراحه من الأسر ، مقابل دفع الفدية المقررة عليه . واعترافاً من هيو اوف ابلين بالجميل والإحسان الذي قدمه رجال الدين في كنيسة القيامة ، فقد قام بمنحهم قرية بزه Beze<sup>(١٢٧)</sup> في حدود بيت المقدس ، فضلاً عن قطعة أرض مساحتها كاريوكتان ، وقطعة أخرى مساحتها خمسة جورنات Gornatae وبالإضافة إلى ذلك منحهم برجاً وكنيسة . وقد تمت هذه المنحة بموافقة جميع أقارب هيو ابلين ومنهم شقيقه بلدوين وشقيقه باليان وشقيقته ارمنجارد سيدة طبرية . ونصت الوثيقة على أن تنتقل ملكية قرية بزه والأراضي الأخرى والبرج والكنيسة إلى رجال الدين في كنيسة القيامة ، على أن تكون هذه الأملاك حقاً ثابتاً لكنيسة القيامة ، دون أي اعتراض من قبل ورثة هيو ابلين ، وقد أشارت الوثيقة إلى أن هذه الأملاك معفاة من الضرائب ، وليفعل بها رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ما يروق لهم . وتم التوقيع على هذه الوثيقة من قبل عدد من الأمراء ورجال الدين في المملكة نذكر منهم : فيليب دي ميللي سيد نابلس ، ورادولف رئيس شمامسة بيت المقدس وآخرون . وقام قسطنطين أسقف الرملة بالتأكيد على هذه المنحة في سجلاته<sup>(١٢٨)</sup> .

وفهم مما سبق أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، قاموا بدفع الأموال من أجل إطلاق سراح هيو اوف ابلين سيد الرملة ويوحنا جوثمان مارشال الملك من الأسر . وهذا يشير إلى أن القرى التي باعها هيو ويوحنا كانت مقابل المبلغ الذي دفعه رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة إلى المسلمين مقابل إطلاق سراحهما ، ويلاحظ أيضاً أن هيو ويوحنا كانا يفتقران إلى المال ، من أجل تسديد المبلغ الذي دفعه رجال الدين في كنيسة القيامة ، ولذلك نراهما يقومان ببيع جزء من أملاكهما من أجل تسديد الأموال التي دفعت عنهما . وفي



أول سبتمبر (أيلول) عام ١١٦٦م / الموافق الخميس الرابع من ذي القعدة عام ٥٦١هـ، قام هيو سيد قيسارية وبموافقة زوجته ايزابيلا Isbella بعقد صفقة مع بطرس رئيس كنيسة القيامة من أجل بيع قطعة أرض في حدود قيسارية إلى رجال الدين في كنيسة القيامة، وقد وافق بطرس رئيس الكنيسة على شراء قطعة الأرض من هيو بمبلغ أربعمئة بيزنط، وذلك بعد أن قام بالتشاور مع رجال الدين في كنيسته وأخذ موافقتهم على عملية الشراء<sup>(١٢٩)</sup>.

وفي النهاية نستطيع القول أن الإقطاعات والأمولاك الكنسية كانت تزداد باستمرار عن طريق المنح والإقطاعات المقدمة من الملوك والأمراء وأفراد الطبقة البرجوازية في مملكة بيت المقدس الصليبية، فضلاً عن قيام رجال الدين في المملكة بزيادة رقعة إقطاعاتهم وأمولاكهم، عن طريق التوسع في عمليات شراء القرى والأراضي والعقارات من كبار الأمراء وصغارهم ومن أفراد الطبقة البرجوازية، ومن المواطنين الفرنجة الذين يحرزون بعض الأملاك في المملكة الصليبية.

وكانت الكنائس والأديرة تعقد صفقات البيع والشراء فيما بينها، أي أن بعض الكنائس والأديرة الغنية كانت تقوم بشراء القرى والأراضي والعقارات من الكنائس والأديرة الفقيرة أو غير المحتاجة للاحتفاظ بمساحات واسعة من الأراضي. فعلى سبيل المثال قام ميليتوس Miletus رئيس دير القديس سابا الأرثوذكسي بعقد صفقة مع نيقولا Nicolas رئيس كنيسة القيامة من أجل بيع ثلاث جاستينات بجميع الضياع والأراضي المحيطة بها. وقد وافق نيقولا رئيس كنيسة القيامة وجميع رجال الدين اللاتين العاملين فيها على شراء الجاستينات الثلاث بمبلغ أربعمئة وثمانين بيزنطاً، وتمت عملية البيع في فبراير (صفر) عام ١١٦٣م / ربيع الأول عام ٥٥٨هـ بموافقة جميع رجال الدين العاملين في دير القديس سابا، الذين تعهدوا بإزالة أية شكوى أو اعتداء قد تتعرض له الجاستينات المباعة<sup>(١٣٠)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الجاستينات الثلاث التي قام رجال الدين في دير القديس سابا، ببيعها إلى رجال الدين في كنيسة القيامة، كانت عبارة عن منحة قدمتها الملكة ميلسند لدير القديس سابا، الذي أولته عنايتها واهتمامها، على الرغم من أن الدير كان أرثوذكسياً. وكان الملك عموري الأول كريماً مع رجال الدين الأرثوذكسي العاملين في دير القديس سابا، فقد وعدهم بمنحهم قرية سورا Thora<sup>(١٣١)</sup> الواقعة جنوبي قرية عمواس Emwas، بعد أن يقوموا ببيع الجاستينات الثلاث لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، وذلك لأن قرية سورا والأراضي المحيطة بها، كانت أكثر نفعاً لدير القديس سابا من الجاستينات المباعة<sup>(١٣٢)</sup>. وقد قام الملك عموري الأول بالتأكيد على عقد البيع الخاص بالجاستينات الثلاث في يوم الخميس الموافق السادس عشر من يولييه



(تموز) عام ١١٦٤م / الثالث والعشرين من شعبان عام ٥٥٩هـ، أثناء الاجتماع الذي عقده الملك في مدينة عسقلان، بحضور جيرارد سيد صيدا، وفيليب ميللي سيد نابلس وهيو سيد قيسارية وآخرين<sup>(١٣٣)</sup>.

كذلك اشترى بطرس رئيس كنيسة القيامة، بموافقة جميع رجال الدين اللاتين العاملين معه في الكنيسة، حقوق دير جبل طابور في قرى سنجل Sinjil (سانت جيل St. Gilles)<sup>(١٣٤)</sup>، وترمسعيا Turmus Ayya<sup>(١٣٥)</sup> (تور باسيم Turbasaim) والدير Dere<sup>(١٣٦)</sup> بمبلغ ألفي بيزنط. وقد تمت عملية البيع في يوم الجمعة الموافق السابع عشر من أكتوبر (تشرين اول) عام ١١٧٥م / التاسع والعشرين من ربيع الأول عام ٥٧١هـ، وتولى جارينوس Garinus رئيس دير جبل طابور بيع أملاك الدير في القرى السابقة الذكر، بعد أن حصل على موافقة ليتاردس Letardus رئيس أساقفة الناصرة، وجميع رجال الدين اللاتين العاملين في دير جبل طابور. أما فيما يتعلق بالأملاك التي اشتراها رجال الدين في كنيسة القيامة، فتتمثل في منازل وأراضي مزروعة بأشجار الكرم وكنيسة وبرج، وكانت جميعها من أملاك دير جبل طابور، وانتقلت ملكيتها بمجرد توقيع عقد البيع إلى كنيسة القيامة، دون وجود أية عوائق تعترض عملية البيع. وقد تنازل رجال الدين اللاتين في دير جبل طابور عن حقهم في نصف الأعشار التي كانت تجبى من قرى سنجل وترمسعيا والدير إلى كنيسة القيامة، بشرط أن يحصلوا على ثلاث عربات محملة بالمحاصيل سنوياً، مما تنتجه أراضي القرى الثلاث. وتم توقيع العقد الخاص بذلك في يوم الأحد الموافق السادس عشر من نوفمبر (تشرين ثاني) عام ١١٧٥م / التاسع والعشرين من ربيع الآخر عام ٥٧١هـ، بحضور مجموعة من الشهود من بينهم ليتاردوس رئيس أساقفة الناصرة، ورادولف اوف أسقف سبسطية، ويوحنا رئيس كنيسة القديس يوحنا الكتدرائية في سبسطية، وبطرس أحد رجال الدين المرتلين في كنيسة صور، فضلاً عن مجموعة من رجال الدين اللاتين في بيت المقدس، وفي أسقفية الناصرة، وعدد من رهبان دير جبل طابور<sup>(١٣٧)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن بلدوين<sup>(١٣٨)</sup> صاحب قرية سنجل قام بموافقة زوجته ستيفاني Stephani بالتأكيد على عملية بيع المنازل والأراضي المزروعة بأشجار الكرم والكنيسة والبرج وجميع المنقولات التي كانت من أملاك رهبان دير جبل طابور في قرية سنجل، وانتقلت ملكيتها إلى كنيسة القيامة بعد توقيع البيع، وقد أكد بلدوين صاحب سنجل لبطرس رئيس كنيسة القيامة على امتلاك الكنيسة لجميع المباني والأراضي وأشجار الكرم، دون وجود أية عوائق تحول دون تنفيذ ذلك، ولذلك فقد أصبح من حق رجال الدين في كنيسة القيامة، استغلال جميع المشتريات والتصرف بها كما يشاؤون. وذكر بلدوين صاحب سنجل أن خلافاً كان قد نشب بينه وبين رجال الدين في دير جبل طابور حول



ملكية أحد المنازل في القرية ، وذلك قبيل عملية البيع . وقد تنازل بلدوين عن الشكاوي التي قدمها بخصوص ذلك ، عندما انتقلت ملكية هذه المنازل إلى كنيسة القيامة بمجرد إبرام عقد البيع . وقد شهد على هذه الوثيقة مجموعة من الشخصيات الصليبية في حيفا ونابلس والبيرة وبيت المقدس وبيت لحم<sup>(١٣٩)</sup> . وذكر بلدوين صاحب سنجل أن الأملاك المباعة في قريته ، كان رجال الدين في دير جبل طابور قد حصلوا على بعضها عن طريق المنح المقدمة من أسلافه ، والبعض الآخر حصلوا عليه عن طريق الشراء . كما أشار بلدوين إلى المشاكل التي نشبت بينه وبين رجال الدين في دير جبل طابور حول ملكية أحد المنازل في قرية سنجل<sup>(١٤٠)</sup> ويفهم من هذا أن المشاكل كانت لا تزال قائمة بين الطرفين ، حتى قام رجال الدين في كنيسة القيامة بشراء جميع حقوق دير جبل طابور في قرية سنجل .

ويبدو أن رجال الدين في دير جبل طابور كانوا يقومون بإثارة الخلافات والمشاكل في سبيل تحقيق أطماعهم ومصالحهم الشخصية ، فقد سبق أن أثاروا الخلافات والمشاكل مع رجال الدين في كنيسة القيامة حول أعشار قرى سنجل وترمسعيا والدير ، مما دفع بالبطريك وليم الأول إلى عقد اجتماع في بيت المقدس في يوم الثلاثاء الموافق الرابع عشر من أغسطس (آب) عام ١١٤٥ م / الثاني والعشرين من صفر عام ٥٤٠ هـ ، من أجل إنهاء الخلافات بين الطرفين المتنازعين . وبعد سلسلة من المشاورات والمناقشات ، تمكن وليم الأول من إنهاء الخلافات حتى يستتب الأمن والسلام بين الكنائس والأديرة المتنازعة ، وتقرر أن يحصل دير جبل طابور على نصف ضرائب العشر التي يتم جبايتها من قرى سنجل وترمسعيا والدير ، بينما تحصل كنيسة القيامة على النصف الآخر من الضرائب العشر . وتقرر أيضاً أن يقوم رهبان دير جبل طابور بتقديم شمعدان واحد لكنيسة بيت المقدس سنوياً . أثناء احتفال المسيحيين بعيد الفصح . وقد حضر هذا الاجتماع حشد كبير من رجال الدين في مملكة بيت المقدس الصليبية<sup>(١٤١)</sup> .

يتضح مما سبق أن رهبان دير جبل طابور احتفظوا بأملاتهم في قرية سنجل فترة من الزمن ، قبل أن يقدموا على بيعها إلى رجال الدين في كنيسة القيامة ، هذا بالإضافة إلي أنهم قاموا بجباية نصف أعشار قرى سنجل وترمسعيا والدير . وقد لاحظنا أن بعض الخلافات كانت قد نشبت بينهم وبين رجال الدين في كنيسة القيامة حول ضريبة الأعشار ، ثم الخلاف الذي نشب بينهم وبين بلدوين صاحب سنجل حول ملكية أحد المنازل . والمهم في الأمر أن رهبان الدير باعوا أملاكهم في قرية سنجل وتنازلوا عن أعشار القرى الثلاثة ، بعد أن أفادوا منها فترة طويلة من الزمن . ويشير أحد المؤرخين الحديثين إلى أن جارينوس رئيس دير جبل طابور كان راغباً في بيع أملاك الدير في قرية سنجل من أجل الحصول على الأموال ، إضافة إلى أنه كان يرى أن عملية إدارتها كانت صعبة ، بسبب بعدها عن دير جبل



طابور، بينما كانت هذه الأملاك تبعد مسافة قصيرة عن كنيسة القيامة، ولذلك فإن عملية إدارتها لم تكن تسبب لها أية مشاكل صعبة، مثل تلك المصاعب التي كان يتعرض لها رهبان دير جبل طابور<sup>(١٤٢)</sup>، الذين لاشك في أنهم كانوا يضطرون إلى الحضور إلى قرى سنجل وترمسعيا والدير من أجل مباشرة أمور ممتلكاتهم والتعرف على أحوالها، وجباية نصف ضريبة الأعشار منها. ولهذا فقد كان رئيس دير جبل طابور سعيداً بعملية البيع، لأنه سوف يريح رهبانه من مشاق السفر إلى المنطقة، كما أنه سيوقف المشاكل التي نشبت بينه وبين بلدوين صاحب قرية سنجل حول ملكية أحد المنازل. وعلاوة على ذلك فإن رئيس دير جبل طابور سيحصل على مبلغ كبير من المال مقابل تنازله عن جميع أملاكه في قرية سنجل.

ومهما يكن من أمر فقد توسع رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة في شراء الكثير من الأملاك من أجل زيادة مساحة إقطاعاتهم وأملاكهم، فقد اشتروا الكثير من القرى والجاستينات والأراضي المزروعة بأشجار الكرمة وغيرها، فضلاً عن قيامهم بشراء المنازل والمتاجر وبعض المنقولات الأخرى مثل المحارث والطواحين. وبطبيعة الحال لجأ رجال الدين في كنيسة القيامة إلى تأجير بعض أراضيهم وعقاراتهم التي حصلوا عليها عن طريق المنح أو عن طريق الشراء، فعلى سبيل المثال قاموا بتأجير أرض في الرملة إلى مواطنين فرنجة عام ١١٦٠م/ ٥٥٥هـ، مقابل الحصول على جزء من المحصول الذي تنتجه الأراضي المؤجرة<sup>(١٤٣)</sup>. وكانت علاقة المستأجرين الفرنجة برجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، علاقة تعاقدية، أي أنهم يحصلون على الأراضي من رجال الدين، بمقتضى عقد يوقع بين الطرفين<sup>(١٤٤)</sup>، وذلك لأن هؤلاء المستأجرين كانوا أحرار وليسوا عبيداً<sup>(١٤٥)</sup>.

والغريب في الأمر أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، قاموا بشراء ثلاث جاستينات من دير القديس سابا الأرثوذكسي، على الرغم من أنها لم تكن ذات نفع، فقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن الملك عموري الأول قام بتشجيع رجال الدين الأرثوذكس على بيع الجاستينات الثلاث إلى كنيسة القيامة، لأنها كانت عديمة الفائدة، وقد وعد الملك عموري بمنحهم قرية سورا والأراضي المحيطة بها، إذا قاموا ببيع الجاستينات الثلاث، وذلك لأن قرية سورا، كانت أكثر نفعاً، ويمكن أن تحقق دخلاً لرجال الدين الأرثوذكس في دير القديس سابا<sup>(١٤٦)</sup>، إذا ما تم زراعة أراضيها والعناية بها.

والسؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لجأ رجال الدين في كنيسة القيامة إلى شراء الجاستينات الثلاث، على الرغم من أنها كانت عديمة الفائدة؟ هناك بعض الاحتمالات ربما تلقي الضوء على الأسباب التي دفعت برجال الدين إلى شراء الجاستينات منها: حاجة رجال الدين الأرثوذكس إلى المال، ويبدو



أنهم طلبوا من رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة أن يقرضوهم مبلغاً فاشترطوا أن يقوموا ببيعهم الجاستينات الثلاث . ومن المحتمل أن يكون رجال الدين في كنيسة القيامة قد اشتروا الجاستينات حياً في امتلاك المزيد من الأراضي ، برغم معرفتهم أنها عديمة النفع ، ويبدو أنهم كانوا يضعون في اعتبارهم العمل على استصلاح هذه الجاستينات وجعلها مناطق زراعية ، أو إقامة بعض المناطق السكنية عليها ، ومن المرجح أن تكون هذه الجاستينات ملاصقة لبعض الإقطاعات والأراضي التابعة لكنيسة القيامة ، الأمر الذي شجع رجال الدين على شرائها .

وبعد الحديث عن عمليات الشراء التي كان يقوم بها رجال الدين اللاتين من أجل زيادة أملاك كنائسهم وأديرتهم ، لا بد لنا من الحديث عن بعض الخلافات التي كانت تظهر بين حين وآخر بين رجال الدين والدنيا أو بين رجال الدين أنفسهم حول ملكية بعض الأراضي والمنازل أو الاختلاف حول تخطيط الحدود بين أملاك الكنائس والأديرة المختلفة في مملكة بيت المقدس . وقد تمكنا من العثور على عدة وثائق تشير إلى نوعية المشاكل والاختلافات التي ظهرت بين رجال الدين والنبلاء أو بين رجال الدين اللاتين الذين ينتمون إلى كنائس وأديرة مختلفة . فعلى سبيل المثال وقع خلاف بين رجال الدين في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ورجال الدين في دير جبل الزيتون حول بعض الأراضي الواقعة بالقرب من جبل الزيتون ، وقد استمر هذا الخلاف نحو ثلاث سنوات ، في الفترة الواقعة بين عامي ١١٤٢-١١٤٥ م / ٥٣٦-٥٤٠ هـ ، مما دفع بالبطريك وليم الأول إلى التدخل من أجل حسم الخلاف وإصلاح ذات البين ، بين طرفي النزاع ، وبعد مشاورات مكثفة مع جاي رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط وهنري رئيس دير جبل الزيتون ، استطاع البطريك وليم الأول تقريب وجهات النظر وإنهاء الخلاف ، على أن يتنازل دير القديسة مريم عن جميع الأراضي السهلية إلى دير جبل الزيتون ، وذلك لأن هذه الأراضي تقع بالقرب منه ، وفي المقابل يقوم رجال الدين في دير جبل الزيتون بدفع مبلغ سنوي قدره سبعة بيزنطات إلى رجال الدين في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، وهذا المبلغ يعتبر كإيجار للأرض التي تنازل عنها دير القديسة مريم إلى دير جبل الزيتون<sup>(١٤٧)</sup> .

ولعل الخلاف السابق بين دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ودير جبل الزيتون يشير إلى عدة نقاط أهمها : أن النزاع وقع حول قطعة من الأرض ، تعود ملكيتها إلى دير القديسة مريم ، بدليل أن رهبان دير جبل الزيتون وافقوا على استئجارها بمبلغ سنوي قدره سبعة بيزنطات ، وهذا المبلغ يعتبر قليلاً جداً ، إذا ما قورن بالمبالغ التي كانت تحصل عليها الكنائس الأخرى ، عندما تقوم بتأجير أية قطعة من الأرض ، ولكن يبدو أن تدخل البطريك قد خفض إيجار قطعة



الأرض . ومن النقاط الهامة أيضاً أن البطريك تدخل من أجل إنهاء الخلافات باعتباره السيد الإقطاعي الكنسي الكبير ، وجميع رجال الدين في المملكة يخضعون لسلطانه القضائي . وقد بدا واضحاً أن رهبان دير جبل الزيتون قاموا بإثارة المشاكل مع رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، حول قطعة من الأرض لعدة اعتبارات منها : أن قطعة الأرض تقع بجوار ديرهم ، الأمر الذي سوف يسهل عليهم عملية استغلالها ، دون أن يجدوا أية صعوبات في ذلك ، هذا فضلاً عن أن الأرض موضوع الخلاف كانت تقع في سهل ، مما يجعل تكاليف زراعتها قليلة ، فضلاً عن سهولة تزويدها بمياه الينابيع ، عن طريق شق القنوات وإيصالها إلى الأرض . ومن هنا فإننا نلتمس العذر لرهبان دير جبل الزيتون ، بسبب حرصهم على امتلاك هذه الأرض وإصرارهم على ذلك ، دون أن يعيروا أي اهتمام للمشاكل التي نشبت بينهم وبين إخوانهم رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط .

وسبق أن أشرنا إلى خلاف مشابه وقع بين رجال الدين في كنيسة القيامة وبين رهبان دير جبل طابور في إقليم الجليل حول أعشار قرى سنجل وترمسعيا والدير ، وقد رأينا كيف تدخل وليم الأول بطريك بيت المقدس بكل ثقله من أجل حسم النزاع وإنهاء الخلافات ، وذلك عن طريق قيامه بعقد اجتماع كنسي في بيت المقدس في يوم الثلاثاء الموافق الرابع عشر من أغسطس (آب) عام ١١٤٥م / الثاني والعشرين من صفر عام ٥٤٠هـ . وكدليل على عمق الخلاف بين رجال الدين في كنيسة القيامة ورهبان دير جبل طابور ، فقد بادر إلى حضور الاجتماع حشد كبير من كبار رجال الدين اللاتين في بطريركية بيت المقدس من بينهم : روبرت رئيس أساقفة الناصرة ، وبلدوين رئيس أساقفة قيسارية ، وروجر أسقف الرملة ، وانسلیم أسقف بيت لحم ، ورينية أسقف سبسطية ، والياس أسقف طبرية ، وجودفري رئيس دير المعبد ، وهنري رئيس دير جبل الزيتون ، وليتاردوس رئيس كنيسة الناصرة وآخرون . وقد تمكن المجتمعون بعد مشاورات ومناقشات من إنهاء الخلاف بطريقة ترضي الطرفين المتنازعين<sup>(١٤٨)</sup> .

كذلك وقعت بعض الخلافات والمشاكل بين الملكة ميلسند ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، حول بعض الأراضي والضياع والعقارات في قرية بيت سوريك<sup>(١٤٩)</sup> . وكانت قرية بيت سوريك إحدى القرى الخمس والعشرين التي منحها الأمير جودفري البويون لرجال الدين في كنيسة القيامة<sup>(١٥٠)</sup> . وفي شهر إبريل (نيسان) عام ١١٥٢م / المحرم عام ٥٤٧هـ قررت الملكة ميلسند إنهاء الخلافات ، ووضع حد لها ، وذلك من خلال تأكيدها على امتلاك رجال الدين في



كنيسة القيامة للضياع والأراضي والمنازل الواقعة في قرية بيت سوريك ، والتي كان يعمل فيها عدد من الفلاحين الوطنيين ، الذين كانوا يمتلكون هذه الأراضي والضياع والمنازل قبيل قدوم الصليبيين إلى الأراضي المقدسة ، وقد تم ذلك بموافقة أبنائها الملك بلدوين الثالث وعموري كونت يافا . وكذلك أكدت الملكة ميلسند على امتلاك كنيسة القيامة لبعض الأراضي والعقارات في قرية قلندية ، خاصة بعد أن أثرت المشاكل والخلافات حول ملكية هذه الأراضي التي كانت مؤجرة لبعض المسيحيين السريان من أهل البلاد الأصليين مقابل مبلغ من المال<sup>(١٥١)</sup> .

ويبدو أن الملكة ميلسند قد أولت اهتمامها بفض جميع المشاكل المتعلقة بأملأك رجال الدين في كنيسة القيامة ، فعلى سبيل المثال حسمت الخلاف حول بعض الأراضي في قرية راماتيس لصالح كنيسة القيامة ، على الرغم أن هذه الأراضي كانت ملكاً لبعض المسيحيين السريان وهم أبو الفرج ويعقوب وإبراهيم واسحق ، كذلك أكدت الملكة ميلسند على امتلاك كنيسة القيامة لقطعة من الأرض المزروعة بأشجار الكرمة ، والتي سبق وأن قدمتها لكنيسة القيامة ، السيدة Geltidis زوجة روهارد -أحد النبلاء في مملكة بيت المقدس- وبعد أن أكدت الملكة ميلسند على امتلاك كنيسة القيامة ، لكل الأراضي والعقارات التي أثرت حولها المشاكل ، حذرت جميع المدنيين ورجال الدين الذين يتمتعون إلى كنائس أخرى من التدخل في هذه الأملاك ، لأنها اعتبرتها حقاً ثابتاً لكنيسة القيامة ، والغريب في الأمر أن الملكة أعطت لرجال الدين اللاتين العاملين في كنيسة القيامة ، حق السيطرة والنفوذ على السكان العرب الذين يقيمون على الأراضي والضياع الممنوحة للكنيسة .

”Et ut omnes Predictos Surionos cum ommibus decorum Progenie Sequacibus, Possideant, confirmanus”<sup>(١٥٢)</sup> .

ولعل الوثيقة السابقة تشير إلى عدة نقاط غاية في الأهمية ، لأنها تلقي الضوء على جانب هام من الإقطاع الكنسي ، خاصة فيما يتعلق بالأراضي والضياع والمنازل ، التي تم نزع ملكيتها من أصحابها الأصليين ، وجرى منحها إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، وأهم هذه النقاط على الإطلاق تتعلق بالمسيحيين الشرقيين ، الذين كانوا يمتلكون الأرض قبيل قدوم الصليبيين ، ثم أصبحوا بمثابة مستأجرين لها ، يدفعون مبلغاً من المال سنوياً لرجال الدين في كنيسة القيامة ، وربما يدفعون نسبة من المحصول الذي تدره الأرض التي قاموا باستئجارها . والغريب في الأمر أن الملكة ميلسند جعلت هؤلاء الفلاحين يخضعون لنفوذ وسلطة رجال الدين . ويبدو أن المسيحيين السريان قد تمردوا على سلطة رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة أثناء حكم الملكة ميلسند ،



ولم يدفعوا إيجار الأراضي التي يقومون باستغلالها، وذلك لأنهم يعتبرونها ملكاً خاصاً بهم، وليس لأحد من الناس أية سيطرة عليها، وبطبيعة الحال كان ما قاموا به أمراً ضرورياً من أجل الدفاع عن أملاكهم التي سلبت منهم. ومن المرجح أن الملكة ميلسند لم تعر هذا الموضوع أي اهتمام في بداية الأمر، إلى أن بدأ رجال الدين اللاتين بإثارة المشاكل للملكة، حول الأراضي والضياع والمنازل الواقعة في قرى بيت سوريك وقلندية وراماتيس، التي كان المسيحيون السريان يقومون باستعمالها. ويبدو أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قد استمروا في إثارة المشاكل والخلافات، مما دفع بالملكة ميلسند إلى التدخل وحسم الأمر لصالحهم، وذلك عن طريق قيامها بالتأكيد على ملكية كنيسة القيامة، للأراضي والضياع والمنازل موضوع الخلاف.

وليس غريباً على سكان فلسطين سواء من المسلمين أو المسيحيين الشرقيين أن يقوموا بالتمرد على سلطة رجال الدين اللاتين العاملين في كنيسة القيامة، لأنهم كانوا يتمردون على السلطة الصليبية جميعها، بالطريقة التي يراها كل طرف، وذلك لكي يحرروا أنفسهم وأرضهم من الغاصبين. فالمسيحيون الشرقيون تمردوا على سلطة رجال الدين اللاتين، بينما كان المسلمون يقاومون الصليبيين بكافة الطرق والوسائل المتاحة، وكانوا ينتظرون اليوم الذي يتمكنوا فيه من الصليبيين. وقد أشار المؤرخون الصليبيون إلى أن سكان نابلس وقراها، قاموا بمساعدة القوات الإسلامية التي هاجمت مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١١٣م / ٥٠٧هـ<sup>(١٥٣)</sup>. كذلك ذكر اسم أسامة بن منقذ أن رجلاً من نابلس كان يحتال على الحجاج المسيحيين الغربيين، ويتعاون هو وأمه على قتلهم<sup>(١٥٤)</sup>. وعلاوة على ذلك كان المسلمون في مملكة بيت المقدس الصليبية يقومون بمهاجمة الضياع الصليبية، ويستولون على ما يجدونه من خيرات<sup>(١٥٥)</sup>. وكان العلماء يقومون بتحريض السكان المسلمين على مهاجمة الصليبيين، وترك العمل في الأراضي الخاضعة لسلطتهم، الانصراف إلى أمور الدين. وكان ذلك يتم عن طريق الخطب أيام الجمع<sup>(١٥٦)</sup>. وهذا يعني أن علماء المسلمين كانوا يشجعون سكان البلاد من المسلمين على العصيان المدني ضد الصليبيين وكان ذلك يلقي استجابة من الفلاحين، الذين كانوا يعانون من ظلم الإقطاعيين الصليبيين<sup>(١٥٧)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فقد كانت المشاكل والخلافات بين رجال الدين اللاتين ورجال الدنيا تظهر بين الحين والآخر، وكانت أسباب المشاكل ودوافعها متشابهة في كثير من الأحوال. وسبق أن أشرنا إلى الخلاف الذي نشب بين جاي موناكي - أحد النبلاء في إمارة الجليل - وبين رجال الدين اللاتين في



كنيسة القيامة، حول قرية جبول التي منحها وليم بور إلى كنيسة القيامة عام ١١٣٢م/ ٥٢٦هـ. ويبدو أن جاي موناكي لم يثر أية قلاقل ومنازعات مع رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، أثناء حياة وليم دي بور. ومن المرجح أنه بدأ يطالب بحقوقه في قرية جبول بعد وفاة وليم، معتمداً على ما بين يديه من وثائق ومستندات، تثبت حقه في قرية جبول والأراضي المحيطة بها. وقد استمرت الخلافات بين جاي وكنيسة القيامة فترة طويلة من الزمن، إلى أن قام والتر سيد الجليل بإنهاء المشاكل بين الطرفين المتنازعين، على أن يدفع رجال الدين في كنيسة القيامة مبلغاً وقدره مائة بيزنط إلى جاي موناكي، في مقابل تنازله عن حقوقه وشكاويه بخصوص قرية جبول، وأن يقوم أيضاً بتسليم ما تحت يده من مستندات ووثائق تتعلق بقرية جبول إلى كنيسة القيامة. وقد تم حسم الخلاف في عام ١١٦٥م/ ٥٦٠هـ، وجرى توثيق ما اتفق عليه الطرفان في سجلات والتر أمير الجليل، وشهد على ذلك حشد من النبلاء ورجال الدين في إمارة الجليل<sup>(١٥٨)</sup>.

وقد شهدت الفترة الواقعة بين عامي ١١٦٣-١١٦٤م/ ٥٥٩-٥٦٠هـ، خلافاً بين راؤول Raoul أسقف بيت لحم ووليم William رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، حول كنيسة القديس يوحنا في عسقلان، والتي كانت تعرف باسم ماهوميريا Mahumeria - وقرية جمافارا (جيمروسا Gemerosa)، الواقعة في حدود إقطاعية الخليل. ولكن الخلاف بين الطرفين لم يستمر طويلاً، بسبب تدخل الملك عموري الأول من أجل إصلاح ذات البين بين الطرفين المتنازعين، ولذلك نراه يوجه الدعوة إلى ثمانية من المحلفين، الذين اختيروا من قبل الطرفين لبحث موضوع الخلاف، والعمل على إنهائه بطريق ترضي الطرفين. وبعد مشاورات ومناقشات بين المجتمعين، تمكن المحلفون من إنهاء الخلاف بين أسقف بيت لحم ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، على أن يقوم الطرفان بالإشراف على كنيسة القديس يوحنا وقرية جمافارا بصفة دورية. وقد تم الاتفاق على ذلك بحضور الملك عموري الأول، وثمانية من المحلفين وحشد كبير من رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية<sup>(١٥٩)</sup>.

يتضح من خلال دراستنا لبعض المشاكل التي نشبت بين رجال الدين والدنيا، أو بين رجال الدين اللاتين أنفسهم، أنها تركزت حول ملكية بعض الأراضي والضياع والعقارات، أو بخصوص جباية ضرائب العشر. وقد بذل ملوك وأمراء ورجال الدين في مملكة بيت المقدس جهوداً جبارة من أجل التغلب على المشاكل وحسم الخلافات، التي كانت تظهر بين الحين وآخر في مملكة بيت المقدس، وذلك عن طريق تقريب وجهات النظر بين الأطراف المتنازعة. فعلى سبيل المثال تدخل وليم الأول بطريرك بيت المقدس، لحسم



الخلاف بين رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ورهبان دير جبل طابور، حول أعشار قرى سنجل وترمسعيا والدير، وقد وفق في مسعاه وتمكن من إنهاء الخلافات بطريقة ودية. كذلك تدخل الملك عموري الأول لحسم النزاع بين راؤول أسقف بيت لحم ووليم رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط حول كنيسة القديس يوحنا في عسقلان وقرية جمارافارا في حدود إقطاعية الخليل، وقد لاحظنا كيف قام الملك بإحضار ثمانية محلفين لبحث المشكلة القائمة بين أسقف بيت لحم ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، والعمل على حلها بكافة الطرق المتاحة. ولعل هذا يشير إلى رغبة ملوك بيت المقدس في إنهاء المشاكل والمنازعات القائمة داخل حدود مملكتهم، سواء كانت هذه المنازعة بين السلطة الدنيوية والسلطة الدينية أو بين رجال الدين أنفسهم حول ملكية بعض الأراضي والعقارات.

وفي بعض الأحيان كان رجال الدين اللاتين يقومون بعقد الاجتماعات وإجراء المناقشات، حول بعض الأمور المتعلقة بشؤون إقطاعاتهم، كأن يقوموا بإجراء عمليات تبادل في بعض الأراضي المتجاورة، أو الاتفاق على إعادة حقوق الملكية في منطقة معينة، ومن هذا القبيل ماتم عام ١١٧٨م / ٥٧٣هـ، عندما وافق يوحنا رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وإيفار رئيس دير القديس لعازر في بيثاني، على إجراء بعض المبادلات في الأراضي الواقعة في حدود إقطاعية نابلس، إذ تنازل دير القديسة مريم عن بعض البساتين والحدائق الواقعة في قرية عسكر والتي كانت من أملاكه، مقابل الحصول على بعض الأراضي المزروعة بأشجار الكرم الواقعة في قرية بلاطة<sup>(١٦٠)</sup>، والتابعة لدير القديس العازر في بيثاني. وقد تمت عملية التبادل بموافقة رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط وجميع رهبان الدير العاملين معه، وكذلك بموافقة رئيس دير القديس العازر في بيثاني، وجميع راهبات الدير اللواتي يعملن معها، وقد جري التأكيد على عملية تبادل البساتين والحدائق والأراضي المزروعة بأشجار الكرم في يناير عام ١١٨٠م / سببان عام ٥٧٥هـ<sup>(١٦١)</sup>.

وفي عام ١١٨٢م / ٥٧٧هـ وافقت ستيفاني رئيسة دير القديسة مريم للنساء ويوحنا رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على توزيع الأراضي الواقعة في قرية جمارافارا التابعة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وبين تلك التي تقع في قرية ترقوميا Trakemia<sup>(١٦٢)</sup> التابعة لدير القديسة مريم للنساء، وقد تم توقيع هذا الاتفاق بناء على توصية وطلب من رينالدوف شاتيون Reginald of Chatillon<sup>(١٦٣)</sup> الذي كان يمتلك أرضاً في حدود إقطاعية الخليل. وقد ذكرت الوثيقة أن رينالد شاتيون قدم التوصية والطلب إلى الديرين بناء على موافقة زوجته ستيفاني ميللي<sup>(١٦٤)</sup>.

يتضح من خلال دراستنا للوثيقة السابقة أن دير القديسة مريم في



وادي يهوشافاط كان يمتلك بعض الأراضي في قرية جمارافارا الواقعة في حدود إقطاعية الخليل ، بينما كان دير القديسة مريم للنساء يمتلك بعض الأراضي في قرية ترقوميا الواقعة أيضاً في حدود إقطاعية الخليل ، والمجاورة لقرية جمارافارا . وقد أشارت الوثيقة إلى أن رينالد اوف شاتيون كان يمتلك قطعة من الأرض في هذه المنطقة . والأمر الغريب أن الوثيقة أشارت إلى وقوع اتفاق بين الديرين بناء على توصية من رينالد اوف شتيون ، دون ذكر الأسباب التي أدت إلى ذلك . ويبدو أن خلافاً كان قد نشب بين الديرين حول بعض الأراضي المجاورة ، خاصة وأن قرية جمارافارا كانت متصلة مع أراضي قرية ترقوميا . أما فيما يتعلق بالتوصية التي بعث بها رينالد إلى رؤساء الديرين ، يطلب منهما الاتفاق على إعادة تقسيم الأراضي وتوزيعها ، فمن المرجح أنه تنازل عن قطعة الأرض التي كان يمتلكها في المنطقة إلى الديرين ، ولذلك طلب من المسؤولين إعادة توزيع الأراضي واقتسامها ، من أجل إنهاء أية خلافات حول ملكية بعض الأراضي المتجاورة .

ومن الخلافات التي وقعت بين رجال الدين والدنيا حول رسم الحدود المشتركة ، وتحدي ملكية كل طرف من الأطراف ، ما شهدته إقطاعية نابلس من خلافات ومنازعات بين رجال الدين اللاتين في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط وبين صغار النبلاء المقيمين في نابلس ، وذلك في الفترة الواقعة بين شهري يناير - أغسطس عام ١١٨٥ م / شوال ٥٨٠ هـ - جمادي الأولى عام ٥٨١ هـ . وقد تركزت الخلافات حول رسم وتخطيط الحدود المشتركة بين أملاك الطرفين المتنازعين في قرية عسكر والأراضي المحيطة بها . ومن أجل حسم الخلافات والمنازعات بين الطرفين ، تدخل باليان ابلين Balian of I belin<sup>(١٦٥)</sup> سيد إقطاعية نابلس ، وقد وفق في مسعاه ، وتمكن من إصلاح ذات البين . وبموجب ذلك تعهد صغار النبلاء أمام باليان ابلين ويوحنا رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، بتعيين الحدود المشتركة وتخطيطها ، بحيث تكون واضحة المعالم للجميع ، وذلك من أجل إنهاء الخلافات والمنازعات مع رهبان الدير سابق الذكر . وقد تم الاتفاق على ذلك برضى وارتياح باليان ابلين وزوجته مريم كومينا Maria Comnena<sup>(١٦٦)</sup> . وهكذا وفق سيد إقطاعية نابلس في حسم الخلافات ، نتيجة لاستجابة الطرفين المتنازعين لرغبته في إنهاء المشاكل القائمة بينهم<sup>(١٦٧)</sup> .

كذلك وقع خلاف بين ديرين من أكبر الأديرة في الأراضي المقدسة ، هما دير معبد السيد ودير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، وقد نشب الخلاف بينهما بسبب عدة أمور منها : ضرائب العشر التي يجيها الأول من قرية



صافي الواقعة في حدود إقطاعية نابلس ، ومن بعض الأراضي المحيطة بها ، هذا بالإضافة إلى ضرائب العشر الخاصة بنصف قرية ميثلون Metalun<sup>(١٦٨)</sup> الواقعة شمالي مدينة نابلس والتي اشتراها الدير الثاني من جاي رايكوس Guy Raicius<sup>(١٦٩)</sup> ويبدو أن رجال الدين اللاتين في الديرين ، قد اتفقوا على إنهاء المنازعات والخلافات القائمة بينهم ، بخصوص الأمور سابقة الذكر . وفي عام ١١٨٦م / ٥٨٢هـ عقدوا اتفاقاً فيما بينهم يقضي بأن يقوم رجال الدين اللاتين في دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بدفع مبلغ قدره اثنا عشر بيزنطاً إلى رهبان دير معبد السيد ، كضريبة عشر عن قرية صافي والأراضي المحيطة بها ، ومبلغ قدره عشرة بيزنطات كضريبة عشر عن نصف قرية ميثلون . وقد تم الاتفاق على ذلك بين الديرين ، بحضور حشد من رجال الدين اللاتين ، الذين شهدوا على الوثيقة التي تضمنت شروط الاتفاق . وقد قام هرقل Heracles<sup>(١٧٠)</sup> بطريك بيت المقدس بالتأكيد على ما تم الاتفاق عليه بين الديرين في العام نفسه التي تم فيها حسم الخلافات والمنازعات<sup>(١٧١)</sup> . يتضح مما سبق أن قرية صافي والأراضي المحيطة بها كانت من أملاك دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، وكذلك نصف قرية ميثلون ، التي اشتراها الدير من بعض المواطنين الفرنجة المقيمين في إقطاعية نابلس . وقد بدا واضحاً أن أسباب الخلافات والمشاحنات بين الديرين ، تركزت حول ضرائب العشر ، التي كان رهبان دير معبد السيد ، يجبرونها من معظم قرى وأراضي إقطاعية نابلس . ويرجع ذلك بسبب السلطة الدينية والكنسية التي كان يتمتع بها رئيس دير معبد السيد على نابلس والمناطق المحيطة<sup>(١٧٢)</sup> . وقد ظهر من خلال دراستنا للوثائق التي تعرضت للخلاف ، أن دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط لم يقم بدفع الضرائب المقررة على أملاكه ، الواقعة في إقطاعية نابلس ، الأمر الذي أدى إلى إثارة المشاكل والمنازعات بينه وبين دير معبد السيد ، الذي يتولى رهبانه جباية ضرائب العشر من نابلس . وهذه النقطة بالذات تعتبر من النقاط المثيرة للدهشة ، لأنه لم يسبق لرجال الدين اللاتين أن قاموا بتحصيل ضرائب العشر من بعضهم البعض . كذلك لم تكن الكنائس والأديرة تدفع أي نوع من الضرائب على أملاكها . كما أنه لم تجر أية خلافات أو منازعات بخصوص هذا الموضوع قبل ذلك الوقت ، على الرغم من أن المشاكل بين رجال الدين اللاتين لم تكن جديدة ، إذ أنها وجدت منذ بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة . وهذا لا يعني أنه لم تحدث خلافات بين الكنائس والأديرة حول ضريبة العشر ، بل على العكس من ذلك فقد حدثت خلافات طويلة الأمد بين رهبان دير جبل طابور ورجال الدين في كنيسة القيامة حول ضرائب العشر ، ولكن لم يحاول أي من الطرفين المتنازعين أن يفرض ضرائب العشر على أملاك الآخر ، وإنما تركز الخلاف حول جباية ضرائب العشر من قرى سنجل وترمسعيا والدير ، إذا



ادعى كل طرف أن له الحق في جباية أعشار القرى السابقة ، ولعل هذا يوضح الفرق بين الخلافات التي نشبت بين الكنائس والأديرة حول ضريبة العشر . وعلى الرغم من أن رهبان دير معبد السيد حققوا مطلبهم بفرض ضرائب الأعشار على أملاك دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، الواقعة في إقطاعية نابلس ، إلا أن ما فرضوه كان مبلغاً صورياً لا يتناسب مع المبالغ التي كانت تجبها الكنائس والأديرة من القرى والأراضي التابعة للسادة الإقطاعيين أو الأراضي المؤجرة لمواطنين فرنجة أو مسيحيين شرقيين . ولعل كل ما كان يهدف له رهبان دير معبد السيد ، من خلال فرض ضرائب العشر على أملاك دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، أنهم كانوا يريدون إثبات سلطتهم الكنسية في إقطاعية نابلس ، وحقهم في جباية ضرائب العشر من جميع البلاد الواقعة في حدود الإقطاعية . وفي اعتقادنا أن لجوء دير معبد السيد إلى إثارة الخلافات والمنازعات مع دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، من أجل تحصيل ضرائب العشر على أملاك الدير الثاني في نابلس ، واستجابة الدير الثاني لمطالب الدير الأول ، ثم قيام بطريرك بيت المقدس بالموافقة والتأكيد على ذلك ، إنما يشير إلى ظاهرة جديدة في الإقطاعات الكنسية ، تعتبر الأولى من نوعها ، منذ أن بدأنا دراستنا لهذا الموضوع . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عمق الهوة بين الصليبيين ، وسيطرة الأطماع المادية عليهم ، وخصوصاً رجال الدين اللاتين ، الذين لم يضعوا أية اعتبارات للعامل الديني . وكل ذلك من أجل امتصاص خيرات الأراضي المقدسة ، وحرمان الشعب الفلسطيني من التمتع بخيرات بلاده .

وبعد الحديث عن أهم الخلافات والمنازعات التي شهدتها الإقطاعات الكنسية ، لا بد لنا من الحديث عن أهم الأعمال والإنجازات التي أقامها رجال الدين اللاتين فيما حصلوا عليه من أملاك وإقطاعات ، وذلك حتى يتسنى لنا التعرف على بعض المنشآت والأعمال ، التي نفذها رجال الكنيسة اللاتينية في الأراضي المقدسة . فقد سبق أن أشرنا إلى قيام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بتأسيس بعض المستوطنات الكنسية في بداية الحكم الصليبي للبلاد ، دون الحديث عن أهم المنشآت والإنجازات التي تم تنفيذها خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٧ م / ٤٩٢-٥٨٣ هـ . كذلك لم نشر إلى فئات السكان التي استقرت في المستوطنات الكنسية .

ومهما يكن من أمر فقد كانت مستوطنة البيرة أولى المستوطنات الكنسية ، التي أسسها رجال الدين اللاتين العاملين في كنيسة القيامة منذ بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة<sup>(١٧٣)</sup> . وقد عرفت هذه المستوطنة باسم Magna Mahumeria<sup>(١٧٤)</sup> الذي ربما يعني منطقة التبعد الكبرى ، عند رجال الدير للاتين في كنيسة القيامة ، وقد وصفها



الحاج ثيودري الذي زار المنطقة عام ١١٧٢م / ٥٦٧هـ، بأنها قرية كبيرة<sup>(١٧٥)</sup>. وأحيطت المستوطنة بالأسوار من أجل حمايتها من الغارات الخارجية<sup>(١٧٦)</sup>، التي قد تتعرض لها من قبل المسلمين، الذين واصلوا جهادهم للصليبيين من أجل استرداد بلادهم وطرد الغاصبين منها. كذلك قام رجال الدين اللاتين بإنشاء حصن في مستوطنة البيرة، عرف باسم حصن ماهوميريا ((Castrum Castrum Mahumeria Maome. وقد ذكر في الوثائق الصليبية ثلاث مرات، الأولى كانت عام ١١١٥م / ٥٠٩هـ، عندما قدم روجر أسقف الرملة منزلاً في البيرة لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وكان هذا المنزل يقع في مواجهة الحصن ante Castrum<sup>(١٧٧)</sup>. والمرة الثانية التي ذكر فيها الحصن كانت في عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ<sup>(١٧٨)</sup>، أما المرة الثالثة فكانت في عام ١١٤٦م / ٥٤١هـ<sup>(١٧٩)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخين الصليبيين المعاصرين أشاروا إلى وجود برج Turris في البيرة<sup>(١٨٠)</sup>، ومن المرجح أن الحصن والبرج كانا بناية واحدة، مع اختلاف في التعبير فيما ذكرته الوثائق الصليبية وما ذكره المؤرخون الصليبيون المعاصرون. وعلى الرغم من الأسوار والتحصينات التي تم إنشاؤها حول مستوطنة البيرة، إلا أنها لم تستطع الصمود أمام الهجمات الإسلامية ففي عام ١١٢٤م / ٥١٨هـ قامت حامية عسقلان الإسلامية بمهاجمة مستوطنة البيرة، واستولت عليها وأسرت الكثير من سكانها، بينما احتفى قسم من المستوطنين في البرج<sup>(١٨١)</sup>، الذي يبدو أنه لم يتعرض للهجوم، وبذلك نجا من احتفى به من الموت أو الأسر.

ومن المنشآت الأخرى التي حرص رجال الدين اللاتين على إقامتها في البيرة، الكنيسة التي أقيمت على شرف القديسة مريم. وقد ورد ذكرها في الوثائق الصليبية مرتين المرة الأولى كانت في عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ، والمرة الثانية كانت في عام ١١٤٦م / ٥٤١هـ<sup>(١٨٢)</sup> ويرجح بعض المؤرخين الحديثين أن رجال الدين اللاتين انتهوا من بناء كنيسة البيرة في عام ١١٤٦م / ٥٤١هـ ويرجح بعض المؤرخين في عام ١١٤٦م / ٥٤١هـ<sup>(١٨٣)</sup>. وقد تعرض الحاج الأوروبي ثيودريش إلى ذكر كنيسة البيرة، عندما أشار إلى وجود صليب عظيم الحجم، منحوت على الحجر، يرتفع فوق سبع درجات، كان الحجاج يرتقونها، ويشاهدون من موقع كنيسة البيرة، برج داود في بيت المقدس<sup>(١٨٤)</sup>. وقد كانت كنيسة القديسة مريم في البيرة، إحدى الكنائس الجميلة، التي أقيمت في المنطقة<sup>(١٨٥)</sup>، إذ كان مبنى الكنيسة نموذجاً بازليكي Basilical مستطيل الشكل، في أحد طرفيه جزء ناتئ نصف دائري، كان يمثل صحن الكنيسة. هذا بالإضافة إلى وجود جناحين ينتهيان بثلاثة أجزاء نصف دائرية، وكانت جدران الكنيسة مشيدة بكتل حجرية خشنة الملمس<sup>(١٨٦)</sup>. وحرصاً على مصالح الصليبيين المقيمين في البيرة، أقام لهم رجال





رسم تخطيطي لموقع مستوطنة البيرة في العصور الوسطى  
**Pringle Magna Mahumeria (al-Birah) Archaeology and Settlement**

الدين اللاتين محكمة عرفت باسم محكمة كنيسة القيامة Curie Sancit Sepulcre Mahumeria، وكانت تعالج القضايا المتعلقة بأفراد الطبقة البرجوازية، الذين يعيشون في المستوطنة، لدرجة أنها عرفت باسم المحكمة البرجوازية Court de Burgeses. وكانت هذه المحكمة تعقد تحت رئاسة المسؤول عن تدبير شؤون كنيسة القيامة في المستوطنة ((Steward dispensator<sup>(١٨٧)</sup>، الذي كان يقيم في المركز الإداري أو البيت الرئيس المعروف بالكوريا Cria<sup>(١٨٨)</sup>. ويبدو أن هذا المبنى قد تحول إلى خان بعد نهاية الحروب الصليبية، وأصبح يطلق عليه اسم خان البيرة Khan al-Bira<sup>(١٨٩)</sup> ومن المرجح أن رجال الدين قاموا بعمل بركتين من أجل تجميع المياه، لأنه تم العثور على بركتين في السهل الواقع جنوبي مستوطنة البيرة<sup>(١٩٠)</sup>. وبالإضافة إلى المنشآت السابقة التي أقامها رجال الدين اللاتين في مستوطنة البيرة، كان هناك العديد من المنازل والمتاجر، التي تمتاز بأنها ذات شكل استواني مقنطر. وكان كل منزل من منازل البيرة يشتمل على دورين، الدور العلوي ويحتوي على غرفتين تستعملان كمأوى لأصحاب المنزل، أما الدور السفلي فكان يستعمل للتخزين وتصنيع المنتجات الزراعية<sup>(١٩١)</sup>.

أما فيما يتعلق بفئات السكان التي استقرت في مستوطنة البيرة، فكان معظمهم من الأوروبيين الذين شاركوا في الحملات الصليبية، وعلى وجه التخصيص من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا. وفي عام ١١٥٥م/ ٥٥٠هـ تم إحصاء نحو تسعين عائلة أوروبية تقطن في مستوطنة البيرة، أي ما يقارب ثلاثمائة وخمسين شخصاً، وكان عدد المستوطنين قبالاً للزيادة، ففي الفترة الواقعة بين عامي ١١٥٥-١١٨٧م/ ٥٥٠-٥٨٣هـ استقرت خمسون عائلة جديدة في البيرة<sup>(١٩٢)</sup>. وبذلك اتسعت المستوطنة، وحازت على شهرة معتبرة<sup>(١٩٣)</sup>. وكان هؤلاء المستوطنون يعملون في جميع المهن وخاصة الحدادة، والنجارة، وصناعة الأحذية، والبناء، وكان منهم الصاغة والمزارعون الذين كانوا يشرفون على الحدائق والبساتين<sup>(١٩٤)</sup>. وقد قام رجال الدين اللاتين بتنظيم المجتمع الزراعي في البيرة وغيرها من الإقطاعات الكنسية. وسوف نتحدث عن ذلك بالتفصيل في مكان آخر.

وإلى جانب مستوطنة البيرة أسس رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة مستوطنة كنسية أخرى في أراضي بيت سوريك، وهي مستوطنة القبيبة التي أطلقوا عليها اسم Parva Mahumeria<sup>(١٩٥)</sup> تميزاً لها عن مستوطنة البيرة Magna Mahumeria. وقد ذكرت بعض الوثائق المؤرخة عام ١١٦٩م/ ٥٦٤هـ أن البيرة والقبيبة وبيت سوريك هي قرى تم بناؤها بواسطة الكنيسة، وسكنت من قبل اللاتين، وكانت تخضع لسلطان الكنيسة القضائي.



“ ut Magnam Mahomariam et Parvan et Bethsuri, et alias omnes quas edificaturi estis, ubi Latini habitabunt cum ecclesiis et omni integritate justicie et juris parochialis.” (١٩٦)

وكانت مستوطنة القبيبة تقع على الطريق الرئيس المؤدي من السهل الساحلي إلى بيت المقدس ، ولهذا فقد كانت تقع على طريق الحجاج<sup>(١٩٧)</sup> . وقد أنشأ رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، كنيسة أبرشية Parish church في مستوطنة القبيبة<sup>(١٩٨)</sup> . وكانت تماثل تلك التي تم إنشاؤها في البيرة ، إذ أن أجزاءها الثلاثة كانت نصف دائرية ، فضلاً عن صحن الكنيسة والجناحين<sup>(١٩٩)</sup> . ويبدو أن رجال الدين قاموا بإنشاء مركز إداري Curia في القرية ، إذ تم الكشف عن مبنى كبير ، مزود بمخزن للحبوب ، وهذا يجعلنا نرجح أنه كان مركزاً لإقامة المسؤول عن شؤون رجال الدين في القبيبة ، والذي كان يطلق عليه اسم dispensator باللاتينية<sup>(٢٠٠)</sup> . وربما قام رجال الدين بإنشاء محكمة تعقد تحت رئاسته ، أسوة بتلك التي تم تشييدها في البيرة .

وتجدر الإشارة إلى أن المنازل والبيوت في مستوطنة القبيبة ، كانت جميعها متشابهة في الشكل والحجم والمرافق الداخلية ، وقد تم الكشف حديثاً عن أربعين منزل ، تقع على كلا جانبي الطريق العام ، الذي كان الشارع الرئيس في القرية منذ العصر الصليبي . ويتضح من الشواهد الأثرية أن جميع المنازل التي تم اكتشافها ، كانت قد شيدت كجزء من مشروع متطور ، يعكس مدى اهتمام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، بعمليات البناء والمشاريع ، وذلك بوساطة التخطيط السليم لمشاريع الاستيطان في الإقطاعات الكنسية<sup>(٢٠١)</sup> .

أما فيما يتعلق بفئات السكان الذين استقروا في مستوطنة القبيبة ، فكانوا من المواطنين اللاتين<sup>(٢٠٢)</sup> ، الذين ربما جاءوا من نفس المناطق التي حضر منها سكان مستوطنة البيرة ، ولعلهم كانوا يعملون في حرف مختلفة مثل الحدادة والنجارة وصناعة الأحذية ، والبناء ، فضلاً عن العمل في مجال الزراعة والعناية بالحدائق والبساتين . وهذا لا يمنع من وجود بعض السكان من المسيحيين الشرقيين والمسلمين الذين كانوا يقيمون في المنطقة قبل إنشاء مستوطنة القبيبة .

وقد وجدت عملية إنشاء المستوطنات الكنسية ، التي قام بها رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، تشجيعاً من قبل بطاركة بيت المقدس اللاتين ، ففي إحدى الوثائق المؤرخة في (آذار) عام ١١٦٩ م / ٥٦٤ هـ يوكد البطريرك عموري نسل لرجال الدين في كنيسة القيامة على جميع الأملاك التي حصلوا عليها ، كما أنه أكد موافقته على المستوطنات التي تم إقامتها في البيرة والقبيبة وبيت سوريك ، فضلاً عن أنه شجع رجال الدين اللاتين على إقامة المزيد من المدن



الجديدة والمستوطنات في الأراضي المقدسة<sup>(٢٠٣)</sup>.

وقد أقام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة مركزاً استيطانياً منظماً في راماتيس Ramathes لكننا لم نعرف عن هذا المركز الاستيطاني شيئاً إلا من خلال إحدى الوثائق المؤرخة في يوم الجمعة الموافق الخامس والعشرين من مارس (آذار) عام ١١٦٠م / الخامس عشر من ربيع الأول عام ٥٥٥هـ<sup>(٢٠٣)</sup>. وهذا لا يعني أن راماتيس لم تذكر في الوثائق، فقد ورد ذكرها في العديد من الوثائق، ولكن ليس كمركز استيطاني، ففي الخامس والعشرين من يولية (تموز) عام ١١٥٠م / الثامن والعشرين من ربيع الأول عام ٥٤٥هـ، ورد ذكرها إلى جانب قرى بيت لقيا وعطارة وقلندية<sup>(٢٠٥)</sup>. وفي ابريل (نيسان) عام ١١٥٢م / محرم عام ٥٤٧هـ أشارت لها وثيقة أخرى إلى جانب قرية قلندية وقرية بيت سوريك، كما أشارت نفس الوثيقة إلى حصول كنيسة القيامة على كرم عنب في أراضي قرية راماتيس، قدمته Geltidis زوجة روهارد أحد النبلاء في بيت المقدس<sup>(٢٠٦)</sup>. وكان معظم سكان راماتيس من المسيحيين السريان، وقد أمكن إحصاء أسماء ثمانية وعشرين شخصاً كانوا يقيمون في الموقع قبل إنشاء المستوطنة الجديدة<sup>(٢٠٧)</sup> وهذا يشير إلى أن عملية الاستيطان لم تقتصر على المناطق غير الآهلة بالسكان، إذ قام رجال الدين اللاتين بإنشاء مستوطنة راماتيس في منطقة مأهولة<sup>(٢٠٨)</sup>. ولعل بعض المستوطنين اللاتين قاموا بالاستقرار في راماتيس، على الرغم من أن الوثائق لم تشر إلى ذلك صراحة، بل أشارت إلى امتلاك بعض اللاتين لكروم العنب في القرية<sup>(٢٠٩)</sup>. ويبدو أن اقتصاد راماتيس كان يعتمد على زراعة الحبوب والخضروات وأشجار الزيتون، التي كانت دائماً من أهم عناصر الزراعة الفلسطينية<sup>(٢١٠)</sup>.

هذا عن أهم المراكز الاستيطانية التي أوجدها رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية. أما فيما يتعلق بالأعمال والإنجازات الأخرى التي تم إقامتها في مختلف الإقطاعات الكنسية في المملكة الصليبية، فهي كثيرة ومتعددة، فعلى سبيل المثال قام رجال الدين في كنيسة القيامة بالتعاون مع رهبان دير جبل القرنطل بإنشاء طواحين السكر في منطقة أريحا قبل عام ١١١٦م / ٥٠٩-٥١٠هـ<sup>(٢١١)</sup>. كما قام رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بشق القنوات في أراضيهم من أجل استغلالها في عملية الري، فقد أشارت بعض الوثائق إلى قيامهم بشق قناة في أراضي قرية سيلون في عام ١١١٥م / ٥٠٨-٥٠٩هـ، من أجل إيصال المياه إلى أراضيهم الزراعية الواقعة في نفس المنطقة<sup>(٢١٢)</sup>. وقد اهتم رجال الدين اللاتين بإنشاء الكنائس الأبرشية، ومن قبيل هذا قيام رهبان دير جبل طابور بإنشاء كنيسة أبرشية مع برج في قرية سنجل<sup>(٢١٣)</sup>. وفي عام ١١٢٦م / ٥٢٠هـ حول رهبان دير القديسة



مريم في وادي يهو شافاط مسجد مدينة صيدا إلى كنيسة<sup>(٢١٤)</sup>. كذلك قام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بإنشاء كنيسة أبرشية على قطعة الأرض التي منحهم إياها الملك عموري الأول في مدينة نابلس عام ١١٦٧ م / ٥٦٢ هـ، وقد عرفت هذه الكنيسة باسم كنيسة البعث Church of Resurrection، وتم الانتهاء من تشييدها في عام ١١٦٨ م / ٥٦٣ هـ<sup>(٢١٥)</sup>. وإلى جانب ذلك منحهم برنارد Brenand<sup>(٢١٦)</sup> أسقف الرملة واللد إذنًا في سنة ١١٧١ م / ٥٦٧ هـ يسمح لهم بإنشاء خمس كنائس أبرشية في أسقفية<sup>(٢١٧)</sup>، ولكن لا يوجد هناك أية دلائل تشير إلى أن هذا الأمر قد تم تنفيذه<sup>(٢١٨)</sup>. وقد أشارت إحدى الوثائق المؤرخة عام ١١٥٩ م / ٥٥٤ هـ إلى وجود مستشفى في مستوطنة البيرة<sup>(٢١٩)</sup>، وهذا يعني أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قاموا بإنشاء هذه المستشفى لأن مستوطنة البيرة كانت من أملاكهم، وربما أسهم المستوطنون اللاتين في عملية بناء المستشفى وتجهيزها، اعتماداً على أنهم كانوا يعملون في مجال البناء والنجارة والحدادة.

وليس من شك في أن رجال الدين اللاتين في بطريركية بيت المقدس اللاتينية، قد قاموا بإنشاء الكثير من المباني والأبراج والكنائس في مختلف الإقطاعات التي حصلوا عليها داخل حدود المملكة في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٧ م / ٤٩٢-٥٨٣ هـ. وقد أشار الحاج اليوناني يوحنا فوقاس John Phocas أثناء عبوره الطريق الموصل من بيت المقدس إلى مدينة أريحا عام ١١٨٥ م / ٥٨١ هـ إلى الانجازات والتغيرات الكبيرة التي أحدثها رجال الدين اللاتين في المنطقة. وذكر أن جميع المناطق المجاورة للأديرة التي أنشئت في أماكن نائية، مليئة بالينابيع وآبار المياه التي تستخدمها الأديرة. وأضاف يوحنا إلى أنه جرى تقسيم الأراضي وتوزيعها على الأديرة المقدسة، حيث أصبحت على شكل غابات مليئة بالأشجار. ومن أجل ذلك قام الرهبان بإنشاء الأبراج فوق أراضيهم، وحصلوا على محاصيل وفيرة<sup>(٢٢٠)</sup>. يتضح من حديث يوحنا فوقاس مدى اهتمام رجال الدين اللاتين باستصلاح الأراضي وزراعتها وإقامة الأبراج من أجل حمايتها. ولذلك جنوا من الخيرات بقدر ما بذلوا من جهد.

وقد اهتم رجال الدين اللاتين بإنشاء المنازل والمخابز والطواحين في المستوطنات الكنسية<sup>(٢٢١)</sup>. وهذا يعني أنهم حرصوا على توفير جميع متطلبات الحياة للمستوطنين الذين يقيمون في الإقطاعات الكنسية، بما يخدم مصالحهم ومصالح المستوطنين معاً. وكانت عمليات جذب السكان اللاتين للإقامة في المستوطنات الكنسية نشطة، وذلك عن طريق تقديم الكثير من التسهيلات، والسماح لهم بإدارة أراضيهم بأنفسهم، وإقامة المنازل المعفاة من دفع الإيجارات، على أن يقوم المستوطنون بدفع



جزء من المحصول الذي تنتجه أراضيهم . ويتم حديد هذا الجزء طبقاً لاتفاق يجري توقيعه بين الطرفين ، ويدخل تحت بند حق السيد الإقطاعي في قسم من المحصول الذي تنتجه الأرض Champart (٢٢٢) .

ولعل إحدى الوثائق المؤرخة عام ١١٦٠م / ٥٥٥ هـ تلقي الضوء على الطريقة التي كان رجال الدين اللاتين يتبعونها من أجل تشجيع السكان اللاتين على الإقامة في المستوطنات الكنسية . فقد أشارت الوثيقة إلى قيام نيقولا رئيس كنيسة القيامة بمنح بعض الكاريوكات وكروم العنب الواقعة في مستوطنة راماتيس الجديدة إلى ثلاثة من المستوطنين اللاتين ، كما منحهم قطع من الأراضي لإقامة منازلهم عليها . وإلى جانب ذلك أعطاهم كروم عنب وجزء كبير من أشجار الكرمة التي سبق أن أشرف على زراعتها في مستوطنة البيرة ، بطرس رئيس كنيسة القيامة السابق . وإلى جانب هذه المنح جميعها ، سمح لهم بنقلوا رئيس كنيسة القيامة باستعمال المخابز والطواحين وجميع الأشياء الأخرى في مستوطنة البيرة ، ولكن ضمن شروط خاصة تم الاتفاق عليها بين الطرفين (٢٢٣) . ويلاحظ أن جميع هذه المنح والتسهيلات الخاصة من أجل استقطاب اللاتين ، وحثهم على الاستقرار في المستوطنات الكنسية .

يتضح من خلال المعلومات التي أوردتها الوثيقة السابقة عدة نقاط أهمها : عناية رجال الدين اللاتين واهتمامهم بزراعة أشجار الكرمة وأشجار الزيتون في الأملاك والأراضي التي حصلوا عليها على سبيل المنح والإقطاعات . وقد بدا هذا الأمر واضحاً من خلال قيام رئيس كنيسة القيامة بالإشراف على زراعة أشجار الكرمة وأشجار الزيتون في مستوطنة البيرة . وربما يرجع ذلك لما تدره هذه الأشجار من أرباح على الكنائس والأديرة ، وعلى جميع المزارعين الذين يتولون زراعتها والاهتمام بها ، خاصة وأن ثمار العنب تعتبر المادة الخام لصناعة النبيذ ، الذي أولته الكنائس والأديرة اهتماماً خاصاً (٢٢٤) ، كذلك فإن ثمار زيت الزيتون الذي تقوم عليه صناعة الصابون (٢٢٥) .

ومن النقاط الهامة التي أوردتها الوثيقة ما يتعلق باهتمام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، بتنظيم مستوطنة راماتيس الجديدة ، وتقسيمها إلى كاريوكات ، وزراعة قسم منها بأشجار الكرمة . كذلك أوضحت الوثيقة الطريقة التي اتبعها رجال الدين اللاتين في استقطاب المواطنين الأوروبيين ، من أجل الإقامة في المستوطنات الكنسية الجديدة ، وذلك عن طريق منحهم الأراضي الزراعية ، والسماح لهم بإقامة منزلهم على جزء منها ، هذا إلى جانب السماح لهم باستعمال المخابز والطواحين التي تعود ملكيتها لكنيسة القيامة ، وذلك ضمن شروط خاصة يتم الاتفاق عليها بين الطرفين . وسوف نشير إلى ذلك من خلال حديثنا عن طبيعة العلاقة بين المستوطنين ورجال الدين اللاتين .



وقد أوضحت الوثيقة أيضاً أن المستوطنين الأوروبيين كانوا يقومون بإنشاء منازلهم بأنفسهم ، ولكن بعد الحصول على إذن مسبق من رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة وهذا يعني أن جزءاً من المنشآت في المستوطنات الكنسية كان يقع على عاتق المستوطنين ، والجزء الآخر على عاتق رجال الدين اللاتين . ويبدو أن المنازل التي قام المستوطنون بإنشائها ، كانت ملكاً وراثياً لهم . ولهذا فقد كان من حقهم تحويل ملكية منازلهم وأراضيهم إلى مواطنين آخرين<sup>(٢٢٦)</sup> . وبعد الحديث عن أهم الانجازات التي قام بها رجال الدين اللاتين في الإقطاعات والأملاك الكنسية ، لا بد لنا من التعرض لطبيعة العلاقة بين رجال الدين وسكان الإقطاعات الكنسية ، سواء كان هؤلاء السكان من المسيحيين اللاتين أو المسيحيين الشرقيين أو المسلمين . فالمعروف أن رجال الدين اللاتين قاموا بتأجير بعض قطع الأراضي والعقارات التي حصلوا عليها إلى بعض السكان اللاتين ، مقابل مبلغ من المال يدفع سنوياً<sup>(٢٢٧)</sup> . وتعتبر العلاقة بين رجال الدين والمستأجرين اللاتين غامضة ، نظراً لصمت المصادر الصليبية ، وعدم تعرض الوثائق الخاصة بالكنائس والأديرة لذلك الأمر بصورة مباشرة . هذا بالإضافة إلى عدم معرفتنا فيما إذا كان المستأجرون يخضعون لسلطة سيد إقطاعي أم لسلطة رجال الدين اللاتين . فإذا كانوا يخضعون لسلطة سيد إقطاعي ، فإن طبيعة العلاقة بينهم وبين رجال الدين تبدو واضحة ، فهم يدينون بدفع المبلغ المتفق عليه كإيجار للأراضي التي استلموها من رجال الدين ، فضلاً عن قيامهم بدفع ضريبة العشر المقررة ، وفي هذه الحالة لا يكون لرجال الدين اللاتين أي سلطان قضائي عليهم ، وإنما يخضعون لسلطة السيد الإقطاعي . وإذا ما استعملوا مخبز أو طاحونة السيد الإقطاعي فعليهم أن يدفعوا نسبة من الأرغفة التي يتم خبزها ، من المحاصيل التي يتم طحنها<sup>(٢٢٨)</sup> .

أما بخصوص العلاقة بين رجال الدين اللاتين والمستوطنين الأوروبيين الذين أقاموا في المستوطنات الكنسية ، فقد كانت علاقة واضحة تحكمها بعض الشروط والاتفاقات والعادات . وأمدتنا الوثائق الصليبية بمعلومات وفيرة عن علاقة رجال الدين اللاتين بالمستوطنين الأوروبيين الذين استقروا في المستوطنات والإقطاعات الكنسية . فقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، وضعوا كثيراً من التسهيلات أمام السكان اللاتين ، من أجل تشجيعهم والإقامة والاستقرار في المستوطنات الكنسية ، فعلى سبيل المثال قاموا بمنح ثلاثة من السكان اللاتين كروم العنب وأشجار الزيتون المزروعة حديثاً في مستوطنة راماتيس ، كما سمحوا لهم بإقامة المنازل على جزء من الأراضي الممنوحة ، دون تحصيل أية إيجارات عنها ، كذلك قاموا بمنحهم قطع من الأراضي Carrucates ، وكرم عنب كبير المساحة في مستوطنة البيرة . وكانت جميع هذه المنح وراثية ويحق للمستوطنين اللاتين



نقل ملكيتها .

وقد فرض رجال الدين اللاتين على المستوطنين أن يدفعوا ربع محصول القمح والخضروات ، وخمس المحصول من أشجار الكرم وأشجار الزيتون المزروعة حديثاً ، هذا إلى جانب ضريبة العشر المقررة على جميع الأملاك . أما بقية الأراضي التي حصل عليها المستوطنون الثلاثة في مستوطنة البيرة ، فقد فرض رجال الدين عليهم أن يدفعوا عنها العشر ، ونصف الإنتاج الذي تدره الأرض الممنوحة<sup>(٢٢٩)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن الضرائب التي قررها رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، على المستوطنين اللاتين في مستوطنة البيرة والمناطق المحيطة بها لم تكن متساوية . فعلى سبيل المثال فرض على قطعتين من الأرض ، تعود ملكيتهما لأحد المستوطنين ، ضريبة العشر وثلث المحصول الذي تنتجه هاتان القطعتان ، دون تحديد نوعية المحاصيل المزروعة ، كذلك تم فرض ضريبة العشر وثلث المحصول على قطعتين من الأرض المزروعة بأشجار الكرم في وادي القديسة مريم ، وفي قرية قلندية فرض رجال الدين اللاتين ضريبة العشر وربع المحصول الذي تنتجه قطعة أرض مساحتها ثلاثين يوجيرا Jugera<sup>(٢٣٠)</sup> أي ما يعادل ستة أفدنة ونصف . كذلك فرض رجال الدين اللاتين ضريبة العشر ونصف المحصول على قطعتين من الأرض ، أحدهما مزروعة بأشجار الكرم والثانية لا تزال بوراً . وكان رجال الدين اللاتين يقومون بإعفاء بعض المستوطنين من جميع الضرائب المقررة على المحاصيل باستثناء ضريبة العشر<sup>(٢٣١)</sup> .

ولعل تفاوت نسبة الضرائب التي فرضها رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة على المستوطنين اللاتين يرجع إلى عدة أمور منها : خصوبة الأرض وقدرتها الإنتاجية ، فإذا كانت الأرض خصبة ، ونسبة المحاصيل التي تنتجها عالية ، فمن المحتمل أن يلجأ رجال الدين اللاتين إلى رفع مقدار الضريبة المقررة عليها . ومن الممكن أيضاً أن يلجأ رجال الدين إلى تخفيض نسبة الضرائب المقررة على المحاصيل ، من أجل مساعدة المزارعين الفقراء ، حتى أنهم قاموا بإعفاء بعض المزارعين من دفع الضرائب ، ما عدا ضريبة العشر .

وعلى الرغم من التسهيلات والامتيازات التي قدمها رجال الدين اللاتين للمستوطنين - في مستوطنة البيرة وغيرها من المستوطنات والإقطاعات الكنسية - إلا أنهم وضعوا عليهم قيوداً صارمة منها : عدم السماح لهم ببيع الأراضي المزروعة بأشجار الكرم ، إلا بعد استشارتهم وأخذ موافقتهم . وإذا أصر المستوطنون على بيع كرومهم ، فرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة أحق بعملية الشراء<sup>(٢٣٢)</sup> ، ومع ذلك فقد قام أحد المستوطنين ببيع أرضه المزروعة بأشجار الكرم إلى أحد جيرانه



بمبلغ ست وعشرين بيزنطاً، بعد موافقة رئيس كنيسة القيامة<sup>(٢٣٣)</sup>، مع العلم أن رجال الدين اللاتين كانوا يشترطون الحصول علي نصف ثمن الأرض المباعة. وعلاوة على ذلك قام رجال الدين اللاتين بوضع المراقبين على المزارعين اللاتين، الذين يتولون زراعة أشجار الكرمة في المستوطنات الكنسية وكان المراقبون يفرضون الغرامات على المهملين بشؤون كروم العنب، كما أنهم كانوا يهددون بانتزاع هذه الكروم ومنحها إلى مستوطنين آخرين في حالة استمرار الإهمال، وعدم العناية بكروم العنب على الوجه الأكمل. وكان مسؤول الخزانة في مستوطنة البيرة، هو الذي يقوم بهذه المهمة، يرافقه أربعة أو خمسة شهود، من أجل إثبات قضية الإهمال<sup>(٢٣٤)</sup>.

ويلاحظ أن رجال الدين اللاتين سمحوا للمستوطنين بإقامة المنازل دون دفع أي إيجار عنها. كما سمحوا لهم باستعمال الطواحين والمخابز التي تعود ملكيتها لكنيسة القيامة<sup>(٢٣٥)</sup>، ولكن الوثائق الخاصة بالكنائس والأديرة لم تشر إلى كيفية تعامل المستوطنين مع المسؤولين عن المخابز والطواحين، وإلى بدل الإيجار الذي كان يدفعه هؤلاء مقابل استعمال هذه الأشياء. وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن رجال الدين اللاتين طبقوا في البيرة، ما كان سائداً من عرف وتقاليد ونظم احتكارية، خاصة فيما يتعلق باحتكار المخابز وطواحين الدقيق وأشياء أخرى غير قابلة<sup>(٢٣٦)</sup>. وهذا يعني إلزام المستوطنين اللاتين وإجبارهم على استعمال المخابز والطواحين التي تعود ملكيتها لكنيسة القيامة، مقابل دفع نسبة معينة من الأرغفة التي تم خبزها في المخابز، وكمية من الحبوب التي تم تحويلها إلى دقيق<sup>(٢٣٧)</sup>. وهذا العرف يعتبر مشابهاً لما جرى تطبيقه في المستوطنات العلمانية، فساكن مستوطنة امبرت (الزيب) كانوا يدفعون رغيفاً عن كل خمسين رغيفاً يخبزونها في مخبز السيد الإقطاعي، كما كانوا يقدمون كمية من الدقيق عند استعمالهم لمطحنته. ولعل نظام الاحتكارات هذا كان مطبقاً في جميع المستوطنات والإقطاعات الكنسية، وبناء عليه فمن المرجح أن يكون هذا النظام قد طبق على المسيحيين الشرقيين والمسلمين الذين كانوا يقيمون في القرى والأراضي الفلسطينية قبيل الغزو الصليبي للأراضي المقدسة.

وعلى العموم فقد كانت العلاقة بين رجال الدين والمستوطنين اللاتين علاقة جيدة، تحكمها بعض القوانين والعادات. وكان رجال الدين أسخياء فيما بذلوه من منح لهم، خاصة فيما يتعلق بالأراضي التي حصلوا عليها، والتي كانت ملكاً خالصاً لهم، يجوز لهم توريثها لأبنائهم وأقاربهم. هذا إلى جانب أنهم كانوا يمارسون حقوقهم بحرية وأمان. وكان رئيس كنيسة القيامة وبقية رجال الدين العاملين فيها، يقومون بزيارات تفقدية للمستوطنات الكنسية، ويتعرفون على أحوال المستوطنين، ويشرفون على إجراء المبادلات في الأراضي، كما



أنهم كانوا يشجعون المستوطنين اللاتين على العمل في كرم واحد كبير بدلاً من العمل في كروم صغيرة مبعثرة هنا وهناك . وهذا يعني أن رجال الدين شجعوا المستوطنين على العمل الجماعي ، من أجل زيادة الإنتاج<sup>(٢٣٨)</sup> .

أما بخصوص العلاقة بين رجال الدين اللاتين وبين المسيحيين الشرقيين والمسلمين الذين كانوا يقيمون في القرى والأراضي التي منحت للكنائس والأديرة ، فقد أشارت إحدى الوثائق إلى وجود مجموعة كبيرة من المسيحيين السريان الذين كانوا يقيمون في قرى راماتيس وبيت لقيا وعطارة وقلندية وبيت سوريك قبيل منح هذه القرى لكنيسة القيامة ، وقد قدر عدد هؤلاء بحوالي سبعين شخصاً<sup>(٢٣٩)</sup> . وذكرت إحدى الوثائق أن المسلمين كانوا يقيمون في المناطق المجاورة لمستوطنة البيرة ، لدرجة أن أرنولد رئيس كنيسة القيامة استعان برجل مسلم يدعى بيدم Pedem لكي يرشده إلى تقسيمات الحقول والأراضي في مستوطنة البيرة<sup>(٢٤٠)</sup> . وقد أشار أحد المؤرخين إلى أن الريف الفلسطيني بقراه ومزارعه وبنادره كان بأيدي العرب سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين الشرقيين وخاصة في مناطق القدس وبيت لحم والخليل . وكان هؤلاء يشكلون مع البدو الجانب الأكبر من سكان الريف الفلسطيني<sup>(٢٤١)</sup> . وهذا يعني أن معظم المقيمين في الريف الفلسطيني كانوا من سكان البلاد الأصليين ، على الرغم من أن عدداً كبيراً من المسلمين كانوا قد غادروا بلادهم عندما سمعوا باقتراب القوات الصليبية منها . فعلى سبيل المثال كانت مدينة الرملة مهجورة عند وصول الصليبيين لها<sup>(٢٤٢)</sup> . كذلك غادر عدد كبير من سكان نابلس مدينتهم إلى البلاد المجاورة مثل دمشق ومصر<sup>(٢٤٣)</sup> . غير أن الذين غادروا بلادهم كانوا قلة بالنسبة لمجموع سكان فلسطين .

ومهما يكن من أمر فقد خضع المسلمون والمسيحيون الشرقيون الذين يقيمون في القرى والأراضي التي منحت للكنائس والأديرة على سبيل الإقطاعات -للسلطان القضائي لرجال الدين اللاتين . وبطبيعة الحال انتزعت أملاكهم وأصبحوا يعملون في الأراضي الزراعية كمستأجرين ، بموجب العرف الإقطاعي الذي يقضي بانتقال القرية وأراضيها وسكانها ومواشيها إلى ملكية السيد الإقطاعي الجديد ، إذ لم يقيم الصليبيون بتغيير شروط امتلاك الأراضي من قبل السادة الإقطاعيين<sup>(٢٤٤)</sup> . ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين كانوا يقومون بتحصيل ضرائب العشر من المسيحيين الشرقيين ومن المسلمين ، إضافة إلى الضرائب التي كانت تفرض على المحاصيل والتي كانت تتراوح بين النصف أو الثلث أو الربع أو الخمس مما تدره الأراضي الزراعية . هذا إلى جانب الضرائب الإضافية التي كانت تدفع ثلاث مرات في العام . فعلى سبيل المثال كان على الفلاح أن يدفع في يوم عيد الميلاد دجاجة وعشرة بيضات ، وجبن وعسل عن كل قطعة أرض مساحتها كاريوكا واحدة . ونفس هذه الأشياء تدفع أيضاً في



يوم عيد الفصح ، ومن الممكن أن تدفع كنقود في بعض المناطق<sup>(٢٤٥)</sup> .  
وتجدر الإشارة إلى أنه نتيجة لانتزاع أملاك العرب سواء كانوا من المسلمين أو المسيحيين الشرقيين ، ومنحها لرجال الدين اللاتين ، الذين أرهقوا السكان بالضرائب الكثيرة ، واستنزفوا طاقاتهم ، واستولوا على ما تدره أراضيهم من محاصيل ، فإن العلاقة بين رجال الدين اللاتين وأصحاب البلاد الأصليين ، كانت علاقة عدائية . فسكان البلاد من العرب كانوا ينتظرون اليوم الذي يتخلصون فيه من السيطرة الصليبية ، ويتحفظون لمهاجمة الصليبيين وطردهم من البلاد . وقد أشارت إحدى وثائق كنيسة القيامة إلى الخلافات التي نشبت بين المسيحيين والسريان ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، حول ملكية بعض الأراضي والضياع والمنازل الواقعة في قرיתי بيت سوريك وقلندية والتي كانت من أملاك المسيحيين السريان ، ولكن رجال الدين طالبوا بضمها إلى ممتلكاتهم ، على اعتبار أنها كانت من ضمن المنحة التي قدمها لهم الأمير جودفري البويوني . وقد وقفت الملكة ميلسند إلى جانب رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، وحسمت الخلافات لصالحهم ، وأكدت على حقهم في الأراضي والضياع والمنازل المتنازع عليها . هذا على الرغم من أن المسيحيين الشرقيين كانوا يدفعون الضرائب المقررة عليهم<sup>(٢٤٦)</sup> . وفي بعض الحالات النادرة كان رجال الدين اللاتين يقومون بإغداق المنح والأراضي على المسيحيين الشرقيين ، الذين كانوا يقطنون في ضواحي بيت المقدس ، كما كانوا يقدمون لهم التسهيلات ، ولكن ضمن شروط معينة يتفق عليها الطرفان . ففي عام ١١٥١ م / ٥٤٦ هـ قام عموري<sup>(٢٤٧)</sup> رئيس كنيسة القيامة وجميع رجال الدين العاملين معه ، بإعطاء Nemes السرياني وأبنائه وأبناء أخيه انطونيوس قطع من الأراضي وأشجار الكرم الواقعة في قرية قلندية ، وذلك من أجل استغلالها . وفي مقابل هذه المنحة ، تقرر أن يقوموا بدفع نصف الثمار والمحاصيل التي تنتجها الأرض التي حصلوا عليها . هذا إلى جانب الضرائب الأخرى<sup>(٢٤٨)</sup> مثل ضريبة العشر الضرائب التي تدفع ثلاث مرات سنوياً في أيام عيد الميلاد وعيد الفصح .

وعلى الرغم من أن الوثيقة السابقة أشارت إلى حصول المسيحيين السريان على بعض قطع الأراضي في قرية قلندية ، إلا أننا لا نعتبر هذه الأراضي منحة من رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة إلى المسيحيين الشرقيين . وذلك لأن المنحة السابقة كانت مقررة بعدة شروط منها : دفع الضرائب المقررة على المحاصيل ، وكذلك ضرائب العشر ، والضرائب الإضافية التي تدفع ثلاث مرات في العام . وعلاوة على ذلك اشترط



رجال الدين على المسيحيين دفع الضرائب على أشجار الكرم وكافة المحاصيل التي سيقومون بزراعتها في المستقبل . ولعل ذلك يشير إلى أن رجال الدين اللاتين كانوا يجرون وراء مصالحهم ، ويبحثون عن مزارعين ، لزراعة الأراضي الواسعة التي حصلوا عليها في المنطقة . وربما يرجع ذلك إلى ندرة الفلاحين الأوروبيين ، ووجود أعداد كبيرة من الفلاحين الوطنيين ، الذين كانوا يشكلون في الغالب معظم سكان سورية<sup>(٢٤٩)</sup> .

ولعل الكلام السابق ينطبق أيضاً على المسلمين الذين كانوا يعيشون في أراضيهم وممتلكاتهم قبيل منحها للكنائس والأديرة . وقد عانى السكان المسلمون كثيراً من نير السيطرة الصليبية . فعلى سبيل المثال تعرض بعض السكان المسلمين إلى الطرد والتهجير من قراهم وأراضيهم ، وذلك من أجل تفرغ القرى والأراضي ومنحها للكنائس والأديرة ، ومن قبيل هذا ما تعرض له سكان قرية كفر مالك المسلمين ، الذين أجبروا على ترك أرضهم والهجرة إلى قرية بيت فوريك الواقعة في حدود نابلس . وقد حدث هذا الأمر من أجل منح قرية كفر مالك إلى كنيسة القيامة<sup>(٢٥٠)</sup> . وربما تم هذا بناء على طلب من رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة .

وفي ختام حديثنا عن طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين وبين فئات السكان ، التي كانت تقيم في الإقطاعات الكنسية ، نستطيع القول إن المستوطنين الأوروبيين والمسيحيين الشرقيين والمسلمين ، كانوا ملزمين بدفع ضرائب العشر والضرائب المقررة على الإنتاج ، فضلاً عن الضرائب الإضافية . وكانت أحوال المستوطنين الأوروبيين أفضل بكثير من أحوال المسيحيين الشرقيين والمسلمين ، إذ وفر لهم رجال الدين اللاتين كل وسائل المعيشة والراحة . ولذلك فإننا نرجح أن تكون علاقتهم برجال الدين اللاتين علاقة طيبة ، خاصة بعد أن قدموا لهم الأراضي وسمحوا بإنشاء المنازل المعفاة من بدل الإيجار . وبطبيعة الحال اضطر المسلمون والمسيحيون الشرقيون الذين يعيشون في الإقطاعات الكنسية ، لإقامة علاقات مع رجال الدين اللاتين ، من أجل تحقيق مطالبهم والمحافظة على مصالحهم . على الرغم من أنهم كانوا في قرارة أنفسهم ينتظرون اليوم الذي يتخلصون فيه من تسلط رجال الدين اللاتين الذين احتكروا معظم المرافق الحيوية في الإقطاعات الكنسية ، ولم يسمحوا للمواطنين الأصليين بممارسة أي عمل إلا بما يعود عليهم بالفائدة والخير . ولهذا فإن سكان البلاد الأصليين كانوا يشعرون بالظلم الذي وقع عليهم من قبل رجال الدين اللاتين ، بل من قبل السلطة الصليبية بأكملها . ولذلك كانوا يعبرون عن غضبهم بالتمرد تارة ، واللجوء إلى مهاجمة الضياع



الصليبية وإشعال النار بها تارة أخرى . وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن العرب كانوا يتسللون ليلاً ويقتلون الصليبيين ويستولون على كل ما يجدونه من أموال وسلع تخص الصليبيين<sup>(٢٥١)</sup> . وسبق وأن أشرنا بالتفصيل إلى طرق وأساليب المسلمين في مقاومة الصليبيين ، كما تحدثنا عن مساعدتهم للقوات الإسلامية التي اجتاحت مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١١١٣م / ٥٠٧هـ . وبعد حديثنا عن طبيعة العلاقة بين رجال الدين اللاتين وفئات السكان التي كانت تقيم في الإقطاعات الكنسية ، لا بد لنا من التعرض لأهم العوامل الداخلية والخارجية التي أثرت تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية ، خلال الفترة الواقعة بين عامي ١١٣١-١١٨٧م / ٥٢٥-٥٨٣هـ . ولعل أهم العوامل الداخلية التي أثرت تأثيراً عكسياً على الإقطاعات الكنسية ، ما كان ينشأ من خلافات ومنازعات بين رجال الدين اللاتين وبين النبلاء أو بين رجال الدين اللاتين أنفسهم ، حول ملكية بعض الأراضي والقرى ، أو بخصوص رسم تخطيط الحدود المشتركة ، فضلاً عن الخلافات التي كانت تنشب بين الكنائس الأديرة حول جباية ضرائب العشر . ومثل هذه المشاكل كانت تشغل السلطة الدينية بأكملها ، لدرجة أن بطريرك بيت المقدس كان يقوم بتوجيه الدعوة إلى رؤساء الأساقفة والأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة الكبيرة في بطريركية بيت المقدس اللاتينية ، من أجل بحث المشاكل والخلافات المستعصية بين الكنائس والأديرة ، حول ملكية بعض الأراضي أو المتعلقة بضرائب العشر ، وقد اتضح هذا عندما قام البطريرك وليم الأول بدعوة كبار رجال الدين في بطريركية بيت المقدس اللاتينية ، لحضور الاجتماع الذي تقرر عقده في بيت المقدس في أغسطس (آب) عام ١١٤٥م / صفر ٥٤٠هـ من أجل حل الخلافات بين رهبان دير جبل طابور ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة<sup>(٢٥٢)</sup> .

كذلك تأثرت الإقطاعات الكنسية بما كان يقدمه رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة من منح وهبات لمختلف المؤسسات والهيئات اللاتينية في الأراضي المقدسة . لأن ذلك من شأنه أن يؤدي إلى انحسار الإقطاعات الكنسية وتراجعها ، وفقدان الكنيسة اللاتينية لكثير من ممتلكاتها . وقد أشارت بعض الوثائق المؤرخة في الفترة الواقعة بين عامي ١١٦٢-١١٦٤م / ٥٥٧-٥٦٠هـ إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة كانوا يقدمون لهيئة فرسان الداوية مائة وخمسين بيزنطاً سنوياً كهبات دائمة الدفع . وقد اضطر رجال الدين في إحدى السنوات إلى التنازل عن قريتين وجاستينا إلى هيئة فرسان الداوية ، بدلاً من المبلغ الذي كانوا يقدمونه لهم سنوياً<sup>(٢٥٣)</sup> .

وليس من شك في أن لجوء رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة إلى التنازل عن بعض أملاكهم سيؤدي مستقبلاً إلى فقدان الكثير من الأملاك الكنسية ، الأمر الذي يعني انحسار الإقطاعات الكنسية وتراجعها . ولم



يقتصر الأمر عما كان يقدمه رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة إلى الهيئات والمؤسسات اللاتينية، ففي الرابع والعشرين من ديسمبر (كانون أول) عام ١١٧٦م/ العشرين من جمادى الآخرة عام ٥٧٢هـ قام رينالد رئيس دير جبل صهيون ورجال الدين العاملون معه في الدير، بمنح أشجار الكرم الواقعة بالقرب من سفح جبل صهيون إلى المنزل الألماني في بيت المقدس<sup>(٢٥٤)</sup>. وهذه المنحة بالذات سوف تحرم دير جبل صهيون من الدخل الذي تدره أشجار الكرم، فضلاً عن خسارة الدير للأرض المزروعة بكروم العنب الأمر الذي سيكون له تأثير سلبي على الإقطاعات الكنسية.

وليس من شك في أنه كان للنفقات الكبيرة المتعددة الجوانب التي تحتاجها الكنائس والأديرة آثار سلبية على الإقطاعات الكنسية. خاصة فيما يتعلق بإعداد الفرسان والسرجنديّة وتجهيزهم للاشتراك إلى جانب الملك الصليبي في حروبه ضد المسلمين أو من أجل الدفاع عن حدود المملكة الصليبية ضد الغارات الإسلامية التي كانت تتعرض لها بين الحين والآخر. وبطبيعة الحال كانت عملية إعداد الفرسان والجنود باهظة التكاليف وقتذاك<sup>(٢٥٥)</sup>. وهذا يعني أن الأسقفيات والكنائس والأديرة كانت تنفق أموالاً كثيرة من أجل إعداد الفرسان والجنود فضلاً عما كانت تقدمه من مواد تموينية لهؤلاء، كذلك كانت الكنائس والأديرة تتحمل دفع رواتب رجال الدين<sup>(٢٥٦)</sup>. ونفقات استقبال كبار الزوار من أمثال رؤساء الأساقفة والأساقفة وجميع مرافقيهم<sup>(٢٥٧)</sup>. هذا إلى جانب القيام ببعض الالتزامات الأخرى التي كانت تكلف الكنائس والأديرة نفقات كثيرة.

وبطبيعة الحال فإن تنفيذ جميع الأعمال سابقة الذكر، كانت تحتاج إلى مبالغ طائلة، ربما تؤدي إلى إفلاس خزائن الأسقفيات والكنائس والأديرة. وقد لاحظنا أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، اضطروا إلى التنازل عن قريتين وجاستينا (خربة) من أملاكهم إلى هيئة فرسان الداوية، بدلاً من المبلغ السنوي الذي كانوا يدفعونه لهم<sup>(٢٥٨)</sup>. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، لم يتمكنوا من الاستمرار بدفع مبلغ المائة والخمسين بيزنطاً، الذي كانوا يقدمونه إلى هيئة فرسان الداوية سنوياً، ولذلك اضطروا إلى التنازل عن جزء من إقطاعيتهم، من أجل الاستمرار في دفع الالتزامات المقررة عليهم.

ولعل عدم التدبير السليم للممتلكات والإقطاعات الكنسية من قبل رجال الدين اللاتين كان له تأثير سلبي عليها، وحرمان الأسقفيات والكنائس والأديرة بما تدره هذه الإقطاعات من خيرات. فعلى سبيل المثال اضطر رالف Ralph<sup>(٢٥٩)</sup> المستشار أسقف بيت لحم، إلى رهن ضيعة كبيرة وبعض المنازل الواقعة في إقطاعية عكا إلى بعض تجار مرسيلية،



مقابل مبلغ ألف ومائتين وواحد وعشرين بيزنطاً. وذلك بسبب حاجة رالف إلى الأموال<sup>(٢٦٠)</sup>. هذا يعني حرمان أسقفية بيت لحم من التمتع بالأموال والخيرات التي كانت تدرها الضيعة والمنازل المرهونة في عكا، حتى تقوم الأسقفية بتسديد قيمة الرهن.

ومن التأثيرات السلبية الأخرى على الإقطاعات الكنسية، الضرائب الإضافية الاستثنائية التي كان يفرضها ملوك بيت المقدس، على جميع ممتلكات الصليبيين في المملكة في حالة الطوارئ، لدرجة أن الملك عموري الأول طلب عقد المحكمة العليا في نابلس من أجل فرض الضرائب الإضافية. وكانت نتيجة الاجتماع أن قرر المجتمعون فرض ضريبة استثنائية قدرها ١٠% على جميع أملاك الصليبيين الذين يعيشون داخل حدود المملكة. وقد اضطر الملك عموري والمجتمعون إلى فرض هذه الضريبة التي تدفع لصالح الحرب<sup>(٢٦١)</sup>، عندما علم بتحرك جيوش نور الدين محمود إلى مصر، تحت قيادة أسد الدين شيركوه في يناير عام ١١٦٧م/ ربيع الآخرة عام ٥٦٢هـ<sup>(٢٦٢)</sup>.

ومما لا شك فيه أن الكنائس والأديرة كانت مضطرة إلى دفع الضرائب الاستثنائية، التي فرضت لصالح الحرب، لأن المؤرخ الصليبي المعاصر أشار إلى أن الضريبة الإضافية التي قررت في اجتماع نابلس كانت على جميع أملاك الصليبيين دون استثناء<sup>(٢٦٣)</sup>، وهذا يعني زيادة أعباء الأسقفيات والكنائس والأديرة، التي كانت تقوم أيضاً بإعداد الفرسان والسرجنديّة، الأمر الذي سيكون له آثار سلبية على الإقطاعات في المستقبل، وربما يؤدي ذلك إلى لجوء رجال الدين اللاتين إلى رهن أو بيع جزء من إقطاعاتهم من أجل تغطية النفقات المطلوبة منهم.

ويبدو أن ملوك بيت المقدس كانوا يعدون رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة، بمنح نقدية كبيرة مقابل إسهامهم في إعداد الفرسان والسرجنديّة ودفع الضرائب الإضافية، تشجيعاً لهم على بذل المزيد من المساعدة. فقد ذكرت إحدى الوثائق المؤرخة في يوم الاثنين الموافق الثاني من سبتمبر (أيلول) عام ١١٦٨م/ السابع والعشرين من ذي القعدة عام ٥٦٣هـ، أن الملك عموري الأول وعد بطرس رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط وجميع رهبان الدير العاملين معه، بمنحهم مبلغ ألف وخمسمائة بيزنط من عائدات أراضي مصر، إذا تمكن من الاستيلاء عليها<sup>(٢٦٤)</sup>. وهذا يشير إلى أطماع الصليبيين ورغبتهم في بسط سيطرتهم على مصر، والتمتع بالخيرات التي تدرها الأراضي المصرية.

وتجدر الإشارة إلى أن الإقطاعات الكنسية تأثرت تأثراً كبيراً بالمشاكل التي نشبت بين الملكة ميلسند وابنها الملك بلدوين الثالث من أجل السيطرة على عرش المملكة، غير أن بلدوين الثالث توج ملكاً في بيت المقدس، رغم معارضة



والدته، وقد تم ذلك عام ١١٥٢م / ٥٤٦هـ. وبعد ذلك في فترة وجيزة قام الملك بلدوين الثالث بإعداد قوة كبيرة واتجه إلى ميرابيل (مجدل يابا) حيث يقيم مناسيس هيرج Manasses of Herges<sup>(٢٦٥)</sup> أحد أقرب الملكة ميلسند، وعندما وصل الملك بلدوين الثالث إلى ميرابيل، قام بفرض الحصار عليها، وبعد فترة وجيزة استسلم مناسيس، وقام الملك بنفيه إلى خارج البلاد<sup>(٢٦٦)</sup>. وقد تأثرت أسقفية سبسطية بشكل مباشر بالمشاكل التي نشبت بين الملكة ميلسند وابنها الملك بلدوين الثالث، إذ أن جميع دخل ميرابيل كان قد منح إلى كنيسة القديس يوحنا الكتدرائية في سبسطية بموجب المنحة التي قدمها باليان كندسطل يافا عام ١١٢٢م / ٥١٦هـ، إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة القديس يوحنا<sup>(٢٦٧)</sup>. وليس من شك في أن عملية حصار ميرابيل قد تركت آثاراً سلبية على الإقطاع النقدي الذي كانت تحصل عليه كنيسة القديسة يوحنا من ميرابيل.

ولعل مرحلة الصراع بين الملكة ميلسند قد شغلت الرأي العام الصليبي في مملكة بيت المقدس، وحولت الأنظار لفترة من الزمن عن الكنيسة، مما يعني حرمانها لبعض الوقت من المنح والإقطاعات التي كانت تعطى لها من قبل ملك بيت المقدس ومن السادة الإقطاعيين وأفراد الطبقة البرجوازية. إذ من الصعب أن يتفرغ الملك بلدوين الثالث إلى إغداق المنح والإقطاعات، وهو في حالة صراع مع والدته من أجل الاستحواذ على السلطة. وهذا الأمر ينطبق أيضاً على جميع السادة الإقطاعيين في المملكة فبعضهم كان مناصراً للمملكة من أمثال فيليب دي ميللي ومناسيس هيرج، والبعض الآخر كان مؤيداً للملك بلدوين الثالث<sup>(٢٦٨)</sup>، وعلى العموم فمن المرجح أن الإقطاعات الكنسية في مختلف أنحاء المملكة قد تأثرت بالصراع الذي نشب بين الملكة ميلسند والملك بلدوين الثالث، لأنه ليس من المعقول قصر تأثير الصراع على منطقة دون أخرى.

ويبدو أن الإقطاعات الكنسية قد تأثرت مرة أخرى، بالمنازعات الداخلية التي نشبت بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس، على أثر وفاة الملك بلدوين الخامس في مدينة عكا في نهاية أغسطس (آب) عام ١١٨٦م / جمادي الآخرة عام ٥٨٢هـ<sup>(٢٦٩)</sup>. وقد انقسم الصليبيون إلى حزبين، أحدهما كان بزاعمة ريموند الثالث كونت طرابلس وباليان ابلين سيد إقطاعية نابلس وشقيقه بلدوين سيد الرملة ورينالد سيد صيدا ووالتر سيد قيسارية وهنفري سيد تبين. أما الحزب الثاني فكان يتزعمه البطريك هرقل، وعموري كندسطل المملكة وروجر دي ميلون مقدم الاستبارية وجيرارد ريد فورت مقدم الداوية ورينالد شايون سيد الكرك وجاي لوزجان. وقد اجتمع الحزب الثاني في بيت المقدس من أجل انتخاب سيلا ابنة الملك عموري الأول ملكة على بيت المقدس، ونجحوا في ذلك حيث قام البطريك بتتويج سيلا ملكة، وبعد عملية



التتويج قامت الملكة سييلا بوضع التاج على رأس زوجها<sup>(٢٧٠)</sup>. وقد أشار العماد الأصفهاني إلى تتويج الأميرة سيبيل وزوجها بقوله: اجتمع الفرنج عليها. فقالت لهم: (زوجي أقدر وهو أحق بالملك وأجدر)<sup>(٢٧١)</sup>. أما الحزب الأول الذي كان يتزعمه ريموند الثالث كونت طرابلس، فكان قد عقد اجتماعاً في نابلس، لبحث مشاكل المملكة، لاسيما المتعلقة باختيار ملك، طبقاً لما جاء في وصية الملك بلدوين الرابع، وقد حضر الاجتماع معظم بارونات المملكة، بسبب العهد الذي قطعه على أنفسهم أمام الملك بلدوين الرابع، وتضامناً مع ريموند الثالث باعتباره الوصي على عرش المملكة. وقد عقد المجتمعون العزم على انتخاب همفري سيد تبين ملكاً على بيت المقدس، بسبب زواجه من الأميرة ايزابيلا ابنة الملك عموري الأول. ولكن همفري لم يكن يطمح في تاج المملكة، ولذلك غادر نابلس ليلاً إلى بيت المقدس ليقدّم ولاءه للملك جاي ولزوجته سييلا. وعندما بحث البارونات عن همفري لكي يقوموا بتتويجه، لم يجدوه. ولذلك أخذوا يتسللون إلى بيت المقدس، واحداً بعد الآخر من أجل تقديم الولا والتبعية للملك جاي ولزوجته سييلا بعد أن خذلهم همفري سيد تبين<sup>(٢٧٢)</sup>. وقد غادر ريموند الثالث مدينة نابلس متوجهاً إلى الجليل، ومصرأ على عدم الاعتراف بالولاء والتبعية للملك جاي لوزجنان<sup>(٢٧٣)</sup>.

يتضح مما سبق أن مملكة بيت المقدس الصليبية بما فيها الإقطاعات الكنسية، عانت من مشكلة خطيرة، كادت أن تؤدي إلى حرب أهلية بين جموع الصليبيين في المملكة في عام ١١٨٦م / ٥٨٢هـ، إذ انقسم الصليبيون على أنفسهم، وظهرت النزعات الانفصالية بينهم عقب وفاة بلدوين الخامس. وليس من شك في أن هذه الخلافات والمنازعات قد أثرت تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية، وذلك لأن كبار رجال الدين اللاتين كانوا طرفاً فيها، فالبطريرك هرقل كان من المؤيدين لانتخاب سييلا ملكة على بيت المقدس، وشارك في الاجتماع الذي عقده الحزب المناوئ لريموند الثالث في بيت المقدس، كما أنه قام بتتويج سيبيل وزوجها في كنيسة القيامة<sup>(٢٧٤)</sup>. ويبدو أن أساقفة اللد وبيت لحم والخليل كانوا من المؤيدين لانتخاب سيبيل ملكة على بيت المقدس، وكذلك رؤساء الكنائس والأديرة الكبيرة في المدينة المقدسة، اعتماداً على أنهم جميعاً، كانوا يخضعون لسلطة بطريرك بيت المقدس<sup>(٢٧٥)</sup>. ولا ندري حقيقة مواقف رؤساء الأساقفة وبقية الأساقفة من هذه المشكلة، وهل كانوا جميعهم مؤيدون لانتخاب سييلا؟ أم أنهم انقسموا على أنفسهم بين مؤيد ومعارض لذلك الانتخاب؟ ولعل بعض رؤساء الأساقفة والأساقفة وقفوا موقفاً محايداً من الخلافات والمنازعات التي تعرضت لها مملكة بيت المقدس الصليبية قبل معركة حطين بعام واحدة.

وفي اعتقادنا أن هذه المشكلة شغلت رجال الدين اللاتين عن الاهتمام بإقطاعاتهم



وأملأهم لفترة من الزمن . وعلاوة على ذلك لم تمدنا الوثائق الصليبية المعاصرة ، بأية معلومات تفيد حصول الكنائس والأديرة على إقطاعات جديدة خلال تلك الفترة . هذا إلى جانب أن رجال الدين لم يقوموا بشراء أية أملاك جديدة ، الأمر الذي يشير إلى مدى تأثير الخلافات الداخلية بين الصليبيين على الإقطاعات الكنسية وتطورها . وخلاصة القول أن كثيراً من المؤثرات والعوامل الداخلية ، أثرت تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية . وكان بعض هذه التأثيرات السلبية ، بسبب سوء سياسة رجال الدين اللاتين ، وتهورهم وحبهم لامتلاك الكثير من الأراضي على حساب غيرهم ، الأمر الذي كان يؤدي إلى نشوب الخلافات بين الأديرة والكنائس أو بين رجال الدين وبعض النبلاء . كذلك كان للنفقات الباهظة الملقاة على عاتق رجال الدين اللاتين أثرها السلبي على الإقطاعات الكنسية . وبطبيعة الحال كان للخلافات التي شهدتها المملكة بسبب السيطرة على العرش ، آثار سلبية على الإقطاعات الكنسية .

وتجدر الإشارة إلى أن بلاد الشام بما فيها مملكة بيت المقدس الصليبية تعرضت لكثير من الهزات الأرضية التي كان لها آثار سيئة على الإقطاعات الكنسية . ففي عام ١١٣٨م / ٥٣٣هـ تعرضت بلاد الشام ومصر إلى عدة هزات متوالية<sup>(٢٧٦)</sup> ، وفي عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ تعرضت أيضاً لهزات متكررة ، أصابت الكثير من المدن ، ومات بسببها خلق كثير<sup>(٢٧٧)</sup> . وفي عام ١١٧٠م / ٥٦٥هـ تعرضت البلاد لزلازل مدمر شديد الوطأة ، هدم عدداً كبيراً من المدن ، وهلك من أهل البلاد عدد كبير لا يمكن حصره<sup>(٢٧٨)</sup> . وليس من شك في أن العوامل الطبيعية والآفات الزراعية مثل الجراد والفئران وغيرها ، كانت ذات تأثير سلبي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحركة العمرانية في الإقطاعات الكنسية . فالهزات الأرضية كانت تؤدي إلى هدم مدن وقرى بكاملها ، فضلاً عن هلاك أعداد كبيرة من البشر بسببها . أما أسراب الجراد والفئران ، فكانت تهلك الزرع ، الأمر الذي يترتب عليه تدهور الحياة الاقتصادية في البلاد .

أما بخصوص العامل الخارجي وتأثيره السلبي على الإقطاعات الكنسية فيتمثل بالغارات الإسلامية المتكررة على مملكة بيت المقدس الصليبية . وقد أشار أحد المؤرخين الغربيين الحديثين إلى أن جميع الأراضي الزراعية في الأسقفيات اللاتينية ، كانت معرضة للهجوم من قبل المسلمين ، ولذلك فإن عائدات الأسقفيات والكنائس والأديرة سوف تكون غير ثابتة<sup>(٢٧٩)</sup> . ولعل المؤرخ الحديث محق فيما ذهب إليه ، من أن عائدات الأسقفيات والكنائس والأديرة كانت متقلبة ، بسبب استمرار الغارات الإسلامية على الأراضي الزراعية الواقعة في حدود مملكة بيت المقدس الصليبية . هذا إلى جانب أن الغارات الإسلامية كانت ذات تأثير سلبي على الحياة الاجتماعية في الإقطاعات



الكنسية، إذ كان الصليبيون الذين يقطنون المدن والإقطاعات الكنسية معرضين للقتل في كل وقت، بسبب الغارات المستمرة التي كان يقوم بها المسلمون من أجل استعادة بلادهم، وطرد الصليبيين الذين ارتكبوا المجازر الشنيعة بحق المسلمين في الأراضي المقدسة.

ومن الغارات الإسلامية الشديدة الوطأة التي تعرضت لها مملكة بيت المقدس الصليبية. ما قام به بزواش<sup>(٢٨٠)</sup> (أتابك دمشق) في عام ١١٣٧م/ ٥٣٢هـ، الذي تقدم بقواته من دمشق واختراق حدود المملكة حتى وصل نابلس، وأمر رجاله بإشعال الحرائق في المدينة، فضلاً عما قتله من أهلها<sup>(٢٨١)</sup>. وقد أشار وليم الصوري إلى أنه لم ينج من هذه المذبحة، إلا الذين كانوا لديهم الوقت للجوء إلى قلعة المدينة للاحتماء بها. والهرب من سيوف المهاجمين، وبعد ذلك شرعت القوات المهاجمة في مغادرة نابلس مثقلة بالغنائم<sup>(٢٨٢)</sup>. والمرجح أن ما قام به بزواش من أعمال ضد المملكة الصليبية، إنما كان مجرد غارة عابرة ليس لها أهداف محددة، ولم يكن لها تأثير كبير، وربما أراد من وراء ذلك أن يمكن لنفسه دمشق، ويضفي على نفسه شيئاً من المهابة، ويكتسب محبة أهل دمشق<sup>(٢٨٣)</sup>، فكانت هذه الغارة ضد الصليبيين في مدينة نابلس وما يحيط بها من أرض.

وليس من شك في أن جزءاً من الإقطاعات القائمة في المنطقة قد تعرضت للهجوم من قبل قوات بزواش التي ربما قامت بحرق وتخريب المزارع التي تعود ملكيتها لرجال الدين اللاتين في منطقة نابلس. هذا فضلاً عن عمليات القتل والنهب التي تعرض لها سكان المنطقة. ولعل قوات بزواش قد قامت باجتياح أكثر من منطقة واستولت على الكثير من الغنائم والأسلاب، لأنه ليس من المعقول أن تتجه قوات بزواش من دمشق إلى نابلس مباشرة، دون المرور على بعض المدن والقرى الواقعة على طول الطريق من دمشق إلى نابلس. ولكن يبدو أن الهجوم الذي تعرضت له نابلس كان شديد الوطأة، الأمر الذي دفع بالمؤرخ وليم الصوري إلى ذكره، دون الاهتمام بما قامت القوات المهاجمة من أعمال في مناطق أخرى.

وفي عام ١١٧٠م/ ٥٦٦هـ تعرضت مجموعة من المستوطنين الأوروبيين الذين يقيمون في مستوطنة البيرة لكارثة فادحة على يد قوات صلاح الدين الأيوبي<sup>(٢٨٤)</sup>، التي هاجمت مدينة غزة، وأغارت أيضاً على الرملة وعسقلان<sup>(٢٨٥)</sup>. وقد ذكر المؤرخ الصليبي المعاصر وليم الصوري أن خمسة وستين شاباً من مستوطنة البيرة، كانوا يحملون أسلحة خفيفة، وصلوا إلى مدينة غزة ليلاً، من أجل مشاركة الجيش الصليبي في التصدي لقوات صلاح الدين الأيوبي. ويضيف وليم الصوري أن هؤلاء الشبان التقوا مع قوات صلاح الدين، لكنهم لم يتمكنوا من المقاومة، ولذلك تعرضوا للقتل. وعلى أثر



ذلك تمكنت القوات الإسلامية المهاجمة من دخول مدينة غزة، حيث أعملوا السيف بسكانها من الصليبيين، وبعد ذلك انسحبت قوات صلاح الدين متجهة نحو الداروم (دير البلح)، وقد صادفت في طريقها بعض القوات الصليبية، واشتبكت معها، وتمكنت من القضاء عليها بالكامل<sup>(٢٨٦)</sup>.

يتضح من خلال أحداث عام ١١٧٠م / ٥٦٦هـ أن إحدى المستوطنات الكنسية منيت بخسارة كبيرة عندما فقدت خمسة وستين شاباً من سكانها. وهذه الخسارة لا تعتبر قليلة بالنسبة للمستوطنين الأوروبيين الذين يقطنون مستوطنة البيرة، إذ أن عددهم لا يتجاوز خمسمائة شخص، ولذلك فإن مقتل هذا العدد الكبير من الشبان، يعتبر بمثابة كارثة اجتماعية بالنسبة لهم، وربما كان له تأثير سيء على الوضع الاقتصادي في المستوطنة، إذ لا بد وأن قسماً من القتلى كان يعمل في مجال الزراعة. ولعل المستوطنين فقدوا أسلحتهم وخيولهم في المعركة، مما سوف يكون له تأثير سلبي على الحياة الاقتصادية في مستوطنة البيرة.

كذلك اتضح من مجرى الأحداث أن القوات الإسلامية قامت بشن الغارات على مدينتي عسقلان والرملة والمناطق المحيطة بهما. وهذا يعني أن الإقطاعات الكنسية الواقعة في المنطقة، تعرضت لخسائر كبيرة على يد القوات الإسلامية. فالمعروف أن مدينتي الرملة واللد كانتا من ضمن الإقطاعات الكنسية التي حصلت عليها الكنيسة اللاتينية منذ عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ<sup>(٢٨٧)</sup>. كذلك حصلت الكنائس والأديرة اللاتينية في مملكة بيت المقدس الصليبية على إقطاعات في مقاطعة عسقلان، وقد أشرنا إلى ذلك عند حديثنا عن الإقطاعات التي قدمها ملوك وأمراء بيت المقدس للكنائس والأديرة، ولعل ما تعرضت له مدينتي الرملة وعسقلان على يد القوات الإسلامية، يكشف مدى الخسائر التي كانت تتعرض لها الأملاك الكنسية بصفة خاصة والممتلكات الصليبية بصفة عامة.

واستمرت القوات الإسلامية في مواصلة جهادها ضد الصليبيين ففي يوم الأحد الموافق الثاني عشر من نوفمبر (تشرين ثاني) عام ١١٧٧م / التاسع والعشرين من جمادي الأولى عام ٥٧٣هـ، قام صلاح الدين الأيوبي بالنزول على عسقلان حيث «سبي وسلب وغنم وغلب وأسر وقسر وكسب وكسر»، ثم قام بجمع الأسرى وضرب أعناقهم، وبعد ذلك قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بإرسال قواته إلى النواحي من أجل الإغارة والنهب والسلب، وقد استرسلت القوات الإسلامية في الغارات، وفي عمليات السلب والنهب حتى توسطوا البلاد الخاضعة للحكم الصليبي<sup>(٢٨٨)</sup>. وقاموا بإحراق اللد والرملة، وتغلغلوا في البلاد حتى وصلوا أسوار بيت المقدس<sup>(٢٨٩)</sup>. وأثناء تفرق القوات الإسلامية للإغارة على المعقل والضياح الصليبية، تعرض الجيش الإسلامي



المربط بالقرب من الرملة إلى هزيمة فادحة على يد القوات الصليبية بقيادة الملك بلدوين الرابع . ولما لم يكن للمسلمين حصن قريب يأوون إليه ، طلبوا جهة الديار المصرية ، وضلوا في الطريق وتبددوا ، وأسر منهم جماعة . أما فيما يتعلق بالقوات الإسلامية التي توغلت في البلاد الخاضعة للسيطرة الصليبية ، فإن أكثر أفرادها وقعوا ما بين أسير وقتيل<sup>(٢٩٠)</sup> .

ولعل ما قام به السلطان صلاح الدين الأيوبي من أعمال ضد المعاقل والضياع الصليبية في مملكة بيت المقدس عام ١١٧٧م / ٥٧٣هـ ، يؤكد ما ذهبنا إليه في أن العامل الخارجي ، كان له تأثيرات سلبية على الإقطاعات الكنسية ، وعلى العائدات التي تدرها هذه الإقطاعات . فعلى سبيل المثال تعرضت الإقطاعات الكنسية في عسقلان والرملة واللد ، لسلسلة من الغارات المتواصلة من قبل القوات الإسلامية ، فخلال فترة بسيطة تقدر بحوالي ثماني سنوات ، تعرضت هذه البلاد لخسائر فادحة سواء في الأرواح أو في الممتلكات . كذلك أشارت المصادر إلى أن القوات الإسلامية واصلت تقدمها في البلاد الخاضعة لمملكة بيت المقدس الصليبية ، حتى وصلت إلى وسط البلاد ، قريباً من أسوار بيت المقدس . ربما يعني هذا أن الإقطاعات الكنسية المتواجدة في المنطقة ، تعرضت للهجوم من قبل المسلمين ، الأمر الذي سترتب عليه خسائر مادية وبشرية .

تعرضت بعض الإقطاعات الكنسية الواقعة في المنطقة الممتدة من نابلس إلى جنين إلى خسائر فادحة عام ١١٨٤م / ٥٨٠هـ ، وذلك عندما قام السلطان صلاح الدين بالزحف نحو منطقة نابلس وإنزال الخراب والدمار بكل ما مر به<sup>(٢٩١)</sup> . هذا إلى جانب أنه اجتاحت مدينة نابلس ، التي كان بعض سكانها قد هربوا إلى قلعة المدينة في حالة يرثى لها ، بينما التجأ قسم من السكان إلى الشعاب والأودية عند سماعهم خبر اقتراب صلاح الدين<sup>(٢٩٢)</sup> . وقد حاز السلطان غنائم وأسلاب كثيرة ، فضلاً عما أنزله بأهل نابلس من تنكيل وسبي<sup>(٢٩٣)</sup> . أشار الرحالة ابن جبير إلى ذلك بقوله : « امتلأت أيدي المسلمين سبياً لا يحصى عدده من الإفرنج ، ومن فرقة من اليهود تعرف بالسمره ، منسوبة إلى السامري وانبسط فيهم القتل الذريع ، وحصل المسلمون منها على غنائم يضيّق بالحصر عنها »<sup>(٢٩٤)</sup> .

وبعد أن فرغ صلاح الدين من أمر نابلس ، تحرك صوب سبسطية « وكان فيها جماعة من الرهبان والقساوسة » ، الذين طلبوا الأمان من صلاح الدين ، مقابل إطلاق ما بحوزتهم من أسرى المسلمين فأجابهم إلى ذلك<sup>(٢٩٥)</sup> ، ثم تحرك صوب جنين « فنهبها وخرّبها »<sup>(٢٩٦)</sup> ، ومنها إلى دمشق في الخامس عشر من سبتمبر (أيلول) عام ١١٨٤م / السابع من جمادي الآخرة عام ٥٨٠هـ<sup>(٢٩٧)</sup> .



يتضح من خلال غارة السلطان صلاح الدين الأيوبي على مناطق نابلس وسبسطية وجنين والقرى والأراضي المحيطة بها عدة نقاط أهمها : أن المناطق التي هوجمت كانت تشمل بعض القرى والأراضي والأماكن التي تعود ملكيتها للكنائس والأديرة . وسبق أن أشرنا إلى أن قرى عسكر وبلاطة وصافي وميثلون وجميع الأراضي المحيطة بها ، كانت من ضمن الإقطاعات الكنسية الواقعة في منطقة نابلس ، هذا إلى جانب بعض الأراضي والأماكن التي حازتها الكنائس والأديرة في المنطقة . وهذا يعني أن الإقطاعات الكنسية الواقعة في منطقة نابلس ، تعرضت لخسائر كبيرة بسبب غارة صلاح الدين الأيوبي على المنطقة . وربما أدت الغارة الإسلامية على نابلس ، إلى حرمان دير معبد السيد من جباية ضريبة العشر المقررة على سكان المنطقة ، والتي كان رهبانها يتولون جبايتها . وذلك لأنه ليس لدى السكان ما يدفعونه للدير ، بعد الكارثة التي حلت بهم . كذلك أثرت الغارة الإسلامية تأثيراً سلبياً على الكنائس والأديرة التي كانت تمتلك بعض الإقطاعات في نابلس ، إذ حرمتها من تحصيل الضرائب المقررة على الانتاج . فضلاً عن الضرائب التي كانت تدفع ثلاث مرات في العام . ومن النقاط الهامة التي كشفت عنها الغارة الإسلامية ، ما يتعلق باجتياح المسلمين لأراضي أسقفية سبسطية ، التي طلب رهبانها وقساوستها الأمان من السلطان صلاح الدين ، مقابل إطلاق ما بحوزتهم من أسرى المسلمين . مما يفيد تعرض سكان أسقفية سبسطية للقتل والنهب والسلب من قبل قوات صلاح الدين ، الأمر الذي دفع برجال الدين اللاتين إلى طلب الأمان . كذلك اتضح أن القوات الإسلامية قامت بتحرير الأسرى المسلمين الذين كان يحتفظ بهم رجال الدين اللاتين في أسقفية سبسطية وهذا يعني حرمانهم من الحصول على فدية مقابل الإفراج عن الأسرى . وقد بدا واضحاً أن صلاح الدين قام باجتياح المناطق الواقعة شمال نابلس إذ قام بنهب جنين وتخريبها ، وكذلك المناطق المحيطة بها . وبطبيعة الحال فإن هذه الأعمال أثرت تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية المنتشرة في المنطقة ، إذ حرمت أسقفية سبسطية من جباية ضرائب العشر من المناطق التي تعرضت للغارة ، والتي كانت تقع ضمن نفوذ الأسقفية . هذا فضلاً عن حرمان الكنائس والأديرة من التمتع بعائدات الأراضي الزراعية ، التي كانت تصل في بعض الأحيان إلى نصف أو ثلث أو ربع ما تنتجه هذه الأراضي .

وفي اعتقادنا أن تأثير العوامل الخارجية على الإقطاعات الكنسية كانت تأثيراً عنيفاً ومدمراً في نفس الوقت ، وذلك لأن الغارات الخارجية على الإقطاعات الكنسية ، كانت تتسبب في قتل وأسر العديد من الصليبيين ، فضلاً عن تدمير المنشآت العمرانية ، وتخريب الأراضي الزراعية وإحراقها ، مما سيعود بالضرر والخسارة الفادحة على رجال الدين اللاتين الذين سيضطرون



إلى إصلاح ما تم تدميره، مما سيؤدي إلى إفراغ خزائن الكنائس والأديرة من الأموال. وهذا يجعلنا نقول أن العوامل الداخلية ذات التأثيرات السلبية على الإقطاعات الكنسية، كانت أقل تأثيراً من العوامل الخارجية. وبطبيعة الحال انحسرت الإقطاعات الكنسية انحساراً كبيراً عقب انتصار المسلمين على الصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ، وما تبع ذلك من قيام القوات الإسلامية بفتح مدن طبرية وأرسوف وعكا وحيفا وقيسارية نابلس وسبسطية واللد والرملة والخليل والناصرة وعسقلان وصيدا وبيروت، وجزيرن وحصن الفولة، وغزة والداروم (دير البلح) وبيت جبرين<sup>(٢٩٨)</sup>. وبعد أن تمكن السلطان صلاح الدين الأيوبي من استعادة معظم المدن الإسلامية، توجه صوب بيت المقدس وفرض حصاره عليها. الأمر الذي دفع بالصليبيين إلى التسليم وطلب الصلح، فأجابهم صلاح الدين إلى ذلك، على أن يدفع كل رجل منهم عشرة دنانير والمرأة خمسة دنانير، والطفل دينار واحد، ودخل المسلمون بيت المقدس يوم الجمعة الموافق السابع والعشرين من رجب عام ٥٨٣هـ / الثاني من أكتوبر (تشرين الأول) عام ١١٨٧م<sup>(٢٩٩)</sup>.

وليس من شك في أن المستوطنين الأوروبيين الذين كانوا يعيشون في المستوطنات والإقطاعات الكنسية، وقد غادروا هذه الأماكن، عند سماعهم بانتصار السلطان صلاح الدين الأيوبي على القوات الصليبية في معركة حطين، وقيامه بفتح المدن الإسلامية وبطرد الصليبيين منها. ومن المرجح أن القوات الإسلامية قامت بتدمير وتخريب جميع أملاك الصليبيين في الأراضي المقدسة. وقد أشار ياقوت الحموي -الذي زار بيت المقدس بعد طرد الصليبيين منها- إلى أن السلطان صلاح الدين قام بتدمير مستوطنة البيرة، بعد أن استعادها من الصليبيين<sup>(٣٠٠)</sup>. ويبدو أن التدمير لم يشمل معظم المستوطنة، لأنه تم العثور في البيرة على بعض المنازل والمباني والمنشآت التي ترجع إلى العصر الصليبي.



### هوامش الفصل الثالث

(1) الباب انوسنت الثاني: كان يدعى جريجوري Gregory قبل أن يتولى منصب بابا روما، وهو أحد الكرادلة في كنيسة القديس اجلو St. Anglo وبعد وفاة الابا هنوريوس الثاني عام ١١٣٠م / ٥٢٤هـ، تم ترشيح اثنين لشغل المنصب البابوي هما: بطرس أحد الكرادلة في كنيسة القديسة مريم وجريجوري. وقد وقع خلاف خطير حول انتخاب أحدهما، ونشبت المنازعات بين الناس، وفي النهاية فاز الكاردينال جريجوري بالمنصب البابوي، وأصبح يعرف باسم البابا انوسنت الثاني.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 2, pp. 61-62. Cf. also: Hamilton, B., op. cit., p. 31.

2) Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 7, pp. 44-46. de Rozière, op. cit., Doc. No. 17, pp. 22-24. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 177, p. 44.

3) Runciman, S., Vol. 2, pp. 310-311. Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 165.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧٢.

(4) سعيد عاشور: المرجع السابق، ج ١، ص ٣١٠-٣١١، ٤٧٣.

Cf. also: Deanesly, M., A History of the Medieval Church, p. 84.

(5) أول وثيقة أشارت إلى أسقف صيدا مؤرخة عام ١١٣٣م / ٥٢٧هـ، مما يفيد أن برنارد تولى مهامه الأسقفية في هذه العام.

Cf. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 144, p. 36. Cf. also: Hamilton, B., p. 70.

(6) كان بلدوين أسقف بيروت قد انتخب عام ١١١٢م / ٥٠٦هـ لكي يتولى أمر أسقفية بيروت، لكن المشاكل التي نشبت بين بطريركي أنطاكية وبيت المقدس، أجلت عملية تعيينه حتى عام ١١٣٣م / ٥٢٧هـ، وبهذا يكون قد انتظر نحو إحدى وعشرين عام ليصبح أسقفاً لبيروت.

Cf. Hamilton, B., pp. 27, 70.

(7) قام يوحنا بمنح بعض الإقطاعات لهيئة فرسان الاستبارية عام ١١٣٥م / ٥٢٩هـ، أي في نفس العام التي تم فيها تعيينه أسقفاً على أسقفية عكا.

Cf. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 155, p. 38.

(8) فولشر رئيس أساقفة صور: كان فولشر رجلاً قوطياً Aquitanian من كونية انجوليم Angouleme وقبل حضوره إلى بيت المقدس كان رئيساً لأحد الأديرة في Celles وكان فولشر رجلاً تقياً يخشي الله، وقد نال قليل من التعليم. وتولى منصب رئيس أساقفة صور عام ١١٣٥م / ٥٢٩هـ، بعد وفاة وليم رئيس أساقفة صور. وبعد أن أمضى فولشر نحو اثنتي عشر عام كرئيس لأساقفة صور أصبح بطريركياً على بيت المقدس في يناير عام ١١٤٧م / شعبان عام ٥٤١هـ.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 2, p. 38.

9) William of Tyre, Vol. 2, pp. 67-68. Cf. also: Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 86, p. 46. Dodu, G., p. 308.

10) William of Tyre, Vol. 2, pp. 69-70. Cf. also: Hamilton, B., p. 71.

11) Geneviève, B.B., Acte No. 104, pp. 223-224. de Rozière, op. cit., No. 6, p. 5. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 171, pp. 42-43.

12) Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 106, p. 225. de Rozière, op. cit., Doc. No. 5, pp. 4-5. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 178, p. 44.

(13) تسلم الصليبيون مدينة بانياس مرتين دون قتال، المرة الأولى عام ٥٢٣هـ / ١١٢٩م، عندما قام إسماعيل العجمي بتسليمها لعدم مقدرة على الثبات. وبعد أن احتفظ الصليبيون بمدينة بانياس نحو ثلاث سنوات، قام شمس الملوك بن تاج الملك باستردادها سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٢م. أما المرة الثانية التي تم فيها تسليم بانياس إلى



الصليبيين، فكانت على يد الأمير معين الدين أنر عام ١١٤٠م / ٥٣٥هـ. انظر: ابن القانسي: تاريخ دمشق، ص ٣٥٦، ٣٧٥-٣٧٦، ٤٤٧. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٦٥٦-٦٥٧، ٦٨٤-٦٨٥، ج ١١، ص ٧٣-٧٤.

William of Tyre, Vol. 2, pp. 74, 112. Cf. also: Hamilton, B., p. 71. Stevenson, pp. 127-128.

14) William of Tyre, op. cit., Vol. 2, p. 112. Cf. also: Hamilton, B., op. cit., p. 71.

15) Ibid, Loc. cit.

16) Jacques de Vitry, op. cit., p. 33. Cf. also: Grousset, R., op. cit., Vol. 1, p. 312. Prawer, J., Th Latin Kingdom of Jerusalem, p. 166.

يوسف الدبس: تاريخ سورية، ج ٦، ص ١٧٠. سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٣٢٦.

17) Hamilton, B., op. cit., p. 72. Katzir, Y., op. cit., p. 173.

18) Jacques de Vitry, op. cit., p. 34. Anonymous Pilgrims, trans. by Aubrey Stewart, Vol. VI, London 1896, in P.P.T.S., p. 31. Hamilton, B., op. cit., p. 72. Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 166.

يوسف الدبس: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

19) Geneviève, B.B., op. cit., Acts No. 38, pp. 107-109. de Rozière, op. cit., Doc. No. 34, pp. 65-68. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 226, p. 57.

20) Hamilton, B., op. cit., loc. cit.

21) Ibid., loc. cit.

22) البطريك عموري من نسل: كان رجلاً فرنجياً من مدينة نسل Nesle الواقعة في أسقفية نوبون Noyon، وكان على قدر جيد من التعليم، لكنه كان بسيطاً وقليل الفائدة للكنيسة. وقد تولى منصب رئيس كنيسة القيامة قبل انتخابه بطريكاً على بيت المقدس عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ، على الرغم من أن انتخابه في هذا المنصب، لقي معارضة من هرنسيوس Hernesius رئيس أساقفة قيسارية ووالف Ralph أسقف بيت لحم الذي لم يعجبه قرار التعيين، واستأنف القرار في روما. وعندما تسلم عموري منصبه، وضع المشكلة بين فريديريك Phredrick أسقف عكا، الذي ذهب إلى كنيسة روما التي كانت تحكم من قبل البابا هدران الرابع Hadrian IV. وعن طريق تقديم الهدايا بسخاء، طلب أسقف عكا مساندة البابوية الرومانية لعموري، في غياب خصومه، وأن يعيد معه طيلسان البابا Pallium واعتراف تام بمطلب عموري الخاص بمنصب بطريك بيت المقدس. ومهما يكن من أمر فقد بقي البطريك عموري في منصبه حتى عام ١١٨٠م / ٥٧٦هـ، وكان صديقاً للملك بلدوين الثالث وأخيه عموري الأول.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 2, pp. 271-272. Cf. also: Dodu, G., op. cit., p. 358. Hamilton, B., op. cit., p. 76.

23) Ibid., p. 77.

24) رينالد: هو أول أسقف لاتيني يتولى حكم أسقفية الخليل اللاتينية، وقد ذكر في إحدى وثائق كنيسة القيامة المؤرخة عام ١١٧١م / ٥٦٧هـ كشاهد على بعض المنح التي حصلت عليها كنيسة القيامة من برنارد أسقف اللد والرملة.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 158, pp. 307-309.

وتجدر الإشارة إلى أن رينالد قام بإنشاء كنيسة لاتينية في الخليل بعد توليه حكم أسقفية الخليل بعام.

Cf. Benvenisti, M., op. cit., p. 161.

25) والتر: أول رئيس أساقفة لاتيني يتولى حكم أسقفية البتراء، وذكر اسمه بطرق مختلفة منها: Gualterius و Guerricus. وقبل أن يتولى والتر منصب رئيس أساقفة البتراء، كان أحد رجال الدين في دير معبد السيد Templum Domini.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 2, p. 346.

وقد ذكر والتر في إحدى وثائق كنيسة القيامة المؤرخة في يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من إبريل عام ١١٧٨م /



الخامس من ذي القعدة ٥٧٣هـ. وفي هذه الوثيقة تسلم والتر تأكيدات وليم ملك صقلية على جميع ما تملكه كنيسة القيامة في مملكة صقلية.

Cf. Genevi've, B.B., op. cit., Acte No. 164, pp. 316-317.

26) William of Tyre, op. cit., Vol. 2, p. 346.

27) Conder, C.R., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 193.

28) Katzir, Y., op. cit., p. 173.

29) J de Vitry, op. cit., p. 36. Anonymous Pilgrims, p. 32. Roger of Wendovers, Flowers of History, Vol. 1, Trans. by J. A. Giles, D.C.L. London 1848, p. 442. Cf. also: Conder, op. cit., p. 193, note 1. Beyer, G. Das Gebiet der Kreuzfahrerherrschaft Caesarea in Palastina Siedlungs-Und territorial-geschlich untersucht, p. 82. Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 165. Benvenisti, M., op. cit., p. 334.

30) Jacques de Vitry, op. cit., pp. 34-35. Anonymous Pilgrims, Vol. 1, p.

32. Roger of Wendover's, op. cit., vol. 1, p. 442.

انظر أيضاً: يوسف الدبس: تاريخ سورية، ج٦، ص ١٧٠.

31) Jacques de Vitry, op. cit., p. 34. Anonymous Pilgrims, vol. VI, p. 31. Cf. also: Conder, op. cit., loc. cit. Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 165.

(32) بصرى: من أرض الشام وهي من أعمال دمشق، والمدينة الكبيرة في حوران. ويوجد شرقي بصرة بحيرة تجتمع فيها مياه دمشق، وتسير منها في صحراء ورمال. انظر: الحميري: كتاب الروضة المعطار في خير الأقطار، ص ١٠٩.

33) Hamilton, B., op. cit., p. 52.

34) Ibid., loc. cit.

35) Burchard of mount Sion, p. 12, 15. Jacques de Vitry, p. 34. Anonymous Pilgrims, Vol. VI, p. 31. Cf. also: Prawer, J., The Latin Kingdom, p. 166.

36) William of Tyre, op. cit., Vol. 2, p. 473. Jacques de Vitry, op. cit., loc. cit.

37) Jacques de Vitry, op. cit., p. 34. Anonymous Pilgrims, p. 31.

38) Jacques de Vitry, op. cit., loc. Anonymous Pilgrims, loc. cit. Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 166.

39) Conder, op. cit., p. 193.

(40) انظر ما سبق من هذه الدراسة، ص ١٨٧، هامش رقم ٣.

(41) بيثاني: هي قرية العيزرية، وتقع على ربوة جنوب شرق جبل الزيتون. وقد وصفها الحاج دانيال الروسي بأنها قرية صغيرة في واد خلف الجبال على نحو كيلومترين جنوبي بيت المقدس. وأضاف دانيال أنه يوجد في بيثاني الحجرة التي مرض ومات فيها القديس العازر، كما ذكر أن قبر القديس العازر لا يزال قائماً في القرية. وتحدث دانيال عن كنيسة كبيرة عالية مليئة بالزخارف قائمة في وسط قرية بيثاني. وقد أنشأت الملكة ميلسند ديراً في القرية عرف باسم دير بيثاني.

Cf. Pilgrimage of the Russian abbot Daniel in the Holy Land, p. 22. Cf. also: Grousset, r., op. cit., Vol. 2, p. 161.

مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج٨، ق٢، ص ١٤٢-١٤٧.

42) Jacques de Vitry, pp. 34-36. Anonymous Pilgrims pp. 31-33. Conder, p. 193, note 1, Bréhier, L., l'Eglise et l'Orient au moyen age les Croisades, Paris 1928, p. 92.

(43) جبول: هي إحدى القرى الواقعة في إمارة الجليل، وهي تقع على بعد سبعة كيلومترات ونصف من



الشمال من بيسان، ويحدها من الشمال بانحراف قليل نحو الشرق قرية كوكب الهوا ومن الجنوب مدينة بيسان ومن الغرب قرية يبلَى Yebla. وقرية جبول ترتفع نحو مائة متر عن سطح البحر، وقد عرفت القرية بهذا الاسم منذ العهد الروماني، والمرجح أنها تحريف لكلمة جولاً السريانية بمعنى الخراف. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٦، ق ٢، ص ٥٠٨.

Cf. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, p. 226, Note 5. Geneviève, B.B., op. cit., Index Locorum, pp. 414-415.

(44) هليكار: تعرف باسم خربة قارا: ويكتب اسم القرية بأشكال مختلفة منها هيكار Hecar و Helcar و Helchar و Locara و Lecara. وهي تقع غرب قرية كفرا Kafra، ويحدها من الشمال قرية الناعورة en Naurah ومن الجنوب قرية خربة طبعون Khirbet Tubaun ومن الشرق قرية كفرا ومن الغرب قرية سولم Sulem.

Cf. Geneviève, B.B., o. cit., Index Locorum, p. 415. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete Akko und galilaea, p. 226, note 6.

45) Geneviève, B.B., Acte No. 62, pp. 155-156, Acte No. 136, pp. 267-268. Beugnot, L., tome II, Charte, No. 12, pp. 490-491, Charte No. 40, pp. 524-525. de Rozière, op. cit., Doc. No. 74, pp. 148-150, Doc. No. 124, pp. 227-229. Migne, tomus 155, Doc. No. 74, Cols. 1180-1181, Doc. No. 124, Cols. 1216-1217. Röhrich, R., Regesta, doc. No. 142, p. 36, Doc. No. 417, p. 108.

(46) يبلَى: تعرف أيضاً باسم خربة يبلَى، وهي قرية صغيرة تقع في الشمال الغربي من بيسان، وعلى بعد خمسة كيلومترات جنوبي غرب قلعة كوكب الهوا، وعلى بعد ثمانية كيلومترات إلى الشمال الغربي من جبول. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٦، ق ٢، ص ٥١٣.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Index Locorum, p. 417. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, p. 228, note 13.

(47) كفرا: تقع شمال مدينة بيسان، وترتفع عن سطح البحر نحو مائة وخمسة وسبعين متراً، وتقع على بعد ثلاثة كيلومترات غرب قلعة كوكب الهوا بانحراف قليل نحو الجنوب. وتقع كفرا في الشمال الغربي من جبول وعلى بعد نحو ستة كيلومترات منها. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٦، ق ٢، ص ٥١٢.

Cf. Geneviève, B.B., Index Locorum, p. 417. Beyer, G., p. 227, note 7.

(48) قرية دير سويت: تقع شرق قرية عين جالود، وقد اندثرت هذه القرية، ويقوم على بقعتها الآن قرية دير ام السعود Dayer Umm al-Su'ud التي تعرف أيضاً باسم خربة دير ام السعود، وهي تقع في الجنوب الغربي من قرية جبول وعلى بعد أربعة عشر كيلومتراً منها. وتحتوي القرية على حظائر مبنية بحجارة خشنة واثار جدران. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٦، ق ٢، ص ٥٠٨، ٥١٣.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Index Locorum, p. 413. Beyer, G., op. cit., p. 229, note 4.

(49) دير لوها: لم يتمكن من العثور على موقعها، ويبدو أنها اندثرت، ولم تعد تذكر في المؤلفات الحديثة. (50) كوكب الهوا: تقع في الشمال من بيسان، وترتفع عن سطح البحر نحو ثلثمائة واثني عشر متراً، وكان الرومان قد أقاموا قلعة بالقرب منها حملت اسم اغريپينا Agrippina. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٦، ق ٢، ص ٥١٩-٥٢٠. وقد أنشز الملك فولك اوف انجو قلعة على أراضي القرية عام ١١٤٠م/ ٥٣٥هـ، وقد حملت القلعة اسم كوكيت Coquet، وهو مشتق من الأسم العربي كوكب الهوا، بمعنى نجم في السماد، وعرفت القلعة باسم بلفوار Belvoir، وهي مستطيلة الشكل ١٦٠ x ١٢٠م، وشيد الصليبيون على أسوارها أبراج مربعة الشكل، وقد منحت هذه القلعة إلى فرسان الاستبارية ولمزيد من التفصيل. انظر:

Lawrence, T. E., Crusade Castles, London 1936, Fig. 47, p. 49. Deschamps, P. la Deienne du Royaume de Jerusalem, p. 122, note 1. Mayer, p. 93.

Runciman, S., Vol. 2, p. 376. Prawer, J., The Latin Kingdom, pp. 300-308.

(51) قرية الحسانية: تقع في الشمال الشرقي من بيسان، وتبعد عنها نحو ثمانية كيلومترات، وقد وردت في



الوثائق الوثائق الصليبية تحت اسم هوكسينا Huxenia.  
Geneviève, B.B., Acte No. 62, pp. 155, Acte No. 136, pp. 267-268, Index  
Locorum, p. 415. Beyer, G., op. cit., p. 226, note 5.

52) Beyer, G., op. cit., p. 226-229.

53) اليس: هي ابنة الملك بلدوين الثاني وزوجة بوهيمند الثاني بن بوهيمند الأول أمير أنطاكية، وقد قتل زوجها في إحدى المعارك التي خاضها ضد عماد الدين زنكي عام ١١٣١م/ ٥٢٥هـ.

Kohler, Ch., chartes de l'Abbaye de Notre-Dame, Registre fol. 219, pp. 129-130. La Monte, J., op. cit., p. 12.

54) Kohler, Ch., op. cit., Loc. cit.

55) Ibid., Regestre fol. 220, p. 129.

ورد في الوثيقة أن فرانك كان رئيساً لأساقفة هيرا بوليس Hiera Polis (منبج Manbij)، غير أن منبج لم تخضع للصليبيين على الإطلاق. وقد تم نقل المركز الأسقفي إلى دولوك القريبة من تل باشر.

Cf. Cahen, C., La Syrie du nord, p. 115.

56) Geneviève, B.B., Acte No. 12, pp. 54-58

57) كفر روث: تقع في حدود أسقفية اللد، ويحدها من الجنوب الشرقي قرية بيت عور التحتا، ومن الجنوب قرية بير معين التي تبعد عنها نحو ثلاثة كيلومترات، من الغرب قرية البرج (قلعة ارنولد) ومن الشمال الغربي قرية كفر سكيلتا. انظر: الخريطة.

Cf. Geneviève, B.B., Index Locorum, p. 417.

58) جث: تعرف أيضاً باسم خربة بيت جيزة kh. Bayt gizeh، وهي تقع على بعد أربعة كيلومترات ونصف غرب عمواس.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit. Index Locorum, p. 409.

59) كفر سكيلتا: ورد ذكرها في الوثائق باسم كفر سيلتا Kafer silta، وهي تقع على بعد ثلاثة كيلومترات شمال بير معين. ويحدها من الشمال الغربي مدينة اللد، ومن الجنوب الغربي قرية كفر روث ومن الجنوب قرية البرج. انظر: الخريطة.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., index Locorum, p. 417.

60) بير فيليا: ورد اسم القرية في الوثائق بأشكال مختلفة Barfiliya و Porphilia و Porphiria، والقرية تقع على بعد سبعة كيلومترات إلى الشمال من عمواس، ويحدها من الغرب قرية البرج. انظر: الخريطة.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Index Locorum, p. 409.

61) قلعة ارنولد: ذكرت في الوثائق اللاتينية تحت اسم Castelli Arnaldi، وهي تقع شرقي مدينة الرملة، وتبعد عنها نحو ثلاثة عشر كيلومتراً، ويحدها من الشمال قرية سيلكتا ومن الشرق قرية كفر روث ومن الجنوب قرية بير معين ومن الغرب مدينة الرملة. وتعرف قلعة ارنولد باسم قرية البرج al-Burg. انظر: الخريطة.

Cf. Beyer, G., die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und Abraham, pp. 176, 178.

وقد ذكر جنيف Geneviève أن قلعة ارنولد هي قرية يالوا الواقعة في الجنوب الغربي من قرية بيت نوبا Bethnoble بينما قرية يالوا تبعد عن قلعة ارنولد نحو ثمانية كيلومترات، وتقع في الجنوب الشرقي من قلعة ارنولد.

Cf. Geneviève, B.B., Le Cartulaire du Chapitre du Saint-Sépulcre de Jerusalem, pp. 153, 412.

62) قرية بلبول: تعرف أيضاً باسم خربة الجنجول el Cangul، ويحدها من الشمال قرية بير معين ومن الجنوب الشرقي قرية بيت نوبا.

Cf. Beyer, G., pp. 176-178. Geneviève, B.B., pp. 153, 414.

63) Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 61, pp. 153-155. de Rozière, op. cit., doc. No. 73, pp. 146-148. Migne, op. cit., tomus 155, doc. No. 73, cols. 1179-1180. Röhrich, R., Regesta, doc. No. 165, p. 41.



64) Geneviève, B. B., Acte No. 22, pp. 78-80. de Rozière, doc No. 28, pp. 52-54. Migne, tomus 155, Doc No. 28, Cols. 1120-1121. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 167, p. 41.

ذكرت جنيف Geneviève أن تاريخ حصول دير القنطل على عشر أريحا كان في الفترة الواقعة بين الخامس والعشرين من ديسمبر عام ١١٣٥م - الحادي والثلاثين من أغسطس عام ١١٣٦م / السادس عشر من ربيع الأول عام ٥٣٠هـ - الأول من ذي الحجة عام ٥٣٠هـ.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 22, pp. 78-80.

65) William of Tyre, op. cit., Vol. 1, p. 489.

66) de Rozière, op. cit., doc. No. 26, pp. 47-49. Migne, op. cit., Doc. No. 26, cols. 1118-1119. Röhricht, R., Regesta Doc. No. 172, p. 43.

67) William of Tyre, Vol. 2, pp. 132-133.

68) قرية تقوع: هي إحدى القرى القديمة بفلسطين، وتعرف باسم خربة تقوع khirbet tekua وقد ورد اسمها في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها Thecua و Tecue و Al-Tuque. وقرية تقوع في الجنوب الشرقي من بيت لحم وعلى بعد نحو سبعة كيلومترات منها، وهي ترتفع عن سطح البحر نحو ثمانمائة وخمس عشر متراً، ويحدها من الشمال الغربي قرية ارطاس artais ومن الجنوب الغربي قرية بيت اوامر Beth Ommer. تنظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٤٩٦.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., Index Locotum, p. 424. Beyer, G., die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 176-189.

69) William of Tyre, vol. 2, p. 133. Geneviève, B. B., Acte No. 11, pp. 52-54, Acte No. 34, pp. 98-101, Acte No. 42, pp. 115-119. de Rozière, Doc. No. 19, pp. 27-29, doc. No. 33, pp. 60-65. Migne, tomus 179, doc. No. 19, Col. 792, tomus 155, Doc. No. 33, cols. 1124-1127. Beugnot, L., tome II, charte, No. 17, pp. 494-497. Röhricht, R., Regesta, doc. No. 174, pp. 43-44. grousset, R., op. cit., vol. 2, p. 161.

70) William of Tyre, Vol. 2, p. 133. Cf. also: Conder, p. 196. Benvenisti, M., p. 73.

71) William of Tyre, vol. 2, pp. 133-134. Cf. also: Runciman, S., Vol. 2, p. 311.

72) Conder, op. cit., loc. cit.

73) لامبرت السوس: هو أحد النبلاء في مدينة عكا، وقد ذكر في الوثائق الصليبية باسم لامبرت العكاوي Lamberto Ptolomensi، كما عرف باسم لامبرت هلس Lambert Hals.

Cf. Grnrviève, B. B., op. cit., Acte No. 12, pp. 54-58, Acte No. 32, pp. 152-153, Acte No. 42, pp. 115-119, Acte No. 45, pp. 123-127, Acte No. 60, pp. 152-153, Acte No. 99, pp. 217-218, Acte No. 135, pp. 261-266, Acte No. 146, pp. 283-287.

74) قرية تل ميمياس: ترتفع عن سطح البحر نحو خمسين متراً، وتقع في الشمال من مدينة عكا، وعلى بعد عشرة كيلومترات منها، وتحتوي القرية على صهاريج، ومعصرة نبيذ، ومدافن، وخزان مياه بالقرب من أحد الآبار. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٧، ص ٣٦٠-٣٦١.

75) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 32, pp. 95-96. Beugnot, l., op. cit., tome II, charte, No. 15, pp. 492-493.

76) Geneviève, B. B., Acte No. 60, pp. 152-153.

77) Ibid., Acte No. 33, pp. 96-98. de Rozière, Doc No. 32, pp. 58-60. Beugnot, L., tome II, Chrte, No. 16, pp. 493-494. Migne, tomus 155, Doc. No. 32, Cols. 1123-1124. Röhricht, R., Regesta, Doc No. 181, p. 45.



78) de Mersy, A. , "Fragment d'un Cutulaire de l'Order de Sainte-Lazare en Terre Sainte" , in A. O. L. , tome II, Paris 1881, Doc No. 2, pp. 123-124.

79) Ibid. , Doc No. 3, pp. 124-125.

(80) ارمنجارد: هي ابنة باليان ابلين، كندسطليل يافا، وشقيقة كل من بلدوين وهيو، ويبدو أنها تزوجت من سيمون سيد طبرية. وقد أنعم عليها الملك بلدوين الثالث بلقب سيدة طبرية.

Rey, Les Familles d'Outre-mer de du Cange, p. 447.

81) de Marsy, A. , Doc. No. 13, pp. 132-133. Röhricht, R. , regesta Doc No. 297, p. 76.

82) Delaborde, Doc. No. 29, pp. 67-70. Röhricht, R. , Regesta, doc. No. 291, p. 73.

83) Geneviève, B.B. , Acte No. 115, pp. 235-236. de Rozière, Doc No. 134, pp. 244-247. Migne, tomus 155, Doc. No. 134, pp. 33-34.

84) Röhricht, R. , Regesta, Doc. No. 338, p. 88.

85) Conder, p. 196.

86) Röhricht, R. , Geschichte de des Konigreiches Jerusalem, p. 307. Conder, p. 113. Stevenson, W. , p. 184.

(87) جلاديا: تقع في مقاطعة عسقلان، وترتفع عن سطح البحر نحو خمسة وسبعين متراً، وهي تقع على بعد خمسة عشر كيلو متراً في الشمال الشرقي من عسقلان، وعلى بعد خمسة وأربعين كيلومتراً في الشمال الشرقي من غزة، ويحدها من الشمال الغربي قرية السوافير الشرقي. والقرية تعرف باسم خربة جلاديا. Kh. Geladia أما الآن فتعرف باسم قرية الجلدية Jelediyeh بفتح الجيم واللام وكسر الدال وتشديد الباء، وتعرف أيضاً باسم خربة الجلدية. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ١، ق ٢، ص ٢١٥.

Cf. Geneviève, B.B. , Index Locorum, p. 414.

(88) عين بدران: هي إحدى القرى الواقعة في حدود بيت المقدس وتقع شمال دير السوان، وذكرت في الوثائق الصليبية باسم Baineolbederan.

Cf. Geneviève, B.B. , Acte No. 49, pp. 132-134, Index Locorum, p. 408.

89) Geneviève, B.B. , Acte No. 49, pp. 132-134. Beugnot, L. , tome II, Charte No. 73, p. 522. Migne, tomus 155, Doc. No. 58, cols. 1153-1154. Röhricht, R. , Regesta, doc. No. 356, p. 93.

90) Kohler, Ch. , Registre, fol. 268, pp. 142-143. Cf. also: Röhricht, R. , Geschichte des Konigreichs Jerusalem, p. 309.

(91) روجر وشقيقه يوحنا: كانا من كبار الأمراء والشخصيات البارزة والهامة في إقطاعية حيفا. ومن المحتمل أن يكونا من أقارب فيفيان Vivian وابنه باين سادة إقطاعية حيفا.

Cf. Rey, Les Familles d'outre-mer de du Cange, p. 266.

92) Geneviève, B.B. , Acts Nos. 134-135, pp. 260-266. Beugnot, tome II, Charte Nos. 39, 42, pp. 524, 526-527. de Rozière, Docs Nos. 125, 144, pp. 229, 262-268. Migne, tomus 155, Doc. No. 125, 144, Cols. 1217, 1231-1236. Röhricht, R. , Regesta, Doc. Nos. 377, 400, pp. 105. Rey, Les familles p. 266.

(93) فيفيان سيد حيفا: ينتمي لأحد الأسر النبيلة التي استقرت في الأراضي المقدسة منذ بداية الحكم الصليبي، وكان والده باين الأول سيداً لإقطاعية حيفا وفي عام ١١٣٨ م/ ٥٣٣ هـ أصبح فيفيان سيداً للإقطاعية، وقد ظهر في كثير من الوثائق كشاهد على المنح التي قدمها الملك فولك والملك بلدوين الثالث، وكان فيفيان من أنصار الملك المبرين.

Cf. Rey, op. cit. , Loc. cit.

94) Geneviève, B.B. , Acte No. 137, pp. 268-269.

(95) والتر أمير الجليل: ذكره وليم الصوري في بعض المواضع باسم والتر اوف فولكنبرج



- Folkenberg وفي مواضع أخرى باسم والتر أمر قلعة سانت آمر Walter Castellan of St. Omer وكان والتر رجلاً عاقلاً دمثاً حكيماً أثناء الاجتماعات والمناقشات، وعنيفاً أثناء المعارك. وقد أصبح أميراً على طبرية، وأنعم عليه الملك عموري الأول بلقب أمير الجليل عام ١١٦٩م / ٥٦٤هـ، وذلك بفضل مساعدة البيازنة. Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 213-218. Rey, op. cit., p. 448.
- (96) أشيفا: كانت امرأة ثرية جداً وتزوجت من والتر وأنجبت منه العديد من الأولاد، وبعد وفاته تزوجت من ريموند الثالث كونت طرابلس، لكنها لم تنجب منه. Cf. William of Tyre, Vol. 2, p. 404. Rey, op. cit., loc. cit.
- 97) Geneviève, B.B., Actes Nos. 136, 138, pp. 263-267, 270-271. de Rozière, Docs Nos. 123-124, pp. 226-229. Beugnot, L., tome II, Chartes Nos. 40, 45, pp. 524-525, 529-530. Migne, tomus 155, docs Nos. 123-124, Cols. 1215-1217. Röhricht, R., Regesta, Docs. Nos. 417, 420, pp. 108-109.
- 98) Geneviève, B.B., Doc. No. 136, pp. 267-268. de Rozière, Doc. No. 124, pp. 227-229. Beugnot, L., tome II, Charte No. 40, pp. 524-525. Migne, tomus 155, Doc. No. 124, Cols. 1216-1217. Röhricht, R., Regesta, Doc No. 417, p. 108.
- 99) Geneviève, B.B., Acte No. 136, pp. 267-286. Beugnot, L., tome II, Charte No. 40, pp. 524-525. de Rozière, Doc. No. 124, pp. 227-229. Migne, tomus 155, doc. No. 124, cols. 1216-1217. Röhricht, R., Regesta, doc. No. 417, p. 108.
- 100) Kohler, Ch., Registre, fol. 269, p. 145.
- 101) de Marsy, A., Doc No. 22, p. 140.
- 102) de Rozière, Doc. No. 166, pp. 287-289. Migne, tomus 155, Doc. No. 166, Cols. 1240-1241. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 455, p. 119. Cf. also: Enlart, C., tome II, p. 283. Hamilton, B., p. 94.
- 103) de Marsy, A., Doc. No. 26, pp. 143-144.
- 104) de Rozière, op. cit., doc. No. 185, pp. 329-331. Migne, op. cit., tomus 155, doc. No. 155, cols. 1260-1262. Geneviève, B.B., acte, Nos. 168-169, pp. 321-323.
- 105) de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, Doc. no. 136, cols. 1226-1227. Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253. Röhricht, R., Regesta, doc. No. 346, p. 90.
- 106) Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 66, pp. 151-162. de Rozière, Doc. No. 78, pp. 155-156. Migne, tomus 155, doc. No. 78, col. 1178. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 129, p. 32.
- 107) Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 70, pp. 167-168. de Rozière, Doc. No. 82, pp. 161-162. Migne, tomus 155, doc. No. 155, doc. No. 82, col. 1179. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 154, p. 38.
- 108) Geneviève, B.B., Acte No. 116, pp. 236-237. de Rozière, op. cit., Doc. No. 108, p. 209. Migne, tomus 155, Doc, No. 108, col. 1207. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 310, pp. 79-80.
- 109) Geneviève, B.B., op. cit., loc. cit., de Rozière, op. cit., loc. cit. Migne, op. cit., loc. cit. Röhricht, R., op. cit., loc. cit.
- (110) هيو ابلين: هو ابن باليان الكبير كندسطليل يافا، وشقيق كل من بلدوين سيد الرملة وباليان الأصغر. عندما توفي واده في الفترة الواقعة بين عامي ١١٤٧-١١٤٨م / ٥٤٢-٥٤٣هـ، أصبح سيداً على الرملة.



وقد اشترك هيو في حصار عسقلان عام ١١٥٣م / ٥٥٤٨هـ، ووقع أسيراً في المعركة التي جرت بين نور الدين محمود والملك بلدوين الثالث بالقرب من مخاضة الأحزان عام ١١٥٧م / ٥٥٥٢هـ. وبعد خروجه من السجن ذهب مع الملك بلدوين الثالث والكونت عموري لمقابلة الأمبراطور البيزنطي مانويل.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 2, pp. 260-262, 279, 201, 338-339. Cf. also: Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 87.

111) Geneviève, B.B., Acte No. 41, pp. 113-114. de Rozière, Doc. No. 56, pp. 110-113. Migne, tomus 155, Doc. No. 56, cols. 1150-1152. Röhricht, R., Regesta, doc, No. 229, pp. 76-77.

112) Archer and Kingsford, op. cit., p. 292.

113) دير المحيسن: تقع في الجنوب الغربي من قرية عمواس، وعلى بعد خمسة كيلومترات منها، ويحد قرية المحيسن من الشمال قرية دير القباب ومن الشمال الشرقي قرية عمواس ومن الجنوب الشرقي قرية القديس ايوب ومن الجنوب الغربي قرية خلدة. وقد ورد اسم القرية في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها دير ماسون Der masun ودير موسور Der musour ودير موسم Der musim ودير موسن Der muesin ودير موسن Der mogsin. انظر: الخريطة.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Index Loucrum, p. 413.

114) قرية هودابيس: ورد اسمها في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها: Hodabet و Huddabes و Odabeb و Huetdebes ولم نستطع العثور على موقعها وبدو أنها اندثرت ولم تعد تذكر.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Index Locurum, p. 415.

115) Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 51, pp. 136-138. de Rozière, op. cit., doc. No. 63, pp. 128-130. Migne, op. cit., yomus 155, Doc. No. 63, Cols. 1160-1162. Röhricht, Docs Nos. 332-333, pp. 86-87.

116) قام الملك بلدوين الثالث بالتأكيد على الوثيقة المتعلقة ببيع قريتي دير المحيسن وهودابيس إلى كنيسة القيامة في عام ١١٦٠م / ٥٥٥٥هـ.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 47, pp. 123-127.

117) Geneviève, B.B., op. cit., Acte No. 51, pp. 136-138. deRozere, op. cit., Doc. No. 63, pp. 128-130.

وقع هيو ابلين أسير في إحدى المعارك التي جرت بين الملك بلدوين ونور الدين محمود بالقرب من مخاضة الأحزان عام ١١٥٧م / ٥٥٥٢هـ.

Cf. William of Tyre, op. cit., Vol. 2, pp. 260-262.

118) Geneviève, B.B., Acte No. 51, pp. 136-138. de Rozière, op. cit., Doc. No. 63, pp. 128-130.

119) يوحنا جوثمان: كان أحد أفضال الملك بلدوين الثالث، وكان يحمل رتبة مارشال Marshal، وقد وقع أسيراً بأيدي المسلمين خلال المعركة التي نشبت بين الملك بلدوين الثالث ونور الدين محمود، بالقرب من مخاضة الأحزان عام ١١٥٧م / ٥٥٥٢هـ.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 261-262. Cf. also: Smail, R.C. Crusading Warfare p. 101.

120) قرية بيت عطاب: تقع في الجنوب الغربي من بيت المقدس، وفي الشمال الغربي من بيت لحم، وعلى بعد ثلاثة عشر كيلومتراً منها، ويحدها من الشمال الشرقي قرية دير حسان (حوسان) ومن الشرق قرية بتير ومن الجنوب الشرقي قرية أم القلعة ومن الجنوب الغرب خربة الأسد. وبيت عطاب قرية صغيرة، ويوجد بها موقع أثري به بقايا حصن. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ١٨٦. انظر: الخريطة أيضاً.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Index Locorum, p. 409.

121) دير حسان: تعرف في الوقت الحاضر باسم حوسان Husan، وهي تقع على بعد أحد عشر كيلومتراً في الشمال الشرقي من قرية بيت عطاب، ويحدها من الشمال الشرقي قرية صوبا (Belmont) Suba ومن الشرق بانحراف قليل نحو الجنوب قرية بتير ومن الجنوب الغربي قرية بيت عطاب وخربة الأسد. وقرية دير



حسان مليئة بمصادر المياه، وتشتهر أراضيها بزراعة الخضروات وأشجار الكرم والتين وغيرها. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٤٨٥-٤٨٦.

Cf. also: Geneviève, B.B., op. cit., Index Locorum, p. 413. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 181, note 6.

(122) دير شرف: ورد اسم القرية في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها: Derxerib و Derxerio والقرية تقع في الشمال الغربي من نابلس وعلى بعد نحو سبعة كيلومترات منها. ويحدها من الشمال قرية سبسطية ومن الشرق قرية عصيرة الشمالية ومن الجنوب قرية قوصين ومن الشمال الغربي قرية بيت ليد. انظر: الخريطة.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., index Locorum, p. 414.

(123) قرية أم القلعة: تعرف في الوقت الحاضر باسم خربة أم القلعة، وذكرت في الوثائق الصليبية باسم قرية كوللي Culi، وهي تقع في الشمال الغربي من بيت لحم وعلى بعد ستة كيلو مترات ونصف منها، وفي الجنوب الرقي من قرية بيت عطاب وعلى بعد نحو أربعة كيلو مترات منها. ويحدها من الشمال الشرقي قرية بتير ومن الجنوب الشرقي قرية الخضرة ومن الشمال الغربي قرية بيت عطاب وخربة الأسد. وتحتوي القرية على جدران مهدمة وأساسات وحجارة بناء مبعثرة في كل مكان. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٤٨٦.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Actes Nos. 87-88, pp. 199-203. Beyer, G., op. cit., pp. 176-181, note 8.

(124) Geneviève, B.B., Actes Nos. 87-88, pp. 199-203. de Rozière, Docs Nos. 99-100, pp. 195-199. Migne, op. cit., tomus 155, Docs Nos. 99-100, cols. 1199-1202. Röhrich, R., Regesta, Docs, Nos. 368-369, p. 97. Beyer, G., Die kreuzfahrergebiete von Jrusalem und S. Abraham, p. 181.

(125) William of Tyre, Vol. 2, pp. 261-262. Geneviève, B.B., Acte No. 88, pp. 201-203. de Rozière, Doc. No. 100, pp. 197-199. Migne, tomus 155, doc. No. 100, cols. 1200-1202. Beugnot, L., op. cit., tome II, Charte, No. 38, p. 523. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 369, p. 97.

(126) Geneviève, B.B., Actes Nos. 87-88, pp. 199-203. de Rozière, Docs Nos. 99-100, pp. 195-199. Migne, op. cit., tomus 155, docs Nos. 99-100, cols 1200-1202. Beugnot, L., tome II, Charte No. 38, p. 523. Röhrich, R., Regesta, DocsNos. 368-369, p. 97.

(127) قرية بزه: ورد ذكرها في الوثائق الصليبية تحت اسم بازيريم Bazirim، وتعرف أيضا باسم خربة بزه Kh. Bezze أو خربة عزه Kh. Issa وقد ذكرت جنيف Geneviève أن هذه القرية تقع بالقرب من البيرة، وأشارت الوثيقة المتعلقة بمنحة هيو أوف ابلين إلى أن قرية بزه تقع بالقرب من قرية بيت ايل (بيتين)، وهذا يجعلنا نرجح أن القرية تقع في حدود بيت المقدس، على الرغم من أننا لم نستطع تحديد موقع القرية بالضبط، ويبدو أنها اندثرت.

Cf. Geneviève, B.B., Actes Nos. 52-53, pp. 139-142, Index Locorum, p. 410.

(128) Geneviève, B.B., Actes Nos. 52-53, pp. 139-142. de Rozière, op. cit., Docs Nos. 64-65, pp. 131-135. Migne, op. cit., tomus 155, Docs Nos. 64-65, cols. 1162-1164. Röhrich, R., Regesta, Docs Nos. 358, 360, pp. 94-95.

(129) Geneviève, B.B., Acte No. 139, pp. 271-272. de Rozière, doc. No. 155, pp. 267-278. Migne, tomus 155, doc. No. 155, cols. 1238-1239. Beugnot, L., Charte No. 43, p. 527. Röhrich, R., Regesta, doc. No. 425, pp. 110-111.

(130) Geneviève, B.B., op. cit., ate No. 133, pp. 259-260. de Rozière,



doc. No. 140, p. 256. Migne, tomus 155, Doc. No. 140, cols. 1228-1229. Röhrich, R., Regesta, Doc No. 409, pp. 106-107. Beyer, G., Die Keruz-fahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 178-179.

(131) قرية سورا: تقع في حوود بيت المقدس، وفي الشمال الشرقي من بيت جبرين. وذكر اسم القرية في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها: خربة السورا Kh. al-Sura وسورا Surah وسيري Serah. ويحدها من الشمال الشرقي قرية بيت عطاب، ومن الشرق قرية بيت ميس Beit Mies ومن الجنوب الغربي خربة أم جينا Kh. Umm Jina (موجينا Mugina). انظر: الخريطة.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Index Locorum, p. 423.

(132) Geneviève, B.B., Acte No. 133, pp. 259-260. de Rozière, Doc. No. 140, p. 256. Migne, tomus 155, doc. No. 140, cols. 1228-1229. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 409, pp. 106-107.

(133) Geneviève, B.B., Acte No. 135, pp. 261-266. de Rozière, Doc. No. 144, pp. 262-268. Migne, tomus 155, Doc. No. 144, cols. 1232-1236. Beugnot, L., tome II, Charte No. 39, p. 524. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 400, p. 105.

ذكر رينالد روهرشت Röhrich أن الملك عموري الأول أكد على هذه الوثيقة في يوم الأربعاء الموافق الخامس عشر من يولية عام ١١٦٤م/ الثاني والعشرين من شعبان عام ٥٥٩هـ.

Cf. Röhrich, R., Regesta, Doc No. 400, p. 105.

(134) قرية سنجل: كانت في العصر الصليبي تقع ضمن حدود إقطاعية نابلس، وهي ترتفع عن سطح البحر نحو ثمانمائة متر، وتقع في جنوبي نابلس، وعلى بعد نحو عشرين كيلومتراً منها، كما تبعد عن رام الله نحو واحد وعشرين كيلومتراً، وهذا يعني أن سنجل تقع في منتصف الطريق الممتد من نابلس في الشمال إلى رام الله في الجنوب. ويحد قرية سنجل من الشمال الشرقي قرية سيلون ومن الشرق قرية ترمسعيا ومن الغرب قرية عبوين ومن الجنوب الغربي قرية عطارة. وكانت سنجل في العصر الصليبي مركزاً لإقطاعية صغيرة يحكمها سيد إقطاعي من صغار النبلاء. وكانت سنجل تشتهر بزراعة أشجار الكرم، وقد أنشأ الصليبيون فيها كنيسة وبرجاً، لا تزال آثارهما واضحة حتى الآن، على الرغم من أن المسلمين أقاموا جامعاً على موقع الكنيسة الصليبية. وتشتهر سنجل بمياه الينابيع وخاصة البنوع الذي يقع في وسط القرية ويحمل اسم «جب سيدنا يوسف». انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨ ص ٢٧٩-٢٨١.

Cf. Geneviève, B.B., op. cit., Actes Nos. 159-160, pp. 310-312, Index Locorum, p. 422. deRozière, op. cit., Docs Nos. 141-142, pp. 257-260. Migne, op. cit., tomus 155, docs Nos. 141-142, cols. 1229-1239. Beugnot, L., tome II, Charte No. 47, p. 531. Röhrich, R., regesta, Docs Nos. 530-531, pp. 141-142. Cf. also: Benvenisti, M., pp. 230-231. Deschamps, P., La Defence p. 22. Hamilton, B., p. 94.

وقد أشار الرحالة الأوروبي فيتلوس Fetellus إلى أن قرية سنجل تبعد عن نابلس عشرة أميال، ونسبت القرية إلى ريموند الرابع كونت سانت جيل الذي خيم بقواته هناك قبل التوجه صوب بيت المقدس.

Cf. Fetellus, Description of Jerusalem and the Holy Land, trans. by Macpherson, J. R., london 1892, in B. P. T. S. Vol. 5, p. 35.

(135) ترمسعيا: تقع في سهل فسيح، وترتفع عن سطح البحر نحو سبعمائة وعشرين متراً، وتقع في الجنوب الشرقي من نابلس وتبعد عنها واحد وعشرين كيلومتراً، وتقع شرقي سنجل وتبعد عنها كيلومتراً. ويحدها من الشمال بانحراف قليل نحو الشرق قرية سيلون ومن الشرق خربة كفر استونا ومن الجنوب الشرقي قرية كفر مالك ومن الغرب قرية سنجل. ويحيط بقرية ترمسعيا العديد من الحرب من بينها خربة كفر استونا وخربة عمورية وخربة ابي ملول، وخربة الرفيد. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٢٨٣-٢٨٥.

Cf. Geneviève, B.B., Index Locorum, p. 424.



136) قرية الدير: تعرف باسم خربة رأس الدير، ويطلق عليها السكان «خربة دير الفقيا» وهي تقع في الشمال الشرقي من سنجل. وتحتوي الخربة على «أنقاض دير وكنيسة، وجدران وصهريج». انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٢٨٢.

137) Geneviève, B. B., Acte No. 159, pp. 310-311. de Rozière, Doc No. 142, pp. 258-260. Migne, tomus 155, Doc No. 142, cols. 1231-1235. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 530, pp. 141-142.

138) بلدوين صاحب قرية سنجل: ورد ذكره في إحدى وثائق كنيسة لقرية سنجل، أي أنه كان بمثابة سيد إقطاعي يمتلك القرية والأراضي المحيطة بها، وقد زوج ابنته من رود Road المسؤول عن الدفاع عن قلعة بيت المقدس.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., loc cit. de Rozière, op. cit., loc. cit. Migne, op. cit., loc. cit.

139) Geneviève, B. B., Acte No. 160, pp. 311-312. de Rozière, Doc. No. 141, pp. 257-258. Migne, tomus 155, Doc. No. 141, cols. 1229-1230. Beugnot, L., op. cit., tome II, charte No. 47, p. 531. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 531, p. 142.

140) Geneviève, B. B., loc. cit. de Rozière, op. cit., loc. cit. Migne, op. cit., loc. cit. Migne, op. cit. Beugnot, L., op. cit., loc. cit.

141) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 24, pp. 83-84. de Rozière, op. cit., Doc. No. 41, pp. 77-79. Migne, op. cit., tomus 155, doc. No. 41, cols. 1130-1132. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 234, p. 59.

حضر الاجتماع الذي عقده وليم بطريرك بيت المقدس في يوم الثلاثاء الموافق الرابع عشر من اغسطس عام ١١٤٥م/ الثاني والعشرين من صفر عام ٥٤٠هـ، حشد كبير من كبار رجال الدين في المملكة، نذكر منهم: روبرت رئيس أساقفة الناصرة، وبلدوين رئيس أساقفة قيسارية، وروجر أسقف الرملة، وانسلم أسقف بيت لحم، ورينيه أسقف سبسطية، والياس أسقف طبرية، وجودفري رئيس دير معبد السيد، وهنري رئيس دير جبل الزيتون وآخرين.

Cf. Geneviève, B. B., op. cit., loc. cit. de Rozière, op. cit., loc. cit. Migne, op. cit., loc. cit.

142) Hamilton, B., op. cit., p. 156.

143) Geneviève, B. B., op. cit., Acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, op. cit., tomus 155, cols. 1126-1127.

144) كوبلاند وفينو جرادوف: الرقطاء والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ص ١٢٢.

145) Prawar, J., The latin Kingdom of Jerusalem, p. 85

146) Geneviève, B. B., Acte No. 133, pp. 259-260. de Rozière, Doc. No. 140, p. 256. Migne, tomus 155, Doc. No. 140, cols. 1229. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 409, pp. 106-107.

147) Kohler, Ch., Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame de Josaphat, Registre, fol. 222, p. 133.

148) Geneviève, B. B., Acte No. 24, pp. 83-84. de Rozière, Doc. No. 41, pp. 77-79. Migne, tomus 155, Doc. No. 24, cols. 1130-1132.

149) Geneviève, B. b., op. cit., Acte No. 36, pp. 103-105. Beugnot, tome II, Charte No. 31, pp. 513-514. de Rozière, op. cit., Doc. No. 48, pp. 87-89. Migne, tomus 155, Doc No. 48, cols. 1136-1137.

150) Geneviève, B. B., Acte No. 26, pp. 86-88. Beugnot, L., tome II, Charte No. 4, p. 483. de rozière, op. cit., Doc. No. 29, pp. 54-55, Doc. No. 54,



pp. 102-107. Migne, tomus 155, Doc. No. 29. cols. 1121-1122. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 74, pp. 16-17.

151) Geneviève, B.B., acte No. 36, pp. 103-105. Beugnot, L., tome II, Charte No. 31, pp. 513-514. de Rozière, doc. No. 48, pp. 87-89. Migne, tomus 155, Doc. No. 48, cols. 1136-1137.

أشارت الوثيقة إلى أن المسيحيين السريان كانوا يقيمون في قرية بيت سوريك قبل منحها للكنيسة القيامة، ولذلك فهم من المسيحيين الشرقيين الفلسطينيين، الذين قام رجال الدين اللاتين بالاستيلاء على أملاكهم.

152) Geneviève, B.B., op. cit., loc. cit. Beugnot, L., op. cit., loc. cit. de Rozière, op. cit., loc. cit. Migne, op. cit., loc. cit.

153) Fulcher of Chartres, p. 207. Anonymous Seconda pars, Historia Hierosolimitane, p. 571.

انظر أيضاً: عالم الصليبيين، ص ٦٨.

(154) كتاب الاعتبار، ص ١٧٩.

(155) أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، ص ١٧٧-١٧٨.

(156) شاكر مصطفى: آل قدامة في الصالحية، ص ١٢.

(157) ابن طولون: القلائد الجوهريّة، ج ٦، ص ٢٧.

158) Geneviève, B.B., Acte No. 136, 268. de Rozière, doc. No. 124, pp. 227-229. Beugnot, L., tome II, Charte No. 40, pp. 524-525. Migne, tomus 155, Doc. No. 124, cols. 1216-1217. Röhricht, R., regesta, doc. No. 417, p. 108.

159) Kohler, Ch., op. cit., Registre, fol. 261, pp. 143-144.

(160) قرية بلاطة: هي إحدى قرى نابلس، وتقع جنوب شرق مدينة نابلس، ويحدها من الشمال الشرقي قرية عسكر ومن الجنوب الشرقي قرية روجيب وهي تبعد عن نابلس نحو ثلاثة كيلومترات.

Cf. Beyer, G., Neapolis und Sein Gebiet in der Kreuzfahrerzeit, pp. 159, 168-169.

161) Kohler, Ch., op. cit., Registre, fol. 283, pp. 150-151.

(162) ترقوميا: تقع في الشمال الغربي من مدينة الخليل وتبعد عنها نحو اثني عشر كيلومتراً، ويحدها من الشمال قرية بيت نسيب Bet Nasib (خرية بيت نسيب Kh. Bet Nasib) ويحدها من الشمال الشرقي حلحول، ومن الجنوب الشرقي مدينة الخليل ومن الشمال الغربي قرية جمارافارا. وكانت تقع على موقع ترقوميا قرية «يفتاح» بمعنى «يفتح» العربية الكنعانية، وفي العهد الروماني عرفت باسم ترقومياس Tricomias من أعمال بيت جبرين. ولعل ترقوميا تحريف لـ Tetracomia بمعنى أرض القرى الأربع. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٥، ق ٢، ص ٢٤٥.

Cf. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 176-177, 187.

(163) رينالد شاتيون: هو أحد الفرسان القرنسيين الذي حضروا إلى بلاد الشام مع الحملة الصليبية الثانية بقيادة لويس السابع. وقد تزوج من كونستانس أميرة أنطاكية سراً. وكانت كونستانس قد رفضت الزواج من العديد من الأمراء المشهورين الذين تقدموا للزواج منها. وقد اشترك رينالد بالاستيلاء على عسقلان، لأنه كان من أتباع الملك بلدوين الثالث، كذلك قام بغزو جزيرة قبرص، وانتصر على القوات القبرصية المتواجدة على أرض الجزيرة. وبعد فترة أصبح من الفرسان المشهورين في الأراضي المقدسة.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 218, 256. Cf. also: Stevenson, W., op. cit., pp. 114, 175. Geneviève, B.B., Index Nominum, p. 371.

محمود سعيد عمران: السياسة الشرقية، ص ٢٩، ٣٠٣-٣٠٤.

وفي أحداث عام ١١٨٦م/ ٥٨٢هـ وصفه أبو شامة «بأنه اغدر الفرنجية وأخبطها وأفحصها عن الردى والرداء وأبخطها وأنقضها للمواثيق المحكمة والإيمان المبرمة أنكثها وأحنتها». انظر: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين



النورية واصلاحية، ج ٢، بيروت (بدون تاريخ) ص ٧٥. وذكر رينالد اوف شاتيون في المصادر العربية باسم ارنات ابرنس الكرك. وعندما انتصر المسلمون علي الصليبيين في معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ، وقع أرنات سيراً بيد السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي قام «وتلقاه بالسيف فحل عاتقه، وحين صرع أمر بأسه فقطع وجربرجله قدام الملك (جاي لوزجنان) حين أخرج فارتاع (الملك) وانزعج». انظر: العماد الأصنهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٨٠-٨١.

164) Kohler, Ch., op. cit., Registre, fol. 285, pp. 153-154.

165) باليان ابلين: ورد اسمه في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها باليسان Balisian وباريزن Barisan. وقد تزوج من مريم كومنينيا أرملة الملك عموري الأول في الفترة الواقعة بين عامي ١١٧٦-١١٧٧م / ٥٧٢-٥٧٤هـ، وبزواجه من مريم كومنينيا أصبح سيداً لإقطاعية نابلس، -التي كان الملك عموري قد منحها لمريم بعد زواجه منها- وكان باليان ملزماً بتقديم خمسة وعشرين فارساً لملك بيت المقدس. وقد شارك في القوات الصليبية، التي التقت مع المسلمين في معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ، وعندما دارت الدوائر على الجيش الصليبي، هرب باليان إلى صفورية، ومنها اتجه صوب نابلس، ولما وجد زوجته قد غادرتها، اتجه إلى بيت المقدس حيث علم بوجودها هناك.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 344, 425. Estoire d'Eracles, pp. 48, 68. Ambroise, The Crusade of Richard Lion Heart, trans, from the old french by M. J., Hubert, New York 1941, p. 332, note 8. Jean d'Ibelin, p. 424. Cf. also: Les Familles d'Outre-mer de du Cange, p. 409. Grousset, R., Vol. 2, pp. 504-609. Riley-Smith, J., The Feudal Nobility of the Kingdom of Jerusalem, (1174-1277) London 1973, p. 108.

166) مريم كومنينيا: هي ابنة أخ الرمبراطور البيزنطي مانويل كومنين، وقد تزوجت من الملك عموري الأول في مدينة صور في التاسع والعشرين من اغسطس عام ١١٦٧م / الحادي والعشرين من ذي الحجة عام ٥٦٢هـ. وعندما تزوج الملك عموري من مريم كومنينيا، منحها إقطاعية نابلس. وبعد وفاة الملك عموري تزوجت مريم كومنينيا من باليان اوف ابلين، الذي أصبح سيداً على إقطاعية نابلس بسبب زواجه من صاحبها.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 344, 425. Cf. also: Besant and Palmer, p. 344. Conder, p. 124. Röhrich, R., Geschichte de Konigreich Jerusalem, p. 330. King, p. 94. Grousset, R., Vol. 2, p. 504.

167) Kohler, Ch. Registre, fol. 288, pp. 154-155.

168) قرية ميثلون: ورد اسم القرية في الوثائق الصليبية بأشكال مختلفة منها Masdlule و Mededule و Mesdedule، ويقال أن هذه القرية كانت قرية la gastine. وقد ذكرت بعض الوثائق باسم قرية نابلس gastinae Neapolitanae، أما الآن فهي قرية عامرة بالسكان وأراضيها خصبة جداً، وهي محاطة بالعديد من القرى وخاصة قرية صانور الواقعة إلى الشمال الغربي منها. وقرية سريس الواقعة في الجنوب الشرقي من ميثلون.

169) جاي راكيوس: ورد ذكره في الوثائق باسم جاي النابلسي أو جاي رايتز Guido Raitz أو جاي دي عسكر Guido de Naplouse وكان قد حصل على نصف ميثلون منحه من الملك عموري في يوم الأربعاء الثالث من ابريل عام ١١٧٤م / الثامن والعشرين من شعبان عام ٥٦٩هـ. أما النصف الثاني من قرية ميثلون فقد حصل عليه جلبرت النابلسي Gillbert de Naplouse وعلى العموم فجاي راكيوس هو أحد المواطنين الفرنجة الذين استقروا في إقطاعية نابلس، وحصلوا على بعض الأراضي والعقارات منها.

Cf. Delaborde, H.F., op. cit., loc. cit. Röhrich, R., op. cit., loc. cit. Kohler, Ch., registre, fol. 274, pp. 147-148. Registre, fol. 288, pp. 154-155. Beyer, G., op. cit., loc. cit.

170) البطريك هرقل: فرنسي الأصل، من مواليد مقاطعة افرجين Auvergne في جنوب فرنسا. وقد حضر إلى بيت المقدس بعد أصبح قسيساً، وتولى منصب رئيس شمامسة بيت المقدس في الفترة الواقعة بين عامي ١١٦٩-١١٧٥م / ٥٦٤-٥٧١هـ. وعندما توفي هرنسيوس رئيس أساقفة قيسارية عام ١١٧٥م / ٥٧١هـ انتخب هرقل علي الفور ليخلفه في منصبه. وفي عام ١١٧٨م / ٥٧٦هـ ذهب مع وفد من روساء الأساقفة



والأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الصليبية إلى روما . وبعد وفاة عموري أوف نسل بطريك بيت المقدس في عام ١١٨٠م / ٥٧٦هـ، انتخب هرقل ليخلفه في منصب البطريركية .

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 412, 436, 451. Ernoul, op. cit., pp. 82-84. Kedar, B. Z., The Patriarch eraclius in Outremer Studies in the History of the Crusading kingdom of Jerusalem 1982, pp. 186-188.

وقد أشار بعض المؤرخين الصليبيين المعاصرين إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة اقترحوا ترشيح هرقل ووليم الصوري ليتم اختيار أحدهما لشغل منصب بطريك بيت المقدس ، وفي أكتوبر (تشرين أول) عام ١١٨٠م / جمادى الأولى عام ٥٧٨هـ تم اختيار هرقل ليصبح بطريكاً على بيت المقدس . ويبدو أن وليم الصوري لم يتقبل ذلك ، وذهب إلى روما لكي يرفع الشكاوي ضد تعيين هرقل ، ويقال إن هرقل خافه فأرسل له من سقاه السم وقتله .

Ernoul, pp. 84-86. Estoire d'Eracles, pp. 38-39, 58-60. Runciman, S., Vol. 2, p. 425. Kedar, B. Z., op. cit., pp. 179-180, 188.

كانت علاقات البطريك هرقل العاطفية غريبة ومثيرة للدهشة وخاصة مع باسكو دي ريفيري Pasque de Riveri زوجة أحد التجار الصليبيين في نابلس ، وكان البطريك قد قام بالتأثير على السيدة وجعلها تحضر إليه في بيت المقدس عدة مرات ، وقد حدث أن ذهبت إليه ومكثت هناك نحو خمسة عشر يوماً أو أكثر . وبعد وفاة زوج باسكو ، أحضرها البطريك إلى بيت المقدس واشترى لها بيتاً جميلاً وجعلها بالقرب منه .

Cf. Estoire d'Eracles, p. 60. Addison, p. 118. Runciman, S., Vol. 2, p. 425. Kedar, B. Z., pp. 180, 183.

171) Kohler, Ch., op. cit., Registre, fol. 293, pp. 156-157. Cf. also: Beyer, G., Neapolis und sein Gebiet in der Kreuzfahrerzeit, p. 176.

172) Jacques de Vitry, p. 36. Anonymous pilgrims, p. 32. Roger of Wendover, Flowers of History Vol. 1, p. 442. Cf. also: Conder, p. 193. Beyer, G., das Gebiet der Kreuzfahrerschaft Caesarea, p. 82.

173) Prawer, J., Rcrusades Institutions, p. 127.

174) Geneviève, B. B., Actes nos. 12, 16, 66-67, 117, 120-123, 125, 150-151, 170.

175) Prawer, J., Crusader Istitutions, p. 127.

176) Geneviève, B. B., Actes Nos. 12, 16, 66-67, 120-123, 125, 150-151, 170.

177) Theodrich's Description of The Holy Places, p. 60.

178) Delaborde, H. F., doc. No. 6, pp. 39-44. Kohler, Ch., registre fol. 188, pp. 117-118. Röhrich, r., Regesta, Doc. No. 80, pp. 18-19.

179) Delaborde, HF., op. cit., loc. cit. kohler, Ch., op. cit., loc. cit. Röhrich, r., op. cit., loc. cit.

180) Geneviève, B. B., Actes Nos. 6, pp. 39-44. de Rozière, doc No. 16, pp. 18-21. Röhrich, Regesta, Doc. No. 124, p. 31.

181) Fulcher of Chartres, pp. 265-266. William of Tyre, Vol. 2, pp. 17-18. Cf. also: Richard, J., The Latin Kingdom, vol. 1, p. 125. Pringle, D., op. cit., p. 151.

182) Geneviève, B. B., Acte No. 6, pp. 36-41. Cf. also: Enlart, C., Les Monuments des croises dans la Royaume de jerusalem, tome II, p. 474.

183) Conder, p. 187. Enlart, C., tome II, p. 474. Prawer, J., Crusadea Instittions, p. 127.

184) Theoderich's Description of the Holy Places, p. 60.



185) Conder, op. cit., loc. cit.

186) Benvenisti, M., op. cit., p. 224.

كانت كنيسة البيرة كنيسة أبرشية Parish church.

Cf. Benvenisti, M., op. cit., p. 345.

187) Geneviève, B.B., Acte No. 117, pp. 237-241, Acte No. 123, pp. 249-250. de Rozière, doc. No. 131, pp. 244-247. Doc. No. 135, p. 249. Migne, tomus 155, doc. no. 131, Cols. 1222-1223, doc. No. 135, Cols. 1226. Röhrich, R., regesta, doc. No. 302, pp. 77-78.

188) Smail, R. C., The Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 85. Benvenisti, M., op. cit., p. 218. Pringle, D., op. cit., p. 149.

189) Guérin, V., Description géographique, historique et archéologique de la Palestine, tome I, Partie 3, Amsterdam 1969, pp. 7-8. Pringle, D., p. 151.

190) Benvenisti, M., p. 223.

ذكر بعض الجغرافيين المؤرخين الذين زاروا فلسطين في العصر الحديث أن خان البيرة كانت بناية كبيرة تماثل قلعة صليبية أو مركز إداري كبير.

Cf. Abel, F.M., "Les deux" Mahomerie", el-Brieh, el-Qoubéibeh, dans revue biblique, XXXV (1962), p. 272. Enlart, C., tome II, p. 275. Pringle, D., p. 151.

Benvenisti, M., op. cit., p. 223.

191) Ibid., loc. cit. Smail, R. C., The Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 86.

192) Geneviève, B.B., Acte No. 117, pp. 237-241, Acte no. 121, pp. 244-247. de Rozière, doc. No. 129, pp. 238-241, doc. No. 131, pp. 242-244. Migne, tomus 155, Doc. No. 129, cols. 1219-1221, Doc. No. 131, Cols. 1222-1223. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 302, pp. 77-78, doc. no. 340, pp. 88-89. Cf. also: Prawer, J., The Latin Kingdom, 84. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 127.

ينتمي معظم المستوطنين الذين استقروا في البيرة، إلى مقاطعات ومدن مختلفة في أوروبا. فقد حضروا من مقاطعة بروفانس Provence الواقعة في الجنوب الغربي من فرنسا، ومقاطعة برجنديا Burgundia في شرق فرنسا، ومقاطعة أفيجن Auvergne في جنوب فرنسا ومقاطعة بواتيه Poitou في غرب فرنسا ومقاطعة جاسكوني في الجنوب الغربي من فرنسا. ومن مدن فرنسا مدينة بوج Bourges ومدينة تور Tours ومدينة ليمجوس Limgos ومن إيطاليا حضروا من إقليم لمبارزيا Lombardina ومدينة البندقية Venice. ومن إسبانيا من إقليم قطلونيا Catalonia في شمال إسبانيا ومن مدينة بلنسية Valencia (Balansiya). وإلى جانب المستوطنين الأوروبيين استقر بعض المسيحيين الشرقيين في مستوطنة البيرة. وقد جاءوا من المناطق المجاورة لبيت المقدس ونابلس وخاصة من سنجل والنبي صمويل والرام ومن منطقة جبل الجودي.

Cf. Geneviève, B.B., Acte No. 117, pp. 237-241. de Rozière, Doc No. 131, pp. 242-244. Migne, tomus 155, Doc. No. 131, Cols. 1222-1223. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 302, pp. 77-78. Cf. also: Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 84. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 127.

193) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 127.

194) Geneviève, B.B., Acte No. 117, pp. 237-241. de Rozière, Doc. No. 131, pp. 242-244. Migne, tomus 155, doc. No. 131, Cols. 1222-1223. Röhrich, R., Regesta, doc. No. 302, pp. 77-78. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 127.



- 195) Geneviève, B.B., acte No. 135, pp. 261-266, Acte No. 150-151, pp. 292-301. de Rozière, Doc. No. 144, pp. 262-268, docs Nos. 166-167, pp. 296-305. Migne, tomus 155, Doc. No. 144, Cols. 1232-1236, doc. No. 167, Cols. 1244-1247, tomus 200, Doc. No. 761, Cols. Nos. 694-695. Beugnot, L., tome II, Charte No. 39, p. 524. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 496, pp. 123-124. Abel, F.M., "les deux Mahomeria", p. 272.
- 196) Geneviève, B.B., Actes Nos. 150-151, pp. 292-301. de Rozière, Doc. Nos. 166-167, pp. 296-305. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 467, pp. 123-124.
- 197) Benvenisti, M., p. 226. Hamilton, B., p. 91.
- 198) Conder, pp. 187-188. Richard, J., The Latin Kingdom, Vol. 2, p. 461. Benvenisti, M., pp. 224, 345. Smail, R.C., The Crusaders in Syria, p. 87.
- 199) Smail, R.C., op. cit., loc. cit. Benvenisti, M., op. pp. 224-243. Conder, pp. 187-188.
- 200) Smail, op. cit., loc. cit.
- 201) Ibid., loc. cit. Benvenisti, M., op. cit., p. 225.
- 202) Geneviève, B.B., Actes Nos. 151-151, pp. 292-301. de Rozière, Doc. Nos. 166-167, pp. 296-305. Röhricht, R., Reesta, Doc. No. 469, pp. 123-124.
- 203) Geneviève, B.B., Acte No. 150, pp. 292-296. de Rozière, Doc. No. 167, pp. 301-305. Migne tomus 155, doc. No. 167, Cols. 1244-1247. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 469, pp. 123-124.
- 204) Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, Doc. No. 136, Cols. 1226-1227.
- راماتيس: يرجح أحد المؤرخين الحديثين أن مستوطنة راماتيس أنشئت بواسطة رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة في موقع الرام.
- Cf. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 132.
- وفي الملحق الذي أعدته جنيف عن أسماء المواقع التي ورد ذكرها في الوثائق، أشارت إلى أن راماتيس هي قرية باريميتا Barimeta (قرية خربة الميتة).
- Cf. Geneviève, B.B., Index Locorum, p. 240. (Kh. al- Maytah).
- 205) Geneviève, B.B., Acte No. 43, pp. 119-121. de Rozière, Doc. No. 55, pp. 107-110. Migne, tomus 155, Doc. No. 55, Cols. 1149-1150. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 353, p. 92.
- 206) Geneviève, B.B., Acte No. 36, pp. 103-105. Beugnot, L., tome II, Charte No. 31, pp. 513-514. de Rozière, Doc. No. 48, pp. 87-89. Migne, tomus 155, Doc. No. 48, Cols. 1136-1137.
- 207) Geneviève, B.B., Acte No. 36, pp. 103-105, Acte No. 43, pp. 119-121. de Rozière, Doc. No. 48, pp. 87-89, Doc. No. 55, pp. 107-110. Beugnot, L., tome II, Charte No. 31, pp. 513-514. Migne, tomus 155, doc. No. 48, Cols. 1136-1137, doc. No. 55, Cols. 1149-1150. Röhricht, R., Regesta, doc. No. 353, p. 92.
- 208) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 132.
- 209) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 132.
- 210) Ibid. loc. cit



- 211) Beugnot, L., tome II, Charte No. 8, p. 487. de Rozière, Doc. No. 119, p. 222. Migne, tomus 155, Doc. No. 119, Cols. 1213-1214.
- 212) Delaborde, H. E., Doc. No. 6, pp. 29-32, Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 101, p. 23, Doc. No. 134, pp. 33-34.
- 213) Geneviève, B.B., Acte No. 159, pp. 310-311. de Rozière, Doc. No. 142, pp. 258-260. Migne, tomus 155, Doc. No. 142, Cols. 1231-1236. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 530, pp. 141-142.
- 214) Kohler, Ch., Regestre, fol. 208, p. 124.
- 215) de Rozière, doc. No. 155, pp. 287-289. Migne, tomus 155, Doc. No. 166, Cols. 1240-1241. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 455, p. 119. Cf. also: Enlart, C., tome II, p. 283. Hamilton, B., p. 94.
- استمرت كنيسة البعث الأبرشية تحمل نفس الاسم، حتى استرداد المسلمين لمدينة نابلس عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ، ثم حولها المسلمون إلى مسجد، عرف باسم المسجد الكبير، ولا يزال قائماً حتى وقتنا الحاضر، ويعتبر من أكبر مساجد نابلس وقد تعرض الكثير من عمليات الترميم خاصة بعد الهزة الأرضية التي تعرضت لها نابلس عام ١٩٢٧م إذ أسرعت دائرة الأوقاف إلى ترميم المسجد خوفاً عليه من الانهيار. وعلى الرغم من ذلك فقد دمر المدخل القوطي الجميل الذي احتفظ به المسلمون كبوابة خارجية للمسجد. انظر: محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٦، ص ٧٥.
- Cf. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 455, p. 119. Enlart, C., tome II, pp. 283-285. Benvenisti, M., p. 165.
- 216) برنارد أمقف اللد والرملة: كان رئيساً لدير جبل طابور، وفي عام ١١٦٨م / ٥٦٣هـ، أصبح أسقفاً على اللد والرملة، وقد استمر على رأس عمله حتى عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ.
- Cf. Rey, Les Familles d'outre-mer de duCange, p. 800. Geneviève, B.B., Index Nominum, p. 369.
- 216) Geneviève, B.B., Acte No. 158, pp. 307-309. de Rozière, Doc. No. 181, pp. 322-325.
- 218) Hamilton, B., p. 94.
- 219) Geneviève, Acte No. 121, pp. 244-247. de Rozière, doc. No. 129, pp. 238-241. Migne, tomus 155, Doc. No. 129, Cols. 1219-1221.
- 220) The Pilgrimage of John Phocas in the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S. Vol. 5, London 1889, p. 26.
- 221) Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, Doc. No. 136, Cols. 1226-1227. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 346, p. 90.
- 222) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 133.
- 223) قدم نيقولا رذيس كنيسة القيامة جميع التسهيلات السابقة الذكر إلى هيو دي يافا Guy Camelarius وجيرار كبريلوس Giraid Caprellus.
- Cf. Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, doc. No. 136, cols. 1226-1227.
- 224) كان سكان إحدى القرى القريبة من مدينة بيت لحم يزرعون أجود أنواع أشجار الكرم، كما كانوا يهتمون بأشجار الكرم المزروعة في أراضي القرى المجاورة. وقد اهتموا بتصنيع النبيذ الممتاز من محصول العنب الذي تدره أشجار الكرم المزروعة في أراضيهم والأراضي المجاورة.
- Cf. Burchard of mount Sion, p. 89.
- ولما كان النبيذ الفلسطيني يلقى رواجاً كبيراً عند رجال الدين في الكنائس والأديرة اللاتينية، وعند المستوطنين الفرنجة في المدن.
- Cf. Prawer, J., Crusader Institutions, p. 133.
- 225) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.
- Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 58. Burchard of mount Sion, p.



102. Benvenisti, M., op. cit., pp. 161, 257, 387.
- 226) Geneviève, B.B., acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, doc. no. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, doc. No. 136, Cols. 1226-1227. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 346, p. 90. Cf. also: Prawer, J., crusader Institutions, p. 133.
- 227) Geneviève, B.B., Actes Nos. 168-169, pp. 321-323.
- 228) Strehlke, Doc No. 1, o. 1. Cf. also: Richard, J., Agricultural Conditions in the Latin States, p. 262.
- 229) Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253. deRozière, doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, doc. No. 136, Cols. 1226-1227. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 346, p. 90.
- 230) اليوجيرا: مقياس فرنسي يستعمل لقياس مساحة الأراضي، وهو يساوي  $240 \times 120$  قدم  $28800$  قدم مربع أي ما يعادل ثمانمائة وأربع وستين متراً مربعاً. والثلاثون يوجيرا تساوي خمسة وعشرين ألف وتسعمائة وخمسة وعشرين متراً مربعاً (نحو ستة وعشرين دونماً).
- 231) Geneviève, B.B., Acte No. 121, pp. 244-247. de Rozière, doc. No. 129, pp. 238-241. Migne, tomus, 155, Doc. No. 129, cols. 1219-1221. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 340, pp. 88-89.
- 230) Geneviève, B.B., Acte no. 123, pp. 249-150. de Rozière, Doc. No. 135, p. 249. Migne, tomus 155, Doc. No. 135, Cols. 1225-1226.
- 233) Geneviève, B.B., Acte No. 121, pp. 244-245. de Rozière, Doc. No. 129, pp. 238-241. Migne, tomus 155, Doc No. 129, cols. 1219-1211. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 340, pp. 88-89.
- 234) Geneviève, B.B., Acte No. 129, pp. 249-250. deRozière, Doc. No. 135, p. 249. Migne, tomus 155, Doc. No. 135, Cols. 1225-1226.
- 235) Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, doc no. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, doc. No. 136, cols. 1226-1227. Röhrich, R., Regesta, doc. No. 346, p. 90.
- 236) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 134. Prawer, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, p. 84.
- 237) Strehlke, Doc. No. 1, p. 1.
- 238) Geneviève, B.B., Acte No. 121, pp. 244-247. de Rozière, Doc. No. 129, pp. 238-241. Migne, tomus 155, doc. No. 129, cols. 1219-1221. Röhrich, R., Regesta, doc. No. 340, pp. 88-89.
- 239) Geneviève, B.B., Acte No. 43, pp. 111-112. de Rozière, doc. No. 55, pp. 107-110. Migne, tomus 155, Doc. No. 55, Cols. 1149-1150.
- 240) أشارت الوثيقة إلى أن أرنولد رئيس كنيسة القيامة وسيد روبرت المشرف على شؤون الكنيسة استعانا بأحد المسلمين، لأنه كان يعرف حدود وتقسيمات الأراضي معرفة جيدة.
- oElegunt autem quondam sarracerum antiquum, Pedem tortum nomine, qui Preiret. Ipse enim sciebat terrarum divisias et terminos' Cf. Geneviève, B.B., Acte No. 121, pp. 244-247.
- 241) Grousset, R., Histoire des Croisades, vol. 1, p. 181.
- 242) المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ١١٤.
- 243) Runciman, S., Vol. 2, p. 4.
- 244) Benvenisti, M., op. cit., p. 217.
- 245) Strehlke, Doc. No. 112, p. 91-94. cf. also: Richard, J., Agricultural conditions in the crusader States, p. 256. Smail, R.C., The Crusaders in Suria and the Holy land, p. 81. benvenisti, M., op. cit., p. 217.



246) Geneviève, B. B., Acte No. 36, pp. 103-105. Beugnot, L., tome II, Charte No. 31, pp. 513-514. de Rozière, Doc. No. 48, pp. 87-89. Migne, tomus 155, doc. No. 48, Cols. 1136-1137.

(247) أصبح بطريركاً على بيت المقدس عام ١١٥٧م / ٥٥٢هـ. وقد سبقت الإشارة إليه تحت اسم عموري نسل. انظر: الفصل الثالث من هذه الدراسة.

248) Geneviève, B. B., Acte No. 69, pp. 166-167. de Rozière, Doc. No. 81, pp. 159-161. Migne, tomus 155, Doc. No. 81, cols. 1078-1079. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 5-267, pp. 67-68.

249) Smail, R. C., The Crusaders in Syria and the holyland, p. 80.

250) Geneviève, B. B., Actes nos. 30-31, pp. 92-95. de Rozière, docs Nos. 43-44, pp. 80-83. Beugnot, L., tome II, Charte Nos. 10-11, pp. 488-490. Migne, tomus 155, Docs. Nos. 43-44, Cols. 1132-1134. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 127, p. 30.

251) Grousset, R., Histoires des Croisades Vol. 1, p. 181.

252) Geneviève, B. B., Acte No. 24, pp. 83-84. de Rozière, Doc. No. 41, pp. 77-79. Migne, tomus 155, doc. No. 24, Cols. 1130-1132.

253) Geneviève, B. B., Acte No. 63, pp. 157-158, Acte No. 175, pp. 261-266.

254) Ibid., Acte No. 161, p. 313. de Rozière, Doc. No. 170, pp. 308-309.

255) Smail, R. C., Crusading warfare, pp. 90-92.

256) Geneviève, B. B., acte No. 19, p. 72. de Rozière, Doc. No. 36, pp. 71-72. Migne, tomus 155, Doc. No. 36, Cols. 1129-1130. Röhricht, R., Regesta, Doc No. 40, p. 7.

257) Delaborde, H. F., Doc. No. 24, pp. 56-58.

258) Geneviève, B. B., Acte No. 83, pp. 157-158, Acte No. 135, pp. 261-266. de Rozière, doc. No. 75, pp. 150-152, Doc. No. 144, pp. 262-268. Beugnot, L., tome II, Charte No. 39, p. 524.

(259) رالف أسقف بيت لحم: كان رجلاً كريماً وذائداً مبسوطة، يقدر الفضيلة. وكان مستشاراً للمملكة ميلسند، وقد انتخب عام ١١٥٠م / ٥٤٥هـ من قبل السلطة الملكية، لكي يتولى منصب رئيس أساقفة صور، ولكن ذلك لالتنخاب وجد معارضة من يوحنا أوف بيزا John of Pisa رئيس شمامسة صور -الذي أصبح بعد ذلك كاردينالاً في كنيسة روما، وكذلك من برنارد أسقف صيدا ومن يوحنا أسقف بيروت. ونتيجة لمعارضة هؤلاء ذهب رالف إلى روما من أجل بحث الأمر، والحصول على موافقة البابوية على تعيينه، ولكنه لم يستطع أن يفعل شيئاً، وعاد إلى مملكة بيت المقدس الصليبية، ليصبح أسقفاً لبيت لحم عام ١١٥٦م / ٥٥١هـ. وقد استمر في منصبه حتى وفاته في عام ١١٧٤م / ٥٦٩-٥٧٠هـ.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 162-163, 394.

260) Rey, E. G., Recherches géographiques et historiques Sur La domination des Latin en orient, Paris 1877, pp. 21-22. Mamilton, B., p. 157.

261) William of Tyre, Vol. 2, p. 314. Cf. also: King, p. 91. Baldwin, M. W., The Latin states under Baldwin III and Amalric I., Cols. 1143-1146, in Setton, Vol. 1, p. 552.

(262) ابن الأثير: الكامل، ج ١١، ص ٣٢٤. أبو شامة: الروضتين، ج ١، ص ١٤٢.

263) William of Tyre, Vol. 2, p. 314.

264) Kohler, Ch., Regestre fol. 271, p. 146.

(265) مناسيس هيرج: هو أحد أقارب الملكة ميلسند، وتولى منصب كندسطل المملكة، وكان من أكبر المناصرين للمملكة في صراعها مع أنها الملك بلدوين الثالث. ولم يكن مناسيس محبوباً من قبل النبلاء في مملكة بيت المقدس الصليبية. نظراً لتسلطه وعطرسه، كما أنه لم يكن يبدي الاحترام اللائق بكبار النبلاء. وقد قام الملك بلدوين بنفيه إلى خارج البلاد.

Cf. William of Tyre, Vol. 2, pp. 142, 204-206.



- 266) عن الصراع بين الملكة ميلسند وابنها الملك بلدوين الثالث. انظر : William of Tyre, Vol. 2, pp. 204-207. Cf. also: King, p. 49. Grousset, R., Vol. 2, pp. 318-319. Besant and Palmer, p. 316. Archer and Kings Ford, p. 124. 267) Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 100, pp. 22-23. 268) William of Tyre, Vol. 2, pp. 204-206. 269) Estoire d'Eracles, p. 25. Roger of Wendover Vol. 2, p. 58. Cf. also: Grousset, R., Vol. 2, p. 764. Riley-Smith, J., The Feudal Nobility, pp. 109-110. كان الملك بلدوين الرابع قد طلب عقد المحكمة العليا في بيت المقدس، من أجل مناقشة مصير المملكة بعد وفاته. وقد حضر الاجتماع كبار السادة الإقطاعيين ورجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس. وأعلن الملك بلدوين الرابع وصيته أمام المجتمعين حيث تقرر أن يخلفه في الحكم ابن إخته بلدوين الخامس، الذي لم يتجاوز السادسة من عمره. وقد قرر المجتمعون تعيين ريموند كونت طرابلس وصياً على عرش المملكة واستبعاد جاي لوزجنان من الوصاية على شؤون المملكة. وقد تعهد المجتمعون بتنفيذ رغبات الملك بلدوين الرابع، إذ قام باليان سيد نابلس بحمل الطفل الصغير، وذهب به إلى كنيسة القيامة حيث قام البطريك هرقل بتتويجه ملكاً على بيت المقدس، قبل وفاة خاله ببضعة أسابيع. ولم يلبث بلدوين الرابع أن توفي في مارس عام ١١٨٥م / محرم ٥٨١هـ. Cf. Estoire d'Eracles, pp. 7-10. Cf. also: Röhrich, Geschichte des Ronigreichs Jerusalem, p. 410. Grousset, R., Vol. 2, p. 743. Riley-Smith, pp. 107-109. 270) Ernoul, pp. 32-34. Estoire d'Eracles, pp. 25-30. Jacques de Vitry, p. 99. Cf. also: Röhrich, R., op. cit., Conder, p. 146. Grousset R., vol. 2, pp. 768-769. Riley-Smith, J., The Feudal Nobility, pp. 108-111. 271) الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٦٨. 272) Estoire d'Eracles, pp. 25-30. Cf. also: Grousset, R., Vol. 2, p. 771. Stenenson, W., p. 238. Riley-Smith, J., The Feudal Nobility, p. 111. 273) Ernoul, pp. 135-138. Estoire d'Eracles, pp. 32. Cf. also: Grousset R., Vol. 2, pp. 771-772. Riley-Smith, J., op. cit., loc. cit. أشار الكثير من المؤرخين إلى أن بلدوين سيد الرملة لم يذهب إلى بيت المقدس، ولكنه قدم التحية للملك جاي في مدينة عكا، ولم تكن تلك التحية عن رضى بل قدمها للملك على مضض، وأخير الملك أنه ترك أراضي لآبنة توماس، ثم غادر البلاد إلى أنطاكية، حيث استقبله سيدها بالسُرور وجعل له إقطاعاً كبيراً. Ernoul, pp. 29-34. Estoire d'Eracles, pp. 25-30. Jacques de Vitry p. 99. Cf. also: Röhrich, R., op. cit., pp. 417-418. Grousset, R., Vol. 2, pp. 768-769. Riley-Smith, pp. 108-109. 274) Ernoul, pp. 29-34. Estoire d'Eracles, pp. 25-30. Jacques de Vitry, pp. 99. Cf. also: Röhrich, R., Geschichte des Königreichs Jerusalem, pp. 417-418. Grousset, R., Vol. 2, pp. 768-769. Riley-Smith, pp. 108-109. 275) Jacques de Vitry, pp. 34-36. Anonymous Pilgrims, pp. 31-33. 276) الديار البكري: تاريخ الخميس في أحوال انفس نفيس، ج 2، بيروت (بدون تاريخ) ص 363. 277) ابن الأثير: التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ص 011. سبط بن الخوري: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ق1، حيدر اباد الدكن 1591م، ص 822-922. ابن قاضي شهبه: الدر الثمين في سيرة نور الدين، مخطوط بمكتبة بلدية الاسكندرية، ورقة 07. 278) ابن الأثير: التريخ الباهر، ص 541. البنداري: سنا البرق الشامي تحقيق د. فتحية النبراوي، القاهرة 9791م، ص 74-84. سبط بن الخوري: مرآة الزمان، ج 8، ق1، ص 972-082. ابن قاضي شهبه: الدر الثمين، ورقة 19. 279) Hamilton, B., p. 157. 280) بزواش: كان من أمراء شهاب الدين محمود صاحب دمشق، وكان مقدماً في العسكر، وإليه الحل والعقد في كل شيء. انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 11، ص 91. 281) William of Tyre, Vol. 2, p. 89. Cf. also: Nicholson, R. L., the Grouth of the Latin states, in Setton, Vol. 1, p. 438. Grousset, R., Vol. 2, p. 77. 282) William of Tyre, op. cit., loc. cit. Cf. also: Grousset, R., op. cit., loc.



cit. Enlart, C., tome II, p. 383.

(283) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج 1، ص 855-955.

(284) William of Tyre, Vol. 2, p. 357. Cf. also: Richard, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 125. Benvenisti, M., p. 223. Pringle, D., p. 148.

(285) ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج 1، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة 1359م، ص 891.

(286) William of Tyre, Vol. 2, pp. 374-375.

(287) William of Tyre, Vol. 1, p. 333. Albert d'aix, p. 461. Cf. also: Richard, the Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 98.

المؤرخ المجهول: أعمال الفرنجية وحجاج بيت المقدس، ص 411.

(288) أبو شامة: كتاب الروضتين في أخبار، ج 1، ص 372. ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 95. Cf. King, op. cit., p. 107.

(289) Ibid., loc. cit.

(290) ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 95-16. أبو شامة: كتاب الروضتين، ج 1، ص 372. King, loc. cit.

(291) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 11، ص 605-705. ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 951. (292) Radulfi de Diceto, Imoginius Historiam, Ed. R. H. G. F. tome 17, p. 624. Roger of Wendover, Vol. 2, p. 55.

ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت 1469م، ص 272. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 76. ابن شاهنشاه الأيوبي: مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق الدكتور حسن حبشي، القاهرة 1369م، ص 91. ابن العديم: زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج 3، تحقيق الدكتور سامي الدهان، دمشق 1369م، ص 97. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 283. اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ج 3، بيروت 1479م، ص 714. (293) ابن جبير: الرحلة، ص 272. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 76. ابن شاهنشاه الأيوبي: مضممار الحقائق، ص 91. ابن الأثير: الكامل في، ج 11، ص 705. سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج 8، ق 1، ص 283. البنداري: سنا البرق الشامي، ص 442. ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 951. أبو شامة: كتاب الروضتين، ج 2، ص 55. العمري: مسالك الأبصار، ج 72، ق 1، ورقة 38.

(294) ابن جبير: الرحلة، ص 272.

(295) ابن شاهنشاه الأيوبي: مضممار الحقائق، ص 91. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 11، ص 705. البنداري: سنا البرق الشامي، ص 443.

Roger of Wendover, vol. 2, p. 55. Radulfi de diceto, p. 624. Cf. also: Röhricht, R., Geschichte des Könlgreiches jerusalem, p. 411.

(296) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 11، ص 705.

(297) ابن شداد: النوادر السلطانية، ص 76.

Cf. also: Röhricht, R., op. cit., p. 412.

(298) Benedicti Petrobur gensis, in R. H. G. F., tome 17, p. 481.

ابن شداد: المصدر السابق، ص 97-48. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج 11، ص 835-045. البنداري: سنا البرق، ص 992-303. ابن واصل: مفرج الكروب، ج 2، ص 102-012.

(299) ابن شداد: المصدر السابق، ص 18-48. البنداري: سنا البرق الشامي، ص 113. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج 6، ص 63. الحنبلي: شفاء القلوب، ص 541-941.

Estoire d'Eracles, p. 91. Roger of Wendover, Flowers of History, Vol. 2, p. 61.

Cf. also: Röhricht, R., Geschichte des Königreichs Jerusalem, pp. 458-459.

Grousset, R., Vol. 2, p. 813. addison, p. 131. Stevenson, W., p. 253.

(300) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 1، ص 625.

Cf. also: Prigle, D., p. 148.







## الفصل الرابع

«الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الأسمية»

١١٨٧-١٢٩١م / ٥٨٣-٦٩٠هـ

- ١- أوضاع الإقطاعات الكنسية عقب معركة حطين .
- ٢- إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية .
- ٣- أهم الإقطاعات التي احتفظت بها الكنائس والأديرة .
- ٤- علاقة رجال الدين اللاتين بالهيئات الدينية المحاربة .
- ٥- انحسار الإقطاع الكنسي وانتهائه تماماً .



## الفصل الرابع

«الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الأسمية»

١١٨٧-١٢٩١ م / ٥٨٣-٦٩٠ هـ

استرد المسلمون عقب معركة حطين عام ٥٨٣ هـ ١١٨٧ م معظم الأراضي المقدسة من الصليبيين، الذين استنزفوا طاقات وجهود أهلها، ونهبوا خيراتها، ودنسوا مقدساتها فترة طويلة من الزمن بلغت نحو تسعين عاماً. وقد عانى أهل البلاد الأصليون من التعسف الصليبي، والمعاملة السيئة التي كان يعاملها المسئولون الصليبيون لسكان البلاد سواء أكانوا من المسلمين أو المسيحيين الشرقيين، الذين ضاعت جهودهم في العمل في الأراضي الزراعية، التي منحت للسلادة الإقطاعيين ولرجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة والمؤسسات الدينية المحاربة كالداوية والاستبارية.

وقد أبدت القوات الإسلامية بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي شجاعة عالية وتصميماً قوياً من أجل استرداد البلاد الإسلامية، وتطهيرها من شرذم الصليبيين. ووفق المسلمون في مسعاها، وتمكنوا من استعادة معظم البلاد الإسلامية، ففتحوا طبرية وارسوف وقيسارية وعكا وحيفا ويافا والناصرية وسبسطية ونابلس واللد والرملة والخليل وبيت لحم وصيدا وبيروت وجبل طابور، ومعظم البلاد التي كانت بحوزة الصليبيين<sup>(١)</sup>، وأشرنا كيف قام السلطان صلاح الدين الأيوبي بفرض الحصار على بيت المقدس، ثم تحدثنا عن استسلام الصليبيين، والمعاملة الطيبة التي وجدوها من قبل السلطان، الذي سمح لهم بمغادرة المدينة المقدسة، على أن يدفع كل رجل منهم عشرة دنانير والمرأة خمسة دنانير والطفل ديناراً واحداً كفدية<sup>(٢)</sup>.

ولعل المعاملة الطيبة التي انتهجها السلطان صلاح الدين وغيره من الأمراء مع الصليبيين، تكشف عن سماحة الإسلام والمسلمين. وقد فضل المسيحيون الشرقيون البقاء في نابلس والأراضي المحيطة بها، بسبب المعاملة الحعام التي وجدوها من قبل المسلمين. وكان حسام الدين لاجين صاحب نابلس قد سمح للمسيحيين الشرقيين بالاستقرار في نابلس والمناطق المجاورة لها. مقابل دفع الجزية التي لم تكن عبء ثقيلاً عليهم بأي حال من الأحوال<sup>(٣)</sup>. هذا إلى جانب أنه اتبع معهم سياسة رشيدة، اتصفت بالحكمة والاعتدال، فلم يتعرض لهم بسوء، واستمالهم إلى جانبه وأقرهم على أموالهم<sup>(٤)</sup> «وأجراهم على مالهم من العمارة والبنان»<sup>(٥)</sup>. وذكرت المصادر الإسلامية أن حسام الدين لاجين عامل الصليبيين المقيمين في نابلس معاملة حعام وأمنهم على أنفسهم وأموالهم وممتلكاتهم<sup>(٦)</sup>، وسمح لهم بمغادرة المنطقة إلى أية جهة يختارونها.



ومهما يكن من أمر ، فقد تم تطهير معظم البلاد الإسلامية من الصليبيين ، الأمر الذي أدى إلى تراجع الإقطاعات الكنسية وانحسارها بشكل كبير . وفقدت الكنائس والأديرة معظم الأراضي والإقطاعات التي حازتها من ملوك وأمراء بيت المقدس الصليبيين ، كما فقدت أيضاً الأملاك والعقارات التي قامت بشرائها من الأمراء والأفراد الصليبيين . وذلك لأن هذه الأراضي والأملاك والعقارات ستعود إلى أصحابها الشرعيين ، بعد أن انتزعت منهم فترة طويلة من الزمن . وقد لاحظنا أن أصحاب الأراضي الأصليين ، تعرضوا لكثير من المضايقات من قبل الصليبيين ، الذين عاملوهم معاملة سيئة وانتزعوا أملاكهم ، وأجبروهم على العمل في الأرض مقابل نسبة معينة من الإنتاج الذي تدره الأراضي الزراعية . بمعنى أن أصحاب الأراضي الأصليين أصبحوا مستأجرين لأراضيهم ، يدفعون ضريبة الإنتاج والعشر إضافة إلى الضرائب الأخرى التي كانت تدفع ثلاث مرات في العام . وعلى الرغم من كل المضايقات التي تعرض لها المسلمون والمسيحيون الشرقيون في الأراضي المقدسة ، إلا أنهم تحملوا ذلك ، وتمسكوا بأرضهم ، ولم تقهرهم قوة الصليبيين وسطوتهم .

كذلك كان من الطبيعي أن يعود سكان قرية كفر مالك إلى قريتهم ، التي أجبروا على مغادرتها إلى قرية بيت فوريك ، بعد أن قام الملك بلدوين الثاني بمنحها إلى رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة عام ١١٢٨م / ٥٢٢هـ<sup>(٧)</sup> . ومن المرجح أن مجموعات كبيرة من سكان فلسطين - الذين غادروا بلادهم إلى دمشق أو مصر ، عند سماعهم خبر اقتراب القوات الصليبية من الأراضي المقدسة عام ١٠٩٩م / ٤٩٢هـ - قد عادوا إلى بلادهم عقب انتصار المسلمين على الصليبيين في معركة حطين . ومما يؤكد وجهة نظرنا أن البنداري أشار إلى أن نابلس أصبحت «بلدة محشوة كالرمان» في عهد حسام الدين لاجين<sup>(٨)</sup> . ولعل حديث البنداري يشير إلى أن عدد سكان نابلس قد ازداد بدرجة كبيرة ، كما كانت عليه الحال قبيل استيلاء الصليبيين عليها ، وربما أكثر من ذلك . وليس من شك في أن المدينة المقدسة امتلأت بالمسلمين من مختلف بلاد العالم الإسلامي . وذكر العماد الأصفهاني أن المسلمين حضروا إلى زيارة بيت المقدس «من كل فج عميق وسلخوا إليه في كل طريق»<sup>(٩)</sup> وذكر أبو شامة أن العلماء والفقهاء أقاموا في مواطن البطارقة والقساوسة<sup>(١٠)</sup> .

وتجدر الإشارة إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة ، فقدوا جميع الإقطاعات التي حصلوا عليها في الأراضي المقدسة ، خلال الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩ - ١١٨٧م / ٤٩٢ - ٥٨٣هـ . وبطبيعة الحال فقد تم طرد جميع المستوطنين الأوروبيين من هذه الإقطاعات . وقد أشار ياقوت الحموي إلى أن السلطان صلاح الدين الأيوبي قام بتدمير



مستوطنة البيرة عقب استيلائه عليها عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ<sup>(١١)</sup>، وبعد طرد الصليبيين منها<sup>(١٢)</sup>، وأشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن مستوطنة القبية لم تسكن من قبل المسلمين بعد مغادرة المستوطنين الأوروبيين لها<sup>(١٣)</sup>. ولم يقتصر الأمر على فقدان كنيسة القيامة لجميع أملاكها في الأراضي المقدسة، إذ أن جميع الأديرة والكنائس والأسقفيات اللاتينية فقدت كل ما حصلت عليه من أملاك، منذ بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة. ومهما يكن من أمر، فبعد انتصار القوات الإسلامية على الصليبيين في حطين، وما صاحب ذلك من قيام المسلمين باسترداد معظم المدن الإسلامية التي كانت بحوزة الصليبيين، انحسرت الإقطاعات الكنسية انحساراً كبيراً، ولا نبالغ إذا قلنا إن الكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية فقدت جميع ما حازته من أراض وعقارات في الأراضي المقدسة، ومن هنا فإننا نستطيع القول إن الإقطاعات والمنح التي تدفقت على الكنائس والأديرة والأسقفيات خلال فترة حكم ملوك بيت المقدس الأوائل. وقد أشرنا إلى أن رجال الدين اللاتين حققوا مكاسب مادية كبيرة، عن طريق التدبير السليم لشؤون إقطاعاتهم وممتلكاتهم، الأمر الذي أدى إلى لجوء رجال الدين اللاتين في بعض الكنائس الكبيرة إلى شراء الكثير من الأملاك والعقارات والأراضي من كبار الأمراء ومن أفراد الطبقة البرجوازية، ومن بعض الكنائس والأديرة الأرثوذكسية المنتشرة في حدود المملكة الصليبية. وتعتبر الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٦٥م / ٤٩٢-٥٦٠هـ فترة تطور وازدهار لجميع الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية. على الرغم من تعرضها لكثير من التأثيرات السلبية سواء من خارج المملكة أو من داخلها.

أما بالنسبة للفترة الواقعة بين عامي ١١٦٥-١١٨٧م / ٥٦٠-٥٨٣هـ فقد توقفت فيها نمو الإقطاعات الكنسية، وإذا حدث أن حصلت إحدى الكنائس على منحة فإنها لا تتجاوز قطعة صغيرة في بعض المدن أو القرى. ولعل ذلك يرجع إلى عدة نقاط أهمها انشغال رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة بالخلافات فيما بينهم على بعض الأملاك والحقوق ومحاولة كل رئيس دير أو كنيسة إثبات حقه بجميع الطرق سواء القانونية أو غير القانونية، لدرجة أن رجال الدين اللاتين كانوا يلجأون إلى عمليات وضع اليد على أملاك غيرهم، كما حدث عندما قام رئيس دير جبل الزيتون بوضع يده على قطعة أرض من أملاك دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط<sup>(١٤)</sup>. وقد أشرنا إلى الخلافات التي نشبت بين دير جبل طابور وكنيسة القيامة حول ضرائب العشر، وكذلك الخلافات التي نشبت بين دير معبد السيد ودير القديسة مريم في وادي يهوشافاط بسبب ضرائب العشر أيضاً. ومن النقاط الأخرى التي أدت إلى توقف الإقطاعات الكنسية، انشغال الصليبيين بالدفاع عن حدود مملكتهم أمام



الهجمات الإسلامية المتكررة على حدود مملكة بيت المقدس ، والتي كانت تصل في بعض الأحيان إلى وسط البلاد حتى أسوار بيت المقدس . ولعل الخلافات المستمرة بين الصليبيين من أجل السيطرة على عرش المملكة من النقاط الهامة ، التي أدت إلى توقف ملوك وأمراء بيت المقدس عن تقديم المنح والإقطاعات للكنائس والأديرة ، لأن كل أمير أو سيد إقطاعي كان يحاول إثبات حقه وتركيز نفسه في إقطاعه .

أما بالنسبة للفترة الواقعة بين عامي ١١٨٧-١١٩٢م / ٥٨٣-٥٨٨هـ فقد اختفت الإقطاعات الكنسية ولم يعد لها وجود في الأراضي المقدسة ، بسبب استرداد المسلمين لمعظم البلاد وطرد الصليبيين منها . كذلك فإن استمرار الحروب بين المسلمين والصليبيين خلال تلك الفترة ، لم يسمح بظهور إقطاعات كنسية جديدة ، لأن أوضاع الصليبيين في الأراضي المقدسة كانت مضطربة جداً ، كما أن وجودهم في هذه البلاد كان مرهوناً بقدوم حملات عسكرية ومساعدات مستمرة من الغرب الأوروبي . فعلى سبيل المثال تحرك جاي لوزجنان صوب مدينة عكا في أواخر أغسطس (آب) عام ١١٨٩م / منتصف رجب عام ٥٨٥هـ ، وقد حاول اقتحام المدينة ، لكنه فشل في ذلك ، فأثر الانتظار حتى تصله تعزيزات عسكرية صليبية تمكنه من الاستيلاء على عكا<sup>(١٥)</sup> . ولعل ذلك الأمر يشير إلى أن مصير الصليبيين في الأراضي المقدسة ، كان يعتمد على وصول الإمدادات والمساعدات المستمرة من الغرب الأوروبي ، خاصة أن المنطقة كانت تشهد نشاطاً إسلامياً كبيراً ، من أجل تطهير الأراضي المقدسة من الغاصبين . ونتيجة لذلك بدأت الإمدادات القادمة من الغرب الأوروبي تصل تباعاً ، لمساعدة الجيش الصليبي المحاصر لمدينة عكا<sup>(١٦)</sup> . وكان الصليبيون ينتظرون وصول فيليب اغسطس ملك فرنسا وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفردريك بربروسا امبراطور ألمانيا ، الذين كانوا في طريقهم إلى بلاد الشام ، فيما يعرف بالحملة الصليبية الثالثة . وقد حاول الصليبيون اقتحام أسوار عكا في الحادي والثلاثين من ديسمبر (كانون الأول) عام ١١٩٠م / الثاني من ذي الحجة عام ٥٨٦هـ ، لكنهم فشلوا في تحقيق ذلك . ولم يلبث أن وصل فيليب اغسطس إلى عكا في العشرين من إبريل (نيسان) عام ١١٩١م / السابع عشر من ربيع الأول عام ٥٨٧هـ ، ثم لحق به ريتشارد قلب الأسد في الثامن من يونية (حزيران) عام ١١٩١م / الثالث عشر من جمادي الأولى عام ٥٨٧هـ . وبوصول فيليب اغسطس وريتشارد قلب الأسد إلى عكا ، شدد الصليبيون الحصار عليها ، مما أجبر حامية المدينة على التسليم ، فدخلها الصليبيون في الثاني عشر من يولية (تموز) عام ١١٩١م / السابع عشر من جمادي الأولى عام ٥٨٧هـ<sup>(١٧)</sup> .

يتضح من خلال حصار الصليبيين لمدينة عكا والإمدادات التي



وصلت إليهم من الغرب الأوروبي أن الصليبيين كانوا في حالة يرثى لها وقد أشار إلى ذلك أحد المؤرخين الصليبيين المعاصرين لهذه الفترة بقوله إن الشدائد أحاطت بالمسيحيين من كل جانب، إذ ضاقت بهم الدنيا نتيجة لارتفاع الأسعار وعدم توافر السلع، الأمر الذي دفعهم إلى الذهاب إلى بارون الشرق (يقصد الملك جاي لوزجنان) يطلبون منه الطعام، وهددوه إن لم يقدم لهم ما يأكلونه فإنهم لن يذهبوا لقتال المسلمين<sup>(١٨)</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن مصير الإقطاعات الكنسية لم يتضح بعد، على الرغم من استيلاء الصليبيين على مدينة عكا. ولعل ذلك يرجع إلى انشغالهم بقتال المسلمين، والعمل على الاستيلاء على البلاد والأراضي التي فتحها السلطان صلاح الدين الأيوبي عقب معركة حطين مباشرة، وقد استمرت المعارك والمناوشات بين الصليبيين والمسلمين حتى توقيع صلح الرملة بين صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد في الأول من سبتمبر (أيلول) عام ١١٩٢م / الحادي والعشرين من شعبان عام ٥٨٨هـ. وقد نص صلح الرملة على أن تكون اللد والرملة بين المسلمين والصليبيين منصفة ووافق السلطان صلاح الدين الأيوبي على بقاء قيسارية وأعمالها وارسوف وعملها وحيفا وعملها وعكا وأعمالها في أيدي الصليبيين. وقد استثنى السلطان صلاح الدين اللد والرملة ومجدل يابا (ميرابل) من أعمال يافا، والناصرية وصفورية من أعمال عكا، واتفق الطرفان على تكون عسقلان خراباً، وأن يدخل كل من أنطاكية وطرابلس في الصلح، وأن يسمح للحجاج الصليبيين بزيارة بيت المقدس<sup>(١٩)</sup>، وعلى أن تستمر الهدنة لمدة ثلاث سنوات وثمانية أشهر<sup>(٢٠)</sup>. وقد أشار العماد الأصفهاني إلى توقيع الهدنة بقوله: «عقدت هدنة عامة في البر والبحر، والسهل والوعر والبدو والحضر، وجعل لهم (الصليبيين) من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صور، وابدوا بما تركوه من البلاد التي كانت معهم الغبطة والسرور»<sup>(٢١)</sup>.

يتضح مما سبق أن المسلمين احتفظوا بمعظم المدن والأعمال الواقعة في الاقليم الجبلي، بينما احتفظ الصليبيون بمعظم المدن الواقعة على الشريط الساحلي باستثناء عسقلان التي دمرها المسلمون في نوفمبر (تشرين ثاني) عام ١١٩١م / رمضان عام ٥٨٧هـ، وقد تأسف السلطان على هدم عسقلان بقوله: «والله لئن أفقد أولادي بأسرهم، أحب إلي من أن أهدم حجراً واحداً»<sup>(٢٢)</sup>. وحزن الناس كثيراً على هدم عسقلان وباعوا المتاع بأبخس الأثمان<sup>(٢٣)</sup>. وليس من شك في أن صلح الرملة بين المسلمين والصليبيين، كان ذا فائدة كبيرة للكنيسة اللاتينية، خاصة أنه أعاد لها جزءاً كبيراً من نفوذها القديم.



هذا إلى جانب أنه سيتيح لرجال الدين اللاتين الفرصة لإعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية مرة أخرى، بعد أن تعرضت لكثير من الخسائر عقب هزيمة الصليبيين في حطين. وعلى الرغم من أن صلح الرملة قد أدى إلى احتفاظ الصليبيين بمعظم مدن الساحل والمناطق المحيطة بها، إلا أن ما تم إعادته، لم يكن يشكل إلا جزءاً بسيطاً من حدود الكنيسة اللاتينية التي كانت قائمة قبيل معركة حطين. وهذا يعني أن سلطة رجال الدين اللاتين تقلصت بشكل كبير، إذ لم يعد لهم أي نفوذ في الإقليم الجبلي الذي يشتمل على مدن نابلس وبيت المقدس والخليل وبيت لحم وسبسطية وإقليم ما وراء الأردن وإقليم الجليل، علاوة على ذلك فإن عدداً كبيراً من الكنائس والأديرة اللاتينية قد دمر أو تم تحويلها إلى مساجد، فعلى سبيل المثال قام المسلمون بتحويل كنيسة البعث اللاتينية في نابلس إلى مسجد أطلقوا عليه اسم المسجد الكبير<sup>(٢٤)</sup>، وحول السلطان صلاح الدين كنيسة القديسة حنة في بيت المقدس إلى مدرسة، كما جعل دار البطريرك رباطاً للمسلمين، وأوقف على المدرسة والرباط الأوقاف<sup>(٢٥)</sup>. وذكر أبو شامة أنه تم إخراج «البطاركة والقسس من مساجد الأئمة وعادت الكنائس مدارس»<sup>(٢٦)</sup>. وقد فقد العديد من رؤساء الأساقفة والأساقفة ورؤساء الكنائس والأديرة أسقفياتهم وكنائسهم وأديرتهم وجميع العائدات التي كانت تدخل خزائنها. هذا إلى جانب أن العديد من رجال الدين اللاتين وغيرهم من الصليبيين، كانوا قد طردوا من البلاد التي استردها المسلمون<sup>(٢٧)</sup>. وقد التجأ معظم الصليبيين إلى صور<sup>(٢٨)</sup>. التي بقيت تحت السيطرة الصليبية. وبعد أن استولى الصليبيون على عكا مرة أخرى، توجه رجال الدين اللاتين وغيرهم من الصليبيين إلى المدينة، التي اكتظت باللاجئين القادمين من مختلف أرجاء الأراضي المقدسة<sup>(٢٩)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فقد ازدحمت عكا برجال الدين اللاتين، وخاصة البطريرك هرقل، وعمري الراهب Aimrey the Monk رئيس أساقفة قيسارية ورالف أسقف بيت لحم وليتاردوس الثاني رئيس أساقفة الناصرة، ورهبان دير جبل طابور ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة وراهبات دير القديس لعازر في بيثاني وغيرهم<sup>(٣٠)</sup>. وخلال الفترة الواقعة بين عامي ١١٨٧ - ١١٩٤م / ٥٨٣ - ٥٩٠ هـ توفي البطريرك هرقل ورالف أسقف بيت لحم<sup>(٣١)</sup>.

ولا بد لنا من الحديث عن إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية، بعد توقيع معاهدة صلح الرملة بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك ريتشارد قلب الأسد، خاصة وأنه تم إعادة معظم المناطق الساحلية للصليبيين. وقبل بدء الحديث عن إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية، لا بد من الإشارة إلى الأسقفيات التي فقدتها عقب معركة حطين، حتى نكون على بينة بمدى الخسائر التي لحقت برجال الدين اللاتين والكنيسة اللاتينية، بعد المعركة. من المعروف أن بطريركية بيت المقدس اللاتينية قد فقدت مركزين أسقفين هامين هما: المركز الأسقفي في



الناصرة والمركز الأسقفي في الكرك، وإلى جانب ذلك فقدت عدة أسقفيات منها أسقفية بيت لحم وأسقفية الخليل وأسقفية طبرية وأسقفية سبسطية وأسقفية بانياس وأسقفية اللد والرملة، فضلاً عن فقدانها معظم الكنائس والأديرة الكبيرة في الأراضي المقدسة مثل كنيسة القيامة وكنيسة المهد ودير جبل طابور ودير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، وبطبيعة الحال أسهم صلح الرملة في إعادة بعض النفوذ الكنسي لبطيركية بيت المقدس اللاتينية. أما المناطق التي خضعت للنفوذ الكنسي اللاتيني فهي قيسارية، وقد بقيت مركزاً أسقفياً كما كانت عليه في زمن المملكة الأولى، كذلك بقيت صور مركزاً أسقفياً كما كانت عليه في السابق، ولم يبق لرجال الدين اللاتين سوى أسقفية واحدة هي أسقفية عكا. أما باقي الأسقفيات الأخرى فقد استردها المسلمون، ولم يعد للكنيسة اللاتينية أية سيطرة عليها.

وقد قرر رجال الدين اللاتين إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية، وفي عام ١١٩٤م/ ٥٩٠هـ اجتمعوا في عكا من أجل انتخاب بطيريك للكنيسة بيت المقدس اللاتينية الاسمية، وقد أشار تاريخ هرقل إلى أن رجال الدين اللاتين الذين كانوا يعملون في كنيسة القيامة عمري الراهب Aimery the Monk<sup>(٣٢)</sup> رئيس أساقفة قيسارية ليصبح بطيريكاً جديداً للبطركية الاسمية التي اتخذت من عكا مقراً لها، الأمر الذي أزعج هنري تروي Henry of Troyes ابن شقيق ريتشارد قلب الأسد - بسبب عدم قيام رجال الدين اللاتين باستشارته في موضوع انتخاب البطيريك، ولذلك نراه يأمر بإلقاء القبض على رجال الدين ويزج بهم في السجن، غير أن جوسوس Joscus رئيس أساقفة صور - الذي كان من المقربين من الكونت هنري، والمستشار الخاص له - تمكن من إقناع هنري بإطلاق سراح رجال الدين والاعتذار لهم حتى يتجنب تحدي بابا روما، هذا بالإضافة إلى أنه لم يكن قد توج، وبناء عليه فلا يحق له التدخل أو الاعتراض على انتخاب عمري الراهب ليكون البطيريك الجديد للكنيسة اللاتينية. وعلى الرغم من أن هنري تروي قد عمل بنصيحة رئيس أساقفة صور، وقام بإطلاق سراح رجال الدين الاعتذار إليهم إلا أنه لم يسلم من التأنيب واللوم الشديد من بابا روما. ويبدو أن موافقة البابوية على تعيين عمري بطيريكاً على الكنيسة اللاتينية قد تأخرت بعض الوقت، غير أن بابا روما وافق في عام ١١٩٧م/ ٥٩٣هـ على تعيين البطيريك الجديد<sup>(٣٣)</sup>.

وبطبيعة الحال امتدت سلطة البطيريك الجديد على رئاسة أسقفية الناصرة ورئاسة أسقفية قيسارية وأسقفية عكا، فضلاً عن سلطته على رجال الدين اللاتين المقيمين في مدن أرسوف وحيفا ويافا وجميع البلاد التي عادت إلى السلطة الصليبية بمقتضى صلح الرملة عام ١١٩٢م/ ٥٨٨هـ. وتجدر الإشارة إلى أن أوضاع بطيركية بيت المقدس الصليبية عقب معركة حطين



وحتى استرداد المسلمين لجميع البلاد الإسلامية، وطرده الصليبيين منها عام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ، لم يكن ثابتاً، بمعنى أننا لا نستطيع أن نجزم بوجود حدود ثابتة لبطيركية بيت المقدس الاسمية، أسوة بما كانت عليه حدودها قبل معركة حطين، ففي الفترة الأولى من الحكم الصليبي للأراضي المقدسة، كان السلطان القضائي لبطيرك بيت المقدس يتفق مع النفوذ السياسي لحكم الملك الصليبي. هذا إلى جانب أن أوضاع المملكة الأولى كانت ثابتة، بعكس ما كانت عليه أحوال البطيركية في ظل مملكة بيت المقدس ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور نذكر منها: كثرة المعاهدات التي وقعت بين المسلمين والصليبيين خلال الفترة الواقعة بين عامي ١١٩٢-١٢٩١م / ٥٨٨-٦٩٠هـ، وبطبيعة الحال فإن هذه المعاهدات كانت تحد من النشاط الحربي بين المسلمين والصليبيين الأمر الذي يجعل من الصعوبة على كل طرف أن يتوسع في منطقة نفوذ الطرف الآخر. وعلى سبيل المثال استغرقت مدة الصلح الذي وقعه صلاح الدين مع ريتشارد قلب الأسد ثلاث سنوات وثمانية أشهر لم تتعرض مناطق نفوذ الطرفين لأية اعتداءات. أما بعد انتهاء أمد الهدنة فقد اشتدت الهجمات الإسلامية على المعاقل الصليبية، ففي عام ١١٩٧م / ٥٩٣هـ قام الملك العادل سيف الدين بإعداد القوات الإسلامية وتجهيزها من أجل الاستيلاء على مدينة يافا واستعادتها من الصليبيين، وقد تم له ذلك إذ تمكنت القوات الإسلامية من الاستيلاء على يافا في سبتمبر (أيلول) عام ١١٩٧م / ٥٩٣هـ، كما قامت بقتل عدد كبير من الصليبيين وامتلات أيدي المسلمين بالغنائم والأسلاب<sup>(٣٤)</sup>. وإلى جانب ما ذكرناه فإن بعض المعاهدات أدت إلى زيادة رقعة الأراضي الخاضعة لسلطة بطيرك بيت المقدس الاسمي في عكا، فعلى سبيل المثال نصت معاهدة يافا التي عقدت بين الملك الكامل محمد والإمبراطور فريدريك الثاني في الثامن عشر من فبراير عام ٦٢٦هـ<sup>(٣٥)</sup>، على أن يحصل الصليبيون على بيت المقدس وبيت لحم والناصرة<sup>(٣٦)</sup> وصيدا وتبنين وجميع القرى الواقعة على الطريق بين يافا وبيت المقدس، فضلاً عن مدينتي اللد والرملة<sup>(٣٧)</sup>، وقد اتفق الطرفان على أن تكون مدة المعاهدة عشر سنوات<sup>(٣٨)</sup>، وأشار المقرئ إلى أن مدة المعاهدة كانت عشر سنوات وخمسة أشهر وأربعين يوماً<sup>(٣٩)</sup>. وذكر ابن الأثير أن المسلمين احتفظوا بنابلس والخليل وطبرية بمقتضى المعاهدة<sup>(٤٠)</sup>. وبطبيعة الحال فإن مثل هذه المعاهدة أدت إلى اتساع السلطان القضائي لبطيرك الكنيسة اللاتينية الاسمية في عكا، الذي يبدو أنه رفض نقل مقره من عكا لبيت المقدس، ربما لشعوره بعدم استمرار السيطرة الصليبية على بيت المقدس<sup>(٤١)</sup>. ولعل مثل هذا الأمر يشير إلى أن رجال الدين اللاتين كانوا يفضلون الإقامة في مدينة عكا بدلاً من بيت المقدس، ربما خوفاً على حياتهم من المسلمين الذين كانوا يتحفزون لاسترداد المدينة المقدسة من الصليبيين.



ومن النقاط الأخرى التي تلقي الضوء على أن حدود بطريركية بيت المقدس الاسمية ، لم تكن ثابتة نتيجة لاشتداد النشاط الإسلامي ضد المعقل الصليبي ، وخاصة بعد انتصار المسلمين على التتار في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م / ٦٥٨هـ ، الأمر الذي أدى في النهاية إلى تفويض دعائم الحكم الصليبي في الأراضي المقدسة والقضاء عليه .

ومهما يكن من أمر فقد بدأ رجال الدين اللاتين في تنظيم الكنيسة اللاتينية وفقاً للحدود التي رسمتها التفافية الرملة عام ١١٩٢م / ٥٨٨هـ ، فقد تم تعيين البطريرك كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، أما رئيس أساقفة صور فقد استمر على رأس عمله . أما بالنسبة لأسقف عكا ، فقد قام رجال الدين اللاتين في الأسقفية بانتخاب أسقف جديد يدعى ثوبالد Theobald<sup>(٤٢)</sup> ، ولم تمدنا المصادر باسم رئيس الأساقفة الذي تولى رئاسة أسقفية قيسارية بعد تعيين عمري الراهب بطريركاً على الكنيسة اللاتينية ، وبطبيعة الأمر اتسع نفوذ بطريركية بيت المقدس اللاتيني بمقتضى معاهدة يافا بين الملك الكامل محمد والإمبراطور فريديريك الثاني ، إذ عادت الناصرة لتحتل مكانها القديم كمركز أسقفي لإمارة الجليل ، كذلك تم تعيين أساقفة لاتين في اللد والرملة وصيدا وبيت لحم وبيروت<sup>(٤٣)</sup> .

أما فيما يتعلق بالإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية ، فلم تسعفنا المصادر والوثائق بمعلومات واضحة عن وضع الإقطاعات والأملاك الكنسية السابقة في البلاد التي خضعت للسيطرة الصليبية مرة ثانية مثل عكا وحيفا وقيسارية واللد والرملة . وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن رئيس أساقفة الناصرة وكنيستها كانوا يمتلكون ممتلكات وإقطاعات كثيرة داخل إمارة الجليل ، غير أن المصادر لا تساعد في كونها مصدراً للمعلومات في هذا الشأن ويضيف هذا المؤرخ أن مسألة الحصول على معلومات بالنسبة للإقطاعات والأملاك الخاصة برئاسة أسقفية الناصرة متروكة لحين ظهور وثائق جديدة تلقي الضوء على أوضاع الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية<sup>(٤٤)</sup> .

ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين الذين استقروا في أسقفية عكا ، بعد أن أجبروا على مغادرة بيت المقدس ، وغيرها من المدن الإسلامية ، فقد استمروا في التمتع بعائدات الإقطاعات التي كانت قد منحت لأديرتهم وكنائسهم . فعلى سبيل المثال استقر رجال الدين اللاتين الذين كانوا يشرفون على كنيسة القيامة - في أسقفية عكا ، ولا بد أنهم احتفظوا بالإقطاعات والمنح التي حازتها كنيسة القيامة في حيفا وعكا واللد والرملة وجميع المناطق الخاضعة للسيطرة الصليبية ، ولا بد أيضاً أنهم استغلوا هذه الأملاك استغلالاً حسناً ، ومن المرجح أنهم توسعوا في زراعة أشجار الكرمة وأشجار الزيتون ، كما سبق أن فعلوا ذلك في المستوطنات والإقطاعات التي كانت بحوزتهم قبل معركة حصين . وهذا لا يعني أن الإقطاعات الكنسية لم تكن قائمة في البلاد التي



أعاد الصليبين فرض سيطرتهم عليها، بل على العكس من ذلك فقد وجدت بعض الأملاك والإقطاعات الخاصة بالأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية، فقد أشارت بعض الوثائق إلى امتلاك رئيس أساقفة الناصرة لعدد من القرى الواقعة بالقرب من أسقفية الناصرة وهي عيلوت Aylot الواقعة على بعد أربعة كيلومترات غرب الناصرة، وصفورية وخربة روما Kh. ruma الواقعة على بعد عشرة كيلومترات إلى الشمال من الناصرة<sup>(٤٥)</sup>. وقد أشارت عدة وثائق إلى امتلاك بعض الأديرة والكنائس الواقعة تحت السيطرة الإسلامية، العديد من الأملاك والإقطاعات في المناطق الخاضعة للحكم الصليبي فعلى سبيل المثال كان دير جبل صهيون يمتلك بعض الأراضي والمنازل في عكا، وفي فبراير عام ١٢٣٩م/ رجب عام ٦٣٦هـ قام جيرارد رئيس الدير بمنح هيئة فرسان التيوتون<sup>(٤٦)</sup> قطعة أرض في منطقة عكا، وكانت هذه القطعة تقع بجوار حديقة تعود ملكيتها لهيئة فرسان الداوية، كما أنها كانت تشرف على شارع عام. وكان فرسان الاستبارية قد استأجروا هذه القطعة من رئيس دير جبل صهيون مقابل عشرين بيزنطاً إسلامياً، تدفع كإيجار سنوي في أول مارس من كل عام. وعندما انتقلت ملكية قطعة الأرض لهيئة فرسان التيوتون بمقتضى منحة جيرارد رئيس دير جبل صهيون، عرض مقدم فرسان هيئة التيوتون، على مقدم هيئة فرسان الاستبارية أن يستمروا بدفع نفس المبلغ الذي كانوا يدفعونه لدير جبل صهيون بدون أية متاعب. وقد خیرهم مقدم الداوية أن يدفعوا أي شيء مقابل المبلغ إذا رغبوا في ذلك، وأضاف أنه يلتزم بإعطائهم الأرض دون اللجوء إلى استخدامها. وقد قام بالتوقيع على هذه الوثيقة رئيس أساقفة قيسارية، وأسقف عكا، ورئيس در جبل القديس صمويل الواقع في جبل الجودي<sup>(٤٧)</sup>.

وعلاوة على ذلك قام رهبان دير جبل صهيون بتأجير المنازل الخاصة بهم في مدينة عكا إلى هيئة فرسان التيوتون، وقد تم ذلك بتصريح من جيمس بانتاليون James Pantaleon<sup>(٤٨)</sup> بطريرك بيت المقدس والمندوب البابوي. وقد أشارت الوثيقة الخاصة بذلك الموضوع أن المنازل التي تم تأجيرها إلى هيئة فرسان التيوتون، كانت تقع بالقرب من مقرهم، وفي الشرق منها كان يوجد الطريق العام (الطريق الملكي) وقصر الاستبارية، الذي كان من أملاك دير جبل طابور - وقد تم تأجير المنازل السابقة لهيئة فرسان التيوتون بجميع متعلقاتها، وبحرية تامة، أي أنها كانت معفاة من الضرائب. أما فيما يتعلق ببذل الإيجار فقد تم الاتفاق على دفع مبلغ ثلاثمائة وتسعة بيزنطات، يتم تسديدها على ثلاث دفعات متساوية في نهاية شهر فبراير ونهاية يونية ونهاية أكتوبر. وقد التزم بطريرك بيت المقدس بضمان حقوق دير جبل صهيون، وإذا حدث أي



خلل من قبل هيئة فرسان التوتون فسيوقع عليهم شرط جزائي قدره ستمائة بيزنط إسلامي . وفي مقابل ذلك تم التصريح لمقدم هيئة الفرسان وجماعته ببناء ما يشاؤون في المنازل المؤجرة . وقد تم الاتفاق على ذلك في يوم الخميس الموافق أول نوفمبر (تشرين ثاني) عام ١٢٥٧م / الحادي والعشرين من شوال عام ٦٥٥هـ<sup>(٤٩)</sup> .

ولعل هذه الأمثلة تؤكد على أن الإقطاعات والأملاك التي حازتها الكنائس والأديرة اللاتينية في المناطق الخاضعة للسيطرة الصليبية بقيت كما كانت عليه قبيل معركة حطين ، على الرغم من أن بعض الكنائس والأديرة بقيت تحت السيادة الإسلامية ، إضافة إلى أنها اكتظت بالمسيحيين الشرقيين . فضلاً عن وجود بعض المسيحيين اللاتين الذين سمح لهم السلطان صلاح الدين الأيوبي بالإقامة في الكنائس الكبيرة ، بعد توقيع اتفاقية الرملة ، وقد وافق السلطان بروح الشهامة والمروءة على تعيين اثنين من رجال الدين اللاتين في كل من كنيسة القيامة وكنيسة المهد وكنيسة الناصرة ، هذا إلى جانب من كان في هذه الكنائس من الأرثوذكس والسريان واليعاقبة وغيرهم<sup>(٥٠)</sup> .

وليس من شك في أن مصير معظم الإقطاعات والأملاك الكنسية لم يكن واضحاً بعد معركة حطين ، لأنه لا يمكن التكهن بما سيحدث في المستقبل ، ومما يؤكد وجهة النظر هذه أن رجال الدين اللاتين لم يتعجلوا إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية ، ولم يقدموا على ذلك إلا بعد أن شعروا أن وضع الصليبيين بدأ يتحسن بقدوم الحملة الصليبية الثالثة . ولعل الذي شجعهم على إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية ما تمخض عنه صلح الرملة من إعادة بعض المدن الساحلية للصليبيين .

ومهما يكن من أمر ، فقد احتفظت الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية ببعض الأملاك والإقطاعات في المناطق الواقعة تحت النفوذ الصليبي ، على الرغم من أن ما فقدته يفوق ما احتفظت به بأضعاف . هذا إلى جانب أن ملوك مملكة بيت المقدس الاسمية لم يقدموا المنح والإقطاعات لرجال الدين اللاتين أسوة بما كان يقدمه ملوك بيت المقدس الأوائل ، ولا نبالغ إذا قلنا إن حجم ما حصلت عليه الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الاسمية لا يتناسب مع ما حصلت عليه الكنيسة اللاتينية في عهد المملكة الصليبية الأولى عام ١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ ، وربما يرجع ذلك إلى انشغال ملوك وأمراء مملكة بيت المقدس الصليبية ، بالدفاع عما تبقى من الكيان الصليبي ، وحماية أنفسهم من المسلمين ، خاصة بعد الصحوة الإسلامية التي شهدتها المنطقة زمن سلاطين المماليك من أمثال الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون والأشرف خليل .

والملاحظ أن رجال الدين في الكنائس والأديرة الواقعة في حدود مدينة بيت المقدس كانوا يلجأون إلى تأجير أملاكهم إلى الهيئات الدينية المحاربة ،



فقد ذكرت إحدى الوثائق أن رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط قاموا بتأجير قرية وجاستينا من أملاكهم الواقعة في عكا إلى هيئة فرسان التيوتون بمبلغ سنوي قدره ثلاثمائة بيزنط. وقد قام جيرالد لوساني Gerald of Lausanne بطريك بيت المقدس بتوثيق عقد الإيجار ووضع خاتمه الخاص عليها، كما قام رئيس دير القديسة مريم بالتوقيع على هذه الوثيقة الهامة<sup>(٥١)</sup>. يتضح مما سبق أن الهيئات الدينية المحاربة كانت تقوم باستئجار الأراضي الزراعية والقرى والمنازل وإلى ما شابه ذلك من أشياء من رجال الدين في الكنائس والأديرة مقابل مبالغ تدفع سنوياً أو تقسط على دفعات معينة، الأمر الذي يعكس اهتمام الهيئات الدينية بالأراضي الزراعية، والعمل على التوسع في زراعة محاصيل تحقق لهم كسباً عالياً. وسبق أن أشرنا إلى أن فرسان التيوتون فكروا بإنبات قصب السكر بدلاً من الأراضي المزروعة بالحبوب، ذلك لأن زراعة القصب كانت تحقق ربحاً كبيراً للمستغلين<sup>(٥٢)</sup>.

وبعد الحديث عن تأجير بعض الإقطاعات والأملاك الكنسية للهيئات الدينية المحاربة، من قبل بعض رجال الدين الخاضعين للسيادة الإسلامية، لا بد لنا من الإشارة إلى أهم الإقطاعات والمنح التي حصلت عليها الكنائس والأديرة في مملكة بيت المقدس الاسمية، على الرغم من أن ما حازته الكنيسة اللاتينية يعتبر قليلاً جداً بالمقارنة مع الأملاك والإقطاعات الواسعة التي حازتها الأسقفيات والكنائس والأديرة في الفترة الواقعة بين عامي ١١٦٥-١١٨٧م/ ٥٦٠-٥٨٣هـ، إذ لم تحصل الكنيسة اللاتينية خلال تلك الفترة إلا على منح بسيطة جداً لا تتجاوز قطعة أرض أو منزلاً أو مخبزاً وكانت هذه المنح بمحض الصدقة. ومن الغريب أن وضع الإقطاعات الكنسية استمر على نفس الوتيرة في مملكة بيت المقدس الاسمية. ولعل ذلك يرجع إلى انشغال ملوك وأمراء المملكة بالدفاع عن ما تبقى من المعقل الصليبي في بلاد الشام، هذا إلى جانب ضيق مساحة الأراضي التي بقيت بيد الصليبيين.

ومهما يكن من أمر فقد امتلك رجال الدين اللاتين الذين كانوا يعملون في كنيسة القيامة - كنيسة في مدينة عكا<sup>(٥٣)</sup> كذلك امتلك رجال الدين بعض الأراضي والأملاك الخاضعة للسيطرة الصليبية في بلاد الشام، كما حصلوا على منح جديدة في مدينة عكا، وهذه المنح كانت عبارة عن حديقة وقطعة أرض بالإضافة إلى بعض المنازل، وقد تمت هذه المنحة في الثامن عشر من يونية عام ١٢١١م/ الموافق يوم السبت الحادي عشر من ذي الحجة عام ٦٠٧هـ، وكانت هذه المنحة قد قدمت لرجال الدين اللاتين من جان دي برين Jean de Brienne وزوجته الملكة مريم، وحضر توقيع الوثيقة الخاصة بالمنحة عدد من كبار الأمراء في مملكة بيت المقدس الاسمية<sup>(٥٤)</sup>. وبالإضافة إلى المنح السابقة، قام الملك هيو الأول دي لوزجنان Hugues



de Lusignan بمنحهم بعض الأملاك في جزيرة قبرص<sup>(٥٥)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن ضريبة العشر التي كانت تشكل مصدر الدخل الرئيس للكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية قبل معركة حطين إلا أنها لم تعد كذلك في مملكة بيت المقدس الاسمية، فعلى سبيل المثال رفض فرسان التيوتون دفع ضريبة العشر لرجال الدين اللاتين، بينما وافقوا على دفع نصفها<sup>(٥٦)</sup> كذلك تعرض رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط في عام ١٢٥٩م / ٦٥٦هـ لنفس الموقف من قبل المسؤول عن كنيسة يافا الكتدرائية<sup>(٥٧)</sup>. ومن المحتمل أن لجوء بعض الهيئات والمؤسسات المسيحية إلى تقليص ضريبة العشر، يرجع إلى زيادة المصروفات هذا إلى جانب تعرض الكثير من البلاد الواقعة تحت السيطرة الصليبية للغارات الإسلامية.

وأشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن المركز الأسقفي في صور كان يمتلك ثروات هائلة، لدرجة أن رئيس الأساقفة لوحده كان يمتلك نحو ألفين وأربعين شجرة زيتون في الأسقفية<sup>(٥٨)</sup>، وكان بإمكان رئيس أساقفة صور أن يشتري دولة بكاملها للكنيسة اللاتينية بسبب الثروة التي حازتها أسقفية صور، بسبب الثروات الكثيرة التي كانت تشتهر بها<sup>(٥٩)</sup>. وكان لقيام الظاهر بيبس بفتح الجليل الأعلى آثار سلبية على المركز الأسقفي في مدينة صور، إذ تقلصت مصادر الثروة الخاصة بالأسقفية، ولكن على الرغم من ذلك لا يوجد هناك أي دليل على أن أسقفية صور أصبحت فقيرة في السنوات السابقة لعام ١٢٩١م / ٦٩٠هـ<sup>(٦٠)</sup>.

أما بالنسبة لعلاقة رجال الدين اللاتين بالهيئات الدينية اللاتينية، فقد سبق أن أشرنا إلى أن هيئات الفرسان كانت تقوم باستئجار الأراضي والعقارات من الكنائس والأديرة سواء تلك التي في ظل مناطق النفوذ الإسلامي أو تلك التي تخضع لنفوذ السلطة الصليبية، كذلك أشرنا إلى أن هيئات الفرسان امتنعت عن دفع ضرائب العشر لرجال الدين اللاتين بينما وافقت على دفع نصف العشر. وفي نفس الوقت كانت بعض الهيئات الدينية تحظى باهتمام كبار رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الاسمية، فعلى سبيل المثال قام بطرس رئيس أساقفة قيسارية بمنح هيئة فرسان القديس لعازر منزل وكنيسة في حدود أسقفية قيسارية، وقد تمت هذه المنحة في عام ١٢٣٥م / ٦٣٣هـ<sup>(٦١)</sup>. كذلك قام أحد رجال الدين اللاتين بمنح هيئة القديس لعازر قطعة من الأرض في الأراضي القريبة من مدينة عكا وقد تم ذلك في عام ١٢٤٠م / ٦٣٨هـ<sup>(٦٢)</sup>.

وقد أشارت إحدى الوثائق المؤرخة في شهر سبتمبر (أيلول) عام ١٢٥٧م / رمضان عام ٦٥٥هـ إلى حدوث بعض الخلافات بين أسقفية عكا وهيئة فرسان التيوتون، حول ما يسمى بـضرائب الأعشار، وتبعية رجال الدين اللاتين الذين يعملون في الكنائس التابعة لهيئة فرسان التيوتون، كذلك بالنسبة للأراضي



والحدائق الواقعة في أسقفية عكا، والتي يقوم فلاحوهم بزراعتها. وقد طلب أسقف عكا من مقدم الهيئة أن يطلب من خدمه وفلاحيه أن يدفعوا جميع الحقوق المستحقة عليهم لأسقفية عكا. كما طالب أيضاً بجميع الحقوق الواجبة الدفع على الطواحين والمزارع الخاصة بالهيئة. وعلى العموم فقد طالب فلورنس أسقف عكا مقدم فرسان هيئة التيوتون بجميع الحقوق الواجب دفعها لأسقفية عكا، بعد تدخل عدد من الأصدقاء، الذين استطاعوا تقريب وجهات النظر بين الطرفين. وتم الاتفاق على أن يقوم جماعة فرسان التيوتون بدفع العشر على محاصيل القمح والبقول والقطن، وجميع المزروعات التي تزرع في الأراضي والأماكن الخاصة بالهيئة، كذلك تقرر دفع ضريبة العشر على أشجار الكرم والخمور، هذه بالإضافة إلى أنواع أخرى من الضرائب التي تجبى ثلاث مرات في العام<sup>(٦٣)</sup>.

ولعل ما أوردته الوثيقة السابقة من معلومات يشير إلى أن أحوال الصليبيين في الأراضي المقدسة لم تكن على ما يرام، فقد انعدمت الصلاحيات الاجتماعية فيما بينهم، وسيطرت عليهم الأهداف الاقتصادية، لدرجة أن بعض الجهات امتنعت عن دفع ضرائب العشر المقررة للكنائس والأديرة اللاتينية في الأراضي المقدسة. والغريب أن الهيئات الرهبانية المحاربة هي التي امتنعت عن دفع ضرائب العشر، مما أدى إلى نشوب الخلافات والمشاكل المتكررة والمتواصلة بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس الاسمية، حول الأمور المادية، وهذا ما عانى منه رجال الدين اللاتين في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ.

ولعل من النقاط الهامة التي خرجنا بها من خلال ما سبق أن ذكرناه من معلومات عن عملية تأجير الأراضي للهيئات الدينية المحاربة من قبل رجال الدين اللاتين، يتمثل في أن الأساقفة ورؤساء الأساقفة كانوا يلجأون إلى عملية التأجير، حتى يضمنوا دخلاً سنوياً ثابتاً من وراء أملاكهم، ومن المرجح أن يكون الهدف من وراء تأجير الأراضي هو عدم قدرة رجال الدين اللاتين على حماية أراضيهم ضد الغارات الإسلامية، ولا بد أنهم اعتقدوا أن بإمكان جماعة الفرسان الدينية المحاربة حماية مثل هذه الأملاك والإقطاعات. وربما من أجل ذلك قام رئيس أساقفة الناصرة بتأجير بعض المناطق لهيئة فرسان الاستبارية لمدة أربع سنوات، ثم جرى تمديدتها إلى عشرة أعوام، وفي عام ١٢٥٩م / ٦٥٧هـ ازدادت مدة الإيجار إلى خمسين عاماً<sup>(٦٤)</sup>. وليس من شك في أن ذلك يشير إلى أن رجال الدين اللاتين لم يقوموا باستغلال أراضيهم بأنفسهم، أسوة بما فعلوه منذ بداية استقرارهم في الأراضي المقدسة، وقد أشرنا إلى قيام رجال الدين اللاتين بتوزيع الأراضي الزراعية والإشراف على زراعتها، ومراقبة المهملين من المزارعين، وفرض الغرامة عليهم، إن لم يكن انتزاع الأرض جميعها من تثبت عليهم تهمة الإهمال.



وبعد الحديث عن علاقة رجال الدين اللاتين بالهيئات الدينية المحاربة، لا بد لنا من الحديث عن العوامل الايجابية والسلبية المؤثرة في الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية. أشرنا إلى أن رجال الدين اللاتين في عكا شرعوا في إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية بعد توقيع اتفاقية الرملة بين السلطان صلاح الدين وريتشارد قلب الأسد، والذي بموجبه أعاد المسلمون للصليبيين معظم المدن الساحلية، كما أنهم سمحوا للحجاج الصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في بيت لحم وبيت المقدس والناصرية هذا إلى جانب تعيين ستة من رجال الدين اللاتين في الكنائس الواقعة ضمن البلاد الخاضعة للسيادة الإسلامية إذ تم تعيين اثنين من رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة واثنين في كنيسة المهد واثنين في كنيسة الناصرة. ولعل هذا الأمر يعتبر من المؤثرات الإيجابية على رجال الدين اللاتين بصفة خاصة والصليبيين بصفة عامة.

ولعل وصول الإمبراطور فريديريك الثاني على رأس قواته إلى عكا في السابع من سبتمبر (أيلول) عام ١٢٢٨م / الخامس من شوال عام ٦٢٥هـ<sup>(٦٥)</sup> وقيام الملك الكامل محمد بإرسال وفد برئاسة فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ للتفاوض مع الإمبراطور<sup>(٦٦)</sup>، وقد أرسل الكامل محمد مع فخر الدين الهدايا الثمينة من الذهب والمجوهرات والحرير والفيلة والجمال والدببة والقرودة والبغال العربية<sup>(٦٧)</sup>. وطالت المفاوضات بين الجانبين بسبب إصرار الملك الكامل محمد على عدم التنازل عن جزء من الأراضي المقدسة لما لها من أهمية عند المسلمين، على الرغم من وجود مقدسات خاصة بالمسيحيين في معظم البلاد<sup>(٦٨)</sup>، وبعد جولة جديدة من المباحثات تم التوصل إلى اتفاق بين فريديريك الثاني والكامل محمد عام ١٢٢٩م / ربيع الأول عام ٦٢٦هـ، عقدت على أثره معاهدة الصلح في مدينة يافا في الثامن عشر من عام ١٢٢٩م / الثاني والعشرين من ربيع الأول عام ٦٢٦هـ<sup>(٦٩)</sup>.

وقد أشرنا في مكان سابق إلى ما تمخضت عنه معاهدة صلح يافا بين الملك الكامل والإمبراطور فريديريك الثاني. ولعل توقيع هدنة لمدة عشر سنوات سيفتح المجال أمام رجال الدين اللاتين لاستثمار أملاكهم وإقطاعاتهم بهدوء، ودون أن تتعرض أملاكهم إلى أي هجوم من قبل المسلمين، كما أدت معاهدة الصلح إلى عودة بعض الأسقفيات التي فقدتها الكنيسة اللاتينية عقب معركة حطين، وهذه الأسقفيات هي الناصرة وبيت لحم واللد والرملة وصيدا إلى جانب مدينة بيت المقدس. وقد ذكر ابن واصل أن المسلمين احتفظوا بالقرى الواقعة حول بيت المقدس، ونصبوا عليها والي اتخذ من البيرة مركزاً له<sup>(٧٠)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن بيت المقدس لم تلبث بيد الصليبيين سوى عشر سنوات، إذ قام الناصر داود بن الملك المعظم عيسى بإعداد قواته وتجهيزها وتوجه صوب بيت المقدس وحاصرها في ربيع الأول عام ٦٣٧هـ / أكتوبر



عام ١٢٣٩ م، وبعد حصار استمر ثلاثة أسابيع تمكن الناصر داود من استعادة بيت المقدس من الصليبيين في السابع من ديسمبر عام ١٢٣٩ م/ التاسع من جمادي الأول عام ٦٣٧ هـ<sup>(٧١)</sup>، في لم يستسلم المدافعون عن القلعة وبرج داود إلا بعد ستة أيام من سقوط المدينة<sup>(٧٢)</sup>، بعد أن أعطاهم الناصر داود الأمان وسمح لهم بمغادرة بيت المقدس دون التعرض لهم بأذى<sup>(٧٣)</sup>، ثم قام الناصر بتدمير القلعة وبرج داود<sup>(٧٤)</sup>. ولعل سبب قيامه بمهاجمة بيت المقدس يرجع إلى عدم التزام الصليبيين بنود معاهدة يافا في فبراير عام ١٢٢٩ م/ ربيع الأول عام ٦٢٦ هـ، والتي كان من بين بنودها بقاء بيت المقدس خراباً وعدم إقامة أية تحصينات بها، طبقاً لما تنص عليه معاهدة الصلح، إلا أنه جرى إقامة قلعة غرب المدينة وكان برج داود أحد ملحقاتها، وليس من شك أن هذا كان حافزاً للناصر لمهاجمة بيت المقدس<sup>(٧٥)</sup>. ومما شجعه على ذلك وصول حملة فرنسية إلى عكا في سبتمبر عام ١٢٣٩ م/ صفر عام ٦٣٧ هـ، بقيادة ثيوبالد ملك نافار وكونت شامبانيا Theobald of Champagne يرافقه عدداً من صغار السادة الإقطاعيين منهم: هيو الرابع كونت برجنديا Hugh IV of Bregendia وهنري بار Henry of Bar وراؤول كلير مونت Raoul of Clermont<sup>(٧٦)</sup> وراؤول سواسون Raoul of Soissons وبطرس بريتاني Peter of Brittany وعموري السادس مونتفورت Amaury of Montfort وآخرون<sup>(٧٧)</sup>.

ومهما يكن من أمر فإن قيام الناصر داود بالاستيلاء على بيت المقدس لم يؤثر على الإقطاعات الكنسية، لسبب بسيط، وهو أن رجال الدين اللاتين لم يكونوا يملكون أية إقطاعات كنسية في حدود بيت المقدس، لأن جميع القرى والأراضي بقيت بيد المسلمين. كذلك يتضح أن الناصر داود لم يقيم بمهاجمة المدينة المقدسة إلا بعد مرور نحو عشر سنوات، وبسبب عدم التزام الصليبيين بنود معاهدة يافا. وهذا يعني أن المسلمين كانوا يلتزمون بالمعاهدات ولا يعتدون إلا إذا حدث أي انتهاك لبنود المعاهدات من الطرف الآخر. ولعل هذا يلقي الضوء على أن المعاهدات بين المسلمين والصليبيين كانت تؤثر تأثيراً إيجابياً على الإقطاعات الكنسية. كذلك كانت حملة القديس لويس ذات فائدة كبيرة لرجال الدين اللاتين والكنيسة اللاتينية، إذ عمل القديس لويس على تحصين المدن الواقعة تحت السيطرة الصليبية من أجل تقويتها، فعلى سبيل المثال أعد قواته وجهازها من أجل تحصين قيسارية التي دمرها المسلمون<sup>(٧٨)</sup>. ولعل في تحصين قيسارية كمركز أسقي لرجال الدين اللاتين من الأمور الإيجابية بالنسبة للكنيسة اللاتينية.

وبطبيعة الحال فإن المعاهدات بشكل عام كانت ذات فائدة كبيرة للطرفين، غير أن معاهدة صلح الرملة بين ريتشارد وصلاح الدين ومعاهدة يافا بين



الإمبراطور فريديريك الثاني والملك الكامل محمد كانتا ذات فائدة للصليبيين بصفة عامة ولرجال الدين اللاتين ، فالمعاهدة الأولى أدت إلى زيادة رقعة البلاد الخاضعة لسلطة الكنيسة اللاتينية ، الأمر الذي يجعلنا نقول أن الكنيسة اللاتينية استعادت بعض نفوذها القديم . وفي الوقت نفسه لم تكن معاهدة الرملة في صالح المسلمين ، لأنها أدت إلى تنازل السلطان صلاح الدين عن معظم المناطق الساحلية . كذلك كانت المعاهدة الثانية في صالح الصليبيين بشكل عام وفي صالح رجال الدين اللاتين بشكل خاص ، وذلك لأنها أدت إلى إعادة السلطة اللاتينية على العديد من المدن الهامة مثل بيت لحم والناصرية وبيت المقدس وصور وغيرها . أما بالنسبة لحملة القديس لويس وأهميتها بالنسبة للكنيسة اللاتينية ، فتنحصر في التحصينات التي قام بها الملك لويس في بعض المدن الخاضعة للسيطرة الصليبية .

وليس من شك في أن الأملاك والإقطاعات الكنسية قد تعرضت لبعض العوامل التي أثرت تأثيراً سلبياً عليها . فالعوامل الطبيعية كالهزات الأرضية وعدم نزول الأمطار كانت تؤثر سلباً على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات والأملاك وغيرها من البلاد الأخرى . فعلى سبيل المثال تعرضت بلاد الشام وفلسطين لزلزال شديد الوطأة عام ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ، وقد ترتب على هذا الزلزال مقتل عدد كبير من الناس تحت الهدم ، وقد أشار المؤرخون المسلمون المعاصرون إلى أن مدينة نابلس دمرت باستثناء حارة السمرة وقتل تحت الهدم نحو ثلاثين ألف من السكان<sup>(٧٩)</sup> الأمر الذي أدى إلى حدوث كارثة اجتماعية في مختلف المناطق . كذلك كان لفترات الجفاف تأثير سلبي على سكان الإقطاعات والأملاك الكنسية بصفة خاصة وعلى الصليبيين بصفة عامة . وقد تأثرت الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية تأثيراً سلبياً ببعض العوامل الداخلية النابعة من الكيان الصليبي ، وتتمثل تلك التأثيرات السلبية في عدة نقاط لعل أهمها : عدم اهتمام ملوك وأمراء المملكة بإغداق المنح والإقطاعات على الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية ، أسوة بما كان يقدمه ملوك بيت المقدس الأوائل ، وخاصة في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٦٥م / ٤٩٢-٥٦٠هـ . وإذا حدث وأن قام أحد الملوك أو الأمراء بتقديم منحة ، فكانت لا تتعدى قطعة أرض أو حديقة أو بعض العقارات مثل المنازل والمخابز والطواحين . . . إلخ . وبطبيعة الحال فإن حجم ما حازته الأسقفيات والكنائس والأديرة من إقطاعات بعد معركة حطين لا يتناسب مع ما حصلت عليه في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة .

وتأثر الدخل الذي كان يذهب لخزائن الكنائس والأديرة والأسقفيات عن طريق جباية ضريبة العشر التي كانت تشكل المصدر الأساسي لبطيركية بيت المقدس اللاتينية . ولعل تراجع ضريبة الأعشار يرجع إلي سببين هما : تقلص



نفوذ الكنيسة اللاتينية بعد انتصار المسلمين على الصليبيين في معركة حطين، وما صاحب ذلك من قيام القوات الإسلامية بفتح معظم البلاد التي كانت تخضع للحكم الصليبي، الأمر الذي حرم الكنائس والأديرة اللاتينية من جباية ضريبة العشر من المناطق التي عادت لأصحابها الأصليين. أما السبب الثاني الذي أدى إلى تراجع ضريبة العشر فيتمثل في لجوء بعض رجال الدين اللاتين، وجماعة الهيئات الدينية المحاربة، إلى تقليص ضريبة العشر، وقيامهم بدفع نصف العشر، الأمر الذي أدى إلى نشوب الخلافات والمنازعات بين الصليبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية. ويبدو أن المشاكل قد تفاقمت بدرجة كبيرة، الأمر الذي دفع برجال الدين اللاتين إلى تقديم الشكاوي للمحكمة البابوية Popal Court من أجل البحث في هذه المشكلة التي تمخض عنها تدهوراً كبيراً في مستوى الدخل الخاص بالكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية<sup>(٨٠)</sup>. ولعل لجوء الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية إلى تأجير أراضيها وأملاكها لجماعة الرهبان، قد تأثر تأثيراً سلبياً على الإقطاعات والأملاك الكنسية، على الرغم من أنه كان يجري دفع بدل الإيجار من قبل المستأجرين. لكن الأمر لا يتعلق بالدفع أو عدمه، فالمشكلة أكبر من ذلك، وتمثل بعزوف رجال الدين اللاتين عن الاهتمام بزراعة الأراضي والإقطاعات التابعة لهم. فالمعروف أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة كانوا يهتمون بالأراضي الزراعية، ويعملون على تقسيمها إلى وحدات، تختص كل وحدة بزراعة أشجار الكرمة أو أشجار الزيتون أو الخضروات أو الحبوب، لدرجة أنهم نظموا المجتمعات الزراعية في المستوطنات والإقطاعات التي كانت بحوزتهم قبيل معركة حطين. الأمر الذي يدفعنا إلى القول إن رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية الأولى، اهتموا بالأراضي الزراعية، وعملوا على شق القنوات من أجل ري الأراضي الزراعية، فضلاً عن أنهم وضعوا المشرفين والمراقبين على المزارعين. وبطبيعة الحال فإن زراعة الأراضي بمحاصيل منتجة مثل قصب السكر وأشجار الزيتون وأشجار الكرمة، كانت تحقق أرباحاً كبيرة لرجال الدين اللاتين في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٧م / ٤٩٢-٥٨٣هـ. أما فيما يتعلق بنشاط رجال الدين في الفترة التي أعقبت معركة حطين، فعلى ما يبدو أنه لم يكن لهم نشاط يذكر في مجال الزراعة، وإلا لما قاموا بتأجير الأراضي الخاصة بهم إلى جماعة الرهبان. ولعل ذلك أدى إلى انخفاض مستوى الدخل الذي كان يذهب لخزائن الكنائس والأسقفيات والأديرة اللاتينية.

إن العوامل الداخلية التي كانت تؤثر تأثيراً سلبياً على الكنيسة اللاتينية تلك المشاكل والمنازعات التي كانت تنشب بين رجال الدين اللاتين حول ملكية بعض الأراضي أو حول جباية ضرائب العشر، أو في حالة قيام بعض رؤساء



الكنائس والأديرة بالاستحواذ على أملاك مؤسسات كنيسة لاتينية عن طريق وضع اليد. هذا إلى جانب الخلافات والمشاكل التي ظهرت بين بعض كبار رجال الدين اللاتين وجماعة الرهبان حول أمور كثيرة منها ضرائب العشر على المحاصيل.

وإلى جانب ذلك كانت الكنيسة اللاتينية تتحمل نفقات كثيرة، عن طريق قيام رجال الدين اللاتين في الأسقفيات والكنائس والأديرة الكبيرة بتقديم الفرسان والسرجنديّة لمشاركة ملك بيت المقدس في حروبه وغزواته ضد المسلمين أو في الدفاع عن حدود المملكة ضد الهجمات الخارجية. ولا ندرى هل استمر رجال الدين اللاتين -الذين كانوا يعملون في كنيسة القيامة، ثم استقروا في عكا عقب فتح بيت المقدس- في تقديم السرجنديّة للملك الصليبي في عكا، أم أنهم توقفوا عن تقديم مثل هذه الخدمات؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد من طرح بعض النقاط للمناقشة حتى نستطيع أن نعطي رأينا. من المعروف أن كل أسقفية أو دير أو كنيسة كانت تقدم خدمات السرجنديّة ليس على أساس التبعية الإقطاعية وإنما حسب ما تملكه الكنائس والأديرة من أملاك وإقطاعات. وقد ذكر جان دبلين أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة كانوا يدفعون خمسمائة سرجندي<sup>(٨١)</sup>، ولما كانت كنيسة القيامة تملك العديد من الإقطاعات في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٧ م/ ٤٩٢-٥٨٣ هـ، ولا نبالغ إذ قلنا إنها كانت تملك أكثر مما حازته جميع الكنائس والأديرة المنتشرة في حدود المملكة، فلا بد أنها كانت تستطيع إعداد خمسمائة سرجندي. أما بعد معركة حطين فقد اختلف الأمر، إذ فقد رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة معظم أملاكهم، بسبب استعادة السلطان صلاح الدين الأيوبي لمعظم الأملاك والإقطاعات التي كانت تابعة لكنيسة القيامة. وبناء على ما سبق فإن رجال الدين اللاتين لا يستطيعون تجنيد خمسمائة سرجندي، على الرغم من أنهم حصلوا على بعض الإقطاعات الجديدة في عكا وقبرص. ومن المحتمل أن جان دبلين قد أشار إلى عدد السرجنديّة الذين كانت تقدمهم كنيسة القيامة قبيل معركة حطين، على الرغم من أنه دون كتابه في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري.

ومن غير المعتقد أن بطريك بيت المقدس، استمر في تقديم خمسمائة سرجندي للجيش الملكي، أي نفس العدد الذي كان يقدمه في الفترة السابقة على معركة حطين<sup>(٨٢)</sup>، ولعل ذلك يرجع لنفس الأسباب التي تحدثنا عنها بخصوص كنيسة القيامة. وعلى العموم فقد استمرت الكنائس والأسقفيات والأديرة في مملكة بيت المقدس الاسمية، في تقديم خدمات السرجنديّة للاشتراك بهم إلى جانب الجيش الملكي وقت الحرب. وليس من شك أن عملية تجنيد الفرسان السرجنديّة كانت تثقل كاهل رجال الدين، ولذلك فإننا



نعتبر أن النفقات على إعداد السرجندية والفرسان كانت من التأثيرات التي تؤثر سلباً على الإقطاعات الكنسية وتحد من نموها، وربما يؤدي استمرار ذلك إلى إفلاس خزائن الأسقفيات والأديرة والكنائس الواقعة داخل حدود مملكة بيت المقدس الاسمية.

وعلاوة على ما سبق تأثرت الكنيسة اللاتينية بالحروب التي خاضها الصليبيون ضد المسلمين، ففي عام ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ تحالف الصليبيون مع الأيوبيين في الشام لصالح نجم الدين وجموع الخوارزمية، إذ بادر الناصر داود بحشد قواته في مدينة نابلس وعهد بقيادتها إلى الوزير نائبه في المدينة والظهير سنقر الحلبي، بينما لم يشترك الناصر في قيادة هذه القوات وإنما عاد إلى الكرك<sup>(٨٣)</sup>، وفي حمص جهز المنصور إبراهيم قواته وتوجه إلى دمشق حيث اجتمع بالصالح إسماعيل الذي عهد إليه بقيادة قواته، بينما أقام هو في مدينة دمشق<sup>(٨٤)</sup>. وقد احتشد فرسان الداوية والاسبتارية في مدينة عكا، إضافة أي حشد كبير من أمراء الصليبيين، وكبار رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الاسمية<sup>(٨٥)</sup>. وقد تحركت القوات المتحالفة صوب مدينة عكا<sup>(٨٦)</sup> وتجمعت هناك مع القوات الصليبية في بداية شهر أكتوبر عام ١٢٤٤م / أواخر ربيع الثاني عام ٦٤٢هـ<sup>(٨٧)</sup>. وكان الصالح نجم الدين أيوب قد أرسل مجموعة من قواته إلى غزة وعهد بقيادتها إلى مملوكه ركن الدين بيبرس، كما أنه قام بمراسلة الخوارزمية وبعث إليهم الأموال ومجموعة الهدايا المختلفة لمساعدته ضد القوات الصليبية الأيوبية المتحالفة، فحضروا إلى غزة وانضموا إلى قوات الصالح نجم الدين أيوب المتمركزة بالقرب من مدينة غزة<sup>(٨٨)</sup>.

وشرعت القوات الصليبية الأيوبية في الزحف جنوباً صوب غزة في الرابع من أكتوبر عام ١٢٤٤م / الثلاثين من ربيع الآخر عام ٦٤٢هـ، وعبرت في طريقها على مدينة قيسارية ومدينة يافا زاحفة تجاه غزة حيث تجتمع القوات المصرية الخوارزمية<sup>(٨٩)</sup>، وفي السابع عشر من من أكتوبر عام ١٢٤٤م / الثالث عشر من جمادى الأول عام ٦٤٢هـ، نشب القتال بين الجيش المصري ومعه جموع الخوارزمية وبين القوات المتحالفة عند قرية هربيا الواقعة إلى الشمال من غزة، وتمكن المصريون ومعهم جموع الخوارزمية من إنزال هزيمة ساحقة بالأيوبيين والصليبيين المتحالف معهم عند قرية هربيا<sup>(٩٠)</sup>. وقتل عدد كبير من الصليبيين في المعركة<sup>(٩١)</sup>، من بينهم مقدم الداوية ورئيس أساقفة صور، ورئيس وأسقف اللد والرملة ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط إلى جانب العديد من رجال الدين والأمراء اللاتين<sup>(٩٢)</sup>، وقد أسر في هذه المعركة نحو ثمانمائة منهم اقتيدوا إلى القاهرة<sup>(٩٣)</sup>، وشبه المؤرخون هذه المعركة بحطين نتيجة للكارثة التي حلت بالصليبيين في هذه المعركة<sup>(٩٤)</sup>، وأطلق عليها المؤرخون معركة حطين الثانية<sup>(٩٥)</sup>.

يتضح من خلال استعراضنا لأحداث معركة هربيا - الواقعة بالقرب من



غزة- أن كبار رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الاسمية، اشتركوا في القتال إلى جانب القوات الأيوبية الصليبية المتحالفة ولا بد أن رجال الدين اللاتين قدموا الفرسان السرجندية للاشتراك في المعركة، اعتماداً على اشتراك رئيس أساقفة صور، وأسقف اللد ورئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، فهؤلاء الثلاثة كانوا يقدمون أربعمئة وخمسين سرجندياً، مائة وخمسين من دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ومائتين من اللد ومائة من صور<sup>(٩٦)</sup>، هذا إلى جانب ما قدمته الكنائس والأديرة الأخرى. ويمكننا أن نطلع بنتيجة من خلال حجم الخسائر التي تعرضت لها القوات الصليبية الأيوبية المتحالفة، أن رجال الدين اللاتين تعرضوا لكثير من الخسائر أثناء المعركة هذا إلى جانب مقتل بعض كبار رجال الدين.

ونعتقد أن الخسائر التي لحقت برجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الاسمية، لا يمكن أن نعتبرها بأي حال من الأحوال كنتيجة للتأثيرات السلبية للعوامل الخارجية على الإقطاعات الكنسية وذلك بسبب بسيط جداً، وهو أن الإقطاعات لم تتعرض للغارات الإسلامية خلال تلك الفترة. وليس من شك في أن ما أصاب رجال الدين اللاتين من خسائر، إنما يرجع إلى تأثير العامل الداخلي السلبي.

أما فيما يتعلق بالتأثيرات السلبية على الإقطاعات والأملوك الكنسية، الناتجة بسبب العامل الخارجي فتتمثل بالغارات الإسلامية على جميع البلاد والمعاقل الصليبية. فعلى سبيل المثال قام الملك المعظم عيسى بإعداد قواته وتجهيزها، وتوجه صوب عكا، حيث هاجم جميع المعاقل الواقعة حولها، دون أن يتجاسر الصليبيون على الخروج من المدينة. وبعد عدة أيام من الغارات المتواصلة، قتل المسلمون خلالها بعضاً من الصليبيين وأسروا البعض الآخر، وفي طريق العودة عرج الملك المعظم عيسى على جبل الطور (طابور) المطل على مدينة الناصرة وشرع في عمارته. وقد تم كل ذلك في عام ١٢١١م/ ٦٠٧هـ<sup>(٩٧)</sup>. ولا نريد أن نطيل الحديث عن الغارات التي تعرضت لها الإقطاعات الكنسية والمعاقل الصليبية في مملكة بيت المقدس الصليبية الاسمية، لأن ذلك من شأنه أن يطغى على الموضوع، الأمر الذي يبعدنا عن الوصول إلى هدفنا المنشود. وما نود أن نشير إليه أن الإقطاعات والأملوك الكنسية كانت تتأثر بالغارات الإسلامية شأنها في ذلك بقية المعاقل الصليبية في بلاد الشام. وبطبيعة الحال كان سكان الإقطاعات الكنسية يتعرضون للقتل والسلب إلى جانب التدمير والحرائق التي كان يحدثها المسلمون أثناء غاراتهم على المعاقل الصليبية.

وتجدر الإشارة إلى أن الوجود الصليبي في بلاد الشام أخذ يتضاءل بالتدريج زمن أيام السلاطين المماليك وخاصة زمن السلطان الظاهر بيبرس الذي استطاع



استرداد الكثير من البلاد وطرده الصليبيين منها، ففي عام ١٢٦٢م / ٦٦٠هـ تمكن من فتح منطقة دير جبل طابور<sup>(٩٨)</sup> وفي مارس عام ١٢٦٥م / جمادي الأولى عام ٦٦٤هـ تمكن السلطان الظاهر بيبرس في فرض سيادته على قيسارية، حيث اقتحمها بالقوة، بعد أن تحصن سكانها الصليبيون «بقلعتها المسماة بالخضراء»، وهي قلعة حصينة إلى الغاية فنصب عليها السلطان المجانيق وتمكن من فتحها في يوم السبت الموافق السابع عشر من جمادي الأولى عام ٦٦٣هـ / السابع من مارس عام ١٢٦٥م<sup>(٩٩)</sup>، وفي يوم الثلاثاء الموافق الثالث من رجب عام ٦٦٣هـ / الحادي والعشرين من أبريل عام ١٢٦٥م تمكن الظاهر بيبرس من فرض سيادته على مدينة أرسوف<sup>(١٠٠)</sup>. وقد قام الظاهر بيبرس بالاستيلاء على جميع المناطق الواقعة في حدود قيسارية وأرسوف.

وبطبيعة الحال انحسرت الإقطاعات والأملاك الكنسية في عهد الظاهر بيبرس احساراً كبيراً، فالاستيلاء على جبل طابور وإقطاعية قيسارية يعني تقويض السلطة الكنسية في المنطقة، خاصة بعد استرداد المسلمين لقيسارية التي كانت من المراكز الأسقفية اللاتينية الهامة في الأراضي المقدسة. ولا شك أن رهبان دير جبل طابور اللاتين قد فقدوا جميعهم أملاكهم الواقعة في المنطقة بعد قيام الظاهر بيبرس بالاستيلاء عليها.

ومهما يكن من أمر فقد استمر السلطان بيبرس في جهوده الرامية إلى استرداد الأراضي المقدسة من الصليبيين، وتكللت جهوده باستعادة العديد من المدن والقلاع لعل أهمها: أنطاكية ويافا وصفد وبغراس وحصن الأكراد وحصن عكار والقرين فضلاً عن قيسارية وأرسوف<sup>(١٠١)</sup>. وحاول السلطان فتح مدينتي عكا وطرابلس إلا أنه لم يتمكن من ذلك، وقد استمر في جهاده للصليبيين حتى وافته المنية في شهر يونية عام ١٢٧٧م / محرم عام ٦٧٦هـ<sup>(١٠٢)</sup>.

ونتيجة لاستمرار الهجمات الإسلامية على الإقطاعات والأملاك الكنسية وبقية المعاقل الصليبية اضطر حكام عكا وصيدا وعتليت إلى توقيع الهدنة مع السلطان المنصور سيف الدين قلاوون في الخامس من ربيع الأول عام ٦٨٢هـ / أول من أغسطس عام ١٢٨٣م<sup>(١٠٣)</sup>، وبموجبها يحق لسكان بلاد السلطان المنصور قلاوون سيف الدين قلاوون بالسفر عن طريق البر أو البحر بأمان ودون أن يتعرضوا لمضايقات الصليبيين، كما يحق للتجار والعلماء بالسفر والتجارة عبر البلاد الواقعة تحت السيطرة الصليبية دون أن يكون هناك أية اعتراضات من الجانب الصليبي، وهذا يجري أيضاً على الصليبيين الذين يعبرون البلاد الإسلامية إلى المعاقل الصليبية أو الذين يأتون لزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين مثل بيت المقدس وبيت لحم والناصرة<sup>(١٠٤)</sup>. ولهذا فلم يكن مستغرباً رؤية الحجاج والتجار وغيرهم في مدن نابلس والخليل وغزة إلى ما غير ذلك من البلاد الإسلامية التابعة لحكم المنصور سيف الدين قلاوون.



ولم يلبث السلطان قلاوون أن توفي في ذي القعدة عام ٦٨٩هـ/ نوفمبر عام ١٢٩٠م تولى ابنه الأشرف صلاح الدين خليل أمر البلاد<sup>(١٠٥)</sup>. وتمكن من طرد الصليبيين نهائياً من بلاد الشام فقد استطاع أن يفتح عكا وصيدا عام ٦٩٠هـ ١٢٩١م<sup>(١٠٦)</sup>، وبهذا كانت نهاية الصليبيين في بلاد الشام على يد الأشرف صلاح الدين خليل.

يتضح من خلال حديثنا عن حركة الجهاد الإسلامية أنها أدت إلى تفويض دعائم الكيان الصليبي في بلاد الشام وفلسطين، ويلاحظ أيضاً أن مناطق الكنيسة اللاتينية كانت تتراجع باستمرار، وقد لعب السلطان الظاهر بيبرس دوراً هاماً في تقليص نفوذ الكنيسة اللاتينية في الأراضي المقدسة. واستطاع الأشرف خليل بن السلطان قلاوون إنهاء النفوذ الصليبي في بلاد الشام عام ١٢٩١م/ ٦٩٠هـ بعد أن فتح مدينة صور وخربها، كما استرد عتليت وحيفا واسكندريه (اسكندرونة) وصيدا وبيروت وجبيل وصرفند في مدة سبعة وأربعين يوماً<sup>(١٠٧)</sup>. ويلاحظ أن الأشرف خليل استرد البلاد الإسلامية وهاجم المعقل الصليبي قبل انقضاء أمد المعاهدة التي وقعها والده مع الصليبيين في عكا وصيدا وعتليت، على الرغم من أن أمد المعاهدة لم ينته بعد.

وبعد الحديث عن الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية، وعن أهم التأثيرات الإيجابية والسلبية على الإقطاعات والأملاك الكنسية خلال الفترة الواقعة بين عامي ١١٨٧-١٢٩١م/ ٥٨٣-٦٩٠هـ، لا بد لنا من إجراء بعض المقارنات حتى نتعرف على الفروق بين أوضاع الإقطاعات الكنسية في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة وأوضاعها عقب معركة حطين، حتى تكتمل الصورة وتوضح أكثر، خاصة أن الإقطاعات الكنسية لم تكن واضحة تمام الوضوح في عهد المملكة الثانية.

وفي مجال المقارنة بين الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، وبين الإقطاعات الكنسية في القرن الثالث عشر الميلادي- السابع الهجري، ونقول إن الكنيسة اللاتينية حصلت على العديد من الإقطاعات في القرن الثاني عشر الميلادي وقد تعددت مصادر هذه الإقطاعات، إذ كان ملوك وأمراء بيت المقدس ورجال الدين اللاتين وأفراد الطبقة البرجوازية يغدقون المنح والإقطاعات على الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية بسخاء وافر، هذا إلى جانب أن ملوك وأمراء المملكة كانوا يقومون باستمرار بتأكيد المنح والإقطاعات التي قدمها أسلافهم للكنائس والأديرة، أما بالنسبة للإقطاعات الكنسية في القرن الثالث عشر فلم تكن واضحة تمام الوضوح، إضافة إلى أن ملوك وأمراء بيت المقدس الاسمية لم يهتموا بإغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة، ربما بسبب انشغالهم في الحروب ضد المسلمين، هذا فضلاً عن ضيق حدود المملكة. وعلاوة على ذلك لم يهتم ملوك وأمراء المملكة بالتأكيد على



أملاك الكنائس والأديرة وإذا حدث وأن قام أحد ملوك أو أمراء المملكة بإعطاء منحة للكنيسة، فكانت هذه المنحة لا تتجاوز قطعة أرض أو منزل أو عدة منازل ولعل هذا الكلام يوضح الفارق الأول بين حجم الإقطاعات الكنسية في المملكة الصليبية الأولى وحجمها في المملكة اللاتينية، كذلك يتضح أن ملوك بيت المقدس الأوائل أبدوا اهتماماً كبيراً بالكنيسة اللاتينية وذلك عن طريق التأكيدات المستمرة على أملاك الكنائس والأديرة، ولم يبد ملوك مملكة بيت المقدس الاسمية أي اهتمام بهذا الأمر.

وقد بدا واضحاً أن رجال الدين اللاتين في عهد المملكة الأولى استغلوا أملاكهم وإقطاعاتهم استغلال جيداً، عن طريق التدبير الحريص لكل ما كانوا يملكونه من أموال وإقطاعات فعلى سبيل المثال اهتموا بالأراضي الزراعية ووضعوا الأبراج لحراستها، كما قاموا بإنشاء القنوات لريها، هذا إلى جانب أنهم حصلوا على التوسع في بعض المزارعات التي تدر عليهم أرباحاً وفيرة، ولم تحدث مثل هذه الأمور في الإقطاعات الكنسية في القرن الثالث عشر الميلادي، بل على العكس من ذلك فقد وجدنا رجال الدين يقومون بتأجير الأراضي والإقطاعات لجماعات الهيئات الدينية المحاربة مقابل مبالغ تدفع سنوياً، ويمكن أن تكون قابلة للتقسيط، أي أن بدل الإيجار يمكن أن يدفع على مراحل. وعلى الرغم من أن رجال الدين اللاتين في عهد المملكة الأولى كانوا يقومون بتأجير الأراضي للمستوطنين الأوروبيين، مقابل دفع نسبة معينة من المحصول الذي تدره الأراضي المؤجرة، هذا إلى جانب أنهم كانوا يضعون المشرفين على الأراضي الزراعية من أجل إرشاد المزارعين. وأنذار المهملين منهم بانتزاع ما بحوزتهم من أراض إذا استمروا في إهمالهم وعدم اهتمامهم بالأرض الممنوحة لهم.

كذلك كان رجال الدين اللاتين في عهد المملكة الأولى، يقومون بجباية ضرائب العشر كاملة سواء من السادة الإقطاعيين أو من المستوطنين الأوروبيين المقيمين في الإقطاعات الكنسية، لدرجة أن بعض الأديرة اللاتينية، قامت بفرض ضرائب العشر على أملاك بعض الأديرة الأخرى. ولم تتضح مثل هذه الأمور في مملكة بيت المقدس الاسمية، إذ امتنع بعض اللاتين عن دفع ضريبة العشر، وأصرروا على دفع نصف العشر، الأمر الذي يشير إلى تراجع الدخل الذي كان يذهب إلى خزائن الكنائس والأديرة والأسقفيات. وهذا لم يحدث في عهد المملكة الأولى.

ونود أن نشير إلى أن حدود الكنيسة اللاتينية في القرن الثاني عشر، كانت ثابتة ولم تتغير إلا بعد معركة حطين. أما بالنسبة لحدود الكنيسة



اللاتينية في القرن الثالث عشر ، فلم تكن ثابتة وغلبت عليها صفة التغيير المستمر . وقد اتضح من خلال إشارتنا لبعض معاهدات الصلح أن حدود الكنيسة اللاتينية كانت تتسع تبعاً لما كانت تنص عليه المعاهدة . غير أن الحدود الكنسية لم تستقر على أي حال من الأحوال خلال عهد المملكة الصليبية الثانية ، ولعل ذلك يرجع إلى استمرار الحروب بين الصليبيين والمسلمين ، وإصرار المسلمين على استرداد أراضيهم من الغاصبين .

وقد اتضح أن رجال الدين اللاتين في عهد المملكة الأولى عملوا على استقطاب المستوطنين من مختلف المناطق في الأراضي المقدسة ، هذا إلى جانب أنهم قدموا للمستوطنين الغربيين جميع الإغراءات من أجل حثهم على القدوم إلى المستوطنات والإقطاعات الكنسية . ولم نلاحظ مثل هذه الأمور في الإقطاعات الكنسية خلال القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري ، غير أننا نرجح وجود المستوطنين الأوروبيين في الإقطاعات التابعة للأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية ، تلك الإقطاعات التي لم يجبر تأجيرها للهيئات الرهبانية المحاربة ، لأنه ليس من المعقول أن يقوم رجال الدين اللاتين بتأجير كل أملاكهم ، دون الاحتفاظ بجزء منها . من أجل استغلالها في الأمور الزراعية ، وإن كان ذلك على نطاق ضيق ، لأن المصادر وسجلات الكنائس والأديرة لم تمدنا بما يفيد عكس ذلك . ولا يعني عدم اهتمام رجال الدين اللاتين بأمور الزراعة في القرن الثالث عشر الميلادي ، إن الأراضي الزراعية تركت دون العمل على زراعتها ، فبعض الأملاك والأراضي تم تأجيرها ، أما البعض الآخر فلا بد أنه استغل من قبل المستوطنين الأوروبيين أو من سكان البلاد الأصلية سواء كانوا من المسلمين أو من المسيحيين الشرقيين ، مقابل دفع نسبة معينة على ما تنتجه الأراضي الزراعية من عائدات ، سواء من الحبوب أو من البقول أو من الخضروات أو من الأشجار المثمرة .

ويبدو أن رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الاسمية لم يلجأوا إلى شراء القرى والأراضي ومختلف أنواع العقارات ، ربما بسبب تضاعف نسبة الدخل الذي كان يذهب إلى خزائن الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية . ولم تمدنا المصادر والوثائق والسجلات والعقود الصليبية بأية معلومات تفيد بغير ذلك ، بينما أفاضت الوثائق بالحديث عن الأراضي والعقارات المختلفة التي قام رجال الدين اللاتين بشرائها في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري .

ويلاحظ أن الإقطاعات الكنسية في فترة المملكة الأولى كانت تدر على رجال الدين اللاتين ربحاً كبيراً نتيجة للتوسع بزراعة الأشجار المثمرة التي يعتمد عليها في الصناعة ، كأشجار الكرمة التي يعتبر



محصولها المادة الخام لصناعة النبيذ . وبطبيعة الحال كانت زراعة أشجار الكرم قائمة في الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية ، ولكن ليس بالحجم الذي كانت عليه في القرن الثاني عشر / السادس الهجري .

وبطبيعة الحال فإن النظم الاحتكارية التي طبقت في الإقطاعات الكنسية في الفترة الواقعة منذ عام ١٠٩٩-١١٨٧ م / ٤٩٢-٥٨٣ هـ ، كانت قائمة في الإقطاعات الكنسية في القرن الثالث عشر الميلادي وهذا يعني أن رجال الدين اللاتين قاموا باحتكار بعض المرافق في القرى والبلاد التابعة لهم . ولا بد أن المزارعين سواء من الصليبيين أو من سكان البلاد الأصليين كانوا يستعملون المخازن والطواحين والحمامات التي تعود ملكيتها لرجال الدين اللاتين ، مقابل دفع نسبة معينة عن الأرغفة التي يتم خبزها في المخبز ، أو كمية من الدقيق مقابل استعمال الطاحونة ، وإلي ما شابه ذلك من نظم احتكارية أخرى .

وليس من شك في أن الكنيسة اللاتينية كانت تعاني من أزمة مالية عالية في الفترة الواقعة بين عامي ١١١٨٧-١٢٩١ م / ٥٨٣-٦٩٠ هـ ، ولعل ذلك يرجع إلى انحسار الإقطاعات الكنسية بعد معركة حطين انحساراً شديداً ، هذا إلى جانب أن المنح والهبات التي كانت تقدم للكنائس والأديرة كانت قليلة جداً ، وتكاد تكون غير موجودة . وعلاوة على كل ذلك فإن دخل الكنيسة اللاتينية من ضريبة العشر كان قد تأثر تأثيراً كبيراً بسبب لجوء البعض إلى الامتناع عن دفع ضريبة العشر ، أو دفع نصف العشر . الأمر الذي يشير إلى زيادة مشاكل رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس الاسمية . وكل هذه الأمور لم تكن قائمة في فترة حكم ملوك بيت المقدس الأوائل ، وذلك لأن رجال الدين اللاتين حازوا على كثير من الإقطاعات النقدية والعينية إلى جانب أنهم كانوا قد استغلوا أملاكهم بشكل اقتصادي فعال مما جعل الثروة تتدفق بين أيديهم الأمر الذي يوضح أحوال وأوضاع رجال الدين اللاتين في الفترة السابقة لمعركة حطين ، وأحوالهم في عهد مملكة بيت المقدس الاسمية .

أما بخصوص التأثيرات السلبية على الإقطاعات الكنسية في المملكة الأولى والثانية فهي متقاربة جداً إذ تعرض رجال الدين اللاتين لكثير من الصعاب والمشاكل في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين ، وكانت هذه المشاكل والصعاب بسبب عوامل نابعة من داخل الكيان الصليبي ، وعوامل أخرى نتجة من خارج الكيان الصليبي ، وتتمثل هذه العوامل بالغارات الرسالامية المتكررة على



حدود المملكة الصليبية، وإلى جانب ذلك كان للعامل الطبيعي تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية وخاصة الزلازل والجفاف وتعرض البلاد لكثير من الآفات الزراعية مثل الجراد والفئران .

أما النقطة الهامة التي أود مناقشتها فتتعلق بتأثير العوامل الخارجية علي الإقطاعات الكنسية بشكل عام، وذلك حتى تتضح بعض الأمور أمامنا . أشرنا على مدى الفصول السابقة إلى أن العوامل الخارجية كانت تؤثر تأثيراً سلبياً على الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، وهذا أمر مفروغ منه، ولكن تأثير العوامل الخارجية على الإقطاعات الكنسية في القرن الثاني عشر الميلادي يختلف عن تأثيرها في القرن الثالث عشر وذلك بسبب بسيط وهو أن الإقطاعات الكنسية في القرن الثاني عشر كانت تتعرض لهجوم القوات الإسلامية التي كانت تقوم بتدمير كل ما تجده أمامها من أشياء - وقد أشرنا إلى الهجمات العديدة التي تعرضت لها الرملة واللد والبيرة والمناطق المحيطة ببيت المقدس في عهد المملكة الأولى - بمعنى أن المسلمين كانوا يلجأون إلى مهاجمة المعقل الصليبي، وتدمير وإحراق المزارع، وقتل أو أسر من يصادفهم من الصليبيين، دون العمل على استرداد المناطق والبلاد الإسلامية من الصليبيين، منذ بداية الحكم الصليبي وحتى معركة حطين . أما بعد ذلك فإن تأثير الهجمات الإسلامية على الإقطاعات الكنسية كان تأثيراً كبيراً، ويتمثل ذلك في انحسار الإقطاعات وانتهائها إلى غير رجعة . فعلى سبيل المثال استرد الظاهر بيبرس منطقة قيسارية من الصليبيين، وكانت هذه المنطقة تشكل مركزاً أسقفياً لاتينياً، وقيام المسلمين باسترداد المنطقة يعني القضاء على المركز الأسقفي اللاتيني وطرد الصليبيين منه وتقلص النفوذ الكنسي في المنطقة . الأمر الذي يجعلنا خرج بنتيجة مفادها أن الغارات الإسلامية على الإقطاعات الكنسية في الفترة الواقعة بين عامي ١٠٩٩-١١٨٧ م / ٤٩٢-٥٨٣ هـ كانت تؤدي إلى إرباك العدو وإلحاق أكبر قدر من الخسائر به، أما بالنسبة لتأثير العامل الخارجي والغارات الإسلامية على الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية فكانت تؤدي إلى انحسار الإقطاعات الكنسية وعودة البلاد إلى أصحابها الأصليين .

وإلى جانب ما ذكرنا من الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية، لا بد لنا من الإشارة إلى أن أوضاع الإقطاعات الكنسية بعد معركة حطين كانت غامضة بسبب استرداد المسلمين لمعظم البلاد التي كانت خاضعة للحكم الصليبي . وقد استمرت



فترة الغموض هذه نحو خمس سنوات أي في الفترة الواقعة بن عامي ١١٨٧-١١٩٢م / ٥٨٣-٥٨٨هـ . ولم تتضح الأمور بالنسبة للكنيسة اللاتينية بشكل عام والإقطاعات الكنسية بصورة خاصة إلا بعد توقيع معاهدة الرملة عام ١١٩٢م / ٥٨٨هـ بين السلطان صلاح الدين الأيوبي والملك ريتشارد قلب الأسد، وما ترتب على المعاهدة من نتائج كانت في صالح الجانب الصليبي، إذ تنازل السلطان صلاح الدين للملك ريتشارد عن معظم البلاد الساحلية للصليبيين، الأمر الذي دفع برجال الدين اللاتين إلى الشروع في إعادة تنظيم الكنيسة اللاتينية مرة أخرى .

وبطبيعة الحال بدأت الإقطاعات الكنسية تتضح بعد إعادة تنظيم الإقطاعات الكنسية، وقد بدأ واضحاً أن بعض الكنائس والأديرة احتفظت بالإقطاعات في المناطق التي أعيدت للصليبيين بمقتضى صلح الرملة . ولعل معاهدة يافا بين الملك الكامل محمد والامبراطور فريدريك الثاني قد أدت إلى زيادة نفوذ الكنيسة اللاتينية، إذ تنازل الملك الكامل محمد عن الكثير من البلاد والمدن للإمبراطور فريدريك، فقد حصل الصليبيون على مدن بيت المقدس وبيت لحم والناصرية واللد والرملة، مما يشير إلى أن الكنيسة اللاتينية، استعادت نفوذها الكنسي وسلطانها القضائي على ثلاث أسقفيات من ضمن الأسقفيات التي كانت تتبع بطريركية بيت المقدس اللاتينية قبيل معركة حطين عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ، هذا إلى جانب أن المعاهدة نصت على قيام هدنة بين المسلمين والصليبيين مدتها عشر سنوات .

ولا بد لنا من التعرض لنقطة هامة فيما يتعلق بمملكة بيت المقدس الاسمية بصورة عامة والإقطاعات الكنسية بصورة خاصة وهذه النقطة تتعلق بقيام الهيئات الدينية باستغلال الأراضي الزراعية في المملكة بشكل كبير، لدرجة أنها كانت تقوم باستئجار الأراضي الزراعية من الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية المنتشرة داخل حدود مملكة بيت المقدس الاسمية، إلى جانب القيام باستئجار بعض الأراضي الزراعية من الأديرة والكنائس الواقعة في المناطق الخاضعة للنفوذ الإسلامي . وكان البطريرك وكبار رجال الدين اللاتين في بطريركية بيت المقدس الاسمية يوقعون عقود الإيجار مع الهيئات الرهبانية المحاربة نيابة عن رجال الدين المقيمين في الكنائس والأديرة الواقعة في المناطق الخاضعة للسيادة الاسمية .

وإن جاز لنا إجراء مقارنة بين ما امتلكته الهيئات الرهبانية المحاربة من ممتلكات في مملكة بيت المقدس الاسمية، نستطيع القول أن هذه



الهيئات والمؤسسات الرهبانية وجميع الفرسان ورجال الدين العاملين منها، قاموا بنفس ما قام به رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة خلال القرن الثاني عشر الميلادي، فقد سبق أن أشرنا إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قاموا بإنشاء المستوطنات الكنسية وتوسعوا بزراعة بعض الأشجار المثمرة مثل أشجار الكرمة وأشجار الزيتون، ونفس الشيء ينطبق على جماعة الرهبان المحاربة الذين اهتموا بزراعة قصب السكر بسبب ما تدره هذه الزراعة من أرباح على المشتغلين بها، كما أنهم فكروا بتحويل بعض الأراضي المخصصة لزراعة الحبوب إلى أراض تختص بزراعة قصب السكر. وهذا يجعلنا نقول أن الجماعات الرهبانية المحاربة في مملكة بيت المقدس الاسمية قامت بما كانت تقوم به كنيسة القيامة في عهد المملكة الأولى.

وقد ذكرت إحدى الوثائق الخاصة بفرسان التيوتون أنهم اهتموا بزراعة الزيتون والقطن والحبوب والسكر والبقول، كما أن المزارعين الذين يعملون في الأراضي التابعة للهيئة كانوا يولون عناية تامة بتربية الدواجن والطيور. كذلك أشارت الوثيقة إلى وجود صناعة استخراج زيت الزيتون وصناعة النبيذ في المناطق الخاضعة لنفوذ فرسان التيوتون<sup>(١٠٨)</sup>. مما يؤكد أن الجماعات الرهبانية المحاربة امتلكت الكثير من الأراضي في مملكة بيت المقدس الاسمية وقام المسؤولون عنها باستغلال هذه الأراضي على أكمل وجه.

وفي ختام حديثنا عن الإقطاعات الكنسية في مملكة بيت المقدس الاسمية نستطيع القول إنها كانت قليلة جداً، هذا إلى جانب أن العديد من الأساقفة وكبار رجال الدين اللاتين قاموا بتأجير أراضيهم إلى الهيئات الرهبانية المحاربة، الأمر الذي يقودنا إلى القول إن معظم الإقطاعات الصليبية في الأراضي المقدسة في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري كانت إقطاعات خاصة بالهيئات الدينية المحاربة.



## هوامش الفصل الرابع

- 1) Radulphus de Coggeshall, *Chronican Anglicanum* in R. H. G. F. , tomr XVII, p. 60. Ex *Bendicti Petrobord gensis*, in R. H. G. F. , vol. XVII, p. 481.  
ابن شداد: المصدر السابق، ص ٧٩-٨٤. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١١، ص ٥٤٠٥٣٨. البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٢٩٩-٣٠٣. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٢٠١. أبو شامة: الروضتين في أخبار الدوبتين، ج ٢، ص ٨٨، ٩١.
- 2) ابن شداد: المصدر السابق، ص ٨١، ٨٤. البنداري: المصدر السابق، ص ٣١١. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٦. الحنبلي: شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بغداد ١٩٧٩م، ص ١٤٥-١٤٩.
- Estoire d'Eracles, p. 91. Roger of Wendover, *Flowers History*, vol. 2, p. 61.
- 3) Baldwin, M. , the decline and the fall of Jerusalem, in Setton vol. 1, p. 620.
- 4) البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٣٠٣. أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ٨٩.
- 5) المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة.
- 6) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٩٥.
- 7) Geneviève, B.B. , Actes Nos. 30-31, pp. 92-95.
- 8) سنا البرق الشامي، ص ٣٠٣.
- 9) الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ١٣٤. أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ٩٦.
- 10) المصدر السابق، ج ٢، ص ٩٨.
- 11) معجم البلدان، ج ١، ص ٥٢٦.
- Cf. also: Benvenisti, M. , p. 124. Pringle, D. , p. 148.
- 12) Benvenisti, M. , p. 125.
- 13) Ibid. , loc. cit.
- 14) Kohler, Ch. Rigistre, fol. 222, p. 113.
- 15) Estoire d'Eracles, pp. 125-126. Ernoul, pp. 358-359. Stenenson, W. , pp. 260-261. King, p. 137.
- 16) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٦٦-٦٧. ابن الوردي: تنمة المختصر في أخبار البشر، ج ٢، ص ١٥٤-١٥٥. السلامي: مختصر التواريخ، ورقة ٣٠٩-٣١١.
- Ernoul, pp. 267-276. Cf. also: Stevenson, W. , pp. 262-263. King, pp. 137-146.
- 17) Estoire d'Eracle, pp. 156, 170. Geffrey de Vinsof, *Chranicales of the Crusades, Itinerary of Richard and others to the Holy Land*, London 1848, p. 200. Cf. also: Stevenson, W. , pp. 267-269. Grousset, R. , vol. 3, p. 55. King, pp. 142, 147.
- 18) Ernoul, p. 266.
- 19) العماد الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٦٠٥، ٦٠٨. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٤٠٣. أبو شامة: كتاب الروضتين في، ج ٢، ص ٢٠٣. الحنبلي: شفاء اقلوب، ص ١٧٧.
- 23) Ernoul, pp. 292-294. Cf. also: Iorga, N. , pp. 136-137. Stevenson, W. , p. 286. Mayer, H. F. , p. 146.
- 20) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص ٦٠٥، ٦٠٨.
- Cf. also: Stevenson, W. , p. 286.
- ذكر بعض المؤرخين أن السلطان صلاح الدين الأيوبي وريتشارد قلب الأسد، اتفقا على أن تكون مدة الهدنة



ثلاث سنوات وثلاثة أشهر. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٤٠٤. أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ٢٠٣. الحنبلي: شفاء القلوب، ص ١٧٧.

Cf. also: Stevenson, W., p. 286.

(21) الفتح القسي في الفتح القدسي، ص ٦٠٥.

(22) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٦٩. أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ١٩٢.

(23) الحنبلي: شفاء القلوب، ص ١٧٢.

ذكر أبو شامة أن السلطان صلاح الدين خرب بعض القرى الكبيرة الواقعة بالقرب من يافا مثل بازور وبيت دجن. انظر: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ٢٠٢.

(24) Enlart, C., tome II, pp. 284-285. Benvenisti, M., p. 165.

(25) العماد الأصفهاني: الفتح القسي في، ص ١٤٥.

(26) الروضتين في أخبار الدولتين، ج ٢، ص ٩٩.

(27) Richard, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, vol. 1, p. 261.

(28) العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص ١٣٥.

(29) Richard, G., op. cit., loc. cit.

(30) Smail, R.C., Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 77.

(31) توفي البطريك هرقل عام ١١٩١م / ٥٨٧هـ.

أما رالف أسقف بيت لحم فقد أسره السلطان صلاح الدين الأيوبي وتوفي في السجن عام ١١٩٤م / ٥٩٠هـ. Cf. Estoire d'Eracles, pp. 194, 196.

(32) عمري الراهب: تولى رئاسة أساقفة قيسارية عام ١١٨٠م / ٥٧٦هـ، أي أنه خلف البطريك هرقل في منصب رئاسة أسقفية قيسارية. كما أنه تولى منصب البطريكية بعد وفاة البطريك هرقل.

(33) Estoire d'Eracles, pp. 203-205. Cf. also: Runciman, S., Vol. 3, p. 83. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 2, p. 261. Hamilton, B., p. 244.

(34) ابن الأثير: الكامل، ج ١٢، ص ١٢٦-١٢٧. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٣، ص ٩٣. العمري: مسالك الأبصار، ج ٢٧، ق ٢، ورقة ١٢٦. الذهبي: دول الإسلام، ج ٢، ص ١٠٤. أبو اليمن العليمي: الانس الجليل، ج ١، ص ٣٩٨.

Estoire d'Eracles, pp. 218-219. Cf. also: Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, vol. 1, p. 261. Stevenson, W., p. 294. King, pp. 166.

(35) Grousset, R., vol. 3, p. 307. King, p. 208. Stevenson, p. 312.

وصل الإمبراطور فريدريك الثاني إلى مدينة عكا في السابع من سبتمبر عام ١٢٢٨م / الخامس من شوال عام ٦٢٥هـ فيما عرف بالحملة الصليبية السادسة.

Cf. Estoire d'Eracles, o. 360. Wiegler, p. The Infidal Emperor and his Struggle against the Pope, London, 1930, p. 135. Roger of Wendover, Flowers History, vol. II, p. 511. Stevenston, W., p. 208.

(36) Estoire d'Eracles, p. 376. Stevenson, Loc. cit. Grousset, R., loc. cit.

(37) King, p. 208. Atiya, A.S., Crusade, Commerce and Culture,

ذكر ابن الأثير أن الصليبيين تسلموا بيت المقدس في بداية ربيع الآخر عام ٦٢٦هـ / أواخر فبراير عام ١٢٢٩م. انظر: الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٤٨٢.

وذكر بعض المؤرخين أن الصليبيين تسلموا بيت المقدس ومواضع يسيرة من البلاد بعد توقيع المعاهدة مع الملك الكامل محمد، وتم الاتفاق على أن يظل المسجد الأقصى وقبة الصخرة بأيدي المسلمين، وأن يسمح لهم بحرية ممارسة شعائهم الدينية، دون مضايقات من الجانب الصليبي. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، تحقيق: حسنين ربيع، القاهرة ١٩٧٢م، ص ٢٤١. ابن الوردي: تمة المختصر، ج ٢، ص ٢٢٢.

(38) Stevenson, W., p. 312. King, Loc. cit. Grousset, loc. cit.

(39) السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ١، ص ٢٦٨.



(40) الكامل في التاريخ، ج ١٢، ص ٢٦٨.

41) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 261.

42) Hamilton, B., p. 244.

ذكر هاملتون أن ثيوبالد كان رئيساً لكنيسة الناصرة الكتدرائية، وكانت أول إشارة له كرجل دين في عام ١١٧٤م/ ٥٧٠هـ، وقد انتخبه رجال الدين اللاتين ليكون أسقفاً لأسقفية عكا في السابع عشر من أغسطس عام ١١٩١م/ الرابع عشر من رجب عام ٥٨٧هـ.

Cf. Hamilton, B., Loc. cit.

43) Ibid., p. 247.

44) Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, pp. 224-225.

45) Beyer, G., Die kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, pp. 225-226.

(46) هيئة فرسان التوتون: تم إنشاء هذه الهيئة عقب معركة حطين، وعلى وجه التحديد بعد استيلاء الصليبيين على مينة عكا عام ١١٩١م/ ٥٨٨هـ. وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن إنشاء هذه الهيئة كان زمن حملة فريديريك بربروسا، وأضاف أنها كانت تعرف باسم هيئة فرسان القديس جورج. لكننا لا نعتقد ذلك لأن هيئة فرسان القديس جورج ظهرت قبل ذلك وكان مقرها الرئيس في أسقفية اللد.

Cf. Besant and Palmer, p. 280.

47) Strehlke, Doc. No. 86, pp. 68-69.

(48) تولى جيمس بتاليون منصب بطريرك بيت المقدس عام ١٢٥٥-١٢٦١م/ ٦٥٣-٦٦٠هـ.

49) Strehlke, Doc. No. 113, pp. 95-96.

(50) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ٢، ص ٨٦٣.

51) Strehlke, Doc. No. 73, pp. 457-458.

52) Richard, J., Agricultural Condition in the Crusader States, p. 259.

53) de Rozière, Doc. No. 18, p. 25.

54) Geneviève, B.B., Acte No. 179, pp. 336-337. de Rozière, Doc. No. 145, pp. 268-269. Beugnot, L., Charte No. 535. Migne, tomus 155, Doc. No. 145, Cols. 1256-1257.

55) Geneviève, B.B., Acte No. 178, pp. 335-336. de Rozière, Doc. No. 176, pp. 315-316. Jean d'Ibelin, Livre de Jean d'Ibelin in Assises de Jerusalem, tome 1, pp. 403-404. Migne, tomus 155, Doc. No. 176, Col. 1253.

56) de Rozière, Doc. No. 151, pp. 273-274.

57) Kohler, Ch., Registre, fol. 341, p. 183.

58) Hamilton, B., p. 290.

59) Rey, recherches, pp. 40-41.

60) Hamilton, B., p. 290. Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, p. 184.

61) de Mearsy, A., Doc. No. 37, pp. 154-155.

62) Ibid., Doc. No. 38, pp. 155-156.

63) Strehlke, Doc. No. 112, pp. 94.

64) Beyer, G., Die Kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, pp. 224-226.

65) Estoire d'Eracles, p. 369. Wiegler, P., the Infidel emperor, p. 135. Roger of Wendover, Flowers History, Vol. II, p. 511. Stevenson, W., p. 208.

(66) تولى فخر الدين بن شيخ الشيوخ أمر المفاوضات مع فريديريك الثاني نيابة عن الملك الكامل محمد. أنظر: ابن واصل: مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٤، ص ٢٤٢.

67) Roger of Wendover, Flowers History, Vol. II, p. 511. Wiegler, p. The Infidel Emperor, 135. Estoire d'Eracles, p. 370.



68) Ibid. , p. 371.

69) Grousset, R. , Vol. 3, p. 307. King, p. 208. Stevenson, W. , p. 312.

(70) مفرج الكروب، ج ٤، ص ٢٤١.

71) Rothelin, Cintinuation de Guillaume de Tyre dite du Manuscrite de Rothelin, Ed. , R. H.C. – H. Occ. Tome II, pp. 529-530. Cf. also: Stevenson, W. , p. 317. King, p. 223. Grusset, R. , Vol. 3, pp. 376. Benvenisti, M. , p. 48.

72) Stevenson, W. , p. 317. king, p. 223.

(73) ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٢٤٧.

(74) ابن واصل: المصدر السابق، نفس الجزء والصفحة. ابو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٦٥. المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٢٩١. ابو اليمن العليمي: الأنس الجليل، ج ٢، ص ٥.

Cf. also: Conder, p. 315. Stevenson, W. , 317.

(75) ابن واصل: المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٤٦. اليونيني: ذيل مرآة الزمان، ج ١، ص ١٤١. ابو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٦٥. ابو اليمن العليمي: المصدر السابق، ج ٢، ص ٥.

Cf. also: Conder, loc. cit.

76) Estoire d'Eracles, pp. 413-414. Conder, loc. cit. Stevenson, W. , loc. cit. King, loc. cit. Grousset, R. , Vol. 3, p. 372.

77) Estoire d'Eracles, pp. 413-414. Cf. also: Grousset, R. , Vol. 3, p. 372.

78) Joinville, Chronicles of the Crusades, trans by shaw, M. , R. B. , London 1980, p. 282.

(79) سبط بن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٤٧٧-٤٧٨. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ١٧٤.

80) Hamilton, B. , p. 288.

81) Jean d'Ibelin, p. 426.

82) Jean d'Ibelin, p. 426.

(83) سبط بن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ص ٧٤٦. المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٧.

(84) سبط بن الجوزي: المصدر السابق، ج ٨، ق ٢، ص ٧٤٥. أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٧٢. المقرئ: السلوك، ج ١، ق ١، ص ٣١٧.

85) Estoire d'Eracles, pp. 427-429. Cf. also: stevenson, W. , p. 232. King, p. 234. Grousset, R. , vol. 3, p. 415.

(86) ابن واصل: مفرج الكروب، ص ٣٣٣. أبو الفداء: المختصر، ج ٣، ص ١٧٢. المقرئ: السلوك: ج ١، ق ٢، ص ٣١٧. أشار سبط بن الخوري إلى أن القوات الصليبية الأيوبية المتحالفة اجتمعت في مدينة يافا. انظر: مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٧٤٦.

87) Stevenson, W. , p. 323.

(88) سبط بن الخوري: المصدر السابق، ج ٨، ق ٢، ص ٧٤٥. أبو الفداء، ج ٣، ص ١٧٢. ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٢٣٦-٢٣٧. ابن تغري برودي، ج ٦، ص ٣٢٣. المقرئ: ج ١، ق ٢، ص ٣١٦. Cf. also: Conder, p. 317. Stevenson, p. 323. King, p. 233. grousset, Vol. 3, p. 414.

ركن الدين بيبرس: كان من ممالك الصالح نجم الدين أيوب، ومن المقرئين إليه، وقد اعتقل معه في قلعة الكرك، وهو غير السلطان الظاهر بيبرس. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٣٧. وقد وصلت جموع الخوارزمية إلى غزة في صفر عام ٦٤٢هـ. انظر المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٦. الخوارزمية: ينتسب هؤلاء إلى خوارزم، وكان من ملك منهم مدينة يطلق عليه خوارزم شاه، وأشهر سلاطينهم علاء الدين محمد بن تكش الذي يعود نسبه إلى بلتيكين أحد ممالك السلطان الب ارسلان السلجوقي. وقد استولى علاء الدين هذا على خراسان وأصبهان والري وسمرقند وبخارى، وتعرضت بلاد الخوارزمية للغارات المتكررة من قبل التتار الذين استولوا على معظم بلادهم. وبعد وفاة علاء الدين خلفه في الحكم ابنه جلال الدين منكبرتي الذي



خاض عدة حروب ضد التار. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٤، حوادث عام ٦١٦هـ.  
(89) Addison, p. 169. King, p. 233. Grousset, R., vol. 3, p. 415.

(90) سبط بن الخوري: مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٧٤٦. ابن واصل: المصدر السابق، ج ٥، ص ٣٣٨.  
ابو الفداء: المصدر السابق، ج ٣، ص ١٧٢. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٢٣. المقرئ:  
السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٧.

Estoire d'Eracles, pp. 429-431. Rothelin, p. 563-565. Cf. also: Conder, pp. 317-318. Addison, p. 169. Stevenson, W., p. 323. King, pp. 233-234. Grousset, R., vol. 3, p. 415.

قرية هربيا: تقع إلى الشمال من غزة وتبعد عنها بضعة أميال، ذكرها المؤرخون الغربيون باسم فوريبا.  
Estoire d'Eracles, La Foribe pp. 309, 413. Grousset, R., vol. 3, p. 416.

(91) أشار المؤرخون المسلمون إلى أن المعركة وقعت بظاهر غزة حيث هزم المنصور صاحب حمص هزيمة قاسية «وأخذت سيوف المسلمين الفرنج فأفنوهم قتلاً وأسراً، ولم يفلت منهم إلا الشارد» وأسر أيضاً جماعة من المتقدمين من عساكر دمشق والكرك. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٥، ص ٣٣٨-٣٣٩. ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج ٦، ص ٣٢٣. وذكر المقرئ أن جموع الخوارزمية أحاطت بالفرنج «ووضعوا فيهم السيف حتى أتو عليهم قتلاً وأسراً» وبلغ عدد القتلى منهم ومن أهل اشام زيادة على ثلاثين ألف. تنظر: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٧.

(92) Addison, p. 169. Grousset, R., Vol. 3, p. 417.

(93) المقرئ: السلوك، ج ١، ق ٢، ص ٣١٧. من مقدمي الصليبيين الذين وقعوا في الأسر والتر برين Walter of Breienne كونت يافا ومقدم الاستبارية ووليم أمر قلعة هونين William Chateau neuf وتوماس هام Tomas Ham كند سطل طرابلس.

Cf. King, p. 234. Grousset, R., vol. 3, p. 417. Stevenson, W., p. 323.

(94) king, Loc. cit. Grousset, vol. 3, p. 416.

(95) Ibid, vol. 3, p. 417.

(96) Jean d'Ibelin, p. 424.

(97) سبط بن الخوري: مرآة الزمان، ج ٨، ق ٢، ص ٥٢٥. انظر أيضاً: محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٢، ص ٧٨.

(98) كان المسلمون قد تمكنوا من استرداد جبل طابور في عام ١١٨٧م / ٥٨٣هـ بعد معركة ضارية بين المسلمين والصليبيين، غير أن الصليبيين عادوا وسيطروا عليه مرة أخرى في عام ١٢٤١م / ٦٣٩هـ، وبسبب قرب منطقة جبل طابور من الحدود مع المسلمين، أصبح من الصعب على رهبان دير جبل طابور من الدفاع عنه بسبب تعدد محاولات استرجاعه، ومن أجل حمايته والدفاع عنه جرى منح المنطقة جميعها لفرسان الاستبارية وقد تم ذلك في عام ١٢٥٥م / ٦٥٣هـ. ولم يستطع فرسان الاستبارية الصمود أمام هجمات السلطان الظاهر بيبرس الذي تمكن من استعادة المنطقة في عام ١١٦٢م / ٦٦٠هـ.

Cf. Beyer, G., die kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea, p. 184.

(99) شافع بن علي: حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق د. عبد العزيز الخويطر. الرياض، ١٩٧٦م، ص ٨٨-٨٩. انظر أيضاً: بيبرس المنصور: التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق د. عبد الحميد صالح حمدان، المطبعة الدولية، القاهرة، ١٩٨٧م. العيني ص ٥٣: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، عصر سلاطين المماليك، تحقيق د. محمد أمين، القاهرة ١٩٨٧م / ١٤٠٧هـ، ص ٣٩٦-٣٩٧. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢-٥.

(100) شافع بن علي: حسن المناقب السرية، ص ٨٩-٩٠. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢-٥.

(101) أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ٢-٥.

(102) ابن عبد الظاهر: الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق د. عبد العزيز الخويطر، الطبعة الأولى، الرياض ١٩٧٦م، ص ٤٧٣. ابن عبد الظاهر: تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق د. مراد كامل، القاهرة ١٩٦١م، ص ٢٦٢. أبو الفداء: المختصر في أخبار البشر، ج ٤، ص ١٠.



- 103) ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ٣٥. ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، المجلد السابع، ص ٢٦٣. وقعت الهدنة بين المسلمين والصليبيين في ربيع الآخر عام ٦٨٢هـ، على أن تكون مدتها عشر سنين وعشرة أيام وعشر ساعات. وقد اعترف الصليبيون بالسيطرة الإسلامية على جميع البلاد التي تخضع لحكم السلطان قلاوون مثل حلب وبغراس وناבלس وأعمالها وحمص وأعمالها وبيت المقدس وأعمالها... إلخ. انظر: ابن عبد الظاهر: تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، ص ٣٥-٤٠. ابن الفرات: المصدر السابق، المجلد السابع، ص ٢٦٣-٢٦٤.
- 104) ابن عبد الظاهر: المصدر السابق، ص ٣٩-٤. ابن الفرات: المصدر السابق، المجلد السابع، ص ٢٦٣-٢٦٤.
- 105) توفي السلطان المنصور سيف الدين قلاوون في السادس من ذي القعدة عام ٦٨٩هـ/ العاشر من نوفمبر عام ١٢٩٠م. انظر: أبو الفداء: المختصر، ج ٤، ص ٢٣. ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء الزمان، ج ٥، ص ٨٨. تولى الأشرف صلاح الدين خليل أمر البلاد في اليوم التالي لوفاة والده. انظر: أبو الفداء: المختصر، ج ٤، ص ٢٤.
- 106) مفصل بن أبي الفضائل: النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ج ٢، تحقيق ونشر بلوشية باريس ١٩١٢م، ص ٣٧٨-٣٧٩.
- 107) الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢١٣.

108) Strhlke, Doc. No. 112, pp. 91-94.



## الفصل الخامس

«أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات  
الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية»  
١٠٩٩-١٢٩١ م / ٤٩٢-٦٩٠ هـ

- ١- أهم مظاهر الحياة الاجتماعية :
- أ- فئات السكان ولغاتهم ودياناتهم .
- ب- العادات والتقاليد .
- ج- النظام القضائي .

- ١- أهم مظاهر الحياة الاقتصادية :
- أ- الزراعة .
- ب- الثروة الحيوانية .
- ج- الصناعة .
- د- التجارة .







## الفصل الخامس

أهم مظاهر الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات  
الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية  
(١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢-٦٩٠هـ)

عندما استولى الصليبيون على الأرض المقدسة، كان معظم سكانها من العرب والعجم والأتراك والمغاربة، اعتماداً على أن العرب كانوا يقنطون في هذه البلاد منذ أقدم الأزمنة، أما بالنسبة للعجم فن المرجح أنهم بدأوا في الاستقرار في بلاد الشام وفلسطين مع بداية الحكم الإسلامي لهذه البلاد، ويبدو أن الأتراك استقروا في فلسطين أثناء تبعيتها للحكم العباسي، وبطبيعة الحال ازداد عدد هؤلاء، عندما استولى الأتراك السلاجقة على البلاد في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي / النصف الثاني من القرن الخامس الهجري. أما المغاربة فربما استقروا في بلاد الشام وفلسطين منذ بداية الحكم الفاطمي للمنطقة، وعلى العموم فقد كان سكان فلسطين من أمم مختلفة، منهم العرب من قبائل لخم وجدام وعاملة وكندة وقيس وكنانة ومضر، هذا إلى جانب وجود العجم والمغاربة والسامرة<sup>(١)</sup>. وذكر بنيامين التطيلي أن السامريين كانوا يعيشون في نابلس وقيسارية<sup>(٢)</sup>.

وقد وفد إلى الأرض المقدسة في نهاية القرن الحادي عشر الميلادي / الخامس الهجري عدد كبير من الأوروبيين، الذين حضروا مع الحملة الصليبية الأولى، وكان معظم هؤلاء من فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، كما أنهم كانوا ينتمون إلى مدن ومقاطعات مختلفة من الغرب الأوروبي. ولعل عبارة للمؤرخ الصليبي المعاصر فوشيه الشارترى تشير إلى بعض سكان أوروبا الذين استقروا في الأراضي المقدسة، «نحن الذين كنا غربيين، أصبحنا الآن شرقيين. والذي كان رومانياً أو فرنسياً، أصبح جليلاً أو فلسطينياً، والذي كان من ريمز أو شارتر، أصبح الآن مواطناً في صور أو أنطاكية، ونسبنا الآن أماكن ولادتنا وأصبحت تلك (الأماكن) غريبة للعديد منا، أو حتى لا نذكر منها شيئاً»<sup>(٣)</sup>. ويفهم من حديث فوشيه الشارترى أن الأوروبيين طاب لهم المقام في الأراضي المقدسة، وانبهروا بالشرق الإسلامي ونسوا بلادهم. ومن المرجح أن فوشيه كتب هذه العبارة من أجل تشجيع الأوروبيين على الإقامة والاستقرار في الأراضي، لأن عبارته «نسبنا أماكن ولادتنا» تحمل بين طياتها الكثير من المعاني والتفسيرات.

وكان سكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية في المملكة خليطاً من المستوطنين الأوروبيين الذين حضروا إلى الأراضي المقدسة مع الحملة



الصلبية الأولى ، هذا إلى جانب الوافدين الجدد، الذين كانوا ينتمون إلى مدن ومقاطعات مختلفة في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا<sup>(٤)</sup> . وقد أشرنا إلى ذلك في الفصل الثالث من هذه الدراسة . أما بقية سكان الإقطاعات الكنسية فكانوا من المسلمين والمسيحيين الشرقيين من طائفة السريان . الذين كانوا يقطنون في قرى بيت سوريك وقلندية وعطارة ومستوطنة راماتيس<sup>(٥)</sup> . وذكر الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون أن جميع الأراضي المقدسة مليئة بالمسيحيين السريان ، الذين لا يثقون باللاتين ، ويرتدون ملابس فخمة ، مرتفعة الأسعار ، كما أنهم لا يقدمون صدقات ويقطنون مع المسلمين جنباً إلى جنب<sup>(٦)</sup> .

وكانت اللغة العربية هي لغة السكان الأصليين في فلسطين ، وكان المسيحيون الشرقيون وخاصة السريان يتحدثون اللغة العربية إلى جانب السريانية التي كانت سائدة في بلاد الشام وقتذاك<sup>(٧)</sup> . ولم تكن اللغة التركية شائعة في فلسطين ، بل أنها لم تكن معروفة لدى الكثيرين<sup>(٨)</sup> . على الرغم من أن الأتراك السلاجقة حكموا بلاد الشام وفلسطين فترة من الزمن . أما لغة الصليبيين في مملكة بيت المقدس الصليبية ، فكانت لغة شمال فرنسا الشائعة عند النورمانديين وسكان شمال فرنسا ، بينما كانت اللغة اللاتينية هي اللغة المستعملة في الكنائس وفي ديوان الرسائل وفي تدوين القوانين<sup>(٩)</sup> . وذكر أحد الحجاج الأوروبيين المجهولين - الذين زاروا الأراضي المقدسة في القرن الثاني عشر الميلادي / السادس الهجري - أن الصليبيين عرفوا باسم اللاتين لأنهم يستعملون اللغة اللاتينية ، وهم كاثوليك محض<sup>(١٠)</sup> . يتضح مما سبق أن سكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية ، كانوا من المسلمين ومن المسيحيين السريان ومن المستوطنين اللاتين ، وهؤلاء كانوا يتحدثون العربية والفرنسية والسريانية ، وكانت اللاتينية تستعمل في الكنائس المتعلقة باللاتين . وهذا يدفعنا إلى الاعتقاد بأن اللاتينية كانت تستعمل في المستوطنات الكنسية في الأراضي المقدسة ، اعتماداً على أن رجال الدين قاموا بإنشاء الكنائس اللاتينية في هذه المستوطنات وخاصة في البيرة والقببية ، هذا إلى جانب الكنائس والأديرة التي أقاموها في مختلف البلاد ، التي كانت من الناحية الكنسية تابعة لبطيركية بيت المقدس . ولا بد أن الموظفين اللاتين - الذين قام رجال الدين بتعيينهم للعمل في المستوطنات الكنسية - استعملوا اللغة اللاتينية في تدوين الأحكام والضرائب والقوانين ، وكل ما يتعلق بشؤون سكان المستوطنات . وبطبيعة الحال كانت اللغة اليونانية تستعمل في الكنائس الشرقية .

وتجدر الإشارة إلى أن الأراضي المقدسة كانت مليئة بالمسيحيين الشرقيين من مختلف الطوائف والملل ، فقد ذكر الرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ أن



الكنائس الصغيرة في الأراضي المقدسة كانت تخضع لإشراف العديد من رجال الدين المسيحيين، الذين يتحدثون لغات مختلفة كال يونانية والبلغارية واللاتينية والألمانية والهنغارية والفرنسية والسريانية والعربية. . . أ. الخ. ويضيف الرحالة يوحنا أن المسيحيين المقيمين في فلسطين كانوا ينتمون إلى شعوب مختلفة منهم اليونانيين، والمصريين والأثيوبيين، والألمان والفرنجة والهنود وغيرهم<sup>(١١)</sup>.

وكانوا هؤلاء المسيحيون يتبعون مذاهب مختلفة فمنهم اللاتين، والأرثوذكس، والأقباط واليعاقبة والسريان، والنساطرة والأرمن، والكرج. . . أ. الخ<sup>(١٢)</sup>. ومن المرجح أن المسيحيين الشرقيين بكافة طوائفهم كانوا يقيمون في مناطق عديدة في الأراضي المقدسة، وخاصة في مناطق بيت لحم وبيت المقدس والناصرة والقرى والأراضي المحيطة بها. وقد ذكر الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون أن سكان إحدى قرى بيت لحم كانوا من المسيحيين الشرقيين<sup>(١٣)</sup>. وقد أشرنا إلى أن العلاقة بين المسيحيين الشرقيين والصليبيين كانت سيئة في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة، وذلك عندما قام البطريك ارنولف مالكورون باستبعادهم من كنيسة القيامة، بعد أن سلب حقوقهم وامتيازاتهم<sup>(١٤)</sup>، وكان البطريك دايبرت البيزي أشد قسوة على المسيحيين الشرقيين، فلم تجر سياسته على إبعادهم من كنيسة القيامة، بل امتدت إلى طردهم من أديرتهم ومنشآتهم الكنسية في بيت المقدس<sup>(١٥)</sup>. في حين استولى المسيحيون الغربيون على كل شيء ليظهروا جشعا كبيرا في امتلاك الأراضي والأموال<sup>(١٦)</sup>.

وأظهر ملوك بيت المقدس اللاتين مودة للمسيحيين الشرقيين، كما قاموا بإعادة رجال الدين الأرثوذكس إلى كنيسة القيامة، وسمحوا لهم بمباشرة الشعائر والطقوس الأرثوذكسية بها<sup>(١٧)</sup>. وقد وجد رجال الدين الأرثوذكس في دير القديسة سابا معاملة حعام من الملك بلدوين الأول، خاصة وأن هذا الدير كان من أهم الأديرة الأرثوذكسية التي بقيت بفلسطين خلال عصر الحروب الصليبية<sup>(١٨)</sup>. كذلك أغدقت عليه الملكة ميلسند الكثير من الأراضي والمنح<sup>(١٩)</sup>، ربما من أجل الإنفاق بما تدره هذه الأراضي والمنح من عائدات على رجال الدين الأرثوذكس في الدير، أو لشراء ما يحتاجه الدير من متطلبات. كذلك قام الملك عموري الأول بمنحهم قرية ثورا، بعد قيامهم ببيع ثلاث جاستينات لرجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة<sup>(٢٠)</sup>. وفي ختام حديثنا عن طبيعة العلاقة بين المسيحيين الشرقيين والصليبيين، نقول أن هذه العلاقة بدأت بداية سيئة ثم تحسنت بفضل جهود ملوك بيت المقدس. الذين كانوا بحاجة ماسة إلى جهود المسيحيين الشرقيين من أجل القيام بالأعمال اليدوية والخدمات التي أنف الصليبيون الغربيون من القيام بها<sup>(٢١)</sup>.



وكان جانب كبير من سكان فلسطين يعتنق المذهب الشيعي<sup>(٢٢)</sup>، وقد أشار المقدسي البشاري إلى ذلك بقوله : «وأهل طبرية ونصف نابلس والقدس وأكثر عمان شيعة»<sup>(٢٣)</sup> ويفهم من كلام المقدسي أن المذهب الشيعي كان شائعاً في فلسطين قبل قيام الحروب الصليبية، وهذا يعني أن المذهب الشيعي كان سائداً في فلسطين إلى جانب المذهب السني ومن المرجح أن فئة قليلة من المسلمين كانت تعتنق المذهب الشيعي أثناء الحكم الصليبي لفلسطين، ونعتمد في ذلك على أن فلسطين كانت خاضعة للحكم الفاطمي قبيل استيلاء الصليبيين عليها مباشرة<sup>(٢٤)</sup>.

أما فيما يتعلق بطبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين المسلمين والصليبيين في الأراضي المقدسة، فقد كانت علاقة عدائية، كما سبق أن رأينا ذلك في عدة مواضع من هذه الدراسة. فالمسلمون كانوا ينتظرون اليوم الذي يتمكنون فيه من التخلص من الصليبيين، الذين استولوا على بلادهم، وقتلوا العديد من إخوانهم، واستنزفوا طاقاتهم، واستولوا على ما تدره أراضيهم من محاصيل وخيرات، هذا إلى جانب أنهم دنسوا المقدسات الإسلامية فعلى سبيل المثال، قاموا بتحويل مسجد قبة الصخرة إلى دير أطلقوا عليه اسم دير معبد السيد، كما حولوا المسجد الأقصى إلى دير أطلقوا عليه اسم معبد سليمان.

وقد اتضح من خلال الدراسة أن المسلمين من سكان الأراضي المقدسة، كانوا يقومون بمساعدة القوات الإسلامية أثناء اجتياحها لمملكة بيت المقدس الصليبية، كما حدث عندما قاموا بمساعدة قوات دمشق والموصل التي اجتاحت حدود المملكة عام ١١١٣ م / ٥٠٧ هـ. كذلك كان من المسلمون من سكان فلسطين يقاومون الصليبيين بمختلف الطرق والوسائل المتاحة لديهم، ففي بعض الأحيان كانوا يقومون بالهجوم على الضياع الصليبية ونهبها، وفي أحيان أخرى كانوا يحتالون على الحجاج الصليبيين ويقتلوهم.

وليس من شك في أن ما كان يقوم به المسلمون من أعمال تشير إلى مدى العلاقة العدائية بينهم وبين الصليبيين. وعلى الرغم من كل ذلك فإن الفلاحين المسلمين كانوا يقومون بتأدية الضرائب التي قررها عليهم الصليبيون. أما بالنسبة لأوضاع المسلمين المقيمين في الإقطاعات الكنسية، فلم تكن أفضل من إخوانهم الذين كانوا يعيشون في الإقطاعات الدنيوية، فقد سلبت أراضيهم وأصبحوا يعملون بها كمستأجرين، يؤدون الضرائب على المحاصيل والثمار التي تنتجها أراضيهم، التي وضع الصليبيون أيديهم عليها بالقوة، دون أن يقيموا أي اعتبار لأصحابها الأصليين، بل على العكس من ذلك قام رجال الدين اللاتين بتوطين عائلات أوروبية في القرى العربية كما حدث عندما أسس رجال الدين مستوطنة البيرة



ومستوطنة راماتيس ومستوطنة القبيبة . وفي الوقت نفسه كان رجال الدين يقومون بتهجير السكان المسلمين من قراهم إلى قرى عربية أخرى ، وفي هذه الحالة كان أصحاب الأراضي يفقدون كل ما يملكون من عقارات مثل المنازل والطواحين والمحارث والمخابز ومعاصر الزيتون وإلى ما شابه ذلك من عقارات .

ومهما يكن من أمر فقد استوطن الصليبيون في مدن وقرى فلسطين فترة طويلة من الزمن ، عاشوا خلالها في مجتمع غريب عنهم وحكموا البلاد بالعنف والقسوة ، واستولوا على أملاك سكان البلاد الأصليين ، الذين أصبحوا لا يملكون حولاً ولا قوة واضطروا إلى العمل في أراضيهم كمستأجرين ، يدفعون نسبة من الضرائب على المحاصيل والثمار التي تنتجها أراضيهم المنتزعة منهم بالقوة والقهر . وعلى الرغم من كل ذلك فإن المستوى الفكري والثقافي لسكان البلاد الأصليين كانوا أرقى بكثير من المستوى الفكري والثقافي للصليبيين . وكان من الطبيعي أن تقوم بين السكان الأصليين والصليبيين علاقات مختلفة لا سيما في النواحي الاجتماعية والاقتصادية . ولا بد أن الصليبيين تأثروا بعادات وتقاليدهم أهل البلاد وبأسلوب معيشتهم ، خاصة فيما يتعلق بالطعام والشراب والملابس والأثاث ، إذ أن الصليبيين بصفة عامة تأثروا بالشرقيين في كثير من العادات والتقاليد<sup>(٢٥)</sup> . وذكر أحد المؤرخين الحديثين أنهم تأثروا بسرعة بالعادات والتقاليد الشرقية ، خاصة فيما يتعلق بنوعية الملابس الفضفاضة والوسائد والحمامات الساخنة وأنواع الطعام المختلفة ، وكيفية استعمال التوابل وأنواع الطيب المختلفة<sup>(٢٦)</sup> .

وكان لسكان فلسطين الكثير من العادات والتقاليد التي كانت سائدة في البلاد قبل قدوم الصليبيين بفترة ، ولذلك فإننا نرجح استمرارها في العصر الصليبي وتأثر الصليبيين بها ، نظراً لأن العادات والتقاليد تكون متأصلة وراسخة عند الشعوب ، وتمثل أسلوب ونمط المعيشة لهم ، ولذلك فمن الصعب تغيير السلوك الاجتماعي لأي مجتمع من المجتمعات العريقة ، التي تحكمها أسس وعادات وتقاليد ، تحدد مسارها الاجتماعي . وإن حدث أن تعرض أي مجتمع من المجتمعات لتأثير خارجي ، إن ذلك التأثير لا تظهر آثاره بين يوم وليلة وإنما يحتاج إلى سنوات ، بل إلى قرون حتى تظهر آثاره . كذلك فإن المجتمعات التي تتصف بالسمو الفكري والثقافي ، والتفوق الحضاري لا يمكن أن تتأثر بمجتمعات مستواها الفكري والحضاري أقل . ولذلك فمن المرجح أن الصليبيين قد تأثروا بجميع عادات وتقاليد سكان الأراضي المقدسة ، وذلك لأنهم كانوا يعيشون في ظلام دامس ، ومستواهم الحضاري هابط جداً .



أشار المقدسي البشاري إلى بعض العادات والتقاليد التي كانت سائدة في فلسطين في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، فقد ذكر أن سكان نابلس وبيت المقدس يخبزون الأرغفة على الحصى في الأفران ، التي توقد بروت الحيوانات ، كما أنهم كانوا يطبخون العدس والبيسار «ويقلون الفول المنبوت بالزيت ويصقلونه ويبيع مع الزيتون وملحون الترمس ويكثرون من أكله ، ويصنعون من الخروب ناطفا يسمونه القبيط ويسمون ما يتخذون من السكر ناطفاً ويصنعون منه زلابية في الشتاء من العجين غير مشبكة»<sup>(٢٧)</sup> . ولا بد أن حديث المقدسي عن أهم العادات والتقاليد التي كانت سائدة في بعض مدن فلسطين ، يوضح أسلوب الحياة المعيشية لسكان فلسطين قبل استيلاء الصليبيين عليها . ومن المرجح أن هذا النمط المعيشي هو الذي كان سائداً في فلسطين أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية ، ولا بد أن الصليبيين الذين استقروا في الأراضي المقدسة قد تأثروا ببعض هذه العادات ، هذا إن لم يكن جميعها .

ومن المحتمل أيضاً أن المستوطنين اللاتين الذين أقاموا في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية ، قد تأثروا بعادات وتقاليد السكان الأصليين - سواء من المسيحيين الشرقيين أو المسلمين - الذين كانوا يقيمون في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية ، أو الذين يعيشون بالقرب منها . إذ لا بد من حدوث احتكاك وقيام علاقات اجتماعية بين المستوطنين اللاتين وسكان البلاد الأصليين .

وعاش الصليبيون في الشرق حياة أقرب إلى الرفاهية على الرغم من استمرار الحروب بينهم وبين المسلمين ، فاقتنوا الأثاث الفخم وجمعوا الذهب والفضة . وذكرت إحدى وثائق كنيسة القيامة أن أحد المستوطنين الأوروبيين ، الذي كان يقيم في مستوطنة البيرة ، امتلك الكثير من الأراضي المزروعة بأشجار الكرم والمنازل إلى جانب الذهب والفضة وجميع أنواع الأثاث<sup>(٢٨)</sup> . ولعل هذا يشير إلى اهتمام سكان الإقطاعات الكنسية باقتناء الحلي والجواهر وأدوات الزينة . وجميع الأشياء الثمينة ، التي لم تكن متوفرة لديهم في الغرب الأوروبي .

وكانت المرأة الصليبية تهتم بزيتها بارتداء الملابس الحريرية والتحلي بالجواهر وبمختلف أدوات الرينة ، وقد أورد لنا المؤرخون الصليبيون المعاصرون أخبار باسكو دي ريفيري ، زوجة أحد التجار الصليبيين في نابلس ، والتي فاقت بحسنها وجمالها وزيتها الأميرات ، لدرجة أن جمالها وسحرها جعل هرقل بطريك بيت المقدس يقع في غرامها<sup>(٢٩)</sup> . وكانت السيدة الصليبية تضع الحجاب على وجهها ، لا على سبيل الوقار والحشمة ، بل خوفاً على الطلاء والمساحيق التي تغطي وجهها<sup>(٣٠)</sup> . وقد



اهتم الصليبيون في الشرق بشراء الملابس الثمينة، التي تضيء الفخامة والأبهة عليهم، على الرغم من أن ما اتخذوه من ملابس قد اتخذ الطابع الشرقي<sup>(٣١)</sup>، إذ أن الملابس الشرقية كانت تمتاز بأنها فضفاضة، زاهية الألوان موشاة بالحرائر والتطريزات<sup>(٣٢)</sup>. وكان الفارس الصليبي يرتدي برنسا من الحرير ويضع العمامة على رأسه في أوقات السلم، كما كان يرتدي فوق درعه سترة من الكتان للوقاية من حرارة الشمس عند الخروج إلى القتال، ويجعل على خوذته كوفية مثل تلك التي يضعها الفارس العربي على رأسه<sup>(٣٣)</sup>.

وقد اتبع الصليبيون في بناء بيوتهم وقصور الملوك والأمراء الطراز العربي في البناء المتلائم مع ظروف البلاد وأجوائها، كما أنهم اتخذوا لبيوتهم وقصورهم من الأثاث ما يتفق مع الروح الشرقية<sup>(٣٤)</sup>. وإلى جانب ذلك قلد الصليبيون المسلمين في الاستمتاع بالحياة، وليس من المستغرب أن نرى ذلك عند المسلمين، خاصة وأنهم أصحاب حضارة مادية وفكرة عريقة لم يشاهدها الصليبيون في بلادهم، قبل زحفهم نحو الشرق الإسلامي<sup>(٣٥)</sup>. يتضح مما سبق أن الصليبيين في الأراضي المقدسة تأثروا بعادات السكان الأصليين، فالمرأة الصليبية كانت تضع الحجاب على وجهها، ولكن ليس من منطلق ديني مثل المرأة المسلمة، وإنما خوفاً على الطلاء والمساحيق التي تغطي وجهها. كذلك فإن المرأة الصليبية تأثرت بالنساء المسلمات بالنسبة لارتداء الملابس الفضفاضة ذات الأكمام الطويلة. وعلاوة على ذلك فإن الفارس الصليبي تأثر بالفارس المسلم فيما يتعلق بارتداء العمامة والكوفية وسترة الكتان. وكل هذه الأشياء اتخذها الصليبيون وقلدوا بها العرب. وبطبيعة الحال تأثر الفرسان والسرجنديون من سكان الإقطاعات الكنسية، بما تأثر به الفرسان الصليبيون بشكل عام، وذلك لأن رجال الدين اللاتين كانوا يجهزون الفرسان والسرجنديون من المستوطنين الأوروبيين الذين يعيشون في الإقطاعات الكنسية سواء في المدن مثل الناصرة وبيت لحم وأريحا أو الذين يقيمون في المستوطنات والقرى التابعة للكنائس والأديرة. وتأثر الصليبيون الذين استقروا في جميع مدن فلسطين بكثير من عادات أهل البلاد، كالأستحمام في الحمامات العامة، وكان من العادات الشائعة عند سكان فلسطين<sup>(٣٦)</sup>. وقد أشار المقدسي البشاري إلى وجود الحمامات العامة بفلسطين إذ يقول «ولهم دواميس عجيبة»<sup>(٣٧)</sup>. وبطبيعة الحال فإن كلام المقدسي ينطبق على الفترة السابقة لقدوم الصليبيين، لكن هذا لا يمنع من الاستمرار في هذه العادة خلال العصر الصليبي، خاصة وأن الصليبيين تأثروا بها، لدرجة أنهم قاموا بإنشاء الحمامات العامة في بعض المستوطنات الصليبية، فقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى وجود حمام عمومي في



مستوطنة امبرت (الزيب)، التي أسسها الملك بلدوين الثالث . وكان الحمام العمومي في قرية الزيب يخضع لنظام الاحتكار الذي كان سائداً في العصر الصليبي<sup>(٣٨)</sup> ، وكل ما ينطبق على المخبز والطاحونة من نظم احتكارية طبقت على الحمام العمومي في المستوطنة .

ومهما يكن من أمر فقد جذب الاستحمام في الحمامات العامة أنظار الصليبيين ، وشجعهم على الذهاب إليها والاستحمام بها<sup>(٣٩)</sup> ، وكان يجري في الحمام حلاقة شعر الرأس وإزالة الشعر الزائد في الجسم ، وكان الحلاق يقوم بإزالة الشعر للرجال بينما تقوم البلاتة بإزالة الشعر عن جسم النساء<sup>(٤٠)</sup> . وكان الرجل الصليبي يحضر زوجته إلى الحمام ، ولا يجد حرجاً عندما يطلب من الحلاق العربي أن يزيل لها الشعر الزائد في جسمها<sup>(٤١)</sup> . وكان المسلمون يشدون المئزر على وسطهم أثناء الاستحمام في الحمامات العامة ، من أجل ستر عوراتهم ، بينما أنكر الصليبيون هذه العادة ، وكانوا يستحمون عراة بدون شد المئزر على وسطهم<sup>(٤٢)</sup> . يتضح مما سبق أن الصليبيين تأثروا بسكان البلاد الأصليين بالنسبة لعادة الذهاب إلى الحمام والاستحمام في الحمامات العامة ، لكنهم اختلفوا عن المسلمين في أنهم سمحوا لزوجاتهم بالاستحمام مع الرجال ، كما أنهم استغربوا وضع المئزر على الوسط من أجل ستر العورة ، وأصرروا على الاستحمام عراة . ولعل هذا الأمر يشير إلى الفرق الشاسع بين القيم الأخلاقية للمجتمع الإسلامي والقيم الأخلاقية للمجتمع الأوروبي . فالقيم الأخلاقية والاجتماعية في المجتمع الإسلامي ترتبط ارتباطاً قوياً بالعامل الديني ، بينما الأمر يختلف بالنسبة للمجتمعات الأوروبية في العصر الوسيط .

ومن العادات السيئة التي كانت سائدة بين الصليبيين في الأراضي المقدسة اختلاط الرجال بالنساء ، دون أن يكون لديهم أي إحساس بالغيرة نحو بناتهم وزوجاتهم ، ولا شك في أن هذه العادات تتنافى مع العادات والتقاليد الإسلامية ، ولهذا فقد استنكرها المسلمون . وقد وصف لنا الرحالة ابن جبير الذي زار بلاد الشام وفلسطين عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م عملية اختلاط الرجال والنساء بين الصليبيين أثناء حضوره إحدى حفلات الزفاف الصليبية في مدينة صور ، إذ وقف الرجال والنساء في صفين عند باب العروس ، وأخذت الآلات الموسيقية تعزف في حضرة العروس ، حين خرجت من غرفتها بين رجلين أحدهما يمسكها من اليمين والآخر من الشمال ، وكانت « العروس في أبهى زي وأفخر لباس ، تسحب أذيال الحرير المذهب » وكانت تضع على رأسها عصا من ذهب ، قد حفت بشبكة مذهبة منسوجة ، ومثلها على لبتها ، وهي رافلة في حليها وحللها ، تمشي مشي الحمام ، وكان رجال النصارى يسرون أمامها في أفخر الملابس .



وأشار ابن جبير أيضاً إلى أن المسلمين ومختلف النصارى كانوا يشاهدون حفلة الزفاف ولا ينكرون ذلك، بل على العكس كانوا ينظرون إلى النساء المشاركات في الحفلة، وقد استنكر ابن جبير عملية اختلاط النساء بالرجال واستعاذ بالله من ذلك<sup>(٤٣)</sup>. وتحدث أسامة بن منقذ الذي زار مختلف المدن الخاضعة للحكم الصليبي، عن الاختلاط بين الرجال والنساء، ووصفهم بأنهم لم يكن لديهم «غيرة ولا نخوة»<sup>(٤٤)</sup> إذ أن الرجل منهم يكون سائراً هو وزوجته في الشارع فيلقاه رجل آخر، «يأخذ المرأة ويعتزل بها، ويتحدث معها، والزوج واقف ناحية، ينتظر فراغها من الحديث، فإذا طولت عليه خلاها مع المتحدث ومضى»<sup>(٤٥)</sup>. ويحدثنا أسامة عن قصة توضح عدم الغيرة عند الصليبيين وتعكس جانباً من حياتهم الاجتماعية، وتدور هذه الحادثة حول أحد تجار النيذ الذي رجع إلى بيته، «ووجد رجلاً مع امرأته في الفراش، فقال له: أي شيء أدخلك عند امرأتي؟ قال: كنت تعباً دخلت أستريح، قال: فكيف دخلت إلى فراشي؟ قال: وجدت فراشاً مفروشاً نمت فيه، قال: والمرأة نائمة معك؟ قال: الفراش لها، كنت أقدر أمنعها من فراشها؟ قال: وحق ديني إن عدت فعلت كذا تخاصمت أنا وأنت»<sup>(٤٦)</sup>. ولعل هذا يوضح عدم غيرة الصليبيين كما يشير إلى المستوى الأخلاقي المتدني عند الصليبيين، الأمر الذي يوضح أنهم كانوا يعيشون في ظلام دامس في الغرب الأوروبي. وعلى الرغم من إقامتهم في الشرق الإسلامي، إلا أنهم تمسكوا ببعض العادات والتقاليد البالية، التي تتنافى مع التقاليد والتعاليم الإسلامية والأخلاق الشرقية، التي تتمسك بالقضية. وقد علق أسامة بن منقذ على موقف تاجر النيذ بقوله: «فكان هذا نكيره ومبلغ غيرته»<sup>(٤٧)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على الرجال العاديين من الصليبيين، بل وصل الأمر إلى رجال الدين اللاتين، الذين لهم علاقات غير شرعية ببعض النساء. ومثال ذلك علاقة البطريك هرقل مع باسكو دي ريفيري زوجة أحد التجار الصليبيين. وأشار تاريخ هرقل إلى أن البطريك قام بالتأثير على السيدة وجعلها تحضر إليه في بيت المقدس عدة مرات. وقد حدث ذلك بالفعل، وذهبت إليه في بيت المقدس، مكثت هناك خمسة عشر يوماً أو أكثر. وكان البطريك قد أخذ المرأة لنفسه، ثم قدمها للبارون الذي جعلها في غاية الثراء<sup>(٤٨)</sup>. وبعد وفاة زوج باسكو أرسل البطريك إليها يدعوها للقدوم عليه في بيت المقدس، فلما حضرت إليه اشترى لها بيتاً جميلاً وجعلها بالقرب منه<sup>(٤٩)</sup>.

ولعل هذا الجانب من حياة الصليبيين في الأراضي المقدسة، يشير إلى السلوكيات غير الأخلاقية التي كانت سائدة في الغرب الأوروبي



وقتذاك . وقد بقي الصليبيون متأثرين بهذه السلوكيات في الأراضي المقدسة ، على الرغم من أنهم تأثروا ببعض عادات السكان الأصليين . ولا بد وأن هذه مثل العادات كانت سائدة في الإقطاعات الكنسية التي كان يقيم فيها المستوطنون الأوروبيون ، لأن هؤلاء المستوطنين ما هم إلا جزء من مجموع الصليبيين في الأراضي المقدسة ، وبالتالي لا يمكن أن تختلف عاداتهم وتقاليدهم عن بقية الصليبيين في الأراضي المقدسة . ومن المرجح أيضاً أن رجال الدين اللاتين والمستوطنين الأوروبيين قاموا بإنشاء الحمامات العامة في المستوطنات الكنسية ، أسوة بما كان سائداً في المستوطنات الدنيوية ، هذا إلى جانب أن الصليبيين تعودوا على الذهاب إلى الحمامات العامة الاستحمام بها .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المستوطنين الأوروبيين سواء الذين أقاموا في مدن أو قرى الأراضي المقدسة ، تزوجوا من مسيحيات شرقيات من طوائف مختلفة مثل الأرمن والسريان ، كما أنهم امتلكوا بيوتاً عن طريق الميراث<sup>(٥٠)</sup> . وبطبيعة الحال أدى زواج المستوطنين الأوروبيين من المسيحيات الوطنيات إلى ظهور جيل جديد عرف باسم الأفران Pullani<sup>(٥١)</sup> .

وكان المسيحيون الشرقيون والغربيون يحتفلون بأعيادهم الدينية في مدينتي بيت المقدس وبيت لحم ، وكان يحتفل بعيد الفصح في بيت المقدس ، وتقام الطقوس الخاصة بهذا العيد على جبل الزيتون . وكان بطريرك بيت المقدس اللاتيني يتولى إقامة الشعائر الخاصة بهذا العيد<sup>(٥٢)</sup> .

أما الاحتفال بعيد الميلاد فكان يتم في مدينة بيت لحم ، حيث يقوم بطريرك بيت المقدس بإقامة الشعائر الدينية احتفالاً بمولد السيد المسيح<sup>(٥٣)</sup> . كذلك كان المسيحيون يحتفلون بعيد الشموع Candlemas في الثاني من فبراير من كل عام<sup>(٥٤)</sup> . وفي الخامس عشر من أغسطس من كل عام كان المسيحيون الشرقيون والصليبيون يحتفلون بعيد الصعود على جبل صهيون في المدينة المقدسة<sup>(٥٥)</sup> . أما المسلمون فيحتفلون بعيد الفطر وعيد الأضحى ، هذا إلى جانب بعض الاحتفالات الدينية ، كالاحتفال بعيد المولد النبوي الشريف ورأس العام الهجرية ، والاحتفالات الخاصة بشهر رمضان . أما السامريون فيحتفلون بأعيادهم الدينية في مدينة نابلس ، وفي عيد الفصح يصعدون إلى جبل جرزيم<sup>(٥٦)</sup> ، ويقيمون الشعائر الدينية الخاصة بالعيد على قمة الجبل ،

الذي يعتبرونه الجبل المقدس ، والمكان المختارو ولذلك فهم يعتقدون أن عيد الفصح وقرايبه لا تجوز إلا في هذا الجبل<sup>(٥٧)</sup> . وذكر بنيامين التطيلي أن السامريين «يعتزلون سائر البشر ، لا يتزوجون بغير بنات نحلتهن ، ويلقنون الناس شعائره الخاصة ، وينحرون الأضاحي في وقفة عيد الفصح على مذبح لهم في جبل جرزيم»<sup>(٥٨)</sup> . وكان عدد السامريين أثناء زيارة بنيامين



التطيلي لمدينة نابلس نحو الألف<sup>(٥٩)</sup>. أما بالنسبة لليهود فإنهم يحتفلون بعيد الفصح في بيت المقدس .

أما فيما يتعلق بالنظام القضائي الذي كان سائداً في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية القائمة في حدود مملكة بيت المقدس الصليبية ، فكان يخضع للإشراف المباشر من قبل رجال الدين اللاتين ، الذين كان لهم حق السلطان القضائي على سكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية . وقد ذكرنا أن رجال الدين اللاتين قاموا بإنشاء المحاكم البرجوازية في المستوطنات الصليبية . فعلى سبيل المثال أنشأوا محكمة في مستوطنة البيرة ، عرفت باسم محكمة كنيسة القيامة ، وكانت تختص بمعالجة القضايا المختلفة بشؤون الطبقة البرجوازية الذين يعيشون في المستوطنة . لدرجة أنها عرفت باسم المحكمة البرجوازية ، وكانت تعقد تحت رئاسة المسؤول عن تدبير شؤون رجال الدين في المستوطنة dispensator<sup>(٦٠)</sup> وربما كان يساعد اثنا عشر محلفاً ، يتم اختيارهم من بين مساعديه الذين يعملون معه في المستوطنة<sup>(٦١)</sup> . وكانت المحكمة البرجوازية تنعقد لمدة ثلاثة أيام في الأسبوع ، الاثنين والأربعاء والجمعة فيماعد أيام المواسم والأعياد الدينية<sup>(٦٢)</sup> ، وتنظر في القضايا التي لم يكن النبلاء طرفاً فيها<sup>(٦٣)</sup> ، كما أنها تختص بجميع القضايا المتعلقة بالأموال المدنية كقضايا التعدي على الأراضي ، فضلاً عن معالجتها لشؤون العبيد الذين وفدوا إلى الشرق الإسلامي مع ساداتهم<sup>(٦٤)</sup> . وتفصل المحكمة أيضاً في جميع القضايا المتعلقة بأفراد الطبقة البرجوازية ، كذلك فإنها تفصل في قضايا الفرسان ، إذ اختاروا المثول أمامها<sup>(٦٥)</sup> . وللمحكمة البرجوازية مجموعة من القوانين وإن كانت في معظمها تستند إلى العرف والتقاليد المرعية ، أكثر من كونها قوانين مدونة<sup>(٦٦)</sup> .

ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين قاموا بإنشاء محاكم للبرجوازية في مستوطنتي القبيية وراماتيس ، اعتماداً على أن رجال الدين قاموا بإنشاء مثل هذا النوع من المحاكم في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية الأخرى فعلى سبيل المثال وجدت محكمة للبرجوازية في مدينة بيت لحم<sup>(٦٧)</sup> ، وهي من الإقطاعات المبكرة التي حصلت عليها الكنيسة اللاتينية ، كذلك وجدت محكمتان للبرجوازية في مدينتي اللد والرملة<sup>(٦٨)</sup> ، وهما أيضاً من الإقطاعات المبكرة التي منحت لرجال الدين اللاتين ، كما وجدت محكمة للبرجوازية في مدينة أريحا ومحكمة أخرى في مدينة الناصرة<sup>(٦٩)</sup> ، وهما أيضاً من ضمن الإقطاعات الكنسية المبكرة التي منحت للكنيسة اللاتينية . وإلى جانب هذه المحاكم ، كان رجال الدين اللاتين قد أنشأوا محكمة للبرجوازية في مستوطنة البيرة ، على الرغم من أن يوحنا ابلين لم يشر إلى إنشاء مثل هذه المحاكم في المستوطنات التي أسسها رجال الدين اللاتين في



مملكة بيت المقدس الصليبية . ولعل وجود مثل هذه المحاكم في الإقطاعات الكنسية يؤكد ما ذهبنا إليه من احتمال وجود محاكم للبرجوازية في مستوطنتي القبية وراماتيس ، خاصة وأن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة شجعوا المستوطنين الأوروبيين على الإقامة في هذه المستوطنات ، ولا بد أنهم قاموا بتوفير جميع متطلبات الحياة التي يحتاجها المستوطنون الأوروبيون ومنها المحاكم .

وإلى جانب المحاكم البرجوازية وجدت في الإقطاعات الكنسية ، بعض المحاكم الوطنية Civil courts ، وخاصة في مدن الرملة واللد والناصره<sup>(٧٠)</sup> . وكانت هذه المحاكم تختص بالقضايا المتعلقة بالسكان الوطنيين ، إذ سمح لهم بالمثل والتقاضى أمام محاكمهم الوطنية الخاصة به ، إلى جانب تطبيق القوانين السابقة على الصليبيين ، وقد تم ذلك في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة<sup>(٧١)</sup> ، وكان قضاة تلك المحاكم من سكان البلاد الأصليين ، وكانت تنظر في الصغرى التي لا تشمل الجنايات ، غير أن هذه المحاكم لم تستمر في عملها مدة طويلة ، إذ سرعان ما اندمجت في محاكم المدن ، التي أوجدها الصليبيون في فترة لاحقة<sup>(٧٢)</sup> . وكان يرأس محكمة المدينة موظف صليبي يدعى بالي ، يساعد ستة محلفين ، أربعة من السكان الوطنيين واثنان من الصليبيين . وكان لهذا النوع من المحاكم سلطان قضائي على جميع الطوائف والملل التي تقطن في المدن<sup>(٧٣)</sup> ، ومن خصائصها النظر في القضايا التجارية<sup>(٧٤)</sup> ، والقضايا البسيطة الخاصة بسكان المدن على اختلاف طوائفهم<sup>(٧٥)</sup> ، إضافة إلى أنها تقوم بتسجيل كل صفقات العقارات المتعلقة بالسكان الوطنيين مثل البيع والتأجير والرهونات العقارية ، وأراضي المدن والحدائق والآبار<sup>(٧٦)</sup> . وأصبح لمحكمة المدينة الحق في إصدار القرارات الخاصة بالنواحي الداخلية في المدينة ، وذلك يشير إلى أن محكمة المدينة كانت تقوم بتعيين الموظفين والعمال المختصين بذلك<sup>(٧٧)</sup> .

ومن المرجح أن محاكم الأسواق كانت توجد في المدن والقرى الكبيرة التابعة للكنائس والأديرة في حدود مملكة بيت المقدس الصليبية ، فعلى سبيل المثال كانت مدينة بيت لحم من المدن الكبيرة التي يقصدها الحجاج والزائرون الصليبيون من أجل زيارة كنيسة المهد ، ولذلك كان لا بد من وجود أسواق كبيرة تغطي متطلبات السكان والحجاج وبقية الوافدين إلى المدينة . ولعل هذا الكلام ينطبق على مدينة الرملة واللد والناصره أيضاً . واعتماداً على وجود الأسواق الكبيرة في المدن التابعة للكنيسة اللاتينية ، لا بد إذن من وجود محاكم للسوق ، حيث تزخر الأسواق بأخلاق من الناس مما يثير بينهم من خلافات ومشاكل<sup>(٧٨)</sup> . ويقال أن محكمة السوق هي محكمة المدينة ، والمرجح أنها إحدى محاكم المدينة الفرعية ، وكانت



تعقد تحت رئاسة فيكونت المدينة ، الذي كان يساعده في إتمام تلك المهمة المحتسب أو رئيس الشرطة في المدينة<sup>(٧٩)</sup> .

وليس من شك في وجود محاكم القرى في معظم الإقطاعات الكنسية الواقعة في حدود مملكة بيت المقدس الصليبية ، اعتماداً على أن الكنائس والأديرة حصلت على كثير من القرى في الأراضي المقدسة ، الأمر الذي يجعلنا نؤكد على وجود مثل هذه المحاكم في الإقطاعات الكنسية . وكانت محكمة القرية تعقد تحت رئاسة أكبر شخصية في القرية ، والذي عرف باسم الرئيس ، وكان يساعده اثنا عشر محلفاً ، جميعهم من سكان القرية . وكانت محاكم القرية تعتمد في أحكامها على العرف والتقاليد المرعية ، إذ سمح الصليبيون بصفة عامة ورجال الدين بصفة خاصة لأهالي القرية بالتقاضي أمام محاكمهم الخاصة<sup>(٨٠)</sup> . وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أن علاقة سكان القرى بالسيد الإقطاعي كانت تتم عن طريق الرئيس<sup>(٨١)</sup> . ولا بد أن علاقة سكان القرى - الواقعة ضمن الإقطاعات الكنسية - مع رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة كانت تتم بواسطة رئيس القرية ، الذي يبدو أنه كان يقوم بدور الوسيط بين أهل القرية ورجال الدين .

وقد كان لرجال الدين اللاتين محاكمهم الخاصة ، التي تبحث في الإساءات التي يرتكبها رجال الدين مثل السحر والشعوذة والبدع والزنا واللواط ، وكانت جميع الجرائم المتعلقة خارج نطاقها ، ولكن أصبح لها بعد ذلك الحق بالحكم على رجال الدين الذين ارتكبوا جرائم القتل أو الخيانة أو القسم الكاذب<sup>(٨٢)</sup> . وقد توسعت اختصاصات المحاكم الكنسية إلى أبعد الحدود ، بعد أن طالبت بحق الحكم في جميع القضايا المتعلقة بالروابط الزوجية بين الرجل وزوجته ، على أساس خبرتها في المسائل المتعلقة بالزواج ، كذلك تعاملت المحاكم الكنسية مع جميع الحالات والقضايا الشرعية وغير الشرعية . ، بما أن هذه المحاكم كانت لا تستطيع فرض الأحكام على المجرمين الذين تسببوا في قتل بعض الناس ، أو في فقدان بعض أعضاء جسم الإنسان . ولذلك كان قضاة المحاكم الكنسية ، يتعاونون مع قضاة المحاكم المدنية . وفي حالات النزاع بين رجال الدين وعامة الناس ، وكان الفيسكونت وأعضاء محكمة البرجوازية يذهبون إلى محاكم الكنيسة ، ويحضرون جلسات الحكم<sup>(٨٣)</sup> . وعلى العموم فقد كان في الأراضي المقدسة وفرة في المحاكم الكنسية على وجه التخصيص ، وعلى الرغم من أن هذه المحاكم كانت تبحث في الأمور المتعلقة بالمسيحيين الغربيين - الذين يتبعون الكنيسة الرومانية - إلا أنها اشتملت أيضاً على المسيحيين الشرقيين الذين كانوا ينتمون إلى طوائف مختلفة . وكانت هذه المحاكم تعالج أمور المسيحيين الشرقيين ، حسب القانون الكنسي التي تخضع له كل فئة<sup>(٨٤)</sup> .



وكانت المحاكم الكنسية تنقسم إلى قسمين المحاكم الكنسية العليا، وتعد تحت رئاسة بطريرك بيت المقدس أو أحد رؤساء الأساقفة الكبار في بطريركية بيت المقدس اللاتينية. ومثل هذه المحاكم كانت تعقد من أجل التصديق على بعض المنح والعقود والامتيازات، التي يتم التوقيع عليها من قبل قاضي القضاة، وهذا المنصب كان يتولاه بطريرك بيت المقدس<sup>(٨٥)</sup>، باعتباره يحمل أعلى رتبة دينية في البطريركية. أما القسم الثاني من المحاكم الكنسية، فهي التي تنظر في الإساءات التي يرتكبها رجال الدين، وفي العلاقات والروابط الزوجية، كما كانت تتعامل مع جميع القضايا الشرعية وغير الشرعية.

وليس من شك في أن جميع المحاكم التي تعرضنا لذكرها، كانت ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام الإقطاعي، الذي نقله الصليبيون بجذوره من الغرب الأوروبي إلى الأراضي المقدسة. وكان سيد الأرض يحتفظ بمحكمة في نطاق إقطاعه، ليس من أجل القرويين الذين يعملون في الأرض، بل أيضاً من أجل المستأجرين الأوروبيين، الذين كانوا من الناحية الشخصية أحراراً<sup>(٨٦)</sup>. وقد بدا واضحاً أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، اهتموا بإقامة المحاكم في إقطاعاتهم من أجل النظر في المشاكل التي قد تنشأ بين سكان هذه الإقطاعات. وقد أشرنا إلى قيامهم بإنشاء محكمة للبرجوازية في البيرة، ومن المرجح أن هذه المحكمة كانت تخدم سكان قرى كثيرة تحيط بمستوطنة البيرة. وبما أن سكان القرى كانوا من المسلمين أو من المسيحيين الشرقيين إلى جانب المستوطنين الأوروبيين، فلا بد أن كل فئة كانت تحلف على كتابها المقدس، فالمسلمون يحلفون على القرآن الكريم، والمسيحيون الشرقيون والغربيون يحلفون على الإنجيل<sup>(٨٧)</sup>.

ومهما يكن من أمر، فقد كان سكان الإقطاعات الكنسية يتألفون من المسلمين والمسيحيين الشرقيين والمستوطنين الأوروبيين، وكانت عادات سكان البلاد الأصليين تختلف عن عادات الصليبيين. وقد تأثر الصليبيون بكثير من عادات وتقاليد سكان البلاد، غير أنهم استمروا في ممارسة عاداتهم التي ألفوها في الغرب الأوروبي. وقد اتضح أن سكان البلاد الأصليين خضعوا للقوانين والنظم الصليبية، التي تعتمد في معظمها على العرف والتقاليد. وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن الصليبيين كانوا في تعاملهم مع طبقات من غير النبلاء يضطرون إلى اتباع عادات الشعب الذي يخضع لسيطرتهم لدرجة أنهم كانوا مقيدين بكل ما يتعلق بسكان البلاد الأصليين<sup>(٨٨)</sup>. ويبدو أن المؤرخ الحديث كان يقصد أن الصليبيين تأثروا بالعادات والتقاليد الإسلامية من حيث اللباس الشرقي وبعض نمط الحياة المعيشية، أي أنهم اكتسبوا بعض السلوكيات من سكان البلاد الأصليين.



لكن فيما يتعلق بالنظم والقوانين الصليبية التي طبقت في الأراضي المقدسة فكانت تعتمد على العادات والتقاليد التي كانت سائدة في الغرب الأوروبي وأحضرها الصليبيون معهم إلى الأراضي المقدسة .

أما فيما يتعلق بالحياة الاقتصادية في الأراضي المقدسة أثناء الحكم الصليبي لها فقد وجدت اهتماماً متزايداً من قبل الصليبيين بصفة عامة ، ورجال الدين اللاتين بشكل خاص ، إذ جرى التوسع في زراعة الكثير من الأشجار والمحاصيل ، وخاصة أشجار الكرم والزيتون وكذلك قصب السكر . وإلى جانب ذلك توسع الصليبيون بمن فيهم رجال الدين في بعض الصناعات ، وخاصة تلك التي تقوم على المنتجات الزراعية ، مثل صناعة استخراج زيت الزيتون ، وصناعة الصابون والنبذ والسكر . وعلاوة على ذلك كانت الحركة التجارية الداخلية نشطة بين مختلف المدن والمقاطعات الواقعة تحت سلطان ملك بيت المقدس ، الذي سمح للمسلمين والمسيحيين الشرقيين بإحضار محاصيل الحبوب والبقول وبيعها في بيت المقدس ، دون أن يفرض عليهم أي نوع من الضرائب ، كما قام بتخفيض الجمارك على السلع التي يحضرها التجار سواء كانوا من المسيحيين الشرقيين أو من المسلمين<sup>(٨٩)</sup> . وعلى العموم فقد شهدت الأراضي المقدسة حركة اقتصادية نشطة أثناء الحكم الصليبي لها ، على الرغم من الحروب المتواصلة بين المسلمين والصليبيين .

ومهما يكن من أمر ، فقد اهتم الصليبيون أثناء حكمهم للأراضي المقدسة بالزراعة ، حيث التربة الخصبة الغنية ، عالية الإنتاج . وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن الأراضي الزراعية في فلسطين ، شهدت تطوراً كاملاً من قبل اللاتين<sup>(٩٠)</sup> ، الذين عملوا على تنظيم الأراضي الزراعية وتقسيمها إلى وحدات محروثة ، عرفت كل وحدة باسم كاريوكا Carruca أو كاريوكات Carrucate ، وهي تساوي نحو أربعة آلاف متر مربع (أربعة دونمات) . وقد اتضح من خلال الدراسة أن ملوك وأمراء بيت المقدس ، كانوا يمنحون قطع الأراضي المنظمة في كاريوكات إلى الكنائس والأديرة ، كذلك كان رجال الدين اللاتين يقومون بتنظيم الأراضي التي حصلوا عليها في كاريوكات ، فعلى سبيل المثال قاموا بتنظيم أراضي مستوطنتي البيرة وراماتيس في كاريوكات زرعت بأشجار الكرم والزيتون ، إضافة إلى الحبوب والخضروات<sup>(٩١)</sup> . وكان يتسم تقسيم الأراضي الزراعية الطويلة والضيقة بسلاسل من الحجارة<sup>(٩٢)</sup> ، ربما تجنباً لحدوث أية مشاكل بين أصحاب الأراضي المتجاورة ، ولمنع التربة من الانجراف . وقد أشرنا إلى أن رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة ، لجأوا إلى منح بعض الأراضي التي حصلوا عليها من داخل حدود مملكة بيت المقدس ، إلى بعض



المستوطنين الأوروبيين، من أجل استغلالها، ودفع نسبة من المحاصيل مقابل استغلالهم لهذه الأراضي.

أما عن الأساليب الزراعية التي كان يتبعها الفلاحون الصليبيون والمستوطنون الأوروبيون في زراعة الأرض زمن الحكم الصليبي، فكانت تعتمد على الأساليب التقليدية القديمة، كاستعمال المحاريث التي تجر بواسطة الإنسان و الحيوان. وقد أشارت إحدى وثائق كنيسة القيامة، أن ست بقرات خالية من الأمراض، كان باستطاعتها حراثة ست كاريوكات في اليوم الواحد<sup>(٩٣)</sup>، مما يفيد بأن فلاحاً واحداً يستطيع حراثة كاريوكين في اليوم. وكانت حراثة الأرض خاضعة لبعض القوانين، فالأرض التي تم حراثتها من أجل زراعة الذرة لمدة عام، يجب زراعتها بمحاصيل أخرى في العام القادم<sup>(٩٤)</sup>. وكان الفلاحون يتبعون دورة زراعية مدتها سنتان، بحيث يتم تقسيم الأراضي الزراعية إلى قسمين. ويقومون بزراعة أراضي النصف الأول بالمحاصيل الشتوية كالحبوب، بينما تزرع بعض أراضي النصف الثاني من القسم الأول بالخضروات، ويترك بعضها للراحة، بعد أن يتم حراثتها. وفي فصل الصيف تزرع جميع الأراضي بالمحاصيل الصيفية كالذرة والسمسم. وفي العام التالية تترك أراضي القسم الأول للراحة، بينما تزرع أراضي القسم الثاني بالحبوب الشتوية<sup>(٩٥)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن الفلاحين كانوا يقومون بإنشاء القنوات والمجاري المائية لري الأراضي الزراعية، وقد وجدت مثل هذه القنوات والمجاري المائية بالقرب من نابلس وقيسارية وأريحا<sup>(٩٦)</sup>. وقد أشار الرحالة والحجاج الأوروبيين الذين زاروا المنطقة أثناء فترة الحكم الصليبي إلى توفير المياه المتدفقة من الينابيع والآبار في كثير من المناطق، وبطبيعة الأمر، فإن توفير مصادر المياه إلى جانب التربة الخصبة، من العوامل الهامة في إيجاد مناطق زراعية ذات إنتاج عالي من مختلف المحاصيل. فعلى سبيل المثال أشار الحاج الروسي دانيال إلى خصب أراضي مدينة أريحا وشهرتها بزراعة أنواع مختلفة من المحاصيل، هذا إلى جانب وجود الكثير من الينابيع والقنوات المنتشرة في المنطقة<sup>(٩٧)</sup>. كذلك أشار يعقوب القيتري إلى شهرة مقاطعة صور وبوفرة المياه المندفعة من الينابيع إلى جانب وجود العديد من جداول المياه العذبة. ولعل خصب التربة وتوفير المياه في منطقة صور، أضفى عليها أهمية اقتصادية عالمية، إذ اشتهرت بكروم العنب، وحقول القمح والحدائق<sup>(٩٨)</sup>. وقد اهتم رجال الدين اللاتين بأمور الأراضي الزراعية في إقطاعاتهم، وعملوا على تطويرها بكافة الوسائل والطرق المتاحة. وفي بداية الأمر قسموا الأرض إلى قطع، ونظموها في وحدات، وبلغت مساحة كل وحدة نحو أربعة آلاف متر مربع، كما أنهم خصصوا بعض الأراضي لزراعة



الأشجار المثمرة والبعض الآخر لزراعة الحبوب والخضروات . كذلك قام رجال الدين اللاتين بشق القنوات من أجل ري الأراضي ، كما أنهم أنشأوا الأبراج من أجل حماية الأراضي الزراعية والعاملين فيها من أية اعتداءات خارجية . وأشارت إحدى الوثائق إلى أن رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط ، قاموا بإنشاء القنوات في بعض الأراضي التي حصلوا عليها من ملوك بيت المقدس<sup>(٩٩)</sup> . كذلك أبدى الرهبان الذين يعيشون في منطقة أريحا اهتماماً كبيراً بالزراعة ، حيث قسموا الأراضي ، ووزعوها على أديرتهم ، واهتموا بزراعتها ، الأمر الذي ترتب عليه وجود غابات كثيفة من الأشجار . وإلى جانب ذلك قام الرهبان بإنشاء الأبراج العالية ، من أجل حماية الأراضي الزراعية . وقد أفادوا من ذلك كثيراً ، وحققوا مكاسب وفيرة<sup>(١٠٠)</sup> .

على أية حال اهتم رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة اهتماماً كبيراً بالزراعة ، ولذلك قاموا بزراعة الأراضي التي منحت لهم بالعديد من المحاصيل والأشجار المثمرة ، على الرغم من أنهم توسعوا في زراعة أشجار الكرمة في إقطاعاتهم ومستوطناتهم ، لدرجة أن رؤساء الكنائس والأديرة كانوا يشرفون بأنفسهم على زراعة أشجار الكرمة والزيتون . وقد أفاضت الوثائق الصليبية المتعلقة بأمور الشرق الإسلامي خلال فترة الحروب الصليبية . بذكر أشجار الكرمة ، والتوسع في زراعتها ، لما تدره هذه الأشجار من ربح على المشتغلين بها .

أما عن أهم المحاصيل والمزروعات التي وجدت في الأراضي المقدسة أثناء الحكم الصليبي ، فهي كثيرة ومتعددة ، ولعل أهمها الحبوب والبقول والخضروات والأشجار المثمرة وقصب السكر . وعلى الرغم من أن الصليبيين توسعوا في زراعة معظم المحاصيل دون الأخرى ، إلا أن الأراضي المقدسة اشتهرت بزراعة بعض المحاصيل والأشجار المثمرة التي كانت معروفة وقتذاك . وستعرض في هذه الدراسة إلى ذكر أهم المحاصيل والأشجار المثمرة التي وجدت في الأراضي المقدسة أثناء الحكم الصليبي لها .

وتعتبر الأراضي المقدسة مناسبة جداً لزراعة الحبوب بسبب خصوبتها العالية ، وذكر الرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون أن هذه الأراضي غنية بالقمح ، الذي تتم زراعته وحرثته دون أدنى جهد<sup>(١٠١)</sup> . وكانت الخليل ونابلس تشتهرن بإنتاج القمح الجيد<sup>(١٠٢)</sup> ، وذكرت إحدى الوثائق أن إقطاعية نابلس كانت تقدم ألف مكيال من القمح سنوياً إلى كنيسة القيامة<sup>(١٠٣)</sup> وذكر يعقوب القيتري أن حقول القمح كانت تزخر في منطقة صور<sup>(١٠٤)</sup> . وكانت المناطق الواقعة شرق نهر الأردن تشتهر بزراعة الحبوب ،



حيث كانت توجد بوفرة في هذه المنطقة . وتعتبر مونتريال (الشوبك) من أشهر البلاد عناية بزراعة القمح<sup>(١٠٥)</sup> . وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن سكان بيت المقدس الصليبية، كانوا يعتمدون على محصول القمح الذي تنتجه الأراضي الواقعة في شرق الأردن، فإذا ما خاب محصول القمح، كان لا بد من استيراده من سوريا<sup>(١٠٦)</sup> . ووجدت بعض المناطق الأخرى التي اشتهرت بزراعة القمح، وخاصة بالقرب من السواحل وفي وادي زرعين ووادي الأردن<sup>(١٠٧)</sup> .

يتضح مما سبق أن القمح الذي كان يزرع في أماكن مختلفة من الأراضي المقدسة، لكن يبدو أن زراعته لم تكن مربحة لأصحاب الأراضي، لدرجة أن الصليبيين فكروا بإنبات قصب السكر بدلاً من القمح والشعير في منطقة عكا<sup>(١٠٨)</sup> . وعلى الرغم من ذلك اهتم رجال الدين اللاتين والمستوطنين الأوروبيين بزراعة القمح في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية، فقد ذكرت إحدى الوثائق أن المستوطنين زرعوا القمح في أراضي مستوطنة راماتيس، حيث كانت الأراضي في هذه المستوطنة منظمة ومقسمة في كاريوكات، وكان بعضها معد لزراعة القمح والبعض الآخر زرع بأشجار الكرمة والزيتون هذا إلى جانب الخضروات التي كانت تزرع في المستوطنة<sup>(١٠٩)</sup> . وذكرت وثيقة أخرى أن القمح والبقول من ضمن المحاصيل التي كانت تزرع في مستوطنة البيرة<sup>(١١٠)</sup> . وهذا يعني أن زراعة القمح كانت قائمة في الإقطاعات الكنسية . وقد قام رجال الدين اللاتين بفرض الضرائب على الأراضي المزروعة بالقمح والخضروات، إذ كان المستوطنون الأوروبيون، وأهل البلاد الأصليون يدفعون ربع محصول القمح والخضروات<sup>(١١١)</sup> . وعلى العموم فقد كانت الحبوب والخضروات وأشجار الزيتون تشكل دائماً أساس اقتصاد القرى الفلسطينية<sup>(١١٢)</sup> . ولما كانت الكنائس والأديرة قد حازت على عدد كبير من القرى الفلسطينية وبعض القرى الواقعة على الساحل اللبناني، فإننا نرجح أن يكون فلاحو هذه القرى قد أبدوا اهتماماً بزراعة الحبوب وخاصة القمح، وذلك من أجل سد احتياجاتهم المحلية، أو لبيعه إلى سكان المدن والقرى المجاورة .

وكانت الأراضي المقدسة بما فيها الإقطاعات الكنسية تشتهر بزراعة أنواع عديدة من الحبوب والبقول وخاصة السمسم والشعير والبقول والفاصوليا والحمص Chick-Peas والعدس Lentil وكان القطن والتيلة والكتان تزرع في الأراضي السهلية<sup>(١١٣)</sup>، على الرغم من أن بذور الكتان كانت تزرع في نابلس، التي حظي كتانها بشهرة عالمية<sup>(١١٤)</sup>، وكانت الذرة تزرع في مناطق مختلفة من فلسطين، أشهرها إقليم الجليل، وخاصة في سهول مجدو ومرج بن عامر والفولة<sup>(١١٥)</sup> .



وتعد الأراضي الزراعية في فلسطين صالحة لنمو جميع أنواع الخضروات، وقد ذكر الرحالة والحجاج الذين زاروا المنطقة خلال فترة الحكم الصليبي لها، أنها كانت تشتهر بجميع أنواع الخضروات<sup>(١١٦)</sup>. وأشار الحاج دانيال الروسي إلى أن خضروات منطقة الخليل «كانت الأحسن والأكبر حجماً بين بقية الخضروات التي تزرع على وجه الأرض»<sup>(١١٧)</sup>، وأشار بورشارد من دير جبل صهيون إلى أن الخضروات تكثر بجميع أنواعها في الأراضي المقدسة مثل الخيار والقرع وأنواع أخرى كثيرة<sup>(١١٨)</sup>. كذلك اهتم المزارعون الفلسطينيون بزراعة البطيخ الأحمر والأصفر<sup>(١١٩)</sup>. وقد ذكر الأنصاري الدمشقي الذي زار فلسطين بعد طرد الصليبيين منها إلى أن نابلس كانت تشتهر بزراعة «البطيخ الأصفر زائد الحلاوة»<sup>(١٢٠)</sup>، هذا إلى جانب شهرتها بالجزر المشهور<sup>(١٢١)</sup>. ويرجح أحد المؤرخين الحديثين أن البصل والثوم والخردل من المزروعات التي كانت قائمة في الأراضي المقدسة زمن الحروب الصليبية، وأضاف المؤرخ الحديث إلى أن الخبيزة كانت تزرع في الأراضي المحروثة<sup>(١٢٢)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن الأراضي المقدسة تجود بكثير من الأعشاب والنباتات الطبيعية، التي تنمو في معظم الأراضي المقدسة، ولكنها تكثر في المناطق الجبلية. ومعظم هذه الأعشاب والنباتات تنمو دون أن يقوم الفلاحون بزراعتها، أي أنها تنمو برياً. ومن هذه النباتات الزعتر، ويكثر في سفوح جبال نابلس والجليل. وقد أشار الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون إلى عدة نباتات وأعشاب طبية تنمو في الأراضي المقدسة منها الميرمية Sage<sup>(١٢٣)</sup> والسذاب (الفحن) Rue<sup>(١٢٤)</sup> والشومر Fennel<sup>(١٢٥)</sup>، وأضاف بورشارد أن هذه النباتات تنمو في كل مكان، وحسب الأرض التي تلائمها<sup>(١٢٦)</sup>.

يتضح مما سبق أن أنواعاً كثيرة من الخضروات والنباتات كانت تنمو في الأراضي المقدسة في العهد الصليبي. ولا بد أن الأراضي والقرى التي منحت للكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية في مختلف البلاد الخاضعة لمملكة بيت المقدس الصليبية، كانت تشتهر بنمو أنواع مختلفة من الخضروات والنباتات. وقد أشرنا إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، كانوا يحصلون على ربع محصول الخضروات، التي تنتجها الأراضي التي حصلوا عليها على سبيل الإقطاعات<sup>(١٢٧)</sup>، أو تلك التي قاموا بشرائها. مما يفيد أن زراعة الخضروات كانت تحظى اهتمام رجال الدين اللاتين، وبقية سكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية.

ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين لم يضعوا أية قيود أو ضرائب على «النباتات والأعشاب الطبية التي كانت تنمو في الإقطاعات الكنسية.



ولا بد وأن سكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية، قد استعملوا النباتات والأعشاب الطبية من أجل التداوي بها. وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من هذه النباتات والأعشاب لا تزال تحظى باهتمام سكان فلسطين.

وإلى جانب الحبوب والبقول والخضروات والنباتات التي كانت تكثر في الأراضي المقدسة، اشتهرت هذه البلاد بزراعة قصب السكر. وذكر المقدسي أن قصب السكر كان من ضمن خيرات فلسطين<sup>(١٢٨)</sup>، وكانت مزارعه منتشرة في أراضي قرية كابول Cabul<sup>(١٢٩)</sup> التي كانت تنتج أجود أنواعه<sup>(١٣٠)</sup>. ويتضح من حديث المقدسي البشاري أن بعض المناطق المجاورة لعكا كانت تشتهر بزراعة قصب السكر قبل قدوم الصليبيين إلى الأراضي المقدسة. وبما أن المقدسي عاش في القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري، فهذا يعني أن كابول كانت تشتهر بزراعة القصب أيام الحكم الأخشيدي والحكم الفاطمي لفلسطين<sup>(١٣١)</sup>. وقد اشتهرت دمشق وطرابلس بزراعة قصب السكر أيضاً<sup>(١٣٢)</sup>، عندما عبر الصليبيون مدينة طرابلس تذوقوا طعم السكر، لأول مرة في حياتهم، ويرجع ذلك لأنهم لم يعرفوه في بلادهم<sup>(١٣٣)</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن زراعة قصب السكر تحتاج إلى عدة مقومات أهمها: المناخ الجيد، والتربة الخصبة، وتوفر مصادر المياه اللازمة لزراعة القصب، فضلاً عن توفر الخبرة في زراعة مثل هذه المحاصيل. فعلى سبيل المثال اشتهرت مقاطعة صور بزراعة قصب السكر، بكميات كبيرة بسبب وفرة المياه المتدفقة من الينابيع والعيون، فضلاً عن وجود الكثير من الجداول التي كانت تزود المزروعات بالمياه العذبة<sup>(١٣٤)</sup>، كذلك كانت المناطق الواقعة في وادي الأردن وحول بحيرة طبرية تشتهر بزراعة القصب، وتعطي إنتاجاً وفيراً من السكر<sup>(١٣٥)</sup>. وعندما تذوق الصليبيون قصب السكر في بلاد الشام لأول مرة، ونال إعجابهم، تعلموا زراعته من أهل البلاد، وبدأوا يتوسعون فيها<sup>(١٣٦)</sup> لدرجة أنهم أصبحوا خبراء في صناعة السكر، بعد فترة وجيزة من استقرارهم في بلاد الشام<sup>(١٣٧)</sup>.

مهما يكن من أمر، فقد اهتم الصليبيون في بلاد الشام وفلسطين بزراعة قصب السكر<sup>(١٣٨)</sup>، وقاموا بإنشاء القنوات والمجاري من أجل توصيل المياه إلى الأراضي المزروعة بقصب السكر. وكانت قنوات ري مزارع السكر تكثر في المناطق المجاورة لقيسارية ونابلس وأريحا<sup>(١٣٩)</sup>. وقد ذكر أحد الرحالة الأوروبيين أن قصب السكر ينمو في معظم الأراضي المقدسة<sup>(١٤٠)</sup>، ووصف لنا طريقة زراعته بقوله: إن السكان كانوا يقومون بقطع القصب إلى عدة قطع صغيرة، كل قطعة بطول أصبع الرجل، وذلك من أجل الحصول على عقدة في منتصف كل قطعة، وذلك لأنه يوجد عدة عقد أو براعم في كل



قطعة . وبعد ذلك كان السكان يقومون بطمر العقد في أراضي رطبة خلال فصل الربيع ، ومن ثم ينمو من كل عقدة قصبستان ، على كلا جانبي العقدة ، وبهذه الطريقة يتم زراعة قصب السكر<sup>(١٤١)</sup> .

ومن أشهر مراكز زراعة قصب السكر في العصر الصليبي ، مقاطعة صور ، التي كان سيدها الإقطاعي يحصل على دخل كبير من محصول القصب<sup>(١٤٢)</sup> ، كذلك اشتهرت صيدا والمناطق المحيطة بها بزراعة قصب السكر الممتاز<sup>(١٤٣)</sup> ، وكانت الأراضي الواقعة في وادي الأردن حول طبرية تشتهر بزراعة القصب<sup>(١٤٤)</sup> ، كما اشتهرت بزراعته أيضاً نابلس وقيسارية وأريحا وعكا والشوبك (مونتريال)<sup>(١٤٥)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن الأراضي الصالحة لزراعة قصب السكر كانت كثيرة ، ولكن الصعوبة تكمن في توفير مصادر المياه اللازمة لري القصب<sup>(١٤٦)</sup> .

وكانت محاصيل قصب السكر تمنح على سبيل الهبات للمؤسسات اللاتينية في الأراضي المقدسة ، ففي يوم الاثنين الموافق السابع عشر من أكتوبر عام ١١٧٧م / الحادي والعشرين من ربيع الآخر عام ٥٧٣هـ ، قام الملك عموري الأول بمنح المستشفى الألماني في بيت المقدس ، جزءاً من محصول القصب الذي تنتجه مزارع نابلس ، والمنحة عبارة عن حملين من القصب أحدهما في صورة عيدان من القصب والآخر حمل من السكر الذي تم عصره في معاصر السكر التي كانت قائمة في نابلس وقتذاك<sup>(١٤٧)</sup> . وبسبب ما تدره مزارع القصب من أرباح على المشتغلين بها ، فكر فرسان التيوتون بإنبات قصب السكر في الأراضي التابعة لهم ، والتي كانت تزرع بالقمح والشعير ، هذا في حالة استمرارهم بدفع ضريبة العشر لأسقف عكا على الأراضي المزروعة بالحبوب<sup>(١٤٨)</sup> .

وقد اهتم رجال الدين اللاتين بزراعة قصب السكر في إقطاعاتهم ، فعلى سبيل المثال كانت أريحا والمناطق المحيطة بها تشتهر بزراعة القصب والبساتين والحدائق . وكانت مزارع القصب في أريحا تروى عن طريق القنوات ، التي تستمد مياهها من جداول رأس العين ، الذي يروي مناطق واسعة في أريحا . وتجدر الإشارة إلى أن طواحين السكر لا تزال قائمة عند سفح جبل القرنفل . وقد شاهدها بورشارد من دير جبل صهيون أثناء زيارته للمنطقة في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري<sup>(١٤٩)</sup> .

وقد اتضح من خلال دراستنا لأهم المنح والإقطاعات ، التي حازتها الكنائس والأديرة في معظم أرجاء مملكة بيت المقدس ، أن بعضها كان يقع في المناطق التي تشتهر بزراعة قصب السكر . فعلى سبيل المثال حاز دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على قرية عسكر الواقعة بالقرب من نابلس ، بكافة زمامها الممتد من الوادي المجاور لخربة الطيرة حتى الوادي



الكبير المؤدي إلى قرية طوباس ، وتشمل المنطقة التي خضعت للدير أيضاً خربة الفندق الصغيرة وكذلك الأرض المسماة دور . والواقعة في مواجهة قرية بيت فورم<sup>(١٥٠)</sup> . وبما أن هذه المناطق تقع بجوار مدينة نابلس ، التي كانت تشتهر بزراعة قصب السكر زمن الحكم الصليبي ، بسبب توفر المقومات اللازمة لزراعة القصب مثل الأراضي الخصبة وتوافر المياه ، واعتدال المناخ . ولهذا فإننا نرجح قيام رجال الدين في دير القديسة مريم بزراعة قصب السكر في قرية عسكر وجميع الأراضي التابعة لها ، وذلك اعتماداً على توفر مصادر المياه<sup>(١٥١)</sup> ، وخصب التربة ، هذا بالإضافة إلى أن رجال الدين في دير القديسة مريم كانوا يولون اهتماماً خاصاً بالأراضي التي يحصلون عليها ، وقد سبق وأن ذكرنا أنهم قاموا بشق قناة في أراضي قرية سيلون من أجل ري الكروم والحدائق التي حصلوا عليها<sup>(١٥٢)</sup> . ونفس الكلام السابق ينطبق على قرية صافي الواقعة في حدود نابلس والتي منحت لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط<sup>(١٥٣)</sup> .

ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين في مملكة بيت المقدس ، قاموا بزراعة قصب السكر في الأراضي والإقطاعات التي حصلوا عليها في مقاطعة صور ، اعتماداً على أن هذه المنطقة كانت من أشهر المناطق عناية بقصب السكر وزراعته ، وذلك بسبب غزارة المياه الموجودة داخل أراضيها ، والتي كانت تزود المزروعات بالمياه العذبة<sup>(١٥٤)</sup> . ولذلك فمن المرجح أن تكون قرية ديرينا - الواقعة في مقاطعة صور ، والتي منحت لكنيسة القيامة من قبل الملك بلدوين الثاني عام ١١٢٥ م / ٥١٩ هـ<sup>(١٥٥)</sup> - قد زرعت بقصب السكر من قبل رجال الدين اللاتين العاملين في كنيسة القيامة ، أو من قبل بعض المواطنين الفرنجة ، الذين ربما استأجروا بعض أراضي القرية من كنيسة القيامة من أجل زراعتها ، مقابل مبلغ اتفق عليه الطرفان ، فضلاً عن دفع نسبة من المحصول الذي تدره الأرض .

وفي النهاية نستطيع القول إن الأراضي المقدسة كانت تشتهر بزراعة قصب السكر في القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري . وعندما استولى الصليبيون عليها ، تعلموا زراعة قصب السكر من سكان البلاد . ويرجع ذلك لأنهم لم يعرفوه في بلادهم ، بل تذوقوه لأول مرة في مدينة طرابلس . وقد توسع الصليبيون في زراعة قصب السكر ، بسبب ما تدره مزارع القصب من أرباح على المشتغلين بها . ولهذا وجدنا الكثير من المناطق التي اشتهرت بزراعة القصب ، مثل صور ، وصيدا ، والمناطق المحيطة بمدينة عكا ، والأراضي الواقعة في وادي الأردن ، وقيسارية ، ونابلس ، وأيحا . وقد اتضح من خلال الدراسة أن الإقطاعات الكنسية كانت من ضمن المناطق التي اشتهرت بزراعة قصب السكر ، وخاصة في مدينة أريحا



والمناطق المحيطة بها . وهذا يجعلنا نؤكد أن رجال الدين أفادوا إفادة كبيرة من الدخل الذي كانت تدره مزارع القصب التابعة لهم . وإلى جانب زراعة قصب السكر اشتهرت بلاد الشام وفلسطين بزراعة أشجار الكرمة ، لأن التربة والمناخ فيهما كانا يناسبان هذا النوع من الزراعة . وقد أشار الرحالة والجغرافيون الذين زاروا فلسطين خلال حقبة مختلفة ، إلى وجود زراعة أشجار الكرمة في مختلف بلادها ، مما يشير إلى اهتمام سكان فلسطين وعنايتهم بهذا النوع من الزراعة<sup>(١٥٦)</sup> . فقد أشار الاصطخري في سياق حديثه عن فلسطين إلى وجود زراعة أشجار الكرمة ، إذ يقول : «وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون وجميز وعنب وسائر الفواكه أقل من ذلك»<sup>(١٥٧)</sup> . ويتضح من خلال حديث الاصطخري عن مزارع فلسطين ، أنها كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة في المناطق الساحلية والجبلية على حد سواء ، على الرغم من أنه لم يحدد أسماء المناطق التي كانت تستأثر بزراعته .

وكانت أشجار الكرمة تزرع في بيت المقدس والمناطق المحيطة بها ، فقد أشار المقدسي البشاري الذي عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، إلى أن وادي جهنم (وادي يهوشافاط) في حدود بيت المقدس ، كان يشتهر بزراعة أشجار الكرمة<sup>(١٥٨)</sup> . وذكر المقدسي أيضاً أثناء حديثه عن تجارة فلسطين ، أنها كانت تشتهر بتصدير الزبيب العينوني والدوري إلى البلاد المجاورة ، وفي ذلك إشارة واضحة إلى عناية أهل فلسطين بأشجار الكرمة ، وقيامهم بتصدير العنب المجفف إلى خارج البلاد<sup>(١٥٩)</sup> ، وهذا من شأنه أن يدر دخلاً كبيراً على أهلها . وذكر الرحالة الفارسي ناصر خسرو إحدى قرى بيت المقدس باسم قرية العنب<sup>(١٦٠)</sup> ، وهذا يشير إلى كثرة أشجار العنب المزروعة في أراضيها<sup>(١٦١)</sup> .

يتضح من خلال حديث الرحالة والجغرافيين المسلمين أن فلسطين كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة ، وأن بعض مناطقها كانت تقوم بتصدير العنب المجفف إلى الخارج ، كذلك لاحظنا أن العنب نسب إلى قريتين من قرى فلسطين هما : قرية بيت عينون Bait Ainum<sup>(١٦٢)</sup> وقرية دورا الواقعتين في حدود الخليل ، ولعل هذا يشير إلى شهرة القريتين بزراعة أشجار الكرمة . وتعتبر الخليل وقراها من أشهر مناطق فلسطين عناية بأشجار الكرمة ، منذ العهد الإسلامي وحتى وقتنا الحاضر ، كما يعتبر عنبها من أجود أنواع العنب في فلسطين بل في جميع بلاد الشام ، وهو عنب زائد الحلاوة ، لذيق المذاق ، ولا نبالغ إذا قلنا إن حبة العنب تعادل حجمها حبة البلح . وتمتاز عنقايد العنب التي تنتجها أشجار الكرمة في منطقة الخليل بكبر حجمها ، إذ يصل وزن عنقود العنب في كثير من الأحيان إلى كيلو غرام أو اثنين ، وأنواعه كثيرة



أشهرها العنب الدوري والعيدوني والعاصمي<sup>(١٦٣)</sup> كذلك يمتاز عنب الخليل بأنواعه المتعددة منها: الأبيض والأصفر والأحمر والأسود.

أما التربة التي تناسب زراعة أشجار الكرمة فهي عدة أنواع، فالعنب الأبيض تناسبه التربة التي يضرب لونها إلى السواد والحمرة، مع وجود رطوبة في التربة من ماء معين، والتربة البيضاء تناسب العنب الأبيض أيضاً. والعنب الأحمر والأصفر يخصبان في الأرض الرقيقة، والعنب الذي فيه شدة توافقه التربة الرطبة. والغريب في أمر ثمار العنب أن لكل نوع منها يكون عصيره على لون أرضه لا على لونه<sup>(١٦٤)</sup> وعلى العموم فشجرة الكرمة تعتبر من أكرم الشجر، وثمرها من أشرف الثمار. ويهتم الناس كثيراً بمحصول العنب، لما في عصيره من خاصية<sup>(١٦٥)</sup>.

وقد أفاض الرحالة والحجاج الأوروبيون -الذين زاروا فلسطين خلال فترة الحروب الصليبية- بذكر أشجار الكرمة، وأهم المناطق التي تشتهر بزراعتها والعناية بها. فقد أشار الراهب دانيال الروسي -الذي زار فلسطين في الفترة الواقعة بين عامي ١١٠٦-١١٠٧ م/ ٤٩٩-٥٠١ هـ<sup>(١٦٦)</sup> إلى وفرة أشجار الكرمة المزروعة في المناطق المحيطة ببيت المقدس<sup>(١٦٧)</sup>، وذكر أن هذا النوع من الأشجار، تكثر زراعته في المناطق القريبة من بيت لحم<sup>(١٦٨)</sup>، وتغطي أشجاره سفوح جبال الخليل<sup>(١٦٩)</sup>. وأشار أحد الرحالة الأجانب إلى أن أشجار الكرمة تنمو بكثرة في الأراضي المقدسة<sup>(١٧٠)</sup>.

وتركزت زراعة أشجار الكرمة في نابلس وجميع القرى والأراضي المحيطة بها<sup>(١٧١)</sup>، وحول سبسطية التي كانت تشتهر أيضاً بكثرة البساتين والحدائق وجميع الأشياء الجيدة<sup>(١٧٢)</sup>. وكانت المناطق القريبة من البحر والواقعة شمال مدينة صيدا تشتهر بزراعة أشجار الكرمة الممتازة، التي كانت تزرع بكثافة في هذه المنطقة<sup>(١٧٣)</sup>. وذكر يعقوب الفيتري أن مقاطعة صور اهتمت بزراعة أشجار الكرمة، حيث كانت أراضيها غنية بكروم العنب<sup>(١٧٤)</sup>. وكانت مدينة عكا والقرى والأراضي التابعة لها محاطة بأشجار الكرمة، التي كانت تتمتع بشهرة خاصة<sup>(١٧٥)</sup>. وقد ذكر الرحالة والحجاج الأوروبيون الذين زاروا المنطقة في القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر الميلاديين/ السابع والثامن الهجريين أن قرية الزيب (امبرت) الواقعة شمال مدينة عكا كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة، التي كانت تحيط بجميع أراضي القرية<sup>(١٧٦)</sup>. ونفس الشيء يقال عن قرية سكانداليوم Scandalium<sup>(١٧٧)</sup> التي كانت أراضيها تشتهر بزراعة أشجار الكرمة<sup>(١٧٨)</sup>.

وعلى الرغم من أن أشجار الكرمة كانت تزرع في المناطق الساحلية والجبلية، إلا أن زراعتها في المناطق الجبلية كانت أكثر غزارة<sup>(١٧٩)</sup>.

وقد حظيت زراعة أشجار الكرمة باهتمام الصليبيين بوجه عام، واهتمام



رجال الدين اللاتين بوجه خاص ، وذكر المؤرخ الصليبي فوشيه الشار تري أن الصليبيين أولو عناية كبيرة بزراعة أشجار الكرمة ، إذ كان المزارعون الفرنجة يقومون بحراثة الأرض المزروعة بأشجار الكرمة<sup>(١٨٠)</sup> ، لأنها تحتاج إلى عناية كبيرة ، وتسميد مستمر بزل البقر والماشية والحمام<sup>(١٨١)</sup> ، فضلاً عن عمليات تقليم الفروع الزائدة التي كان يقوم بها الفلاحون<sup>(١٨٢)</sup> . ويرجح أحد المؤرخين الحديثين أن الفلاحين الفرنجة في إقطاعية نابلس قاموا بحراثة وتعهّد جميع الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة<sup>(١٨٣)</sup> ، وقد أصبحت إقطاعية نابلس من أكثر البلاد إنتاجاً للعنب ، الذي كان يباع في أسواق بيت المقدس من قبل سكان الريف النابلسي<sup>(١٨٤)</sup> . هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من كروم العنب في نابلس كانت تمنح على سبيل المنح والإقطاعات ، ففي يوم الإثنين الموافق السابع عشر من أكتوبر عام ١١٧٧ م / الحاد والعشرين من ربيع الآخر عام ٥٧٣ هـ ، قام الملك عموري الأول بمنح المستشفى الألماني في بيت المقدس ثلاثة كروم عنب في سفح جبل عيبال<sup>(١٨٥)</sup> . وفي يوم الجمعة الموافق الحادي عشر من فبراير عام ١٢٢٨ م / الثالث من ربيع الأول عام ٦٢٥ هـ ، قام باليان سيد صيدا بمنح بعض كروم العنب الواقعة في منطقة صيدا لهيئة فرسان التيوتون<sup>(١٨٦)</sup> .

وكانت الإقطاعات الكنسية التي حازتها الكنائس والأديرة مليئة بأشجار الكرمة ، فمدينة بيت لحم - التي منحها الملك بلدوين الأول إلى كنيسة المهد - كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة هي والمناطق المحيطة بها<sup>(١٨٧)</sup> إذ كانت قرية بيزك Bezek<sup>(١٨٨)</sup> - التي تبعد عن بيت لحم نحو ميل ونصف - تشتهر بزراعة أجود أنواع كروم العنب ، وكان جميع سكانها من المسيحيين الذين كانوا يصنعون النبيذ الممتاز من المحصول الذي تدره أشجار الكرمة المزروعة في أراضيهم ، فضلاً عن أنهم كانوا يتعهّدون بأشجار الكرمة في القرى المجاورة لقريتهم<sup>(١٨٩)</sup> . وقد ذكر المؤرخ الصليبي وليم الصوري أن خلافاً وقع بين رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة وبين الملك بلدوين الأول حول كروم العنب الواقعة في ضواحي بيت المقدس ، والتي كانت من أملاك بلدوين الأول ، وكان رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قد اتهموه بالتصرف في كروم العنب ومنحها إلى كنيسة المهد في بيت لحم ، على الرغم من أن الكروم التي كانت من أملاكه الخاصة . ولعل ذلك يشير إلى مدى حرص المؤسسات الكنسية على امتلاك الكثير من الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة<sup>(١٩٠)</sup> .

وكانت أريحا والمناطق المجاورة لها من ضمن الإقطاعات الكنسية التي اشتهرت بزراعة أشجار الكرمة<sup>(١٩١)</sup> ، فقد ذكر الراهب دانيال الروسي أن أراضيها وأراضي القرى المحيطة بها ، كانت تمتاز بالخصوبة ، ووفرة الإنتاج ،



فضلاً عن أنها أرض مستوية، مليئة بالينابيع العديدة، المنتشرة في كل مكان<sup>(١٩٢)</sup>. ولذلك اشتهرت المنطقة بزراعة أشجار الكرمة الجيدة، التي كانت تنتج أجود أنواع العنب في الأراضي المقدسة<sup>(١٩٣)</sup>، هذا إلى جانب شهرتها بزراعة أشجار النخيل العالية، ومعظم أشجار الفاكهة<sup>(١٩٤)</sup>. وتعتبر قرية عين جدي (Engedi) Engaddi<sup>(١٩٥)</sup> - الواقعة أقصى الجنوب الغربي من أريحا - من أشهر القرى في المنطقة عناية بأشجار الكرمة وبزراعتها<sup>(١٩٦)</sup>. وذكر الرحالة بورشارد الذي زار المنطقة في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، أن جذوع أشجار الكرمة كانت لا تزال قائمة في قرية عين جدي أثناء زيارته لها، وأضاف أن المسلمين الذين يعيشون في المنطقة لا يهتمون بزراعة أشجار الكرمة<sup>(١٩٧)</sup>. ويلاحظ من حديث بورشارد أن العناية بزراعة أشجار الكرمة في قرية عين جدي لم تعد قائمة في القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري، وذلك يعود لعدم اهتمام السكان بهذا النوع من الزراعة. ومن المرجح أن معظم الإقطاعات والأماكن التي حازتها الكنائس والأديرة في حدود نابلس وبيت المقدس وبيت لحم والخليل، كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة، اعتماداً على شهرة المناطق سابقة الذكر بهذا النوع من الزراعة. ففي عام ١١١٥ م / ٥٠٩ هـ حاز دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على أراضي مزروعة بأشجار الكرمة في حدود بيت المقدس، قدمها باليان كندسطل يافا<sup>(١٩٨)</sup>. كذلك حصلت كنيسة القيامة على كرم عنب في حدود كونتية يافا<sup>(١٩٩)</sup>، وقام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة سابقة الذكر بشراء قطعة أرض مزروعة بأشجار الكرمة في حدود بيت المقدس، بمبلغ مائة وأربعين بيزنط في عام ١١٢٩ م / ٥٢٣ هـ<sup>(٢٠٠)</sup>، وبعد ذلك بفترة اشتروا أراض مزروعة بأشجار الكرمة في قرية سنجل<sup>(٢٠١)</sup> وفي عام ١١٥٢ م / ٥٤٧ هـ قامت إحدى السيدات بمنح كنيسة القيامة قطعة أرض مزروعة بكروم العنب في قرية البيرة<sup>(٢٠٢)</sup>. ومهما يكن من أمر، فقد حصلت المؤسسات الكنسية اللاتينية على كثير من الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة، هذا إلى جانب أنها نظمت المجتمع الزراعي في إقطاعاتها وأراضيها تنظيمًا جيداً، وتعهدت بزراعة أشجار الكرمة وأولتها عناية كبيرة<sup>(٢٠٣)</sup>، لدرجة أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة اشترطوا على جميع السكان في البيرة - التي كانت من أهم الإقطاعات المبكرة التي حصلوا عليها زمن الأمير جودفري البويوني - أن لا يقوموا ببيع الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة، إلا بعد أخذ مشورتهم ورأيهم في عملية البيع. وعلاوة على ذلك اشترطوا الحصول على نصف ثمن الأراضي المباعة. ولعل هذا الأمر يشير إلى مدى حرص رجال الدين



اللاتين على الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة، ومدى اهتمامهم بها. وقد وضع رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة المراقبين على الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة في مستوطنة البيرة، وعلى المشتغلين بها، فإذا أهمل أي شخص من أصحاب الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة أرضه لأي سبب من الأسباب، فإن نائب الخزانة -التابع لكنيسة القيامة- ومعه أربعة أو خمسة شهود موثوق بهم، يأتون إليه، ويظهرون له سوء زراعته وعدم اهتمامه بأرضه، فإذا لم يبد أي اهتمام من أجل إصلاحها، كانوا يفرضون عليه في بداية الأمر غرامة قدرها نصف مارك من الفضة، كما أنهم كانوا يهددونه بانتزاع أرضه المزروعة بأشجار الكرمة، ومنحها إلي شخص آخر، إذا استمر في إهماله، وعدم عنايته بأرضه وكرومه<sup>(٢٠٤)</sup>.

وقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن رئيس كنيسة القيامة، كان يقوم بنفسه بالاشراف على زراعة أشجار الكرمة في مساحات واسعة من الأراضي التي تعود ملكيتها لكنيسته، وتعرضت الوثيقة نفسها إلى ذكر أشجار الكرمة التي زرعت في مستوطنة راماتيس الجديدة، والتي قام رجال الدين اللاتين بمنحها إلى بعض المستوطنين الأوروبيين من أجل تشجيعهم على الاستقرار في المستوطنة الجديدة. وقد تقرر أن يدفع المستوطنون ضريبة العشر ونصف الإنتاج الذي تدره أشجار الكرمة المزروعة منذ أمد بعيد، أما الأشجار المزروعة حديثاً، فتقرر أن يدفع عنها ضريبة العشر وخمس الإنتاج<sup>(٢٠٥)</sup>. ويبدو أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قد اكتسبوا خبرة في مجال زراعة أشجار الكرمة، وذلك من خلال إشرافهم المباشر على زراعتها، هذا إلى جانب أنهم كانوا يدركون أن الأراضي التي مضى على زراعتها فترة من الزمن، ولذلك نراهم يفرضون نسب مختلفة من الضرائب على الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة، مما يشير إلى اهتمامهم بأحوال المستوطنين الأوروبيين، وغيرهم من الفلاحين الوطنيين، الذين يعملون في الأراضي الزراعية التابعة لكنيستهم. ويتضح مما سبق أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، كانوا حريصين على زيادة الاهتمام والعناية بجميع الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة، داخل إقطاعاتهم وممتلكاتهم لدرجة أنهم وضعوا قيوداً شديدة على المستوطنين الأوروبيين العاملين في هذه الأراضي. الأمر الذي أدى إلى زيادة مساحة الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة في معظم الإقطاعات الكنسية. وقد اشتهرت البيرة وقلندية وراماتيس بزراعة هذا النوع من الأشجار، التي كانت تزرع أيضاً بالقرب من الكنائس والأديرة. فعلى سبيل المثال امتلك جيبيرت باباس Guibert Papas - أحد أفراد الطبقة البرجوازية، الذين يعيشون في مستوطنة البيرة - كرمًا، بالقرب من كنيسة جبل الجودي القريبة من البيرة<sup>(٢٠٦)</sup>.



وفي النهاية نستطيع القول أن الأراضي المقدسة كانت تشتهر بزراعة أشجار الكرمة قبل قيام الحروب الصليبية. وعندما استولى الصليبيون على هذه البلاد، توسعوا في زراعة أشجار الكرمة في مختلف الأراضي التي خضعت لسيطرتهم، وقد اتضح ذلك من خلال قيام رجال الدين اللاتين بالإشراف على زراعة أشجار الكرمة في البيرة، وكذلك الأشجار التي زرعت في مستوطنة راماتيس. كذلك كان الصليبيون يقومون بتحويل الأراضي الزراعية، المخصصة لزراعة الحبوب، وخاصة القمح، إلى كروم عنب، وقد تم ذلك في المناطق المجاورة لمدينة صور عام ١٢٢٠م/ ٦١٦-٦١٧هـ<sup>(٢٠٧)</sup>. ويعلق أحد المؤرخين الحديثين على ذلك بقوله أن الصليبيين قاموا بتحويل حقول القمح إلى كروم عنب من أجل تأمين احتياجاتهم، لأنه ليس هناك شك في أن كروم العنب كانت مربحة أكثر من حقول القمح<sup>(٢٠٨)</sup>. وقد لاحظنا أن الكنائس والأديرة اهتمت بزراعة أشجار الكرمة في الأراضي والأملاك التي حازتها على سبيل المنح والإقطاعات، كما أن رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة، كانوا يقومون بشراء كروم العنب من الأفراد والمؤسسات في مملكة بيت المقدس الصليبية. وعلاوة على ذلك قدم كبار الأمراء وصغاهم، وأفراد الطبقة البرجوازية الكثير من الأراضي المزروعة بأشجار الكرمة، للكنائس والأديرة اللاتينية المختلفة، المنتشرة في حدود المملكة. فعلى سبيل المثال حصل دير بيثاني على كروم العنب في حدود بيت المقدس، قدمها بعض المستوطنين الأوروبيين الذين يعيشون في المنطقة<sup>(٢٠٩)</sup>. وعلى العموم فإن اهتمام الصليبيين للمشتغلين بها، فضلاً عن حاجة الصليبيين بصفة عامة، ورجال الدين اللاتين بصفة خاصة، إلى النيذ الفلسطيني، الذي يمتاز بشهرته العظيمة منذ القدم. وكان المشرفون على مخازن التموين في الكنائس والأديرة، يدركون أهمية النيذ الفلسطيني وجودته<sup>(٢١٠)</sup>. وقد أفاد رجال الدين اللاتين من الضرائب المفروضة على أشجار الكرمة، إذ أنهم كانوا يحصلون على نصف أو خمس الإنتاج من محصول العنب.

وإلى جانب أشجار الكرمة اشتهرت مختلف مناطق فلسطين بزراعة أشجار الزيتون، وفي ذلك يقول الاصطخري وسائر جبال فلسطين وسهلها زيتون<sup>(٢١١)</sup>، وذكر المقدسي البشاري أن الزيتون يعتبر من خيرات فلسطين<sup>(٢١٢)</sup>. ويتفاوت اهتمام سكان فلسطين بزراعة أشجار الزيتون من منطقة إلى أخرى، فعلى سبيل المثال اهتم سكان نابلس وقراها بزراعة أشجار الزيتون منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر، وقد أشار إلى ذلك المقدسي البشاري بقوله: «نابلس في الجبال كثيرة الزيتون»<sup>(٢١٣)</sup>،



وقال عنها الأنصاري الدمشقي : «خصها الله سبحانه وتعالى بالشجرة المباركة وهي الزيتون»<sup>(٢١٤)</sup>. ولم تتكاثر أشجار الزيتون في مدينة نابلس فحسب، بل أيضاً في معظم قرأها، وذكر أبو اليمن العليمي أن «معظم الأشجار وضواحيها الزيتون»<sup>(٢١٥)</sup>. وأشار بنيامين التطيلي إلى أن كروم العنب وغياض الزيتون والأشجار الأخرى كانت تكثر في سبسطية<sup>(٢١٦)</sup>. ولعل اهتمام الرحالة والجغرافيين بذكر أشجار الزيتون المزروعة في نابلس والقرى المحيطة بها، يلقي الضوء على اهتمام سكان المنطقة بهذا النوع من الزراعة، مما يشير إلى التفاوت في زراعة أشجار الزيتون من منطقة إلى أخرى، على الرغم من أن هذا النوع من الأشجار، كان ينمو في المناطق الساحلية والجبلية على حد سواء. وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن رام الله القريبة من مستوطنة البيرة من أحسن المناطق لنجاح زراعة أشجار الزيتون ومن أكثر المناطق عناية بأشجاره<sup>(٢١٧)</sup>.

وقد اهتم الصليبيون بمن فيهم رجال الدين اللاتين بزراعة أشجار الزيتون في مختلف البلاد التي خضعت لسيطرتهم. وأشار الرحالة والحجاج الأجانب الذين زاروا الأراضي المقدسة أثناء الحكم الصليبي لها، إلى كثرة أشجار الزيتون المزروعة في مناطق مختلفة من البلاد<sup>(٢١٨)</sup>. وكانت الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون تقدم كمنح وإقطاعات للكنائس والأديرة، فعلى سبيل المثال حصل دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط على قطعة أرض مزروعة بأشجار الزيتون في حدود بيت المقدس<sup>(٢١٩)</sup>، حيث كانت هذه المنطقة مليئة بأشجار الزيتون<sup>(٢٢٠)</sup>. كذلك حصل دير القديسة مريم على حقل زيتون كامل في قرية الزيب (أمبرت)<sup>(٢٢١)</sup>، هذا إلى جانب حصول الدير على قرية عسكر<sup>(٢٢٢)</sup>، التي كانت تشتهر والأراضي المحيطة بها بكثافة أشجار الزيتون، لدرجة أن القرية حملت اسم عسكر الزيتون<sup>(٢٢٣)</sup>، كدليل على كثرة أشجار الزيتون المزروعة في أراضيها. وليس غريباً أن تشتهر عسكر والأراضي المحيطة بها، بزراعة هذا النوع من الأشجار، لأن جميع منطقة نابلس كانت تشتهر بزراعة أشجار الزيتون<sup>(٢٢٤)</sup>، الأمر الذي يجعلنا نرجح وجود زراعة أشجار الزيتون في جميع الأراضي والقرى التي حصلت عليها الكنائس والأديرة اللاتينية في إقطاعية نابلس.

وتجدر الإشارة إلى أن كثيراً من الإقطاعات الكنسية كانت تشتهر بزراعة أشجار الزيتون، وقد أشار الراهب دانيال الروسي إلى شهرة المناطق المحيطة ببيت المقدس وبيت لحم والخليل بزراعة هذا النوع من الأشجار<sup>(٢٢٥)</sup>. وسبق أن أشرنا إلى أن كنيسة القيامة حصلت على خمس وعشرين قرية في حدود بيت المقدس، منذ بداية الاستيلاء الصليبي على



الأراضي المقدسة<sup>(٢٢٦)</sup>، كذلك كانت مدينة بيت لحم والمناطق المحيطة بها من ضمن أملاك كنيسة القيامة، ثم انتقلت ملكيتها إلى كنيسة المهدي بواسطة الملك بلدوين الأول<sup>(٢٢٧)</sup>. وقد تحدثنا أيضاً عن حصول رجال الدين اللاتين على بعض الإقطاعات في حدود إقطاعية الخليل، مما يفيد بأن الإقطاعات الكنسية في هذه المناطق كانت تشتهر بزراعة أشجار الزيتون<sup>(٢٢٨)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد اهتم رجال الدين اللاتين بزراعة أشجار الزيتون في معظم الإقطاعات التي حصلوا عليها، وذكرت إحدى الوثائق الصليبية أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، قاموا بزراعة أشجار الزيتون في مستوطنة البيرة ومستوطنة راماتيس الجديدة، كما أنهم قسموا الأراضي المزروعة بهذه الأشجار إلى وحدات أو حصص<sup>(٢٢٩)</sup>، وربما كانت كل حصة تساوي كاريوكا عربية Carruca (فدان عربي، أي حوالي أربعة دونمات)<sup>(٢٣٠)</sup>.

وكان رجال الدين اللاتين يمنحون الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون إلى المستوطنين الأوروبيين مقابل ضريبة العشر ونسبة معينة من الضرائب، كانت تصل إلى نصف ثمار الزيتون، هذا إذا كانت أشجار الزيتون قديمة على زراعتها فترة طويلة من الزمن، أما إذا كانت الأشجار المزروعة حديثاً، فكان المزارعون يدفعون خمس ما تدره هذه الأشجار من محصول، إلى جانب ضريبة العشر المقررة على جميع فئات السكان في مملكة بيت المقدس الصليبية<sup>(٢٣١)</sup>.

يتضح مما سبق أن رجال الدين اللاتين حصلوا على مناطق كثيرة، تشتهر بزراعة أشجار الزيتون، وخاصة في نابلس وبيت المقدس وبيت لحم والخليل. وكانت هذه المناطق تشتهر بهذا النوع من الزراعة قبيل قدوم الصليبيين. وعندما تولى الصليبيون على الأراضي المقدسة توسعوا في زراعة زشجار الزيتون، نظراً لما تدره هذه الأشجار من ربح على أصحابها. وقد وجدت أشجار الزيتون في إقليم الجليل وخاصة حول طبرية<sup>(٢٣٢)</sup>، وعلى سفح جبل طابور<sup>(٢٣٣)</sup>. كذلك كانت شجار الزيتون تكثر في أسقفية صور، حيث كان رئيس أساقفتها يمتلك نحو ألفين وأربعين شجرة زيتون في قرية واحدة<sup>(٢٣٤)</sup>.

وليس من شك في صناعة استخراج زيت الزيتون، وصناعة صابون كانت تقوم أساساً على ثمار الزيتون. وبما يرجع ارتفاع الضرائب المقررة على محصول الزيتون إلى أهميته بالنسبة لهاتين الصناعتين. ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين كانوا يحققون أموالاً طائلة من القرى والأراضي المزروعة بهذا النوع من الأشجار. ولا تزال أشجار الزيتون تعتبر المورد الرئيسي لسكان معظم القرى الفلسطينية، الذين يقومون ببيع ثماره أو



إرساله إلى المعاصر من أجل استخراج الزيت .  
وإلى جانب أشجار الزيتون كانت الأراضي المقدسة تشتهر بزراعة الخرنوب<sup>(٢٣٥)</sup> والتين ، وذكر المقدسي البشاري أن ثمار الخرنوب كانت من ضمن السلع التي تصدر إلى خارج فلسطين<sup>(٢٣٦)</sup> ، وهذا يشير إلى كثرة أشجار الخرنوب المزروعة في الأراضي المقدسة قبل استيلاء الصليبيين عليها . وكانت أشجار التين تزرع في سائر جبال فلسطين وسهلها<sup>(٢٣٧)</sup> ، وأشار المقدسي إلى أن ثمار التين كانت من ضمن خيرات فلسطين ، التي أنعم الله سبحانه وتعالى بها على الأراضي المقدسة<sup>(٢٣٨)</sup> . وتكثر أشجار الخرنوب والتين في المناطق المحيطة ببيت المقدس<sup>(٢٣٩)</sup> ، كما سفوح جبال بيت لحم كانت مكسوة بهذا النوع من الأشجار ، لدرجة أن الراهب دانيال الروسي ذكر أن أشجار الخرنوب كانت لا تحصى في سفوح جبال بيت لحم<sup>(٢٤٠)</sup> . وإلى جانب هذه المناطق كانت الخليل والأراضي المحيطة بها تشتهر بكثرة أشجار الخرنوب والتين<sup>(٢٤١)</sup> . كذلك اشتهرت سفوح جبل طابور بنمو أنواع كثيرة من الأشجار ، خاصة أشجار الخرنوب والتين التي وجدت بكثرة في المنطقة<sup>(٢٤٢)</sup> . وكانت أشجار التين تكثر في أراضي اسكنداليوم ، الواقعة شمال مدينة عكا<sup>(٢٤٣)</sup> . وعلى العموم فقد كانت أشجار التين تكثر في معظم الأراضي المقدسة<sup>(٢٤٤)</sup> ، بينما اقتصر نمو أشجار الخرنوب على المناطق الجبلية التي كانت تناسب نموها .  
ومن المرجح أن أشجار الخرنوب كانت تنمو في نابلس والمناطق المحيطة بها ، اعتماداً على أنها كانت تنمو بكثرة في المناطق الجبلية في بلاد الشام وفلسطين<sup>(٢٤٥)</sup> ، هذا إلى جانب أن نابلس كانت تشتهر بصناعة حلوى الخرنوب ، مما يفيد أن أشجاره كانت تزخر في المنطقة . ومما يؤكد هذا الكلام أن المقدسي البشاري أشار إلى وجود صناعة حلوى الخرنوب في نابلس<sup>(٢٤٦)</sup> ، قبل استيلاء الصليبيين عليها بحوالي قرن من الزمان ، كذلك أشار الرحالة ابن بطوطة الذي زار المنطقة بعد انتهاء الحروب الصليبية ، إلى شهرة نابلس بصناعة هذا النوع من الحلوى<sup>(٢٤٧)</sup> . ولعل وجود صناعة حلوى الخرنوب في نابلس قبل الحروب الصليبية وبعدها ، يشير إلى استمرارية هذه الصناعة في العصر الصليبي ، مما يفيد وجود أشجار الخرنوب في نابلس والمناطق المحيطة بها . ومن المرجح أيضاً أن نابلس وقراها كانت تشتهر بزراعة أشجار التين ، اعتماداً على ما ذكر الاصطخري بأن أشجار التين كانت تزرع في جبال فلسطين وسهلها على حد سواء<sup>(٢٤٨)</sup> . وبما أن نابلس كانت تقع في وسط الإقليم الجبلي ، فلا بد وأن سكانها قاموا بزراعة أشجار التين في كثير من القرى والأراضي .  
ولعل هذه الإشارات السريعة إلى أشهر المناطق عناية بأشجار التين



والخرنوب، تلقي الضوء على أن الإقطاعات الكنسية المتواجدة في هذه المناطق كانت ترخر بهذا النوع من الأشجار، وخاصة في المناطق الواقعة في حدود بيت المقدس وبيت لحم والخليل وحول سفوح جبل طابور، حيث حازت الكنائس والأديرة على إقطاعات واسعة في هذه المناطق، فمدينة بيت لحم والأراضي المحيطة بها، كانت من ضمن الإقطاعات الكنسية، وكذلك معظم القرى الواقعة حول بيت المقدس، وبعض القرى والأراضي في إقطاعية الخليل، وبعض القرى والأراضي في إقطاعية نابلس، بينما امتلك رهبان جبل طابور الكثير من القرى والأراضي في إمارة الجليل<sup>(٢٤٩)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن الوثائق الصليبية لم تشر إلى أشجار الخرنوب والتين المزروعة في الإقطاعات الكنسية، ولكن جميع المعلومات عن هذه الأشجار استقيناها من كلام الرحالة والجغرافيين المسلمين والمسيحيين، الذين زاروا فلسطين خلال حقبة مختلفة. كذلك لم تشر الوثائق الصليبية صراحة إلى نسب الضرائب التي فرضها رجال الدين اللاتين على الأراضي المزروعة بأشجار الخرنوب والتين في حين أشارت إحدى الوثائق المورخة في عام ١١٥٩م/ ٤٤٥هـ إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، فرضوا على بعض المستوطنين في مستوطنة البيرة أن يدفعوا نصف المحصول الذي تدره أشجار الكرم أو أية أشجار أخرى مزروعة في البيرة<sup>(٢٥٠)</sup>. وبناء على ذلك فإننا نرجح أن تصل الضريبة المقررة على محصول الخرنوب إلى نصف الثمار الذي تدره أشجاره، اعتماداً على أن ثماره كانت تستعمل في تصنيع الحلوى، وكانت تصدر إلى خارج البلاد، وتلقى إقبالاً من التجار. وعلاوة على ذلك كان يستخرج منها العسل والرب. وربما كانت الضرائب المقررة على محصول التين أقل من الضرائب المقررة على محاصيل العنب والزيتون والخرنوب، وذلك لأن ثمار التين لم تكن تدخل في مجال التصنيع. ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين قد لجأوا إلى تخفيف الضرائب على أشجار الخرنوب والتين المزروعة حديثاً في الإقطاعية الكنسية أسوة بما فرضوه من ضرائب مخففة على أشجار الكرم والزيتون في المستوطنات الكنسية. أما ضريبة العشر فكانت تدفع دون تخفيف، لكن بعض رجال الدين اللاتين كانوا يتنازلون عن أخذها من بعض المستوطنين الفقراء.

وإلى جانب الأشجار المثمرة التي سبق ذكرها، اشتهرت بعض مناطق الأراضي المقدسة بنمو أشجار النخيل العالية. وذكر المقدسي البشاري أن الرطب كان من ضمن خيرات فلسطين، وفي مكان آخر أشار إلى أن ثمر أريحا كانت تصدر إلى خارج البلاد<sup>(٢٥١)</sup>، مما يشير إلى كثرة أشجار النخيل المزروعة في أريحا، حيث ينباع المتدفقة والقنوات، والأراضي الخصبة، غزيرة الإنتاج<sup>(٢٥٢)</sup>. وقد ذكر أحد الرحالة الأوروبيين أن أريحا كانت تشتهر



بنمو قصب السكر ، وبكثرة الحدائق والبساتين التي تروى من الينابيع<sup>(٢٥٣)</sup> ، والأمر الذي يلقي الضوء على شهرة هذه المنطقة ، بزراعة أنواع كثيرة من الأشجار وخاصة أشجار الفاكهة<sup>(٢٥٤)</sup> .

يتضح مما سبق أن أريحا والمناطق المحيطة بها كانت تشتهر بزراعة أشجار النخيل العالية ، قبل استيلاء الصليبيين على المنطقة . وقد استمرت شهرتها بهذا النوع من الزراعة ، بعد استيلاء الصليبيين عليها . وتعرض الحجاج الأوروبيون الذين زاروا الأراضي المقدسة في العصر الصليبي إلى ذكر أشجار النخيل العالية وجميع أشجار الفاكهة التي كانت تشتهر بها أريحا والأراضي المحيطة بها . وأشار الحاج سيولف Saewulf والحاج دانيال الروسي إلى وجود أعداد كبيرة من أشجار النخيل في أريحا<sup>(٢٥٥)</sup> . إلى جانب أريحا اشتهرت طبرية والأراضي المحيطة بها بنمو أشجار النخيل العالية ، حيث تمتاز التربة في هذه المنطقة بخصوبة عالية<sup>(٢٥٦)</sup> . كذلك اشتهرت أراضي بيسان بكثرة أشجار النخيل ، حيث تتوافر المياه<sup>(٢٥٧)</sup> . وذكر أحد المؤرخين الحديثين أن بساتين النخيل كانت توجد في حيفا وبلدان ساحل البحر الأبيض المتوسط حيث توجد جداول المياه والينابيع<sup>(٢٥٨)</sup> .

وليس من شك في أن تمر أريحا كانت عالية الجودة ، ولذلك جري تصديرها إلى خارج فلسطين ، وهذا يعني أن التمور كانت من السلع التي تلقى رواجاً في الخارج ، الأمر الذي سيحقق ربحاً كبيراً على أصحاب الأراضي المزروعة بأشجار النخيل . ولما كانت أريحا من ضمن الإقطاعات الكنسية التي منحت لرجال الدين اللاتين منذ بداية الحكم الصليبي ، فلا بد أن رجال الدين اللاتين قد فرضوا الضرائب العالية على التمور ، إلى جانب ضريبة العشر ، المقررة على جميع السكان الذين يقيمون داخل حدود مملكة بيت المقدس الصليبية .

كذلك اشتهرت الأراضي المقدسة بنمو أشجار الجميز Sycamores<sup>(٢٥٩)</sup> ، وذكر الأخطري أن أشجار الجميز كانت تنمو في المناطق السهلية والجبلية على حد سواء<sup>(٢٦٠)</sup> لكنه لم يحدد المناطق التي كانت تنمو فيها الأشجار ، بينما ذكر الحاج دانيال الروسي أن أشجار الجميز كانت تنمو في المناطق المحيطة ببيت المقدس<sup>(٢٦١)</sup> ، وأشار الرحالة الألماني يوحنا فورزبورغ إلى وجود بعض أشجار الجميز في منطقة أريحا<sup>(٢٦٢)</sup> . ويبدو أن أشجار الجميز المزروعة في فلسطين كانت قليلة ، ولذلك لم تلفت انتباه الرحالة والحجاج الذين زاروا فلسطين . كذلك لم تشر الوثائق الصليبية الخاصة بالكنائس والأديرة اللاتينية إلى أشجار الجميز . وعلى الرغم من وجود أشجار الجميز في بعض الإقطاعات الكنسية ، وخاصة في أريحا ، وفي المناطق المحيطة ببيت المقدس ، إلا أننا نستطيع الجزم بأن رجال الدين



اللاتين قاموا بفرض الضرائب على ثمار الجميز ، لأن هذه الثمار لم تكن من السلع التي تستخدم في الصناعة ، أو في التجارة .

وحظيت أشجار الرمان بعناية واهتمام سكان فلسطين ، وذكر بورشارد من دير جبل صهيون أن أشجار الرمان كانت توجد بكثرة في الأراضي المقدسة<sup>(٢٦٣)</sup> ، وخاصة في نابلس والمناطق المحيطة بها<sup>(٢٦٤)</sup> . وكانت قريتا ياسوف وبرقة الواقعتين في حدود نابلس من أشهر القرى عناية بأشجار الرمان ، ولذلك وجدت أشجاره بكثافة في هاتين القريتين<sup>(٢٦٥)</sup> . هذا إلى جانب أن أشجاره كانت تنمو في مناطق أخرى من فلسطين . وكانت ثمار الرمان والليمون الحلو تصدر إلى أوروبا ، حيث كانت تشاهد على موائد الأثرياء في إيطاليا<sup>(٢٦٦)</sup> .

ولا بد أن رجال الدين اللاتين أو المستوطنين الأوروبيين قد أولوا عنايتهم واهتمامهم بزراعة أشجار الرمان في جميع الإقطاعات الكنسية ، وذلك أسوة بسكان البلاد الأصليين . وعلى الرغم من أن الوثائق الخاصة بالكنائس والأديرة لم تشر إلى أشجار الرمان في الإقطاعات الكنسية ، إلا أنها أشارت إلى وجود الأشجار المثمرة<sup>(٢٦٧)</sup> . ومن الطبيعي أن تكون أشجار الرمان من ضمن الأشجار المثمرة ، التي وجدت في الإقطاعات الكنسية ، اعتماداً على أن أشجار الرمان كانت تكثر في جميع الأراضي المقدسة ، طبقاً لرواية بورشارد من دير جبل صهيون . وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن أشجار الرمان كانت توجد في أريحا وبالقرب من نابلس وفي المنطقة الواقعة شرق الأردن ، إلا أنها على ما يبدو لم تحظ بالعناية التامة<sup>(٢٦٨)</sup> . ويتضح من كلام هذا المؤرخ أن أشجار الرمان كانت موجودة في أريحا ، وهي من ضمن الإقطاعات الكنسية ، ولكن المؤرخ الحديث يشير إلى أن أشجار الرمان لم تلق العناية الكافية من قبل الصليبيين ، وفي اعتقادنا أن الصليبيين لم يتوسعوا في زراعة أشجار الرمان ، وهذا لا يمنع اهتمامهم بهذا النوع من الأشجار التي كانت مزروعة في الأراضي المقدسة قبل استيلائهم عليها . ومن المرجح أن رجال الدين اللاتين قاموا بفرض الضرائب على محصول الرمان ، وربما كانت تصل الضرائب المقررة إلى نصف الإنتاج الذي تدره أشجاره ، على اعتبار أن ثمار الرمان كانت من السلع التي تصدر إلى أوروبا ، وتلقى إقبالا من قبل أثرياء الغرب الأوروبي .

وكانت ثمار الموز من خيرات الأراضي المقدسة ، وقد أشار المقدسي البشاري إلى أنه كان يزرع في منطقة أريحا<sup>(٢٦٩)</sup> . ولا بد أن زراعته قد حظيت باهتمام الصليبيين وعنايتهم باعتباره من الفاكهة اللذيذة المذاق ، لدرجة أن الرحالة الألماني بورشارد من دير جبل صهيون أطلق عليه اسم «تفاح الجنة» ، وأشار إلى أن ثماره تنمو مثل عنقود العنب ، وشبه هذا العنقود بسلة كبيرة



الحجم، تصل عدد حباته إلي ما يربو على ستمائة حبة، ووصف بورشارد ثمار الموز بأنها مستطيلة الشكل<sup>(٢٧٠)</sup>. وعلى الرغم من أن بورشارد لم يشر إلى المناطق التي كانت تشتهر بزراعة الموز، إلا أننا نرجح أن سكان أريحا استمروا في زراعة أشجار الموز في العصر الصليبي، اعتماداً علي أن المنطقة كانت تشتهر بزراعته قبيل قدوم الصليبيين. هذا إلى جانب أن زراعة أشجار الموز كانت موجودة في أريحا بعد طرد الصليبيين منها، وذكر ياقوت الحموي أن أريحا كانت «ذات نخل وموز وسكر»<sup>(٢٧١)</sup>. وهذا يعني أن زراعة الموز كانت قائمة في أريحا أثناء تبعيتها للكنيسة اللاتينية. ولم تمدنا الوثائق الصليبية بأية معلومات عن نسبة الضرائب التي فرضها رجال الدين اللاتين على محصول الموز الذي تنتجه أراضي أريحا. وتجدر الإشارة إلى أن موز أريحا يعتبر من أجود الأنواع الذي تنتجه الأراضي الفلسطينية، فهو لذيذ المذاق، ويعرف باسم الموز الريحاوي.

ومن الأشجار المثمرة التي اشتهرت بها فلسطين أشجار الحمضيات بكثافة، وذكر بورشارد من دير جبل صهيون أنه يمكنه رؤية ثمارا على الأشجار طوال العام<sup>(٢٧٢)</sup>. وليس من شك في أن أشجار البرتقال والليمون تزرع في كافة مناطق فلسطين، ولكنها كانت توجد بكثرة في المناطق الساحلية وخاصة في يافا. وذكر أحد المؤرخين الحديثين أن هذه الأشجار لا تزال مألوفة في فلسطين منذ العصر الصليبي ولغاية الآن<sup>(٢٧٣)</sup>. ومن الأشجار الأخرى التي وجدت في فلسطين أشجار التفاح والكرز والخوخ، وقد أشار الحاج دانيال الروسي إلى كثرة الكرز في الخليل<sup>(٢٧٤)</sup>، وذكر يعقوب الفيتري أن أشجار التفاح كانت توجد بكثرة بالقرب من شواطئ البحر الميت وفي وادي السلط<sup>(٢٧٥)</sup>. كذلك كان البلسم ينمو في أريحا والمناطق المحيطة بها<sup>(٢٧٦)</sup>.

ومهما يكن من أمر فد اشتهرت الأراضي المقدسة في عصر الحروب الصليبية بزراعة العديد من الأشجار المثمرة. ومن المرجح أن معظمها إن لم يكن جميعها كانت توجد في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية، هذا على الرغم من أن رجال الدين اللاتين والمستوطنين الأوروبيين توسعوا في زراعة بعض الأشجار المثمرة دون الأخرى. وقد اتضح أن الاهتمام بزراعة أشجار الكرم والزيتون، يرجع لما تدره هذه الأشجار من ربح على القائمين بشئونها. وهذا يفسر النزعة المادية التي سيطرت على الصليبيين بما فيهم رجال الدين اللاتين، الأمر الذي يتطلب إعادة النظر في العامل الديني، الذي اعتبره بعضهم أحد الدوافع الرئيسة لقيام الحملات الصليبية. ولعل المشاكل التي نشبت بين رجال الدين اللاتين ورجال الدنيا في بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة تؤكد وجهة نظرنا.



وتجدر الإشارة إلى أن الرحالة والحجاج الأوروبيين الذين زاروا المنطقة خلال فترة الحروب الصليبية لم يتعرضوا لذكر جميع أنواع الأشجار المثمرة في فلسطين، ولكنهم اقتصروا على ذكر أهم هذه الأشجار. ولكن يفهم من حديثهم عن كثرة البساتين والحدائق في الأراضي المقدسة، أن جميع أشجار الفاكهة والأشجار المثمرة الأخرى التي كانت تزرع في البساتين والحدائق. كذلك لم تتعرض الوثائق الخاصة بالكنائس والأديرة إلى ذكر جميع المحاصيل والأشجار المثمرة في فلسطين، بينما أفاضت هذه الوثائق بذكر أشجار الكرم والزيتون، وقصب السكر، وبعض الحبوب مثل القمح والشعير والذرة. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت الزراعة نشطة في الأراضي المقدسة خلال تلك الفترة. وقد بدا واضحاً أن رجال الدين اللاتين أولوا عنايتهم واهتمامهم بزراعة الكثير من المحاصيل.

أما فيما يتعلق بالثروة الحيوانية خلال تلك الفترة، فلم تمدنا الوثائق إلا بشذرات قليلة عنها. فقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن الفلاحين كانوا يقدمون الدجاج والبيض والجن كضرائب إضافية إلى السادة الإقطاعيين<sup>(٢٧٧)</sup>، مما يشير إلى اهتمام الفلاحين بالثروة الحيوانية في المناطق الزراعية. وذكر الرحالة ثيودريش أنه شاهد العديد من الفلاحين المسلمين، الذين يقومون بتربية العجول والحمر من أجل حراثة الأراضي السهلية<sup>(٢٧٨)</sup>. وأشار الحاج دانيال الروسي إلى أن الماشية والخراف كانت تكثر في الخليل، وذكر أن الماشية تلد اثنتين في العام<sup>(٢٧٩)</sup>. وكانت قطعان من الغنم والماعز والخنازير تكثر حول المدن<sup>(٢٨٠)</sup>.

وقد تخصص التركمان والبو بتربية الماشية، وكانوا يقيمون في المناطق الواقعة حول نهر الأردن بسبب وجود الأغنام والماعز والماشية، هذا إلى جانب توافر المراعي الواسعة في المنطقة<sup>(٢٨١)</sup>. وإلى جانب عناية سكان فلسطين واهتمامهم بالثروة الحيوانية، اهتموا أيضاً بتربية النحل الذي كان يتخذ من الجبال مكاناً له، وكانت خلاياه تكثر في الجبال الجميلة المغطاة بالأشجار. وبطبيعة الحال كانت هذه المناطق تنتج كميات كثيرة من العسل<sup>(٢٨٢)</sup>، ولا تزال حتى وقتنا الحاضر تشتهر بتربية النحل والحصول على العسل.

وليس من شك في أن سكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية، اعتنوا بتربية الحيوانات والطيور من أجل استهلاك اللحوم، كما أنهم كانوا يحتاجون العجول والثيران من أجل حراثة الأرض. ولا بد أيضاً أن المستوطنين الأوروبيين قد اهتموا بتربية الخنازير في الإقطاعات الكنسية. ومن المرجح أن الاهتمام بالثروة الحيوانية في الإقطاعات الكنسية كان على نطاق ضيق لأن التركمان والبو هم الذين كانوا متخصصين في تربية



الحيوانات، وينتقلون من مكان لآخر حسب توافر المراعي والأعشاب اللازمة لتربية الماشية. ولم تشر الوثائق والمصادر المعاصرة إلى أن الصليبيين بمن فيهم رجال الدين اللاتين كانوا يحصلون على ضرائب من أصحاب الماشية والأغنام، الذين يقومون برعي مواشيهم وأغنامهم في الأراضي والإقطاعات التي كانت من ضمن أملاك الكنائس والأديرة اللاتينية. أما فيما يتعلق بأهم الصناعات التي كانت قائمة في الإقطاعات الكنسية، فهي ترتبط ارتباطاً كاملاً بالنشاط الصناعي الذي شهدته مملكة بيت المقدس الصليبية في القرنين الثاني والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، وذلك لأنه لا يمكن فصل الجزء عن الكل. أي أن الإقطاعات الكنسية كانت جزءاً من المملكة، ولذلك لا يمكن فصل النشاط الصناعي في الإقطاعات الكنسية، عن النشاط الصناعي في المملكة. وقد تطور هذا النشاط كثيراً في العصر الصليبي، وحقق دخلاً كبيراً للقائمين عليه، فعلى سبيل المثال كان سيد صور الإقطاعي يحقق دخلاً كبيراً من محصول السكر الذي تنتجه إقطاعيته<sup>(٢٨٣)</sup>.

وكان معظم النشاط الصناعي في مملكة بيت المقدس الصليبية، يعتمد على تصنيع المنتجات الزراعية اعتماداً كلياً، وهذا لا يعني أنه لم يكن يوجد صناعات معدنية أو خشبية خلال تلك الفترة، لأن الصليبيين أحضروا معهم إلى الأراضي المقدسة مجموعة من النجارين والحدادين والبنائين، وصناع الأحذية فضلاً عن مجموعة من الصاغة. وقد أشارت الوثائق الصليبية إلى أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قاموا بتوطين رجال فرنجة في مستوطنة البيرة، كان من بينهم العديد من أصحاب الحرف مثل الحدادين والبنائين وصناع الأحذية والصاغة والنجارين<sup>(٢٨٤)</sup>. وهذا يعطي انطباعاً عاماً على مدى اهتمام الصليبيين بصفة عامة ورجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة بصفة خاصة، بالصناعات المعدنية والخشبية، على الرغم من كونها صناعات تقليدية.

وتجدر الإشارة أن بلاد الشام وفلسطين كانت تشتهر بالعديد من الصناعات قبل قدوم الصليبيين، فقد ذكر المقدسي البشاري أن تجارة الصابون كانت ضمن تجارات فلسطين<sup>(٢٨٥)</sup>. ولعل كلامه إشارة صريحة إلى أن سكان فلسطين كانوا يقومون بتوزيع الصابون وتصديره إلى البلاد المجاورة وليس من شك في صناعة الصابون ترتبط ارتباطاً وثيقاً بصناعة استخراج زيت الزيتون، التي كانت من المؤكد من الصناعات الرائجة في فلسطين قبل استيلاء الصليبيين عليها. ومن الصناعات الأخرى التي كانت تشتهر بها بلاد الشام وفلسطين قبل الغزو الصليبي، صناعة السكر التي اشتهرت بها منطقة صور، فضلاً عن قرية كابول الفلسطينية، وقد



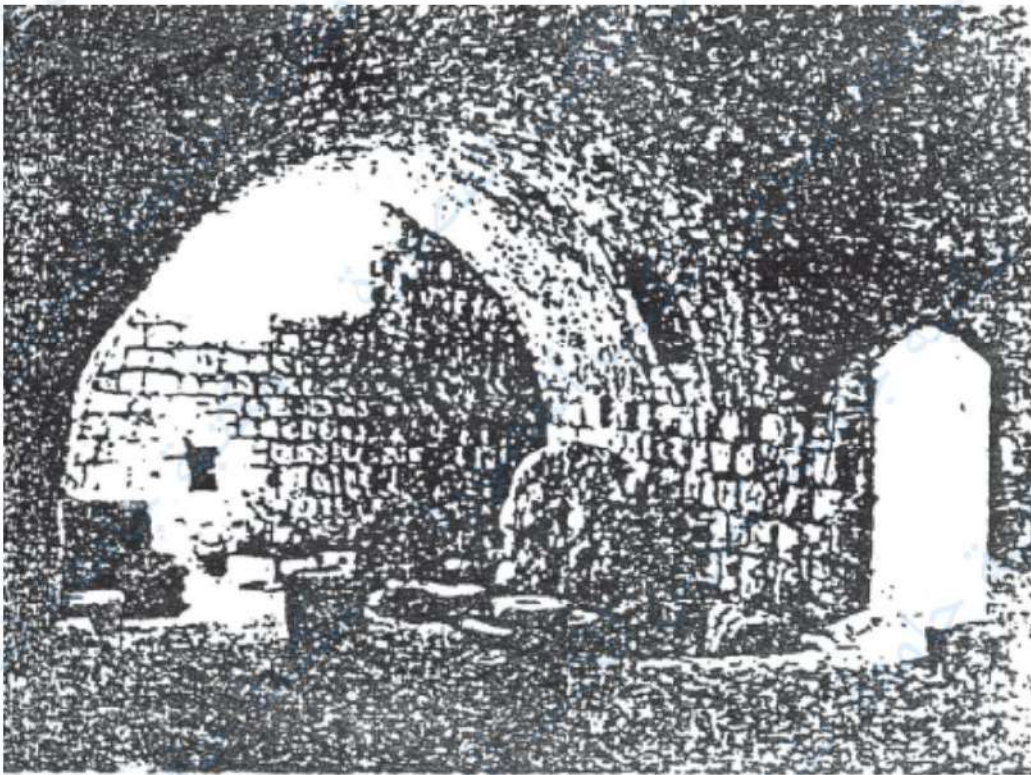
أشار المقدسي إلى أن سكر صور كان من ضمن المواد المصدرة إلى خارج البلاد<sup>(٢٨٦)</sup>. كذلك أشاد المقدس بالسكر المطبوخ في قرية كابول، ووصفه بأنه من النوع الفائق<sup>(٢٨٧)</sup>. ويبدو من كلام المقدسي أن صور وكابول كانتا تقومان بتصنيع أجود أنواع السكر لدرجة أن السكر المصنوع في صور كان يصدر إلى الخارج، كذلك كانت طرابلس ودمشق تشتهران بصناعة السكر<sup>(٢٨٨)</sup>، وقد عرف الصليبيون السكر لأول مرة في مدينة طرابلس<sup>(٢٨٩)</sup>. ومهما يكن من أمر فقد استولى الصليبيون على الأراضي المقدسة، ووجدوا بها الكثير من الصناعات الرائجة، فتعلموها من السكان الوطنيين، وبرعوا في الكثير من الصناعات، وخاصة صناعة السكر، التي أتقنها، وأصبحوا خبراء بأمورها<sup>(٢٩٠)</sup>. ومما لا شك فيه أن الإقطاعات والأملاك الكنسية التي حازتها الأديرة والكنائس في مملكة بيت المقدس الصليبية كانت قد اشتهرت ببعض الصناعات، وخاصة صناعة النبيذ، التي اهتم بها رجال الدين اللاتين اهتماماً كبيراً، بسبب حاجة الكنائس إلى هذا النوع من المشروب<sup>(٢٩١)</sup> ولذلك أوجد الإقبال على النبيذ سوقاً مزدهرة من قبل ملاك الأراضي الصليبيين<sup>(٢٩٢)</sup>.

أما فيما يتعلق بالصناعات التي اشتهرت بها الأراضي المقدسة زمن الحكم الصليبي فأهمها صناعة استخراج زيت الزيتون التي كانت من أهم الأنشطة الاقتصادية في فلسطين<sup>(٢٩٣)</sup>، خلال تلك الفترة العصبية. وسبق أن أشرنا إلى أن هذه الصناعات كانت رائجة في فلسطين قبل الحكم الصليبي، وليس من المعقول إهمالها وعدم العناية بها، وذلك لأن صناعة الصابون ترتبط بصناعة استخراج زيت الزيتون. ونظراً لأن الصابون كان من السلع التي تصدر إلى خارج البلاد، فمن غير الطبيعي أن يقل الاهتمام بصناعة استخراج زيت الزيتون، لأنها تدر مع صناعة الصابون أرباحاً كبيرة على المستغلين بها. وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن صناعة استخراج زيت الزيتون، كانت متطورة إلى درجة كبيرة في مدن وقرى فلسطين، وذلك قبيل استيلاء الصليبيين عليها. وذكر الراهب دانيال الروسي الذي زار فلسطين -بعد استيلاء الصليبيين عليها<sup>(٢٩٤)</sup>، بحوالي ثمانية أعوام- أن نابلس وقراها كانت تشتهر بإنتاج زيت الزيتون، الذي كان يجري تصديره مع سلع أخرى إلى مدينة بيت المقدس، التي كانت تحصل على جميع احتياجاتها من الطعام من مدينة نابلس وقراها<sup>(٢٩٥)</sup>.

وكانت معاصر الزيتون منتشرة في معظم القرى، التي تكثر فيها أشجار الزيتون، والتي تعتمد اعتماداً كلياً على زراعته<sup>(٢٩٦)</sup>. وكان الفلاحون يقطفون ثمار الزيتون عن طريق جد الأشجار بالعصي<sup>(٢٩٧)</sup>، ثم يجمعون المحصول ويرسلونه إلى المعاصر، التي كانت تدار بواسطة الإنسان أو



الحيوان<sup>(٢٩٨)</sup>، ويشرف عليها المعصراني، الذي كان في معظم الأحيان يمتلك معصرة الزيتون<sup>(٢٩٩)</sup>، التي يرجع استعمالها إلى عصور سابقة على العصور الوسطى<sup>(٣٠٠)</sup>. وبعد أن يتم عصر الزيتون، يأتي الفلاحون ويستلمونه زيتاً خالصاً، وتكون أجرة عصره البزر الذي استخرج منه. وكان صاحب المعصرة يقوم بجمع البزر، ويدرسه، ويستخرج منه كمية من الزيت، ثم يبيع البزر المهروس إلى أصحاب المخابز<sup>(٣٠١)</sup>، الذي كان يوقدونه في مخابزهم. ولا تزال بعض المخابز الخاصة توقد ببزر الزيتون -الذي يعرف بعد الهرس باسم الجفت- حتى وقتنا الحاضر.



مبنى معصرة الزيتون المستعمل في العصور الأولى

ومن المرجح أن الصليبيين بصورة عامة ورجال الدين اللاتين بصفة خاصة، قد اهتموا بصناعة استخراج الزيت بسبب ما تدره هذه الصنعة من أرباح على المشتغلين بها. هذا إلى جانب وفرة أشجار الزيتون في فلسطين، وكثرة المعاصر التي كانت قائمة في معظم القرى التي تشتهر بزراعة أشجار الزيتون. وذكر الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون أن الأراضي المقدسة كانت تشتهر بإنتاج الزيت، وأشار إلى شهرة إقليم الجليل بإنتاج الزيت<sup>(٣٠٢)</sup>. ولكنه لم يحدد نوعية الزيت، وهل كان مستخرجاً من الزيتون أو السمسم أو الذرة... إلخ. كذلك ذكر أحد المؤرخين الحديثين



أن حقول الزيتون في مقاطعة صور كانت تستثمر على أساس اقتصادي، حيث كان يتم استخراج زيت الزيتون، وتسويقه على أساس تجاري<sup>(٣٠٣)</sup>. وليس من شك في أن الإقطاعات الكنسية كانت تشتهر بصناعة استخراج زيت الزيتون لعدة أسباب منها: أنه تم العثور على معاصر الزيتون في بعض الإقطاعات الكنسية، وخاصة في مستوطنة البيرة حيث وجدت معصرة زيتون مهدامة في أحد منازل المستوطنة<sup>(٣٠٤)</sup>، كذلك تم العثور على معاصر الزيتون في قرية عرنوطية<sup>(٣٠٥)</sup>، وهي إحدى القرى التي منحت لكنيسة القيامة منذ وقت مبكر. ومن الأسباب الأخرى التي ترجح وجود صناعة استخراج الزيتون في الإقطاعات الكنسية، حصول الكنائس والأديرة اللاتينية على بعض حقول الزيتون، التي قدمها كبار الشخصيات الصليبية في مملكة بيت المقدس، كما أن الكثير من الإقطاعات الكنسية كانت تشتهر بزراعة أشجار الزيتون، فضلاً عن الأشجار التي قام رجال الدين اللاتين والمستوطنون الأوروبيون بزراعتها في الإقطاعات الكنسية، الأمر الذي يؤكد وجود الكثير من معاصر الزيتون في معظم الإقطاعات الكنسية، وعلى وجه التخصيص في قرى عسكر والبيرة وعرنوطية وبيت سوريك وراماتيس والقيبية، وخربة الكبوش<sup>(٣٠٦)</sup>. ومن المحتمل أن معظم هذه المعاصر كانت قائمة في الأراضي المقدسة، قبل استيلاء الصليبيين عليها. ومن الأسباب القوية التي تجعلنا نؤكد وجود صناعة استخراج زيت الزيتون في معظم الإقطاعات الكنسية، أن رجال الدين اللاتين كانوا يقومون بتحصيل الضرائب المرتفعة من الأراضي المزروعة بأشجار الزيتون، فعلى سبيل المثال فرضوا على سكان مستوطنة البيرة ومستوطنة راماتيس أن يقوموا بدفع نصف ثمار الزيتون التي تدره أراضيهم المزروعة بهذا النوع من الأشجار، هذا إلى جانب ضريبة العشر المقررة على كافة السكان الذين يقيمون في مختلف مناطق المملكة. وقد لجأ رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة إلى تخفيف الضريبة المفروضة على أشجار الكرم والزيتون، إذا كانت هذه الأشجار مزروعة منذ عهد قريب<sup>(٣٠٧)</sup>. وقياساً على ذلك فإن كنيسة القيامة وغيرها من الكنائس والأديرة اللاتينية كانت تحصل على نسبة من الثمار والمحاصيل التي كانت تدرها جميع الإقطاعات الكنسية المنتشرة في مختلف أرجاء المملكة. ومن هذا المنطلق فإننا نؤكد على وجود صناعة استخراج زيت الزيتون في معظم الإقطاعات الكنسية، التي كانت تشتهر بزراعة أشجار الزيتون.

وقد ذكرت إحدى الوثائق المورخة في سبتمبر عام ١٢٥٧م / رمضان عام ٦٥٥هـ، أن خلافاً وقع بين أسقف عكا وفرسان التيوتون، حول بعض الأراضي والأماكن التي استأجرها فرسان التيوتون من أسقفية عكا - ومن



خلال هذا الخلاف تتضح نوعية الضرائب التي كانت تحصل عليها الأسقفيات والكنائس والأديرة، إذ طلب أسقف عكا من هيئة فرسان التيوتون أن تقوم بدفع الضرائب على الزيوت المستخرجة من الأراضي المؤجرة لهم، والتي يقوم الفلاحون بتسليمها إلى رجال الهيئة، كما طالب الأسقف بالضرائب التي يدفعها الفلاحون لرجال الهيئة عن الأراضي التابعة لهم. وكانت بعض هذه الضرائب تدفع كدجاج وبيض وجبنه، وفي بعض الحالات كانت تدفع كنقود<sup>(٣٠٨)</sup>. ولعل الوثيقة السابقة تبين مدى اهتمام رجال الدين اللاتين بالضرائب المقررة على الثمار والمحاصيل، وخاصة محصول الزيت الذي تنتجه الأراضي التابعة للأسقفيات والكنائس والأديرة في كافة أرجاء مملكة بيت المقدس الصليبية. وهذا ينطبق أيضاً على المستوطنات الدنيوية التي أقامها ملوك بيت المقدس، وزرعوا فيها مجموعة من المستوطنين الفرنجة، فعلى سبيل المثال كان مستوطنوا قرية الزيب (امبرت)، يدفعون لملك بيت المقدس سبع محصول الحبوب، وربيع إنتاج الحقائق والكروم، وثلثين من ثمار الزيتون التي تنتجها أراضيهم<sup>(٣٠٩)</sup>.

ويرتبط بصناعة استخراج زيت الزيتون، صناعة الصابون التي تعتبر من أشهر الصناعات وأقدمها في بلاد الشام وفلسطين. وقد نالت هذه الصناعة اهتماماً خاصاً أيام الصليبيين، إذ كانت بمثابة احتكار ملكي، وهذا يعني أن الملك الصليبي كان مسؤولاً عنها، وكان محظور على أصحاب مصانع الصابون ممارسة هذه الصناعة، إلا بعد أن يمنحهم الملك عقداً خاصاً يقضي بالسماح لهم بالعمل في هذه الصناعة، على أن يقوم أصحاب المصانع بدفع مبلغ من المال نظير التصريح لهم بذلك<sup>(٣١٠)</sup>. وليس من شك في أن الملك الصليبي في بيت المقدس، كان قد ضمن دخلاً مادياً ثابتاً، يحصل من أصحاب مصانع الصابون. ومن المرجح أن صناعة استخراج زيت الزيتون كانت هي الأخرى احتكاراً ملكياً، وذلك لارتباطها بصناعة الصابون. ولكن يبدو أن صناعة الصابون وصناعة استخراج زيت الزيتون كانتا احتكاراً ملكياً في مدن التاج فقط، أي المدن التابعة لسلطة الملك الصليبي. وكانت مدن نابلس وصور وعكا من أشهر مدن مملكة بيت المقدس الصليبية في صناعة الصابون<sup>(٣١١)</sup>. كذلك أنشئت المصانع العديدة لصنعه في أنطاكية وطرطوس وعكا ونابلس وصور وغيرها من البلاد. وقد انتشر استعمال الصابون على نطاق واسع في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري، وأصبحت صناعته تحظى باهتمام كبير في المدن والقرى الخاضعة للسيطرة الصليبية<sup>(٣١٢)</sup>.

ومن المرجح أن الصابون كان يصنع في القرى التي تكثر فيها أشجار الزيتون، وذلك من أجل الاستهلاك المحلي، بمعنى أن سكان القرى لم



يقوموا بتصنيع الصابون على أساس تجاري، وإنما لتغطية احتياجاتهم السنوية. ولا يزال معظم سكان قرى فلسطين يقومون بتصنيع الصابون بالطرق التقليدية المعروفة لديهم، من أجل تغطية احتياجاتهم فقط. وكان صابون نابلس من أشهر أنواع الصابون المصنَّع بفلسطين، ربما لإتقان صنعه وعدم اللجوء إلى عمليات الغش<sup>(٣١٣)</sup>. وكانت صناعة الصابون تتم عن طريق مزج زيت الزيتون النقي، والجير الطيب المحكم الطبخ<sup>(٣١٤)</sup>، بمادة قلووية تعرف باسم الصودا أو البوتاسا الكاوية -يطلق عليها العرب اسم القلي<sup>(٣١٥)</sup>- وبعد ذلك يتم طبخ المزيج على النيران المعدة لذلك، وعندما يصبح المزيج لزجاً يتم سكبه في فروش كبيرة من الخشب، ويقوم العمال بتقطيعه إلى قطع صغيرة بعد أن يصبح صلباً، ثم يجري تسويقه في جميع مدن فلسطين<sup>(٣١٦)</sup>. وتجدر الإشارة إلى أن هذه الطريقة لا تزال مستعملة في معظم مصانع الصابون في نابلس.

ولم تشر المصادر المتاحة لدينا إلى وجود صناعة الصابون في الإقطاعات الكنسية ولكننا نرجح وجود مثل هذه الصناعة في بيت لحم وبعض الإقطاعات الكنسية الأخرى، اعتماداً على كثرة أشجار الزيتون التي كانت مزروعة في الإقطاعات الكنسية، وخاصة في بيت لحم والبيرة وراماتيس والقبية وعسكر وبيت سوريك وعرنوطية، فضلاً عن وجود معاصر زيت الزيتون في هذه الإقطاعات. وربما قام رجال الدين اللاتين بإقامة مصانع الصابون في بعض المدن التي كانت تشتهر بصناعته، اعتماداً على أن المواد الخام اللازمة لصناعته كانت متوافرة لديهم. ومن المعتقد أنهم استعانوا ببعض العمال والصناع من أهل البلاد الأصليين، ممن كانوا يتقنون صناعته. ومن المرجح أن سكان الإقطاعات الكنسية سواء المسلمين أو المسيحيين الشرقيين، كانوا يقومون بتصنيع الصابون من أجل سد احتياجاتهم السنوية، هذا إلى جانب أن صناعة الصابون كانت بمثابة احتكار ملكي، الأمر الذي ربما يؤدي إلى ارتفاع أسعار الصابون. ولا بد أن رجال الدين والمستوطنين اللاتين قد تعلموا صناعة الصابون من السكان الأصليين. وكما أشرنا منذ قليل فإن جميع سكان القرى، التي تكثر بأراضيهم أشجار الزيتون، يقومون بتصنيع الصابون من أجل تغطية احتياجاتهم من هذه السلعة.

ومن الصناعات التي اشتهرت بها الأراضي المقدسة زمن الحكم الصليبي، صناعة النبيذ التي كانت صناعته معروفة في هذه البلاد منذ أقدم الأزمنة<sup>(٣١٧)</sup>، كما كان النبيذ الفلسطيني يحظى بشهرة عالمية، ولذلك وجد إقبالاً من قبل التجار الأوروبيين<sup>(٣١٨)</sup>. وذكر أحد المؤرخين الحديثين أن النبيذ الفلسطيني أنتج في الأراضي المقدسة في ظل الحكم الإسلامي، من أجل بعض التجمعات المسيحية التي كانت تقيم في هذه البلاد أثناء حكم المسلمين



لها<sup>(٣١٩)</sup>. ومن المرجح أن المسيحيين الشرقيين -الذين كانوا يقيمون حول مدن بيت المقدس وبيت لحم والناصرة وفي جهات متفرقة من البلاد- هم الذين كانوا يقومون بصناعة النبيذ، لأن المسلمين لا يشربونه، وإنما يتولون العناية بأشجار الكرمة، ويأكلون العنب والزبيب. وإن كان بعض المسلمين يشربون النبيذ سراً. وكان المسلمون الذين يعيشون بالقرب من التجمعات المسيحية، يزرعون أشجار الكرمة ويتولون العناية بها، بقصد بيعه إلى المسيحيين، وجني أرباح طائلة من وراء ذلك<sup>(٣٢٠)</sup>.



معصرتين من معاصر العنب في العصر الوسيط

وقد أدت سيطرة الصليبيين على الأراضي المقدسة إلي زيادة معتبرة في صناعة النبيذ، إذ توسع الصليبيون في زراعة أشجار الكرمة، من أجل الاستفادة بمحصول العنب في تصنيع النبيذ. وذكر الحاج دانيال الروسي الذي زار الأراضي المقدسة في بداية الحكم الصليبي لها، أن نابلس كانت تشتهر بصناعة النبيذ<sup>(٣٢١)</sup>، وأشار أسامة بن منقذ الذي زار نابلس عام ١١٤٠م/ ٥٣٥هـ، أن تجارة النبيذ كانت رائجة في المدينة<sup>(٣٢٢)</sup>، مما يفيد بأن أهلها كانوا يقومون بتصنيعه داخل حدود بلادهم. وذكر وليم الصوري William of Tyre أن مونتريال (الشوبك) كانت تشتهر بصناعة النبيذ<sup>(٣٢٣)</sup>. وأشار الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون إلى عدة مناطق كانت تشتهر بصناعة



النبذ الجيد، منها بيت لحم وضواحيها، وصيدا وجميع المناطق المحيطة بها وقلعة المرقب، وجميع المناطق والأراضي الممتدة على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط. هذا إلى جانب شهرة إقليم الجليل بالنبذ الجيد، وخاصة في سهول مجدو ومرج بن عامر والفولة<sup>(٣٢٤)</sup>.

وقد اهتم رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة بصناعة النبذ المقدس في إقطاعاتهم وأملاكهم، ومن أجل ذلك توسعوا في زراعة أشجار الكرمة في المستوطنات الكنسية التي أقاموها بالقرب من بيت المقدس، وقد لاحظنا من خلال الدراسة أن كروم العنب زرعت على نطاق واسع في مستوطنة البيرة، وكانت زراعتها تتم تحت إشراف رجال الدين اللاتين، الذين شجعوا المستوطنين على العمل الجماعي وخاصة في كروم العنب. كذلك قام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بزراعة أشجار الكرمة في مستوطنة راماتيس الجديدة، وأحضروا المستوطنين الأوروبيين من أجل العمل في زراعة أشجار الكرمة والعناية بها. كذلك كان المسيحيون السريان يعتنون بزراعة أشجار الكرمة في قرى قلنديا وبيت سوريك وعطارة وبيت لقيا التابعة لكنيسة القيامة<sup>(٣٢٥)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد اشتهرت الإقطاعات الكنسية بصناعة النبذ، بفضل تشجيع رجال الدين واهتمامهم بهذا النوع من الصناعة. وكانت بيت لحم والقرى المحيطة بها تشتهر بصناعة النبذ، وقد ذكر الرحالة الألماني بورشارد أن قرية بيزك الواقعة على بعد نصف فرسخ (ميل ونصف) من بيت لحم، كانت تشتهر بصناعة النبذ الممتاز، الذي لا يوجد أجود منه في أي مكان في الأرض، وكان جميع سكان قرية بيزك من المسيحيين، الذين كانوا يتعهدون كروم العنب في قريتهم والقرى المجاورة<sup>(٣٢٦)</sup>. وهذا يعني أن جميع القرى الواقعة في منطقة بيت لحم، كانت تشتهر بصناعة النبذ. ولعل شهرة هذه المناطق بصناعة النبذ ستعود بالخير والمكاسب الكثيرة على رجال الدين اللاتين في كنيسة المهد، وذلك لأن بيت لحم والأراضي المحيطة بها كانت من الإقطاعات التابعة لكنيسة المهد.

ومن المرجح أن الإقطاعات الكنسية الواقعة حول بيت المقدس وفي إقليم الجليل ونابلس وعكا وصيدا كانت تشتهر بصناعة النبذ، وذلك بسبب اهتمام رجال الدين اللاتين بهذه الصناعة، التي تحقق ربحاً كبيراً لمن يشتغل بها، خاصة بعد ازدياد الطلب على النبذ المقدس من قبل الصليبيين من سكان المدن، واهتمام الكنائس والأديرة اللاتينية المنتشرة في حدود مملكة بيت المقدس الصليبية بأمر هذه الصناعة والعمل على انتشارها وتوسيعها بكافة الطرق والوسائل<sup>(٣٢٧)</sup>، لدرجة أن أحد المؤرخين



الحديثين أشار إلى أن الهدف من إقامة المستوطنات والتوسع في زراعة الكرمة ، كان من أجل التوسع في صناعة النبيذ<sup>(٣٢٨)</sup> . ومن المرجح أن الهدف من إقامة المستوطنات الكنسية لم يكن من أجل التوسع في زراعة الكروم وصناعة النبيذ ، لأن فكرة الصليبيين كانت قائمة على الاستيطان في الأراضي المقدسة ، ولذلك فإن المستوطنات الكنسية التي أقامها رجال الدين اللاتين في فلسطين ، ما هي إلا جزء من عملية الاستيطان الصليبي في الأراضي المقدسة . وسبق أن أشرنا إلى قيام الملك بلدوين الثالث بتأسيس مستوطنة صليبية في شمال عكا ، ألا وهي مستوطنة امبرت . أما بالنسبة للفكرة القائلة بأن رجال الدين اللاتين قاموا بالتوسع بزراعة أشجار الكرمة من أجل صناعة النبيذ ، فهذا أمر مفروغ منه ، لأن رجال الدين اللاتين توسعوا في زراعة أشجار الكرمة من أجل الحصول على النبيذ المقدس .

وعلى العموم فقد ازداد الطلب على النبيذ من قبل رجال الدين اللاتين والإقطاعيين والمستوطنين ، الأمر الذي دفع الصليبيين بصفة عامة ورجال الدين اللاتين بصفة خاصة ، إلى التوسع في زراعة أشجار الكرمة ، من أجل زيادة كمية النبيذ المصنعة . وتجدر الإشارة إلى أن كميات من النبيذ كانت تمنح للكنائس والأديرة من قبل المستوطنين الأوروبيين ، ففي يوم الخميس الموافق الثلاثين من أكتوبر عام ١١٨٦م / الرابع عشر من شعبان عام ٥٨٢هـ قام آدم الكبير (مسوول قرية سنجل) وزوجته فلورات Florate وابنه بلدوين بمنح كمية معتبرة من النبيذ إلى دير القديس لعازر في بيت المقدس<sup>(٣٢٩)</sup> .

وكان رجال الدين اللاتين في الأسقفيات والكنائس والأديرة يقومون بفرض الضرائب على صناعة النبيذ ، فقد أشارت إحدى الوثائق المؤرخة عام ١٢٥٧م / ٦٥٥هـ إلى أن أسقف عكا طالب فرسان التيوتون بدفع عشر إنتاج النبيذ المصنع في الأراضي الخاضعة لإشرافهم ، مما يشير إلى أن صناعة النبيذ كانت خاضعة لدفع الضرائب التي قدرت بعشر محصول النبيذ<sup>(٣٣٠)</sup> . ولم تشر الوثائق إلى نسبة الضرائب التي كان يدفعها المستوطنون الأوروبيون -الذين استقروا في الإقطاعات الكنسية- على النبيذ المصنوع في المستوطنات الكنسية . ومن المرجح أن نسبة الضرائب كانت تحدد حسب جودة النبيذ ، وحسب الكمية المنتجة منه .

وفي ختام حديثنا عن صناعة النبيذ في الأراضي المقدسة ، نستطيع القول أن الطلب على النبيذ ، ازداد ازدياداً ملحوظاً أثناء فترة الحكم الصليبي لهذه البلاد ، ولعل ذلك يرجع إلى جودة النبيذ الفلسطيني ،



وحاجة الكنائس والأديرة للنبذ من أجل الشعائر الدينية<sup>(٣٣١)</sup>. وهذا لا يعني أن صناعة النبذ لم تكن قائمة في الأراضي المقدسة قبل الحكم الصليبي، فقد أنتج في ظل الحكم الإسلامي من قبل بعض التجمعات المسيحية.

ويرتبط بزراعة أشجار الكرمة صناعة الدبس، التي كانت تعتمد على ثمار العنب اعتماداً رئيساً<sup>(٣٣٢)</sup>، وقد اشتهرت الخليل وجميع القرى والأراضي المحيطة بها بهذه الصناعة، وقد شهدنا الكثير من معاصر العنب في أراضي الخليل، إذ كان يتم في هذه المعاصر عصر العنب، تمهيداً لطبخه وتحويله إلى دبس. ومن المرجح أن معظم المسلمين الذين كانوا يقيمون في الإقطاعات الكنسية المنتشرة في جنوب بيت المقدس كانوا يقومون بتصنيع الدبس. هذا إلى جانب أنهم كانوا يجففون العنب ويأكلونه زيباً، كما كانوا يصدرون الزبيب الدوري والعينوني إلى خارج البلاد.

ومن الصناعات الهامة التي اشتهرت بها الأراضي المقدسة صناعة السكر، التي كانت قائمة في هذه البلاد قبل استيلاء الصليبيين عليها. وذكر المقدسي البشاري أن السكر كان يطبخ في قرية كابول القريبة من عكا، ووصفه بأنه من أجود أنواع السكر المصنوع في بلاد الشام قاطبة<sup>(٣٣٣)</sup>، ومن المناطق التي اشتهرت بصناعة قصب السكر دمشق وطرابلس<sup>(٣٣٤)</sup>، لدرجة أن الصليبيين تذوقوا السكر لأول مرة في حياتهم في مدينة طرابلس<sup>(٣٣٥)</sup>، مما يفيد بأن صناعة السكر كانت قائمة في بلاد الشام قبيل قيام الحركة الصليبية. ومما يؤكد هذا الكلام أن المقدسي البشاري أشار إلى شهرة صور بصناعة السكر لدرجة أنه كان من السلع التي تصدر إلى خارج البلاد<sup>(٣٣٦)</sup>.

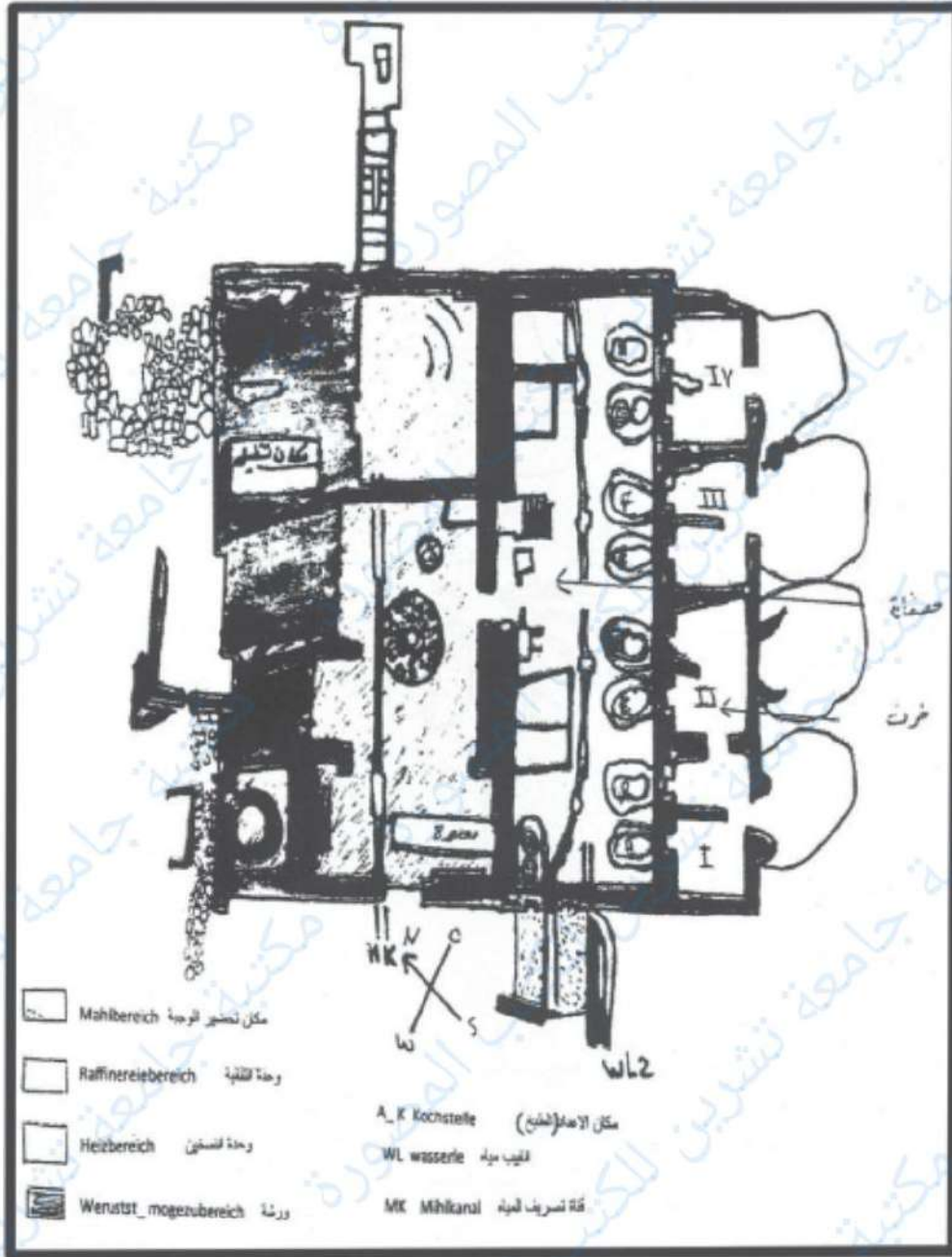
ومهما يكن من أمر فقد عرف الصليبيون السكر في بلاد الشام، وتعلموا صناعته من سكان البلاد الأصليين، فأقاموا المصانع العديدة لصنعه في معظم الأماكن التي كانت تشتهر بزراعة قصب السكر<sup>(٣٣٧)</sup>، وكان في مدينة عكا والمناطق المحيطة بها معاصر كبيرة للسكر<sup>(٣٣٨)</sup>. هذا إلى جانب العديد من معاصر السكر التي وجدت في معظم مدن الساحل وخاصة في صور وقيسارية وصيدا<sup>(٣٣٩)</sup>، كما وجدت أيضاً في بعض المدن الأخرى مثل أريحا ونابلس ووادي الأردن<sup>(٣٤٠)</sup>. وقد ذكر الرحالة أن منطقة صور كانت تشتهر بصناعة السكر أثناء خضوعها للسيطرة الصليبية<sup>(٣٤١)</sup>، وكان سيد صور يحصل على دخلٍ عظيمٍ من صناعة السكر<sup>(٣٤٢)</sup>.

وقد وجدت مصانع السكر في إقطاعية نابلس، التي كانت تشتهر بزراعة القصب، وذكرت إحدى وثائق فرسان التيوتون المؤرخة في عام ١١٧٧ م/ ٥٧٣ هـ أن الملك عموري الأول قام بمنح المستشفى الألماني في بيت المقدس حملاً من السكر الذي تم عصره في نابلس، مما يشير إلى وجود صناعة السكر في هذه



## ملحق (7)

رسم تخطيطي لمعصرة السكر





المنطقة. وتجدر الإشارة إلى أن الملك الصليبي في بيت المقدس، قام بفرض الضرائب على محصول السكر المستخرج من نابلس والمصدر منها إلى مختلف مدن المملكة<sup>(٣٤٣)</sup>.

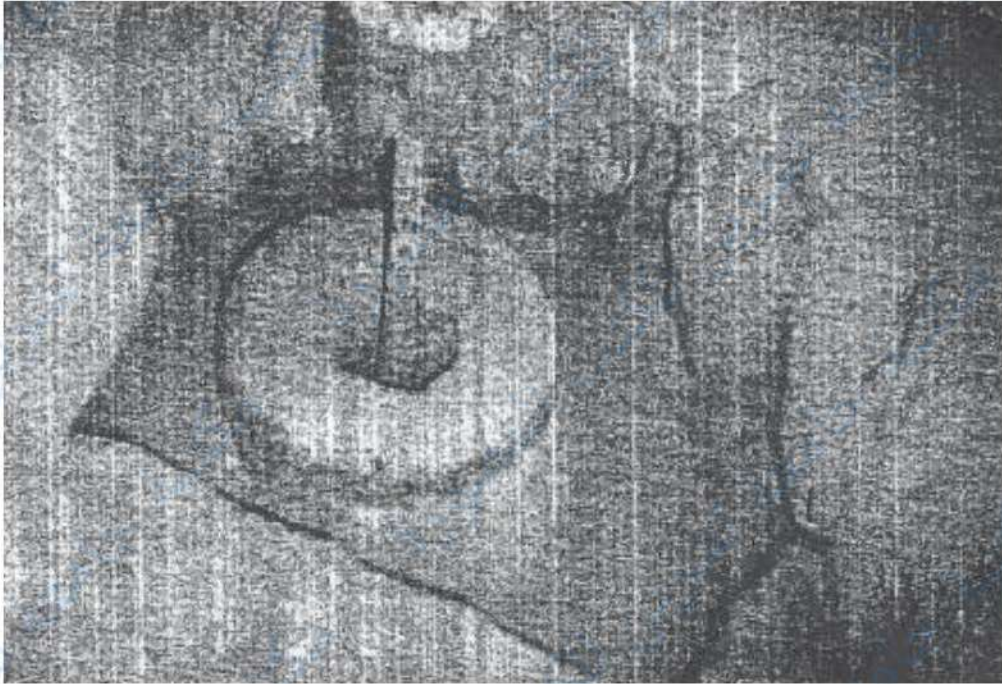
ويبدو أن رجال الدين اللاتين اهتموا بصناعة السكر في إقطاعاتهم وأملاكهم، وقد أشارت إحدى الوثائق المؤرخة في الخامس عشر من مايو عام ١١١٦م/ الثلاثين من ذي الحجة عام ٥٠٩هـ أن طواحين السكر كانت موجودة في أريحا قبيل قيام ارنولف مالكورون بمنحها هي وتوابعها لابنة أخته<sup>(٣٤٤)</sup>. ولعل هذا يشير أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة هم الذين قاموا بإنشاء هذه الطواحين، لأن أريحا كانت من ضمن الإقطاعات التي حصلوا عليها منذ بداية الحكم الصليبي للأراضي المقدسة. وقد أشار الرحالة بورشارد من دير جبل صهيون إلى هذه الطواحين أثناء زيارته للمنطقة في القرن الثالث عشر الميلادي/ السابع الهجري<sup>(٣٤٥)</sup>.

أما عن طريقة صناعة السكر، فكانت تتم على مرحلتين، الأولى يتم فيها تجميع القصب وتقطيعه، بحيث يصل طول كل قطعة إلى نصف طول سعف النخلة، ثم تؤخذ هذه القطع إلى المعاصر، حيث يتم عصر القصب المراد تصنيعه. وبعد الانتهاء من عصر القصب، يتم وضع العصير في راقود برونزي أو نحاسي (وعاء ضخم للسوائل) حيث يتم طبخه إلى أن يكتسب العصير صفة التماسك، وبعد ذلك يوضع السكر المطبوخ في سلال مصنوعة من القش، ويوضع تحتها أوعية فخارية أو نحاسية من أجل حفظ المادة التي ترشح من السلال والتي تعرف باسم عسل السكر<sup>(٣٤٦)</sup>. ويطلق على الأماكن التي يتم فيها صناعة السكر، اسم مطابخ السكر<sup>(٣٤٧)</sup>. ومن المرجح أن السكر المطبوخ كان يعرض لأشعة الشمس من أجل امتصاص الرطوبة منه.

يتضح مما سبق أن صناعة السكر تركزت في معظم المدن الساحلية، وخاصة في قيسارية وعكا وصور وصيدا وطرابلس، كما أنها وجدت في بعض المدن الأخرى مثل طرابلس وأريحا والشوبك وفي منطقة وادي الأردن، حيث تكثر جداول المياه والينابيع والتربة الخصبة. اللازمة لزراعة قصب السكر<sup>(٣٤٨)</sup>. وقد بدا واضحاً أيضاً أن الكثير من مدن الشام كانت تشتهر بصناعة السكر قبيل قيام الحملات الصليبية، وخاصة مدن طرابلس وصور وعكا ودمشق. وعندما استولى الصليبيون على الأراضي المقدسة، عملوا على التوسع في زراعة القصب من أجل زيادة إنتاج السكر المستخرج منه، ولذلك اشتهرت مناطق أخرى بزراعة القصب وصناعة السكر، مثل قيسارية وأريحا ونابلس ومونتريال (الشوبك) ومنطقة وادي الأردن. وقد عرف السكر عند الصليبيين باسم Zuccarum والقصب باسم Canne mele، بمعنى «قصب السكر»<sup>(٣٤٩)</sup>. وقد اهتم رجال الدين اللاتين بصناعة السكر، أسوة بغيرهم من الصليبيين، وكانت أريحا والمناطق المحيطة بها من ضمن الإقطاعات الكنسية التي اشتهرت بهذه الصناعة. ومن المرجح أن بعض الإقطاعات الكنسية في منطقة نابلس كانت



تشتهر بصناعة السكر ، اعتماداً على أن نابلس نفسها كانت تشتهر بهذه الصناعة ، هذا إلى جانب أن قرية عسكر والمناطق المحيطة بها كانت تتوافر بها جميع الشروط اللازمة لإنبات قصب السكر ، وبما أن قرية عسكر كانت من ضمن الإقطاعات الكنسية فمن المرجح أنها كانت تشتهر بصناعة السكر . وربما يرجع اهتمام رجال الدين اللاتين بصناعة السكر ، لما تدره هذه السلعة من أرباح على المشتغلين بها . خاصة وأنها كانت من ضمن الصناعات التي احتكرها الصليبيون<sup>(٣٥٠)</sup> .

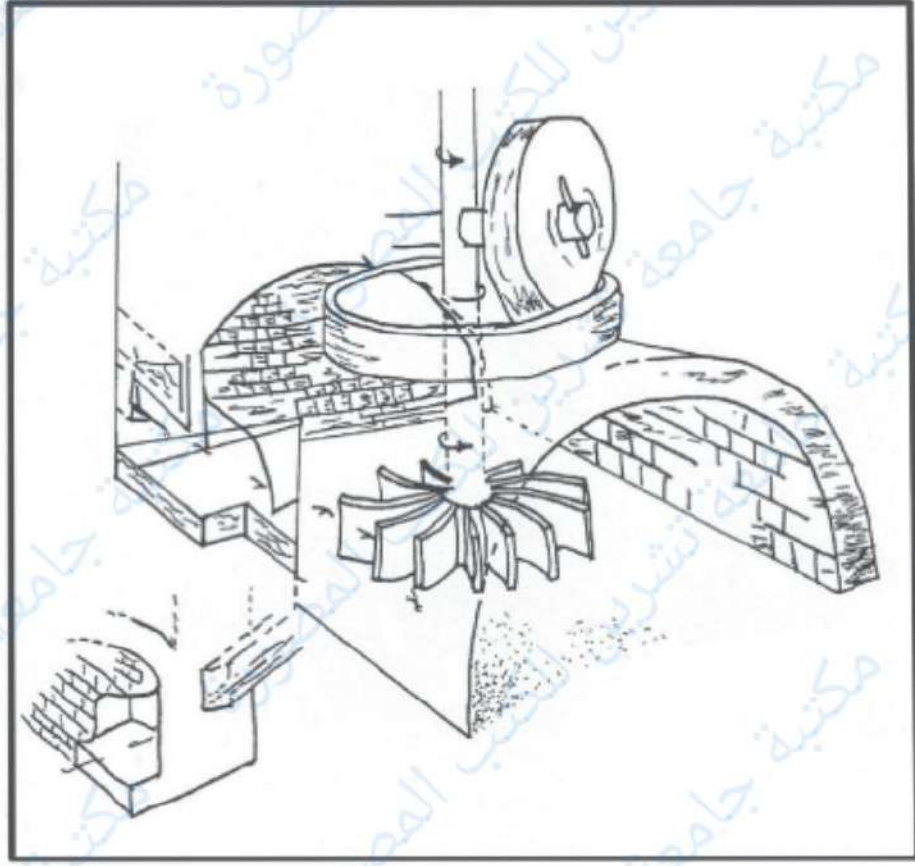


منظر يوضح طاحونه السكر

Poree, P. Brigitte, Les moulins et fabriques a sucre de Palestine et de chyper histoire, geographie et technologie dune production croisee et medieval, P. 491

محمد سامي مطير ، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية، ص ١٨٩





منظر يوضح تل السكر نقلا عن:

Ednaj. Stern, The Sugar Industry in Palestine during the Crusader, Ayyubid and Mamluk Periods in light of the Archeological Finds, vol 2. 1999

محمد سامي مطير ، الحياة الاقتصادية في بيت المقدس وجوارها في فترة الحروب الصليبية ، ص ١٨٩

ومن الصناعات الأخرى التي اشتهرت بها الأراضي المقدسة قبل استيلاء الصليبيين عليها، صناعة حلوى الخرنوب، فقد ذكر المقدسي البشاري أن سكان بيت المقدس ونابلس والمناطق المحيطة بهما، كانوا «يصنعون من الخرنوب ناطفاً يسمونه القبيط»<sup>(٣٥١)</sup>، وتحدث ابن بطوطة عن صناعة حلوى الخرنوب في نابلس، وشرح طريق صنعها «بأن يطبخ الخرنوب ويؤخذ ما يخرج منه من الرب فتصنع منه الحلواء»<sup>(٣٥٢)</sup>. ومن الحلوى التي كانت تشتهر بها بيت المقدس ونابلس «الزلابية» وكانت تصنع في الشتاء من العجين غير المشبك<sup>(٣٥٣)</sup>.

ولعل السكان المسلمين والمسيحيين الشرقيين الذين كانوا يقيمون في الإقطاعات الكنسية الواقعة في حدود بيت المقدس ونابلس، استمروا في صناعة حلوى الخرنوب والزلابية، وربما تأثر بهم المستوطنون الأوروبيون



الذين أقاموا في هاتين المنطقتين . ولا ندري فيما إذا انتقلت صناعة هذه الحلوى إلى بقية الإقطاعات والمستوطنات الكنسية ، أم أنها بقيت مقتصرة على منطقتي بيت المقدس ونابلس .

هذا عن أهم الصناعات التي اعتمدت اعتماداً كلياً على المنتجات الزراعية . أما فيما يتعلق بالصناعات الأخرى التي كانت قائمة في الإقطاعات الكنسية ، فقد أشارت إحدى الوثائق إلى وجود مجموعة من الحرفيين الذين استقروا في المستوطنات الكنسية ، وكان من بين هؤلاء النجارين والحدادين والبنائين ، والصاغة وصانعي الأحذية<sup>(٣٥٤)</sup> .

ولعل ذلك يشير إلى وجود بعض الصناعات الخفيفة في الإقطاعات الكنسية ، مثل صناعة السيوف والرماح والسهام والخناجر ، وقد أشار أحد المؤرخين الحديثين إلى وجود صناعة الأسلحة ، والأدوات المعدنية اللازمة للاستعمال المنزلي في مدن بيت المقدس وعكا ونابلس وقيسارية<sup>(٣٥٥)</sup> . ومن المرجح أن الحدادين الذين أقاموا في المستوطنات الكنسية ، كانوا يمارسون مهنتهم عن طريق صناعة الأسلحة ، التي كان يحتاجها رجال الدين اللاتين في مختلف الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية الكبيرة ، من أجل تسليح الفرسان والسرجنديّة ، التي كان يقدمها رجال الدين لمشاركة الملك الصليبي في حروبه ضد المسلمين . ولا بد أنهم قاموا أيضاً بتصنيع الأدوات المعدنية اللازمة للاستعمال المنزلي . أما فيما يتعلق بالنجارين فربما اقتصر عملهم على صناعة الأثاث المنزلي والأبواب والنوافذ الخشبية ولعلهم اشتهروا أيضاً بالحفر على الخشب وعمل النقوش على أبواب ونوافذ الكنائس . أما الصاغة فكانوا يقومون بتصنيع الحلي سواء الذهبية أو الفضية وربما النحاسية ، وهذه الحرفة معروفة منذ أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر ، وإن كانت في كل عصر من العصور تخضع لتطور معين يتناسب مع أذواق الناس .

وليس من شك في أن عمال البناء من المستوطنين الأوروبيين قاموا بأعمال كثيرة في المستوطنات والإقطاعات الكنسية ، وخاصة فيما يتعلق ببناء منازل معظم المستوطنين الأوروبيين ، هذا إلى مشاركتهم في بناء الكنائس والأبراج والمخابز والمطاحن والمعاصر ، وإلى ما شابه ذلك من المرافق الحيوية التي تم إقامتها في المستوطنات والإقطاعات الكنسية .

وإلى جانب هذه الصناعات اشتهرت الأراضي المقدسة بصناعة الزجاج الذي اشتهرت به مدينة صور ، وحظي بشهرة عالمية<sup>(٣٥٦)</sup> . وكانت صناعة الزجاج حكراً على اليهود ، الذين كانوا يحترفون صناعة الزجاج النفيس ، المعروف بالزجاج الصوري (نسبة إلى مدينة صور)<sup>(٣٥٧)</sup> . وربما كان ملك بيت المقدس يحصل على نسبة من مصانع الزجاج المنتشرة في



صور، مقابل السماح لليهود بممارسة هذه الصناعة، خاصة وأن صور كانت من ضمن المناطق التابعة لسلطة التاج مباشرة. ولا بد أن اليهود كانوا يقومون بدفع ضريبة العشر لأسقف صور، كذلك كان اليهود يحترفون الصباغة في بعض المناطق التابعة للكنائس والأديرة، فعلى سبيل المثال وجد يهودي واحد يحترف الصباغة في مدينة اللد، كما وجد عشر منهم يحترفون الصباغة في بيت لحم<sup>(٣٥٨)</sup>، كذلك وجد في بيت المقدس مصنعا للصباغة كان اليهود يستأجرونه من ملك بيت المقدس سنوياً<sup>(٣٥٩)</sup>. ولعل رجال الدين اللاتين كانوا يُحَصِّلون الضرائب من اليهود الذين كانوا يقيمون في الإقطاعات الكنسية، ويمارسون عملهم سواء في الصباغة أو صناعة الزجاج.

وبعد الحديث عن أهم مظاهر الحركة الصناعية في الإقطاعات الكنسية خلال فترة الحروب الصليبية لا بد لنا من إلقاء نظرة سريعة على ماهية النشاط التجاري في الإقطاعات الكنسية، وذلك حتى نلم بأهم مظاهر الحياة الاقتصادية في الإقطاعات الكنسية. وقد اهتم ملوك بيت المقدس بأمور التجارة الداخلية، كما أنهم منحوا حقوق التصدير والاستيراد القديمة للتجار، تلك الحقوق التي كانت سائدة في الأراضي المقدسة قبيل الحكم الصليبي<sup>(٣٦٠)</sup>. وأشار المؤرخ الصليبي المعاصر فوشيه الشارترى إلى أن الملك بلدوين الثاني شجع التجار من أهل البلاد الأصليين، على جلب المؤن والمحاصيل، وخاصة الحبوب وجميع أنواع البقول إلى بيت المقدس، دون تحصيل أية ضرائب منهم، وكان هدفه من ذلك هو توفير السلع التموينية لسكان بيت المقدس. ووعده الملك بلدوين الثاني بتخفيف الجمارك، تشجيعاً للتجار على جلب السلع للمدينة المقدسة. وبهذا يكون الملك قد منح أسلوب التجارة الحرة إلى جميع التجار الوطنيين سواء من المسلمين أو المسيحيين الشرقيين<sup>(٣٦١)</sup>. وكانت فكرة الملك بلدوين الثاني الرامية إلى تشجيع التجارة الحرة، والسماح للتجار بإحضار بضائعهم دون خوف، قد حققت أهدافها، إذ ازداد عدد سكان بيت المقدس، وأصبحت المدينة قوية والسوق الرئيس في فلسطين<sup>(٣٦٢)</sup>.

وقد أدت فكرة الملك بلدوين الثاني إلى تنشيط الحركة التجارية في مختلف مدن وقرى المملكة، وبطبيعة الحال أفاد سكان المستوطنات والإقطاعات الكنسية والدينية أيضاً من السياسة التي اتبعها الملك بلدوين الثاني، والرامية إلى تشجيع أسلوب التجارة الحرة. الأمر الذي سيؤدي إلى تصريف منتجات الإقطاعات الكنسية في المدينة المقدسة، هذا إلى جانب أن سكان الإقطاعات الكنسية كانوا يقومون بشراء ما يلزمهم من متطلبات أو منتجات غير متوافرة في الإقطاعات والمستوطنات التي يقيمون بها. وذكر الحاج دانيال الروسي أن نابلس كانت تزود بيت المقدس بجميع احتياجاتها من



الطعام، وخاصة الزيت والنبيد والفاكهة والقمح<sup>(٣٦٣)</sup>. كذلك كان سكان الريف النابلسي يزودون أسواق بيت المقدس بمحاصيل الكتان والعنب<sup>(٣٦٤)</sup>، هذا إلى جانب أن السكر المستخرج من نابلس كان يباع في بيت المقدس وجميع مدن المملكة<sup>(٣٦٥)</sup>.

ومن المرجح أن سكان المستوطنات والإقطاعات الكنسية كانوا يقومون بتسويق منتجاتهم في المدينة المقدسة أو في غيرها من مدن المملكة، وربما كانوا يشترون السلع غير المتوافرة لديهم. ولا بد وأن تجار المملكة كانوا يأتون إلى المستوطنات والإقطاعات الكنسية، ويشترون أهم المحاصيل والسلع التي تنتجها، وخاصة الحبوب والزيتون والعنب والنبيد والزيت، والخرنوب والخضروات بكافة أنواعها، هذا إلى جانب أنواع مختلفة من الفاكهة، التي كانت تنتجها الأراضي الممنوحة للكنائس والأديرة. وبطبيعة الحال كان التجار يبيعون ما لديهم من بضائع ومنتجات إلى سكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية، سواء كان هؤلاء من المستوطنين الأوروبيين أو من المسيحيين الشرقيين أو من المسلمين. وتجدر الإشارة إلى أن تجارة النبيد كانت رائجة في معظم المدن وكذلك في المستوطنات الكنسية، وكان يباع في الحانات حيث يوضع في براميل خشبية، ويباع بالتجزئة في زجاجات. وقد كان تجار النبيد على علم بأن سلعهم معروفة باستمرار في الغرب الأوروبي<sup>(٣٦٦)</sup>.

وكانت التجارة بين مملكة بيت المقدس الصليبية والعالم الخارجي رائجة بشكل كبير، فعلى الرغم من الصراع والحروب بين المسلمين والصليبيين، إلا أن القوافل التجارية الإسلامية كانت تعبر البلاد الواقعة تحت السيطرة الصليبية<sup>(٣٦٧)</sup>، وقد أشار ابن جبير الذي زار بلاد الشام عام ٥٨٠هـ / ١١٨٤م إلى ذلك بقوله: «واختلاف القوافل من مصر إلى دمشق على بلاد الفرنج غير منقطع، واختلاف المسلمين من دمشق إلى عكا كذلك»<sup>(٣٦٨)</sup>. ويتضح من حديث ابن جبير أن الحركة التجارية لم تنقطع بين الصليبيين والمسلمين، على الرغم من استمرار الحروب والمناوشات بين الطرفين، وكان التجار المسلمون يؤدون الضرائب للصليبيين أثناء عبورهم للبلاد الخاضعة للسيطرة الإسلامية، وكذلك الحال بالنسبة للتجار النصارى، الذين يعبرون البلاد الإسلامية، فإنهم كانوا يؤدون الضرائب على تجارتهم، وكان الاتفاق بينهم على هذا الأساس في جميع الأحوال<sup>(٣٦٩)</sup>.

يتضح مما سبق أن الحركة التجارية في مملكة بيت المقدس الصليبية كانت نشطة، وربما يعني هذا أن التجار المسلمين كانوا يحضرون البضائع إلى الأراضي المقدسة، ويشترون منها السلع التي كانت تنتجها هذه



البلاد، وخاصة زيت الزيتون والصابون والسكر والعنب الدوري والعينوني والتمور والخرنوب وأنواع أخرى من الخيرات التي كانت تشتهر بها فلسطين. وهذا يعني أن الحركة التجارية لم تتوقف بين البلاد الإسلامية وفلسطين خلال فترة الحروب الصليبية.

وكان السكر من السلع التي تلقى إقبالاً عظيماً في الغرب الأوروبي في العصور الوسطى، ومعظم السكر الذي كان يستهلك في أوروبا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين كان يأتي من بلاد الشام<sup>(٣٧٠)</sup>. ومن المرجح أن زيت الزيتون كان يصدر إلى الغرب الأوروبي في كميات قليلة، بينما كانت ثمار الليمون والرمون تحظى باهتمام أثرياء أوروبا<sup>(٣٧١)</sup>. وكان النبيذ من السلع الشهيرة التي تصدر من فلسطين إلى أوروبا، وكانت تجد إقبالاً من سكان الغرب الأوروبي<sup>(٣٧٢)</sup>. وقام الصليبيون بتصدير المنسوجات الحريرية والكتانية وغيرها إلى أوروبا<sup>(٣٧٣)</sup>.

وقد اهتم التجار المسلمون والمسيحيون بالسلع التي لم تكن تنتجها بلاد الشام مثل العطور والبخور والعاج والأحجار الكريمة واللآلئ والعاج وغيرها من السلع الأخرى، وقام هؤلاء التجار بإحضار مثل هذه السلع من الشرق الأقصى إلى الأراضي المقدسة، بعضها كان يصدر إلى غرب أوروبا، لكي يباع في أسواقها<sup>(٣٧٤)</sup>.

على أية حال كانت التجارة تحقق دخلاً عظيماً لسكان مملكة بيت المقدس الصليبية، ويشير أحد المؤرخين الحديثين إلى أن سوريا استمدت مكانتها الاقتصادية وثرواتها عن طريق التجارة، وليس عن طريق الأراضي الزراعية<sup>(٣٧٥)</sup>. والحقيقة أن الكثير من المنتجات الشرقية جذبت انتباه أهل الغرب الأوروبي الأمر الذي ساعد على نشاط الحركة التجارية.

وفي ختام حديثنا عن التجارة، لا بد لنا من الإشارة إلى أن الإقطاعات والمستوطنات الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية، أسهمت في النشاط التجاري الذي شهدته المنطقة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين/ السادس والسابع الهجريين، وذلك عن طريق إسهام رجال الدين اللاتين وسكان الإقطاعات والمستوطنات الكنسية، في إنتاج بعض السلع التي كانت تلقى رواجاً في الغرب الإسلامي مثل محصول السكر ومحصول النبيذ. هذا إلى جانب إسهام الإقطاعات والمستوطنات الكنسية في مجال التجارة الداخلية.

وقد تأثرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات الكنسية بعدة مؤثرات سلبية، خلال فترة الصراع المستمر بين الصليبيين والمسلمين. وتعتبر العوامل الطبيعية مثل الهزات الأرضية، والسيول الجارفة وفترات



الجفاف ، إلى جانب الآفات الزراعية مثل الجراد والفئران ، من المؤثرات السلبية التي عانت منها الإقطاعات الكنسية كثيراً . كذلك تأثرت الإقطاعات الكنسية بالغارات الإسلامية المتواصلة على حدود مملكة بيت المقدس الصليبية فعلى سبيل المثال تعرضت مستوطنة البيرة الكنسية لغارة إسلامية شديدة عام ١١٢٤م / ٥١٨هـ ، حيث قتل أعداد كبيرة من سكانها ، بينما هرب الشيوخ والنساء والأطفال إلى البرج واحتتموا فيه ، وبعد ذلك قامت القوات الإسلامية بمهاجمة المناطق المحيطة بالبيرة وقتلت وأسرت الكثير ، ونظراً لأن معظم المناطق المحيطة بالبيرة كانت من الإقطاعات الكنسية التابعة لكنيسة القيامة ، فلا بد وأن هذه الإقطاعات جميعها قد تعرضت لخسائر بشرية واقتصادية فادحة . كذلك تعرضت الإقطاعات الكنسية في الرملة واللد وعسقلان لخسائر مادية كبيرة عام ١١٧٠م / ٥٦٦هـ ، وذلك عندما اجتاحت القوات الإسلامية بقيادة صلاح الدين الأيوبي المنطقة . هذا إلى جانب أنها قتلت خمسة وسبعين شاباً من مستوطنة البيرة كانوا يشاركون في القتال ضد القوات الإسلامية . وليس من شك في أن مقتل مثل هذا العدد كان يشكل كارثة كبيرة للصليبيين . ولعل الكارثة التي حلت بالصليبيين بعد معركة حطين تبرز مدى تأثير العامل الخارجي على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات الكنسية . فعلى سبيل المثال استولى صلاح الدين الأيوبي على مستوطنة البيرة وطرد الصليبيين منها ، ثم قام بتدميرها . كذلك تأثرت الحياة الاجتماعية والاقتصادية سلباً بالمشاكل التي كانت تظهر بين رجال الدين اللاتين ورجال الدنيا أو بين رجال الدين اللاتين أنفسهم ، حول بعض الأملاك وضرائب العشر . وقد أشرنا إلى أن النزاع على السلطة بين ملوك وأمراء بيت المقدس كان له نتائج عكسية على بيت المقدس . وقد بدا واضحاً أن النفقات الكبيرة الملقاة على عاتق رجال الدين اللاتين كانت تشكل عبئاً ثقيلاً على الكنائس والأديرة ، لدرجة أن بعض الكنائس اضطرت إلى فقد جزء من أملاكها بسبب ازدياد النفقات المطلوبة منها .

وفي الختام نستطيع القول إن عوامل طبيعية وداخلية كانت تؤثر تأثيراً سلباً على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الإقطاعات الكنسية .



## هوامش الفصل الخامس

- 1) ابن رسته : الأعلام النفيسة، ليدن (مطبعة بريل) ١٨٩١م، ص ٣٢٩. انظر أيضاً: محمد كرد على خطط الشام، ج ١، ص ٢٨-٣١.
- أقام السامريون منذ أمد بعيد في نابلس، وتحدث عنهم المؤرخون والجغرافيون كثيراً، فنسبوا نابلس إليهم أحياناً، وفي ذلك يقول الاصطخري : «ونابلس مدينة السامرة، يزعمون أن بيت المقدس هو نابلس وليس للسامرة مكان في الأرض إلا بها» انظر: المسالك والممالك، ص ٤٤. السامريون فرع من اليهود، وهم صنفان صنف يقال لهم «الوستان» وصنف يقال لهم «الكوشان» انظر: البلاذري، فتوح البلد، ص ١٦٢. وينعت السامريون أنفسهم بالمحافظين لأنهم حافظوا ولا يزالون يحافظون على أدق شعائر العبادات دون تأويل رلا انحراف، ويزعمون أن التوراة التي بين أيديهم أصدق تورا. انظر: محمد كرد: علي خطط الشام، ج ٦، ص ٢١٦. أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، ص ٦١. ويشير البيروني إلى أن مذاهب السامرة (خلط من الديانة اليهودية والمجوسية). انظر: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوارد شاو، ليرج 1923م، ص 21. وقد قام السامريون بمساعدة نبوخذ نصر الكلداني عندما هاجم بلاد الشام عام 586 ق.م ولذلك لم يتعرض لهم، ولم يسبهم، بل إنه أبقاهم في نابلس حيث وجدت معابدهم وكنائسهم، وجبل جرزيم الذي يحجون إليه وينحرون الاضاحي عليه ويعتبرونه المكان المقدس الحقيقي والقبلة الوحيدة لبني اسرائيل. انظر: البيروني، المصدر السابق، ص 21، حسن ظاظا، الفكر الديني اليهودي دمشق، دار القلم، ب.ت. ص 206، سعيد البيشاوي وآخرون، الاديان والفرق، ط 1، عمان، دار الاتحاد 1990م، ص 55.
- 2) رحلة بنيامين، ص ٩٤-٩٧، ص ١٨٩.
- 3) Fulcher of Chartres، A History of expedition to Jerusalem، p. 271.
- 4) Geneviève، B.B.، Acte 117، pp. 237-240. de Rozière، doc. No. 131، pp. 242-244.
- 5) Geneviève، B.B.، Actes Nos. 40، 43، pp. 111-112، 119-121.
- ذكر أحد الحجاج اللاتين أن السريان لا يتبعون أي من مذاهب اللاتين الأرثوذكس، وفي كل مكان يكونوا تابعين لشعوب أخرى، وهم يشبهون الأرثوذكس في جميع الأمور الدينية والدينية.
- Cf. Anonymous Pilgrims، (2)، Vol. VI، p. 28.
- 6) Conder، p. 166.
- 7) Burchard oh Mount Sion، pp. 103 - 104
- 8) Ibid.، loc. cit.
- 9) Runciman، S.، Vol. 2، pp. 304-305.
- محمود الحويري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام، ص ٥٠.
- 10) Anonymous Pilgrims (2)، vol. VI، p. 28.
- 11) John of Wurzburg's Description of the Holy Land، p. 69. Cf. also: Burchard of Mount Sion، pp. 103-105.
- 12) Anonymous Pilgrims، (20، VI، pp. 27-29. Burchard of Mount Sion، pp. 103-108.
- 13) Ibid.، p. 89.
- 14) Runciman، S.، Vol. 2، p. 86.
- سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٢٤٥.
- 15) Runciman، S.، vol. 2، pp. 86، 321.
- 16) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧١.
- 17) Runciman، S.، Vol. 2، p. 321.



- 18) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, pp. 74-82. Cf. also: Runciman, S., Vol. 2, p. 321. Hamilton, B., p. 160.
- 19) Genivieve, B.B., Acte No. 133, pp. 259-260. de Rozière, Doc No. 140, p. 256.
- 20) Geneviève, B.B., op. cit., loc. cit. de Rozière, op. cit., loc. cit.
- 21) سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٨٠.
- 22) Benvenisti, M., p. 17.
- 23) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٧٩.
- 24) ابن ميسر: أخبار مصر، ج ٢، ص ٣٨. ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠، ص ٣٨٣.
- 25) Runciman, S., Vol. 2, p. 317. Johnson, P., Civilization of the Holy Land, London 1979, p. 196.
- 26) Ibid., loc. cit.
- 27) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٣-١٨٤.
- 28) Geneviève, B.B., Acte No. 115, pp. 135-136.
- 29) Estoire d'Eracles, p. 60. Cf. also: Addison, p. 118.
- 30) Runciman, S., Vol. 2, p. 317.
- 31) Ibid., loc. cit.
- 32) زكي النقاش: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنجة خلال الحروب الصليبية، ص ١٤٧.
- Cf. also: Conder, pp. 178-179.
- 33) Runciman, S., Vol. 2, p. 317.
- 34) زكي النقاش: المرجع السابق، ص ١٤٦.
- 35) محمود الخويري: الأوضاع الحضارية، ص ٨٠.
- 36) Johnson, p. 196.
- 37) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٧٤.
- الدواميس: جمع ديماس، وهي الحمامات وتجمع دماميس ودياميس.
- 38) Benvenisti, M., p. 222.
- 39) أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، ص ١٧٥.
- Cf. also: Johnson, p. 196.
- 40) سعيد عبد الفتاح عاشور: أضواء جديدة على الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٤م، ص ١٠٨.
- محمود الخويري: المصدر السابق، ص ٢٤٥-٢٤٦.
- 41) أسامة بن منقذ: كتاب الاعتبار، ص ١٧٥.
- 42) المصدر السابق، ص ١٧٥.
- 43) رحلة ابن جبير: ص ٢٧٨-٢٧٩.
- 44) كتاب الاعتبار، ص ١٧٤.
- 45) المصدر السابق، نفس الصفحة.
- 46) كتاب الاعتبار، ص ١٧٤.
- Cf. also: Grousset, R., Vol. 2, pp. 141-142.
- 47) كتاب الاعتبار، ص ١٧٤.
- 48) Estoire d'Eracles, p. 60. Cf. also: Addison, p. 118. kedar, pp. 179-180.
- 49) Addison, p. 118.
- 50) Fulcher of Chartres, p. 271.
- 51) Atiya, A.S., Crusade Commerce Culture, p. 66.



- 52) Albert d'Aix, pp. 539-540.
- 53) Mayer, H. E., The Crusades, p. 166.
- 54) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, pp. 177-178. Mayer, H. E., p. 167.
- 55) Mayer, H. E., p. 167.
- 56) جبل جرزيم: يوجد في مدينة نابلس، وكلمة جرزيم، لفظة عبرية بمعنى الفرائض. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٢، ص ٢٣. ويمتاز جبل جرزيم بأنه كثير الأشجار مطرد العيون. انظر: بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، ص ٩٧.
- 57) أحمد رمضان: المجتمع الإسلامي في عصر الحروب الصليبية، ص ٦١.
- 58) رحلة بنيامين، ص ٩٦.
- 59) المصدر السابق، ص ٩٧. ذكر بنيامين التطيلي أن السامريين يتعدون عن كل ما يدنسهم، لا يقربون ميتاً أو عظماً بشرياً أو جثة أو قبراً، وإذا قصدوا كنيستهم للصلاة، اغتسلوا بالماء واستبدلوا ثيابهم، بأثواب نظيفة. وهذا جاري عاداتهم يومياً. انظر: رحلة بنيامين، ص ٩٧.
- 60) Geneviève, B. B., Actes Nos. 117, 123, pp. 237-241, 249-250. de Rozière, Docs Nos. 131, pp. 244-247, 249.
- 61) La Monte, J., pp. 106-107, 135. Conder, p. 172. Archer and Kingsford, p. 126. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 127. Runciman, S., Vol. 2, pp. 302-303. Benvenisti, M., pp. 28-42.
- 62) La Monte, J., p. 107. Runciman, S., Vol. 2, p. 303.
- 63) Conder, p. 172. La Monte, J., p. 106.
- عبد القادر اليوسف: العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، ص ٨٨.
- 64) Archer and Kingsford, p. 126. Runciman, S., Vol. 2, p. 303.
- عبد القادر اليوسف: المرجع السابق، ص ٨٨.
- 65) Conder, p. 172.
- 66) La Monte, J., p. 107.
- 67) Jean d'Ibelin, tome I, p. 420.
- 68) Jean d'Ibelin, tome I, pp. 419-420.
- 69) Ibid., p. 420.
- 70) Jean d'Ibelin, tome I, pp. 420-424.
- 71) المحاكم الوطنية: كانت تعقد في المدن، تحت رئاسة أحد السكان الوطنيين، الذي كان يعرف باسم الرئيس، وكان يساعده اثنا عشر محلفاً.
- Cf. Conder, p. 172.
- 72) Runciman, S., Vol. 2, pp. 302-303. Conder, pp. 172-173.
- 73) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 139. 73) Conder, p. 173. Runciman, S., Vol. 2, p. 302. Benvenisti, M., pp. 20, 29.
- 74) Conder, p. 173. Archer and Kingsford, p. 126. Runciman, S., op. cit., loc. cit.
- 75) Ibid., loc. cit.
- 76) يوشع برافر، المرجع السابق، 136.
- 77) Runciman, S., Vol. 2, pp. 302-303.
- 78) يوشع برافر: المرجع السابق، ص ١٣٧.



- Cf. also: Benvenisti, M., pp. 20, 28.
- 79) Benvenisti, M., p. 28.
- 80) Conder, pp. 172-173. Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 138. Benvenisti, M., p. 20.
- 81) Ibid., loc. cit.
- 82) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 107.
- 83) La Monte, J., pp. 109-110. Cf. also: Barker, E., pp. 45-56.
- 84) Smail, R. C., the Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 39.
- 85) La Monte, J., pp. 132-134.
- 86) Smail, R. C., the Crusaders in Syria and the Holy Land, p. 39.
- 87) Runciman, S., Vol. 2, p. 303.
- 88) La Monte, J., pp. XX-XXII.
- 89) Fulcher of Chartres, p. 246. William of Tyre, Vol. 1, p. 537.
- 90) Conder, p. 239.
- 91) Geneviève, Acte No. 126, pp. 244-247.
- 92) Conder, p. 239.
- 93) Geneviève, B.B., Acte No. 134, pp. 260-261. de Rozière, Doc. No. 125, p. 229.
- 94) Archer and Kingsford, p. 292.
- 95) Benvenisti, M., p. 217.
- 96) Ibid., p. 267.
- 97) Pilgrimage of Russian about Daniel, p. 31.
- 98) Jacques de vitry, p. 16.
- 99) Delaborde, H.F., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34.
- 100) The Pilgrimage of John, Phocas in the Holy Land, p. 26.
- 101) Burchard of mount Sion, p. 99.
- 102) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, pp. 45, 58.
- 103) Geneviève, B.B., Acte No. 30, pp. 92-93.
- 104) Jacques de Vitry, p. 16.
- 105) William of Tyre, Vol. 1, p. 506. Cf. also: Runciman, S., Vol. 3, p. 352.
- 106) Ibid., loc. cit.
- 107) Praver, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 359.
- 108) Richard, J., Agricultural condition in the Crusader states, p. 259.
- 109) Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253.
- 110) Ibid, Acte No. 122, pp. 247-248.
- 111) Ibid., Acte No. 126, pp. 252-253.
- 112) Crusader Institutions, p. 132.
- 113) Conder, p. 240. Praver, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, pp. 360-361. Benvenisti, M., p. 217.

حسين روجي: مختصر جغرافية فلسطين، ص ٦٩-٧٣.

- 114) Conder, p. 240.
- 115) Burchard of mount Sion, p. 46.



116) Ibid. , p. 102 . Pilgrimage of the Russian abbot Daniel , p. 45 . Cf. also: Runciman , S. , Vol. 3 , p. 352 . Prawer , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , p. 361 . Benvenisti , M. , p. 217 .

117) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel , p. 45 .

118) Burchard of Mount Sion , p. 102 .

119) Prawer , J. , the Latin Kingdom of Jerusalem , p. 461 .

(120) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر ، ص ٢٠٠ .

(121) طوطح وخوري : جغرافية فلسطين ، ص ١٣٨ .

122) Prawer , J. , the Latin Kingdom of Jerusalem , p. 361 .

(123) المريمية : من النباتات الطبية التي تنمو بكثرة في الأراضي الفلسطينية ، وسميت بهذا الاسم نسبة إلى السيدة مريم العذراء ، لأنها أول من استعمله للعلاج . ويطلق سكان على هذا النبات اسم المرمية . وتمتاز أوراق نبتة المريمية بأنها مرة المذاق وألوانها خضراء مزدوجة . ويستعمل أهل فلسطين هذا النبات من أجل علاج الاضطرابات المعوية ، واضطرابات الدورة الدموية ، وتوصف الميريمية لعلاج الكثير من الأمراض وخاصة الروماتيزم والاسهال ، والصداع النصفي ، انحباس البول ، والتوتر العصبي ، وارتفاع درجة الحرارة . وتفيد أوراق الميريمية في علاج الأرق والتعرق الليلي . هذا إلى جانب عدة فوائد أخرى .

(124) السذاب : نوع بري وبستاني ، إلا أن البري أصغر ورقاً وحادّة رائحة ، ويطلق عليه اسم الفيحن . والبستاني يزرع طوال العام . انظر : مورخ مجهول : مفتاح الراحة لأهل الفلاحة ، ص ١٥٦ .

(125) الشومر : هو زحد النبات التي تنمو في فلسطين ، ورائحته عطرة ويستعمل كغذاء مثل الجرجير والبقدونس .

126) Burchard of mount Sion , p. 99 . Cf. also: Prawer , J. , the Latin Kingdom of Jerusalem , p. 361 .

127) Geneviève , B. B. , Acte No. 126 , pp. 252-253 .

(128) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٨١ . ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن زراعة قصب السكر ، بدأت في الشرق الأقصى ، وانتقلت إلى الشرق الأدنى في بداية القرن العاشر الميلادي / الرابع الهجري .

Cf. Benvenisti , M. , op. cit. , p. 253 .

(129) كابول : ذكرت في الوثائق والخرائط الصليبية باسم كابور Cabor ، وهي تقع في الجنوب الشرقي من عكا ، وعلى بعد نحو أربعة عشر كيلومتراً منها . ويحدها من الشمال الشرقي قرية معار Miar ومن الشرق قرية عرابة البطوف ومن الجنوب الغربي قرية تمرة Tömrah (كفر تمارا Kafar Tamara) ، ومن الغرب قرية دعوك (خربة دعوك Kh. Daik) ، ومن الشمال الغربي قرية الدامون ed-Damun ويقال إن كابول كلمة كنعانية بمعنى «الأرض الوعرة غير المثمرة» . وترتفع القرية عن سطح البحر نحو مائة متر ، وعرفت أيام الرومان باسم Chabalon وكانت من أعمال صفورية . انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، ص ٣٧٧-٣٧٨ . وذكر الرحالة بورشارد بأنها تبعد نحو فرسخين (سنة أميال) عن وادي كابول ، وأضاف أن المسلمين يطلقون عليها اسم زابل Zabul .

Cf. Burchard of mount sion , p. 26 .

(130) المقدسي البشاري : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٦٢ . انظر أيضاً : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، ص ٣٧٧ .

Prawer , J. , the Latin Kingdom of Jerusalem , p. 364 . Benvenisti , M. , op. cit. , p. 253 .

(131) آلت فلسطين للحكم الأخشيدي عام ٣٢٣هـ / ٩٣٥م . درويش النخيلي : فتح الفاطميين للشام في مرحلته الأولى ، الاسكندرية ١٩٧٩م ، ص ٢٦ . وبعد أن انتهى حكم الإخشيديين لفلسطين في أواخر عام ٣٥٩هـ / ٩٧٠م ، آلت فلسطين للحكم الفاطمي . انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ،



ج ٨، ص ٥٩١. أبو الفداء: المختصر، ج ٢، ص ١٠٩. د. درويش النخيلي: المرجع السابق، ص ٢٤٩. محمد كرد علي: خطط الشام، ج ١، ص ١٩٦.

132) Les Assises de Haute Cour, in Assises de Jerusalem, tome, II pp. 174-175. Cf. also: Conder, op. cit., p. 241.

133) Heyed, W., Histoire de Commerce du levant, tome II, Paris 1936, p. 685.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧٥.

134) Burchard of mount Sion, pp. 10-11. Jacques de vitry, p. 16.

Heyed, W., op. cit., tome I, pp. 178-179, tome II, pp. 682-686.

Runciman, S., op. cit., Vol. 3, p. 353. Prawer, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, p. 364.

Benvenisti, M., op. cit., p. 523.

135) Jacques de Vitry, p. 30. Cf. also: Prawer, J., op. cit., loc. cit.

Benvenisti, M., p. 253.

136) Runciman, S., op. cit. loc. cit.

137) Benvenisti, M., op. cit., loc. cit.

138) Conder, p. 87.

139) Benvenisti, M., op. cit., p. 253.

140) Burchard of mount Sion, p. 99.

141) Ibid., p. 100.

142) Ibid., p. 11.

143) Ibid., p. 14.

144) Jacques de Vitry, p. 30. Cf. also: prawer, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, p. 364. Benvenisti, M., op. cit., p. 253.

145) Prawer, J., op. cit., loc. cit. Benvenisti, M., op. cit., loc. cit.

146) Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader states, p. 529.

147) Strehlke, Doc. No. 8, p. 9.

148) Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 259.

149) Burchard of mount Sion, p. 57.

أشارت بعض الوثائق المؤرخة في الخامس عشر من مايو عام ١١١٦م/ الثلاثين من ذي الحجة عام ٥٠٩هـ، أن الطواحين كانت موجودة في أريحا قبيل قيام ارنولف مالكورون بمنحها هي وتوابعها إلى ابنة أخته إمّا. عندما تزوجت من يوستاش جارنيه. مما يؤكد هذا أن وليم رئيس كنيسة القيامة وقسطنطين رئيس دير جبل القرنفل طالبا من يوستاش وإمّا أن يعيدا لهما الطواحين والأراضي التي منحها لهما ارنولف مالكورون.

Cf. Beugnot, L., tome II, Charte No. 8, p. 487. de Rozière, Doc.

No. 119, p. 222. Migne, tomus 155, Doc. No. 119, Cols. 1213-1214.

وذكر أحد المؤرخين الحديثين أن طواحين السكر، تقع على بعد كيلو واحد من أريحا القديمة تل السلطان «عند سفح جبل القرنفل وأن تاريخ تأسيسها يرجع إلى عام ١١١٦م/ ٥٠٩هـ. وأضاف أنها كانت تستعمل طوال فترة الحكم الصليبي لهذه المنطقة ولا يزال يوجد منها في الموقع ثلاث طواحين.

Cf. Benvenisti, M., op. cit., pp. 254-256.

150) Kohler, Ch., Registre, fol. 175, pp. 112-113. Röhrich, R.,

Regesra, Doc. No. 51, pp. 10-11. Beyer, G., Neapolis and sein Gebiet in der Kreuzfahrerzeit, pp. 172-173.

151) ذكر غوستاف باير أن المنطقة المحيطة بقرية عسكر مليئة بالوديان مثل وادي البادان Wadi



el- Bedan وادي الفارعة Wadi el-Far'a ووادي الرصيف Wadi er Rasif .  
Cf. Beyer, G. , Neapolis und sein Gebiet in der Kreuzfahrerzeit , p. 173 .

وتجدر الإشارة إلى أن العين التي تزود وادي البادان بالمياه ، لا تزال موجودة وتحمل اسم عين البادان ، ومياهها غزيرة عذبة ومثلجة في نفس الوقت . كذلك فإن عين الفارعة التي تزود وادي الفارعة بالمياه ، لا تزال قائمة حتى الآن ، وسكان المنطقة يشربون من مياهها ، وهي لا تبعد كثيراً عن عين البادان سابقة الذكر لكن مياهها ليست غزيرة وقد قمت بزيارة الموقعين وشربت من مياههما .

152) Delaborde, H. F. , op. cit. , Doc. No. 12, pp. 37-38. Röhricht, R. , Regesta, Doc. No. 101, p. 23 .

153) Delaborde, H. F. , Doc. No. 18, pp. 45-47. Kohler, Ch. , Registre, fol. 198. pp. 119-120. Röhricht, R. , Regesta, doc. No. 134, pp. 33-34. Beyer, G. , Neapolis und sein Gebiet in der Kreuzfahrerzeit, p. 181 .

154) Burchard of mount sion , pp. 10-11 . Jacques de Vitry , p. 16 .

155) Geneviève, B. B. , Acte No. 28, pp. 90-91. Beugnot, L. , tome II, Charte No. 9, p. 488. de Rozière, Doc. No. 30, pp. 56-57. Migne, tomus 155, Doc. No. 30, cols. 1122-1123. Röhricht, R. , Regesta, Doc. No. 109. p. 27 .

(156) جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

(157) المسالك والممالك ، ص ٤٤ .

(158) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ٧١ .

(159) المصدر السابق ، ص ١٨٠-١٨١ .

(160) قرية العنب: هي قرية أبو غوش Abu Gosh الحالية، وتقع على بعد ثلاثة عشر كيلومتراً إلى الغرب من بيت المقدس بانحراف قليل باتجاه الشمال، وعلى بعد ثمانية وأربعين كيلومتراً إلى الجنوب الشرقي من يافا. وقد عرفت باسم قرية أبو حصن العنب في العهد الإسلامي، وذكرت في العصر الصليبي باسم Castellum Emmaus Fontenoid، وأشار أحد المؤرخين الحديثين إلى أنها لم تكن محصنة تحصيناً جيداً. ويحد القرية من الشمال الشرقي قرية القبيبة، ومن الجنوب الشرقي قرية صوبا، ومن الجنوب الغربي قرية بيت ميس (أم الميس). انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ١١٢-١١٣ .

Cf. also: Praver, J. , The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 292 .

(161) سفر نامه : ترجمة: يحيى الخشاب، بيروت ١٩٧٠م، ص ٥٥. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ١١٢-١١٣ .

Praver, J. , op. cit. , p. 361 .

(162) بيت عينون: تعرف في الوقت الحاضر باسم خربة بيت عينون، وكانت ضمن الإقطاعات التي منحها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصحابي الجليل تميم الداري. ويوجد في القرية آثار كنيسة فيها أعمدة وتيجان أعمدة، وبرج وخزان مياه تصل بقناة، إلى جانب صهاريج وأساسات، وأرض مرصوفة بالفسيفساء. والقرية تقع في الشمال الشرقي في الخليل ويحدها من الشمال قرية سعير ومن الشمال الغربي قرية بيت اولاء ومن الجنوب الغربي مدينة الخليل. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٥، ق ٢، ص ١٠، ٥١، ٥٥، ١٧١، ٣٢٢-٣٢٧ .

Cf. also: Beyer, G. , die Kreuzfaherergebiete von Jerusalem und S. Abraham, pp. 176-177, 197, 204 .

(163) المقدسي البشاري: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨١-١٨٢ .

(164) مؤلف مجهول: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٠٨ .

(165) المصدر السابق، ص ٢٠٧ .

(166) Willson, C. W. , Intriduction of danil's pilgrimage, p. VII .



- 167) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 26.
- 168) Ibid., p. 41.
- 169) Ibid., p. 45.
- 170) Burchard of mount Sion, p. 101.
- 171) Theoderich's Description of the Holy Land, p. 61.
- 172) Ibid., p. 62. Burchard of mount Sion, p. 52.
- 173) Ibid., p. 14. Cf. also: Prawer, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, p. 362.
- 174) Jacques de Vitry, The History of Jerusalem, p. 16.
- 175) Burchard of mount Sion, p. 9.
- 176) Ibid., pp. 9-10. Marino's, p. 8.
- 177) سكاند اليوم: تعرف اليوم باسم خربة اسكندرونه Kh. Iskanderuneh وهي تقع جنوبي صور، وشمال قرية رأس الناقورة ويحدها من الشمال الشرقي قرية المنصورة ومن الجنوب الشرقي قرية طير حرفا Teir Harfa، ويقال إن الاسكندر المقدوني بناها عندما كان يحاصر مدينة صور. وفي العصر الصليبي قام الملك بلدوين الأول بإعادة بناؤها عام ١١١٦م/ ٥٠٩-٥١٠هـ، ثم منحها لأحد النبلاء.
- Cf. Burchard of mount Sion, p. 10. Marino Sanuto's p. 8. Ludolph von Suchem's, p. 61.
- 178) Burchard of mount Sion, p. 10.
- 179) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 362.
- 180) Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, p. 271.
- 181) مؤلف مجهول: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٠٩.
- 182) Burchard of mount Sion, p. 101.
- ذكر بورشارد أن محصول العنب يجمع ثلاث مرات في العام، ويرجع ذلك لأن السكان يقومون بتقليم فروع أشجار الكرمة في شهر مارس، وذلك عن طريق قطع الفروع الزائدة خلف عناقيد العنب. وعندما تبدأ عناقيد جديدة بالنمو في شهر ابريل فإنهم يقومون بقطع الفروع التي تنمو خلفها، وفي شهر مايو تبدأ سيقان أشجار الكرمة بإطلاق فروع أخرى تحمل عناقيد جديدة. وهكذا فإن السكان يحصلون على ثلاث شتلات من العنب تنمو جميعها بطريقة متشابهة، ولكن الفروع التي تبدأ في النمو في شهر مارس، يتم جمع محصولها في اغسطس، والتي تنمو في شهر ابريل يتم جمع محصولها في سبتمبر، والتي تنمو في شهر مايو يتم جمع محصولها في اكتوبر. وبهذا يحصل السكان على ثلاث غلات من العنب في العام.
- Cf. Burchard of mount Sion, pp. 101-102.
- 183) Richard, J., Agriculktural Conditions in Crusader states, p. 260.
- 184) Richard, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, vol. 1, p. 73.
- ذكر الراهب دانيال الروسي أن نابلس كانت تصدر النبيذ إلى بيت المقدس.
- Cf. Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 58.
- 185) Sterhlke, op. cit., Doc. No. 8, p. 9. Cf. also: pp. 122-123. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 548. p. 146.
- جبل عييال: هو أحد الجبلين اللذين تقع بينهما مدينة نابلس. وكان جبال عييال يعرف باسم جبل «صلمون» أو جبل «ستي سلامة» أو الجبل «الشمالى»، ويبلغ ارتفاعه تسعمائة وأربعين متراً عن سطح البحر. انظر بنيامين التطيلي: رحلة بنيامين، ترجمة عزرا حداد، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٤٥م، ص ٩٦، حاشية ٢. جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج ٢، ص ١٢٧.
- 186) Strehlk, Doc. No. 62, pp. 50-51.



187) Pilgrimage of the Russian abbot daniel, p. 41.

188) قرية بيزك : ذكرها بورشرد أنها تبعد عن بيت لحم بحوالي نصف فرسخ ، وأن جميع سكانها من المسيحيين الذين يعتنون بأشجار الكرمة ، ويضعون النبيذ الممتاز ، لكن بورشارد لم يحدد موقع القرية ، وبالرجوع إلى كثير من المصادر الجغرافية والخرائط ، فإننا لم نجد أية قرية في حدود بيت لحم تحمل اسم قرية بيزك . ومن المرجح أن تكون هي قرية بيت بزان الواقعة في الجنوب الشرقي من بيت لحم . Cf. Burchard of mount sion, p. 89.

189) Ibid. , loc. cit.

190) William of Tyre, op. cit. , Vol. 1, p. 483.

191) كانت أريحا الأراضي المحيطة بها من ضمن الأملاك والإقطاعات التي منحها الملك بلدوين الأول لكنيسة القيامة ، وقبل عام ١١٥٠م / ٥٠٩هـ قام ارنولف مالكورون بمنحها لابنة اخته لتكون مهراً لها .

184) William of Tyre, op. cit. , vol. 1, p. 489.

وبعد ذلك قام وليم الأول بطريك بيت المقدس بمنح عشر الدخل السنوي الذي تدره أريحا وملحقاتها إلى دير القرنطل القريب من أريحا .

Cf. Geneviève, B. B. , Acte No. 22, pp. 78-80. de Rozière, Doc. No. 28, pp. 52-54. Minge, tomus 155, Doc. No. 28, cols. 1120-1211. Röhricht, R. , Regesta, Doc. No. p. 14.

وعندما انتهت الملكة ميلسند من عملية إنشاء دير القديس لعازر في بيثاني عام ١١٤٧م / ٥٤٢هـ ، قامت بمنح مدينة أريحا بجميع ضواحيها وممتلكاتها وثوراتها .

Cf. William of Tyre, op. cit. , vol. 2, pp. 133-134.

192) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 31. John of Würzburg's Description of the Holy Land, p. 58.

193) Theiodrich's Description of the Holy Land, p. 49.

194) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 31.

195) عين جدي : هي عين وبلدة معاً ، وتقع على الساحل الغربي للبحر الميت (بحيرة لوط) ، وكان يقوم على بقعتها بلدة «حصون تامارا الكنعانية العربية» . وقد اشتهرت بعنبتها ونخيلها وبلسمها وحنائها ، وهي تنخفض عن سطح البحر الأبيض المتوسط نحو ثلاثمائة وواحد وسبعين متراً ، وتقع على بعد خمسة وثلاثين ميلاً إلى الجنوب الشرقي من بيت المقدس . ونبع عين جدي غزير ، وتنحدر مياهه عن علو شاهق على جبل صخري ، وعند أسفله أرض خصبة لغزارة المياه ، وتزرع فيها كروم العنب وشجار النخيل والخضروات وغيرها . انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٨ ، ص ٥٢٢-٥٢٣ . جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، ج ٢ ، ص ١٢١-١٣١ .

196) Fetellus, Description of Jerusalem and the Holy Land, p. 12.

Burchard of mount Sion, p. 63. Cf. also: Richard, J. , Agricultural Conditions in the Crusader states, p. 260.

جورج بوست : قاموس الكتاب المقدس ، ج ٢ ، ص ١٢١ .

197) Burchard of mount Sion, p. 63.

198) Delaborde, H. F. , Doc. No. 6. pp. 29-32. Röhricht, R. , Doc. No. 80, pp. 18-19.

199) Geneviève, B. B. , Acte No. 49, pp. 132. Beugnot, L. , tome Ii, Charte No. 37, p. 522. Migne, tomus 155, Doc. No. 58, Cols. 1153-1154. Röhricht, R. , Regesta, Doc. No. 356, p. 93.

200) Geneviève, B. B. , Acte No. 66, pp. 161-162. de Rozière, Doc. No. 78, pp. 155. Migne, tomus 155, Doc. No. Col. 1176. Röhricht, R. , Regesta, Doc No. 129. p. 32.

201) Geneviève, B. B. , Acte No. 159, pp. 310-311. de Rozière, Doc.



No. 142, pp. 258-260. Migne, tomus 155, doc. No. 142, Cols 1231-1236. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 530, pp. 141-142.

202) Geneviève, B.B., Acte No. 36, pp. 103-105. Beugnot, L., tome II, Charte No. 31, pp. 513-514. de Rozière, Doc. No. 48, pp. 87-89. Migne, tomus 155, Doc. No. 48, Cols. 1136. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 278, pp. 70-71.

203) Praver, J., Crusader Institutions, p. 128.

204) Geneviève, B.B., Acte No. 123, pp. 249-250. de Rozière, Doc. No. 135, p. 249. Migne, tomus 155, Doc. No. 135, Cols 1225-1226.

205) Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, Doc. No. 136, Cols. 1225-1227. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 346, p. 90.

206) Geneviève, B.B., Acte No. 121, pp. 244-247. de Rozière, Doc. No. 129, pp. 238-241. Migne, tomus 155, Doc. No. 129, Cols. 1219-1221. Röhricht, R., Regesta, doc. No. 340, pp. 88-89.

ذكرت الوثيقة أن جيبرت باباس كان يمتلك كرمًا بجوار كنيسة جبل الجودي والمقبرة التابعة لتلك الكنيسة. وذكرت الوثيقة أن ارنولد رئيس كنيسة القيامة قام بإجراء عملية تبادل مع جيبرت بخصوص كرم العنب سابق الذكر. وقد تم الاتفاق على أن يتنازل كيبرت عن كرمه لكنيسة القيامة، وفي مقابل ذلك يحصل على كرم آخر في نفس المنطقة، يكون حقًا خالصًا له ولورثته من بعده، على أن يدفع ضريبة العشر المقررة للكنيسة دون أية التزامات أخرى.

“Quadam etenim fecit commutationem cum Guiberto Papasio de quadam videlicet vinea prefatus G. libere habebat et possidebat juxta ecclesiam Montis Gaudii, cimiterio videlicet ejusdem ecclesie conjunctam. Prp hac igitur vinea dedit ei pro commutatione in extrema parta magne vinee que est juxta viam superiorem quandam partem vinee, certis metis designatam et divisam, sibi et heredibus suis habendam et possidendam, salva sola decima”.

Cf. Geniveve, B.B., Acte No. 121, pp. 244-247.

207) Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 260. Praver, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 362.

208) Ibid., Loc. cit.

209) Conder, p. 196.

210) Praver, J., Crusader Institutions, pp. 132-133.

(211) المسالك والممالك، ص ٤٤.

(212) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨١.

(213) المصدر السابق، ص ١٧٤.

(214) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٠٠.

(215) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج ٢، بروت ١٩٧٣م، ص ٧٥.

(216) رحلة بنيامين، ص ٩٦.

(217) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٢٢١.

218) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, pp. 26, 41, 66. Theoderich's Description of the Holy Land, p. 61. Burchard of mount Sion, pp. 32, 39, 46. Marino Sanut's, p. 8.

219) Delaborde, H. E., Doc. No. 6, pp. 29-32. Röhricht, R.,



- Regesta, Doc No. 80, pp. 18-19.
- 220) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 26.
- 221) Delaborde, H. F., Doc. No. 18, pp. 45-47. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 134, pp. 33-34. Kohler, Ch., Registre, fol. 212, pp. 125-126.
- 222) Ibid., Registre, fol. 175, pp. 212-213. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 10-11. Cf. also: Beyer G., Neapolis und sein gebiet in der Krauzfaherzeit, pp. 172-173.
- 223) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١٢٣.
- 224) Theodérich's Description of the Holy Places, p. 61.
- الأنصاري الدمشقي: نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، ص ٢٠٠. أبو اليمن العليمي: الأنس الجليلي، ج ٢، ص ٧٥.
- 225) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, pp. 26, 41, 45.
- 226) انظر الفصل الثاني من هذه الدراسة.
- 227) انظر الفصل الثاني.
- 228) انظر الفصل الثاني.
- 229) Geneviève, B. B., Acte No. 126, pp. 252-253. de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, Doc. No. 136, Cols. 1226-1227. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 364, p. 90.
- 230) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 133.
- 231) Geneviève, B. B., Acte No. 126-253. de Rozière, Doc. No. 136, pp. 251-252. Migne, tomus 155, Doc. No. 136, Cols. 1226-1227. Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 346, p. 90.
- 232) Burchard of mount Sion, p. 40.
- 233) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 66.
- 234) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 26.
- 235) أشجار الخرنوب: من الأشجار التي تنمو في المناطق الجبلية في بلاد الشام. وشجر الخرنوب يغرس من نواة ولا يحتاج حبه إلى معاناة، لكن إلى التقليم لا غير، لأنه يفرغ ويدوح. ويقال فيه خروب وخرنوب ويخرج منه غسل ورب وله منافع. انظر: مؤرخ مجهول: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٠٢-٢٠٣.
- 236) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.
- 237) الاضطخري: المسالك والممالك، ص ٤٤. المقدسي: أسكن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٦.
- 238) المصدر السابق، ص ١٨١.
- 239) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 26.
- 240) Ibid., p. 41.
- 241) Ibid., p. 45.
- 242) Ibid., p. 66.
- 243) Burchard of mount Sion, pp. 9-10. Marino Sanut's, p. 8.
- 244) Burchard of mount Sion, p. 102.
- 245) مؤرخ مجهول: مفتاح الراحة لأهل الفلاحة، ص ٢٠٢. انظر أيضاً: حسين روجي: مختصر جغرافية فلسطين، ص ٢٥.
- 246) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٣.
- 247) ابن بطوطة: مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار،



بيروت ١٩٦٨م، ص ٥٦-٥٧.

(248) المسالك والممالك، ص ٤٤.

249) Röhricht, R., Regesta, Doc. No. 39, pp. 6-7.

250) Geneviève, B.B., Acte No. 123, pp. 249-250. de Rozière, Doc. No. 135, p. 249. Migne, tomus 155, Doc. No. 135, Cols. 1225-1226.

(251) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠-١٨١.

252) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 31. Cf. also: Conder, p. 240.

253) Burchard of mount Sion, p. 59.

254) Pilgrimage of Saewulf, p. 23. Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 31.

255) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 31. Pilgrimage of Saewulf, p. 23.

256) Burchard of mount Sion, p. 40.

(257) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٢.

258) Conder, p. 240.

(259) المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨١.

(260) المسالك والممالك، ص ٤٤.

261) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 26.

262) John of Wurzburg's Description of the Holy Land, p. 58.

263) Burchard of mount Sion, p. 102.

264) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 356.

265) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٥٤. انظر أيضاً: محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٤، ص ١٤٩. حسين رويحي: مختصر جغرافية فلسطين، ص ٧٣.

قرية سفارين: تقع في الشمال الغربي من نابلس، ويحدها من الشمال الشرقي قرية بيت ليد وسبسطية ومن الجنوب الشرقي قرية خربة الصافي. أما قرية برقة فتقع شمال سبسطية ويحدها من الشمال قرية الفندقومية ومن الجنوب سبسطية. انظر الخريطة.

266) Runciman, S., Vol. 3, pp. 352-353.

267) Geneviève, B.B., Acte No. 123, pp. 249-250. de Rozière, Doc. No. 135, p. 249. Migne, tomus 155, Doc. No. 135, Cols. 1225-1226.

268) Prawer, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, p. 365.

(269) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٧٥.

270) Burchard of mount Sion, p. 100.

(271) ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج ٣، ص ١١.

272) Burchard of mount Sion, p. 100.

ذكر بورشارد أن سكان فلسطين يخللون الليمون ويأكلوه مع لحم الطيور والسماك.

Burchard of mount Sion, p. 100.

273) Benvenisti, M., p. 217.

274) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 45.

275) Jacques de Vitry, p. 30.

276) Fetellus, p. 12. John of Wurzburg's, p. 58.

277) Strehlike, Doc. No. 112, pp. 91-94. Cf. Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 256.

278) Theoderich's Description of the Holy Land, p. 61.



- 279) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 45.
- 280) Runciman, S., Vol. 3, p. 252.
- 281) Burchard of mount Sion, pp. 105-106.
- 282) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 45. Burchard of mount Sion, p. 102.
- 283) Burchard of mount Sion, p. 11.
- 284) أشارت بعض الوثائق الصليبية إلى أسماء بعض الحرفيين الذين كانوا يعملون في مستوطنة البيرة، التي أقامها رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، فعلى سبيل المثال ذكرت إحدى الوثائق أسماء ثلاثة من الحدادين الذين كانوا يعملون في البيرة وهم روبرت Robertus Faber والبرت Albertus Faber ووليم William de Fabrica كما ذكرت أسماء ثلاثة من النجارين هم مارتن Martinus Carpentarius وبطرس Peterus Carpentarius ووالتر Galterius Carpentarius، كما ذكرت زسما بعض الحرفيين الذين كانوا يعملون في مجال البناء وصناعة الأحذية.
- Cf. Geneviève, B.B., Acte No. 117, pp. 237-241, Acte No. 121, pp. 244-247. de Rozière, Doc. No. 129, pp. 238-241, Doc. No. 131, pp. 242-244. Migne tomus 155, Doc. No. 129, cols. 1219-1221, Doc. No. 131, Cols. 1222-1223. Röhrich, R., Regesta, Doc. No. 302, pp. 77-78, Doc. No. 340, pp. 88-89. Cf. also: Prawer, J., Crusader Institutions, p. 128. Pringle, D., pp. 147-148.
- (285) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.
- (286) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.
- (287) المصدر السابق، ص ١٦٢.
- 288) Les Assises de Haute Coure, pp. 174-175.
- 289) Heyed, W., tome II, p. 685. Conder, p. 241.
- 290) Benvenisti, M., op. cit., p. 253.
- 291) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 128.
- 292) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 362. Benvenisti, M., op. cit., p. 224.
- 293) Benvenisti, M., op. cit., pp. 161, 257.
- 294) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 361.
- 295) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 58.
- 296) Prawer, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, p. 361.
- 297) جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج ١، ص ٥٢٢.
- لا تزال ثمار الزيتون تجمع بهذه الطريقة حتى وقتنا الحاضر، مع العلم أنه يوجد طرق أخرى لقطف الزيتون غير الطريقة السابقة منها: هز أشجار الزيتون.
- 298) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 361.
- قبل عصر الزيتون في المعاصر، كان يتم درسه بواسطة البد al-Badd.
- Cf. Benvenisti, M., p. 258.
- أما معصرة الزيتون التقليدية، فهي عبارة عن حجرة كبيرة، يوجد في إحدى جوانبها فتحة كبيرة، يوضع فيها أحد طو في ساق شجرة كبيرة بعد تنظيفه، والطرف الآخر يتصل بلولب متصل مع حجر العصر، فعندما يتم إدارة الدولاب، يقوم المعصراني بوضع الزيتون في إحدى فتحات الحجر الدائري المتحرك، فعندما تصبح ثمار الزيتون بين السطح الثابت والمتحرك فإنها تنهرس ويبدأ الزيت بالنزول إلى حفرة معدة لتجميع الزيت. أما معاصر الزيتون الموجودة في الوقت الحاضر، فهي تعمل بواسطة الكهرباء، وبعضها نصف اتوماتيك، والبعض الآخر اتوماتيك بالكامل.



المعصراني: هو صاحب المعصرة أو مستأجرها، وبعض أصحاب المعاصر يشتغلون بأيديهم ويستأجرون عمالاً للعمل معهم في المعصرة، والبعض الآخر يتولى الإشراف على معصرته، دون أن يعمل بيده. انظر: محمد سعيد القاسمي: قاموس الصاعات الشامية، ج ٢، باريس ١٩٦٠م، ص ٤٥٦-٤٥٧.

299) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 361.

(300) محمد سعيد القاسمي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٤٥٧.

301) Burchard of mount Sion, pp. 46, 102.

302) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 361.

303) Pringle, D., Magna Mahumeria, p. 151.

304) مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٣٣٦.

305) لا تزال قرية القبية تشتهر بزراعة أشجار الزيتون فضلاً عن شهرتها بأشجار التين والعنب والبرقوق. أما خربة الكبوش الواقعة غرب القبية وعلى بعد نحو كيلومترين منها، فتحتوي على بقايا معصرة زيتون. انظر: مصطفى مراد الدباغ: بلادنا فلسطين، ج ٨، ق ٢، ص ٩٨-١٠٠.

306) Geneviève, B. B., Actes Nos. 123, 126, pp. 249-250, 252-253. de Rozière, Docs Nos. 135-136, pp. 249-252. Migne, tomus 155, Docs. Nos. 135-136, Cols. 1125-1127.

307) Strehlke, Doc. No. 112, pp. 91-94.

308) Strehlke, Doc. No. 1, p. 1. Cf. also: Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 262.

ذكرت إحدى وثائق فرسان التيوتون المؤرخة في يوم الخميس الموافق السادس والعشرين من فبراير عام ١١٥٣م/الثلث من ذي القعدة عام ٥٤٧هـ، أن المستوطنين الفرنجة الذين أقاموا في مستوطنة امبرت، التي أسسها الملك بلدوين الثالث، كانوا يدفعون الضرائب المقررة عليهم حسب نوع المحاصيل التي كانوا يقومون بزراعتها، كما أنهم كانوا يدفعون رغباً عن كل خمسين رغباً يخبزونها في مخبز السيد.

Cf. Strehlke, op. cit., loc. cit. Cf. also: Richard, J., op. cit., loc. cit.

309) Benvenisti, M., p. 387.

310) Ibid., loc. cit.

311) زكي النقاش: العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والفرنجة خلال الحروب الصليبية، ص ٨٣.

312) محمد كرد علي: خطط الشام، ج ٤، ص ٥٩.

305) محمد سعيد القاسمي: قاموس الصاعات الشامية، ج ٢، ص ٢٦٨.

Benvenisti, M., p. 385.

314) Ibid., loc. cit.

محمد سعيد القاسمي: المرجع السابق، نفس الجرد والصفحة.

315) Benvenisti, M., op. cit., loc. cit.

محمد سعيد القاسمي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٩-٢٦٨.

كانت عملية الغش في صناعة الصابون تتم عن طريق إضافة كمية من الملح مع الجير والقلي، فضلاً عن إضافة بعض الدهون مع زيت الزيتون. ويعرف الصابون المصنع بهذه الطريقة باسم الصابون البلدي. انظر: محمد سعيد القاسمي: المرجع السابق، ج ٢، ص ٢٦٩.

316) Prawer, G., Crusader Institutions, p. 133.

317) بعد انتهاء السيطرة الصليبية على الأراضي المقدسة، استمر تصدير النبيذ إلى الغرب الأوروبي، وقد بلغت إحدى شحنات النبيذ المصدر من طرابلس عشرة أطنان، مما يفيد بأن النبيذ كان من السلع الرائجة في أوروبا.

Cf. Richard, J., Agricultural Cinditions in the Crusader States, pp. 260-261.



- 318) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 362.  
 319) Burchard of mount Sion, p. 101. Cf. also: Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 260.  
 320) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 60.

(321) كتاب الاعتبار، ص ٧٤.

- Cf. also: Grousset, R., vol. 2, p. 141.  
 322) William of Tyre, vol. 1, p. 506.  
 323) Burchard of mount Sion, pp. 46, 89, 101.  
 324) Geneviève, B.B., Actes Nos. 121, 123, pp. 244-247, 249, 252-253. de Rozière, Docs Nos. 129, 135-136, pp. 238-241, 249-252. Migne, tomus 155, Docs Nos. 129, 135-136. Cols. 1219-1221, 1225-1227.  
 325) Burchard of mount Sion, p. 89.  
 326) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 133. Benvenisti, M., p. 224.  
 327) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 133.  
 328) de Marsy, A., Doc. No. 31, p. 141. Cf. also: Benvenisti, M., p. 230.  
 329) Strehlke, Doc. No. 112, pp. 91-94.  
 330) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 128.

(331) جورج بوست: قاموس الكتاب المقدس، ج ٢، ص ١٢١.

معاصر الدبس: تختلف معاصر الدبس عن معاصر الزيت، بحيث تحتاج الأولى أن تكون معرضة للهواء، فيدرس أصحابها زبيب لعنب الأحمر في مدرّس، ثم يضعون ذلك الدبس بأوعية كبيرة من الفخار، مثقوبة من أسفلها، حيث يوجد على ذلك الثقب قطعة من الليف، وبعد ذلك يضعون الأوعية الفخارية على سقالة بارتفاع ذراع ونصف، مثقوبة عند أسفل الوعاء. ويضعون أيضاً أوعية كبيرة تحت الأوعية الفخارية الأولى، ثم يسكبون الماء الصافي على الزبيب المدروس، ويمزجونه معه، وعندما يرشح السائل من الثقب الذي وضع عليه قطع الليف، يقوم العمال بطبخه دبساً. وتجدر الإشارة إلى أن صناعته كانت تحقق دخلاً كبيراً على المشتغلين بها. انظر: جمال الدين القاسمي: قاموس الصناعات الشامية، ج ٢، ص ٤٥٧.

(332) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٦٢.

- 333) Les Assises de Haut Cour, tome II, pp. 174-175. Cf. also: Conder, p. 241.

- 334) Heyed, W., tome II, p. 685.

(335) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص ١٨٠.

- 336) Heyed, W., tome I, pp. 177-178, tome II, pp. 680-685. Runciman, S., vol. 3, p. 353. Benvenisti, M., p. 253.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧٥.

- 337) Strehlke, Doc. No. 18, p. 17. Cf. also: Runciman, S., vol. 3, p. 353. Benvenisti, M., p. 253.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧٥.

- 338) Heyed, W., tome II, pp. 682-685. Runciman, S., Vol. 3, p. 353. Benvenisti, M., p. 253.

سعيد عاشور: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

- 339) Prawer, J., The Latin Kingdom of Jerusalem, p. 364. Benvenisti,



M. , p. 253.

(340) بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين ، ص ٩٢ .

Burchard of mount Sion , pp. 10-11 .

341) Ibid . , p. 11 .

342) Strehlke , Doc. No. 8 , p. 9 . Röhrich , R. , Regesta , Doc. No. 548 , p. 146 .

343) Beugnot , L. , tome II , Charte No. 8 , p. 487 . de Rozière , Doc. No. 119 , p. 222 . Migne , tomus 155 , Doc. No. 119 , Cols. 1213-1214 .

344) Burchard of mount Sion , p. 57 .

345) Burchard of mount Sion , p. 99 . Cf. also : Richard , J. , Agricultural Conditions in the Crusader states , p. 259 . Benvenisti , M. , p. 254 .

استخدم الصليبيون قوة الماء من أجل تشغيل طواحين السكر التي كانت تشبه طواحين الدقيق إلى حد كبير ، ولكن الاختلاف بينهما هو حجر الرحي .

Cf. Benvenisti , M. , p. 254 .

تعرف المادة التي ترشح من السلال باسم غسل السكر ، وله طعم لذيذ ويستعمل في صناعة الكعك .  
انظر : مصطفى مراد الدباغ : بلادنا فلسطين ، ج ٧ ، ق ٢ ، ص ٣٧٧-٣٧٨ .

Cf. also : Benvenisti , M. , p. 253 .

346) Goitein , S.D. , Amediterranean Society , Vol. I , Los Angeles 1967 , p. 81 .

347) Prawer , J. , The Latin Kingdom of Jerusalem , p. 364 . Benvenisti , M. , p. 253 .

348) Ibid . , p. 253 .

349) Les Assises de Haute Cour , tome II , pp. 174-175 .

(350) احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ص ١٨٣ .

أشار المقدسي إلى أن أهل بيت المقدس ونابلس يطلقون على كل شيء يتخذونه من السكر اسم ناطفًا .  
انظر : أحسن التقاسيم ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(351) رحلة ابن بطوطة ، ص ٥٦-٥٧ .

(352) المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

353) Geneviève , B.B. , Actes No. 117 , 121 , pp. 237-241 , 244-247 .  
de Rozière , Docs Nos. 129 , 131 , pp. 238-244 . Migne , tomus 155 ,  
Docs Nos. 129 , 131 , Cols. 1219-1223 . Röhrich , r. , Regesta , Docs.  
Nos. 302 , 340 , pp. 77-78 , 88-89 .

354) Benvenisti , M. , p. 387 .

اشتهرت مدينة قيسارية بصناعة الأدوات المعدنية ، ووجدت بها آثار تشير إلى وجود صناعة الأدوات النحاسية في المدينة زمن الحكم الصليبي .

Cf. Benvenisti , M. , loc. cit .

(355) المقدسي : أحسن التقاسيم ، ص ١٨٠ . بنيامين الطيلي : رحلة بنيامين ، ص ٩٢-٩٣ .

(356) بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين ، ص ٩٢-٩٣ .

(357) بنيامين التطيلي : رحلة بنيامين ، ص ٩٥-١٠٤ .

(358) المصدر السابق ، ص ٩٨-٩٩ .

359) Besant and Palmer , p. 264 .

360) Fulcher of Chartres , p. 232 . William of Tyre , Vol. 1 , p. 537 . Cf.  
also : Besant and Palmer , pp. 264-265 .

351) Ibid . , p. 265 .



362) Pilgrimage of the Russian abbot Daniel, p. 58.

363) Richard, J., the Latin Kingdom of Jerusalem, Vol. 1, p. 73.

364) Röhricht, R., Regesta, Doc, No. 548, p. 146. Cf. also: Ben-venisti, M., p. 253.

365) Ibid., p. 378.

(366) ابن جبير: رحلة ان جبير، ص ٢٦٠.

(367) المصدر السابق، ص ٢٦٠.

(368) المصدر السابق، ص ٢٦٠-٢٦١.

369) Les Assises de Haute Cour, tome II, pp. 174-175. Cf. also: Heyed, W., tome I, pp. 178-179, tome II, pp. 682-685.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧٥. محمود الخويري: الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد، القاهرة ١٩٧٩م، ص ١٣٤.

370) Heyed, W., tome I, pp. 177-178. Runciman, S., vol. 3, pp. 352-353.

سعيد عاشور: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة. محمود الخويري: المرجع السابق، ص ١٣٤.

371) prawer, J., Crusader institutions, p. 128.

372) Heyed, W., tome I, pp. 178-179, 632, tome II, pp. 612, 696, 699, 705. Runciman, s., vol. 3, p. 353.

سعيد عاشور: الحركة الصليبية، ج ١، ص ٤٧٥.

373) Les Assises de Haute Cour, tome II, pp. 174-179. Cf. also: Heyed, W., tome II, pp. 710-711.

374) Hamilton, B., p. 157.



## الخاتمة

استأثرت الدراسات الحضارية باهتمام الباحثين في الشرق والغرب على حد سواء، على الرغم من الصعوبات الجمة التي يتعرضون لها أثناء البحث. ولما كان موضوع «الأملاك الكنسية في مملكة بيت المقدس الصليبية عام ١٠٩٩-١٢٩١م / ٤٩٢-٦٩٠هـ» من المواضيع الهامة التي لم تنل حظها من الدراسة، وقع اختيارنا عليه ليكون موضوعاً للدراسة وهدفاً لهذا البحث. وقد توصلنا خلال المشوار الذي استغرقته مدة البحث إلى عدد من النقاط والنتائج الهامة، التي تلقي الضوء على بعض الجوانب الخافية في حياة رجال الدين اللاتين في الأراضي المقدسة، في فترة الحروب الصليبية. وقد انتهت من خلال الدراسة إلى أنه لم يكن للعامل الديني أي اعتبار في نفوس رجال الدين اللاتين، وإنما اتخذوه ذريعة لتنفيذ مآربهم ومخططاتهم الهادفة إلى استيطان الأراضي المقدسة بالقوة، ورغماً عن إرادة شعبها. وظهر ذلك الأمر واضحاً جلياً من خلال علاقة اللاتين بالمسيحيين الشرقيين، فقد عملوا على طردهم من الكنائس والأديرة، وتجريدتهم من وظائفهم. فرجال الدين اللاتين كانوا أشد قسوة وأكثر تسلطاً على إخوانهم المسيحيين الشرقيين، الأمر الذي يلقي الضوء على العقلية الأوروبية في العصور الوسطى، تلك العقلية التي كانت تسيطر عليها الأطماع المادية، دون أن يكون هناك أية اعتبارات للعامل الديني.

وعندما وصل الصليبيون إلى الأراضي المقدسة، كان هدفهم الأول إقامة دولة صليبية وإنشاء بطريركية لاتينية على حساب أصحاب البلاد الأصليين، الذين كانوا لا يملكون حولاً ولا قوة. وسرعان ما ظهرت الخلافات بين رجال الدين اللاتين حول انتخاب بطريرك لاتيني لبيت المقدس، الأمر الذي أدى إلى إنقسامهم إلى عدة أحزاب، وانتشار ظاهرة الدسائس والمكائد بينهم، فدايمبرت البيزي عمل على خلع ارنولف مالكورون من منصب البطريركية وتولاه بدلاً منه، الأمر الذي دفع البطريرك السابق إلى تدبير المكائد لخصمه، والعمل على الإيقاع به، في أية فرصة مناسبة.

وبناء على ما سبق توصلت إلى أن رجال الدين اللاتين لم يكن هدفهم الاهتمام بأمور الدين المسيحي، كما كانوا يدعون، بل سيطرت عليهم النزعات المادية والأمور الدنيوية. ومما يؤكد هذا أن البطريرك دايمبرت البيزي طلب من الأمير جودفري البويوني بوقاحة أن يتنازل له عن مدينتي يافا وبيت المقدس، إضافة إلى أنه كان جشعاً محباً للمال، فعلى سبيل المثال كانت خزانة البطريركية مليئة بالأموال وأكوام من الفضة، غير أن



حب دايمرت للمال دفعه إلى اختلاس مبلغ ألف بيزنط أرسلها دوق أبوليا لمساعدة الصليبيين ، ويبدو أن المبلغ وصل إلى دايمرت فاحتفظ به لنفسه ، ولم يطلع أحد عليه . وعلاوة على ذلك كان دايمرت يدرك أن الملك بلدوين الأول بحاجة للمال ، من أجل دفع رواتب الجند وإعداد الحملات لمحاربة المسلمين والتوسع على حسابهم ، إلا أنه لم يبادر إلى مساعدته ، على الرغم من أن الملك طالبه بتقديم المال أكثر من مرة . ولعل مثل هذه الأمور تتطلب إعادة النظر في اعتبار العامل الديني من العوامل التي أدت إلى قيام الحركة الصليبية ؛ لأن الدين لم يكن إلا ستاراً تستر به الصليبيون من أجل إثارة الغرب الأوروبي ضد المسلمين ، هذا إلى جانب إخفاء الأهداف الحقيقية للحركة الصليبية . وبطبيعة الحال كان الصليبيون يهدفون إلى السيطرة على اقتصاديات العالم الإسلامي ، والتحكم في مقدرات شعبه .

ومن النتائج الهامة التي توصلت إليها أن رجال الدين اللاتين كانوا يسعون دائماً للتأكيد على الممتلكات والإقطاعات التي منحت لهم من قبل الملوك والأمراء وأفراد الطبقة البرجوازية . وقد اتضح ذلك من خلال تأكيدات ملوك بيت المقدس على جميع المنح والإقطاعات التي حصلت عليها الكنائس والأديرة المنتشرة في مختلف أرجاء المملكة الصليبية . ولعل ذلك يشير إلى انعدام الثقة بين الصليبيين في الأراضي المقدسة . فضلاً عن انعدام الترابط الاجتماعي بينهم . وهذا يؤكد على ماقلناه سابقاً ، من أن النزعة الدينية لم تكن الدافع لقدم الصليبيين إلى الأراضي المقدسة .

وقد اتضح من خلال الدراسة أن كثيراً من الخلافات نشبت بين رجال الدين اللاتين حول بعض الأمور الدنيوية ، وخاصة الجانب المادي منها . وتركزت هذه الخلافات حول ملكية بعض الأراضي ، وجباية ضرائب العشر ، الأمر الذي يشير إلى سيطرة النزعة المادية على العقلية الصليبية . فعلى سبيل المثال وقعت المشاكل والمنازعات بين رهبان دير جبل طابور ورجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة حول أحقية كل طرف في جباية ضرائب العشر من قرى سنجل وترمسعيا والدير ، والغريب في الأمر أن هذه المشاكل استمرت فترة طويلة من الزمن ، حتى تدخل بطريرك بيت المقدس ، وعقد اجتماعاً كنسياً كبيراً ، حضره كبار رجال الدين اللاتين في بطريركية بيت المقدس اللاتينية . وقد تمكن المجتمعون بعد مناقشات ومداولات طويلة من إنهاء الخلافات بين كنيسة القيامة ودير جبل طابور من أجل إثبات حقوقهم في بعض الأراضي المشتركة بين دير وكنيسة أو بين دير وآخر .

ومن النقاط الهامة التي توصلنا إليها أن أطماع رجال الدين اللاتين وصلت إلى درجة الاعتداء على بعض الأملاك الخاصة بالأديرة والكنائس



اللاتينية، فعلى سبيل المثال قام رئيس دير جبل صهيون بالتعدي على قطعة من الأرض تعود ملكيتها لدير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، الأمر الذي أدى إلى نشوب المنازعات والخلافات بين الديرين. وعلى الرغم من عقد الاجتماعات المستمرة بين رؤساء الديرين إلا أن رئيس دير جبل صهيون رفض التنازل عن قطعة الأرض الخاصة بدير القديسة مريم، وفي الوقت نفسه وافق على أن يقوم بدفع بدل إيجار سنوي مقابل الاحتفاظ بقطعة الأرض، وقد اضطر رئيس دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط مجبراً على قبول ذلك العرض.

كذلك كان بعض رؤساء الكنائس والأديرة اللاتينية في الأراضي المقدسة يضطرون إلى فرض ضرائب العشر على أملاك الأديرة والكنائس التي تقع ضمن نفوذهم الكنسي، ليس من أجل ضريبة العشر نفسها، وربما من أجل إثبات حق الأديرة والكنائس في مناطق نفوذهم، ومن قبيل ذلك ما حدث عندما قام رئيس دير معبد السيد في بيت المقدس، بفرض ضرائب العشر على أملاك دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط، تلك الأملاك الواقعة في إقطاعية نابلس. ونتيجة لذلك نشبت الخلافات بين الديرين واستمرت فترة من الزمن، إلى أن تدخل هرقل بطريك بيت المقدس، وحسم الخلافات لصالح دير معبد السيد التي كانت إقطاعية نابلس تخضع لنفوذه الكنسي، وبالتالي كان رهبانه يتولون جباية ضريبة العشر من إقطاعية نابلس. ولعل ذلك يعني أن البطريك سمح لرهبان دير معبد السيد بجباية ضريبة العشر من رهبان دير القديسة مريم في وادي يهوشافاط.

وقد اتضح من خلال الدراسة أن رجال الدين اللاتين في الديرين عقدوا اتفاقاً فيما بينهم، يقضي بأن يقوم رهبان دير القديسة مريم بدفع مبلغ قدره اثني عشر بيزنطاً إلى رهبان دير معبد السيد، كضريبة عشر عن قرية صافي والأراضي المحيطة بها، ومبلغ قدره عشرة بيزنطات كضريبة عشر عن نصف قرية ميثلون. وبطبيعة الحال فإن المبلغ الذي تم فرضه على دير القديسة مريم كان مبلغاً صورياً، ولا يتناسب مع المبالغ التي كانت تجبى من الأراضي والقرى التابعة للسادة الإقطاعيين أو الأراضي المؤجرة لمواطنين فرنجة أو مسيحيين شرقيين أو مسلمين. ولعل هذا يشير إلى ظاهرة جديدة في الإقطاعات الكنسية تعتبر الأولى من نوعها، منذ أن بدأنا دراستنا لهذا الموضوع. وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على عمق الهوة بين الصليبيين، وسيطرة الأطماع المادية عليهم، وخصوصاً رجال الدين اللاتين، الذين لم يضعوا أية اعتبارات للعامل الديني، وكل ذلك من أجل إثبات حقوقهم، والاستمرار في امتصاص خيرات الأراضي المقدسة، وحرمان الشعب الفلسطيني من التمتع بخيرات بلاده.



ومن النتائج الهامة التي توصلنا إليها لجوء رجال الدين اللاتين إلى تهجير بعض السكان الأصليين من قراهم إلى قرى أخرى ، بعد قيام ملوك بيت المقدس بمنحهم بعض القرى المكتظة بالسكان المحليين . ويبدو أن عملية تهجير السكان من قراهم ، كانت من ضمن السياسة الاستيطانية التي انتهجها رجال الدين اللاتين في الأراضي المقدسة ، تلك السياسة الهادفة إلى توطين مستوطنين أوروبيين بدلاً من سكان البلاد الأصليين . وقد أشارت إحدى الوثائق إلى أنه جرى تهجير سكان قرية كفر مالك المسلمين إلى قرية بيت فوريك .

وبطبيعة الأمر فإنه ليس من السهل انتزاع السكان بأكملهم بهدوء ودون حدوث مقاومة من قبل المواطنين . ولذلك فإننا نرجح حدوث أعمال من العنف ضد القرار الصليبي الجائر ، الأمر الذي ربما أدى إلى مقتل عدد من السكان دفاعاً عن أرضهم وكرامتهم . ولعل ما لجأ إليه الصليبيون من عمليات التهجير والقمع ضد أصحاب البلاد الأصليين ، قد تكرر مرة أخرى على يد عصابات الصهاينة في العصر الحديث ، فقد ارتكب هؤلاء مجازر بشعة ضد الفلسطينيين من أجل إرهابهم ودفعهم إلى الهجرة من بلادهم ، تحت وطأة الإرهاب ومصادرة الأراضي بالقوة وبخاسة في دير ياسين وبقية وكفر قاسم . ولعل ذلك يؤكد الرأي القائل بدورية التاريخ وتماثل أحداثه ، فما تعرض له سكان فلسطين على يد الصليبيين في العصور الوسطى ، تكرر مرة أخرى على يد الصهاينة في العصر الحديث .

وقد توصلت في هذه الدراسة إلى أن الفرسان والسرجنديين الذين كانت تقدمهم الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية لم يكونوا من رجال الدين اللاتين ، وإنما من المستوطنين الأوروبيين الذين كانوا يقيمون في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية . ومما يؤكد هذا اشتراك مجموعة من سكان مستوطنة البيرة مع قوات المملكة في التصدي لقوات صلاح الدين الأيوبي بالقرب من غزة في عام ١١٧٠م / ٥٦٦هـ ، وهذا لا يعني أن رجال الدين اللاتين لم يشاركوا في حروب وغزوات ملك بيت المقدس ، بل على العكس من ذلك كانوا يشاركون في معظم المعارك الحربية ويتعرضون للقتل والأسر ، وخير دليل على ذلك اشتراك رئيس أساقفة صور وأسقف الرملة في المعركة (معركة هربيا ، أو حطين الثانية) التي جرت بين قوات التحالف الأيوبي الصليبي ضد قوات الصالح نجم الدين أيوب وجموع الخوارجية ، بالقرب من غزة عام ١٢٤٤م / ٦٤٢هـ ، وقد أشرنا إلى مقتل رئيس أساقفة صور وأسقف الرملة في المعركة ، هذا إلى جانب وقوع بعض رجال الدين اللاتين في الأسر .

وتوصلت أيضاً إلى أن عملية إعداد الفرسان والسرجنديين كانت



تؤثر تأثيراً سلبياً على الإقطاعات والمستوطنات الكنسية ، إذ سيضطر كل مستوطن قادر على حمل السلاح إلى إعداد وتجهيز نفسه بالمؤن والسلاح ليكون جاهزاً للاشتراك في الحروب التي يقودها ملك بيت المقدس الصليبي ضد المسلمين ، وربما يؤدي اشتراك أعداد كبيرة من المستوطنين في الحروب إلى حدوث خلل اجتماعي واقتصادي في الإقطاعات والمستوطنات الكنسية . وإلى جانب ذلك كانت الكنيسة اللاتينية تتحمل معظم نفقات الفرسان والجنود الذين كان يقدمهم بطريرك بيت المقدس ورؤساء الأساقفة والأساقفة .

ومن النتائج الهامة التي توصلنا إليها أن الإقطاعات الكنسية كانت تتأثر تأثيراً سلبياً بالغارات الإسلامية داخل حدود مملكة بيت المقدس الصليبية ، فقد وصلت هجمات المسلمين إلى العمق الصليبي ، حيث اقتحموا مستوطنة البيرة وقتلوا أسروا عدداً من المستوطنين الأوروبيين ، هذا إلى جانب أنهم أشعلوا الحرائق في المزروعات ، الأمر الذي يعكس مدى الخسائر التي حلت بالمستوطنين الأوروبيين ولرجال الدين اللاتين ، ولم تقتصر غارات المسلمين على الإقليم الجبلي في فلسطين ، بل تعدته إلى المناطق القريبة من الساحل ، فعلى سبيل المثال تعرضت أملاك رجال الدين اللاتين في اللد والرملة لكثير من الهجمات من قبل القوات الإسلامية بقيادة السلطان صلاح الدين الأيوبي . ولعل هذه الأمور جميعها تشير إلى مدى التأثيرات السلبية على الإقطاعات الكنسية .

وانتهيت أيضاً إلى أن رجال الدين اللاتين في الكنائس والأديرة اللاتينية اهتموا بالأراضي الزراعية وقسموها إلى وحدات عرفت كل وحدة باسم كاريوكا . وقد خصصوا بعض قطع الأراضي الزراعية أشجار الكرم ، وأشجار الزيتون ، كما خصصوا بعض قطع الأراضي لزراعة الحبوب والبقول والخضروات ، لدرجة أن رئيس كنيسة القيامة كان يشرف بنفسه على زراعة أشجار الكرم والزيتون .

كذلك توصلنا إلى أن رجال الدين اللاتين كانت لديهم الخبرة الواسعة في الأمور الضريبية ، فعلى سبيل المثال فرضوا على أشجار الكرم والزيتون المزروعة حديثاً ، خمس ما تدره هذه الأشجار من ثمار ، بينما فرضوا على الأشجار المزروعة منذ فترة طويلة نصف ما تدره هذه الأشجار ، كذلك اختلفت نسبة الضرائب التي فرضها رجال الدين اللاتين على الأراضي الزراعية من منطقة لأخرى . وقد أشرنا إلى ثلاثة أنواع من الضرائب كانت تحصل من المزارعين الأولى ضريبة العشر والثانية ضريبة المزروعات ، والثالثة ضريبة إضافية تدفع ثلاث مرات في العام ، وخاصة خلال الأعياد الدينية المسيحية .



وتوصلت أيضاً إلى أن الأسقفيات والكنائس والأديرة اللاتينية توسعت في زراعة أشجار الكرم، الأمر الذي يعكس اهتمامهم بالحصول على النيذ الفلسطيني الممتاز الذي تنتجه الأراضي المقدسة، وهناك شواهد كثيرة تدعم وجهة نظرنا منها: أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قاموا بدمج الأراضي الزراعية المزروعة بأشجار الكرم، من أجل توزيع الجهد الجماعي، وتسهيل الإجراءات الإدارية والضريبية في الإقطاعات الكنسية، وهذا يعني أنهم جمعوا الكاريوكات غير الرسمية في كاريوكا رسمية واحدة. وإلى جانب ذلك كان المشرفون على شؤون رجال الدين في الإقطاعات الكنسية يتجولون بين الأراضي المزروعة بأشجار الكرم، فإذا وجدوا أحد المزارعين قد أهمل كرمه كانوا يندرونه ويفرضون عليه غرامة بسيطة، فإذا تكرر إهماله كانوا يترفعون ملكية الأرض ويمنحونها إلى رجل آخر. ولعل ذلك يشير إلى أن رجال الدين أولوا اهتمامهم وعنايتهم بأشجار الكرم بسبب الإقبال الكبير على النيذ المقدس، فضلاً عما تدره زراعة أشجار الكرم من أرباح على المشتغلين بها. الأمر الذي يشير إلى سيطرة النزعة المادية على رجال الدين اللاتين خلال فترة الحروب الصليبية. ومن النقاط البارزة في موضوع الدراسة أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، قاموا بإنشاء مجتمعات استيطانية في بعض الإقطاعات التي حصلوا عليها. وفي سبيل إنجاح فكرتهم عملوا على استقطاب المستوطنين الأوروبيين للإقامة في هذه التجمعات، وقدموا كثير من الإغراءات والإعفاءات من أجل تشجيعهم على الإقامة في التجمعات الاستيطانية الجديدة. فعلى سبيل المثال سمحوا للمستوطنين بإقامة المنازل على الأراضي التي حصلوا عليها، دون دفع بدل الإيجار، كما قام رجال الدين اللاتين بتخفيف الضرائب على الأراضي المزروعة حديثاً بأشجار الكرم والزيتون. ولعل التجمعات الاستيطانية التي أنشئت في الأراضي المقدسة في العصور الوسطى، تشبه إلى حد كبير المستوطنات التي زرعت في فلسطين على يد عصابات الصهاينة. ومن المرجح أن هدف الصليبيين من إقامة المستوطنات، هو الهدف نفسه الذي أقيمت من أجله المستوطنات الصهيونية في فلسطين.

وبطبيعة الحال كانت أهداف الصليبيين من وراء إنشاء المستوطنات الكنسية والعلمانية أهدافاً اقتصادية من أجل التحكم في اقتصاديات الأراضي المقدسة، هذا إلى جانب أنهم كانوا يهدفون إلى تشجيع الأوروبيين على القدوم إلى الأراضي المقدسة والاستقرار بها. وهذه الفكرة طبقها الصهاينة بحذافيرها في فلسطين، فعملوا على زرع المستوطنات في كل شبر من أرضها. من أجل التحكم في اقتصاديات البلد والسيطرة على



موارد المياه، وتشجيع يهود العالم على الهجرة إلى فلسطين، عن طريق تقديم الإغراءات المادية .

ومن النتائج الهامة التي توصلنا إليها، أن رجال الدين اللاتين كانوا بمثابة سادة إقطاعيين في الأراضي والأملاك التي منحت لهم، فقد فرضوا الضرائب على سكان الإقطاعات، إضافة إلى أنهم أنشأوا المراكز الرئيسية في الإقطاعات والمستوطنات من أجل إقامة المشرفين على شؤون الكنائس والأديرة في الأملاك والإقطاعات الكنسية، فضلاً عن تخزين السلع والمحاصيل التي يقدمها المزارعون كضرائب مستحقة الدفع لرجال الدين . كذلك تم تطبيق نفس النظم الاحتكارية التي فرضها السادة الإقطاعيون على السكان الذين يعيشون تحت ظل السلطة الإقطاعية . وقد أمدتنا الوثائق ببعض المعلومات الهامة بخصوص هذا الموضوع إذ احتكر رجال الدين اللاتين المخازن والطواحين في الإقطاعات الكنسية، الأمر الذي يشير إلى سيطرة النزعة المادية عليها .

وقد تبينت من خلال الدراسة أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، قاموا بشراء الكثير من العقارات والأراضي والقرى داخل حدود مملكة بيت المقدس الصليبية الأمر الذي يشير إلى أنهم حققوا ثروات طائلة، ربما نتيجة التدبير السليم والحريص لأموالهم وممتلكاتهم . وقد لاحظنا من خلال الدراسة أن بعض كبار السادة الإقطاعيين في المملكة اضطروا إلى بيع بعض قراهم وأملاكهم إلى كنيسة القيامة، بسبب قيام رجال الدين اللاتين في هذه الكنيسة بتحريرهم من الأسر . ونظراً لعدم توافر المال لدى الأمراء المحررين، لجأ هؤلاء إلى تسديد المبلغ الذي دفعه رجال الدين للمسلمين مقابل إطلاق سراحهم عن طريق بيع بعض أملاكهم إلى كنيسة القيامة .

كذلك توصلنا إلى أن ملوك وأمراء بيت المقدس استمروا في إغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة اللاتينية حتى عام ١١٦٥م/ ٥٦٠هـ، وبعد ذلك توقف الملوك والأمراء عن تقديم المنح بسبب انشغالهم في الحروب مع المسلمين، وإذا حدث وأن قدم ملوك وأمراء بيت المقدس بعض المنح والإقطاعات خلال الفترة الواقعة بين عامي ١١٦٥-١١٨٧م/ ٥٦٠-٥٨٣هـ، فلم تكن تتجاوز قطعة أرض أو منزل أو طاحونة . . .

الخ . كذلك أثرت المنازعات الداخلية التي شهدتها المملكة على حجم الإقطاعات الكنسية، إذ أصبح الهدف الرئيس أمام الأمراء هو إثبات حقوقهم وأملاكهم، دون الاهتمام بإغداق المنح والإقطاعات على الكنائس والأديرة اللاتينية المنتشرة في حدود بيت المقدس .

وتبيننا من خلال الدراسة أيضاً أن معركة حطين كانت بمثابة كارثة بالنسبة لرجال الدين اللاتين بصفة خاصة والصليبيين بصفة عامة . فقد خسر رجال



الدين اللاتين جميع الأملاك التي حصلوا عليها في الأراضي المقدسة ، هذا إلى جانب تدمير العديد من الأديرة والكنائس اللاتينية فضلاً عن تخريب المستوطنات الكنسية وطرده المستوطنين الأوروبيين منها . ومما يؤكد أن هذه الفترة الواقعة بين عامي ٩٨٧-١١٩٤م / ٥٨٣-٥٩٠هـ ، كانت غامضة بالنسبة للكنيسة اللاتينية والإقطاعات الكنسية .

وقد توصلنا أيضاً إلى أن الإقطاعات الكنسية عقب معركة حطين لم تكن ثابتة ولا نبالغ إذا قلنا إنها تكاد تكون غير قائمة بسبب لجوء رجال الدين في الكنائس والأديرة إلى بيع وتأجير أملاكهم للأفراد والهيئات الدينية المحاربة التي حازت خلال تلك الفترة على أملاك لا تحصى . كذلك لم يول الملوك والأمراء في مملكة بيت المقدس الاسمية العناية والاهتمام بالكنائس والأديرة والأسقفيات اللاتينية ، أسوة بملوك بيت المقدس الأوائل .

وتبينت من خلال دراستي أن التواجد الصليبي بعد معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م / ٦٥٨هـ ، أخذ يتضائل بسبب اشتداد الضغط الإسلامي على الأملاك الصليبية ، والإصرار على تطهير البلاد من بقايا الصليبيين ، وخلال تلك الفترة كانت الإقطاعات الكنسية قد انتهت تماماً ، ولم يعد هناك أي أمل لرجال الدين اللاتين في إحياء مجدهم السابق .

ولعل من أهم النتائج التي توصلنا إليها أن رجال الدين اللاتين كانوا رجال إدارة وسياسة وحرب أكثر من كونهم رجال الدين ، وقد اتضح ذلك من خلال اهتمامهم بإنشاء المستوطنات الكنسية ، والعمل على استقطاب المستوطنين اللاتين بكافة الطرق والوسائل المتاحة لديهم ، هذا إلى جانب اهتمامهم بالزراعة وبالأراضي الزراعية ، وقيامهم بإعداد الفرسان والجنود لمشاركة الملك في حروبه ضد المسلمين ، فضلاً عن اشتراكهم في الحروب . وقد بينا أن البطريك جرموند البكيني هو الذي قاد القوات الصليبية من أجل الاستيلاء على مدينة صور . ولعل هذه الأمور مجتمعة جعلتنا نخرج بنتيجة مفادها أن رجال الدين اهتموا بأمور السياسة والاستيطان والحرب ، وسيطرت عليهم النزعة المادية ، بينما لم تكن النزعة الدينية هي السمة المميزة لهم .

وفي ختام حديثنا عن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لموضوع الإقطاعات الكنسية ، لا بد أن نشير إلى أن الكيان الصليبي الذي استمر نحو مائتي عام لم يقدر له الاستمرار أمام ارادة الأمة الإسلامية ، الأمر الذي يعطينا الأمل ، ويدفعنا للوحدة من أجل تحرير الأراضي المقدسة من الصهاينة الذين استولوا على البلاد ، ومارسوا سياسة التهجير والقمع ضد سكان البلاد الأصليين ، فضلاً عن قيامهم باستنزاف موارد البلاد الاقتصادية والسيطرة على مقدرات الشعب الفلسطيني .



## قائمة بملاحق البحث

الملحق الأول : قائمة بأسماء بطارقة بيت المقدس اللاتين .  
الملحق الثاني : قائمة بأسماء روساء أساقفة اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية .

- ١ - رؤساء أساقفة قيسارية اللاتين .
  - ٢ - رؤساء أساقفة الناصرة اللاتين .
  - ٣ - رؤساء أساقفة صور اللاتين .
  - ٤ - رؤساء أساقفة الكرك اللاتين .
- الملحق الثالث : أساقفة بطريركية بيت المقدس اللاتين .

- ١ - أساقفة بيت لحم اللاتين .
- ٢ - أساقفة عكا اللاتين .
- ٣ - أساقفة اللد والرملة اللاتين .
- ٤ - أساقفة بيروت اللاتين .
- ٥ - أساقفة صيدا اللاتين .
- ٦ - أساقفة طبرية اللاتين .
- ٧ - أساقفة سبسطية اللاتين .

الملحق الرابع : أهم مقاييس الأرض التي استخدمها الصليبيون في الأراضي المقدسة .  
الملحق الخامس : الجاستينا .

## الملحق الأول بطارقة بيت المقدس اللاتين

١٠٩٩ م بضعة شهور	Arnulf of Chocques	- ارنولف مالكورون شوكس
١٠٩٩-١١٠١ م	Daimbert of Pisa	- دايمبرت البيزي
١١٠٢-١١٠٨ م	Evremar of Chocques	- افريمار شوكس
١١٠٨-١١١٢ م	Gibelin of Arles	- جيلين ارلز
١١١٢-١١١٨ م	Arnulf of Chocques	- ارنولف شوكس
١١١٨-١١٢٨ م	Garmund of Picquigny	- جرموند بيكيني



١١٢٨-١١٣٠ م	Stephen of Chartres	- ستيفن الشارترى
١١٣٠-١١٤٥ م	William I	- وليم الأول
١١٤٥-١١٥٧ م	Fulcher	- فوشيه
١١٥٧-١١٨٠ م	Amalric of Nesle	- عموري نسل
١١٨٠-١١٩١ م	Heracliu	- هرقل
١١٩٧-١٢٠٢ م	Amiery of Monk	- عمري الراهب
١٢٠٣ م	Soffred	- صوفرد
١٢٠٥-١٢١٤ م	Albert of Vercelli	- البرت فيرسيل
١٢١٥-١٢٢٤ م	Ralph of Merencourt	- رالف ميرنكورت
١٢٢٥-١٢٣٩ م	Gerald of Lausanne	- جيرالد لوساني
١٢٤٠-١٢٥٤ م	Robert of Nantes	- روبرت نانيس
١٢٥٥-١٢٦١ م	James Pantaleon	- جيمس بانتاليون
١٢٦٢-١٢٧٠ م	William II of Agen	- وليم الثاني اجن
١٢٧٢-١٢٧٧ م	Thomas Agnio of Lentino	- توماس اجنيو ليتينو
١٢٧٩-١٢٨٨ م	Elias of Perigueux	- الياس بريجو
١٢٨٨-١٢٩١ م	Nicholas of Hanapes	- نيقولا هانابس

### الملحق الثاني

#### رؤساء الأساقفة اللاتين في مملكة بيت المقدس الصليبية

##### ١ - رؤساء أساقفة قيسارية اللاتين

١١٠٨-١١٠١ م	Baldwin I	- بلدوين الأول
١١٠٨-١١٢٩ م	Everemer of Chocques	- افريمار شوكس
١١٣٠-١١٤٣ م	Gaudencius	- جود نيكوس
١١٤٤-١١٥٦ م	Baldwin II	- بلدوين الثاني
١١٦٠-١١٧٥ م	Ernesius	- ارنسيوس
١١٧٥-١١٨٠ م	Heraclius	- هرقل
١١٨٠-١١٩٧ م	Aimery the Monk	- الراهب عمري
١١٩٩-١٢٣٧ م	Peter of Limoges	- بطرس ليموجس
١٢٣٧-١٢٤٩ م	Bertrand	- برتراند
١٢٤٤-١٢٦٧ م	Jocelin	- جوسلين
١٢٧٧-١٢٨٠ م	Matthen	- متي



## ٢- رؤساء أساقفة الناصرة اللاتين

١١٢٥-١١٠٩ م	Bernard	- برنارد (اسقف)
١١٢٨-١١٢٥ م	Adam	- آدم (اسقف)
١١٣٢-١١٢٨ م	William I	- وليم الأول
١١٣٨-١١٣٢ م	William II of St. John	- وليم الثاني القديس يوحنا
١١٥٣-١١٣٨ م	Robert I	- روبرت الأول
١١٥٨-١١٥٤ م	Letardus I	- ليتاردوس الأول
١١٩٠-١١٥٨ م	Letardus II	- ليتاردوس الثاني
١٢١٧-١٢١٠ م	Robert II	- روبرت الثاني
١٢٣٧-١٢٢٠ م	Hugh	- هيو
١٢٦٨-١٢٣٨ م	Henry	- هنري
١٢٨٨-١٢٦٨ م	Guy	- جاي

## ٣- رؤساء أساقفة صور اللاتين

١١٢٣-١١٢٢ م (كانت صور لا تزال بيد المسلمين)	Odo	- ادو
١١٣٥-١١٢٧ م	William I	- وليم الأول
١١٤٦-١١٣٥ م	Fulcher	- فولشر
١١٥٠-١١٤٦ م	Ralph	- رالف
١١٦٤-١١٥١ م	Peter I of Parcelon	- بطرس الأول البرشلوني
١١٧٤-١١٦٤ م	Frederic	- فريدريك
١١٨٦-١١٧٥ م	William II	- وليم الثاني
١٢٠٢-١١٨٦ م	Joscius	- جوسوس
١٢١٥-١٢٠٢ م	Clarembaud of Broies	- كلارمبود براو
١٢٢٩-١٢١٦ م	Simon of Mongastel	- سيمون منجاستل
١٢٣٤-١٢٣١ م	Hugh	- هيو
١٢٤٤-١٢٣٥ م	Peter II of Sarginer	- بطرس الثاني سارجنير
١٢٥٣-١٢٥١ م	Nicholas Larcac	- نيقولا لاركات
١٢٦٦-١٢٥٣ م	Gilles	- جيلز
١٢٧٢-١٢٦٧ م	John of St. Maxentius	- يوحنا ماكسينتيوس
١٢٩٥-١٢٧٢ م	Bona Cursus de Gloire	- بونا كورسوس جلوار



#### ٤- رؤساء أساقفة الكرك دي مؤاب اللاتين

Walter ١١٦٨-١١٩٠ م - والتر

#### الملحق الثالث

#### أساقفة بطريركية بيت المقدس اللاتين أساقفة بيت لحم اللاتين

١١٠٨-١١٢٥ م	Aschetinus	- اسكتينوس
١١٢٩-١١٤٥ م	Anselm	- انسلیم
١١٤٨-١١٥٣ م	Gerald	- جيرالد
١١٥٦-١١٧٤ م	Ralph I	- رالف الأول المستشار
١١٧٧-١١٨١ م	Albert	- البرت
١١٨٦-١١٩٢ م	Ralph II	- رالف الثاني
١٢٠٥ - ؟	Peter	- بطرس
١٢١٨-١٢٢٧ م	Reynier	- رينيه
١٢٣٨-١٢٤٥ م	John the Roman	- يوحنا الروماني
١٢٤٥-١٢٥٥ م	Godfrey de Prefectis	- جودفري بريفكت
١٢٥٩-١٢٦٧ م	Thomas of Lentino	- توماس لينتينو
١٢٦٧-١٢٧٩ م	Gaillard	- جيللارد
١٢٧٩-١٢٩٨ م	Hugh of Troia	- هيو ترويا

#### أساقفة عكا اللاتين

١١٣٥-١١٣٩ م	John	- يوحنا
١١٤٥-١١٥٣ م	Roger	- روجر
١١٥٣-١١٦٤ م	Frederic de la Roche en Ardenne	- فريدريك دي روك في الأردن
١١٦٦-١١٧٢ م	William	- وليم
١١٧٢-١١٨٦ م	Joscius	- جوسكيوس
١١٨٧ - ؟	Rufinus	- روفينوس
١١٩١-١٢٠٠ م	Theobald	- ثيوبالد
١٢٠٢-١٢٠٤ م	John II	- يوحنا الثاني
١٢٠٨-١٢١٣ م	Walter of Florence	- والتر الفلورنسي



١٢٢٨-١٢١٦ م	Jacques de Viry	- يعقوب الفيتري
١٢٣١-١٢٢٩ م	John III	- يوحنا الثالث
١٢٤٥-١٢٣٢ م	Ralph of Tournia	- رالف التوريني
١٢٦٢-١٢٥٦ م	Florence	- فلورنس

#### أساقفة اللد والرملة اللاتين

١١١٠-١٠٩٩ م	Robert of Rouen	- روبرت روين
١١٤٧-١١١٢ م	Roger	- روجر
١١٦٢-١١٤٧ م	Constantinus	- قسطنطين
١١٦٨-١١٦٢ م	Raynerus	- راينر
١١٩٠-١١٦٨ م	Bernard	- برنارد
١٢٤٤-١٢٢٥ م	Ralph	- رالف
١٢٦٤-١٢٦٣ م	William	- وليم
١٢٧١-١٢٦٤ م	John of Troyes	- يوحنا تروي

#### أساقفة بيروت اللاتين

١١٤١-١١١٢ م	Baldwin	- بلدوين
١١٤٨ - ؟	John	- يوحنا
١١٧٥-١١٥٦ م	Minard	- منارد
١١٨١-١١٧٦ م	Raymond	- ريموند
١١٩٠-١١٨١ م	Odo	- ادو
؟	Walter	- والتر
١٢٤٥-١٢٤٤ م	Galerand	- جاليراند

#### أساقفة صيدا اللاتين

١١٥٣-١١٣٢ م	Bernard	- برنارد
١١٧٥-١١٥٣ م	Amolricus	- عموري
١١٩٠-١١٧٦ م	Odo(Eude)	- ادو
١٢١٤-١٢١٠ م	Ralph of Merencourt	- رالف ميرنكورت
١٢٤٧-١٢٣٦ م	Geoffres Ardel	- جفري ارديل
١٢٦٧-١٢٦٦ م	Joh of Maxentius	- يوحنا ماكعاميوس



#### أساقفة طبرية اللاتين

1144-1145 م	Elias	- الياس
1145-1168 م	Herbert	- هيربرت
1170 م ؟	Raoul	- راؤول
1174-1178 م	Gerald	- جيرالد
1241 م ؟	Geoffry	- جفري
1259-1273 م	Eustorgius	- استورجيوس
1273-1274 م	William I of Salonic	- وليم الأول السالونيكي
1274-1283 م	William II le Velus	- وليم الثاني فيلوس

#### أساقفة سبسطية اللاتين

1129-1168 م	Baldwin	- بلدوين
1175-1187 م	Ralph	- رالف
1253-1268 م	Hugh of Nessun	- هيو نسون

#### الملحق الرابع

أهم مقاييس الأرض التي استعملها الصليبيون في الأراضي المقدسة

استقر الصليبيون في فلسطين، ووجدوا الأراضي مقسمة إلى قطع بوساطة سلاسل حجرية، وخاصة في الأراضي الطويلة الضيقة. وكانت هذه الأراضي تخضع للقانون القديم الذي عرفه الشرق، والمتعلق بامتلاك أراضي القرية Village tenure، ومن خصائص هذا القانون أنه كان يوزع الأرض حسب عدد الأفراد الذي تتألف منه كل عائلة، وعدد المحارث المستخدمة في حراثة الأرض. وكان كل مزارع يحصل على بعض قطع الأراضي الجيدة، وبعض القطع الرديئة، ويقوم بتعهدها وحراثتها وزراعتها بكافة الوسائل المتاحة لديه<sup>(١)</sup>. وهذا يعني أن سكان فلسطين كانوا يولون اهتمامهم بالأراضي الزراعية، ويقومون ببناء السلاسل الحجرية من أجل منع انجراف التربة في المناطق الجبلية، هذا إلى جانب أن هذه السلاسل تحدد الأراضي الخاصة بكل مزارع. كذلك بدا واضحاً أن سكان فلسطين كانوا يحصلون على الأراضي الرديئة، غير الصالحة الزراعة، من أجل استصلاحها وحراثتها، وإيصال مياه الري لها، ربما عن طريق حفر القنوات



أو عن طريق تجميع مياه الأمطار في الآبار واستخدامها في ري المزروعات . وقد أبدى الصليبيون بما فيهم رجال الدين اللاتين اهتماماً خاصاً بالأراضي الزراعية، فعملوا على تقسيم أراضي القرية وتنظيمها في وحدات عرفت كل واحدة منها باسم كاريوكا Carruca، أو كاريوكات . وقد اتضح ذلك من خلال قيام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة، بتقسيم أراضي مستوطنة راماتيس الجديدة وتنظيمها في كاريوكات، يخصص بعضها لزراعة الأشجار المثمرة، والبعض الآخر لزراعة لحبوب والخضروات<sup>(١)</sup> .

ولم تكن مساحة جميع الكاريوكات متساوية، فبعضها كان يعرف باسم الكاريوكا الرسمية، وكانت معتمدة من الحكومة الصليبية في مملكة بيت المقدس، وكانت تستعمل على أساس أنها وحدة إدارية تخدم الأغراض الضريبية التي تفرضها الحكومة الصليبية<sup>(٢)</sup> . وكانت بعض الكاريوكات الأخرى، عبارة عن قطع صغيرة من الأرض، يمكن لزوج من الثيران حراستها في يوم واحد<sup>(٣)</sup> . وقد أشارت إحدى الوثائق إلى أن كنيسة القيامة حصلت على ست كاريوكات في إقطاعية حيفا، وكانت هذه الكاريوكات من النوع غير الرسمي، فقد أشارت الوثيقة إلى أن ست بقرات خالية من الأمراض بإمكانها حراثة هذه المساحة في يوم واحد، مما يفيد بأن ثلاثة من الفلاحين بإمكانهم حراثة هذه الأرض إذا ما استخدموا ست بقرات أو ستة ثيران<sup>(٤)</sup> .

وتعادل الكاريوكات غير الرسمية الفدان العربي al- Faddan al- Arabi<sup>(٥)</sup> الذي يساوي أربعة دونمات (نحو أربعة آلاف متر مربع)، وذلك تمييزاً للكاريوكا العربية عن الكاريوكا الصليبية الرسمية التي كانت تساوي خمسة وثلاثين هكتاراً Hectare أي ما يعادل ثلاثمائة وخمسين دونماً . وهكذا يتضح أن الكاريوكا الرسمية (القانونية) تختلف في مساحتها، وطرق استخدامها عن الكاريوكا العربية<sup>(٦)</sup> . وتجدر الإشارة إلى أن الكاريوكا العربية كانت أساس جميع مستويات الدخل والضرائب<sup>(٧)</sup>، وكان بإمكان الفلاح حراثة أكثر من كاريوكا في اليوم الواحد<sup>(٨)</sup> . ويعتبر تقدير الكاريوكا المحلية من الأمور الصعبة جداً، فعلى الرغم من أنها كانت تماثل الفدان العربي أو الجورناتا اللاتينية Jornata، إلا أن الفدان كوحدة محلية حتى اليوم ليس له القيمة نفسها في كل مكان . ففي المناطق الجبلية مثل بيت المقدس ونابلس والخليل قدر بـ سبعمائة وأربعة وثلاثين متراً مربعاً، لكنه يبلغ في الوديان والسهول نحو ألف وأربعمائة وثمانية وستين متراً مربعاً، أي ضعف مساحته في المناطق الجبلية<sup>(٩)</sup> .

وقد ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن الكاريوكا الرسمية تساوي



ثلاثمائة وثمانية وستين كورداً مربعاً Cord (٢٣ x ١٦ كورد) أي ما يعادل ٦٠٢٧٣١٢ قدم مربع (٢٠٤٨ x ٢٩٤٤ قدم)<sup>(٤)</sup>. وهذه المساحة تعادل أيضاً نحو ثمانين اكرا انجليزياً Acre (أي ما يعادل ثلاثمائة وعشرين دونماً)<sup>(٥)</sup>. ويبدو أن الكاريوكا الرسمية كانت تعادل الفدان الرسمي، الذي جرى تحديده من قبل الحكومة، ووصلت مساحته نحو ثلاثمائة وعشرين - ثلاثمائة وخمسين دونماً. وقد قدر هذا المقياس بحوالي خمسة وثلاثين هكتاراً Hectare، على أساس أنه وحدة ضريبة<sup>(٦)</sup>.

ومهما يكن من أمر فقد جرى استعمال الكاريوكا غير الرسمية على نطاق واسع في الأراضي المقدسة أثناء فترة الحكم الصليبي لها. وقد اتضح من خلال الدراسة أن ملوك بيت المقدس كانوا يمنحون الكاريوكات غير الرسمية إلى الكنائس والأديرة والمؤسسات العسكرية مثل الداوية والاستبارية والتوتون وفرسان القديس لعازر. هذا إلى جانب ما كانت تقدمه الكنائس والأديرة من كاريوكات للمستوطنين الأوروبيين في البيرة وراماتيس والقببية وغيرها، من أجل استغلالها والتمتع بخيراتها. ويبدو أن رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة قاموا بضم الكاريوكات غير الرسمية المزروعة بأشجار الكرمة في كاريوكا رسمية من أجل توحيد جهود المستوطنين اللاتين، وحثهم على العمل بأسلوب جماعي<sup>(١)</sup>، هذا إلى جانب أنه سيكون من السهل على رجال الدين اللاتين تقدير الضرائب المفروضة على المستوطنين العاملين في الأراضي الزراعية، كما أنه سيجعل عملية الإشراف الإداري على هذه الأراضي من قبل رجال الدين اللاتين أمراً سهلاً.

وإلى جانب الكاريوكا الرسمية وغير الرسمية استخدم الصليبيون مقاييس أخرى من أجل تقسيم الأرض وتنظيمها. وكانت بعض هذه المقاييس تماثل الكاريوكا الرسمية مثل الكاريوكا اليونانية Carrucate Graeca<sup>(٢)</sup> التي يظهر أنها مرادفة للكاريوكا الفرنسية Carrucate Francesiae وهذه المقاييس تشير إلى مساحة الأراضي التي يستطيع فريق واحد حراثتها خلال عام<sup>(٣)</sup>، وهي تشبه الفدان الرومي (البيزنطي) Faddan Rumi، الذي استعمل من قبل الصليبيين والمماليك، وعاد للظهور مرة أخرى عند العثمانيين بنفس الأسم<sup>(٤)</sup>. وقد استعمل الصليبيون مقياس آخر هو الـ Phough aratum ولكن على نطاق ضيق جداً<sup>(٥)</sup>. وقد استعمل الصليبيون مقاييس أخرى تماثل الكاريوكا العربية أو الفدان العربي (الكاريوكا غير الرسمية) مثل الجورنات Jornatae<sup>(٦)</sup>، وقد ذكرت بعض الوثائق أن هيو ابلين سيد الرملة قام بمنح كنيسة القيامة خمسة جورنات من أراضي بيتين Baytin (بيت ايل Bethel) الواقعة شمال



البيرة وجنوب نابلس<sup>(١)</sup>. كذلك استخدم الصليبيون مقياس ال Paraille، وهو شبيه بالفدان، وقد استخدم لقياس الأرض الصالحة للزراعة، وكثير استعماله في المنطقة المجاورة لطرابلس<sup>(٢)</sup>.

وذكرت إحدى وثائق كنيسة القيامة أنه جرى استعمال مقياس آخر عرف باسم اليوجيرم Jugerum أو اليوجيرا Jugera في مملكة بيت المقدس الصليبية، فقد أشارت الوثيقة إلى أن ارنولد رئيس كنيسة القيامة قام بإجراء عملية تبادل بخصوص بعض الأراضي الواقعة في قرية قلندية، والتي تبلغ مساحتها ثلاثين يوجيرا والتي كانت تخص بعض المستوطنين اللاتين. وفي مقابل حصول رئيس كنيسة القيامة على هذه الأراضي، قام بمنح أصحابها قطعتين من الأرض في وادي يهوشافاط (وادي مريم) الأولى مساحتها أربع يوجيرات والثانية مساحتها يوجيرتان<sup>(٣)</sup>.

وقد اختلف في تقدير مساحة اليوجيرا، فقد ذكر أنها قطعة مساحتها ثمانمائة وأربعة وستين متراً مربعاً (٢٤٠ X ١٢٠ قدم = ٢٨٨٠٠٠ قدم مربع) ومن المحتمل أن اليوجيرا تتفق في مساحتها مع الكاريوكا العربية، اعتماداً على ما ورد في أحد القواميس من أن اليوجيرا تساوي الأكر الإنجليزي (أربع دونمات)<sup>(٤)</sup> ويبدو أن اليوجيرا كالفدان ليس له القيمة نفسها في كل مكان، فربما كان تقديره في المناطق الجبلية يختلف عن تقديره في الوديان والمناطق السهلية.

وفي ختام حديثنا عن أهم المقاييس التي استخدمها الصليبيون في الأراضي المقدسة، نستطيع القول إن الكاريوكا غير الرسمية استعملت على نطاق واسع في الأراضي المقدسة، من أجل تقسيم الأراضي الزراعية وتنظيمها، وتحديد أنواع الأشجار والمحاصيل التي تزرع في هذه الأراضي. وقد بدا واضحاً أن الفلاح كان يستطيع حراثة كاريوكتين في يوم واحد. أما بالنسبة لتوزيع الأراضي في الإقطاعات الكنسية، فقد اهتم رجال الدين اللاتين كثيراً بالأراضي الزراعية وقسموها إلى قطع عرفت كل قطعة باسم الكاريوكا. وقد تم تخصيص هذه القطع لزراعة أنواع مختلفة من المحاصيل، ويبدو أن اهتمام رجال الدين اللاتين بتقسيم الأراضي الزراعية إلى كاريوكات وكذلك بقية الصليبيين في الأراضي المقدسة تشير إلى أن هذه الوحدة كانت مستعملة على نطاق واسع في الإقطاعات الكنسية وفي الإقطاعات الدنيوية. أما بالنسبة للكاريوكا الرسمية فإنه جرى استخدامها في الأراضي المقدسة من أجل تسهيل الإجراءات الضريبية وجبايتها على الموظفين سواء التابعين للملك الصليبي أو لكبار السادة الإقطاعيين في المملكة. وقد أشرنا إلى قيام رجال الدين اللاتين في كنيسة القيامة بدمج الأراضي المزروعة بأشجار الكرم في كاريوكا رسمية من أجل توحيد جهود



المستوطنين اللاتين وبقية الفلاحين العاملين في الأراضي الزراعية التابعة لكنيسة القيامة ، ولتسهيل عملية إدارة هذه الأراضي وجباية الضرائب المقررة عليها .

أما فيما يتعلق ببقية المقاييس الأخرى التي جرى استخدامها في مملكة بيت المقدس الصليبية . فكان بعضها يتساوى مع الكاريوكا الرسمية وبعضها الآخر يتساوى مع الكاريوكا غير الرسمية . كما وجد بعض المقاييس تختلف تماماً عن الكاريوكا الرسمية وغير الرسمية . وعلى العموم فإن استعمال مثل هذه المقاييس كان على نطاق ضيق جداً في المملكة الصليبية بما فيها الإقطاعات الكنسية .

### الملحق الخامس الجاستينا Gastina

استعمل الصليبيون مصطلح الجاستينا أو الفاستينا Vastina للدلالة على الأراضي البور أو المشاع No man's Land . وكلمة جاستينا مرادفة لبعض الكلمات اللاتينية مثل Vastin و Vastitas و Desrtus و Vastus ويقابلها في اللغة الفرنسية القيمة لفظة guaste ، وفي اللغة الفرنسية الحديثة gatine أو gatina ، وفي اللغة الألمانية Waste وفي اللغة الإنجليزية No man's Land أو Desert . وقد أشار بعض المؤرخين الحديثين إلى أن لفظ الجاستينا وغيرها من الألفاظ المتشابهة تماثل اللفظة العربية خربة Khirbet التي تحتل أهمية كبيرة ، ومكانة بارزة فيما يتعلق بالمكان والموضع في بلاد الشام وفلسطين<sup>(١)</sup> .

وذكر بعض المؤرخين أن الجاستينا والخربة تحملان المعنى الاديمولوجي نفسه etymological ، والطبوغرافي topographical ، بمعنى أن الجاستينا والخربة ما هما إلا الفاظ تستعمل للدلالة على بعض الأماكن التي تتصف بصفات متشابهة<sup>(٢)</sup> . وبطبيعة الحال لم تكن مساحة الجاستينات مستوية ، فقد أشارت بعض الوثائق إلى وجود بعض الجاستينات الصغيرة مثل جاستينا الفندق la petite gastine de Fondoch<sup>(٣)</sup> . كذلك لم تكن جميع الخرب غير صالحة للزراعة ، أو مناطق مراحة أو مناطق مراعي ، فأراضي الكثير من الخرب كانت محروثة ، وتشكل امتداداً لأراضي القرى الزراعية ، بل أنها كانت تدخل ضمن الممتلكات الخاضعة للأغراض الضريبية<sup>(٢)</sup> . وفي الوقت نفسه وجدت بعض الأراضي المهجورة في منطقة أريحا ، وكانت خالية من السكان والعمران حيث تكثر الأفاعي والشعابين<sup>(٣)</sup> . وفي هذه الحالة فإنه يمكننا أن نطلق على هذه المنطقة اسم



خربة، على الرغم من أنه بالإمكان استصلاحها وزراعتها؛ لأن المنطقة تمتاز بالخصوبة العالية ووفرة الإنتاج، بسبب توافر الينابيع والآبار في أريحا والمناطق المحيطة. كذلك أشارت وثائق كنيسة القيامة إلى أن رجال الدين اللاتين في الكنيسة نفسها قاموا بشراء ثلاث جاستينات من دير القديس سابا بمبلغ أربعمئة وثمانين بيزنطاً، وقد وصفت هذه الجاستينات بأنها عديمة الفائدة<sup>(٤)</sup>.

وليس من شك في أن الكثير من الأراضي الزراعية الحدودية في مملكة بيت المقدس الصليبية، قد تحولت إلى جاستينات، بسبب تعرضها للغارات المستمرة من قبل المسلمين وخاصة الأراضي الواقعة في شمال فلسطين وجنوبها، فالأراضي الشمالية كانت معرضة باستمرار لهجوم القوات الإسلامية المنطلقة من دمشق. أما المناطق الجنوبية فقد كانت معرضة لكثير من الغارات من قبل القوات الإسلامية في مصر. لدرجة أن هذه القوات كانت تقوم بالإغارة على أراضي اللد والرملة وتدمرها باستمرار، وفي بعض الأحيان كانت القوات الإسلامية تصل إلى حدود بيت المقدس. وليس من شك في أن مثل هذه الغارات المستمرة، ستدفع السكان إلى الهجرة أو عدم الاهتمام بالأراضي الزراعية، الأمر الذي سيؤثر على الأراضي ويجعلها خراباً.

ومهما يكن من أمر فالجاستينا من المصطلحات التي يصعب الأخذ بها والاعتماد عليها<sup>(٥)</sup>. وهناك نوعان من الجاستينا، تلك المستقلة عن القرى وعددها قليل نسبياً، وتلك التي تحتفظ بمكانتها وتبعيتها للقرى<sup>(٦)</sup>، وعددها كبير جداً، لدرجة أن الحرب المحيطة بقرية دورا تتجاوز المائة خربة. وكانت جاستينات الفندق الصغيرة من الجاستينات التابعة للقرى، فهي امتداد لأراضي قرية عسكر الواقعة في حدود إقطاعية نابلس<sup>(٧)</sup>. ويشير أحد المؤرخين الحديثين إلى أن الجاستينا جزء مكمل للقرية، وتستعمل كمرعى، لأنه من المستحيل أن نتخيل مجتمع زراعي، بدون وجود المراعي والمروج<sup>(٨)</sup>. ونحن نتفق مع هذا المؤرخ في أن الجاستينات تعتبر أجزاء مكاملة وامتداداً لأراضي القرى، وكذلك من الممكن استخدامها كمراع، ولكن لا نستطيع أن نعمم ذلك على معظم الجاستينات، وذلك لأنه من الممكن استصلاح أراضي بعض الجاستينات وتحويلها إلى أراض محروثة قابلة للزراعة، كذلك فإن بعض الأراضي التي هجرت وأصبحت جاستينات بسبب الحروب، من السهل حراستها وزراعتها بعد انتهاء الحروب، وبالتالي فإننا لا يمكن أن نطلق عليها اسم الأراضي البور أو المشاع.

وعلى الرغم من التغيير في أوضاع الجاستينات القانونية ووظائفها الاقتصادية، إلا أن العديد منها لا يزال يحمل اسم جاستينا أو خربة، ومثال



ذلك خربة الأسد الواقعة جنوبي بيت المقدس وخربة كفر ثلث الواقعة في الشمال الغربي من نابلس وخربة ابو فلاح (إحدى قرى رام الله). وقد اتضح من خلال دراستنا للإقطاع الإسلامي، أن الأراضي الموات كانت تمنح للمسلمين من أجل استصلاحها وتعهدها، وكان المسؤولون يحددون فترة مدتها ثلاث سنوات من أجل استصلاح الأرض الموات، فإذا لم يستطع المَقْطَعُ خلال هذه المدة استصلاح الأرض، كان يتم انتزاعها منه، ولا بد وأن الصليبيين قاموا باستصلاح العديد من الأراضي من أجل التوسع في زراعة بعض المحاصيل مثل أشجار الكرم والزيتون وقصب السكر. وكان رجال الدين اللاتين في الإقطاعات الكنسية يمنحون بعض الأراضي الزراعية، وبعض الأراضي غير الصالحة للزراعة إلى المستوطنين الأوروبيين من أجل زراعة القسم الأول والعمل على استصلاح القسم الثاني من الأراضي التي حصلوا عليها، ولذلك فمن المرجح أن يكون رجال الدين اللاتين والمستوطنون الأوروبيون قد استصلحوا قسماً من الأراضي غير الصالحة للزراعة في فلسطين.



## هوامش الملحق الرابع

- 1) Conder, p. 238.
- 2) Geneviève, B.B., Acte No. 126, pp. 252-253.
- 3) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 158.
- 4) Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader states, p. 524.
- 5) Geneviève, B.B., Acte No. 134, pp. 260-261.
- 6) Richard, J., op. cit., loc. cit.
- 7) Prawer, J., Crusader Institutions, pp. 158-160.
- 8) Benvenisti, M., p. 216.
- 9) Geneviève, B.B., Acte No. 134, pp. 260-261. Cf. also: Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 254. Benvenisti, M., p. 216.
- 10) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 159.
- الجورناتا Journata: كلمة لاتينية تعني مساحة من الأرض يمكن فلاحتها في يوم واحد وتقابلها في اللغات الحديثة كلمة جورنال Journal الإنجليزية، وكلمة جورنيه Journée الفرنسية.
- Cf. Prawer, J., op. cit., loc. cit. Conder, p. 240.
- (11) الكورد Cord: مقياس للحطب مبلغ نحو مائة وثمانية وعشرين قدماً، ويساوي أيضاً ثمانين عشر toies (التي تساوي يارتين على وجه التقريب)، أي الكورد يعادل ستة وثلاثين ياردة.
- 12) Conder, loc. cit.
- الأكر الإنجليزي يساوي أربعة وثمانمائة وأربعين ياردة مربعة أي ما يعادل نحو أربعة آلاف متر مربع (أربعة دونات).
- 13) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 158, Benvenisti, M., p. 216.
- الهكتار Hectare يساوي عشرة آلاف متر مربع (عشرة دونات). والدونم مقياس للأرض مساحته ٩١٣ أو ١٠٠٠ متر مربع، والشائع أنه يساوي ١٠٠٠ متر مربع، انظر: الموسوعة الفلسطينية، الطبعة الأولى، ص. ف. ف.
- 14) Geneviève, B.B., Acte No. 121, pp. 244-247.
- 15) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 157. Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 254.
- 16) Ibid., loc. cit.
- 17) Prawer, J., op. cit., loc. cit.
- 18) Richard, J., op. cit., loc. cit. Prawer, J., op. cit., loc. cit.
- اراتروم aratrum: وحدة لقياس الأرض استعملت زمن الحكم الصليبي للأراضي المقدسة ولكن على نطاق ضيق، وهي تساوي مائة هكتار، أي ما يعادل مائتي وخمسين اكرا Acre (الف دونم Dunams مليون متر مربع).
- الجورناتا اللاتينية تقابل الجورنال Journal الإنجليزية والجورنيه Journée الفرنسية.
- 19) Geneviève, B.B., Actes Nos. 52-53, pp. 139-142.
- (20) استعمل الصليبيون مقياس أخرى مثل ال Paraillee, Pariliata, Caballaria.
- 21) Geneviève, B.B., Acte No. 121, pp. 244-247.
- 22) Latin Dictionary, Fifth edition, London, 1980.
- 23) Prawer, J., Crusader Institutions, p. 161. Benvenisti, M., p. 216.
- 24) Prawer, J., op. cit., Loc. cit. Benvenisti, M., op. cit., loc. cit.



## هوامش الملحق الخامس

- 1) Kohler, Ch., Registre, fol. 175, p. 112.
- 2) Benvenisti, M., p. 217.
- 3) The city of Jerusalem and Ernoul's Account of Palestine, Vol. VI, p. 58.
- 4) Geneviève, B. B., Acte No. 135, pp. 261-266.
- 5) Richard, J., Agricultural Conditions in the Crusader States, p. 254.
- 6) Praver, J., Crusader Institutions, p. 162.
- 7) Kohler, Ch., Registre, Fol. 175, p. 112.
- 8) Praver, J., op. cit., p. 162.



## قائمة المصادر والمراجع

- بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في هوامش البحث .
- مجموعات الحروب الصليبية .
- المصادر الأصلية الأجنبية .
- (أ) الوثائق .
- (ب) المصادر التاريخية والجغرافية .
- المخطوطات والمصورات العربية .
- المراجع الثانوية الأجنبية .
- المراجع الثانوية العربية والمعرية .

بيان بالمختصرات الوارد ذكرها في هوامش البحث

### **A.O.L.:**

- Les Archives de l'orient Latin.

### **Delaborde:**

- Delaborde, H.F., Chartes de Notre-dame de Josaphat.

### **Geneviève:**

- Geneviève, B.B., Cartulaire du Chapitre de Saint-Sepulcre de Jerusalem.

### **De Marsy:**

- de Marsy, A., "Fragement d'un Cartulaire de l'ordre de Saint-Lazare en Terre-Sainte.

### **P.L.:**

- Migne, J.P., ed., patrologia Latina.

### **P.P.T.S.:**

- Palestine Pilgrims' Text Society.

### **R.H.C.-H. Occ.:**

- Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Occidentaux.

### **R.H.C.-Arm.:**

- R.H.C., Documents Armeniens.

### **R.H.C.:**

- R.H.C., Les Assises de Jerusalem.

### **R.H.G.F.:**



- Recueil des Historiens des Gaules et de la France.

**R.O.L.:**

- Revue de l'Orient Latin.

**De Rozière:**

- de Rozière Cartulaire de l'Eglise du saint Sepulcre de Jerusalem, Paris 1849.

**Setton:**

- Setton, K.M., A History of the Crusades.

**Strehlke:**

- Strehlke, E., Tabulae Ordinis Theutonici.

**Z.D.P.V.:**

Zeitschrift des deutschen Palastina Vereins.

أولا : مجموعات الحروب الصليبية

- Les Archives de l'Orient Latin, Publiees Par Societe de l'Orient Latin, 2 Vols. Paris 1881-1884.

- Les Assises de Jerusalem, ed Beugnot, L., 2 Vols. Paris 1841-1842.

- Patrologia Latina, 221 Vols, ed. Migne Paris 1844-1864.

- Palestine Pilgrims' Text Society, 13 Vols, London 1887-1897.

- Recueil des Historiens des Croisades, Public Par les Sion de l'Academie des Inscription et Belleslettre, in 16 Huge Vols. Paris 1841-1895.

- Historiens Occidentaux, 5 tomes (1847-1895).

- Documents Armeniens, 2 Vols.

- Recueil des Historiens des Gauls et de la France, 24 Vols, Paris 1738-1784.

- Setton, K.M., gen. Ed., History of the Crusades, 5 Vols. U.S.A., 1958-1985.

- Zeitschrift des deutschen Palastina vereins.



ثانيا : المصادر الأجنبية  
(أ) الوثائق

**Beugnot, Lois:**

- Chartres dans Les Assises de Jerusalem, tome 2, Paris 1843 (PP. 477-537).

**Delaborde, H.F.:**

- Chartes de Terre-Sainte Provenant de l'abbaye de Notre-Dame de Jasaphat, Paris 1880.

**Delaville la Roulx:**

- Chartes de Terre-Sainte, in R.O.L, tome. VII, Paris 1905-1908 (PP. 181-191).

**De Marsy, A.:**

- Fragment d'un Cartulaire de l'Order de Saint-Lazare en Terre-Sainte, in A.O.L., tome 2, Paris 1884 (PP. 121-151).

**De Rozière, E.:**

- Cartulaire de l'église du Sainte-Sepulcre de Jerusalem, Paris 1849.

**Geneviève, B.B.:**

- La Cartulaire du Chapitre de Saint-Sepulcre de Jerusalem, Paris 1984.

**Kohler, Ch.:**

- Chartes de l'Abbaye de Notre-Dame de la Vallee de Josophat en Terre-Saint, in R.O.L., tome XI, Paris 1899, (PP. 108-198).

**Migne:**

- Cartulaire... dans Patrologie Latine, tomus 155, Cols, 1105-1262.

**Röhrich, R.:**

- Regesta regni Hierosolimitani, Innsbruck 1893.

**Strehlke, E.:**

- ed. Tabulae ordinis Theutonici, Berlin 1869.



(ب) المصادر التاريخية والجغرافية

**Albert d'Aix:**

- *Histoire Hierosolymitana*. Ed. R.H.C.-H. Occ. tome IV, Paris 1879, (PP.713-765).

**Ambroise:**

- *The Crusade of Richard Lion-Heart*, trans. from the old French by M.J. Hubert, New York 1941.

**Anonymus:**

- *Gesta Francorum Iherusalem*, Ed. R.H.C.-H.Occ., tome III, Paris 1866, (PP.490-543).

**Anonymus:**

- *Gesta Francorum Iherusalem*, Ed. R.H.C.-H.Occ. tome III, Paris 1866, (PP. 121-163).

وقد اعتمدنا على الترجمة العربية لهذا الكتاب تحت اسم «أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس»، ترجمة حسن حبشي، القاهرة ١٩٥٨ م.

**Anonymus:**

- *L'Estoire de Jerusalem et d'Antioche*, Ed. R.H.C.-H. Occ. tome V, Paris 1869 (PP. 621-649).

**Anonymus:**

- *Anonymus Pilgrims'* trans. from the Original Latin by Aubrey Stewart, in P.P.T.S. Vol. VI, London 1897.

**Anonymus:**

- *Secetis for true Crusaders to help them to recover the Holy Places*, trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S. Vol. XII, London 1896.

**Anonymus:**

- *Secunda Pars, Historia Hierosolimitanae*, Ed. R.H.C.-H.Occ., tome III, Paris 1866.

**Baldrici of Dol:**

- *Historia de Peregrinatione Jerosalimitana*, Ed. R.H.C.-H.Occ., tome IV, Paris 1879 (PP. 4-111).

**Burchard of Mount Sion:**

- *A Description of the Holy Land*, trans by Aubrey Stewart, in P.P.T.S. Vol. XII, London 1896.



ترجم كتاب بورشارد من دير جبل صهيون الى اللغة العربية تحت عنوان: "وصف الأرض المقدسة"، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان 1995م.

**Daniel, Russian Abbot:**

- The Pilgrimage of the Russian Abbot Daniel in the Holy Land, trans by C.W. Wilson, in P.P.T.S. Vol. IV, London 1888.

ترجم هذا الكتاب الى اللغة العربية تحت عنوان رحلة الحاج الروسي في الأراضي المقدسة، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي وداوود أبو هدة، ط1، عمان 1992م، ط2، دار الشروق، عمان، 2003م.

**Eracles:**

*l'Estoire d'Eracles Emperewr et de conquest de la Terre d'outre-mer*, Ed. R.H.C.H.Occ. tome II, Paris 1859 (PP. 1-481).

**Ernoul:**

- *La Chronique d'Ernoul et de Bernard le Tresorier*. Ed, Ma Latrie, Paris 1871.

**Bendicti:**

- *Petrobur gensis*, in R.H.G.F., Vol. XVII.

**Fetllus:**

- *Description of Jerusalem and the Holy Land*, in P.P.T.S. Vol. V. London 1892.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان: «وصف الأرض المقدسة في فلسطين»، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي وفؤاد دويكات، ط1، دار حمادة ودار الشيماء، اربد 2008م.

**Fulcher of Chartres:**

- *A History of the expedition to Jerusalem*, trans. by Frances Rita Ryan, (Sistre of St. Joseph), Edited with an introduction by Harold's Fink, Konuville, U.S.A. 1969.

ترجم كتاب فوشيه الشارترى إلى اللغة العربية تحت عنوان: «تاريخ الحملة إلى القدس»، ترجمة زياد العسلي، ط1، دار الشروق، عمان 1990م. كما ترجمه قاسم عبده قاسم بعنوان: «الإستيطان الصليبي في فلسطين».

**Geffrey de Vinsouf:**

- *Chronicales of the Crusades, Itinerary of Richard and*



Others to the Holy Land, London 1848.

**Guilbert de Nogen:**

- Historia quae dicitur Gesta Dei Per Francos, Ed, R.H.C.-H.Occ., tome IV, Paris 1879 (pp. 113-263).

**Jacques d'Ibelin:**

- Le Livre de Jacques d'Ibelin, in Assises de Jerusalem, tome I, Paris 1881 (PP. 451-468).

**Jacques de Vitry:**

- The History of Jerusalem, trans. by Abrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. XI, London 1896.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية بعنوان: «تاريخ القدس»، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان 1998م.

**Jean d'Ibelin:**

- Le Livre de Jean d'Ibelin, in Assises de Jerusalem, tome I, Paris 1881 (PP. 7-432).

**John Phocas:**

- The Pilgrimage of John phocas to the Holy Land in the year 1185 A.D. trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S. Vol. VI, London 1889.

ترجمت هذه الرحلة إلى اللغة العربية تحت عنوان: «رحلة يوانس فوقاس في الأراضي المقدسة 581هـ/1185م»، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، رام الله، مجلة جامعة القدس المفتوحة، عدد18، 2010م.

**John Poloner's:**

- Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart in P.P.T.s., Vol. VI, London 1844.

ترجمت رحلة يوحنا بولونير إلى اللغة العربية تحت عنوان: «وصف الأرض المقدسة»، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، وسيتم نشرها قريباً بإذن الله.

**John of Wurzburg:**

- Description on the Holy Land by John of Wuzburg. A.D. 1160-1170, trans. by C.W. wilson, in P.P.T.S., Vol. V, London 1890.

ترجمت رحلة يوحنا فورزبورغ إلى اللغة العربية تحت عنوان: «وصف الأراضي المقدسة في فلسطين»، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، ط1، دار الشروق، عمان 1997م.



**Les Lignages:**

- d'outre-mer in Asseses de Jerusalem, tome II, Paris.

**Livre de Assises:**

- de la cour de Bourgeois, in Asseses de Jerusalem, tome II, Paris (PP. 3-226).

**Ludolph Von Suchem's:**

- Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, P.P.T.S., Vol. XII, London 1895.

تجري ترجمة هذه الرحلة إلى اللغة العربية تحت عنوان : « وصف لادولف من سواخيم للأرض المقدسة » ، ترجمة سعيد عبد الله اليشاوي ومحمد الخطيب .

**Marino Sanuto's:**

- Secreits for the true Crusaders to help them to recover the Holy Land, A.D. 1321. trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. XII, London 1896.

**Matthieu d'Edesse:**

- Extraits de la Chronique, in R.H.C. Doc. Arm. Vol. I, Paris 1869 (PP. 4-149).

**Monitum in Balduini III:**

- Historia Nicenae vel Antiochenae Prologum, Ed, R.H.C.-H.Occ. tome V, Paris 1869 (PP. 133-185).

**Paschal II, Pope:**

- Epistolae, in Pol., tpmus 163.

**Radulphus de Coggeshall:**

- Chornicon Anglicanum, Ed. R.H.G.F., tome XVII.

**Radulfi de Diceto:**

- Imaginibus Historiarum, Ed. R.H.G.F. tomus XVII, Paris (PP. 615-660).

**Raimond d'Agiles:**

- Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, Ed. R.H.C.H.-Occ. tome III, Paris 1866 (PP. 231-304).

ترجم كتاب رايوند داجيل إلى اللغة العربية تحت عنوان : « تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس » ، ترجمة حسين عطية ، ط 1 ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1989 م .



**Raoul de caen:**

- Gesta Tancridi in Expeditione Hierosolymitana, Ed. R.H.C.H.-Occ. tome III, Paris 1866 (PP. 587-716).

**Robert Le Mione:**

- Historia Iherosolimitana, Ed. R.H.C.H.-Occ. tome III, Paris 1866 (PP. 717-882).

**Roger of Wendover:**

- Flowers of History, 2 Vols, trans. by J.A. Giles, London 1848.

**Rothelin:**

- Continuation de Guillaume de Tyre dite du Conuscrit de Rothelin, Ed. R.H.C.H.-Occ. Paris 1859 (PP. 489-639).

**Saewulf's:**

- Pilgrimage to Jerusalem and the Holy Land, trans. by W.R.Brownlow, in P.P.T.S., Vol, IV. London 1889.

ترجمت رحلة سايولف إلى اللغة العربية تحت عنوان: «وصف رحلة الحاج سايولف لبيت المقدس والأراضي المقدسة 1102 - 1103م»، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي، ط 1، دار الشروق، عمان، 1997م.

**Theoderich's:**

- Description of the Holy Land, trans. by Aubrey Stewart, in P.P.T.S., Vol. V. London 1897.

ترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية تحت عنوان: «وصف الأماكن المقدسة في فلسطين»، للرحالة الألماني ثيودريش، ترجمة سعيد عبد الله البيشاوي ورياض شاهين، ط 1، دار الشروق، عمان 2003م.

**Translatio Sancti:**

- Nicolai in Ventian ed. R.H.C.H.-Occ. tome V. Paris 1869.

**Tudebodus Abbreviatus:**

- Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum, Ed. R.H.C.H.-Occ., tome III, Paris 1866 (PP. 119-163).

**Tudebodus Imitatu:**

- Historia Peregrinorum, Ed. R.H.C.H.-Occ. tome III, Paris 1866.

**Tudebodus P.:**



- Historia de Hierosolymitano itinere, Ed. R.H.C.H.-Occ. tome III, Paris 1866 (PP. 3-117).

ترجم كتاب بطرس تديود إلى اللغة العربية تحت عنوان: «تاريخ الرحلة إلى القدس»، ترجمة حسين عطية، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1999م.

**Walter the Chancellor:**

- De Bello Aniocheno, tome V, R.H.C.H.-Occ. tome V, Paris 1869.

**Wiegler, Paul:**

- The Infidel emperor and his Struggle against the Pope, trans. by B.W.Downs, London 1930.

**William of Tyre:**

- A History of deeds Done Beyond the Sea, 2 Vols. trans. by Babcock and Krey, New York 1943.

ترجم كتاب وليم الصوري إلى اللغة العربية تحت عنوان: «تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحر»، 2ج ترجمة سهيل زكار، دار الفكر، دمشق.  
كما ترجم من قبل حسن حبشي تحت عنوان: «الحروب الصليبية»، 4ج القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1991-1995م.

### ثالثا : المخطوطات والمصورات العربية

- ابن قاضي شهبة (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) بدر الدين أبي الفضل محمد بن أبو بكر :  
الدر الثمين في سيرة نور الدين ، نسخة خطية بمكتبة بلدية اسكندرية رقم ١٣٣٦ ب .
- الخالدي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٣١م) بهاء الدين محمد بن لطف الله العمري :  
المقصد الرفيع المنشأ الحاوي لصناعة الإنشاء ، مخطوطة بمكتبة جامعة القاهرة رقم ٢٤٠٤٥ .
- السلامي (تاريخ الوفاة غير معروف) شهاب الدين أحمد :  
مختصر التواريخ ، دار الكتب المصرية ، رقم ٩٠٥١ ح .
- العمري (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) ابن فضل الله :  
مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ج ٢٢ في أربع مجلدات ، دار الكتب المصرية رقم ٥٦٠ معارف عامة «تصوير شمسي» .

### المصادر العربية المطبوعة

- ابن الأثير (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م) أبو الحسن علي بن أبي مكرم الملقب عز الدين :  
١- الكامل في التاريخ ، ١٢ ج ، بيروت ١٩٦٦ م .  
٢- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، نشر وتحقيق عبد القادر طليمات ، القاهرة ١٩٦٣ م .
- ابن أيبك (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١م) أبو بكر بن عبد الله :  
كنز الدرر وجامع الغرر ، «الدرة المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية» ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، القاهرة ١٩٨٠ م .
- ابن بطوطة (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) ابو عبد الله محمد بن عبد الله :  
مهذب رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، بيروت ١٩٦٨ م .
- ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م) جمال الدين أبو المحاسن يوسف :  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٦ ج ، القاهرة (طبعة دار الكتب المصرية) ١٩٦٣ م .
- ابن جبير (ت ٦١٤هـ / ١٢١٧م) أبو الحسن محمد بن أحمد الأندلسي :  
رحلة ابن جبير ، بيروت ١٩٦٤ م .
- ابن حبيب (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م) الحسن بن عمر بن الحسن :



- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، ج ١، تحقيق محمد أمين، القاهرة ١٩٧٦ م.
- ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم:
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج ٨، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٦٨-١٩٧٢ م.
- ابن دقماق (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م) إبراهيم بن محمد بن ايدمر العلائي:
- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ج ٢ في مجلد، تحقيق محمد كمال الدين علي، الطبعة الأولى، بيروت ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.
- ابن رسته (ت في أوائل القرن الرابع الهجري) أبي عبي أحمد بن عمر:
- الأعلاق النفيسة، ليدن، مطبعة بريل ١٨٩١ م.
- ابن شاهنشاه الأيوبي (ت ٦١٧ هـ / ١٢٢٠ م) محمد بن تقي الدين عمر:
- مضممار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق حسن حبشي، القاهرة ١٩٦٨ م.
- ابن شداد (٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع:
- النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ١٩٦٢ م.
- ابن طولون (ت ٩٥٣ هـ / ١٥٥٣ م) محمد بن علي الصالحي:
- القلائد الجوهريّة في تاريخ الصالحية، ج ٢، تحقيق محمد أحمد دهمان، دمشق ١٩٤٩ م.
- ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦٢ م) كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله:
- زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج ٣، سامي الدهان، دمشق ١٩٦٨ م.
- ابن الفرات (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٤) ناصر الدين محمد بن عبد الرحمن:
- تاريخ ابن الفرات المعروف باسم الطريق الواضح السلوك إلى معرفة تراجم الخلفاء والملوك، الجزء السابع تحقيق قسطنطين زريق ونجلاء عز الدين، بيروت ١٩٤٢ م، المجلد الرابع، تحقيق حسن اشماع، البصرة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م.
- ابن القلانسي (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) أبو يعلي حمزة بن أسد بن محمد:
- تاريخ دمشق. سهيل زكار، الطبعة الأولى، دمشق ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.
- ابن عبد الظاهر (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٣ م) محيي الدين:
- ١- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الطبعة الأولى، الرياض ١٩٧٦ م.
- ٢- تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق مراد كامل، القاهرة ١٩٦١ م.
- البيروني: الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق ادوارد شاو، ليرج 1923 م
- ابن الوردي (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م) أبو حفص زين الدين عمر بن مظفر بن عمر:

- تتممة المختصر في أخبار البشر، ٢ ج، أحمد البدرائي، ط 1، بيروت ١٩٧٠ م.
- ابن منقذ (ت ٥٨٤هـ / ١١٨٨ م) مؤيد الدولة أبو المظفر إسامة بن مرشد :  
كتاب الاعتبار، تحقيق . فيليب حتي، بيروت ١٩٨١ م، نقلاً عن طبعة برنستون ١٩٣٠ م.
- ابن منظور (ت ٧١١هـ / ١٣١١ م) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم :  
لسان العرب، ١٠ مجلدات، القاهرة، نقلاً عن طبعة بولاق (بدون تاريخ).  
- ابن ميسر (ت ٦٧٧هـ / ١٢٧٨ م) محمد بن علي بن يوسف :  
تاريخ مصر، ٢ ج، نشر هنري ماسية، القاهرة ١٩١٩ م.
- ابن واصل (ت ٦٩٧هـ / ١٢٩٨ م) جمال الدين محمد بن سالم :  
مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج ٣١، تحقيق جمال الدين الشيال،  
القاهرة ١٩٥٣-١٩٦٠ م، ج ٤-٥، تحقيق حسين ربيع، القاهرة ١٩٧٢-١٩٧٣ م.
- أبو شامة (ت ٦٦٥هـ / ١٢٦٧ م) عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان شهاب الدين :  
الروضتين في أخبار الدولتين، ٢ ج، بيروت (بدون تاريخ).  
- أبو الفدا (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣١ م) اسماعيل بن عماد الدين صاحب حماة :  
١- المختصر في أخبار البشر، ٤ أجزاء في مجلدين، القاهرة (المطبعة الحسنية) بدون تاريخ.  
٢- تقويم البلدان، نشرة رينو وديسلان، باريس (دار الطباعة السلطانية) ١٨٤٠ م.
- أبو اليمن العليمي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١ م) أبو اليمن عبد الرحمن بن مجير الدين الحنبلي :  
الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ٢ ج في مجلد، بيروت ١٩٧٣ م.
- الأصفهاني (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠١ م) عماد الدين محم بن محمد بن حامد :  
الفتح القسي في الفتح القدسي، تحقيق محمد محمود صبح، القاهرة ١٩٦٥ م.
- الاصطخري (توفي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري /  
العاشر الميلادي) أبو اسحق بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي :  
المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة ١٩٨١ م.
- الأنصاري الدمشقي (ت ٧٢٧هـ / ١٣٢٦ م) شمس الدين أبي عبد الله،  
محمد بن أبي طالب المعروف بشيخ الربوة :  
نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، بطسبورغ ١٨٦٥ م.
- البنداري (ت ٦٢٢هـ / ١٢٢٥ م) الفتح بن علي بن محمد البنداري  
الأصفهاني :  
سنا البرق الشامي، تحقيق فتحية النبراوي، القاهرة ١٩٧٩ م.



- التطيلى الأندلسي (٥٦٩هـ / ١١٧٣م) بنيامين بن يونة :  
رحلة بنيامين، ترجمة عيزرا حداد، الطبعة الأولى، بغداد ١٩٤٥م.
- الحميري (ت ٦١٠هـ / ١٢١٣م) أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله :  
كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت ١٩٧٥م.
- الحنبلي (ت ٨٧٦هـ / ١٤٧٢م) أحمد بن إبراهيم :  
شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق ناظم رشيد، بغداد ١٩٧٩م.
- الديار بكري (ت ٩٦٦هـ / ١٥٥٩م) الإمام الشيخ حسين بن محمد بن الحسن :  
تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ٢ ج في مجلد، بيروت (مؤسسة شعبان للنشر والتوزيع) بدون تاريخ.
- الذهبي (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان :  
١- كتاب دول الإسلام، ٢ ج في مجلد، تحقيق فهد محمد شلتوت و محمد مصطفى إبراهيم، القاهرة ١٩٧٤م.
- ٢- العبر في خبر من غبر، ج ٣، تحقيق فؤاد سيد، الكويت ١٩٦١م، ج ٤، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٦٣م.
- سبط بن الخوري (ت ٦٥٤هـ / ١٢٥٧م) أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قيزو غلي :  
مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٨ في قسمين، حيدر آباد الدكن ١٩٥١-١٩٥٢م.
- شافع بن علي (ت ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م) شافع بن علي بن عباس الكاتب :  
كتاب حسن المناقب السرية المنتزعة من السيرة الظاهرية، تحقيق عبد العزيز الخويطر، الرياض ١٩٧٦م.
- العيني (ت ٨٥٥هـ / ١٤٥١م) بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى :  
عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان «عصر سلاطين المماليك» تحقيق محمد أمين، القاهرة ١٩٨٧م / ١٤٠٧هـ.
- القلقشندي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م) أحمد بن علي بن أحمد :  
صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ١٤ ج، القاهرة ١٩١٣-١٩٢٠م / ١٣٣١-١٣٣٨هـ.
- الكتبي (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م) محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن فخر الدين :  
عيون التواريخ، ج ٢١، تحقيق نبيلة عبد المنعم داود و فيصل السامر، بغداد

- ١٩٨٤ م .
- مفضل بن أبي الفضائل (ت ٦٧٢ هـ / ١٢٧١ م) مفضل :  
النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، ٢ ج، تحقيق ونشر  
باريس ١٩١٢ م .
- المقدسي (عاش في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) شمس الدين  
أبو عبد الله المعروف بالبشاري :  
أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، الطبعة الثانية، ليدن «مطبعة بريل»  
١٩٠٦ م .
- المقرئزي (ت ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م) تقي الدين أحمد بن علي :  
السلوك لمعرفة دول الملوك، ٢ ج في ٦ أقسام تحقيق محمد مصطفى زيادة  
الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٧ م .
- المنصوري (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م) ركن الدين بييرس المنصوري :  
التحفة الملوكية في الدولة التركية، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، الطبعة  
الأولى، القاهرة ١٩٨٧ م .
- النويري (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب :  
نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ٢٧، تحقيق سعيد عاشور، القاهرة ١٩٨٥ م .
- ناصر خسرو (ت ٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م) ناصر :  
سفرنامه، تحقيق يحيى الخشاب، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٠ م .
- الياضي (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٦ م) أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن  
سليم :  
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، ٤ ج،  
بيروت ١٩٧٤ م .
- اليونيني (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م) الشيخ قطب الدين موسى بن محمد :  
كتاب ذيل مرآة الزمان، ٤ ج، الطبعة الأولى، حيدر آباد الدكن ١٩٥٤ -  
١٩٦١ م .
- ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م) أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله :  
معجم البلدان، ٥ ج، بيروت ١٩٧٩ م .

#### رابعاً : المراجع الثانوية الأجنبية

##### Abel, F.M.:

- Les deux "Mahomerie", el- Bireh, el- Qubeibeh, dans  
revue biblique, XXXV (1926).

##### Addison G.:

- The History of the Knights Templars, London 1842.



**Antreassian A.:**

- The Timeless Holy Land, 2nd ed., Jerusalem 1979.

**Archer, T.H. and Kingsford, C.L.:**

- The Crusades: The Story of the Latin Kingdom of Jerusalem, London 1919.

**Atiya A.S.:**

- Crusade, Commerce and Culture, Bloomington 1962.

**Baldwin M.:**

- The Decline and fall of Jerusalem, in Setton, Vol. 1, Pennsylvania 1958 (PP. 590-622).

**Barker E.:**

- The Crusades, London 1949.

**Benvenisti M.:**

- The Crusaders in the Holy Land, Jerusalem 1976.

**Beasant w. and Palmer E.H.:**

- Jerusalem the City of Herod and saladin 1888.

**Beyer G.:**

- 'Das Gebiet der Kreuzfahrerherrschaft Caesarea', in Z.D.P.V. LTX (1936), PP. 1-91.
- 'Neapolis (Nablus) und sein Gebiet in der Kreuzfahrerzeit', in Z.D.P.V. LXII (1940), PP. 155-209.
- 'Die kreuzfahrergebiete Von Jerusalem und St. Abraham (Hebron)', in Z.D.P.V., LXV (1942), PP. 165-211.
- 'Die kreuzfahrergebiete Akko und Galilaea', in Z.D.P.V., LXVII (1944-5), PP. 183-260.
- 'Die Kreuzfahrergebiete Sudwest Palastineas', in Beitrage Zur biblischen landes-und altertumsk-und (herausgegangen ans der Z.D.P.V., LXVII (1946-51), PP. 148-192, 249-281.

**Boasc, T.S.R.:**

- Kindoms and Strongholds of Crusaders, London 1871.

**Brehier L.:**

L'Eglise et l'Orient au Moyen age les Croisades Paris 1928.

**Cahen C.:**

- La Syrie du nord a l'epoque de Croisades et al principaute franque d'Antioce, Paris 1940.

**Chalandon F.:**

- Histoire de la Premiere Croisade, Paris 1925.

**Conder C.R.:**

- The Latin Kingdom of Jerusalem, 1099-1291. A.D. London 1897.

**Deanesly M.:**

- A History of the Medieval Church, Cambridge, 1978.

**Deschamps P.:**

- Les Chateaux des Croises en Terre-Sainte, "La Defense du Royaume de Jerusalem", 2 Vol. Paris 1939.
- La Crac des Chevaliers, Paris 1934.

**Dodu G.:**

- Histoire des Institutions Monarchiques dans le Royaume Latin Jerusalem, Paris 1894.

**Edbury P.W.:**

- William of Tyre: A historian of the Crusades and the Latin Kingdom of Jerusalem (1130-1184) in the bulletin of the Faculty of Arts in Alexandria Universitu, 1988.

Ednaj. Stern, The Suger Industry in Palestine during the Crusader, Ayyubid and Mamluk Periods in light of the Archeological Finds, vol 2.1999

**Enlart C.:**

- Less Monumnts des Croises dans le Royaume de Jerusalem, 2 Vols, Paris 1928.

**Fink, Harold's:**

- 'the Foundation of the Latin States, 1099-118', in setton, Vol. I, (PP. 368-409).

**Groge Ebers und Herman guthe:**

- Palastine in Brid und Wort, 2 Vols., Germany 1882.

**Goitein S.D.:**

- Ameditranean society, 2 Vols. Los Angeles 1967.

**Grousset R.:**

- Histoire des croisades et du Royaum France de jerusalem. 3 Vols., Paris 1948.
- L'empire du Levant, Paris 1946.



**Hagenmeyer H.:**

- Chronoilogie de la Premire Croisade, in R.O.L. tome VI.

**Hamilton B.:**

- The Latin Church in the Crusader States, London 1980.

**Heyed W.:**

- Histoire des Commerce du Lavant, 2 Vols. Paris 1936.

**Iogra N.:**

- Preve Histoire des croisades, Paris 1924.

**Johnson P.:**

- Civilization of the Holy Land, London 1979.

**Katzir Y.:**

- Yje Batriarch of Jerusalem, Primate of the Latin kingdom, in Crusade and Settlement.

**King E.:**

- The Knights Hospitallers in the Holy land, London 1931.

**La Monte L.:**

- Feudal Monarchy in the Latin Kingdom of Jerusalem, 1100-1291, new York 1970 (PP. 168-175).

**Lavisse E., and Rambaud A.:**

- L'Europe feodal les croisades, 1095-1270, dans Histoire Gerenale, tome II, Paris 1893 (PP. 294-351).

**Lawrence T.E.:**

- Crusade Castle, London 1930.

**Mayer H.F.:**

- The Crusades, London 1978.

**Michaud M.:**

- History of the Crusades, trans. from the original by W. Robson, 3 Vols, London 1852.

**Nicholson R.L.:**

- The Grouth of the Latin States, 1118-1144, in stton, vol. I, (PP. 410-448).

**Prawer J.:**

- Crusader Institutions, Oxford 1980.
- The Latin Kingdom of Jerusalem, Jerusalem 1972.

**Pringle D.:**

- Magna Mahumeria (al-Bira): the Archaeology of a Frankish New Town in Palestine, in Crusad and Settlement, (PP.

147-168).

Poree, P .Brigitte, Les moulins et fabriques a sucre de Palestine et de chyper histoire, geographie et technologie dune production croisee et medieval, P. 491

**Rey E.G.:**

- Les Familles d'Qutre-mer de du Cange, Paris 1896.
- Les Seigneurs de Montreal, in R.O.L., Tome IV, Paris 1896.
- Recherches giographianes et historiques Sur la Domination des Latin Orient, Paris 1877.

**Rain P.:**

- Inventaire Critique des letters Historiques des Croisades, in R.O.L., tome I, Paris 1881 (PP. 1-91).

**Richard J.:**

- The Latin kingdom of Jerusalem, 2 Vols., trans from the Original by Jeant Shirly, Amsterdam 1979.
- The Poitical and Ecclesiastical Organization of the Crusader States, in Setton, Vol. 5, (PP. 193-250).
- Agricultural Conditions in Crusader States, in Setton 1 Vol. 5, (PP. 251-294).

**Riley-Smith J.:**

- The feudal Nobility and the kingdom of Jerusalem, 1174-1277, London 1973.

**Röhricht R.:**

- Geschicht des Konigreichs Jerusalem, Innsbruk 1898.

**Runcimn S.:**

- A History of the Crusades,3 Vols. London 1973.

**Schlumberger G.:**

- Trois sceaux et deux Mannaes de l'Poque des croisades, in A.O.L., tome 1, Paris 1881, (PP. 663-678).

**Smail R.C.:**

- Crusading Warfare, Cambridge 1987.
- The Crusaders in Syria and the Holy Land, southampton 1973.

**Stenenson W.:**

- The Crusaders in East, Beirute 1968.



#### خامسا : المراجع العربية والمعرية

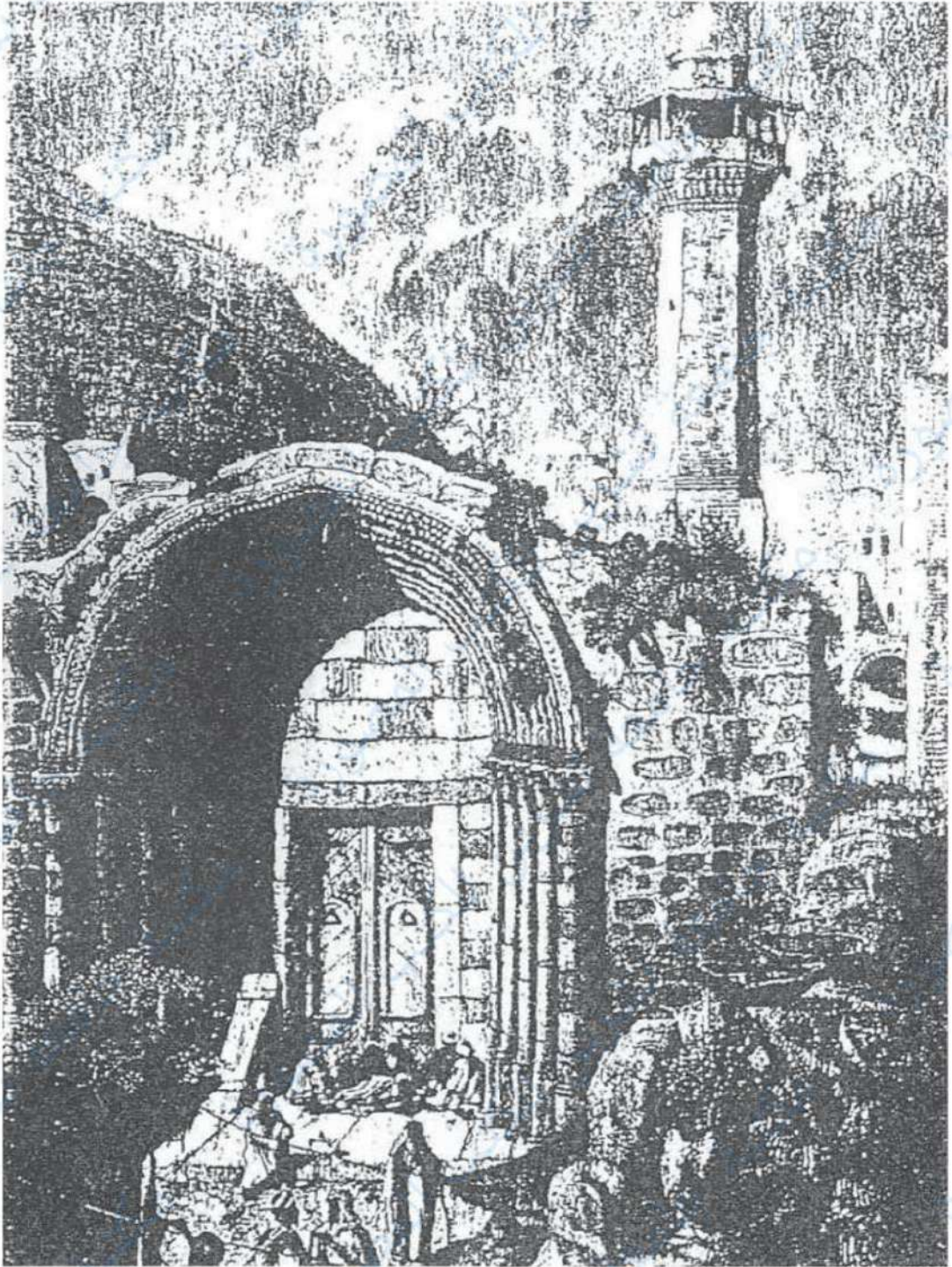
- إبراهيم علي طرخان (دكتور):  
النظم الإقطاعية في الشرق الأوسط في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٦٨ م.
- أحمد إبراهيم الشعراوي (دكتور):  
الإقطاع وأوروبا في العصور الوسطى، القاهرة ١٩٧٠ م.
- أحمد رمضان محمد (دكتور):  
المجتمع الإسلامي في بلاد الشام في عصر الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٧٧ م.
- أحمد الشرباصي:  
المعجم الاقتصادي الإسلامي، بيروت ١٩٨١ م.
- أسامة زكي زيد (دكتور):  
صيدا ودورها في الصاع الإسلامي الصليبي، الاسكندرية ١٩٨١ م.
- جورج بوست:  
قاموس الكتاب المقدس، ٢ ج، بيروت ١٨٩٤-١٩٠١ م.
- جورج حداد (دكتور):  
المدخل إلى تاريخ الحضارة، دمشق ١٩٥٨ م.
- جوزيف نسيم يوسف (دكتور):  
١- العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولى، الطبعة الثانية،  
الاسكندرية ١٩٦٧ م.
- ٢- العدوان الصليبي على مصر «هزيمة القديس لويس في المنصورة  
وفارسكور»، الطبعة الأولى، الاسكندرية ١٩٦٩ م.
- حسن حبشي (دكتور):  
الحرب الصليبية الأولى، القاهرة ١٩٥٨ م.
- حسني أحمد السيد حماد:  
الحضارة العربية، نشأتها، تطورها، آثارها، القاهرة ١٩٦٧ م.
- حسين روجي:  
مختصر جغرافية فلسطين، القدس ١٩٢٣ م.
- خليل طوطح وحبيب خوري:  
جغرافية فلسطين، القدس ١٩٢٣ م.
- خير الدين الزركلي:  
الأعلام، ٣ ج، القاهرة ١٩٢٧-١٩٢٨ م.
- درويش النخيلي (دكتور):  
فتح الفاطميين للشام في مرحلته الأولى، الاسكندرية ١٩٧٩ م.

- زكي النقاش (دكتور):  
العلاقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بين العرب والإفريق خلال الحروب الصليبية، بيروت ١٩٥٨ م.
- سعيد عبد الفتاح عاشور (دكتور):  
١- الحركة الصليبية، ٢ ج، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٧٥ م.  
٢- أضواء جديدة على الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٤ م.  
- سعيد البشاوي وآخرون،  
١- الأديان والفرق، ط ١، دار الاتحاد، عمان 1990 م  
٢- إقطاعية نابلس في عصر الحروب الصليبية 492-690 هـ/ 1099-1229 م، ط 2، دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله 2014 م.  
٣- معجم المؤرخين الفلسطينيين في القرن العشرين بالاشتراك مع أ. د. تيسير يونس جبارة، دار الشيماء للنشر والتوزيع، رام الله 2010 م.  
السيد الباز العريني (دكتور):  
١- الشرق الأوسط والحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٣ م.  
٢- مؤرخو الحروب الصليبية، القاهرة ١٩٦٢ م.  
- السيد عبد العزيز سالم (دكتور):  
التاريخ والمؤرخون العرب، الاسكندرية ١٩٨١ م.  
- شاكرو مصطفى (دكتور):  
آل قدامة في الصالحية، حوليات كلية الآداب بجامعة الكويت، الحولية الثالثة، الكويت ١٩٨٢ م.  
- طه ثلجي الطراونة:  
مملكة صفد في عهد المماليك، بيروت ١٩٨١ م.  
- عبد الله عارف:  
مدينة نابلس «دراسة إقليمية»، دمشق ١٩٦٤ م.  
- عبد الفتاح اليوسف (دكتور):  
العلاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر، صيدا، بيروت ١٩٦٩ م.  
- عرفان سيد الهواري:  
أعلام من أرض السلام، حيفا ١٩٧٩ م.  
- علي إبراهيم حسن (دكتور):  
التاريخ الإسلامي العام، بيروت، مطبعة السعادة، بدون تاريخ.  
- قسطنطين خمار:  
١- جغرافية فلسطين المصورة، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٦٧ م.  
٢- موسوعة فلسطين الجغرافية، بيروت ١٩٦٩ م.  
- كوبلاند وفينو جرادوف:  
الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوروبا، ترجمة دكتور محمد مصطفى زيادة، الطبعة الثالثة، القاهرة ١٩٥٨ م.



- محمد سعيد القاسمي وآخرون :  
قاموس الصناعات الشامية ، ٢ ج، باريس ١٩٦٠ م.
- محمد كرد علي :  
خطط الشام ، ٦ أجزاء في ٣ مجلدات ، بيروت ١٩٦٩-١٩٧٢ م.
- محمد محمد مرسى الشيخ (دكتور) :  
الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الاسكندرية ١٩٧٢ م.
- محمد مختار الباشا :  
التوقيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنيين الافرنكية والقبطية ، ٢ ج، دراسة وتحقيق وتكملة د. محمد عمارة ، الطبعة الأولى ، عام ١٩٨٠ م.
- محمود سعيد عمران (دكتور) :  
١- الحملة الصليبية الخامسة ، الطبعة الثانية ، الاسكندرية ١٩٨٥ م.  
٢- السياسة الشرقية للامبراطورية البيزنطية في عهد الامبراطور مانويل ، الاسكندرية ١٩٨٥ م.  
٣- القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين ، بيروت ١٩٧٦ م.
- محمد محمد الحويري (دكتور) :  
الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد ، القاهرة ١٩٧٩ م.
- مصطفى مراد الدباغ :  
بلادنا فلسطين ، ج ١ ، ق ١ ، ط ١ ، بيروت ١٩٦٥ م ، ج ٢ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٧٠ م ، ج ٣ ، ق ٢ ، ط ٢ ، عمان ١٩٨٥ م ، ج ٥ ، ق ٢ ، ط ٢ ، عمان ١٩٧٦ م ، ج ٦ ، ق ٢ ، ج ٨ ، ق ٢ ، ط ١ ، بيروت ١٩٧٤ م.
- نظير حسان سعداوي (دكتور) :  
المورخون المعاصرون لصلاح الدين ، القاهرة ١٩٦٢ م.
- نيقولا زيادة (دكتور) :  
١- الجغرافية عند العرب ، بيروت ١٩٦٢ م.  
٢- عالم العصور الوسطى في أوروبا ، الطبعة الأولى ، القدس ١٩٤٧ م.
- نور الدين حاطوم (دكتور) :  
تاريخ العصر الوسيط في أوروبا ، ج ١ ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٦٧ م.
- يوسف الدبس :  
تاريخ سورية ، ٨ ج ، بيروت ١٨٩٣ م ، ١٩٠٥ م.
- يوشع براثر (دكتور) :  
عالم الصليبيين ، ترجمة د. قاسم عبده قاسم ود. محمد خليفة حسن ، الطبعة الأولى ، القاهرة ١٩٨١ م.





منظر يوضح مدخل الجامع الكبير بمدينة نابلس وهو من بقايا الكنيسة الصليبية التي  
أقيمت سنة ١١٦٨ م ، نقلا عن :

Georg Ebers und Herman Guthe, Palastina in Bild und wort.



# البحر الأبيض المتوسط



خارطة ملكة بيت المقدس  
الصليبية في اقصى اتساع لها  
• مدن كبيرة  
• قرى كبيرة  
• قرى صغيرة وخرب

١٥ ١٠ ٥ ٠  
ميل انجليزي

الارض المقدسة

